كتاب المواهب اللدنيه في تفسير الخير البريه ٤٩

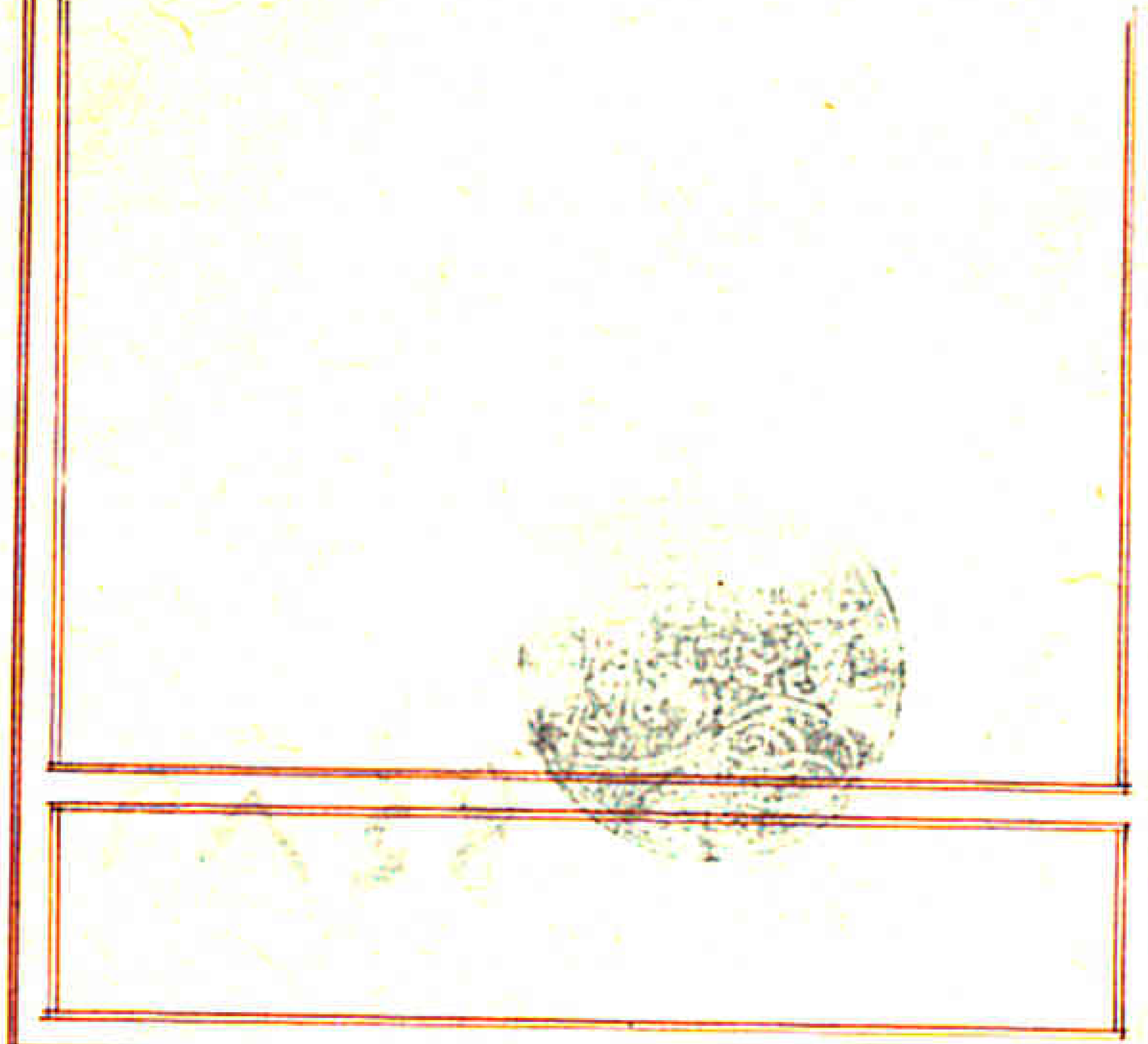
كتاب المواهب اللدنية في سير خير
البرية للشيخ العالم العلامة
احمد بن الخطيب القسطلاني
تغمده الله تعالى برحمته

قپودان دریا سلیمان پاشا قوللری



قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين
والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان
الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتبصر
واعتبر وتذكر اجزل الله تعالى ثوابه وانا الفقير
احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين غفر لهما





بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا • وصلى الله على سيدنا وعلى آله وسلم مظهر
الحمد لله الذي اطلع في سماء الازل شمس معارف النبوة المحمدية • واشرق من افق اسرار الرسالة
تجلي العرفان الاحمدية • احمده على ان وضع اساس نبوته على سوابق ازليته • ورفع دعائم رسالته على
لواحق ابديته • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الفرد المتفرد في فردانيته بالعظمة والجلال
الواحد المتوحد بوحدانيته باستحقاق الكمال • واشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده و
رسوله اشرف نوع الانسان • وانسان عيون الاعيان • المستخلص من خالص خلاصة ولد
عدنان • الممنوح بدايع الآيات • والمخصوص بعموم الرسالة وغرايب المعجزات • البر الجامع لفرايد
المخصص بمواهب القرب من النوع الانساني • مورد الحقايق الازلية ومصدرها • وجامع جوامع
معرفتها ومنبرها وخطيبها اذا احضر في حظاير قدسها ومحضرها بيت الله المعمور الذي اتخذه
وجعله ناظم الحقايق وانسه مدة مداد نقطة الاكوان • ومنبع ينابيع الحكم والعرفان • المغترف
من بحر مدد الوفا • على القابل من اهل المعارف والاصطفا • حيث خاطب دائرة الامد سبح المبيح
الانفسية • فقال • انت رسول الله اعظم كاين • وانت لكل الخلق بالحق مرسل

عليك مدار الخلق اذ انت قطبه • وانت منار الحق تعلو وتعدل
فؤادك بيت الله دار علومه • وباب عليه منه بالحق تدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت • ففي كل حي منه بحر ومنهل
منحت بفيض الفضل كل مفضل • فكل له فضل به منك يفضل
نظمت نثار الانبياء فتاجهم • لديك بانواع الكمال مكلل
فيا مدة الامداد نقطة خطه • ويا ذروة الاطلاق اذ يتسلسل
ويا خافض السبع الطباق متوجا • باكليل جاه القرب اذ يتحمل

صلوة

محال ان يحول القلب عنك وانني • وحقك لا اسلو ولا اتحول • عليك صلوة منه قد تتوالى
صلوة اتصال عنك لا تتفصل • شخصت ابصار بصاير سكان سدرة المنتهى بجد جماله و
ارواح رؤساء الانبياء الى مشاهدة كماله • وتلفتت لفتات انفس الرفيق الاعلى الى نفس نفحاته • و
تطاولت اعناق العقول الى عين لحاته ولحظاته • فعرج به الى المستوى الاقدس • واطلعه على سره الانفس
في حالته الجامعة • وحضرات حظيرة قدسه الواسعة • فوقفت اشخاص الانبياء في حرم الحرمة
على اقدام الخدمة • وقامت اشباح الملائكة في معارج الجلال على رجل الاجلال • وهامت ارواح
ارواح العشاق في مقامات الاشواق • كل اليك بكله مشتاق • وعليه من رقباء احداق • لهولك
ما ناح الحمام بايكه • او لاح برق في الدجا خفاق • شوقا اليه لا يزال يريده • بجميعه بجميعه مشتاق
استشاق القمر لمشاهدته فانشق • فشق مرائر الاشقياء الشاقين • وحن لمفارقته الجذع فتصدع
فانصدعت قلوب الاغبياء المنافقين • وفيه در القايل • وكان انشقاق البدر اكبر آية • لشق
قلوب الحاسدين وتفرق • وبرقت من مشكوة بعثته بوارق طلايع الحقايق • وانقادت
لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلايق • ولم يزل يجاهد في الله بصادق عزماته • وينتظم شتات الاسلام
بعد افتراق جهاته • حتى كملت كمالات دينه وحججه البالغة • وتمت على ساير امته الامية النعمة السابغة
وخير فاختار الرفيق الاعلى • واثر الاخرة على الاولى • فنقله الله قايما على قدم السلامة الى دار السلام
وفردوس الكرامة • وبوأه اسنى مراقي التكريم في دار المقامة • ومنحه على مواهب الشرف في اليوم
المشهود • فهو الشاهد المشهود • والمحمود بالمحامد التي يلهمها للحامد المحمود • ذو المنزلة العلية • و
الدرجة السنية • في حظاير القدس الاقدسية • والمشاهد الانفسية • وصلى الله عليه فواضل
الصلوات • وشرايف التسليم ونوامي البركات • وعلى آله الاطهار واصحابه الابرار • صلوة وسلاما
لا ينقطع عنهما امد المدد • ولا يحصرهما العدد ابد الابد • وبعد فهذه لطيفة من لطايف نفحات
العواطف الرحمانية • ومنحة من منح مواهب العطايا الربانية • تنبئ عن نبذة من كمال شرف نبينا محمد
عليه افضل الصلوات • واتم التسليم واسنى التحيات • وسبق نبوته في الازمان الازلية • وثبوت رسالته
في الغيابات الاحدية • والتبشير باحمديته في الاعصر الخالية • والتذكير بمحمديته في الامم الماضية • و
اشراق بوارق لوامع انوار آيات ولادته التي سار ضوء فجرها في ساير بريته • ودار فخر بدرها في افلاك
ملته • وعواطف لطايف رضاعه وحضانته • وينابيع اسرار سر مسراه وبعثته وهجرته • وعوارف
معارف عبوديته التي سارت بشذاها في آفاق قلوب اهل ولايته • ونفايس انفاس احواله الزكية و
دقايق حقايق سيرته العلية • الى حين نقلته لروضة قدسه الاحدية • وتشريفه بشرايف الآيات
وتكريمه بكرايم المعجزات • وترفيعه في آي التنزيل برفعة ذكره • وعلو خطره • وتعظيم محاسن شمايله
وخلايقه • وتخصيصه بعموم رسالته • ووجوب محبته • واتباع طريقته وسيادته الجامعة

بجوامع السؤدد في مشهد مشاهد المرسلين • وبفضله بالشفاعة العظمى العامة لعموم الاولين
والآخرين • الى غير ذلك من عجايب اياته ومنحه • وغرايب اعلام نبوته • ومحجة اوردتها حججا قاهرة
على الملحدين • ونبهت بها العزام المهتدين • ولم اكن والله اهلا لذلك • ولم ارتق نفسي فيما هنالك لصعوبة
هذا المسلك • ومشقة التبري طريق لم يكن لمثلي يسلك • وانما هو نكتة سر قراءة كتاب الشفا بحضرة
التخصيص والاصطفا • في مكتب التأدب والتعليم • في مشهد مشاهدة المؤانسة والتكريم • مستجليا
في مجالي تجليات الانوار الاحمدية • محاسن صفات خلقته وعظيم اخلاقه الزكية • سائرا بها
سيرته في منهاج ملته الى سماء هديه الاسنا • راتعا في رياض روضة سنته النزهة الحسنا •
من فتح الباري • بفيض فضله الساري • فتحني صاحب هذه المنحة من مصون حقايقه • وابرز لي مما
اكنه من مكنونه ودقايقه • فانفتحت بالفتح المحمدي عين بصيرة الاستبصار • وتنزه الناظر في رياض
ارتياض دقايق الاسرار • فانجلت من ابكار مخدرات السنة النبوية من كل صورة معناها واقتبست
من نبذة لوامع مصباح مشكوة المعارف من كل انار بارق اختواها • وانتشقت من كل عبقة صوفية شذاها
واجتنيت من افنان لطايف تاويل آي الكتاب العزيز من كل ثمرة مشتهاها • ولازلت في جنات لطايف
هذه المنح اغدو واروح في غبوق وصبوح • حتى اهلت غمايم المعاني على ارض رياض المباني • فانبتت
ازهارها • وتكللت نفايس جواهر العلوم اوراقها • وطابت لمجتني دقايق الحقايق ثمارها • وتدفقت
حياض بدايع الفاظها بزلال جوامع كلماتها • وخطب خطيب قلوب ابناء الهوى على منبر الغرام الاقدس
بذكر كمال محاسن الحبيب الانفس فترنحت بسلاف راح الارتياح نفايس الارواح • وتمايلت بطربات
الحان الحنين الى جمال المحبوب كرايم الاشباح • وزمزم مزمزم الصفا بحضرة خلاصة اولي الوفا • مسلسلا
منشدا مرددا • حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه • حسبي بنعمة زال عنه حبيبه • داوى فؤادي الوصل
من ادوائه • طوبى لقلبي والحبيب طبيبه • صدق المحب حبيبه في حبه • فحباه صدق المحبة حبيبه
لباه لب فؤاده فاجابه • لما دعاه الى الغرام وجيبه • ولجامع الاهواء خيم حبه • ولحسنه خطب
القلوب خطيبه • فلما سمعت هذه المواهب آذان قلوب اولي الالباب تلقفت عيون اعيانهم لتلخيص
خلاصة جوهر هذا الخطاب سفرا يسفر عن وجه المنح النبوية منيع النقاب • فثنيت عنان القلم الى تحصيل
مآربهم • وتسطير مطالبهم جانحا صوب الصواب • مودعا ما كان مستوثقا في غيابات الغيب في هذا
الكتاب مستنجحا في ذلك بالمقوي الوهاب • حتى اتاح الله لي ذلك • وتم ما هنالك فاوضحت ما خفي
من الدليل • ومهدت ما توعر من السبيل • وسميته المواهب اللدنية بالمنح المحمدية • ورتبته على عشرة مقاصد
تسهيلا للسائل والقاصد المقصد الاول في تشريف الله تعالى له عليه الصلوة والسلام بسبق نبوته
في سابق ازليته • ونشر منشور رسالته • في مجلس مؤانسته • وكتبه توقيع عنايته • في حظاير قدس
كرامته • وطهارة نسبه • وبراهين اعلام حمله وولادته ورضاعته وحضانته ودقايق حقايق
بعثته وهجرته • ولطايف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشاته الى وقت وفاته

وصلة

ونقلته لرياض روضته المقصد الثاني في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال اخلاقه المنيفة و
اولاده الكرام الطاهرين وازواجه الطاهرات امهات المومنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة و
جداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرايع والاحكام ومكاتباته الى الملوك
وغيرهم من الانام والات حروبه ودوابه والوافدين اليه • وفيه عشرة فصول المقصد الثالث
فيما منحه الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه سبحانه به من الاخلاق الزكية وشرفه به من
الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه والى الله صلوته وسلامه عليه • وفيه ثلاثة فصول
المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما اختص به من خصايص اياته
وبدايع كراماته وفيه فصلان المقصد الخامس في تخصيصه عليه السلام بخصايص المعراج والاسراء
وتعميمه بعموم لطايف التكريم في حضرة القرب بالمكالمة والمشاهدة والايات الكبرى المقصد
السادس فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته له بصدق نبوته وثبوت
بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته
واخذه تعالى الميثاق على النبيين فضلا ومنة ان ادركوه ليؤمنن به ولينصرنه والتنويه في الكتب
السالفة كالتورية والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل وفيه عشرة انواع المقصد السابع
في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته • وفرض محبة اله واصحابه • وقرابته وعترته
وحكم الصلوة والتسليم عليه زاده الله تعالى فضلا وشرفا لديه • وفيه ثلثة فصول المقصد الثامن
في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وانبائه بالانباء المغيبات وفيه
ثلثة فصول المقصد التاسع في لطيفة من حقايق عباداته ويشتمل على سبعة انواع المقصد
العاشر في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف
وتفضيله في الاخرة بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات • وتشريفه بخصايص
الزلفى في مشهد مشاهد الانبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسؤدد
في مجمع جامع الاولين والاخرين وترقيه في جنة عدن ارقى معارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد
اعلى معالي الحسنى وزيادة وفيه ثلثة فصول والله تعالى جل وعز اسأل بجاهه وجهه
الوجيه ونبيه النبيه ان يمنح هذا الكتاب العزيز بمدد الاقبال والقبول وينيلني ومن كتبه او قراه
او سمعه والمسلمين من العواطف النبوية لطايف السول ونهاية المامول وعلى الله قصد السبيل وهو
حسبنا ونعم الوكيل المقصد الاول في تشريفه تعالى له عليه الصلوة والسلام بسبق نبوته
في سابق ازليته • ونشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته • وكتبه توقيع عنايته في حظاير قدس كرامته
وطهارة نسبه • وبراهين ايات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقايق حقايق بعثته وهجرته
لطايف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشاته الى وقت وفاته ونقلته
لرياض روضته اعلم يا ذا العقل السليم والمتصف باوصاف الكمال والتتميم وفقني الله واياك

بالهداية الى الصراط المستقيم انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق في سابق ارادته وعلمه ثم اعلمه بنبوته وبشره برسالته هذا وآدم لم يكن الا كما قال بين الروح والجسد ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الارواح فظهر بالملأ الاعلى وهو بالمنظر الاجلى فكان لهم المورد الاحلى فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس . ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان الى الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا فهو صلى الله عليه وسلم وان تأخرت طينته فقد عرفت قيمته فهو في خزانة السر وموضع نفوذ الامر فلا ينفذ امر الا منه ولا ينقل خير الا عنه .

الا وابي من كان ملكا وسيدا . وآدم بين الماء والطين واقف . فذاك الرسول الابطحي محمد له في العلى مجد تليد وطارف . اتى بزمان السعد في آخر المدى . وكانت له في كل عصر مواقف . اتى لانكسار الدهر يجبر صدعه . فاثنت عليه السن وعوارف . اذا رام امرا لا يكون خلافه . وليس لذاك الامر في الكون صارف .

خرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء . ومن جملة ما كتب في الذكر وهو ام الكتاب ان محمدا خاتم النبيين . وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته . رواه احمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد وقوله لمنجدل يعني طريحا ملقى على الارض قبل نفخ الروح فيه . وعن ميسرة الضبي قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد . هذا لفظ رواية الامام احمد . ورواه البخاري في تاريخه وابو نعيم في الحلية وصححه الحاكم . واما ما اشتهر على الالسنة كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال شيخنا الحافظ ابو الخير السخاوي في كتاب المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ . انتهى . قلت كذا رويناه في جزء من حديث ابي عمرو اسمعيل بن نجيد ولفظه متى كتبت نبيا قال كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد . فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها في الخارج فان الكتابة تستعمل فيما هو واجب . قال تعالى كتب عليكم الصيام وكتب الله لاغلبن . وعن ابي هريرة رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي وقال حديث حسن . ورويناه في جزء من امالي ابي سهل القطان عن سهل بن صالح الهمداني قال سألت ابا جعفر محمد بن علي كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الانبياء وهو آخر من بعث قال ان الله تعالى لما اخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم كان محمد صلى الله عليه وسلم اول من قال بلى ولذلك صار يتقدم الانبياء وهو آخر من بعث .

هو ابو محمد ابو جعفر ابن علي زين العابدين

فان قلت ان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ اربعين سنة ايضا فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل ارساله

اجاب الغزالي في كتاب النفخ والتسوية عن هذا وعن قوله صلى الله عليه وسلم انا اول الانبياء خلقا

واخرهم بعثا بان المراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد فانه قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود . وقال وهو معنى قولهم اول الفكرة آخر العمل آخر العمل اول الفكرة . وبيانه ان المهندس المقدر للدار اول ما يتمثل في نفسه صورة الدار فيحصل في تقديره دار كاملة وآخر ما يوجد من اعماله هي الدار الكاملة . فالدار الكاملة هي اول الاشياء في حقه تقديرا وآخرها وجودا . لان ما قبلها من ضرب اللبنات وبناء الحيطان وتركيب الجذوع وسيلة الى غاية وكمال وهي الدار فالغاية هي الدار ولاجلها تقوم الاعمال والآلات . ثم قال واما قوله عليه الصلاة والسلام كنت نبيا فاشار الى ما ذكرناه وانه كان نبيا في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام لانه لم ينشأ خلق آدم الا لينتزع من ذريته محمدا صلى الله عليه وسلم ويستصفى تدريجا الى ان يبلغ كمال الصفا . قال ولا تفهم هذه الحقيقة الا بان تعلم ان للدار وجودين وجودا في ذهن المهندس ودماغه وانه ينظر الى صورة الدار خارج الذهن في الاعيان والوجود الذهني سبب للوجود الخارج العيني فهو سابق لا محالة . وكذلك فاعلم ان الله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا . انتهى . وهو متعقب بقول الشيخ تقي الدين السبكي انه قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تكون الاشارة بقوله كنت نبيا الى روحه الشريفة او الى حقيقة من الحقائق والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن امده الله بنور الهي . ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء . فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيأة لذلك وافاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها . واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية . وانما يتأخر البعث والتبليغ . وكل ما له من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه . وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة . وانما المتأخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم . وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى . لان علم الله تعالى محيط بجميع الاشياء . ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه امر ثابت له في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد . لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله . فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى . وعن الشعبي قال رجل يا رسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين اخذ مني الميثاق . رواه ابن سعد من رواية جابر الجعفي كما ذكره ابن رجب . فهذا يدل على انه من صور آدم طينا استخرج منه محمد صلى الله عليه وسلم ونبئ واخذ منه الميثاق ثم اعيد الى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذي قدر الله سبحانه خروجه فيه فهو اولهم خلقا . لا انه خلق قبل آدم لان آدم كان حينئذ مواتا لا روح فيه ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج ونبئ واخذ منه الميثاق فهو اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا . فان قلت ان استخراج

ذريته ادم منه كان من بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه اكثر الاحاديث والذي تقرر هنا ان استخراج ونبوة قبل نفخ الروح في آدم عم **أجاب** بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر ادم قبل نفخ الروح فان محمدا صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خلق النوع الانساني وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده والاحاديث السابقة صريح في ذلك • والله اعلم • وروي عن علي بن ابي طالب رضه انه قال لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه • وهو مروي عن ابن عباس ايضا ذكرهما العماد ابن كثير في تفسيره • وقيل ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى انوار الانبياء عم فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان امنتم به جعلتكم انبياء فقالوا امنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وانا معكم من الشاهدين • وقال الشيخ تقي الدين السبكي في هذه الاية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى • وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن ادم الى يوم القيمة • وتكون الانبياء والامم كلهم من امته • ويكون قوله بعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا • ويتبين بهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد • قال فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الاخرة جميع الانبياء تحت لوائه • وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم • ولو اتفق مجيئه في زمن ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم • انتهى • وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد السادس • وذكر العارف الرباني عبد الله بن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس ومن قبله ابن سبع في شفاء الصدور عن كعب الاحبار قال لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين انهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء • لها شعاع عظيم • ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والارض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا وفضله قبل ان تعرف ادم عليه السلام • ولعل لما خاطب الله تعالى السماء والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اجاب موضع الكعبة الشريفة ومن السماء ما يحاذيها • وقد قال ابن عباس رضه اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة • فقال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض ذرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من موضع الكعبة ودحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه هو الاصل في التكوين والكائنات تبع له • وقيل ولذلك سمي اميا لان مكة كانت ام القرى وذريته ام الخليقة **فان قلت** تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا ان يكون مدفنه عليه الصلوة

وسلم بمكة حيث كانت تربته منها **أجاب** صاحب عوارف المعارف افاض الله علينا من عوارفه وتعطف علينا بعواطفه بانه قيل ان الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذي تربته بالمدينة • انتهى • وفي المولد الشريف لابن طغربك ويروى انه لما خلق الله ادم الهمه ان قال يا رب لم كنيتني ابا محمد قال الله تعالى يا ادم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد في سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء احمد وفي الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا • ويشهد لهذا ما رواه الحاكم في صحيحه ان ادم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لادم لولا محمد ما خلقتك • ولله در من قال •

وكان لدى الفردوس في زمن ادم • ونور سنا الانوار في الصفو والهدى • يشاهد في عدن ضياء مشعشعا
فقال الهي ما الضياء الذي ارى • جنود السماء تعشو اليه ترددا
فقال نبي خير من وطئ الثرى • وافضل من في الخلق راح او اغتدى • تخيرته من قبل خلقك سيدا
والبسته من قبل النبيين سوددا •

فان قلت ان مذهب الاشاعرة ان افعال الله ليست معللة بالاغراض فكيف تكون خلقة محمد صلى الله عليه وسلم علة في خلق ادم عم **أجيب** بان الظاهر من الادلة تعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح التي هي غايات ومنافع لافعاله تعالى لا بواعث على اقدامه ولا علل مقتضية لفاعليته لان ذلك محال في حقه تعالى لما فيه من استكماله بغيره • والنصوص شاهدة بذلك كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي قرنت الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة فالتعليل لفظي لا حقيقي لان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ايصال المنفعة الى الغير من غير واسطة العمل • وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري رضه قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء • قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم • ولا جنة ولا نار • ولا ملك ولا سماء ولا ارض • ولا شمس ولا قمر • ولا جني ولا انسي • فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم • ومن الثاني اللوح • ومن الثالث العرش • ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء • فخلق من الاول حملة العرش • ومن الثاني الكرسي • ومن الثالث باقي الملائكة • ثم قسم الرابع اربعة اجزاء • فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين • ومن الثالث الجنة والنار • ثم قسم الرابع اربعة اجزاء • فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين • ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله • ومن الثالث نور انسهم • وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله • الحديث • وقد اختلف هل القلم اول المخلوقات بعد النور المحمدي • قال الحافظ ابو يعلى الهمداني الاصح ان العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء • فهذا صريح ان التقدير

وقع بعد خلق العرش والقدر وقع عند اول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت رضه مرفوعا اول ما
خلق الله القلم قال له اكتب قال رب ما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء • رواه احمد والترمذي وصححه •
وروى ايضا من حديث ابي رزين العقيلي مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش • وروى السدي باسانيد
متعددة ان الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء • فيجمع بينه وبين ما قبله بان اولية القلم بالنسبة الى
ما عدا النور المحمدي والماء والعرش • انتهى • وقيل الاولية في كل بالاضافة الى جنسه اي اول ما
خلق الله من الانوار نوري • وكذا في باقيها • وفي احكام ابن القطان مما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين
عن ابيه عن جده رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق ادم باربعة
عشر الف عام • وفي الخبر لما خلق الله تعالى ادم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب
على سائر نوره ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على اكتاف ملائكته وامرهم فطافوا به في السموات
ليرى عجائب ملكوته • قال جعفر بن محمد مكث الروح في راس ادم مائة عام وفي صدره مائة عام وفي ساقيه
وقدميه مائة عام ثم علمه الله تعالى اسماء جميع المخلوقات ثم امر الملائكة بالسجود له فسجدوا الا ابليس فطرده الله
وابعده واخزاه وكان السجود لادم سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فالمسجود له بالحقيقة
هو الله تعالى وادم كالقبلة • وروى عن جعفر الصادق رضه انه قال فان اول من سجد لادم جبريل ثم ميكائيل
ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون • وعن ابي الحسن النقاش اول من سجد اسرافيل قال ولذا جوزي
بتوليته اللوح المحفوظ • وعن ابن عباس كان يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر ثم خلق الله تعالى حواء زوجته
من ضلع من اضلاعه وهو نائم • وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ ورآها سكن اليها ومد يده لها
فقالت الملائكة مه يا ادم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا
تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلث مرات • وذكر ابن الجوزي في كتابه سلوة الاحزان انه لما رام القرب منها
طلبت منه المهر فقال يا رب وماذا اعطيها قال يا ادم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل
ثم ان الله تعالى اباح لهما نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة • وقيل شجرة العنب • وقيل شجرة التين • فحسدهما ابليس فهو
اول من حسد وتكبر واتى الى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة واتى الى ادم وحواء فوقف وناح نياحة احزنتهما فهو
اول من ناح فقالا ما يبكيك قال عليكما تموتان وتفارقان النعيم • الا ادلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما انه ناصح
فهو اول من حلف كاذبا واول من غش فاكلت حواء منها ثم زينت لادم حتى اكل وظنا ان احدا لا يتجاسر ان يحلف بالله
كاذبا فقال الله تعالى يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ظننت
ان احدا لا يحلف بك كاذبا قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لاهبطنك الى الارض لا تنال العيش الا كدا فاهبطا من
الجنة • وعن ابن عباس رضه قال الله تعالى ما حملك على ما صنعت قال زينته لي حواء قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها
ولا تضع الا كرها ولادميتها في الشهر مرتين • وقال وهب بن منبه لما اهبط ادم الى الارض مكث يبكي ثلثمائة
سنة لا يرقى له دمع • وقال المسعودي لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع ادم اكثر حيث اخرجه الله من
الجنة • وقال مجاهد بكى ادم مائة عام لا يرفع راسه الى السماء ونبت من دموعه العود الرطب والزنجبيل

والصندل

والصندل وانواع الطيب وبكت حواء حتى انبت الله من دموعها القرنفل والافاوي • يا بني ادم فانظروا كيف
بكى ابوكم على زلة واحدة ثلثمائة سنة فكيف بكم يا ارباب الكبائر العظيمة فاعتبروا يا اولي الابصار
كان كلما راى الملائكة تصعد وتهبط ازداد شوقا الى الاوطان وتذكر العهد والجيران • يا اصحاب
الذنوب احذروا زلة يقول فيها الحبيب هذا فراق بيني وبينك • فيا ذا العقل السليم انظر كيف
ابوك ادم جلس على سرير المملكة فمد يده الى لقمة نهي عنه فاخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه عواقب المعاصي فانها
من نزلت به نزل لذنبه وحطته عن مرتبته فان قلت هذه الفعلة التي اهبط بها ادم من الجنة
ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من
نزع اللباس والاخراج من الجنة وغير ذلك اجاب الزمخشري بانها ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال
قلبية من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الطاعات واعظم الاعمال • وانما جرى عليه ما جرى
تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء
المآثم • يا هذا انظر كم لله من لطف وحكمة في اهباط ادم من الجنة الى الارض • لولا نزوله لما ظهر جهاد
المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين ولا صعدت زفرات انفاس التائبين • ولا نزلت قطرات دموع
المذنبين • يا ادم ان كنت اهبطت من دار القرب فانا قريب اجيب دعوة الداع ان كان حصل لك
بالاخراج من الجنة كسر فانا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي • ان كان فاتك في السماء زجل المسبحين فقد
تعوضت في الارض انين المذنبين • انين المذنبين احب الينا من تسبيحهم • زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار
وانين المذنبين يزينه الانكسار • لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء الله بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم
سبحان من اذا لطف بعبده في المحن قلبها منحا • واذا خذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه وبالا
لقن ادم حجته • ولقن عليه ما تقبل به توبته • وطرد ابليس اللعين بعد طول خدمته فصار عمله هباء منثورا
قال اخرج منها فانك رجيم • وان عليك لعنتي الى يوم الدين • اذا وضع عدله على عبد لم تبق له حسنة و
اذا بسط فضله على عبد لم تبق له سيئة • انظر لما ظهر فضل ادم عليه السلام على الخلائق بالعلم وكان
العلم لا يكمل الا بالعمل مقتضيا والجنة ليست دار عمل ومجاهدة انما هي دار نعيم ومشاهدة قيل له يا ادم اهبط
الى ارض الجهاد • وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد • وكانك بالعيش الماضي وقد عاد على الكمال من اللذ
المعتاد • ولما ظهر لابليس عليه اللعنة الحسد وسعى في الاذى حتى كان سببا في اخراج السيد ادم من الجنة
وما فهم الابله ان ادم اذا خرج من الجنة كملت فضائله ثم عاد الى الجنة على اكمل من الحال الاول • قالوا فيه
اشارة كان تعالى يقول لو عفوت في الجنة لما تبين كرمي بان اعفو لنفس واحدة بل اخرجه الى الدنيا واتت
بالوف من العصاة حتى اغفر لهم ليتبين جودي وكرمي • وايضا علم الله تعالى ان في صلبه الاولاد و
الجنة ليست دار توالد • وايضا ليخرج من ظهره من لا يصلح في الجنة • يا هذا الجنة ان شاء الله تعالى
اقطاعنا وقد وصل منشور الاقطاع مع جبريل عم الى نبينا صلى الله عليه وسلم وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار • انما يخرج الاقطاع عن من خرج من الطاعة • نسأل الله توفيق

ظ انما يخرج من الاقطاع من خرج من الطاعة

وقد اختلف في الجنة التي سكن آدم فيها فقيل هي جنة الخلد • وقيل غيرها جعلها الله دار ابتلاء
لان جنة الخلد انما يدخل اليها يوم القيمة وبانها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وامر ونهي ودار سلامة
لا دار ابتلاء وامتحان ودار قرار لا دار انتقال • واحتج القايلون بانها جنة الخلد بان الدخول العارض
قد يقع قبل يوم القيمة وقد دخلها نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء • وبان ما ذكروه من ان الجنة لا يوجد
فيها ما وجد آدم من الحزن والنصب فانما هو اذا دخلها المؤمنون يوم القيمة كما يدل عليه سياق الايات
كلها فان نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين اياها والله اعلم انتهى • وروي انه لما اخرج آدم من الجنة رأى
مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع من الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى
فقال يا رب هذا محمد من هو قال الله تعالى هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا
الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك •
وعن عمر بن الخطاب رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسألك
بحق محمد لما غفرت لي قال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك يا رب لما خلقتني بيدك
ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت
انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق
الي واذ اسألتني بحقه فقد غفرت لك • ولولا محمد ما خلقتك • رواه البيهقي في دلائله من حديث
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم • وقال تفرد به عبد الرحمن • ورواه الحاكم وصححه • وذكره الطبراني وزاد فيه
وهو آخر الانبياء من ذريتك • وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي عليه السلم
قال ان ربك يقول ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم
علي منك ولقد خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا و
لله در سيدي علي الوفائي حيث قال في قصيدته التي اولها • سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد •
هذا النعيم هو المقيم الى الابد • روح الوجود حيوة من هو واجد • لولاه ما تم الوجود لمن وجد •
عيسى وآدم والصدور جميعهم • هم اعين هو نورها لما ورد • لو ابصر الشيطان طلعة نوره • في
وجه آدم كان اول من سجد • او لو رأى النمرود نور جماله • عبد الجليل مع الخليل ولا عند • لكن جمال الحق
جل فلا يرى • الا بتخصيص من الله الصمد • ولما خلق الله تعالى حواء لتسكن الى آدم ويسكن اليها نحن
صار لديها فاصدقت وكانت عليها فولدت له في تلك الاعوام الحسنا اربعين ولدا في عشرين بطنا ووضعت
شيثا وحده كرامة لمن اطلع الله بالنبوة بعده • ولما توفي آدم كان شيث عليه السلام كان وصيا على ولده
ثم اوصى شيث ولده بوصية آدم ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية
جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله هذا
النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الاحاديث المرضية • فاخرج
ابن عباس فيما رواه البيهقي في سننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجاهلية

مطلب طهارة نسبه الشريفة

ما ولدني

وما ولدني الا نكاح الاسلام • والسفاح بكسر السين المهملة الزنا والمراد به هنا ان المرءة تسافح
رجلا مدة ثم يتزوجها بعد ذلك • وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي
عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان في امر
الجاهلية • وعن علي بن ابي طالب رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح
من لدن آدم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شيء • رواه الطبراني في الاوسط و
ابو نعيم وابن عساكر • وروى ابو نعيم عن ابن عباس رض مرفوعا لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله
ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في
خيرهما • وعنه في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا • رواه البزار
وعنه ايضا في الاية قال ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء حتى ولدته امه •
رواه ابو نعيم • وعن جعفر بن محمد عن ابيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم يصبه شيء من
ولادة الجاهلية قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح • وعن انس رض قال قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء قال انا انفسكم نسبا وصهرا و
حسبا ليس في ابائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح • رواه ابن مردويه في الدلائل لابي نعيم عن عايشة رض عنه صلى
الله عليه وسلم عن جبريل قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني
اب افضل من بني هاشم • وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط • قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر لوايح الصحة ظاهرة
على صفحات هذا المتن • وفي البخاري عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرنا
فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه • وفي مسلم عن واثلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم • رواه
الترمذي • وعن العباس رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم
وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير القبيلة ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا • رواه الترمذي هكذا منفردا به • وقال الحديث حسن • اي خيرهم روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا
وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر رض قال ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار
منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي
ابغضهم • ثم اعلم انه عليه الصلوة والسلام لم يشاركه في ولادته من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما
اليه وقصور نسبتهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية • وانت اذا اختبرت حال
نسبه وعلمت طهارة مولده تيقنت انه سلالة آباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبي العربي الابطحي الحرمي الهاشمي القرشي
نخبة بني هاشم المختار المنتخب من خير بطون العرب واعرقها في النسب واشرفها في الحسب وانضرها عودا واطولها
عمودا واطيبها ارومة واعزها جرثومة وافصحها لسانا واوضحها بيانا وارجحها ميزانا واصحها ايمانا واعزها
نفرا واكرمها معشرا من قبل ابيه وامه ومن اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده • هو محمد بن عبد الله الذبيح بن عبد المطلب

الدرة الاصل در [illegible]

واسمه شيبة الحمد في قول ابن اسحق وهو الصحيح • وقيل سمي به لانه ولد وفي راسه شيبة • وقيل اسمه عامر
وهو قول ابن قتيبة • وتابعه عليه المجد الشيرازي • وكنيته ابو الحارث بابن له اكبر ولده • وقيل انما قيل له
عبد المطلب لان اباه هاشما قال لاخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب فمن ثم سمي
عبد المطلب • وقيل جاء به المطلب الى مكة رديفه وهو بهيئة بذة فكان يسال عنه فيقول هو عبدي حياء من ان يقول ابن
اخي فلما ادخله واحسن من حاله اظهر انه ابن اخيه فلذلك قيل له عبد المطلب • وهو اول من خضب بالسواد
من العرب • ومات وهو ابن مائة واربعين سنة • ابن هاشم واسمه عمرو • انما قيل هاشم لانه كان هشم الثريد في الجدب
• ابن عبد مناف واسمه المغيرة • بن قصي • اي بعيد لانه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته
امه فاطمة واسمه مجمع • قال الشاعر • ابوكم قصي كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر • وقيل زيد
وقال الشافعي كما حكاه عنه الحاكم ابو احمد يزيد • بن كلاب وهو ما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة
نحو كالبت العدو مكالبة • واما من الكلاب جمع كلب لانهم يريدون الكثرة كما سموا سباعا • وسئل اعرابي
لم تسمون ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذيب وعبيدكم باحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمي
ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريدون ان الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم
هذه الاسماء • واسم كلاب حكيم • وقيل عروة • بن مرة بن كعب • وهو اول من جمع يوم العروبة وكانت تجتمع اليه
قريش في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده ويامرهم باتباعه والايمان
به وينشد في ذلك ابياتا منها • يا ليتني شاهد فحواء دعوته • اذا قريش تبغي الحق خذلانا • ابن لؤي
تصغير اللاي وهو الثور • بن غالب بن فهر • واسمه قريش واليه تنسب قريش فما كان فوقه فكناني لا قرشي
ابن مالك بن النضر واسمه قيس • بن كنانة • وقيل هو جماع قريش • بن خزيمة • تصغير خزمة • ابن مدركة ابن الياس
بكسر الهمزة في قول ابن الانباري وبفتحها في قول قاسم ابن ثابت ضد الرجاء واللام فيه للتعريف والهمزة
للوصل قال السهيلي وهذا اصح • وهو اول من اهدى البدن الى البيت الحرام • ويذكر انه كان يسمع في صلبه
تلبية النبي صلى الله عليه وسلم • ابن مضر وهو اول من سن الحداء للابل وكان من احسن الناس صوتا • ابن نزار
بكسر النون من النزر وهو القليل • قيل لانه لما ولد ونظر ابوه الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا
شديدا واطعم وقال ان هذا كله نزر اي قليل لحق هذا المولود فسمي نزارا • ابن معد بن عدنان • قال ابن
دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه انتهى
وما ذكر القائل • ونسبة عز هاشم من اصولها • ومحتدها المرضي اكرم محتد • سمت رتبة عليا اعظم
بقدرها • ولم تتم الا بالنبي محمد • ورحم الله القائل • وكم اب قد علا بابن ذرى شرف • كما علت برسول
عدنان • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك
ويقول كذب النسابون مرتين او ثلاثا • رواه في مسند الفردوس • قال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه
من قول ابن مسعود • وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح و
عاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله • قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب • و

نفى

ونفى الله تعالى علمها عن العباد • وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال انما ننتسب الى عدنان وما فوق ذلك
لا ندري ما هو • وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون • وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه
ما وجدنا احدا يعرف بعد معد بن عدنان • وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال
من اخبره بذلك وكذا روي عنه في رفع نسب الانبياء عليهم السلام فالذي ينبغي لنا الاعراض عما فوق معد بن عدنان
لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة تلك الاسماء مع قلة الفائدة • وقد ذكر الحافظ ابو سعيد
النيسابوري عن ابي بكر بن ابي مريم عن سعيد بن عمرو الانصاري عن ابيه عن كعب الاحبار ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب وادرك نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال
فبقي متحيرا لا يدري من فعل به ذلك فاخذ ابوه بيده ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا
له اعلم ان اله السموات قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت فزوجه
بعدها هند بنت عمرو • وكان عبد المطلب يفوح منه المسك الاذفر ونور رسول الله يضيء في غرته
وكانت قريش اذا اصابها قحط تاخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير فيتقربون به الى الله تعالى
ويسالونه ان يسقيهم الغيث فكان الله تعالى يغيثهم ويسقيهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثا عظيما
ولما قدم ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي لهدم بيت الله الحرام وبلغ عبد المطلب ذلك قال
يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه • ثم جاء ابرهة فاستاق
ابل قريش وغنمهم وكان لعبد المطلب اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير
فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام
مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار
هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين • ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه ليهزم الجيش فلما
دخل ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند
ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا • وروي انه لما حضر عبد المطلب
عند ابرهة امر بسائس الفيل الابيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك ابرهة كما تسجد ساير الفيلة
ان يحضره بين يديه فلما نظر الفيل الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله الفيل
فقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب • ولما دخل جيش ابرهة ومعهم الفيل لهدم
الكعبة الشريفة برك الفيل فضربوه في راسه ضربا شديدا ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام
فارسل الله عليهم طيرا ابابيل من البحر مع كل طائر منها ثلثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كامثال
العدس لا تصيب احدا منهم الا اهلكته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق • واصيب ابرهة في
جسده بداء فتساقطت انامله انملة انملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع
قلبه • والى هذه القصة اشار سبحانه بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل
السورة الى اخرها فان قلت لم قال تعالى له عليه السلام الم تر مع ان هذه القصة قبل المبعث

بزمان طويل • فالجواب ان المراد من الرؤية هنا العلم والذكر وهو اشارة الى ان الخبر به متواتر فكان العلم
الحاصل به ضروريا مساويا في القوة للرؤية • وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم تأسيسا لنبوته وارهاصا لها واعزازا لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب و
اعتقدت شرفهم وفضلهم على ساير الناس بحماية الله لهم ودفعه عنهم مكر ابرهة الذي لم يكن لساير العرب بقتاله
قدرة وكان ذلك كله ارهاصا لنبوته عليه السلام • قال الرازي ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزات على زمان
البعثة تأسيسا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله عليه السلام قبل مبعثه • وخالفه السيد في شرح المواقف
تبعا لغيره فاشترط في المعجز ان لا يتقدم على الدعوى لكن مقارنا لها كما سيأتي ان شاء الله تعالى في المقصد
الرابع فان قلت ان الحجاج خرب الكعبة ولم يحدث شيء فالجواب ان ذلك وقع ارهاصا لامر نبينا صلى الله
عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما ظهر عليه السلام تأكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا
حاجة الى شيء من ذلك والله اعلم • ولما فرج الله سبحانه عن عبد المطلب ودفع ابرهة خايبا فبينما هو نايم
في الحجر اذ رأى مناما عظيما فانتبه فزعا مرعوبا واتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة
ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن في الناس علما مبينا • فتزوج فاطمة
وحملت في ذلك الوقت بعبد الله الذبيح • وقصته في ذبحه مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة • وكان
سببها حفر ابيه عبد المطلب زمزم لان الجرهمي عمرو بن الحارث لما احدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله
لهم من اخرجهم من مكة عمد عمرو الى نفايس فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك
العهد مجهولة الى ان رفعت عنه الحجب برؤيا رآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها فمنعته قريش
من ذلك • ثم آذاه من السفهاء من آذاه واشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولد سواه فنذر
لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له اعوانا ليذبحن احدهم لله قربانا ثم احتفر عبد المطلب زمزم وكانت له
فخرا وعزا وعونا فلما تكاملت بنوه عشرة وقرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة رأى في المنام قائلا يقول يا
عبد المطلب اوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقراء والمساكين
ثم نام فرأى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب ما هو اكبر من ذلك
فانتبه وقرب جملا واطعمه للمساكين ثم نام فنودي ان قرب ما هو اكبر من ذلك فقال ما هو اكبر من ذلك قال
قرب احد اولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا وجمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفا فقالوا انا نطيعك
فمن تذبح منا فقال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح سهم بغير نصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوني ففعلوا
واخذ قداحهم فدخل على هبل وكان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده فيستقسمون
بها اي يرتضون بما يقسم لهم ثم يضرب بها القيم الذي بها قال فدفع عبد المطلب الى ذلك القيم القداح
وقام يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان احب ولده اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله
واخذ الشفرة ثم اقبل الى اساف ونايلة صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عندهما النسايك فقامت له
قريش فقالوا ما تريد ان تصنع فقال اوفي بنذري فقالوا لا ندعك ان تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولئن

قلت

فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فيكون سنة • وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة
قيل اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغني في كتاب المبهمات • وذكر ابن اسحق ان اسمها سجاح فلعلها
ان امرتك بامر فيه فرج لك • فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم
قالوا عشرة من الابل قالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح
فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا ايضا هكذا حتى يرضى ربكم • فاذا خرجت على الابل
فانحروها فقد رضي ربكم وتخلص صاحبكم فرجع الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب
يدعو فخرجت القداح على ولده ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل
فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طاير ولا سبع • ولهذا روي كما عند الزمخشري في الكشاف انه
صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين • وعند الحاكم في المستدرك عن معاوية بن ابي سفيان كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال
وضاع العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين • قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر
عليه • الحديث • وتاتي تتمته قريبا ان شاء الله تعالى • ويعني بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابرهيم
وان كان قد ذهب بعض العلماء الى ان الذبيح اسحق • فان صح هذا فالعرب تجعل العم ابا • قال الله تعالى
اخبارا عن بني يعقوب ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا
نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق فجعل اسمعيل ابا وهو عم • وفي حديث معاوية الموعود
بتتمته قريبا • قال معاوية ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله امرها ان ينحر بعض
ولده فاخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من مخزوم • وقالوا ارض ربك وافد
ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسمعيل الذبيح الثاني • قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل انه لا
ان الذبيح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار
تذكيرا لشان اسمعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى • ومعلوم ان اسمعيل وامه هما اللذان كانا بمكة
دون اسحق وامه • ثم قال ولو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام
لا بمكة • وايضا فان الله سبحانه سمى الذبيح حليما لانه لا احلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه • ولما ذكر اسحق سماه
عليما • وايضا فان الله تعالى اجرى العادة البشرية ان يكون الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابرهيم
لما سال ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا • والخلة منصب
يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك فيها • فلما اخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة
الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب • فلما اقدم على ذبحه وكانت محبة الله اعظم من محبة الولد
خلصت الخلة من شوايب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هي في العزم وتوطين النفس
وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرؤيا • انتهى • وقد انشد بعضهم • ان
الذبيح هديت اسمعيل • نطق الكتاب بذاك والتنزيل • شرف به خص الاله نبينا • وابانه التفسير والتاويل

ورُوي مما ذكره المعافى بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلاً أسلم من علماء اليهود أيّ ابني ابراهيم أُمر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكر الله عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم • انتهى • فانظر ايها الخليل ما في هذه القصة من السر الجليل • وهو ان الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر • واللطف بعد الشدة • فانه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم لذبح الولد آلت الى ما آلت اليه من جعل آثارهما ومواطئ اقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم الدين • وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره وتلقيه القضا بالرضا • قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض • ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • وقد استشكل بعض الناس ان عبد المطلب نذر نحر احد بنيه اذا بلغوا عشرة • وقد كان تزويجه هالة ام ابنه حمزة بعد وفاء نذره فحمزة والعباس انما ولدا بعد الوفاء بنذره وانما كان اولاده عشرة • قال السهيلي ولا اشكال في هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان اعمامه عليه السلم اثني عشر فان صح هذا فلا اشكال في الخبر • وان صح قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفا نذره و وقع ايضا في بعض ان عبد الله كان اصغر بني ابيه عبد المطلب هو غير معروف • ولعل الرواية اصغر بني امه والا فحمزة كان اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة • وروي عن العباس انه قال اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلثة اعوام او نحوها فجيء به حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لي قبّل اخاك فقبّلته فكيف يصح ان يكون عبد الله هو الاصغر • ولكن رواه البكائي ولروايته وجه وهو ان يكون اصغر ولد ابيه حين اراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس • ولما انصرف عبد الله مع ابيه من نحر الابل مر على امرأة من بني اسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية • وقيل رقيقة بنت نوفل فقالت له حين نظرت الى وجهه • وكان احسن رجل رئي في قريش لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الآن لما رأت في وجهه من النبوة ورجت ان تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال لها انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه • وقيل اجابها بقوله • اما الحرام فالممات دونه • والحل لا حل فاستبينه • فكيف بالامر الذي تبغينه • يحمي الكريم عرضه ودينه • وعند ابي نعيم والخرائطي وابن عساكر من طريق عطا عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة متهودة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له وذكر نحوه • ثم خرج به عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا • فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ افضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فزعموا انه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى في شعب ابي طالب عند الجمرة • فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها • فاتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالامس قالت فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي

بك اليوم حاجة • انما اردت ان يكون النور فيّ فابى الله الا ان يجعله حيث شاء • ولما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجايب • ووجد لايجاده غرايب • فذكروا انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته في صدف آمنة القرشية نودي في الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى • وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين اهل الصدق والوفا فقد انتقل النور المكنون الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون • قد خصها الله تعالى بالعربي المحبوب هذا السيد المصطفى الحبيب • لانها افضل قومها حسبا وانجب • وازكاهم اصلا وفرعا واطيب • وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ لما اراد الله تعالى خلق محمد في بطن امه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة امر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح الفردوس وينادي مناد في السموات والارض الا ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن امه الذي يتم فيه خلقه • ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا • وفي رواية كعب الاحبار رضي الله عنه انه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها • والارض وبقاعها ان النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر الليلة في بطن آمنة • فيا طوبى لها ثم يا طوبى • واصبحت يومئذ اصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض • وحملت الاشجار • واتاهم الرفد من كل جانب فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج • وطوبى الطيب والحسنى والخير والخيرة قاله في القاموس • وقال ابن عباس فرح وقرة عين • وقال الضحاك غبطة • وقال عكرمة نعم • وفي الحديث طوبى للشام فان الملائكة باسطة اجنحتها عليها • فالمراد بها هنا فعلى من الطيب وفيه ما ذكر لا الجنة ولا الشجرة • وفي حديث ابن اسحق ان آمنة كانت تحدث انها اتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة • فقالت ما شعرت باني حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما يجد النساء الا اني انكرت رفع حيضتي واتاني آت وانا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت بانك حملت بسيد الانام • ثم امهلني حتى اذا دنت ولادتي اتاني فقال قولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا • وفي رواية غير ابي اسحق وعلقي عليه هذه التميمة • قالت فانتبهت وعند راسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة • اعيذه بالواحد • من شر كل حاسد • وكل خلق رائد • من قائم وقاعد • عن السبيل حائد • على الفساد جاهد • من نافث او عاقد • وكل خلق مارد • ياخذ بالمراصد • في طرق الموارد قال الحافظ عبد الرحيم العراقي هكذا ذكر هذه الابيات بعض اهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا اصل لها • انتهى • وعن شداد بن اوس رضي الله عنه ان رجلا من بني عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حقيقة امرك فقال بدء شأني اني دعوة ابراهيم • وبشرى اخي عيسى • واني كنت بكر امي • وانها حملت بي كاثقل ما تحمل النساء وجعلت تشكي الى صواحباتها ثقل ما تجد • ثم ان امي رأت في منامها ان الذي في بطنها نور قالت فجعلت اتبع بصري النور • وفيه انها وجدت الثقل في حمله • وفي سائر الاحاديث انها لم تجد ثقلا • وجمع ابو نعيم الحافظ بينهما بان الثقل به كان في ابتداء علوقها به والخفة عند استمرار الحمل بها فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد والمعهود

مطلب في ولادة رسول الله

الوفد

١١

ووقع

انتهى • وخرج ابو نعيم عن ابن عباس رض قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل
دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة • وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام
الدنيا وسراج اهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا • ومرت وحوش المشرق الى وحوش
المغرب بالبشارات • وكذلك اهل البحار يبشر بعضهم بعضا • وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء
في السماء ان ابشروا فقد آن ان يظهر ابو القاسم ميمونا مباركا • الحديث • وهو شديد الضعف • وعن غيره لم يبق
في تلك الليلة دار الا اشرقت ولا مكان الا دخله النور ولا دابة الا نطقت • وعن ابي زكريا [illegible]
بقي صلى الله عليه وسلم في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات
الحمل من النساء وكانت تقول ما رايت من حمل هو اخف منه ولا اعظم بركة منه • ولما تم من حملها شهران
توفي عبد الله • وقيل توفي وهو في المهد • قاله الدولابي • وعن ابن خيثمة وهو ابن شهرين • وقيل ابن سبعة
وقيل توفي وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا • والراجح المشهور الاول • وكان عبد الله رجع ضعيفا مع قريش لما
رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة يثرب • فتخلف عند اخواله بني عدي بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا
فلما قدم اصحابه مكة سالهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه الحارث فوجده قد توفي ودفن
في دار النابغة بالابواء • وقالت آمنة زوجته ترثيه • عفا جانب البطحاء من آل هاشم • وجاور لحدا
خارجا في الغمائم • دعته المنايا دعوة فاجابها • وما تركت في الناس مثل ابن هاشم • عشية راحوا
يحملون سريره • تعاوره اصحابه في التزاحم • فان تك غالته المنايا وريبها • فقد كان معطاء كثير
التراحم • ويذكر عن ابن عباس رض انه لما توفي قالت الملائكة الهنا وسيدنا ومولانا بقي نبيك يتيما فقال الله
تعالى انا له حافظ وناصر • وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق
نقله عنه ابو حيان في البحر • وروى ابو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت ابي وكان من اوعية العلم قال
لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى للملائكة افتحوا ابواب السماء كلها وابواب الجنان والبست الشمس
نورا عظيما • وكان قد اذن الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا ان يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم
الحديث وهو مطعون فيه • وذكر ابو سعيد عبد الملك النيسابوري في كتابه الكبير كما نقله عنه
صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب الاحبار في حديثه الطويل • ورواه ابو نعيم من حديث ابن عباس
قالت كانت آمنة تحدث وتقول اتاني آت حين مر بي من حملي ستة اشهر في المنام وقال لي يا آمنة انك
حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك • قالت ثم لما اخذني ما ياخذ النساء ولم يعلم
بي احد لا ذكر ولا انثى • واني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما
هالني • ثم رايت كان جناح طير ابيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع اجده ثم التفت فاذا انا
بشربة بيضاء فتناولتها فاصابني نور عال • ثم رايت نسوة كالنخل طوالا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن
بي فبينما انا اتعجب وانا اقول واغوثاه من اين علمن بي • قال في غير هذه الرواية فقلن لي نحن آسية امراة فرعون
ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الامر وانا اسمع الوجبة في كل ساعة اعظم واهول مما تقدم

بينا

فبينا انا كذلك اذا بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض واذا بقائل يقول خذاه عن اعين الناس
قالت ورايت رجالا قد وقفوا في الهوى بايديهم اباريق من فضة • ثم نظرت فاذا انا بقطعة من الطير قد
غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد • واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض و
مغاربها ورايت ثلاث اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذني
المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعه الى السماء كالمتضرع
المبتهل • ثم رايت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني فسمعت مناديا ينادي
طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون انه سمي
فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه • ثم تجلت عنه في اسرع وقت • الحديث • وهو متكلم فيه
وروى الخطيب البغدادي بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى ايضا ان آمنة قالت لما وضعته
رايت سحابا عظيمة لها نور اسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب
عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس
والملائكة والطيور والوحوش واعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل
ورضا اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس و
جهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى • واغمسوه في
اخلاق النبيين • قالت ثم انجلت عني فاذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع
من تلك الحريرة ماء فاذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من اهلها
الا دخل طائعا في قبضته • قالت ثم نظرت اليه واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الاذفر
واذا بثلاثة نفر في يد احدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد اخضر وفي يد الثالث حريرة
بيضاء فنشرها فاخرج منها خاتما تحار ابصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم
ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فادخله بين اجنحته ثم رده الي • ورواه ابو نعيم عن ابن عباس
وفيه نكارة • وروى الحافظ ابو بكر بن عائذ في كتاب المولد كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح
المديح عن ابن عباس رض لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في اذنه رضوان خازن الجنة ابشر يا محمد فما بقي لنبي
علم الا اعطيته فانت اكثرهم علما واشجعهم قلبا • قالت لما فصل مني تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب • ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من
التراب فقبضها ورفع راسه الى السماء • وروى الطبراني انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده
السبابة كالمسبح بها • وروى عن عثمان بن ابي العاص عن امه ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله
قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورايت النجوم
تدنو حتى ظننت انها ستقع علي رواه البيهقي • واخرج احمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض

ابن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم
عن ذلك دعوة ابى ابراهيم وبشارة اسمعيل ورؤيا امى التى رأت • وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام • قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان
والحاكم • واخرج ابونعيم عن عطاء بن يسار عن ام سلمة عن آمنة قالت رأيت ليلة وضعته نورا اضاءت له
قصور الشام حتى رأيتها • واخرج ايضا عن بريدة عن من رضعته فى بنى سعد ان آمنة قالت رأيت كأنه خرج
منى شهاب اضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام • وعن همام بن يحيى عن اسحق بن عبد الله ان ام رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج منى نور اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر
رواه ابن سعد • والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب فى شعره حيث قال ٭ وانت لما ولدت اشرقت
الارض • وضاءت بنورك الافق • فنحن فى ذلك الضياء وفى • النور وسبل الرشاد نخترق • قال فى
مجموع اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور الذى اهتدى به اهل الارض
وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه الآية • واما اضاءة قصور بصرى بالنور الذى خرج معه فهو
اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب ان فى الكتب السالفة محمد رسول الله مولده
بمكة ومهاجره بيثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا عليه الصلوة والسلام والى الشام ينتهى
ملكه • ولهذا اسرى به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابرهيم الى الشام وبها
ينزل عيسى بن مريم وهى ارض المحشر والمنشر • واخرج احمد وابو داود وابن حبان والحاكم فى صحيحيهما
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه • يجتبى اليها خيرته من عباده انتهى
ملخصا • واخرج ابونعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن امه الشفا قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله قالت الشفاء واضاء له ما بين المشرق والمغرب
حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم انشب ان غشيتنى ظلمة ورعب و
قشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث منى
على بال حتى بعثه الله فكنت فى اول الناس اسلاما • وعن عائشة رض قالت كان يهودى قد سكن
مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد الليلة فيكم
مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا
فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم الى امه فاخرجته
لهم فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل يا معشر قريش
اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب • رواه يعقوب بن سفيان باسناد
حسن كما قاله فى فتح البارى • ومن عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ما اخرجه البيهقى وابونعيم عن

حسان بن ثابت قال انى لغلام ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودى من اليهود
يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع قالوا ويلك ما لك قال طلع نجم احمد من بنى هاشم
الذى ولد به فى هذه الليلة • ومن عجائب ولادته ايضا ما روى من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط اربعة عشر
شرفة من شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد • كما رواه
البيهقى وابونعيم والخرائطى فى الهواتف وابن عساكر • وفى سقوط الاربعة عشر شرفة اشارة الى ان الكسرة
يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات • وقد ملك منهم فى اربع سنين عشرة • ذكره ابن ظفر • وزاد ابن
سيد الناس وملك الباقون الى خلافة عثمان رضى الله عنه • ومن ذلك ايضا ما وقع من زيادة حراسة السماء
بالشهب وقطع رصد الشياطين • ومنعهم من استراق السمع • ولقد احسن الشقراطيسى حيث قال
ضاءت لمولده الآفاق واتصلت • بشرى الهواتف فى الاشراق والطفل • وصرح كسرى تداعى من قواعده
وانقض منكسر الارجاء ذا ميل • ونار فارس لم توقد وما خمدت • مذ الف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت • ثواقب الشهب ترمى الجن بالشعل •
وولد صلى الله عليه وسلم معذورا اى مختونا مسرورا اى مقطوع السرة كما روى من حديث ابى هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم عند ابن عساكر • وروى الطبرانى فى الاوسط وابونعيم والخطيب وابن عساكر من
طرق عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير احد سوأتى • وصححه
الضياء فى المختارة • وعن ابن عمر رض قال ولد النبى صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا • رواه ابن عساكر •
قال الحاكم فى المستدرك تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا • انتهى • وتعقبه الحافظ الذهبى
فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا • واجيب باحتمال ان يكون اراد بتواتر الاخبار اشتهارها
وكثرتها فى السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند ائمة الحديث • ولكن قد حكى الحافظ زين الدين العراقى
ان الكمال بن العديم ضعف احاديث كونه ولد مختونا • وقال انه لا يثبت فى هذا شئ من ذلك واقره
وبه صرح ابن القيم • ثم قال ليس هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم فان كثيرا من الناس ولد مختونا
وحكى الحافظ ابن حجر ان العرب تزعم ان الغلام اذا ولد فى القمر فسخت قلفته اى اتسعت فيصير كالمختون
وفى الوشاح لابن دريد قال ابن الكلبى بلغنا ان آدم خلق مختونا واثنى عشر نبيا من بعده خلقوا
مختونين آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم • شيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وسليمان
وشعيب ويحيى وهود • صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين • انتهى • وفى هذه العبارة تجوز لان
الختان هو القطع وهو غير ظاهر لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام باعتبار
انه على صفة المقطوع • وقد حصل من الاختلاف فى ختانه ثلثة اقوال احدها انه ولد مختونا كما تقدم والثانى
انه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس
وحكاه ابن عبد البر فى التمهيد • الثالث انه ختن عند حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطى ومغلطاى وقال ان
جبريل عم ختنه حين طهر قلبه • وكذا اخرجه الطبرانى فى الاوسط وابونعيم من حديث ابى بكرة قال الذهبى

وهذا منكر • واعلم ان الختان هو قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التي في اعلى الفرج من المرأة • ويسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة والراء وختان المرأة خفضا بالخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة • واختلف العلماء هل هو واجب فذهب اكثرهم الى انه سنة وليس بواجب وهو قول مالك وابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي • وذهب الشافعي الى وجوبه وهو مقتضى قول سحنون من المالكية • وذهب بعض اصحاب الشافعي الى انه واجب في حق الرجال وسنة في حق النساء واحتج من قال انه سنة بحديث ابي المليح ابن اسامة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنساء • رواه احمد في مسنده والبيهقي • واجاب من اوجبه بانه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب بل المراد بها الطريقة • واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا • وثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم • وبما روى ابو داود من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي اسلم الق عنك شعار الكفر واختتن واحتج القفال لوجوبه بان بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلاة فيجب ازالتها • قال الفخر الرازي الحكمة في الختان ان الحشفة قوية الحس فما دامت مستورة بالقلفة تقوى اللذة عند المباشرة فاذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة وهو اللائق بشريعتنا تقليلا للذة لا قطعا لها كما تفعل المانوية فذلك افراط وابقاء القلفة تفريط • فالعدل الختان • انتهى • واذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا • لما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رض انه سئل مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا يومئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك • وقال بعض اصحابنا يجب على الولي ان يختن الصبي قبل البلوغ • والله اعلم انتهى • وقد اختلف العلماء في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل وبه قال ابن عباس • ومن العلماء من حكى الاتفاق عليه • وقال كل قول يخالفه وهم • والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما • واليه ذهب السهيلي في جماعة وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما • حكاه الدمياطي في الحزن • وقيل بشهر • وقيل باربعين يوما • وقيل بعد الفيل بعشر سنين • وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة • وقيل غير ذلك • والمشهور انه بعد الفيل • لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته صلى الله عليه وسلم ومقدمة لظهوره وبعثته والا فاصحاب الفيل كما قال ابن القيم كانوا نصارى اهل كتاب وكان دينهم خيرا من دين اهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا عباد اوثان فنصرهم الله على اهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي الذي خرج من مكة وتعظيما للبيت الحرام • واختلف ايضا في الشهر الذي ولد فيه • فقيل انه ولد في شهر ربيع الاول وهو قول جمهور العلماء • ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه وفيه نظر • فقد قيل في صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في رجب ولا يصح • وقيل في شهر رمضان وروي عن عمر باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال ان آمنة حملت به في ايام التشريق • واغرب من قال ولد في عاشورا • وكذا اختلف ايضا في اي يوم من الشهر • فقيل انه غير معين • انما ولد يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين • والجمهور على انه يوم معين منه • فقيل لليلتين خلتا منه • وقيل لثمان خلت منه

مطلب في ختام

قال الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو اختيار اكثر اهل الحديث • ونقل عن ابن عباس وجبير ابن مطعم وهو اختيار اكثر من له معرفة بهذا الشان • واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم • وحكى القضاعي في عيون المعارف اجماع اهل الزيج عليه • رواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وايام العرب • اخذ ذلك عن ابيه جبير • وقيل لعشر • وقيل لاثنتي عشرة • وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت • وقيل لسبع عشرة • وقيل لثمان عشرة • وقيل لثمان بقين منه وقيل ان هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية • والمشهور انه ثاني عشر ربيع الاول وهو قول ابن اسحق وغيره • وانما كان في شهر ربيع على الصحيح ولم يكن في المحرم ولا في رجب ولا في رمضان وغيرها من الاشهر ذوات الشرف لانه صلى الله عليه وسلم لا يتشرف بالزمان • وانما الزمان يتشرف به كالمكان فلو ولد في شهر من الشهور المذكورة لتوهم انه تشرف بها • فجعل الله مولده في غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه • واذا كان يوم الجمعة الذي خلق الله فيه آدم خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه اياه • فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين • ولم يجعل تعالى في يوم الاثنين يوم مولده من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة المخلوق فيها آدم من الجمعة والخطبة وغير ذلك اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتخفيف عن امته بسبب عناية وجوده قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • ومن جملة ذلك عدم التكليف • واختلف ايضا في الوقت الذي ولد فيه • والمشهور انه يوم الاثنين • عن قتادة الانصاري انه صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه • وانزلت علي فيه النبوة • رواه مسلم • وهذا يدل على انه عليه السلام ولد نهارا • وفي المسند عن ابن عباس رض قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين • واستنبئ يوم الاثنين • وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين • ودخل المدينة يوم الاثنين • ورفع الحجر يوم الاثنين • انتهى • وكذا فتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الاثنين • وقد روي انه ولد عند طلوع الفجر • عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان بمر الظهران راهب يسمى عيصي من اهل الشام وكان يقول يوشك ان يولد فيكم يا اهل مكة مولود يدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه • فكان لا يولد مولود بمكة الا يسأل عنه • فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فناداه فاشرف عليه فقال له عيصي كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين • قال ولد لي الليلة مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم اهل هذا البيت بثلاث خصال نعرفه فقد اتى عليهن منها ان طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد • رواه ابو جعفر ابن ابي شيبة وخرجه ابو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف • وقيل كان مولده صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر وهي ثلاثة انجم صغار ينزل بها القمر وهو مولد النبيين • ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان وهو برج الحمل وكان لعشرين مضت منه • وقيل ولد ليلا • فعن عائشة رض قال كانت بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت ليلة

وُلِدَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا معشر قريش هل وُلِدَ فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال وُلِدَ
الليلة نبيُّ هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عُرف فرس فخرجوا بالذي
حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي لنا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي
مغشيًّا عليه فلما افاق قالوا له ما لك ويلك • قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل • رواه الحاكم •
قال الشيخ بدر الدين الزركشي والصحيح ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت نهارًا قال وما روي من تدلي النجوم
ضعّفه ابن دحية لاقتضائه ان الولادة ليلًا قال وهذا لا يصلح ان يكون تعليلًا فان زمان النبوة
صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارًا اذا قلنا انه عليه السلام وُلِدَ ليلًا فأيّما افضل فان قلت
ليلة القدر او ليلة مولده صلى الله عليه وسلم اجيب بان ليلة مولده افضل من ليلة القدر من وجوه ثلثة
احدها ان ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات
المشرَّف من اجله اشرف مما شرف بسببه من اعطيه ولا نزاع في ذلك • فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار
افضل • الثاني ان ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها • وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم
فيها ومن شرفت به ليلة المولد افضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى • فتكون ليلة المولد
افضل • الثالث ان ليلة القدر وقع فيها التفضل على امة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع
التفضل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق
فكانت ليلة المولد اعم نفعًا فكانت افضل فيا شهرًا ما اشرفه واوفر حرمة لياليه كأنها لآلي في
وياوجهًا ما اشرفه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعًا وحسنه بديعًا يقول لنا لسان الحال
منه • وقول الحق يعذب للسميع • فوجهي والزمان وشهر وضعي • ربيع في ربيع في ربيع •
واختلف ايضا في مدة الحمل به فقيل تسعة اشهر • وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة •
وولد عليه السلام في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف اخي الحجاج • ويقال بالشعب ويقال بالردم ويقال
بعسفان • وارضعته ثويبة عتيقة ابي لهب اعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام • وقد رؤي ابو لهب
بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار الا انه خفف عني العذاب كل ليلة اثنين وامصّ من بين
اصبعي هاتين ماء واشار برأس اصبعه وان ذلك باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله
عليه وسلم وبارضاعها له • قال ابن الجوزي فاذا كان ابو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي
في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم فما حال المسلم الموحد من امته يُسر بمولده ويبذل ما تصل الى
قدرته في محبته • لعمري انما يكون جزاؤه من الله الكريم ان يدخله جنات النعيم • ولا زال اهل الاسلام في خير
يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات
ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم • ويظهر عليهم من بركاته
كل فضل عميم • ومما جرب من خواصه انه امان في ذلك العام • وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام
فرحم الله امرءًا اتخذ ليالي شهر مولده المبارك اعيادًا ليكون اشد علة على من في قلبه مرض وعناد و

ولقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الانكار على ما احدثه الناس من البدع والاهواء والغناء بالالات
المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة فانه حسبنا و
نعم الوكيل • وقد ذكر انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لها مثلها
قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة • وقالت الوحوش نحن اولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه • فنادى
لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعًا
لحليمة الحليمة • قالت حليمة فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم قدمت
مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي لنا وشارف
والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذلك لا نجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا
ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا
قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحباتي امرأة الا اخذت رضيعًا غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني
لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا هو مدرج
في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك الاذفر وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط
فاشفقت ان ايقظه من نومه لحسنه وجماله • فدنوت منه رويدًا فوضعت يدي على صدره فتبسم
ضاحكًا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه
واعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد •
قال اهل العلم اعلمه الله ان له شريكًا فالهمه العدل • قالت فروي وروي اخوه ثم اخذته فما هو الا ان جئت
رحلي فقام صاحبي تعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا
بخير ليلة فقال صاحبي يا حليمة والله اني لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم تري ما بتنا به الليلة من الخير
والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرًا • قال في دورانه ذكرها ابن ظغربك في النطق المفهوم • ثم
نظر صاحبي لهذا قال في استكي واكثمي امرك فمن ليلة ولد بها هذا الغلام اصبحت الاحبار قيامًا على اقدامها
لا يهنأ لها عيش النهار ولا نوم الليل • قالت حليمة فودعت الناس بعضهم بعضًا وودعت انا ام النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتاني واخذت محمدًا صلى الله عليه وسلم بين يدي • قالت فنظرت الى اتاني قد سجدت
نحو الكعبة ثلث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي و
صار الناس يتعجبون مني ويقلن النساء لي وهن ورائي يا بنت ابي ذؤيب هذه اتانك التي كنت عليها
وانت جائية معنا تخفضك طورًا وترفعك اخرى فاقول تالله انها هي فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشانًا
عظيمًا • قالت فكنت اسمع اتاني تنطق وتقول والله ان لي لشانًا ثم شانًا بعثني الله بعد موتي ورد
علي سمني بعد هزلي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خاتم
النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والاخرين وحبيب رب العالمين • قالت حليمة فيما ذكره ابن اسحق
وغيره ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم ارضًا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به

شباعاً لبناً فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابي ذؤيب فتروح اغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعاً لبناً فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة وارتفع قدرها وسمت ولم تزل حليمة تعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة • لقد بلغت بالهاشمي حليمة • مقاماً علا في ذروة العز والمجد • وزادت مواشيها واخصب ربعها • وقد عم هذا السعد كل بني سعد • وقال ابن الطراح رايت في كتاب الترقيص لابي عبد الله محمد بن المعلى الازدي ان من شعر حليمة مما كانت ترقص به النبي صلى الله عليه وسلم • يا رب اذ اعطيته فابقه • واعله الى العلى وارقه • وادحض اباطيل العدى بحقه • وعند غيره وكانت الشيماء اخته من الرضاع تحضنه وترقصه وتقول • هذا اخ لي لم تلده امي • وليس من نسل ابي وعمي • فديته من مخول معم • فانمه اللهم فيما تنمي • واخرج البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخيهما وابن طغربك السياف في النطق المفهوم عن العباس ابن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك امارة نبوتك رايتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش • قال البيهقي تفرد به احمد بن ابراهيم الحبلي وهو مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن في المعجزات حسن • والمناغات المحادثة وقد ناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة • وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي انه صلى الله عليه وسلم تكلم في اوائل ما ولد • وذكر ابن سبع في الخصائص ان مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة • واخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس رض قال كانت حليمة تحدث انها اول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا • فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم • الحديث • وقد روى ابن سعد وابو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رض قال كانت حليمة لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً فغفلت يوماً عنه فخرج مع اخته الشيماء في الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته فقالت في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخي حراً رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع • الحديث • وكان صلى الله عليه وسلم يشب شباباً لا يشبه الغلمان • قالت حليمة فلما فصلته قدمنا به على امه ونحن احرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء اخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده قائماً منتقعاً لونه فاعتنقه ابوه وقال يا بني ما شانك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني قد اصيب فانطلقي نرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف • قالت حليمة فاحتملناه حتى

فقدمنا به الى امه فقالت ما ردكما فقد كنتما حريصين عليه فقلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث فقالت ما بكما فاصدقاني شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان فدعاه عنكما • وفي حديث شداد بن اوس عن رجل من بني عامر عند ابي يعلى وابي نعيم وابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعاً في بني ليث بن بكر فبينا انا ذات يوم في بطن واد مع اتراب من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب مليء ثلجاً فاخذوني من بين اصحابي وانطلق الصبيان هراباً مسرعين الى الحي فعمد احدهم فاضجعني على الارض اضجاعاً لطيفاً ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي وانا انظر اليه لم اجد لذلك مساً • ثم اخرج احشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها • ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي واخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيئاً فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ نوراً وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضاً لطيفاً ثم قال للاول زنه بعشرة من امته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنوني فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك • الحديث • وفي رواية ابن عباس عند البيهقي قالت حليمة اذ انا بابني ضمرة يعدو فزعاً وجبينه يرشح باكياً ينادي يا ابت يا امه الحقا محمداً فما لحقاه الا اتاه رجل فاختطفه من اوساطنا وعلا به ذروة الجبل حتى شق صدره الى عانته • وفيه انه عليه السلام قال انا في رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق من فضة وبيد الثاني طست من زمردة خضراء • الحديث •

فان قلت هل غسل قلبه الشريف خاص به او فعل بغيره من الانبياء عليهم السلام اجيب بانه ورد في حديث التابوت والسكينة انه كان فيه الطست التي غسلت فيه قلوب الانبياء ذكره الطبري وغيره العماد بن كثير في تفسيره عن ابي مالك عن ابن عباس فان قلت ما الحكمة في ختم قلبه المقدس اجيب بانه اشارة الى ختم الرسالة والنبوة به • وهذا يعلم انه كان الخاتم خاصاً به • واما اذا ورد انه ليس خاصاً بكل نبي وسياتي ان شاء الله تعالى قريباً في الخاتم الشريف بين المباحث فتكون الحكمة انه علامة يمتاز بها عن غيره من ليس بنبي • والمراد بالوزن في قوله زنه بعشرة الخ الوزن الاعتباري فيكون الرجحان في الفضل وهو كذلك وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلم الرسول عليه السلام ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية • وقد وقع شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء • ومرة اخرى عند الاسراء به وسياتي كل في موضعه ان شاء الله تعالى • وروى الشق ايضاً وهو ابن عشر او نحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلائل وفي فتح الباري في كتاب التوحيد عزو ذلك لحديث ابي هريرة عند عبد الله بن احمد في زوائد المسند • وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات وثقهم ابن حبان وروى خامسة ولا تثبت • والحكمة في شق الصدر الشريف حتى

صناد • واستخراج العلقة منه تطهيره عن خلائق الصبا حتى يتصف في سن الصبا باوصاف الرجولية وكذلك نشأ عليه السلام على اكمل الاحوال من العصمة • وقد روي انه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه وكان ذلك مسكا وكان مثل زر الحجلة • ذكره البخاري • وفي مسلم جمع عليه خيلان كانها الثآليل السود عند نغض كتفه • وقيل غضروف كتفه اليسرى • وفي كتاب ابو نعيم الايمن • وعند مسلم ايضا كبيضة الحمامة • وفي صحيح الحاكم شعر مجتمع • وفي البيهقي مثل السلعة • وفي الشمائل بضعة ناشزة • وفي حديث عمرو بن اخطب كشيء يختم به • وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة • وفي الترمذي ودلائل البيهقي كالتفاحة وفي الروض كاثر المحجم القابضة على اللحم • وفي تاريخ ابن ابي خيثمة شامة خضراء محتفزة في اللحم • وفيه ايضا شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات كانها عرف الفرس • وفي تاريخ القضاعي ثلاث شعرات مجتمعات • وفي كتاب الترمذي الحكيم كبيضة الحمام مكتوب باطنها الله وحده لا شريك له وفي ظاهرها توجه حيث شئت فانك منصور • وفي كتاب المولد لابن عائذ كان نورا يتلألأ • وفي سيرة ابن عاصم كعذرة الحمام • قال ابو ايوب يعني قرطمة الحمامة • وفي تاريخ النيسابور مثل البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله وعن عائشة رض كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة وكان مما يلي الفقار قالت فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع • حكى هذه كلها الحافظ مغلطاي • لكن قد ذكر في فتح الباري ما ورد من ان الخاتم كان كاثر الحجم او كالشامة السوداء او الخضراء مكتوب عليها محمد رسول الله او سر فانك المنصور لم يثبت منها شيء • قال ولا يغتر بما وقع في صحيح ابن حبان فانه غفل حيث صحح ذلك • وقال الهيتمي في مورد الظمآن بعد ان اورد الحديث ولفظه مثل البندقة من اللحم مكتوب عليه محمد رسول الله كما اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذي كان يختم به • وبخط الحافظ ابن حجر على الهامش لبعض المذكور هو اسحق ابن ابراهيم قاضي سمرقند وهو ضعيف • وقوله زر الحجلة بالزاي والراء والحجلة بالحاء المهملة والجيم • قال النووي هي واحد الحجال كالبيت للعروس وزرها بيضها واشار اليه الترمذي واكره العلماء • وقوله جمع بضم الجيم واسكان الميم اي كجمع الكف وهو هيئته بعد ان تجمع الاصابع وتضمها • قوله خيلان بكسر الخاء واسكان التحتية جمع خال وهو الشامة على الجسد • وقوله نغض بالنون والغين والضاد المعجمتين • وقال النووي النغض والناغض اعلى الكتف • وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه • وقيل ما يظهر منه عند التحرك سمي ناغضا لتحركه • وقوله بضعة ناشزة بالمعجمة والزاي اي قطعة لحم مرتفعة على جسده • وبيضة الحمامة معروفة انتهى • والثآليل بالمثلثة جمع ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد • والحمة كالحمصة فما دونها • وفي القاموس وقرطمة الحمام اي كبر القاف نقطتان على اصل منقاره • وقال بعض العلماء اختلف اقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك بالخلاف بل كل شبهه بما سنح له وكلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلان الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الاخرى • وقال القرطبي الاحاديث الثابتة تدل على ان خاتم النبوة كان شيئا بارزا احمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمامة واذا كبر جمع اليد • وقال القاضي عياض وهذه الروايات متقاربة متفقة على انه شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة واما رواية جمع الكف فظاهر المخالفة فتتأول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف

لكن

لكنه اصغر منه في قدر بيضة الحمام • قال وهذا الخاتم هو اثر شق الملكين بين كتفيه • قال النووي وهذا الذي قاله ضعيف بل باطل لان شق الملكين في صدره وبطنه انتهى ويشهد له قول انس في حديثه عند مسلم بانه في محل الشريف من المقصد الثالث ان شاء الله تعالى فلقد كنت ارى اثر المخيط في صدره لكن اجيب بان في حديث عتبة بن عبد السلمي عند احمد والطبراني ان الملكين لما شقا صدره قال احدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة فلما ثبت ان خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل القاضي عياض ذلك على ان الشق لما وقع في صدره ثم خيط حتى التأم كما كان ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك اثر الختم وفهم النووي وغيره منه ان قوله بين كتفيه متعلق بالشق وليس كذلك بل هو متعلق باثر الختم وح فليس ما قاله القاضي عياض بباطل انتهى • وقال السهيلي والصحيح انه يعني خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الايسر • واختلف هل ولد وهو به او وضع بعد ولادته على قولين وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم وكيف وضع ومن وضعه في حديث ابي ذر عند البزار وغيره قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي وبما علمت حتى استيقنت قال اتاني آتيان • وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم قال فزنه برجل الحديث وفيه ثم قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فاخرج قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال احدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولّيا عني وكاني ارى الامر معاينة • وعند ابي نعيم في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الماء الذي انبعه ثلاث غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب به على كتفه كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة • وقيل ولد به والله اعلم • واخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامة النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه • وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به عن سائر الانبياء • والله اعلم •

مطلب بيان احوال ابوي النبي

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل ست وقيل خمس وقيل سبع وقيل تسع • وقيل اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة ايام ماتت امه بالابواء وقيل بشعب ابي دب بالحجون • وفي القاموس ودار رائعة بمكة فيه مدفن امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم واخرج ابن سعد عن ابن عباس وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه الى اخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعها ام ايمن فنزلت بدار النابغة فاقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر امورا في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال هنا نزلت بي امي واحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله ثم رجعت به امه الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت • وروى ابو نعيم من طريق الزهري عن اسماء بنت رهم عن امها قالت شهدت امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد صلى الله عليه وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت الى وجهه ثم قالت

الحرام

بارك فيك الله من غلام • يا ابن الذي من حومة الحمام • نجا بعون الملك المنعام • فودي غداة
الضرب بالسهام • بمائة من ابل سوام • ان صح ما ابصرت في المنام • فانت مبعوث الى الانام • من عند
ذي الجلال والاكرام • تبعث في الحل وفي الحرام • تبعث بالتحقيق والاسلام • دين ابيك البر ابراهام
فالله انهاك عن الاصنام • ان لا توالها مع الاقوام • ثم قالت كل حي ميت • وكل جديد بال • وكل كبير يفنى
وانا ميتة • وذكري باق • وقد تركت خيرا • وولدت طهرا • ثم ماتت • فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا
من ذلك هذه الابيات • نبكي الفتاة البرة الامينة • ذات الجمال العفة الرزينة • زوجة عبد الله والقرينة
ام نبي الله ذي السكينة • وصاحب المنبر في المدينة • صارت لدى حفرتها رهينة • وقد روي ان آمنة آمنت
به صلى الله عليه وسلم بعد موتها • فروى الطبري بسنده عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون
كئيبا حزينا فاقام ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سالت ربي عز وجل فاحيى لي امي فآمنت بي ثم
ردها • رواه ابو حفص بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ بلفظ قالت عائشة حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه نزل فقال يا حميراء استمسكي
فاستندت الى جنب البعير فمكث مليا ثم عاد الي وهو فرح متبسم • فقال ذهبت لقبر امي فسالت
ربي ان يحييها فاحياها فآمنت بي • وكذا روي من حديث عائشة ايضا احياء ابويه صلى الله عليه وسلم حتى
آمنا به اورده السهيلي • وكذا الخطيب في السابق واللاحق • وقال السهيلي ان في اسناده مجاهيل
وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا • وسنده مجهول • وقال ابن دحية هذا الحديث الموضوع يرده موضوع
القرآن والاجماع • انتهى • وقد جزم بعض العلماء بان ابويه ناجيان وليسا في النار تمسكا بهذا الحديث
وغيره • وتعقبه عالم آخر بانه لم ير احدا صرح بان الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فان
ادعى الخصوصية فعليه الدليل • انتهى • وقد سبقه لذلك ابو الخطاب بن دحية • وعبارته من مات كافرا
لم ينفعه الايمان بعد الرجعة • بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة • انتهى • و
تعقبه القرطبي في التذكرة بان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع الى حين
مماته فيكون هذا مما فضله الله به واكرمه • فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله
وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم احيى الله على يده جماعة من الموتى
واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما • ويكون ذلك زيادة لكرامته وفضيلته • ثم قال وقوله
من مات كافرا الى آخر كلامه مردود بما روي في الخبر ان الله رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها
ذكره الطحاوي • وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد به الوقت لما ردها عليه فكذلك
يكون احياء ابوي النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبي صلى الله عليه وسلم • انتهى • وقد طعن
بعضهم بحديث رد الشمس كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات • وقد تمسك القائل بنجاتهما ايضا
بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة • ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
قال وقد اطبقت الائمة الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء على ان من مات ولم تبلغه

الدعوة

الدعوة يموت ناجيا • قال وقال الامام فخر الدين في كتابه اسرار التنزيل ما نصه قيل ان آزر لم يكن والد
ابراهيم بل كان عمه • واحتجوا عليه بوجوه منها ان الانبياء ما كانوا كفارا • ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى
الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين • قيل معناه انه كان ينقل نوره من ساجد الى ساجد قال
فيه دلالة على ان جميع اباء محمد عليه السلام كانوا مسلمين • ثم قال ومما يدل على ان اباء محمد صلى الله عليه وسلم
ما كانوا مشركين قوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات • وقال انما المشركون نجس
فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا • كذا • وتعقب بان ذلك لا يلزم في قوله وتقلبك في الساجدين على
ما ادعاه • فقد ذكر البيضاوي في تفسيره ان معنى الآية وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ
فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى • وقد ورد النص بان ابا ابراهيم عليه السلام مات
على الكفر كما صرح به البيضاوي وغيره قال تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه • واما قوله انه كان عمه
فعدول عن الظاهر من غير دليل • انتهى • ونقل الامام ابو حيان في البحر عند تفسير قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
ان الرافضة القائلين ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين مستدلون بقوله تعالى وتقلبك
في الساجدين • وبقوله عليه السلام لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الحديث • انتهى • وروى ابن جرير
عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قبر
فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي في
زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في الاستغفار فلم ياذن لي فما رئي باكيا اكثر من يومئذ • وروى ابن ابي
حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوى الى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس
الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه • ثم قام فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما ابكاكم
قلنا بكينا لبكائك • قال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي و
استاذنته في الدعاء لها فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو
كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد • ورواه الطبراني من حديث ابن عباس • وفي مسلم آخر
رجاء ان استغفر لامي فلم ياذن لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة
قال القاضي عياض بكاؤه عليه السلام على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان به • وفي مسلم ايضا ان رجلا قال
يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفى دعاه فقال ان ابي واباك في النار • فقال النووي فيه ان من مات
على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين وفيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة
الاوثان فهو في النار • وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة • فان هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة ابراهيم
وغيره من الانبياء • وقال الامام فخر الدين من مات مشركا فهو في النار وان مات قبل البعثة لان المشركين
كانوا قد غيروا الحنيفية دين ابراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به ولم يزل
معلوما من دين الرسل كلهم من اولهم الى آخرهم قبح الشرك والوعيد عليه في النار • واخبار عقوبات الله لاهله

ستة أولئك بين الأمم قرنا بعد قرن فلله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت وحين • ولو لم يكن إلا
ما فطر الله عباده عليه من توحيد ربوبيته وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل أن يكون إله آخر وإن كان
سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد في الأرض معلومة
لأهلها فالمشرك مستحق للعذاب لمخالفته دعوة الرسل وهو مخلد فيها دائما كخلود أهل الجنة في الجنة
انتهى • وقد تعقب العلامة أبو عبد الله الأبي من المالكية فيما وضعه على صحيح مسلم قول النووي الماضي
وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار الخ بما معناه تأمل
ما في كلامه من التنافي • فإن من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة لأن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة
الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام و
لا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم • والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين كالفترة بين نوح و
هود • لكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلوة والسلام وذكر
البخاري عن سلمان أنها كانت ستمائة سنة • قال البيهقي في دلائل النبوة بعد رواية أحاديث زيارة قبر
أمه وغيره وكيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة في الآخرة وهم يعبدون الوثن حتى ماتوا
ولم يدينوا دين عيسى عم • وكفرهم لا يقدح في زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن إذا كان
مثله يجوز في الإسلام • قال ابن كثير وإخباره عليه السلام عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من
أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين
والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطنا سنده ومتنه عند قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا • فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب • والحديث الذي
ذكره السهيلي في إسناده مجاهيل إلى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما وآمنا به فإنه منكر جدا وإن كان ممكنا بالنظر إلى قدرة الله تعالى
لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله سبحانه أعلم • نقلته من تاريخ ابن كثير المسمى بالبداية والنهاية
ولما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم غير معذبين • فإن قلت قد صحت أحاديث
بتعذيب أهل الفترة كحديث رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ورأيت صاحب المحجن في النار
وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فإذا أبصر به قال إنما تعلق بمحجني • أجيب بأجوبة أحدها أنها أخبار
آحاد فلا تعارض القطع • الثاني قصر التعذيب على هؤلاء والله سبحانه أعلم بالسبب • الثالث
قصر التعذيب المذكور في هذه الأحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة بما لا يعذر به من الضلال
كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع • فإن أهل الفترة ثلاثة الأول من أدرك التوحيد ببصيرته • ثم من هؤلاء
من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة • وزيد بن عمرو بن نفيل • ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم
كتبع وقومه من حمير • وأهل نجران • وورقة بن نوفل • وعثمان بن الحويرث • القسم الثاني من أهل الفترة وهم
من بدل وغير فأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم • وهم الأكثر كعمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة

من لم يدخل

الأصنام

الأصنام • وشرع الأحكام • وبحر البحيرة • وسيب السائبة • ووصل الوصيلة • وحمى الحام • وتبعه العرب
في ذلك وغيره ما يطول ذكره • القسم الثالث من أهل الفترة وهم من لم يشركوا ولم يوحدوا ولا دخل في شريعة
نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي عمره على حال الغفلة عن هذا كله • وفي الجاهلية من كان
على ذلك • وإذا انقسم أهل الفترة إلى الثلاثة الأقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم
بما تعدوا به من الخبائث • والله سبحانه قد سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فإنا نجد القرآن كلما حكى حال
أحد سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية ثم قال تعالى ولكن الذين كفروا الآية
القسم الثالث هم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين • وأما القسم الأول كقس وزيد بن عمرو فقد قال
عليه السلام في كل منهما إنه يبعث أمة وحده • وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل
الدين الذي دخلوا فيه ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين • انتهى ملخصا • وسيأتي ما قيل في الورقة
في حديث المبعث إن شاء الله تعالى • فهذا ما تيسر من البحث في مسألة والديه صلى الله عليه وسلم وقد
كان الأولى ترك ذلك • وإنما جرنا إليه ما وقع من المباحث فيه بين علماء العصر • ولقد أحسن الحافظ
شمس الدين بن ناصر الدمشقي حيث قال • حبا الله النبي مزيد فضل • على فضل وكان به رؤوفا • فأحيا
أمه وكذا أباه • لإيمان به فضلا لطيفا • فسلم فالقديم بذا قدير • وإن كان الحديث به ضعيفا •
فالحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص • فإن ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لأن العرف جار بأنه
إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطب • وقد
قال عليه السلام لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات • رواه الطبراني في الصغير • ولا ريب أن أذاه عليه
الصلوة والسلام كفر • يقتل فاعله إن لم يتب عندنا • وسيأتي مباحث ذلك إن شاء الله تعالى في الخصائص
من مقصد المعجزات • ولقد أحسن بعض العلماء في الاستدلال بإيمانهما فالله تعالى يثيبه الجنة على قصده
الجميل • قال الحافظ ابن حجر في بعض كتبه والظن بآله يعني الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان
إكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه • وقال في الإصابة ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب في جملة من
يدخلها طائعا فينجو إلا أبا طالب فإنه أدرك البعثة ولم يؤمن • وقد كانت أم أيمن بركة دايته و
حاضنته بعد موت أمه • وكان عليه الصلوة والسلام يقول لها أنت أمي بعد أمي • ومات جده عبد المطلب
كافله وله ثمان سنين وشهر وعشرة أيام • وقيل تسع • وقيل عشر • وقيل ست • وقيل ثلث • وفيه نظر • وله
عشر ومائة سنة وقيل مائة وأربعون سنة • وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب
قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله • وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة
وهم في قحط فقالت قريش يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب
ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة
ولاذ بأصبعه الغلام وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق واغدودق وانفجر له
الوادي وأخصب النادي والبادي • وفي ذلك يقول أبو طالب ۞ وأبيض يستسقى الغمام بوجهه •

صلى الله عليه وسلم

ثمال اليتامى عصمة للأرامل • والثمال بكسر المثلثة الملجأ والغياث وقيل المطعم في الشدة وعصمة
الأرامل أي يمنعهم من الضياع والحاجة • والأرامل المساكين من رجال ونساء ويقال لكل واحد من الفريقين على
انفراده أرامل وهو بالنساء أخص وأكثر استعمالا والواحد أرمل وأرملة • وهذا البيت في قصيدة لأبي طالب
ذكرها ابن إسحق بطولها وهي أكثر من ثمانين بيتا قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه
من يريد الإسلام • وأولها • ولما رأيت القوم لا ود عندهم • وقد قطعوا كل العرى والوسائل • وقد
جاهرونا بالعداوة والأذى • وقد طاوعوا أمر العدو المزايل • ومنها • أعبد مناف أنتم خير قومكم •
فلا تشركوا في أمركم كل واغل • فقد خفت إن لم يصلح الله أمركم • تكونوا كما كانت أحاديث وائل • أعوذ برب
الناس من كل طاعن • علينا بسوء أو ملحق بباطل • وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه • وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة • وبالله إن الله ليس بغافل • كذبتم وبيت الله نبزى محمدا • ولما نطاعن
دونه ونناضل • ونسلمه حتى نصرع حوله • ونذهل عن أبنائنا والحلائل • ونبزى بضم النون وسكون
الموحدة آخره زاي أي نقهر ونغلب عليه • ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع • قال ابن التين إن في
شعر أبي طالب هذا دليلا على أنه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا وغيره
من شأنه • وتعقبه الحافظ أبو الفضل ابن حجر بأن ابن إسحق ذكر أن إنشاء أبي طالب لهذا الشعر كان بعد المبعث
ومعرفة أبي طالب بنبوته عليه الصلاة والسلام جاءت في كثير من الأخبار • وتمسك بها الشيعة في أنه كان
مسلما قال ورأيت لعلي بن حمزة البصري جزءا جمع فيه شعر أبي طالب وزعم أنه كان مسلما وأنه مات على الإسلام
وأن الحشوية تزعم أنه مات كافرا واستدلت لدعواه بما لا دلالة فيه • انتهى • ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى • فرآه بحيرا الراهب واسمه جرجيس فعرفه
بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد العالمين • هذا يبعثه الله رحمة للعالمين • فقيل له وما علمك بذلك
قال إنكم أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي • وإني أعرفه بخاتم النبوة
في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة وإنا نجده في كتبنا • وسأل أبا طالب أن يرده تخوفا من اليهود عليه الحديث
رواه ابن أبي شيبة • وفيه أنه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله • وبحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون
المثناة التحتية آخرها راء مقصورة • قال الذهبي في تجريد الصحابة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث
وآمن به • ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة • وهذا ينبني على تعريف الصحابي بمن رآه صلى الله عليه وسلم هل
المراد حال النبوة أو أعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية • وهو محل نظر
وسيأتي البحث فيه إن شاء الله تعالى في المقصد السابع • وخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه أنه في
هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم قالوا إن هذا
النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس فقال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل
يستطيع أحد من الناس رده • قالوا لا قال فبايعوه فأقاموا معه ورده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا
قال البيهقي هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي • انتهى • وضعف الذهبي الحديث لقوله في آخره وبعث

معه

عن النبي

معه أبو بكر بلالا فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلا ولا اشترى بلالا • وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة
الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على أنها مدرجة فيه مقطعة من حديث آخر
وهما من أحد رواته • وفي حديث عند البيهقي وأبي نعيم أن بحيرا رأى وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا
وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة
وهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث • وفيه أن بحيرا قام
فاحتضنه وأنه جعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده
وتقدم أن أخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله إذا وقف وقفت وإذا سار سارت
رواه أبو نعيم وابن عساكر ولله در القائل إن قال يوما ظللته غمامة • هي في الحقيقة تحت ظل
القائل • ونقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض أهل المعرفة أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتدل الحرارة
والبرودة فلا يحس للحر والبرد وأنه كان في ظل غمامة من اعتداله كذا نقل رحمه الله • وأخرج ابن منده
بسند ضعيف عن ابن عباس رض أن أبا بكر الصديق رض صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة
والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزل منزلا فيه سدرة فقعد
في ظلها ومضى أبو بكر إلى الراهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال له من الرجل الذي في ظل الشجرة قال محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب قال هذا والله نبي ما استظل تحتها بعد عيسى إلا محمد • ووقع في قلب أبي بكر الصديق
فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اتبعه • قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر في الإصابة إن صحت هذه القصة
فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب انتهى • ثم خرج صلى الله عليه وسلم أيضا ومعه ميسرة غلام خديجة
ابنة خويلد بن أسد في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى • وقيل سوق حباشة بتهامة • وله إذ ذاك خمس وعشرون
سنة لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطورا الراهب ما نزل تحت ظل هذه
الشجرة إلا نبي • وفي رواية بعد عيسى • وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس
ولما رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره
وملكان يظللان عليه رواه أبو نعيم • وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة
وعشرين يوما • وقيل كان سنه إحدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين • وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة
وكانت تحت أبي هالة بن زرارة التميمي فولدت له هندا وهالة وهما ذكران • ثم تزوجها عتيق بن عابد
المخزومي فولدت هندا وكان لها حين تزوجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة وبعض أخرى
وكانت عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فزوجها
عليه السلام • وأصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر • فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذي
جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه
وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن

تزويج النبي بخديجة

ضيضيء أصل معدن

برجل الا رجح به فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل • ومحمد من قد عرفتم قرابته • وقد خطب
خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم
وخطر جليل فزوجها • والضئضئ الاصل • وحضنة بيته اي الكافلين له والقائمين بخدمته • وسواس
حرمه اي متولوا امره • قال ابن اسحق وزوجه اياها خويلد • وقد ذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله
عليه وسلم اصدق خديجة اثنتي عشرة اوقية ذهبا ونشا قالوا وكل اوقية اربعون درهما والنش نصف
اوقية • ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلثين سنة خافت قريش ان تنهدم الكعبة من السيول
فامروا باقوم بموحدة بالف فقاف مضمومة فواو ساكنة فميم النجار القبطي مولى سعيد بن العاص بان يبني
الكعبة المعظمة وحضر صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة وكانوا يضعون ازرهم على عواتقهم
ويحملون الحجارة ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم فلبط به بالموحدة كعني اي سقط من قيام كما في القاموس
ونودي عورتك فكان ذلك اول ما نودي فقال له ابو طالب او العباس يا ابن اخي اجعل ازارك على
راسك فقال ما اصابني الا من التعري • ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربعين سنة • وقيل واربعين يوما
وقيل وعشرة ايام وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع
وعشرين ليلة • وقال ابن عبد البر يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى واربعين من الفيل وقيل
في اول ربيع بعثه الله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين اجمعين • ويشهد لبعثه يوم الاثنين
ما رواه مسلم عن ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي •
وقال ابن القيم في الهدي النبوي واحتج القائلون بانه كان في رمضان بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه
القرآن قالوا واول ما اكرمه الله بنبوته انزل عليه القرآن • وقال الاخرون انما نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر
الى بيت العزة ثم نزل نجوما بحسب الوقائع في ثلث وعشرين سنة • وقيل كان ابتداء المبعث في رجب • وروى
البخاري في التعبير من حديث عائشة رضي اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم
فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود
لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقلت ما
انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية
حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم • فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال
زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي واخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على
فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق • ثم انطلقت به خديجة حتى اتت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم
خديجة اخي ابيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية • وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله
ان يكتب • وكان شيخا كبيرا قد عمي • فقالت له خديجة اي ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي

ماذا ترى • فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني
فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم
لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودي • وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا • ثم لم ينشب ورقة
ان توفي • وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى
من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله
حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى
بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك • وقد تكلم العلماء في معنى قوله عليه الصلوة والسلام لخديجة
قد خشيت على • فذهب الاسماعيلي الى ان هذه الخشية كانت قبل ان يحصل له العلم الضروري بان
الذي جاءه من عند الله وكان اشق شيء عليه ان يقال عليه مجنون • وقيل ان خشيته كانت من قومه ان
يقتلوه ولا غرو فانه بشر يخشى من القتل والاذية كما يخشى البشر • وقوله ما انا بقارئ اي امي فلا اقرأ الكتب
• وقال القاضي عياض وغيره انما ابتدئ عليه الصلوة والسلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه
صريح النبوة بغتة فلا يحتملها القوى البشرية فبدئ باوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة انتهى •
فان قلت لم كرر قوله ما انا بقارئ ثلثا فاجاب ابو شامة كما في فتح الباري بان يحمل قوله اولا ما انا بقارئ
على الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفي المحض وثالثا على الاستفهام • والحكمة في الغط ثلثا شغله عن
الالتفات لشيء آخر • واظهار للشدة والجد في الامر تنبيها على ثقل القول الذي سيلقى اليه • وقيل
ابعادا لظن التخيل والوسوسة لانهما ليسا من صفات الجسم • فلما وقع ذلك بجسمه علم انه من امر الله
فان قلت من اين عرف صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس من الجن فالجواب من وجهين
احدهما ان الله تعالى اظهر على يدي جبريل معجزات عرفه بها كما اظهر الله تعالى على يد محمد صلى الله عليه وسلم
معجزات عرفنا بها • وثانيهما ان الله تعالى خلق في محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بان جبريل من عند الله
ملك لا جني ولا شيطان كما ان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا بان المتكلم معه هو الله سبحانه وتعالى
وان المرسل له ربه تعالى لا غيره • وقول ورقة يا ليتني فيها جذعا الضمير للنبوة اي ليتني كنت شابا عند
ظهورها حتى ابالغ في نصرتها وحمايتها • واصل الجذع من اسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا • و
اخرج البيهقي من طريق العلاء بن حارثة الثقفي عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله
كرامته وابتداءه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه ويسمع منه فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يرى الا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة السلام عليك
يا رسول الله الحديث • وعن جابر رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت
جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا
فرفعت رأسي فرأيت شيئا فلم اثبت له فاتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت
يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر الاية • وذلك قبل ان تفرض الصلوة • رواه البخاري ومسلم والترمذي

ولم يكن جواره عليه الصلاة لطلب النبوة لانها اجل من ان تنال بالطلب والاكتساب وانما هي موهبة
من الله وخصوصيته يخص بها من يشاء من عباده • الله اعلم حيث يجعل رسالاته • ولم تكن الرجفة المذكورة
خوفا من جبريل فانه صلى الله عليه وسلم اجل من ذلك واثبت جنانا وانما رجف غبطة بحاله واقباله
على الله عز وجل ان يشتغل بغير الله عن الله • وقيل خاف من ثقل اعباء النبوة • وفي رواية البيهقي في
الدلائل ان خديجة قالت لابي بكر يا عتيق اذهب به الى ورقة فاخذه ابو بكر فقص عليه ما رأى فقال
عليه الصلوة والسلام اذا خلوت وحدي سمعت به نداء يا محمد يا محمد فانطلق هاربا فقال لا تفعل
اذا قال فاثبت حتى تسمع ثم ائتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد فثبت فقال بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الى اخرها ثم قال قل لا اله الا الله الحديث • واحتج به من قال باولية نزول الفاتحة
• والصحيح ان اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن اقرأ كما صح ذلك عن عائشة رض وروي عن ابي موسى
الاشعري وعبيد بن عمير • قال النووي هو الصحيح الصواب الذي عليه من الجماهير من السلف والخلف •
واما ما روي عن جابر وغيره ان اول ما نزل يا ايها المدثر فقال النووي ضعيف بل باطل • وانما نزلت
بعد فترة الوحي • واما حديث البيهقي ان الفاتحة كقول بعض المفسرين • فقال البيهقي هذا منقطع فان كان
محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعدما نزلت عليه اقرأ باسم ربك ويا ايها المدثر • وقال النووي
بعد ذكره هذا القول بطلانه اظهر من ان يذكر • انتهى • وقد روي ان جبريل اول ما نزل بالقرآن على
النبي صلى الله عليه وسلم امره بالاستعاذة كما رواه الامام جعفر بن جرير عن ابن عباس رض قال اول ما نزل
جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم • ثم قال قل بسم الله
الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق • قال عبد الله وهي اول سورة انزلها على محمد صلى الله عليه
وسلم • قال الحافظ عماد الدين بن كثير بعد ان ذكره وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان في اسناده
ضعفا وانقطاعا • والله سبحانه اعلم وقد اورد ابن ابي جمرة سؤالا وهو انه لم اختص صلى الله عليه وسلم
بغار حراء فكان يخلو به ويتحنث دون غيره من المواضع اجاب بان هذا الغار له فضل زائد على غيره من جهة
انه منزو مجموع لتحنثه وهو يبصر بيت ربه والنظر الى البيت عبادة فكان له فيه اجتماع ثلث عبادات
الخلوة والتحنث والنظر الى البيت • ولله در البرهاني حيث قال في فضل حراء وما اختص به
تامل حراء في جمال محياه • فكم من اناس في حلا حسنه تاهوا • فمما حوى من جمال العلياء زائرا يفرج
عنه الهم في حال مرقاه • به خلوة الهادي الشفيع محمد • وفيه له غار له كان مرقاه • وقبلة للتعبد
كانت بغاره • وفيه اتاه الوحي في حال بدئه • وفيه تجلى الروح بالموقف الذي به الله في وقت البدء
سواه • وتحت تخوم الارض السبع اصله • ومن بعد هذا اهتز بالسفل اعلاه • ولما تجلى الله قدس ذكره
لطور تشظى فهو احدى شظاياه • ومنها ثبير ثم ثور بمكة • كذا قال في نقل تاريخ بداه • وفي طيبة
ايضا لك بعدها • فعيرا وورقان احفظ روناه • ويقبل فيه ساعة الظهر مذ دعا نبي اتى لبيادي
من دعا نا اجتناه • وفي احد الاقوال في عقبة حرا • اتى ثم قابيل لهابيل غشاه • ومما حوى من راحة

مجاوزه

سطوة
الارض

صفوده • من التراكيب ايقام سمعناه • سمعته بتسبيحها غير مرة • واسمعته جمعا فنالوا
سمعناه • به مركز النور الالهي شيئنا • فلله ما احلى مقاما بالاه •
وروى ابو نعيم ان جبريل وميكائيل شقا صدر النبي صلى الله عليه وسلم وغسلاه ثم قال اقرأ باسم
ربك الايات • الحديث • وفيه فقال ورقة ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به عيسى بن مريم وانك على
مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل • وكذا روى شق صدره الشريف هنا ايضا الطيالسي والحارث
في مسنديهما • والحكمة فيه لتلقي النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال من التطهير
قال ابن القيم وغيره وكمل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم من الوحي مراتب عديدة • احدها الرؤيا الصادقة
فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح • الثانية ما كان يلقيه الملك في روعه • الثانية
يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي لن
تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب • الحديث • رواه ابن ابي الدنيا في القناعة
وصححه الحاكم • والروع بضم الراء النفس وروح القدس جبريل عليه السلام • الثالثة كان يتمثل الملك رجلا
فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له فقد كان يأتيه في صورة دحية الكلبي • رواه النسائي بسند صحيح من
حديث ابن عمر رض قلت وكان دحية جميلا وسيما اذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه • فان قلت
اذا لقي جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية فاين يكون روحه فان كان في الجسد الذي له ستمائة
جناح فالذي اتى لا روح جبريل ولا جسده • وان كان في هذا الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد
العظيم ام يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه بجسد دحية • اجيب كما ذكره القونوي
بانه لا يبعد ان لا يكون انتقالها موجبا موته فيبقى الجسد حيا لا ينقص من معارفه شيء ويكون انتقال روحه
الى هذا الجسد الثاني كانتقال ارواح الشهداء الى اجواف طير خضر وموت الاجساد بمفارقة الارواح
ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى في بني ادم فلا يلزم في غيرهم • انتهى • الرابعة كان ياتيه في مثل
صلصلة الجرس وكان اشده حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد حتى ان راحلته لتبرك
في الارض • ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها • قلت
وروى الطبراني عن زيد بن ثابت قال كنت اكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه اخذته
برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سري عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد رجلي
تنكسر من ثقل القرآن حتى اقول اني لا امشي على رجلي ابدا • ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت ان تنكسر عضد
ناقته من ثقل السورة • رواه احمد والبيهقي في الشعب • الخامسة ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها
له ستمائة جناح فيوحي اليه ما شاء الله ان يوحيه • وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم • السادسة ما اوحى
الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها • السابعة كلام الله منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى
قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا بغير حجاب • انتهى • قال شيخ الاسلام الولي ابن
العراقي وكان ابن القيم اخذ ذلك من روض السهيلي لكنه لم يذكر نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحي

مراتب الوحي

مطلب
كون جبريل في صورة
دحية

قبل جبريل فقد ثبت في الطرق الصحاح عن عامر الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل
فكان يتراآى له ثلث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن واما
قوله اعني ابن القيم السادسة ما اوحاه الله اليه فوق السموات يعني ليلة المعراج السابعة كلام الله بلا
واسطة فان اراد ما اوحاه اليه جبريل فهو داخل فيما تقدم ذكره وان اراد وحي الله في تلك بلا واسطة
وهو الظاهر فهي الصورة التي بعدها • واما قوله وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله كفاحا
من غير حجاب فهذا على مذهب من يقول انه عليه السلم رأى ربه تعالى وهي مسئلة خلاف بانى الكلام
عليها ان شاء الله تعالى • ويحتمل ان ابن القيم رحمه الله اراد بالمرتبة السادسة وحي جبريل وغاير بينه
وبين ما قبله باعتبار محل الايحاء اي كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم فانه كان في الارض ولا ينافيه
لزم عليه ان تعدد اقسام الوحي بالبقعة التي جاء فيها جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير ممكن
لانا نقول الوحي الحاصل في السماء باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب نوع غير الارض على اختلاف
بقاعها • انتهى • قلت ويراد كلامه تعالى له في المنام كما في حديث الزهري اتاني ربي في احسن صورة
فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث • ثم مرتبة اخرى • وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في
قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام لانه اتفق على انه عليه السلم اذا اجتهد اصاب قطعا وكان
معصوما من الخطاء وهذا خرق للعادة في حقه دون الامة وهو يفارق النفث في الروع من حيث
حصوله بالاجتهاد • والنفث بدونه • ومرتبة اخرى وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية لانه كان
معروفا عندهم ذكره ابن المنير وان كان داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم • وذكر الحليمي
ان الوحي كان يأتيه على ستة واربعين نوعا • فذكرها وغالبها كما قال في فتح الباري من صفات حامل
الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر • والله سبحانه اعلم • وذكر ابن المنير ان الحال كان يختلف في الوحي باختلاف
مقتضاه فان نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الآدمي وخاطبه بغير كد وان نزل بوعيد ونذارة
كان مثل صلصلة الجرس وقد ذكر ابن عادل في تفسيره ان جبريل عليه السلم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم اربعة
وعشرين الف مرة ونزل على آدم اثنى عشر مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى موسى اربعمائة مرة
وعلى عيسى عشر مرات • كذا قال رحمه الله • وقد روي ان جبريل بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة
فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب
برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه
فعلمه الوضوء والصلوة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا
وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضأت وصلى بها كما صلى
به جبريل فكان ذلك فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
قال في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي ركعتين قطعا وكذلك اصحابه • ولكن اختلف
هل افترض قبل الخمس شيء من الصلوة ام لا فقيل ان الفرض كان صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها • والحجة فيه

قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى • وقال النووي ولما وجب الانذار
والدعاء الى التوحيد فرض الله من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بما في آخرها ثم نسخه
بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة • واما ما ذكر في هذه الرواية من ان جبريل علمه الوضوء وامره
به فيدل على ان فرضية الصلوة قبل الاسراء • ثم فتر الوحي فترة حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم
واحزنه • وفترة الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان • وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلم
من الروع وليحصل له التشوق الى العود • وكانت مدة فترة الوحي ثلث سنين كما جزم به ابن اسحق
في تاريخ الامام احمد ويعقوب بن سفيان عن الشعبي انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن
بنبوته اسرافيل ثلث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت
ثلث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة • وكذا رواه ابن سعد والبيهقي
فقد تبين ان نبوته عليه السلم كانت متقدمة على رسالته • كما قاله ابو عمرو وغيره • حكاه ابو امامة
ابن النقاش فكان في نزول سورة اقرء نبوته • وفي نزول سورة المدثر ارساله بالنذارة والبشارة
والتشريع وهذا قطعا متأخر عن الاول • لانه لما كانت سورة اقرء متضمنة لذكر اطوار الآدمي
من الخلق والتعليم والافهام ناسب ان تكون اول سورة انزلت • وهذا هو الترتيب الطبيعي وهو
ان يذكر سبحانه وتعالى ما اسداه الى نبيه عليه السلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة ويمن
عليه بذلك في معرض تعريف عباده بما اسداه لهم من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي ثم امره
سبحانه وتعالى بان يقوم فينذر عباده • وقد كان اول من آمن به خديجة فقامت باعباء الصديقية
وقال لها عليه السلم خشيت على نفسي فقالت ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا • ثم استدلت بما فيه من الصفات
والاخلاق والشيم على ان من كان كذلك لا يخزى ابدا • وكان اول ذكر آمن بعدها صديق الامة واسبقها
الى الاسلام ابو بكر فآزره في الله • وعن ابن عباس انه اول الناس اسلاما • واستشهد بقول حسان بن
ثابت • اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة • فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا • خير البرية اتقاها واعدلها بعد
النبي واوفاها بما حملا • والثاني التالي المحمود مشهده • واول الناس منهم صدق الرسلا • قال
ابو عمرو وممن وافق ابن عباس وحسانا على ان الصديق اول الناس اسلاما اسماء بنت ابي بكر والنخعي والماجشون
ومحمد بن المنكدر والاخنسي • وقيل ان علي بن ابي طالب اسلم بعد خديجة • وكان في حجر النبي صلى الله عليه وسلم
فعلى هذا اول من اسلم من الرجال ابو بكر ويكون علي اول الصبيان اسلم لانه كان صبيا لم يدرك • ولذا قال
سبقتكم الى الاسلام طرا • صغيرا ما بلغت اوان حلمي • وكان سنه على ذلك عشر سنين • فيما حكاه الطبري
وقال ابو عمرو ومن ذهب الى ان عليا اول من اسلم من الرجال سلمان وابو ذر والمقداد وخباب وجابر وابو سعيد الخدري
وزيد بن الارقم • وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم • قال واتفقوا على ان خديجة اول من اسلم مطلقا وقيل
اول رجل اسلم ورقة بن نوفل • وان يمنع بدعوى انه ادرك نبوته عليه السلام لا رسالته لكن جاء في السير وهو
في رواية ابي نعيم المتقدمة انه قال ابشر فانا الذي اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى

مدة فترة الوحي ثلث سنين

اول من آمن

وانذ بنى مرسلا • وانك ستؤمر بالجهاد وان ادركت ذلك لاجاهدن معك فهذا تصريح منه بتصديقه
برسالة محمد صلى الله عليه وسلم • قال البلقيني فيكون بذلك اول من اسلم من الرجال وبه قال العراقي في
نكته على ابن الصلاح وذكره ابن منده في الصحابة • وحكى العراقي كون علي اول من اسلم عن اكثر الصحابة • و
حكى ابن عبد البر الاتفاق عليه • وادعى الثعلبي اتفاق العلماء على ان اول من اسلم خديجة وان اختلافهم انما هو في
اول من اسلم بعدها • وقال ابن الصلاح والاورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان
والاحداث علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال والله اعلم انتهى • وقال الطبري
الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة واول ذكر اسلم علي بن ابي طالب
وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه واول رجل عربي بالغ اسلم واظهر اسلامه ابو بكر بن ابي قحافة
وهو ممن اسلم من الموالي زيد قال وهذا متفق عليه بلا خلاف فيه وعليه يحمل قول من قال اول من اسلم من الرجال
ابو بكر اي الرجال البالغين من الاحرار • ويؤيد هذا ما روي عن الحسن ان علي بن ابي طالب قال ان ابا بكر
سبقني الى اربع لم اوتهن سبقني الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار واقام الصلوة
وانا يومئذ في الشعب يظهر اسلامه واخفيه الحديث • خرجه صاحب فضائل ابي بكر وخيثمة بمعناه •
واما ما روي من صحبة الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة وهم يريدون الشام في تجارة
وحديث بحيرا وانه وقع في قلب ابي بكر اليقين • وقول ابن مهران ولقد امن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم
زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اليقين بصدقه وهو ما وقر في قلبه • والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج
خديجة وسافر الى الشام قبل المبعث ثم اسلم بعد زيد بن حارثة عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن
ابن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة ابن عبيد الله بدعاء ابي بكر الصديق فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين استجابوا له فاسلموا وصلوا ثم اسلم ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد
بعد تسع انفس • والارقم بن ابي الارقم المخزومي • وعثمان بن مظعون الجمحي واخواه قدامة وعبد الله • وعبيدة
ابن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف • وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامراته فاطمة بنت الخطاب •
وقال ابن سعد اول من اسلمت بعد خديجة ام الفضل زوج العباس واسماء بنت ابي بكر وعائشة اختها
كذا قال ابن اسحق وغيره • وهو وهم لم تكن عائشة ولدت بعد فكيف اسلمت وكان مولدها سنة اربع
من النبوة • قال مغلطاي وغيره ودخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء ان الله تعالى
امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصدع بما جاء به اي يواجه المشركين به • وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن
في الصلوة • وقال ابو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت
فاصدع بما تؤمر فخرج هو واصحابه • وقال البيضاوي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها
جهارا او افرق به بين الحق والباطل • واصله الابانة والتمييز • وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف
اي بما تؤمر به من الشرائع • انتهى • قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة • وهي المدة التي اخفى
رسول الله امره الى ان امره الله تعالى بالطهارة • فنادى قومه بالاسلام • وصدع امره كما امره الله تعالى

ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر الهتهم وعابها وكان ذلك في سنة اربع كما قاله المحقق فاجمعوا على خلافه
وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وصدع اليه كما امره الله تعالى • وحدب عليه عمه ابو طالب ومنعه
وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وتوامرت قريش على من اسلم منهم
يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب وبني المطلب • وقال
مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب
يريدون بالنبي صلى الله عليه وسلم سوءا فقال ابو طالب حين تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته
اليكم وقال • والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا • فاصدع بامرك ما عليك
غضاضة • وابشر وقر بذاك منك عيونا • ودعوتني وزعمت انك ناصحي • ولقد صدقت وكنت
ثم امينا • وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا • لولا الملامة او حذاري سبة • لوجدتني
سمحا بذاك مبينا • وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم ويقول يا ايها الناس ان الله
يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا
دين ابائكم • ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وتبعه قومه على ذلك • واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة
والجنون • ومنهم من كان يحثو التراب على راسه • ويجعل الدم على بابه • ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته
الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان • وخنقوه خنقا شديدا فقام ابو بكر دونه فجذبوا
راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله • وقال ابن عمر
كما في البخاري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وفي رواية فقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله • وقد ذكر العلماء ان ابا بكر افضل من مؤمن ال فرعون
لان ذاك اقتصر حيث انتصر على اللسان واما ابو بكر فاتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم
وفي رواية البخاري ايضا كان عليه السلام عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون
الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور ال فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد
وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد عليه السلام وضعه بين كتفيه • وثبت النبي صلى الله عليه وسلم
ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية فاقبلت تسعى
وثبت النبي ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة
قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد • قال عبد الله فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا
الى القليب قليب بدر • ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة • واستدل
بهذا الحديث ان من عرض له في صلوته ما يمنع انعقادها ابتداء لا تبطل صلوته ولو كانت نجاسة فازالها
في الحال ولا اثر لها صحت صلوته اتفاقا • واستدل به ايضا على طهارة فرث ما يؤكل لحمه • وعلى ان ازالة

النجاسة ليست بفرض • وهو ضعيف • واجاب النووي بانه عليه الصلوة والسلام لم يعلم ما وضع على ظهره
فاستمر في سجوده استصحابا للاصل الطهارة • وتعقب بانه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة في مثل هذه
الصورة • واجيب بان الاعادة انما تجب في الفريضة فاذا ثبت انها فريضة فالوقت موسع فلعله اعاد
وتعقب بانه لو اعاد لنقل • وان الله لا يغريه على صلوة فاسدة • وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد
في المذكورين لانه لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي بانه مات بارض الحبشة • وله قصة مع النجاشي اذ
تعرض لامرأته فامر النجاشي ساحرا فنفخ في احليل عمارة من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم حتى مات
في خلافة عمر • واجيب بان كلام ابن مسعود انه رآهم صرعى في القليب محمول على الاكثر • ويدل عليه ان عقبة
بن ابي معيط لم يطرح في القليب وانما قتل صبرا بعد ان رحلوا عن بدر مرحلة • وامية بن خلف لم يطرح في القليب
كما سيأتي ان شاء الله تعالى • واتبع اهل القليب لعنة يحتمل ان يكون من تمام الدعاء الماضي فيكون فيه علم عظيم
من اعلام النبوة • ويحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم بعد ان القوا في القليب • ثم اسلم حمزة بن عبد المطلب
وكان اعز فتى في قريش واشدهم شكيمة • وكان اسلامه سنة ست فعزّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفت
عنه قريش قليلا • وقال حمزة حين اسلم • حمدت الله حين هدى فؤادي • الى الاسلام والدين الحنيف • لدين
جاء من رب عزيز • خبير بالعباد بهم لطيف • اذا تليت رسائله علينا • تحدّر دمع ذي اللب الحصيف •
رسائل جاء احمد من هداها • بآيات مبيّنة الحروف • واحمد مصطفى فينا مطاع • فلا تغشوه بالقول
العنيف • فلا والله لا نسلمه قوما • ولما نقض فيهم بالسيوف • وعند مغلطاي وسألوه يعني النبي عليه السلام
ان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك
رئيا قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه او نعذر فيك فقال لهم عليه الصلوة
والسلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله
حتى يحكم الله بيني وبينكم • والرئي بكسر الراء وقد تكسر ثم همزة فياء مشددة جني يرى فيحب او المكسور للمحبوب
منها • قاله في القاموس • ثم ان النضر بن الحارث وعقبة ابن ابي معيط ذهبا الى احبار يهود فسألاهم عنه
عليه السلام فقالوا لهما سلاه عن ثلثة فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو متقوّل سلوه
عن فتية ذهبوا في الدهر الاول • وعن رجل طواف • وعن الروح ما هو فقال لهم عليه السلام اخبركم غدا
ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزل قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله • وانزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم اصحاب الكهف • وذكر الرجل الطواف وهو
ذو القرنين • وقال فيما سألوه من الروح قل الروح من امر ربي الاية • وفي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود
قال بينا انا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه
عن الروح قالوا ما رابكم اليه • وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فامسك
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسألونك عن الروح

مطلب
اسلام حمزة واول من اظهر الاسلام

في الروح الكلام

قل الروح من امر ربي • قال الحافظ ابن كثير وهذا يقتضي فيما يظهر من بادي الرأي ان هذه الاية مدنية وانها
انما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع ان السورة كلها مكية • وقد يجاب عن هذا بانه قد يكون
نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك • ومما يدل على نزولها بمكة ما رواه الامام احمد
من حديث ابن عباس قال قالت قريش لليهود اعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه
فنزلت الحديث • انتهى • وهذا الحديث رواه الترمذي ايضا باسناد رجاله رجال مسلم فيحمل على تعدد
النزول كما اشار اليه ابن كثير • ويحمل سكوته عليه السلام في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك •
وقد اختلف في المراد بالروح المسؤول عنه في هذا الخبر فقيل روح الانسان وقيل جبريل وقيل عيسى وقيل ملك
يقوم وحده صفا يوم القيمة وقيل غير ذلك • قال القرطبي الروح في الراجح انهم سألوه عن الروح الانساني
لان اليهود لا يعترفون بان عيسى روح الله ولا تجهل ان جبريل ملك وان الملائكة ارواح • وقال الامام
فخر الدين انهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحيوة وان الجواب وقع على احسن الوجوه • وبيانه ان
السؤال عن الروح يحتمل عن ماهيته • وقيل هي متحيزة ام لا • وهل هي حالة في المتحيز ام لا • وهل هي قديمة ام حادثة • وهل
تبقى بعد انفصالها من الجسد او تفنى • وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها • وغير ذلك من متعلقاتها • قال وليس في
السؤال ما يخصص احد هذه المعاني الا ان الاظهر انهم سألوه عن الماهية • وهل الروح قديمة او حادثة
والجواب يدل على انها شيء موجود مغاير للطبائع والاخلاط وتركيبها فهو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث
وهو قوله تعالى كن فكان فقال هي موجودة محدثة بامر الله تعالى وتكوينه ولها تأثير في افادة الحيوة للجسد •
ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه • قال ويحتمل ان يكون المراد بالامر في قوله تعالى من امر ربي الفعل
كقوله وما امر فرعون برشيد اي فعله فيكون الجواب انها حادثة • ثم قال وقد سكت السلف عن البحث في
هذه الاشياء والتعمق فيها • انتهى • وقال في فتح الباري وقد تنطع قوم فتباينت اقوالهم فقيل هي النفس
الداخل الخارج • وقيل جسم لطيف يحل في جميع البدن • وقيل هي الدم • وقيل ان الاقوال فيها بلغت المائة •
ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين ان لكل نبي خمسة ارواح ولكل مؤمن ثلثة • وقال ابن العربي اختلفوا
في الروح والنفس فقيل متغايران وهو الحق • وقيل هما شيء واحد • قال وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس
وقال ابن بطال معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر • قال والحكمة في ذلك اظهار
عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق من باب اولى •
وقال بعضهم ليس في الاية دلالة على ان الله تعالى لم يطلع نبيه على حقيقة الروح بل يحتمل ان يكون اطلعه
ولم يأمره ان يطلعهم • وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا • والله اعلم • انتهى ملخصا • ولما كثر المسلمون
وظهر الايمان اقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم حتى انه مرّ عدو الله ابو جهل
بسمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب وطعنها بحربة في فرجها فقتلها • وكان الصديق اذا مر باحد من العبيد يعذب
اشتراه منهم واعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة • وعن ابي ذر كان اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد • واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه

ابي طالب • واما ابو بكر فمنعه الله بقومه • واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم
في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به
في شعاب مكة وهو يقول احد احد رواه احمد في مسنده • وعن مجاهد مثله • وزاد في قصة بلال وجعلوا في
عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى اثر الحبل في عنقه • فانظر كيف فعل بلال ما فعل من الاكراه
على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان • وهذا كما وقع له ايضا عند موته كانت امرأته
تقول واحزناه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه • فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا
ولله در ابي محمد الشقراطسي حيث قال • لا في بلال بلاء من امية قد • احله الصبر فيه اكرم النزل •
اذا اجهدوه بضنك الاسر وهو على • شديد الازر يثبت الازر لم يزل • الفرد بطحا برمضاء البطاح وقد
نالوا عليه صخرا جمة الثقل • فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت • بظهره كندوب الطل في الطلل • ان قد
ظهرهم ولي الله من دبر • وقد قد قلب عدو الله من قبل • يعني انه كان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه العذاب
فقدوه فمجوزي عدو الله امية وقد قتله وقد قلبه ببدر • لانه قتل يومئذ • وكان عبد الرحمن بن عوف
قد اسره يومئذ واراد استبقاءه لاخوة كانت بينهما في الجاهلية فرآه بلال معه فصاح باعلى صوته يا انصار الله
رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجى فجهنبوه باسيافهم حتى قتلوه • واخرج البيهقي عن عروة ان
ابا بكر اعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة فذهب بصرها وكانت ممن يعذب في الله فتابى الا الاسلام
فقال المشركون ما اصاب بصرها الا اللات والعزى • فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها
والزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة كسكينة كما في القاموس • ثم اذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة • وذلك في رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم
من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا احد عشر رجلا وقيل اثنى عشر رجلا واربع نسوة وقيل وخمس نسوة
وقيل امرأتان واميرهم عثمان بن مظعون • وانكر ذلك الزهري وقال لم يكن لهم امير • وخرجوا مشاة الى البحر
فاستأجروا سفينة بنصف دينار • وكان اول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم • واخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول الى انس • قال ابطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما
فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد
لوط • فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وامنهم ارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة بهدايا وتحف
الى النجاشي واسمه اصحمة وكان معهما عمارة بن الوليد ليردوهم الى قومهم فابى ذلك وردهما خائبين بهديتهما
• واسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة ايام فيما قاله ابو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بابي جهل
او بعمر بن الخطاب • وكان المسلمون اذ ذاك بضعة واربعين رجلا واحدى عشرة امرأة • وكان سبب اسلامه فيما
ذكره اسامة بن زيد عن ابيه عن جده عن عمر رضي الله عنه انه قال بلغني اسلام اختي فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها
قد بلغني عنك انك صبوت ثم ضربتها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل
فقد اسلمت قال فدخلت وانا مغضب فاذا كتاب في ناحية البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم

قالوا

مطلب الهجرة الى الحبشة واسلام عمر

اسلام عمر رضي الله عنه

ذعرت

ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي قال ثم رجعت اليها فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض حتى بلغت
آمنوا بالله ورسوله فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير
استبشارا بما سمعوه مني فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في اسفل الصفا فدخلت واخذ رجلان
بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه فاخذ بمجامع ثيابي
فجذبني اليه فقال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه قلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطريق مكة • وكان الرجل اذا اسلم استخفى ثم خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم
السر فقلت له صبوت فقال ورفع صوته باعلاه الا ان ابن الخطاب صبا فما زال الناس يضربونني واضربهم فقال
خالي ما هذا قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر واشار بكمه فقال الا اني قد اجرت ابن اختي قال فانكشف
الناس عني • قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام • قال ابن عباس لما اسلم عمر قال جبريل
للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر اهل السماء باسلام عمر رواه ابن ماجه • ولما رأت قريش عزة
النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه واسلام عمر وعزة اصحابه بالحبشة وفشو الاسلام في القبائل اجمعوا
ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله فاجابوه لذلك حتى كافرهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية • فلما
رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوا اليهم
ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم للقتل وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر فشلت يده وعلقوا الصحيفة
في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه
في شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا • وقال ابن سعد سنين حتى جهدوا
وكان لا يصل اليهم شيء الا سرا • وقدم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرأ عليه السلام والنجم اذا هوى حتى
بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته تلك الغرانيق
العلا وان شفاعتهن لترتجى • فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم • وسجد معه المشركون لتوهمهم
انه ذكر آلهتهم بخير • وفشى ذلك في الناس واظهره الشيطان حتى بلغ ارض الحبشة ومن بها من المسلمين
عثمان بن مظعون واصحابه • وتحدثوا ان اهل مكة قد اسلموا كلهم وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد امن
المسلمون بمكة فاقبلوا سراعا من الحبشة • والغرانيق في الاصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق سمي
به لبياضه • وقيل هو الكركي والغرنوق ايضا الابيض الناعم وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله
وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع • ولما تبين للمشركين عدم ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا
عليه • وقد تكلم القاضي عياض في الشفا على هذه القصة وتوهين اصلها بما يشفي ولكن تعقب في بعضه
كما سيأتي ان شاء الله تعالى • وقال الامام فخر الدين الرازي ما خلاصته في تفسير هذه القصة باطلة موضوعة
لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى • وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى •

مطعونون

وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم اخذ يتكلم في ان رواة هذه القصة مطعونون
وايضا فقد روى البخاري في صحيحه انه عليه الصلوة والسلام قرء سورة والنجم وسجد وسجد معه المسلمون
والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق • بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث
الغرانيق ولا شك انه من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ان اعظم
سعيه كان في نفي الاوثان • ولو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه • وجوزنا في كل واحد من الاحكام والشرائع
ان يكون كذلك • ويبطل قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
لانه لا فرق في العقل بين النقصان في الوحي وبين الزيادة فيه • فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال ان هذه القصة
موضوعة وقد قيل ان هذه القصة من وضع الزنادقة لا اصل لها • انتهى • وليس كذلك بل لها اصل فقد
خرجها ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق • وكذا ابن مردويه والبزار وابن اسحق في السيرة وموسى بن عقبة
في المغازي وابو معشر في السيرة كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه
لم يرها مسندة من وجه صحيح • وهذا متعقب بما سيأتي • وكذا نبه على ثبوت اصلها شيخ الاسلام الحافظ
ابو الفضل العسقلاني فقال اخرج ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر من طريق عن ابي بشر عن سعيد بن جبير قال قرء
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى • فقال المشركون ما ذكر الهتنا بخير قبل هذا اليوم فسجد وسجدوا ثم نزلت
هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية • واخرجه البزار
وابن مردويه من طريق امية بن خالد عن شعبة فقال في اسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رض فيما احسب ثم ساق
الحديث • وقال البزار لا يروى متصلا الا بهذا الاسناد تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور قال وانما
يروى هذا من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انتهى • والكلبي متروك لا يعتمد عليه • وكذا اخرجه النحاس
بسند اخر فيه الواقدي • وذكرها ابن اسحق في السيرة مطولة واسندها عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس واورده
من طريق الطبري • واورده ابن ابي حاتم من طريق اسباط عن السدي • ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب عن يحيى
ابن ابي كثير عن الكلبي عن ابي صالح وعن ابي بكر الهذلي وايوب عن عكرمة وسليمان التيمي عمن حدثه ثلاثتهم عن ابن عباس
واوردها الطبري ايضا من طريق العوفي عن ابن عباس ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكلها سوى طريق سعيد
ابن جبير اما ضعيف واما منقطع • لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة اصلا مع ان لها طريقين اخرين
مرسلين رجالهما على شرط الصحيح احدهما ما اخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني
ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه • والثاني ما اخرجه ايضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد
بن سلمة فرقهما عن داود بن ابي هند عن ابي العالية • قال الحافظ ابن حجر وقد تجرأ ابن العربي كعادته فقال
ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا اصل لها وهو اطلاق مردود عليه • وكذا قول القاضي عياض هذا الحديث
لم يخرجه اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته • واضطراب رواياته وانقطاع اسناده
وكذا قول من حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب

واكثر

واكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية • وقال وقد بين البزار انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره الا
طريق ابي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله • واما الكلبي فلا يجوز الرواية عنه لقوة ضعفه
ثم رده من طريق النظر بان ذلك لو وقع لارتد كثير من المسلمين قال ولم ينقل ذلك انتهى • وجميع ذلك لا يتمشى
على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا • وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد
منها على شرط الصحيح • وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض
واذا تقرر ذلك تعين تاويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله تعالى القى الشيطان على لسانه تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى • فان ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لانه يستحيل عليه صلى الله عليه
وسلم ان يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان
عصمته • وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل جرى ذلك على لسانه حين اصابته سنة وهو
لا يشعر فلما علم بذلك احكم الله اياته • وهذا اخرجه الطبري عن قتادة • ورده القاضي عياض بانه
لا يصح لكونه لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم • وقيل ان
الشيطان الجأه الى ان قال ذلك بغير اختياره • ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان
وما كان لي عليكم من سلطان الاية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لاحد قوة على طاعة
وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكروا الهتهم وصفوهم بذلك فعلق ذلك بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى
على لسانه لما ذكرهم سهوا • وقد رد ذلك القاضي عياض فاجاب • وقيل لعله قال ذلك توبيخا للكفار
قال القاضي عياض وهذا جائز اذا كانت هناك قرينة تدل على المراد • ولا سيما وقد كان في ذلك الوقت
في الصلوة جائزا • والى هذا نحى الباقلاني • وقيل انه لما وصل الى قوله ومناة الثالثة الاخرى خشي المشركون ان ياتي
بعدها بشيء يذم الهتهم فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه • ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك او المراد بالشيطان شيطان
الانس • وقيل المراد بالغرانيق العلى الملائكة وكان الكفار يقولون الملائكة بنات الله ويعبدونها فسيق ذكر (ثم)
الكل ليرد عليهم بقوله الكم الذكر وله الانثى فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع قالوا قد عظم الهتنا ورضوا
بذلك فنسخ الله تلك الكلمتين واحكم اياته • وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن فارتصده
الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من
دنى اليه فظنها من قوله واشاعها قال وهذا احسن الوجوه • ويؤيده ما ورد عن ابن عباس رض من تفسير
تمنى بتلى وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل • وقال معنى في امنيته اي في تلاوته فاخبر تعالى في هذه
الاية ان سنة الله في رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في ان الشيطان
زاد في قوله صلى الله عليه وسلم لا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله • وقد سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره
وسعة علمه وشدة ساعده في النظر وصوب هذا المعنى انتهى • ثم هاجر المسلمون الثانية الى ارض
الحبشة وعدتهم ثلثة وثمانون رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وثماني عشرة امرأة • وكان منهم عبيد الله بن جحش

الهجرة الثانية الى الحبشة

مع امرأته ام حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم توفي على دين النصرانية وتزوج رسول الله عليه السلام
ام حبيبة بنت ابي سفيان سنة سبع من الهجرة الى المدينة وهي بالحبشة كما سياتي ان شاء الله تعالى
في المقصد الثاني عند ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم • وخرج ابو بكر الصديق مهاجرا الى الحبشة حتى بلغ
برك الغماد ورجع في جوار سيد القارة مالك ابن الدغنة بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف دُغُنَّة
النون • وبضم الدال والغين وتشديد النون • يعبد ربه في داره • وابتنى مسجدا بفناء الدار وكان يصلي
ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم ويعجبون منه • وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك
عينيه اذا قرأ القرآن • فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة انا خشينا
ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه • فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان يعلن
فسله ان يرد اليك ذمتك • فانا قد كرهنا ان نخفرك • فقال ابو بكر لابن الدغنة فاني ارد اليك جوارك
وارضى بجوار الله الحديث • رواه البخاري • ثم قام رجال في نقض الصحيفة فاطلع الله نبيه صلى الله عليه و
سلم على ان الارضة اكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع الا اسم الله تعالى فقط فلما انزلت ثم مزق
وجدت كما قال عليه الصلاة والسلام • وذلك في السنة العاشرة • ولما اتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع واربعون
سنة وثمانية اشهر واحد عشر يوما مات عمه ابو طالب وله سبع وثمانون سنة • وقيل مات في النصف من شوال
من السنة العاشرة • وقال ابن الجزار قبل الهجرة بثلاث سنين • وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته
يا عم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة • فلما راى ابو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والله يا ابن اخي والله لولا مخافة قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا اقولها الا لاسرك بها فلما تقارب
من ابي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى باذنه فقال يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي
امرته بها • فقال صلى الله عليه وسلم لم اسمعه • كذا في رواية ابن اسحق انه اسلم عند الموت • ورواه البيهقي
في الدلائل من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحق حدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض اهله عن ابن عباس
فذكره • وقال البيهقي انه منقطع • واجيب عنه مع شذوذه وغرابته بان شهادة العباس لابي طالب لو اداها بعد
ما اسلم كانت مقبولة ولم ترد بقوله عليه السلام لم اسمع لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو اعدل منه
لم اسمع اخذ بقول من اثبت له السماع • ولكن العباس شهد بذلك قبل ان يسلم مع ان الصحيح من الحديث قد اثبت لابي
طالب الوفاة على الكفر والشرك كما رويناه في صحيح البخاري من حديث سعيد بن المسيب حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم
على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم
انه عنه فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في
ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء • واجيب ايضا
بان ابا طالب لو قال كلمة التوحيد ما نهى الله تعالى نبيه عن الاستغفار له • وفي الصحيح عن العباس انه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته
في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح • وفي الصحيح ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي

يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار تبلغ كعبيه يغلي منه دماغه • وفي رواية يونس عن ابن اسحق
زيادة فقال يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه • قال السهيلي من باب النظر في حكمة الله تعالى و
مشاكلة الجزاء للعمل ان ابا طالب كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته متحزبا له الا انه كان مثبتا
قدميه على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته
اياهما على ملة ابائه • ثبتنا الله سبحانه على الصراط المستقيم • وفي شرح التنقيح للقرافي الكفار اربعة
اقسام فذكر منها من امن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع كما حكي عن ابي طالب انه كان يقول
اني لاعلم ان ما يقول ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته • وفي شعره يقول
لقد علموا ان ابننا لا مكذب • يقينا ولا يعزى لقول الاباطل • قال فهذا تصريح باللسان واعتقاد
بالجنان غير انه لم يذعن • وحكي عن هشام بن السائب الكلبي او ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة
جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه الى ان قال اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين
في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به • وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان
مخافة الشنان • وايم الله كاني انظر الى صعاليك العرب واهل الوبر والاطراف والمستضعفين من الناس
قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها
اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا • واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد
محضته العرب ودادها • واصفت له فؤادها • واعطته قيادها • يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة
والله لا يسلك احد سبيله الا رشد • ولا ياخذ احد بهديه الا سعد • ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تاخير
لكففت عنه الهزاهز • ولدفعت عنه الدواهي • ثم هلك بعد ذلك بثلاثة ايام • وقيل بخمسة • في رمضان بعد البعث
بعشر سنين على الصحيح • ماتت خديجة رضي الله عنها • وكان صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن
فيما ذكره صاعد • وكانت مدة اقامتها معه خمسا وعشرين سنة على الصحيح ثم بعد ايام من موت خديجة تزوج
عليه السلام سودة بنت زمعة • ثم خرج عليه السلام الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر وكان معه زيد
ابن حارثة في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت ابي طالب فاقام به شهرا يدعو
اشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه • قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه
بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء • زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة يقعد الى الارض فياخذون بعضديه
فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون • وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا • وفي
البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد
لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني
الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة
قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك
الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال

وقد بعثني ربك لتأمرني بأمرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج
الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به • وعبد ياليل بتحتية وبعد الالف لام مكسورة ثم تحتية ساكنة
ثم لام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام • وكان ابن عبد ياليل من اكابر الطائف من ثقيف • وقرن
الثعالب هو ميقات اهل نجد • ويقال له قرن المنازل • وافاد ابن سعد ان مدة اقامته عليه الصلاة والسلام
بالطائف كانت عشرة ايام • ولما انصرف عليه الصلاة والسلام من اهل الطائف مر بطريقه بعتبة وشيبة
ابني ربيعة وهما في حائط لهما فلما رأياه وما لقي تحركت له رحمهما فبعثا اليه مع غلامهما النصراني عداس بها قطف عنب فلما وضع يده
صلى الله عليه وسلم في القطف قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه
البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك قال نصراني من نينوى فقال صلى الله عليه وسلم
من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك قال ذاك اخي وهو نبي مثلي فاكب عداس على يديه وراسه
ورجليه يقبلها واسلم • ولما نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة صرف اليه سبعة من جن نصيبين
مدينة بالشام وكان عليه الصلاة والسلام قد قام في جوف الليل يصلي فاستمعوا له وهو يقرأ سورة
الجن • وفي الصحيح ان الذي آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة • وانهم سألوه الزاد فقال كل عظم
ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم • وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تأكل
ولا تشرب • وذكر صاحب الروض من اسماء السبعة الذين اتوه عليه السلام عن ابن دريد منشى وناشى وشاصر
وماصر والاحقب لم يزد على تسمية هؤلاء • قال الحافظ ابن كثير وقد ذكر ابن اسحق خروجه عليه السلام الى
اهل الطائف ودعاءه اياهم وانه لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من اهل
نصيبين قال وهذا صحيح لكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم
في ابتداء الايحاء ويدل له حديث ابن عباس عند احمد قال كان الجن يستمعون الوحي فيستمعون الكلمة
فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا يأتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب به فشكوا ذلك
الى ابليس قال ما هذا الا من امر قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فقال
هذا الحدث الذي حدث في الارض • ورواه النسائي وصححه الترمذي قال وخروجه عليه الصلاة والسلام الى
الطائف كان بعد موت عمه • وروى ابن ابي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
الاية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا
قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج انتهى • ومن طريقه
عليه الصلاة والسلام هذه دعا بالدعاء المشهور اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني
على الناس ارحم الراحمين انت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني
ام الى صديق قريب كلفته امري ان لم تكن غضبانا علي فلم ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك

ملكته

الذي

بن جعفر بن ابي طالب

الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك لك العتبى
حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك • اورده ابن اسحق ورواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر
قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل
شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو فذكره • وقوله يتجهمني بتقديم الجيم على الهاء اي يلقاني بالغلظة
والوجه الكريه • ثم دخل عليه السلام مكة في جوار مطعم بن عدي • ولما كان في شهر ربيع الاول اسري بروحه
وجسده يقظة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج به من المسجد الاقصى الى فوق سبع سموات ورأى
ربه بعيني رأسه • واوحى الله اليه ما اوحى • وفرض عليه الصلوات الخمس ثم انصرف في ليلته الى مكة فاخبر بذلك
فصدقه الصديق وكل من آمن بالله • وكذبه الكفار • واستوصفوه بيت المقدس فمثله الله له فجعل ينظر
اليه ويصفه • قال الزهري وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين حكاه عنه القاضي عياض ورجحه
القرطبي والنووي • واحتج به انه لا خلاف ان خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ولا خلاف انها توفيت
قبل الهجرة اما بثلاث واما بخمس ولا خلاف ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء • وتعقب بان موت خديجة
بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان وذلك قبل ان تفرض الصلاة • ويؤيده اطلاق عائشة ان
خديجة ماتت قبل ان تفرض الصلوات الخمس ويلزم منه ان يكون موتها قبل الاسراء وهو المعتمد • واما
في سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بانها ماتت قبل الهجرة بثلث سنين • قاله الحافظ ابن حجر • وقيل كان
قبل الهجرة بسنة قاله ابن حزم • وادعى فيه الاجماع • وقيل قبل الهجرة بسنة وخمسة اشهر قاله السدي
اخرجه من طريقه الطبري والبيهقي فعلى هذا كان في شوال • وقيل كان في رجب حكاه ابن عبد البر
وقبله ابن قتيبة • وبه جزم النووي في الروضة • وقيل كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة اشهر فعلى هذا
يكون في ذي الحجة وبه جزم ابن فارس وقيل قبل الهجرة بثلث سنين ذكره ابن الاثير • وقال الحربي كان في
سابع عشر في ربيع الاخر • وكذا قال النووي في فتاويه لكن قال في شرح مسلم في ربيع الاول • وقيل كان
ليلة السابع والعشرين من رجب • واختاره الحافظ عبد الغني ابن سرور المقدسي • واما اليوم الذي
يسفر عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت • وعن ابن دحية يكون ان شاء الله تعالى يوم الاثنين ليوافق
المولد والمبعث والهجرة والوفاة • فان هذه اطوار الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة
وسياتي ان شاء الله تعالى قصة الاسراء والمعراج وما فيهما من المباحث • والله الموفق والمعين •
ولما اراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه
الاوس والخزرج فعرض صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو
عند العقبة لقي رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا فقال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال افلا تجلسون
اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله لهم ان اليهود
كانوا معهم في بلادهم وكانوا اهل كتاب وكان الاوس والخزرج اكثر منهم فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا
ان نبيا مبعوث الان قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه • فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت فقال

بعضهم لبعض لا يسبقنا اليهود اليه فاجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام
فاسلم منهم ستة نفر وكلهم خزرج وهم ابو امامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن
عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رئاب
وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ومن اهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة بن الصامت ويسقط جابر
ابن رئاب فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا يا رسول الله انما كانت
بعاث عام الاول يوم من ايامنا اقتتلنا فان تقدم ونحن كذا لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى
عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم
واتبعوك فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل وانصرفوا الى المدينة ولم يبق دار من دور الانصار
الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وفي الاكليل احد عشر
وهي العقبة الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورين وهم ابو امامة وعوف بن عفراء ورافع وقطبة بن عامر
ابن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رئاب لم يحضر والسبعة التتمة الاثني عشر
هم معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء اخو عوف المذكور وذكوان بن عبد قيس الزرقي وقيل رحل
الى رسول الله عليه السلام الى مكة فسكنها معه فهو مهاجري انصاري قتل يوم احد وعبادة ابن الصامت
ابن قيس وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي والعباس بن نضلة وهؤلاء من الخزرج ومن الاوس رجلان
ابو الهيثم بن التيهان من بني عبد الاشهل وعويم بن ساعدة فاسلموا وبايعوا على بيعة النساء اي وفق بيعتهن
التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة وهي ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا ناتي ببهتان
نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره واثرة
علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم قال عليه الصلوة والسلام
فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيئا كان امره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يفرض يومئذ
القتال ثم انصرفوا الى المدينة فاظهر الله الاسلام وكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتبت الاوس
والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ابعث لنا من يقرئنا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير وروى الدارقطني
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير ان يجمع بهم الحديث وكانوا اربعين رجلا فاسلم على
يد مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار واسلم من جماعتهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع
بني عبد الاشهل في يوم واحد الرجال والنساء ولم يبق منهم احد الا اسلم حاشا الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن
وقش فانه تاخر باسلامه الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه من اهل الجنة ولم يكن في بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي الله عنهم اجمعين
ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة في العام المقبل في ذي الحجة اوسط ايام التشريق منهم
سبعون رجلا وقال ابن سعد يزيدون رجلا او رجلين وامراتان وقال ابن اسحق ثلث وسبعون وامراتان
وقال الحاكم خمسة وسبعون نفسا فكان اول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور وقال

ابو الهيثم

ابو الهيثم وقال اسعد بن زرارة على انهم يمنعونه كما يمنعون منه نساءهم وابناءهم على حرب الاحمر والاسود
وكانت اول اية نزلت في الاذن في القتال اذن للذين يقاتلون الاية وفي الاكليل ان الله اشترى من المؤمنين
الاية ونقب عليهم اثني عشر نقيبا وفي حديث جابر عند احمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث
عليه الصلوة والسلام عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها ويقول من يؤويني
من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعثنا الله له من يثرب فذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصروني
اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة وحضر العباس
العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه
قال ابن اسحق ولما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قريش
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة ارسالا واقام بمكة ينتظر ان يؤذن له
في الخروج فكان اول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد قبل بيعة العقبة بسنة قدم من الحبشة لمكة
فاذاه اهلها وبلغه اسلام من اسلم من الانصار فخرج اليهم ثم عامر بن ربيعة وامراته ليلى ثم عبد الله بن
جحش ثم المسلمون ارسالا ثم عمر بن الخطاب واخوه زيد وعياش بن ابي ربيعة في عشرين راكبا فقدموا المدينة
فنزلوا في العوالي ثم خرج عثمان بن عفان حتى لم يبق معه عليه السلام الا علي ابن طالب وابو بكر رضي الله عنهما
قال ابن اسحق قاله مغلطاي وفيه نظر لما ياتي بعد وكان الصديق كثيرا ما يستاذن رسول الله في الهجرة
فيقول لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو ثم اجتمع قريش ومعهم ابليس في صورة
شيخ نجدي في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي امرا الا فيها يتشاورون فيما يصنعون
في امره عليه الصلوة والسلام فاجمع رايهم على قتله وتفرقوا على ذلك فان قيل لم تمثل الشيطان في صورة
نجدي فالجواب انهم قالوا كما ذكره بعض اهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم
مع محمد فلذلك تمثل في صورة نجدي انتهى ثم اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على
فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فامر صلى الله
عليه وسلم عليا فنام مكانه وغطي ببرد اخضر فكان اول من شرى نفسه وفي ذلك يقول وقيت
بنفسي خير من وطئ الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر رسول اله خاف ان يمكروا به فنجاه ذو الطول
الاله من المكر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم يره احد منهم ونثر على
رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف عليه السلام
حيث اراد فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون هنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد
عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته افما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده
على راسه فاذا عليه تراب وفي رواية ابي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس فما اصاب رجلا منهم
حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي هذه نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك ثم اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب

أدخلني مُدخَل صدقٍ وأخرجني مُخرَج صدقٍ واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً • أخرجه الترمذي

فإن قلت ما الحكمة في هجرته عليه السلام إلى المدينة وإقامته بها إلى أن انتقل إلى ربه عزّ وجلّ **أجيب**

بأن حكمة الله قد مضت أنه عليه السلام تتشرّف به الأشياء لا أنه يتشرّف بها فلو بقي عليه الصلاة والسلام

في مكة إلى انتقاله إلى ربه لكان يتوهم أنه قد تشرّف بمكة إذ أن شرفها قد سبق بالخليل وإسمعيل وأراد الله

تعالى أن يظهر شرفه عليه الصلاة والسلام فأمره بالهجرة إلى المدينة فلما هاجر إليها تشرّفت به حتى وقع

الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضمّ أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه • وذكر الحاكم

أن خروجه عليه السلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منه • وجزم ابن إسحق بأنه خرج أول

يوم من ربيع الأول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوماً • وكذا جزم الأموي في المغازي

عن ابن إسحق فقال كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال قال وخرج لهلال ربيع الأول وقدم

المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع • قال في فتح الباري وعلى هذا خرج يوم الخميس • وقال الحاكم تواترت

الأخبار أن خروجه يوم الاثنين ودخول المدينة كان يوم الاثنين إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال إنه

خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين

لأنه أقام فيها ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج أثناء ليلة الاثنين

وكانت مدة إقامته بمكة من حين النبوة إلى ذلك الوقت بضع عشرة سنة ويدل عليه قول صرمة •

ثوى في قريش بضع عشرة حجة • يذكّر لو يلقى صديقاً مواتيا • وقيل غير ذلك • وأمره جبريل

أن يستصحب أبا بكر وأخبر عليه السلام علياً بمخرجه وأمره أن يتخلّف بعده حتى يؤدي عنه الودائع

التي كانت عنده للناس • قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها فبينا نحن جلوس يوماً

في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله متقنّعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها

قال أبو بكر فدى له أبي وأمي ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر قالت فجاء رسول الله عليه السلام

فاستأذن فأذن له فدخل فقال لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت و

أمي يا رسول الله قال السهيلي وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه عليه الصلاة والسلام

فقال صلى الله عليه وسلم إنه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله

قال صلى الله عليه وسلم نعم • فقال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتيّ قال صلى الله

عليه وسلم بالثمن **فإن قلت** لِمَ لم يقبلها إلا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ما هو أكثر من ذلك

أجيب بأنه إنما فعل ذلك لتكون هجرته بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة

إلى الله وأن تكون على أتم الأحوال انتهى • قالت عائشة رضي الله عنها فجهزناهما أحثّ الجهاز وصنعنا لهما سفرة في

جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت بذات

النطاقين • قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور بأسفل مكة وكان

من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر إلى البيت والله إنك لأحب

أو أن شرفها

مطلب الهجرة الى المدينة

أرض الله إليّ وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت وهذا

أصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة • ولم يعلم بخروجه عليه السلام إلا علي رضي الله عنه وآل أبي بكر •

وروي أنهما خرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ليلاً إلى الغار • ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه

وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره

هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى إلى ثور • وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا

مائة ناقة لمن يردّه • ولله درّ الشيخ شرف الدين الأبوصيري حيث قال • ونحا قوم جفوا نبيّاً •

بأرض ألفته ضبابها والظباء • وسلوه وحنّ جذع إليه • وقلوه وودّه الغرباء • أخرجوه

منها وآواه غار • وحمته حمامة ورقاء • وكفته بنسجها عنكبوت • ما كفته الحمامة الحصداء •

يعني الشجرة حصداء أي كثيرة الورق فكأنه استعارة للحمامة لكثرة ريشها • وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة قال قاسم وهي شجرة معروفة

وهي أم غيلان • وعن أبي حنيفة تكون مثل قامة الإنسان لها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد فيكون

كالريش لخفته ولينه لأنه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار • وفي مسند البزار أن الله عزّ وجلّ أمر

العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وأن ذلك مما صدّ

المشركين عنه وأن حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين • ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم

فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا ما لك قال رأيت

حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد • وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار

إن فيه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد • وروي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو

دخله لتكسّر البيض وتفسّخ نسج العنكبوت • وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلّت

الشجرة المطلوب وأضلّت الطالب • وجاءت عنكبوت فسدّت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت

ثوب نسجها فحاكت ستراً حتى عمي على القائف الطلب • والعنكبوت أجادت حوك حلّتها • فما تخال خلال النسج من خلل •

وتحصل للعنكبوت الشرف بذلك وما أحسن قول ابن النقيب • ودود القزّ إن نسجت حريراً • يجمّل لبسه في كل

شيء • فإن العنكبوت أجلّ منها • بما نسجت على رأس النبي • وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعمِ أبصارهم فعميت

عن دخوله وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار • وهذا يشير إليه قول صاحب البردة • أقسمت بالقمر المنشق

إن له • من قلبه نسبة مبرورة القسم • وما حوى الغار من خير ومن كرم • وكل طرف من الكفار عنه عمي • فالصدق

في الغار والصدّيق لم يريا • وهم يقولون ما بالغار من أرم • ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على • خير البرية لم تنسج

ولم تحم • وقاية الله أغنت عن مضاعفة • من الدروع وعن عال من الأطم • أي عمي الكفار عنهما في الغار مع خلق الله ذلك

فيهم لأنهم ظنوا أن الحمام لا تحوم حوله عليه السلام وأن العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة أن هذين الحيوانين

المتوحشين لا يألفان معموراً فهما أحيا الإنسان وأمنه وما علموا أن الله تعالى يحمي من شاء من خلقه لمن شاء من

عباده وأن وقاية الله عبده بما يشاء تغني عبده من التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالي من الأطم وهي

الدوادي العصا

المصون • فلله در الابوصيري من شاعر • وما احسن قوله في قصيدته اللامية حيث قال • واغربا حين صحب
الغار وهو به • كمثل قلبي معمور ومأهول • كانما المصطفى فيه وصاحبه • الصديق ليثان قد اواهما
غيل • وجلل الغار نسج العنكبوت على • وهن فيا حبذا النسج تجليل • عناية ضل كيد المشركين بها • وما
مكايدهم الا الاضاليل • اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما • فان ابصارهم من زيغها حول • وفي الصحيح عن انس
قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم ينظر الى قدميه لرانا فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما
وروى ان ابا بكر قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت
انه عليه السلام لم يكن تعود الحفا والجفوة • وروى ايضا ان ابا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليقيه بنفسه وانه راى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت
الحيات والافاعي يضربنه ويلسعنه فجعلت دموعه تتحدر • وفي رواية فدخل رسول الله عليه السلم
ووضع راسه في حجر ابي بكر ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب
ما يجده • رواه رزين • وروى ايضا ان ابا بكر لما راى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فعندها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحزن ان الله معنا بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته وهي امنة تسكن عندها القلوب على ابي بكر لانه
كان منزعجا وايده يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار او ليصرفوا وجوه
الكفار وابصارهم عن رؤيته • انظر لما راى الرسول عليه الصلوة والسلام حزن الصديق قد اشتد لكن لا على
نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا فكانت تحفة ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثاني في
الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لما وقى الرسول بماله ونفسه جوزي بمواراته معه في
رمسه وقام مؤذن التشريف ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين اذ هما في الغار ولقد احسن حسان حيث
قال • وثاني اثنين في الغار المنيف وقد • طاف العدو به اذ صاعد الجبلا • وكان حب رسول الله قد علموا من
الخلائق لم يعدل به بدلا • وتامل قول موسى عليه السلم لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا عليه السلام
للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود المعية ولم يتعد منه الى اتباعه ونبينا تعدى منه الى الصديق ولم
يقل معي لانه امد ابا بكر بنوره فشهد سر المعية • ومن ثم سرت السكينة على ابي بكر والا لم يثبت تحت اعباء هذا
المشهود • واين معية الربوبية في قصة موسى من معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم قاله العارف
شمس الدين ابن اللبان • واخرج ابو نعيم في الحلية عن عطاء ابن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود
حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار • وكذا نسجت على الغار الذي دخله عبد الله
ابن انيس لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلي بالعرنة فقتله ثم احتمل راسه ودخل في غار
فنسجت عليه العنكبوت وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين • وفي تاريخ ابن عساكر ان العنكبوت
نسجت ايضا على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين لما صلب عريانا في سنة

احدى

يوم الهجرة الى المدينة

احدى وعشرين ومائة • وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وابو بكر معه في الغار ثلث ليال وقيل بضعة عشر يوما
والاول هو المشهور • وكان يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف اي ثابت المعرفة بما يحتاج اليه
لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك
حين يختلط الظلام • ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة
من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلث • واستاجر رسول الله
وابو بكر عبد الله بن الاريقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه
غار ثور بعد ثلث ليال فاتاهما براحلتيهما صبح ثلث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل على طريق السواحل
فمروا في قديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية • وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم

قصة ام معبد

وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا ولحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت
هي اجهد من ذلك فقال اتاذنين لي ان احلبها فقالت نعم بابي انت وامي ان رايت بها حلبا فاحلبها
فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط اي يشبع الجماعة
حتى يربضوا فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى عللا بعد نهل ثم غادره
عندها وذهبوا • فقل ما لبث حتى جاء زوجها ابو معبد • قال السهيلي لا يعرف اسمه • وقال العسكري
اسمه اكثم بن ابي الجون ويقال ابن الجون يسوق اعنزا عجافا يتساوكن هزلا مخهن قليل • فلما راى ابو معبد اللبن
عجب وقال ما هذا يا ام معبد انى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت فقالت لا والله الا انه مر
بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه يا ام معبد فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن
الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة • وسيم قسيم في عينيه دعج • وفي اشفاره وطف • وفي صوته صحل •
احور اكحل • ازج اقرن • شديد سواد الشعر • في عنقه سطع • وفي لحيته كثاثة • اذا صمت فعليه الوقار
واذا تكلم سما وعلاه البهاء • وكان منطقه خرزات نظم يتحدرن • حلو المنطق • فصل لا نزر • ولا
هذر • اجهر الناس واجمله من بعيد • واحلاه واحسنه من قريب • ربعة لا تشنوه من طول • ولا تقتحمه
عين من قصر • غصن بين غصنين • فهو انضر الثلثة منظرا • واحسنهم قدرا • له رفقاء يحفون به اذا
قال استمعوا لقوله وان امر تبادروا الى امره • محفود محشود • لا عابس • ولا معتد • فقال ابو معبد هذا والله صاحب قريش
لو رايته لاتبعته • قالت اسماء بنت ابي بكر ولما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل بن هشام
فخرجت اليهم فقال اين ابوك فقلت والله لا ادري اين ابي قالت فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم
خدي لطمة خرج منها قرطي قالت ثم انصرفوا • ولما لم يدروا اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن
يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد هذه الابيات • جزى الله رب الناس خير جزائه • رفيقين حلا خيمتي
ام معبد • هما نزلا بالبر ثم ترحلا • فافلح من امسى رفيق محمد • فيا لقصي ما زوى الله عنكم • به من
فعال لا تجارى وسؤدد • ليهن بني كعب مكان فتاتهم • ومقعدها للمؤمنين بمرصد • سلوا اختكم عن شاتها

ودنا تما • وانكم ان تسألوا الشاة تشهد • دعاها بشاة حائل فتحلبت • له بصريح ضرة الشاة مزبد •
فغادرها رهنا لديها لحالب • يرددها في مصدر ثم مورد • فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم
وقوله مرملين اي نفدت زادهم • مسنتين اي مجدبين ويروى مشتين اي دخلوا في الشتاء • كسر الخيمة بكسر الكاف
وفتحها وسكون السين جانبها • تفاجت بتشديد الجيم فتحت بين رجليها • ويربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة
اي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض • من ربض في المكان يربض اذا لصق به واقام • والثج السيلان
وفي رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال بضم المثلثة الرغوة واحده ثمالة • والبها اي بهاء اللبن وهو وبيص
رغوته • وتساوكن هزلا اي تمايلن • ويروى تشاركن من المشاركة اي تساوين في الهزال • وغادره بالغين
المعجمة ابقاه • والشاء عازب اي بعيد المرعى • والابلج بالجيم المشرق الوجه المضيئه • والحيال بكسر الحاء المهملة
جمع حايل • وهي التي ليس بها حمل • والوضاءة الحسن • والثجلة بفتح المثلثة وسكون الجيم عظم البطن ويروى
بالنون والحاء اي نحول ودقة • والصعلة بفتح الصاد صغر الراس وهي ايضا الدقة والنحول في البدن
والوسيم الحسن وكذلك القسيم • وفي عينيه دعج اي سواد • والوطف قال في القاموس محركة كثرة شعر الحاجبين و
العينين • وفي صوته صحل بالتحريك هو كالبحة بضم الموحدة وان لا يكون حاد الصوت • والحور قال في
القاموس الحور بالتحريك ان يشتد بياض العين وسواد سوادها • والكحل بفتحتين سواد في اجفان العين
خلقة • والرجل اكحل وكحيل • والازج الدقيق طرف الحاجبين • وفي القاموس والزجج محركة دقة الحاجبين في
طول • والاقرن مقرون الحاجبين • وفي عنقه سطع بفتحتين اي ارتفاع وطول • وفي لحيته كثاثة بمثلثتين
الكثاثة في اللحية ان تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال رجل كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم
واذا تكلم سما وعلاه البهاء اي ارتفع وعلا على جلسائه • وفصل بالصاد المهملة • ولا نزر بسكون الزاي المعجمة
ولا هذر بفتح المعجمة اي بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل • ولا تشنؤه من طول كذا جاء في رواية اي لا يبغض
لفرط طوله • ويروى ولا يخشى من طول ابدل من الهمزة ياء يقال شنئه اشنؤه شنأ وشنآنا • قاله
ابن الاثير • ولا تقتحمه عين من قصر اي لا تتجاوزه الى غيره احتقارا له • وكل ما ازدريته فقد اقتحمته • ومحفود
اي مخدوم • والمحشود الذي عنده حشد وهم الجماعة • ولا عابس من عبوس الوجه • والمفند الذي يكثر اللوم وهو
التفنيد • والضرة لحمة الضرع • وغادرها اي خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر • اخرج ابن سعد وابو نعيم
من طريق الواقدي حدثني حزام بن هشام عن ابيه عن ام معبد قالت بقيت الشاة التي لمس عليه الصلاة والسلام
ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب رض وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما في الارض قليل ولا كثير •
ثم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي فبكى ابو بكر رض وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه وطلب الامان فقال اعلم ان قد دعوتما علي فادعوا لي ولكما
ان ارد الناس عنكما ولا اضركما • قال فوقفا لي فركبت فرسي حتى جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت
ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس • وعرضت عليهما الزاد
والمتاع فلم يرزآني • فاجتاز صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شانه ما دون

من طريق البيهقي بسنده عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر مستخفيين مرا
بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان ههنا عناقا حملت اول وما بقي لها لبن
فقال ادع بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى انزلت وجاء ابو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر
ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من انت فوالله ما رايت مثلك قال او تراك تكتم علي حتى
اخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله فقال انت الذي تزعم قريش انه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال فاشهد
انك نبي وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك
اني قد ظهرت فائتنا • قال الحافظ مغلطاي بعد ذكره لقصة ام معبد وفي الاكليل قصة اخرى شبيهة
بقصة ام معبد • قال الحاكم اهي هي ام غيرها • ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا
انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه فنادى باعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم اي حظكم و

مطلب قدوم رسول الله الى قبا

مطلوبكم قد اقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بني عمرو بن
عوف الحديث رواه البخاري • وفيه ان ابا بكر رض قام للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير النبي صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر رض حتى اصابت الشمس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر رض حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله عند ذلك وظاهر هذا انه
عليه الصلوة والسلام كانت الشمس تصيبه وما تقدم من تظليل الغمامة والملائكة كان قبل بعثته كما هو صريح
في موضعه • قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب • وكان قدومه عليه الصلوة والسلام لهلال ربيع الاول
اي اول يوم منه • وفي رواية جرير بن حازم عن ابن اسحق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ونحوه
عند ابي معشر لكن قال ليلة الاثنين • وعن ابن سعد قدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول
• وفي شرف المصطفى من طريق ابي بكر بن حزم قدم لثلث عشرة من ربيع الاول وهذا يجمع بينه وبين الذي
قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال • وقيل كان حين اشتد الضحى يوم الاثنين لاثنتي عشرة منه
وبه جزم النووي في كتاب السير من الروضة • وقال ابن الكلبي خرج من الغار يوم الاثنين اول يوم
من ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة منه • وقيل لليلتين منه • وعند البيهقي اثنين
وعشرين ليلة • وقال ابن حزم خرج من مكة وقد بقي من صفر ثلث ليال واقام علي رض بمكة بعد مخرج النبي
صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام ثم ادركه بقباء يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر ربيع وكان مقامه مع
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة او ليلتين وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وقيل
ان عمر رض اول من ارخ وجعله من المحرم • واقام صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف اثنتين و
عشرين ليلة • وفي صحيح مسلم اقام فيهم اربع عشرة ليلة • وقيل انه اقام يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس
واسس مسجدها الذي اسس على التقوى على الصحيح وهو اول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة وان كان قد تقدم

بناء غير ذلك من المساجد لكن بخصوص الذي بناه • ثم خرج عليه الصلوة والسلام من قبا يوم الجمعة
حين ارتفاع النهار فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة
في بطن وادي رانونا براء مهملة ونونين ممدود اكعاشورا وتاسوعا واسم المسجد الغبيب بضم الغين المعجمة
تصغير غب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة • والوادي ذي صلب • ولذا سمي مسجد الجمعة • وهو مسجد صغير
مبني بحجارة قدر نصف القامة • وهو على يمين السالك الى مسجد قبا • وركب صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد
الجمعة متوجها الى المدينة • وروى انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم اقبل الى المدينة وهو مردف ابا بكر
وابو بكر شيخ يعرف والنبي صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف قال فيلقى الرجل ابا بكر فيقول يا ابا بكر من هذا الرجل
بين يديك قال فيقول هذا الرجل يهديني السبيل قال فيحسب الحاسب انه انما يعني الطريق وانما يعني سبيل الخير
الحديث • رواه البخاري • وقد روى ابن ابي سعد انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الْهِ عني الناس فكان
اذا سئل من انت قال باغي حاجة فاذا قيل من هذا معك قال هذا يهديني السبيل • وفي حديث الطبراني من رواية
اسما فكان ابو بكر رجلا معروفا في الناس فاذا لقيه لاق يقول لابي بكر من هذا معك فيقول هذا يهديني
ويريد الهداية في الدين ويحسبه الاخر دليلا • وانما كان ابو بكر معروفا لاهل المدينة لانه مر عليهم في سفرة التجارة
وكان صلى الله عليه وسلم لم يرتحل وكان عليه الصلوة والسلام اسن من ابي بكر رضي الله عنه • وفي حديث انس لم يكن
في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر • وكان عليه الصلوة والسلام كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه
الى المقام عندهم يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مامورة وقد ارخى
زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى اذا اتت دار مالك بن النجار بركت على باب المسجد وهو يومئذ مربد
لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء • ويقال اسعد بن زرارة وهو المرجح • ثم ثارت
وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب ابي ايوب الانصاري ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول
والقت جرانها بالارض يعني باطن عنقها ومقدمه من المذبح وارزمت يعني صوتت من غير ان تفتح
فاها • ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى • واحتمل ابو ايوب رحله وادخله
بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار اوسط دور الانصار وافضلها وهم اخوال عبد المطلب جده
عليه الصلوة والسلام • وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند يوسف بن يعقوب في كتاب الذكر والدعاء له
قال نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الى ام ايوب قلت لها
رسول الله احق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بت انا ولا ام ايوب فلما اصبحت قلت يا رسول الله
ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب قلت كنت احق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل
عليك الوحي لا والذي بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا • الحديث • ورواه الحاكم ايضا وقد ذكر
ان هذا البيت الذي لابي ايوب بناه له عليه السلام تبع الاول لما مر بالمدينة وترك فيها اربعمائة عالم وكتب
كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم وساله ان يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم فتداول الدار الملاك
الى ان صارت لابي ايوب وهو من ولد ذلك العالم قاله اهل المدينة الذين نصروه عليه الصلوة والسلام

من ولد اولئك العلماء • فعلى هذا انما نزل في منزل نفسه لا منزل غيره كذا حكاه في تحقيق النصرة و
فرح اهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم واشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور الى القلوب •
قال انس بن مالك لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء وصعدت
ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن • طلع البدر علينا • من ثنيات الوداع • وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع • قلت هذا الشعر عند قدومه عليه السلام المدينة • رواه البيهقي في الدلائل وابو الحسن
المقري في كتاب الشمائل عن ابن عائشة • وذكره الطبري في الرياض عن الفضل بن الحباب الجمحي قال سمعت ابن
عائشة يقول اراه عن ابيه فذكره • وقال اخرجه الحلواني على شرط الشيخين • انتهى • وسميت ثنية
الوداع لانه عليه الصلوة والسلام ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة في بعض اسفاره • وقيل لانه عليه السلام
شيع اليها بعض سراياه فودعه عندها • وقيل لان المسافر من المدينة يشيع ويودع عندها قديما وصحح
القاضي عياض هذا الاخير • واستدل عليه بقول نساء الانصار حين مقدمه عليه السلام طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع فدل انه اسم قديم • وقال ابن بطال انما سميت ثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة
اليها ويودعونهم عندها واليها كانوا يخرجون عند التلقي • انتهى • قال شيخ الاسلام الولي بن العراقي
وهذا كله مردود • ففي صحيح البخاري وسنن ابي داود والترمذي عن السائب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع ثم قال فصرح في انها من جهة الشام • ولهذا لما نقل والدي
رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال انه وهم • قال وكلام ابن عائشة معضل لا يقوم به حجة انتهى
وسبقه الى ذلك ابن القيم في الهدي النبوي فقال هذا وهم من بعض الرواة لان ثنية الوداع انما من ناحية
الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام • وانما وقع ذلك عند قدومه من تبوك
انتهى • لكن قال ابن العراقي ايضا • ويحتمل ان يكون الثنية التي من كل جهة يصل اليها المشيعون ويسمونها
ثنية الوداع • انتهى • وبذلك جمع المجد الشيرازي في المغانم المطابة • ورجح ان الثنية من جهة مكة
عن اهل المدينة • وفي شرف المصطفى وخرجه البيهقي عن انس لما بركت الناقة على باب ابي ايوب خرج جوار
من بني النجار بالدفوف يقلن • نحن جوار من بني النجار • يا حبذا محمد من جار • فقال صلى الله عليه وسلم
اتحببنني قلن نعم يا رسول الله • وعند الطبراني في الصغير فقال عليه الصلوة والسلام الله يعلم ان قلبي
يحبكم • وقال الطبري وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون جاء محمد جاء رسول الله • وو عك
ابو بكر رضي الله عنه وبلال فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى • يقول • الا ليت شعري هل ابيتن ليلة • بواد وحولي
اذخر وجليل • وهل اردن يوما مياه مجنة • وهل يبدون لي شامة وطفيل • اللهم العن شيبة بن ربيعة
وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوبا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا
المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت
يعني عائشة رضي الله عنها وقدمنا المدينة وهي اوبا ارض الله فكان بطحان يجري نجلا يعني ماء اجنا • وقال عمر رضي الله عنه
اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك • رواه البخاري • وقوله يرفع عقيرته اي

صوت العقيرة الساق كان الذي قطعت رجله رفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك حكاه الجوهري وشامة وطفيل جبلان او عينان بقرب مكة والمراد بالوادي وادي مكة وجليل نبت ضعيف واقام صلى الله عليه وسلم عند ابي ايوب سبعة اشهر وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابي شهرا وكان يصلي حيث ادركته الصلوة ولما اراد عليه السلام بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فابى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعه منهم بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر رض وكان قد خرج من مكة بماله كله قال انس وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت ثم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبني المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وعمل فيه المسلمون وكان عمار ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي عليه السلام فقال عليه السلام للناس اجر ولك اجران وآخر زادك من الدنيا لبن وتقتلك الفئة الباغية ورويناه انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في ثيابه ويقول وهو ينقل هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر اللهم ان الاجر اجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة قال ابن شهاب ولم يبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا انتهى وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا وقوله هذا الحمال بكسر المهملة وتخفيف الميم اي المحمول من اللبن ابر عند الله من حمال خيبر اي التي تحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك وفي رواية المستملي الجمال بالجيم وفي كتاب تحقيق النصرة قيل وضع صلى الله عليه وسلم رداءه فوضع الناس وهم يقولون لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك اذا للعمل المضلل واخرون يقولون لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا ومن يرى عن التراب حائدا وجعلت قبلة المسجد القدس وجعل له ثلاثة ابواب باب في مؤخره وباب يقال له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك او دونه وجعل اساسه قريبا من ثلاثة اذرع وبني بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البناء بنى لعائشة رض في البيت الذي يليه شارعا الى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الاخر الذي يليه الى الباب الذي يلي آل عثمان ثم تحول عليه الصلاة والسلام من دار ابي ايوب الى مساكنها التي بناها وكان قد ارسل زيد بن حارثة وابا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وام ايمن وخرج عبد الله بن ابي بكر معهم بعيال ابيه وكان في المسجد موضع مظلل تأوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على اصحابه وتتعشى طائفة منهم معه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساق ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته و هذا يشعر بانهم كانوا اكثر من سبعين وهؤلاء الذين رآهم ابو هريرة غير السبعين الذين بعثهم في غزوة بئر معونة وكانوا من اهل الصفة ايضا لكنهم استشهدوا قبل اسلام ابي هريرة وقد اعتنى بجمع اصحاب الصفة

قدوم فاطمة

ابن الاعرابي

ابن الاعرابي والسلمي والحاكم وابو نعيم وعند كل منهم ما ليس عند الآخر وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة في فتح الباري وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وكان عمله وحنين الجذع في السنة الثامنة بالميم من الهجرة وبه جزم ابن النجار وعورض بما في حديث الافك في الصحيحين قالت عائشة رض فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وجزم ابن سعد بان عمل المنبر كان في السنة السابعة وعورض بذكر العباس وتميم فيه وكان قدوم العباس بعد الفتح في آخر سنة ثمان وقدوم تميم سنة تسع وعن بعض اهل العلم من اهل السير انه عليه الصلوة والسلام كان يخطب على منبر من طين قبل ان يتخذ المنبر الذي من خشب وعورض بان الاحاديث الصحيحة انه كان يستند الى الجذع اذا خطب وسيأتي قصة حنين الجذع ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ولما كان بعد قدومه بخمسة اشهر آخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والانصار وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة واربعون على الحق والمواساة والتوارث وكانوا كذلك الى ان نزل بعد بدر واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الآية وبني بعائشة رض على رأس تسعة اشهر وقيل ثمانية وقيل ثمانية عشر شهرا في شوال وكان الناس كما في السير وغيرها انما يجتمعون الى الصلوة لتحين مواقيتها من غير دعوة واخرج ابن سعد في الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب ان بلالا كان ينادي للصلوة بقوله الصلاة جامعة الحديث وشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه فيما يجمعهم به للصلوة وكان ذلك فيما قيل في السنة الثانية فقال بعضهم ناقوس كناقوس النصارى وقال آخرون بوق كبوق اليهود وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس اقبلوا الى الصلوة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه في منامه رجلا يعلمه الاذان والاقامة فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما رأى وفي رواية معاذ بن جبل عند الامام احمد قال يا رسول الله اني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت اني لم اكن نائما لصدقت رأيت شخصا عليه ثوبان اخضران فاستقبل القبلة فقال الله اكبر مثنى مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث فقال عليه السلام انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى قم مع بلال فالق عليه ما رأيت فليؤذن به فانه اندى صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت القيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رض وهو في بيته فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما ارى ووقع في الاوسط للطبراني ان ابا بكر ايضا رأى الاذان وفي الوسيط للغزالي انه رآه بضعة عشر رجلا وعبارة الجيلي في شرح التنبيه اربعة عشر و انكره ابن الصلاح ثم النووي وفي سيرة مغلطاي انه رآه سبعة من الانصار قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر ولا يثبت شيء من ذلك الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر رض جاءت في بعض الطرق انتهى قال السهيلي

بدء الاذان

فان قلت ما الحكمة التي خصت الاذان بان يراه رجل من المسلمين في نومه ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام الشرعية وفي قوله صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك عن وحي من الله ام لا **اجاب** بانه صلى الله عليه وسلم قد اريه ليلة الاسراء وروى البزار عن علي رض قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى بها الحجاب الذي

بلى الرحمن فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان • قال السهيلي وهذا اقوى من الوحي فلما تأخر فرض الاذان الى المدينة واراد اعلام الناس بوقت الصلوة تلبث الوحي حتى رأى عبد الله الرؤيا فوافقت ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله • وعلم حينئذ ان مراد الله بما رآه في السماء ان يكون سنة في الارض وقوي ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصاري • انتهى • وتعقب بان حديث البزار في اسناده زياد بن المنذر ابو الجارود وهو متروك • وقال في فتح الباري • وقد استشكل اثبات حكم الاذان برؤيا عبد الله بن زيد لان رؤيا غير الانبياء لا ينبني عليها حكم شرعي • واجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك ويؤيده ما رواه عبد الرزاق وابو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمير الليثي احد كبار التابعين ان عمر لما رأى الاذان جاء ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الوحي قد ورد بذلك فما راعه الا اذان بلال فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك الوحي • وهذا اصح مما حكى الداودي ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان قبل ان يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية ايام • وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن اسحق وغيره • وذلك انه قال طاف بي وانا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلوة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله اكبر الله اكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استأخر عني غير بعيد • ثم قال اذا قمت للصلوة فقل الله اكبر الله اكبر الى اخر كلمات الاقامة • ورواه ابو داود باسناد صحيح • ولم تعرف كيفية رؤيا عمر رضه حين رأى النداء • وقد قال لقد رأيت مثل الذي رأى • وفي مسند الحارث اول من اذن للصلوة جبريل اذن في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بها فقال عليه الصلوة والسلام لبلال سبقك بها عمر • وظاهره ان عمر رضه سمع ذلك في اليقظة • وقد وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة • منها للطبراني من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله اليه الاذان فنزل به وعلمه بلالا • وفي اسناده طلحة بن زيد وهو متروك • ومنها للدارقطني في الافراد من حديث انس ان جبريل امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلوة • واسناده ضعيف ومنها حديث البزار عن علي المتقدم • قال في فتح الباري والحق انه لا يصح شيء من هذه الاحاديث • وقد جزم ابن المنذر بانه عليه السلام كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلوة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور في ذلك والله سبحانه اعلم فان قلت هل اذن عليه الصلاة بنفسه قط اجاب الحلبي بانه روى روى الترمذي من طريق يدور على عمر بن الرماح قاضي بلخ يرفعه الى ابي هريرة رضه انه صلى الله عليه وسلم اذن في سفر وصلى وهم على رواحلهم • الحديث • قال فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه عليه السلم اذن بنفسه • انتهى وليس هذا من حديث ابي هريرة انما هو من حديث يعلى بن مرة • وكذا جزم النووي بانه عليه الصلوة والسلام اذن مرة في السفر وعزاه للترمذي وقواه • لكن روى الحديث الدارقطني وقال فيه امر بالاذان ولم يقل اذن

مطلب هل اذن رسول الله وهل صلى خلف احد

قال

قال السهيلي والمفصل يقضي على المجمل المحتمل • وفي مسند احمد من الوجه الذي اخرج منه الترمذي هذا الحديث فامر بلالا فاذن • قال في فتح الباري فعرف ان في رواية الترمذي اختصارا وان قوله اذن يعني امر كما يقال اعطى الخليفة فلانا الفا وانما باشر العطاء غيره ونسب للخليفة لكونه امر • انتهى فان قلت هل صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف احد من الصحابة • نعم ثبت في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف • ولفظه عن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبرز رسول الله عليه السلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل صلوة الفجر • الحديث الى ان قال فاقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى لهم فادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الاخرة فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله يتم صلوته فافزع ذلك المسلمين فاكثروا التسبيح فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلوته اقبل عليهم ثم قال احسنتم او قال اصبتم يغبطهم ان صلوا الصلوة لوقتها • ورواه ابو داود في السنن بنحوه ولفظه • ووجدنا عبد الرحمن قد ركع ركعة من صلوة الفجر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف مع المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية ثم سلم عبد الرحمن فقام النبي صلى الله عليه وسلم في صلوته • الحديث • قال النووي فيه جواز اقتداء الفاضل بالمفضول • وجواز صلوة النبي خلف بعض امته • قال واما بقاء عبد الرحمن في صلوته وتأخر ابي بكر ليتقدم النبي صلى الله عليه وسلم • فالفرق بينهما ان عبد الرحمن كان قد ركع ركعة فترك النبي صلى الله عليه وسلم التقدم لئلا يختل ترتيب صلوة القوم بخلاف صلوة ابي بكر • نعم في السيرة الهشامية ان ابا بكر رضه كان الامام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نائبه • لكنه قال السهيلي حديث مرسل في السيرة قال والمعروف في الصحاح ان ابا بكر رضه كان يصلي بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلوة ابي بكر لكن قد روي عن انس من طريق متصل ان ابا بكر رضه كان الامام يومئذ • واختلف فيه عن عائشة رضها وفي الترمذي مصححا من حديث جابر ان اخر صلوة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد متوشحا به خلف ابي بكر رضه • قال ابن الملقن وقد نص هذا القول غير واحد من الحفاظ منهم الضياء وابن ناصر وقال صح وثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف ابي بكر رضه مقتديا به في مرضه الذي مات فيه ثلث مرات ولا ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية وقيل انه كان مرتين جمعا بين الاحاديث • وبه جزم ابن حبان • وروى الدارقطني من طريق المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مات نبي حتى يؤمه رجل من امته • ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه السلم لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاخر • قال العلائي يوم الثلثاء • وقال السهيلي بعد الهجرة بعام او نحوه زيد في صلوة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلوة الفجر لطول القراءة فيها وصلوة المغرب لانها وتر النهار واقرت صلوة السفر • وفي البخاري عن عائشة رضها فرضت الصلوة ركعتين ركعتين ثم هاجر عليه السلام الى المدينة ففرضت اربعا وتركت صلوة السفر على الفريضة الاولى • وقيل انما فرضت في الحضر اربعا ثم خففت عن المسافر • ويدل عليه حديث ان الله وضع عن المسافر شطر الصلوة • وقيل انما فرضت في الحضر وفي السفر ركعتين • وهو قول ابن عباس قال ان الله فرض الصلوة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي

السحر كما ثبت في رواية مسلم وغيره وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في اول الصلوة من مقصد عبادته
قال ابن اسحق وغيره ونصبت احبار اليهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا • وسحره
لبيد بن الاعصم وهو من يهود بني زريق فكان يخيل اليه انه يفعل الفعل وهو لا يفعله وجعل سحره
في مشط ومشاطة ودفنه في بئر ذي اروان • واكثر اهل الحديث يقول ذروان تحت راعوفة البئر
كما ثبت في الصحيح وليس هذا بقادح في النبوة فان الانبياء يبتلون في ابدانهم بالجراحات والسموم والقتل
وغير ذلك مما جوزه العلماء عليهم وانضاف الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين
آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم قهروا بظهور الاسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا
في السر منهم عبد الله بن ابي بن سلول وكان رأس المنافقين • وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل كما سيأتي ان شاء الله تعالى في غزوة بني المصطلق واذن الله تعالى لرسوله
بالقتال قال الزهري اول آية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير
اخرجه النسائي باسناد صحيح • قال في البحر والمأذون فيه اي في الاية محذوف اي في القتال لدلالة
يقاتلون عليه وعلل الاذن بانهم ظلموا كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضروب ومشجوج فيقول
لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية • انتهى
وقال غيره وانما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللائق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون اكثر عددا فلو امر
المسلمون وهم قليلون بقتال الباقين لشق عليهم فلما بغى المشركون واخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من بين اظهرهم
وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه اصحابه وقاموا بنصره وصارت المدينة لهم دار
اسلام ومعقلا يلجأون اليه شرع الله تعالى جهاد الاعداء فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا وغزا
وقاتل هو واصحابه حتى دخل الناس في دين الله افواجا افواجا وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه
سبعا وعشرين قاتل في تسع منها بنفسه بدر واحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين
والطائف وهذا على قول من قال فتحت مكة عنوة • وكانت سراياه التي بعث فيها سبعا واربعين سرية وقيل
انه قاتل في بني النضير • وافاد في فتح الباري ان السرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية هي التي تخرج
بالليل والسارية التي تخرج بالنهار • قال وقيل سميت بذلك يعني السرية لانها تخفي ذهابها وهذا يقتضي انها
اخذت من السر ولا يصح لاختلاف المادة • وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه • وهي من مائة الى خمسمائة
فما زاد على خمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة • فان زاد على الثمانمائة سمي جيشا فان زاد على اربعة
الاف سمي جحفلا • والجيش الجيش العظيم وما افترق من السرية يسمى بعثا • والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر انتهى
ملخصا • وكان اول بعوثه صلى الله عليه وسلم على رأس سبعة اشهر في رمضان وقيل في ربيع الاول سنة اثنتين
وقيل بعد ربيع الآخر • بعث عمه حمزة وامره على ثلاثين رجلا من المهاجرين وقيل من الانصار • وفيه نظر لانه لم
يبعث احدا من الانصار حتى غزا بهم بدرا لانهم شرطوا له ان يمنعوه في دارهم فخرجوا يعترضون عير قريش فيها
ابو جهل اللعين فلقيه في ثلثمائة راكب فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن

مطلب تعدد غزوات النبي وتعدد سراياه

تنبيه

قد

عمرو الجهني وكان صلى الله عليه وسلم قد عقد له لواء ابيض واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به
موضع صاحب الجيش وقد يحمله امير الجيش • وقد يدفعه لمقدم العسكر • وقد صرح جماعة من اهل اللغة
بترادف اللواء والراية • لكن روى احمد والترمذي عن ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء
ولواؤه ابيض • ومثله عند الطبراني عن بريدة • وعند ابن عدي عن ابي هريرة رضي الله عنه وزاد فيه مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله • وهو ظاهر في التغاير فلعل التفرقة بينهما عرفية • وذكر ابن اسحق وكذا ابو الاسود عن
عروة ان اول ما حدثت الرايات يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية انتهى
ثم سرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية اشهر في ستين رجلا • وعقد له لواء
ابيض حمله مسطح بن اثاثة يلقى ابا سفيان ابن حرب وكان على المشركين • وقيل مكرز بن حفص وقيل عكرمة
ابن ابي جهل في مائتين ولم يكن بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص رمى بسهم فكان اول سهم رمي به في
الاسلام • قال ابن اسحق وكانت راية عبيدة فيما بلغنا اول راية عقدت في الاسلام • وبعض الناس
يقولون راية حمزة • قال وانما اشكل امرهما لانه عليه السلام بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس انتهى
وهذا يشكل بقولهم ان بعث حمزة كان على رأس سبعة اشهر لكن يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم عقد
رايتهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه والله اعلم • ثم سرية سعد بن ابي
وقاص الى الخرار بخاء معجمة وراءين مهملتين وهو واد بالحجاز يصب في الجحفة • وكان ذلك في ذي القعدة
على رأس تسعة اشهر وعقد له لواء ابيض حمله المقداد بن عمرو في عشرين رجلا يعترض عير القريش فخرجوا
على اقدامهم فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالامس • ثم غزوة ودان وهي الابواء
وهي اول مغازيه كما ذكره ابن اسحق • وفي البخاري عنه اولها الابواء خرج صلى الله عليه وسلم على رأس اثني عشر
شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا في ستين رجلا • وحمل اللواء حمزة ابن عبد المطلب فكانت الموادعة
اي المصالحة على ان ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عدوا واستعمل على المدينة سعد
ابن عبادة • وليس فيما وقع في سيرة ابن اسحق وبين ما نقله عنه البخاري اختلاف • لان الابواء وودان
مكانان متقاربان بينهما ستة اميال او ثمانية • ثم غزوة بواط بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو
وآخره مهملة وهي الثانية غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول على رأس ثلاثة عشر من الهجرة جبل من جبال جهينة
من ناحية رضوى بفتح الراء وسكون المعجمة مقصور في مائتين من اصحابه يعترض عير القريش فيهم امية بن خلف
الجمحي واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون فرجع ولم يلق كيدا اي حربا قال ابن الاثير والكيد الاحتيال
والاجتهاد وبه سميت الحرب الكيد • ثم غزوة العشيرة بالشين المعجمة والتصغير وآخره راء وفيها لم
يختلف اهل المغازي في ذلك • وفي البخاري العشير او العسيرة بالتصغير والاولى بالمعجمة بلا هاء والثانية
بالمهملة وبالهاء • واما غزوة العسرة بالمهملة بغير تصغير فهي غزوة تبوك • وستأتي ان شاء الله تعالى
ونسبت هذه الى المكان الذي وصلوا اليه وهو موضع لبني مدلج بينبع • وخرج اليها صلى الله عليه وسلم
في جمادى الاولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل مائتين رجلا ومعهم

ضمرة

مطلب في غزوة بواط والعشيرة

ثلثون بعيرا يعتقبونها وحمل اللواء وكان ابيض حمزة يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت ووادع بني مدلج من كنانة وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحق بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة فانهم آمنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصر على من رامهم الا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي اذا دعاهم اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد

غزوة بدر الاولى

قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلوة والسلام اي من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي وقال ابن حزم بعد العشيرة بعشرة ايام حتى اغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان بفتح المهملة والفاء وهو موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء علي بن ابي طالب رضه

ثم سرية امير المومنين عبد الله بن جحش

في رجب على سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية وقيل اثنا عشر من المهاجرين الى نخلة على ليلة من مكة فيه ترصد قريشا فمرت به عير لهم تحمل زبيبا وادما من الطائف فيها عمرو بن الحضرمي فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم من رجب فان قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر وان تركناهم الليلة دخلوا مكة فاجمعوا على قتلهم فقتلوا عمرا واستأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب نوفل واستاقوا العير فكانت اول غنيمة في الاسلام فقسمها ابن جحش وعزل الخمس وذلك قبل ان يفرض وقيل بل قدموا بالغنيمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام فاخر الاسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها وتكلمت قريش ان محمدا سفك الدماء واخذ المال في الشهر الحرام فانزل الله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية وفي ذلك يقول عبد الله بن جحش رضي الله عنه تعدون قتلا في الحرام عظيمة واعظم منه لو يرى الرشد راشد صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد سقينا من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما اوقد الحرب واقد وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ففداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الحكم فاسلم وحسن اسلامه واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا

ثم حولت القبلة الى الكعبة

وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الى بيت المقدس ستة عشر وقيل سبعة عشر وقيل ثمانية عشر شهرا وقال الحربي قدم صلى الله عليه وسلم المدينة في ربيع الاول فصلى الى بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة اثنتين ستة اشهر ثم حولت القبلة وقيل كان تحويلها في جمادى وقيل كان يوم الثلثاء في نصف شعبان وقيل يوم الاثنين نصف رجب وظاهر حديث البراء في البخاري انها كانت صلوة العصر ووقع عند النسائي من رواية ابي سعيد بن المعلى انها الظهر واما اهل قبا فلم يبلغهم الخبر الى صلوة الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين عن ابن عمر قال بينا الناس بقبا في صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي هذا دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله لانهم لم يؤمروا باعادة العصر

والمغرب والعشاء والله اعلم وروى الطبراني عن ابن عباس لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود اكثر اهلها يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت قال في فتح الباري وظاهر حديث ابن عباس هذا ان استقبال بيت المقدس انما وقع بعد الهجرة الى المدينة لكن اخرج احمد من وجه آخر عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه قال والجمع بينهما ممكن بان يكون امر لما هاجر ان يستمر على الصلوة لبيت المقدس واخرج الطبري ايضا من طريق ابن جريج قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلث حجج ثم هاجر فصلى اليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله تعالى الى الكعبة قوله في حديث ابن عباس الاول امره الله يرد قول من قال انه صلى الى بيت المقدس باجتهاد وعن ابي العالية انه صلى الى بيت المقدس يتألف اهل الكتاب وهذا لا ينفي ان يكون بتوقيف واختلفوا في المسجد الذي كان يصلي فيه فعند ابن سعد في الطبقات انه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثم امر ان يتوجه الى المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون ويقال انه عليه الصلوة والسلام زار ام بشر بن البراء ابن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وكانت الظهر فصلى عليه السلام باصحابه ركعتين ثم امر فاستدار الى الكعبة واستقبل الميزاب فسمي مسجد القبلتين قال ابن سعد قال الواقدي هذا عندنا اثبت ولما حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك و قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله سبحانه جوابهم في قوله قل لله المشرق والمغرب اي الحكم والتصرف والامر كله لله فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال امره ولو وجهنا كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصريفه وخدامه حيث ما وجهنا توجهنا ولله تعالى بنبينا صلى الله عليه وسلم وبامته عناية عظيمة اذ هداهم الى قبلة خليله قال عليه السلام فيما رواه احمد من حديث عائشة رضه ان اليهود لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين وقال بعض المؤمنين كيف صلوتنا التي صليناها نحو بيت المقدس وكيف من مات من اخواننا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله سبحانه وما كان الله ليضيع ايمانكم وقيل قالت اليهود اشتاق الى بلد ابيه وهو يريد ان يرضي قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبي الذي ننتظر ان يأتي فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني ان اليهود الذين انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهك اليها بما في كتبهم عن انبيائهم

ثم فرض صيام شهر رمضان

بعد ما حولت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان على راس ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه السلام وزكوة الفطر بيومين ان تخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر او صاع من شعير او صاع من زبيب او صاع من بر وذلك قبل ان تفرض زكوة الاموال وقيل ان الزكوة فرضت فيها وقيل قبل

غزوة بدر الكبرى

الهجرة والله اعلم ثم غزوة بدر الكبرى وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهي قرية
مشهورة تنسب الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر بن الحارث حافر بئرها وقيل بدر اسم
البئر التي بها سميت لاستدارتها ولصفاء مائها ورؤية البدر فيها وقول ابن كثير وهو يوم الفرقان
الذي اعز الله فيه الاسلام واهله ودفع فيه الشرك وخرب محله وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو
مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزايد فاعز الله رسوله
واظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقبيله واخزى الشيطان وجيله ولهذا
قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اي قليل عددكم
لتعلموا ان النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد انتهى فقد كانت هذه الغزوة اعظم
غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها اشرق على الافاق نوره ومن حين وقوعها اذل الله
الكفار واعز من حضرها من المسلمين فهو عنده من الابرار وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من
رمضان على راس سبعة عشر شهرا وقيل لثمان خلون منه قال ابن هشام واستخلف ابا لبابة الانصاري
وخرج معه الانصار ولم يكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة من خرج معه ثلثمائة وخمسة وثمانية
لم يحضروها انما ضرب لهم بسهمهم واجرهم فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلثة افراس بعزجة فرس المقداد
ويعسوب فرس الزبير وفرس لمرثد الغنوي وكان معهم سبعون بعيرا وكان المشركون الفا وقيل تسعمائة وخمسين
رجالا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل يوم
الاثنين وقيل غير ذلك وكانت من غير قصد من المسلمين لها ولا ميعاد كما قال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم
في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش و
ذلك ان ابا سفيان كان في الشام في ثلثين راكبا منهم عمرو بن العاص فاقبلوا في قافلة عظيمة فيها اموال قريش
حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو
وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فلما سمع ابو سفيان بسيره عليه السلام
استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري ان ياتي قريشا بمكة فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم في اصحابه فنهضوا
في قريب من الف مقنع ولم يتخلف احد من اشراف قريش الا ابا لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى بلغ الروحاء فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم فاستشار
النبي صلى الله عليه وسلم في طلب العير وحرب النفير وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش
وكانت العير احب اليهم فقام ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد فقال يا رسول الله
امض لما امرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون ولكن اذهب انت وربك انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد
يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم
قال عليه السلام ايها الناس وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من

ذمامك

ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه انفسنا وابناءنا
ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة
من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه السلام قال سعد بن معاذ
والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان نلقى
عدونا انا لصبر عند الحرب وصدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على
بركة الله تعالى فسر عليه الصلوة والسلام بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله
تعالى وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الآن انظر الى مصارع القوم
وفي ثابت عن انس قال صلى الله عليه وسلم هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض هاهنا وهاهنا قال فما ماط
احدهم اي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلوة والسلام تنبيه قال ابن سيد الناس في عيون
الاثر روينا من طريق مسلم ان الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما يعرف ذلك عن
سعد بن معاذ كذلك رواه ابن اسحق وغيره والمختلف فيه هو سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن
عقبة ولا ابن اسحق في البدريين وذكره الواقدي وابن الكلبي منهم انتهى ثم ارتحل عليه السلام
قريبا من بدر ونزل قريش بالعدوة القصوى من الوادي ونزل المسلمون على كثيب اعفر تسوخ فيه
الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القلب لانفسهم واصبح المسلمون
بعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم الظما وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم
قال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش
وتصلون محدثين ومجنبين وما ينتظر اعداؤكم الا ان يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم
فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤا
وسقوا الركاب وملؤا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت
عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
اي من الاحداث والجنابات ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت
به الاقدام حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الارض وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه ثم
خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا الى المبارزة فخرج اليه
فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وامهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط
من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال صلى الله عليه وسلم
قم يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم فتسموا لهم فقالوا نعم اكفاء كرام
فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة ابن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد

ابن عتبة فقتل علي الوليد هكذا ذكره ابن اسحق • وعند موسى بن عقبة كما نقله في فتح الباري برز
حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد • ثم اتفقا فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه واختلف
عبيدة ومن بارزه ضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال حمزة وعلي على الذي بارز عبيدة فاعانا
على قتله • وعند الحاكم من طريق عبد خير عن علي مثل قول موسى بن عقبة • وعند ابي الاسود عن عروة مثله
واورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني ان شيبة لحمزة وعبيدة لعتبة وعليا للوليد ثم قال الثبت ان
عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة • واخرج ابو داود عن علي قال تقدم عتبة وتبعه ابنه واخوه فنادى من يبارز
فانتدب له شبان من الانصار فقال من انتم فاخبروه فقال لا حاجة لنا فيكم انما اردنا بني عمنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة فاقبل حمزة الى عتبة واقبلت الى شيبة واختلف
بين عبيدة والوليد ضربتان فاثخن كل واحد صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة •
قال الحافظ ابن حجر وهذا اصح الروايات لكن الذي في السير من ان الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور وهو اللائق
بالمقام لان عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين وقد روى الطبراني
باسناد حسن عن علي قال اعنت انا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي صلى الله
علينا ذلك • وهذا موافق لرواية ابي داود والله اعلم انتهى • قال ابن اسحق ثم تزاحف الناس ودنا
بعضهم من بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ومعه ابو بكر ليس معه فيه غيره وهو عليه السلام
يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الايمان اليوم فلا تعبد
في الارض وابو بكر يقول يا رسول الله خل بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك • وعند سعيد بن منصور
من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين
وتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه فقال صلى الله عليه وسلم وهو
في صلوته اللهم لا تخذلني اللهم انشدك ما وعدتني • وروى النسائي والحاكم عن علي قال قاتلت يوم بدر
شيئا من قتال ثم جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده يا حي يا قيوم فرجعت فقاتلت ثم جئت
فوجدته كذلك • وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق اخذت
رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ مبتسما فقال ابشر يا ابا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع
ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر فان قلت كيف جعل ابو بكر يأمره عليه السلام بالكف
عن الاجتهاد في الدعا ويقوي رجاه ويثبته ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين
كل احد اجاب السهيلي بان الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف
لان لله تعالى ان يفعل ما يشاء فخاف ان لا يعبد الله في الارض بعدها فخوفه ذلك عبادة انتهى • وقال الخطابي لا يتوهم
احد ان ابا بكر كان اوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته
على اصحابه وتقوية قلوبهم فبالغ في التوجه والدعا والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون ان
وسيلته مستجابة فلما قال ابو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم انه استجيب لما وجد ابو بكر في نفسه من القوة

لحمزة لشيبة

الوليد بن عتبة

النقع الغبار

والطم

والطمأنينة ولهذا عقبه بقوله سيهزم الجمع ويولون الدبر • وكان النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة
في مقام الخوف وهو اكمل حالات الصلوة وجاز عنده ان لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا
لتلك الواقعة وانما كان مجملا هذا هو الذي يظهر • وانما قال عليه السلام اللهم ان تهلك هذه العصابة
من اهل الاسلام فلا تعبد بعد اليوم لانه علم انه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لا يبعث احد
ممن يدعو الى الايمان • واما شدة اجتهاده عليه الصلوة والسلام ونصبه في الدعا فانه راى الملائكة
تنصب في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وانصار الله يخوضون غمرات الموت • والجهاد على ضربين جهاد
بالسيف وجهاد بالدعاء • ومن سنة الامام ان يكون وراء الجند لا يقاتل معه فكان الكل في جد واجتهاد
ولم يكن ليخلي نفسه من احد الجدين والجهادين وانصار الله وملائكته يجتهدون ولا ليؤثر الدعة وحزب الله
مع اعدائه يجتلدون انتهى • وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب رض لما كان يوم بدر نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فدخل العريش فاستقبل القبلة
ومد يديه وجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه
عن منكبيه واخذ ابو بكر رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك
فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم مرسل اليكم مددا
بالف من الملائكة مردفين متتابعين بعضهم في اثر بعض • وعلى قراءة فتح الدال معناه اردف الله المسلمين وجاء
بهم مددا وفي الاية الاخرى بثلثة الاف من الملائكة منزلين • فقيل في معناه ان الالف اردفهم بثلثة الاف
فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين لمن وراءهم والالف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين وهم الذين قال
لهم فثبتوا الذين امنوا وكانوا في صور الرجال ويقولون للمؤمنين اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم
وقال الربيع ابن انس امد الله المسلمين بالف ثم صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة الاف • وقال سعيد بن ابي عروبة
عن قتادة امد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة الاف • وعن عامر الشعبي ان المسلمين بلغهم يوم بدر ان كرز بن
جابر يمد المشركين فشق عليهم ذلك فانزل الله تعالى الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين
الى قوله مسومين • قال فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين وقد امد المسلمون بالخمسة • وعن ابن
عباس رض جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اقبل جبريل والملائكة كان يده في يد
رجل من المشركين فانتزع يده ثم نكص على عقبيه فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك جار فقال اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب • وروي ان جبريل نزل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة
في صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم
وقال ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر • وعن علي رض كانت
سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض • وكان سيماهم ايضا في نواصي خيلهم • رواه ابن ابي حاتم
وروى ابن مردويه عن ابن عباس رفعه في قوله تعالى مسومين قال معلمين • وكانت سيما الملائكة

يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم حمر • وروى ابن ابي حاتم عن الزبير ان الملائكة نزلت وعليهم
عمائم صفر • قيل ولم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر من الايام • وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا
وبذلك صرح العماد بن كثير في تفسيره • فقال المعروف من قتال الملائكة انما كان يوم بدر • ثم روي
عن ابن عباس رض قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر • وقال ابن مرزوق ولم يكن تقاتل في غيرها بل
يحضرون خاصة على المختار من الاقوال عند بعضهم • وفي نهاية البيان في تفسير القرآن عند تفسير
قوله تعالى ويوم حنين وهل قاتلت الملائكة يومئذ ام لا فيه قولان احدهما وهو قول الجمهور انها
لم تقاتل انتهى • وهذا يرده حديث مسلم في صحيحه عن سعد بن ابي وقاص انه رأى عن يمين رسول الله عليه السلام
وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل يقاتلان كاشد
القتال • وفيه ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء بل تكون للصحابة والاولياء ايضا • قال النووي فيه بيان
كرامة النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة تقاتل معه • وبيان ان قتالهم لم يختص بيوم بدر • قال وهذا هو الصواب
خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه • قال ابن الانباري وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل
الآدميون فعلمهم الله تعالى بقوله فاضربوا فوق الاعناق اي الرؤوس واضربوا منهم كل بنان • قال ابن عطية
كل مفصل • قال السهيلي جاء في التفسير انه ما وقعت ضربة يوم بدر الا في رأس او مفصل وكانوا يعرفون
قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود في الاعناق والبنان • وعن ابن عباس قال حدثني رجل من بني غفار
قال اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا في جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدبرة
فننتهب مع من ينتهب فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم
حيزوم • فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه • واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت • رواه
البيهقي وابو نعيم • والدبرة بكون الموحدة الهزيمة في القتال • وحيزوم اسم فرس جبريل قاله في القاموس
وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى
المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف • رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم • قيل
للشيخ تقي الدين السبكي سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر على
ان يدفع الكفار بريشة من جناحه • فقال ذلك لارادة ان يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب التي اجراها الله تعالى في عباده
والله فاعل الجميع انتهى • ولما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به
في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا وقتل الله
من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم • وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة
في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا • وقد روي
عن غير واحد انها نزلت في رميه عليه السلام يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين ايضا كما

كما سيأتي ان شاء الله تعالى • وقد اعتقد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل الرسول واضافته الى الله
تعالى وجعلوا ذلك اصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد • وتحقيق نسبتها الى الرب وحده
وهذا غلط منهم في فهم القرآن ولو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ صليت ولا صمت اذ
صمت ولا فعلت كل ذلك اذ فعلت ولكن الله فعل ذلك فان طردوه لزمهم في افعال العباد طاعتهم
ومعاصيهم اذ لا فرق • وان خصوه بالرسول وحده وافعاله جميعها او رميته وحده ناقضوا فهؤلاء
لا يوقعوا الفهم ما اريد بالآية • ومعلوم ان تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه
صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمي وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايته وهو الايصال فاضاف اليه
رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته • ونظير هذا في الآية
نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاخبر انه تعالى وحده
هو الذي تفرد بايصال الحصباء الى اعينهم ولم يكن برسوله • ولكن وجه الاشارة بالآية انه سبحانه
اقام اسبابا تظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصر مضافا اليه وبه وهو خير الناصرين
قال ابن اسحق وقاتل عكاشة بن محصن الاسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال له قاتل به فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة
شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين • وكان ذلك السيف يسمى العون ثم
لم يزل يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده • وجاءه عليه السلام يومئذ فيما
ذكره القاضي عياض عن ابن وهب معاذ بن عمرو يحمل يده ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلدة فبصق عليها
عليه السلام فلصقت • قال ابن اسحق ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان رض • وعن عروة بن الزبير
وعن عائشة رض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى ان يطرحوا في القليب فطرحوا فيه الا ما كان
من امية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأها فالقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة • وانما القوا
في القليب ولم يدفنوا لانه صلى الله عليه وسلم كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار ان يأمرهم
بدفنهم فكان جرهم الى القليب ايسر عليهم • وفي الطبراني عن انس بن مالك قال انشأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن اهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله قال عمر والذي
بعثه بالحق ما اخطأوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان
ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله
حقا • وفي رواية فنادى يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام
وفي بعضه نظر لان امية بن خلف لم يكن في القليب لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ فالقوا عليه من الحجارة
والتراب ما غيبه لكن يجمع بينهما بانه كان قريبا من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم •
وقال ابن اسحق حدثني بعض اهل العلم انه عليه الصلاة والسلام قال يا اهل القليب بئس العشيرة انتم
كنتم لي كذبتموني وصدقني الناس فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها

فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيئا • وتاولت عائشة ذلك فقالت انما اراد النبي صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون ان الذي اقول لهم الحق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى الآية فقولها يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا لقولها انهم الآن ليعلمون • وقال قتادة احياهم الله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة • وفيه رد على من انكر انهم يسمعون كما روى عن عائشة رض ومن الغريب ان في بعض المغازي لابن اسحق رواية يونس بن بكير باسناد جيد عن عائشة رض حديثا وفيه ما انتم باسمع لما اقول منهم • واخرجه الامام احمد باسناد حسن فان كان محفوظا فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها في رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة • وقال الاسمعيلي كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل الى رد رواية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه او تخصيصه او استحالته فكيف والجمع بين الذي انكرته واثبته غيرها ممكن لان قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافي قوله عليه السلام انهم الآن ليسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع في اذن السامع فالله تعالى هو الذي اسمعهم بان ابلغهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك • واما جوابها بانه انما قال انهم ليعلمون فان كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها وقال السهيلي ما محصله ان في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له اتخاطب اقواما قد جيفوا فاجابهم بما اجابهم • قال واذا جاز ان يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز ان يكونوا سامعين وذلك اما باذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد او الى بعضه عند المسألة وهو قول اكثر اهل السنة • واما باذان القلب او الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال الى الروح من غير رجوع الى الجسد او الى بعضه قال وقد روى عن عائشة رض انها احتجت بقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير وهذه الآية كقوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمى ان الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة الى اذان القلوب لا انت • وجعل الكفار امواتا وصما على التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا احد فاذا لا تعلق بالآية من وجهين احدهما انما نزلت في دعاء الكفار الى الايمان • الثاني انه انما نفى عن نبيه ان يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير • انتهى • ولقد احسن العلامة ابن جابر حيث قال • بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله • كواكب في افق الكواكب تجتلي • وجبريل في جند الملائك دونه • فلم تغن اعداد العدو المخذل • رمى بالحصا في اوجه القوم رمية • فشردهم مثل النعام المجفل • وجادلهم بالمشرفي فسلموا • فجادله بالنفس كل مجدل • عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع • حديثهم في ذلك اليوم من علي • هم عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا • فذاق الوليد الموت ليس له ولي • وشيبة لما شاب خوفا تبادرت • اليه العوالي بالخضاب المعجل • وجاء ابو جهل فحق جهاله • غداة تردى بالردا عن تذلل • فاضحى قليبا في القليب وقومه • يؤمونه فيها الى شر منهل • وجاءهم خير الانام موبخا • فقنع من اسماعهم كل مغفل • واخبر ما انتم باسمع منهم • ولكنهم لا يجدون بقول • سلام عليهم يوم التلاق اذ تضاحكوا • فعاد بكا

ما جلا لم يتجلّ • الم يعلموا اعلم اليقين بصدقه • ولكنهم لا يرجعون بمعقل • فيا خير خلق الله جاهك ملجأي • وحبك ذخري في الحساب وموئلي • عليك صلوة تشمل الآل عرفها • واصحابك الاخيار اهل التفضل • وحكى العلامة ابن مرزوق ان ابن عمر رض مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويئن • فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رض فلا ادري اعرف اسمي ام كما الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر • وروى الطبراني في الاوسط • قال ومن آيات بدر الباقية ما كنا نسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر اهل الايمان • قال وربما انكرت ذلك وربما تاولته بان الموضع لعله صلب فيستجيب في حوافر الدواب فكان يقال الى انه دهس رمل غير صلب • وغالب ما يسير هنالك الابل واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمال • قال ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة امشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت تلك الخبر الذي كنت اسمع فما راعني وانا اسير في الهاجرة الا وواحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول اتسمعون الطبل فاخذني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت اخبرت به • وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وانا دهش مما اصابني من الفرح او الهيبة او ما الله اعلم به • فشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي بيدي وحدث مثل هذا الصوت وانا حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة فالقيت العود من يدي وجلست الى الارض او ثبت قائما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا او صوتا لا اشك فيه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سايرون الى مكة المشرفة • ثم نزلنا ببدر فظللت اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة • قال ولقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس • انتهى • وروى الطبراني من حديث ابي اليسر انه اسر العباس • وقال للعباس وكان جسيما كيف اسرك ابو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر في عيني كالخندمة وهي بالخاء المعجمة جبل من جبال مكة • قاله في القاموس • ولما ولي عمر بن الخطاب وثاق الاسرى شد وثاق العباس فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يئن فلم يأخذه النوم فبلغ الانصار ذلك فاطلقوا العباس فكان الانصار فهموا رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه وسألوا ان يتركوا له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم • وفي حديث انس عند الامام احمد استشار صلى الله عليه وسلم الناس في الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم • فاعرض عنه عليه السلام ثم عاد فقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله قد امكنكم منهم • فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه السلام فعل ذلك ثلثا • فقام ابو بكر الصديق رض فقال يا رسول الله ان تعفو عنهم وان تقبل منهم الفداء • فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفى وقبل منهم الفداء • قال وانزل الله تعالى لولا كتاب من الله

الاسود الحية العظيمة

اي صوت

اي من جانب اليمن

سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الاية وياتي الكلام عليها في النوع العاشر في ازالة الشبهات عن الايات المشكلات من المقصد السادس ان شاء الله تعالى • واخرج ابن اسحق حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال يا عباس افد نفسك وابني اخيك عقيل ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو • قال اني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني قال الله اعلم بما تقول ان يك ما تقول حقا فان الله يجزيك • ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا • وذكر موسى بن عقبة ان فداهم كان اربعين اوقية ذهبا • وعند ابي نعيم في الدلائل باسناد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنه انه جعل على الناس مائة اوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له العباس اللقرابة صنعت هذا فانزل الله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى الاية فقال العباس وددت لو كنت اخذت مني اضعافها لقوله تعالى يؤتكم خيرا مما اخذ منكم وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ستة من الخزرج واثنان من الاوس تنبيه لا يقدح في وعد الله سبحانه ان استشهد هؤلاء الصحابة وانما هذا الوعد لقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا فكان وعد الله مفعولا ونصره ناجزا والحمد لله تعالى • وقتل من المشركين سبعون واسر سبعون وكان من افضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكل اسلم وكان العباس فيما قاله اهل العلم بالتاريخ قد اسلم قديما وكان يكتم ايمانه واسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة • وقيل انه اسلم يوم بدر فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه حين فتح مكة وبه ختمت الهجرة • وقيل اسلم قبل فتح خيبر • وقيل يكتم اسلامه واظهره يوم فتح مكة • وكان اسلامه قبل بدر • وكان يكتب باخبار المشركين الى النبي عليه الصلوة والسلام • وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه النبي عليه السلام ان مقامك بمكة خير لك • وقيل ان سبب اسلامه انه خرج لبدر بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فابى • وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس تركتني اتكفف قريشا فقال له عليه الصلوة والسلام فاين الذهب الذي دفعته لام الفضل وقت خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني ربي فقال اشهد انك صادق فان هذا لم يطلع عليه الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بدر في اخر رمضان واول يوم من شوال بعث زيد بن حارثة بشيرا فوصل المدينة ضحى وقد نفضوا ايديهم من تراب رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الصحيح في وفاة رقية • وقد روي انه صلى الله عليه وسلم شهد دفن بنته رقية فقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال ايكم لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فامره ان ينزل قبرها • وانكر البخاري هذه الرواية و خرج الحديث في الصحيح فقال فيه عن انس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها • وذكر الطبراني انها ام كلثوم فحصل في حديث الطبراني التبيين • ومن قال كانت رقية

فقد

فقدوهم • وكان عثمان رضي الله عنه قد تخلف لاجل رقية زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره • وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب بقتل عقبة بن ابي معيط فقتله صبرا • ثم اقبل عليه الصلوة والسلام قافلا الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين واحتمل النفل الذي اصيب منهم • وجعل عليه عبد الله بن كعب من بني مازن فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين على السواء • وامر عليا بالصفراء بقتل النضر بن الحارث ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى دخل المدينة قبل الاسارى بيوم فلما قدموا فرقهم بين اصحابه • وقال استوصوا بهم خيرا وقد استقر الحكم في الاسارى عند الجمهور من العلماء ان الامام مخير فيهم بان شاء قتل كما فعل صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وان شاء فادى بمال كما فعل باسارى بدر وان شاء استرق من اسر هذا مذهب الشافعي و طائفة من العلماء • وفي المسئلة خلاف اخر مقرر في كتب الفقه • والله اعلم ولما قدم ابو سفيان ابن الحارث من بدر لمكة ساله ابو لهب عن خبر قريش فقال ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا • وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها شيء • قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما للعباس بن عبد المطلب قال وكان الاسلام قد دخلنا فقلت له والله تلك الملائكة فرفع ابو لهب يده فضربني في وجهي ضربة فقامت ام الفضل الى عمود فضربت راس ابي لهب وقالت استضعفته ان غاب عنه سيده قال فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة • وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها • وقيل انها تعدي اشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه • وقال ابن عقبة اقام على قتلى قريش شهرا • ثم سرية عمير بن عدي الخطمي وكانت لخمس ليال بقين من رمضان على راس تسعة عشر شهرا من الهجرة الى العصماء بنت مروان زوج يزيد بن زيد الخطمي وكانت تعيب الاسلام و تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها ليلا وكان اعمى فدخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله عليه وسلم بالمدينة واخبره بذلك • فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يعارض فيها معارض ولا يسال عنها فانها هدر قالوا وهذا من الكلام المفرد الموجز البليغ الذي لم يسبق عليه الصلوة والسلام في ذلك نظير ان شاء الله تعالى • وفي اول شوال صلى صلوة الفطر وفي اول شوال ايضا • وقيل بعد بدر بسبعة ايام وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه السلام يريد بني سليم فبلغ ماء يقال له الكدر ويعرف بغزوة قرقرة وهي ارض ملسا والكدر طير في لونها كدرة عرف بها ذلك الموضع فاقام عليه الصلوة والسلام ثلاثا وقيل عشرا فلم يلق احدا وكانت غيبته عليه السلام خمس عشرة ليلة • واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقيل ابن ام مكتوم وحمل اللواء علي بن ابي طالب رضي الله عنه وذكرها سعد بعد غزوة السويق ثم سرية سالم بن عمير الى ابي عفك اليهودي • وكان شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة • وكان يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه

مطلب غزوة بني قينقاع

الثغر فاقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش فصاح عدو الله ابو عفك فثار اليه ناس ممن هو على قوله فادخلوه منزله فقتل وكانت هذه السرية في شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة • ثم غزوة بني قينقاع بتثليث النون والضم اشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانت يوم السبت نصف شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة • وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم على ثلثة اقسام قسم وادعهم عليه الصلوة والسلام على ان لا يحاربوه ولا يوالبوا عليه عدوهم وهم طوايف اليهود الثلثة قريظة والنضير وبنو قينقاع • وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش • وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول اليه امره كطوايف من العرب • فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة • وبالعكس كبني بكر • ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون وكان اول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم عليه الصلوة والسلام في شوال بعد وقعة بدر كذا قال الواقدي بشهر • واغرب الحاكم فزعم ان اجلاء بني قينقاع واجلاء النضير كان في زمن واحد • ولم يوافق على ذلك لان اجلاء بني النضير كان بعد بدر بستة اشهر على قول عروة او بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحق وكان من امر بني قينقاع ان امرءة من العرب جلست الى الصايغ يهودي فراودها على كشف وجهها فابت فعمد الصايغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصايغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع فسار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان استخلف ابا لبابة بن عبد الله بن المنذر فحاصرهم اشد الحصار خمسة عشر ليلة الى هلال ذي القعدة وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان ابيض فقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان له اموالهم وان لهم النساء والذرية • فامر عليه الصلوة والسلام المنذر بن قدامة بتكتيفهم وكلم عبد الله بن ابي بن سلول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم والح عليه من اجلهم فامر عليه السلام ان يجلوا وتركهم من القتل وامر بان يجلوا من المدينة فلحقوا باذرعات فما كان اقل بقائهم فيها واخذ من حصنهم سلاحا والة الصياغة • وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن ابي وعبادة بن الصامت فتبرء عبادة من حلفهم فقال يا رسول الله ابترء الى الله والى رسوله من حلفهم واتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرء من حلف الكفار وولايتهم ففيه وفي عبد الله انزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون • ثم غزوة السويق في ذي الحجة يوم الاحد لخمس خلون منها على راس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وقال ابن اسحق في صفر • وسميت غزوة السويق لانه كان اكثر زاد المشركين وغنمه المسلمون واستخلف ابا لبابة وكان سبب هذه الغزوة ان ابا سفيان حين رجع بالعير من بدر الى مكة نذر ان لا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمدا فخرج في مايتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى اتوا العريض ناحية من المدينة على ثلثة اميال فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الانصار فرأى ابو سفيان ان قد انحلت يمينه فانصرف بقومه راجعين • وخرج عليه الصلوة في طلبهم في مايتين من المهاجرين والانصار وجعل ابو سفيان واصحابه يلقون جرب السويق وهي عامة ازوادهم يتخففون للهرب فياخذها

السويق

تزويج علي بفاطمة

المسلمون ولم يلحقهم صلى الله عليه وسلم فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة ايام • وفي ذي الحجة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد وامر بالاضحية • وفيه مات عثمان بن مظعون وفي شوال ولد عبد الله بن الزبير • وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمة رضي الله عنهما كما قال الحافظ مغلطاي وغيره • وقال الطبري في كتابه ذخاير العقبى في مناقب ذوي القربى تزوجها في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا من التاريخ وقال ابو عمر بعد وقعة احد • وقال غيره بعد بنائه صلى الله عليه وسلم بعايشة باربعة اشهر ونصف • وبنى بها بسبعة اشهر ونصف وتزوجها وهي ابنة خمسة عشر سنة وخمسة اشهر او ستة ونصف • وسنه يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت رضي الله عنها • وعن انس قال جاء ابو بكر ثم عمر رض يخطبان فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيئا فانطلقا الى علي يامرانه بطلب ذلك قال علي فنبهاني لامر فقمت اجر ردائي حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة قال وعندك شيء قلت فرسي وبدني قال اما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها فبعتها باربع مائة وثمانين فجئته بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة فقال اي بلال ابتع لنا بها طيبا وامرهم ان يجهزوها فجعل لها سرير مشرط ووسادة من ادم حشوها ليف • وقال لعلي اذا اتتك فلا تحدث شيئا حتى اتيك فجاءت مع ام ايمن حتى قعدت في جانب البيت وانا في جانب وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ههنا اخي قالت ام ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت الى قعب في البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين يديها وعلى راسها وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي ثم قال ادخل باهلك بسم الله والبركة • اخرجه ابو حاتم واحمد في المناقب بنحوه • وفي حديث انس عند ابي الخير القزويني الحاكمي خطبها علي بعد ان خطبها ابو بكر ثم عمر فقال عليه السلام قد امرني ربي بذلك • قال انس ثم دعاني عليه الصلوة والسلام بعد ايام فقال لي يا انس ادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الانصار فلما اجتمعوا واخذوا مجالسهم وكان علي غايبا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته • المعبود بقدرته • المطاع بسلطانه • المرهوب من عذابه وسطوته • النافذ امره في سمائه وارضه • الذي خلق الخلق بقدرته • وميزهم باحكامه • واعزهم بدينه • واكرمهم بنبيه محمد • ان الله تبارك اسمه وتعالى عظمته • جعل المصاهرة سببا لاحقا • وامرا مفترضا اوشج به الارحام والزم الانام • فقال عز من قائل والذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا • فامر الله تعالى يجري الى قضائه • وقضاؤه يجري الى قدره • ولكل قضاء قدر • ولكل قدر اجل • ولكل اجل كتاب • يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب • ثم ان الله تعالى امرني ان ازوج فاطمة من علي بن ابي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على اربعمائة مثقال فضة ان رضي علي بذلك • ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله عز وجل امرني ان ازوجك

خطبة النكاح

فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ارضيت بذلك فقال قد رضيت يا رسول الله فقال عليه السلام جمع الله
شملكما واعز جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا • قال انس فوالله لقد اخرج منهما الكثير الطيب
• والعقد لعلي وهو غائب محمول على انه كان له وكيل حاضر او على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه
لما حضر او على تخصيصه بذلك جمعا بين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور • واخرج الدولابي
عن اسما قال لقد اولم علي على فاطمة فما كان وليمة في ذلك الزمان افضل من وليمته رهن درعه عند يهودي
بشطر شعير وكانت وليمته آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس التمر والاقط • واخرج احمد المناقب
عن علي كان تجهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة من ادم حشوها ليف • ثم سرية محمد
ابن مسلمة واربعة معه الى كعب بن الاشرف اليهودي لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على راس
خمسة وعشرين شهرا من الهجرة • وروى ابو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن وهب بن مالك عن ابيه ان كعب بن الاشرف كان شاعرا يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض
عليه كفار قريش • وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط فاراد استصلاحهم
وكان اليهود والمشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر فلما ابى كعب بن الاشرف ان ينزع
عن اذاه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ان يبعث رهطا ليقتلوه • وفي رواية قال
عليه السلام من لنا بابن الاشرف • وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن
بعداوتنا وهجائنا • وقد خرج الى قريش فجمعهم على قتالنا وقد اخبرني الله بذلك ثم قرأ على المسلمين
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله • وفي الاكليل فقد اذانا بشعره وقوى المشركين • وفي رواية
ابن اسحق فقال محمد بن مسلمة اخو بني عبد الاشهل انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت
على ذلك قال يا رسول الله انه لابد لنا ان نقول قال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله
محمد بن مسلمة • وابو نايلة بنون وبعد الالف تحتية سلكان بن سلامة وكان اخا كعب من الرضاع وعباد
ابن بشر • والحارث بن اوس بن معاذ • وابو عبس بن جبر • وهؤلاء الخمسة من الاوس • وفي رواية ابن سعد فلما
قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام عليه الصلوة تلك الليلة يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف
ان قد قتلوه ثم انتهوا اليه فقال افلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله
على قتله • وفي كتاب شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعبا حملوا رأسه في مخلاة الى المدينة فقيل انه اول
رأس حمل في الاسلام • واصاب ذباب السيف الحارث بن اوس فجرح ونزف الدم فتفل عليه الصلاة والسلام على جرحه
فلم يؤذه • ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بفتح الهمزة والميم وسماها الحاكم
غزوة انمار • وهي بناحية نجد وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الاول على راس خمس وعشرين شهرا من الهجرة
وسببها ان جمعا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة وجمعهم دعثور بن الحارث المحاربي • وسماه الخطيب
غورث • وغيره غورك • وكان شجاعا فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين • وخرج في اربعمائة وخمسين فارسا

مطلب غزوة غطفان ونجران وغزوة احد

واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا بمهبطه عليه السلام هربوا في رؤوس الجبال فاصاب
رجلا منهم يقال له جبار من بني ثعلبة فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الاسلام فاسلم وضم
الى بلال • واصاب النبي صلى الله عليه وسلم مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم
ينظرون فقالوا لدعثور قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيف حتى قام على راسه عليه السلام فقال من
يمنعك مني اليوم • فقال صلى الله عليه وسلم الله فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فاخذه عليه السلام
فقال من يمنعك مني قال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله • ثم اتى قومه فدعاهم
الى الاسلام وانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم الاية • ويقال كان ذلك في ذات الرقاع • ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا و
كانت غيبته احدى عشرة ليلة • غزوة بحران ويسمى غزوة بني سليم من ناحية الفرع بضم الفاء
والراء كما قيده السهيلي • وسببها انه بلغه عليه السلام ان بها جمعا كثيرا من بني سليم فخرج في ثلثمائة
رجل من اصحابه فوجدهم قد تفرقوا في مياههم فرجع ولم يلق كيدا • وكان قد استعمل على المدينة ابن ام
مكتوم كما قال ابن هشام • وكانت غيبته عشر ليال • سرية زيد بن حارثة الى القردة بفتح القاف
المفتوحة وسكون الراء • وقيل بالفاء وكسر الراء كما ضبطه ابن الفرات اسم ماء من مياه نجد • وسببها
كما قال ابن اسحق ان قريشا خافوا من طريقهم التي يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان
فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم ابو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة • وعند ابن سعد بعثه
صلى الله عليه وسلم لهلال جمادى الاخرة على راس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة في مائة راكب يعترض عيرا
لقريش فيها صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وانية فضة فاصابوها وقدموا
بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين الف درهم وعند مغلطاي خمسة
وعشرين الف درهم • وذكرها ابن اسحق قبل قتل ابن الاشرف • غزوة احد وهو جبل مشهور
بالمدينة على اقل من فرسخ منها • وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال اخر هناك ويقال ذو عينين
قاله في القاموس بكسر العين وبفتحها • سمي جبل باحد انتهى • وهو الذي قال عليه الصلوة والسلام
احد جبل يحبنا ونحبه • قيل وفيه قبر هرون اخي موسى عليهما السلام • وكانت عندها الوقعة المشهورة
في شوال سنة ثلث بالاتفاق يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه و
قيل في نصفه • وعن مالك بعد بدر بسنة • وعنه ايضا كانت على احدى وثلثين شهرا من الهجرة • وكان
سببها كما ذكره ابن اسحق عن شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابو الاسود عن عروة وابن سعد
قالوا ومن قال منهم ما حاصله ان قريشا لما رجعوا من بدر الى مكة وقد اصيب اصحاب القليب ورجع
ابو سفيان بعيره • قال عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن ابي جهل في جماعة ممن اصيب اباؤهم واخوانهم وابناؤهم
يوم بدر يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه يعنون عير ابي سفيان
ومن كانت له في تلك العير تجارة لعلنا ان ندرك منه ثارا فاجابوا لذلك فباعوها وكانت الف بعير

والمال خمسين ألف دينار • وفيهم كما قال ابن إسحق وغيره أنزل الله تعالى إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون • واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر به رسول الله عليه السلام بخبرهم • وسار أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة • وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر • وأُرِي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا فلما أصبح قال إني والله قد رأيت خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة • فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون • وأما الثلم الذي رأيت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل • وقال ابن عقبة ويقول رجال كان الذي بسيفه ما قد أصاب وجهه صلى الله عليه وسلم فإن العدو أصابوا وجهه الشريف يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته • وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام وأولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فإن دخلوا القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت فقال القوم يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم أخرج بنا إلى عدونا لا يرون أنا جبنا منهم • فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد • وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بهم العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالي • ثم دخل بيته ومعه صاحباه أبو بكر وعمر فعمماه وألبساه وصف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله على الخروج فردوا الأمر إليه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لبس لأمته وهي بالهمزة وقد يترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه فندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت فقال ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه • وفي حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم نحو حديث ابن إسحق • وفيه إشارة النبي صلى الله عليه وسلم إليهم أن لا يبرحوا من المدينة وإيثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللأمة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل • وفيه إني رأيت أني في درع حصينة • الحديث • وعقد عليه السلام ثلاثة ألوية لواء بيد أسيد بن حضير ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر • وقيل بيد سعد بن عبادة • وفي المسلمين مائة دارع • وخرج السعدان أمامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين • واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم • وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة • وأدلج عليه الصلاة والسلام في السحر • وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم منهم أسامة وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير قال مغلطاي وفيه نظر • وكان المسلمون ألف رجل وقيل تسعمائة • والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة • ونزل صلى الله عليه وسلم بأحد • ورجع عنه عبد الله بن أبي في ثلثمائة ممن تبعه من قومه من أهل النفاق • ويقال إن النبي عليه السلام

سعدان

[illegible]

أمرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط • ويقال بأحد • ثم صف المسلمون بأصل أحد وصف المشركون بالسبخة • قال ابن عقبة • وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة ابن أبي جهل • وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون رجلا عبد الله بن جبير • وقال إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم • وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم • كذا في البخاري من حديث البراء • وفي حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم أنه عليه السلام أقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا • قال ابن إسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سماك فقال وما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال أنا آخذه بحقه يا رسول الله فأعطاه إياه • وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه عليه الصلاة والسلام يتبختر قال إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا في مثل هذا الموطن • قال الزبير ابن العوام فيما قاله ابن هشام فقلت والله لأنظرن ما يصنع أبو دجانة فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصبها رأسه فقالت الأنصار أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول • أنا الذي عاهدني خليلي • ونحن بالسفح لدى النخيل • ألا أقوم الدهر في الكيول • أضرب بسيف الله والرسول • فجعل لا يلقى من المشركين أحدا إلا قتله • وقوله في الكيول بفتح الكاف وتشديد المثناة التحتية مؤخر الصفوف وهو فيعول من كال الزند يكيل كيلا إذا كبا ولم يخرج نارا فشبه مؤخر الصفوف به لأن من كان فيه لا يقاتل • قال أبو عبيد ولم يسمع إلا في هذا الحديث • وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف • والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان فضربه شداد بن أوس فقتله فقال صلى الله عليه وسلم إن حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبي فقالت وهو جنب • فقال عليه الصلاة والسلام لذلك غسلته الملائكة وبذلك تمسك من قال من العلماء أن الشهيد يغسل إذا كان جنبا • وقتل علي طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين • ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه • ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة • فولى الكفار لا يلوون على شيء • ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم • ووقعوا ينهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم • وفي البخاري قال البراء فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين • وفي حديث عائشة عند البخاري أيضا لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح إبليس أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم • وعند أحمد والحاكم من حديث ابن عباس أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض • وفي رواية غيرهما ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله

[illegible]

[illegible]

وجوههم

فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن ابي جهل فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم واميرهم عبد الله بن
جبير • وفي البخاري انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب
فشد عليه فكان كامس الذاهب وكان وحشي كامنا تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت
من بين وركيه فكان اخر العهد به • انتهى • وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة وهو يظن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة ان محمدا قد قتل
ويقال كان ذلك ازب العقبة • ويقال بل هو ابليس لعنه الله تصور في صورة جعال فقال قائل اي عباد الله
اخراكم اي احترزوا من جهة اخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون • وانهزم طائفة منهم
الى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل • وقال موسى بن عقبة ولما فقد عليه الصلاة والسلام
قال رجال منهم ان رسول الله قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل ان يأتوكم فيقتلوكم فانهم داخلو البيوت
وقال رجال منهم ان كان رسول الله قتل افلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل
شهداء • منهم انس بن مالك ابن النضر شهد له بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ • قال في
عيون الاثر • كذا وقع في هذا الخبر انس بن مالك وانما هو انس بن النضر عم انس بن مالك بن النضر • انتهى
وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انكشفوا عنه • وثبت معه اربعة عشر رجلا من اصحابه سبعة من المهاجرين
فيهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه وسبعة من الانصار • وفي البخاري لم يبق معه الا اثنا عشر رجلا فاصابوا منا
سبعين • وكان عليه السلام واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين
قتيلا • فقال ابو سفيان افي القوم محمد ثلاث مرات • فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه • ثم قال افي
القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات • ثم قال افي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات • ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء
فقد قتلوا • فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال كذبت يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما
يسوؤك • قال يوم بيوم والحرب سجال • وتوجه صلى الله عليه وسلم يلتمس اصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه
فادموه وكسروا رباعيته ومنهم لم يولد من نسله فيبلغ الحنث • والذي جرح وجهه عبد الله بن قمئة
وعتبة بن ابي وقاص اخو سعد هو الذي كسر رباعيته ومنهم لم يولد له ولد من نسله فبلغ الحنث
الا هو ابخر او اهتم اي مكسور الثنايا من اصلها يعرف ذلك في عقبها • وقال ابن هشام في حديث
ابي سعيد الخدري ان عتبة بن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى
السفلى وجرح شفته السفلى • وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته
فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته • ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي كان ابو عامر الفاسق
يكيد بها المسلمين • وفي رواية هشموا البيضة على راسه اي كسروا الخوذة ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه
في حفرة من الحفر التي حفرها ابو عامر فاخذ علي بيده • واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما • ونشبت
حلقتان من المغفر في وجهه فانتزعهما ابو عبيدة بن الجراح • وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما
في وجهه • وامتص مالك بن سنان والد ابي سعيد الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده فقال عليه السلام من مس

من مس دمي دمه لم تصبه النار • وسيأتي ان شاء الله تعالى حكم دمه عليه الصلاة والسلام • وفي الطبراني
من حديث ابي امامة قال رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فشج وجهه وكسر
رباعيته فقال خذها وانا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقماه
الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة • وروى ابن اسحق عن حميد الطويل
عن انس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل
يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر
شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون • ورواه احمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد به وعند
ابن عائذ من طريق الاوزاعي بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم احد اخذ شيئا فجعل ينشف دمه وقال
لو وقع منه شيء على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون • وروى عبد الرزاق
عن معمر عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها
• قال في فتح الباري وهذا مرسل قوي • ويحتمل ان يكون اراد بالسبعين حقيقتها او المبالغة • انتهى • وقالت
ام عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم احد فيما قاله ابن هشام خرجت اول النهار حتى انتهيت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمي عن القوس حتى خلصت الجراح الي
اصابني ابن قمئة اقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت
ان نجا قالت فاعترضت له فضربني هذه الضربة ولكن ضربته ضربات على ذلك ولكن عدو الله عليه درعان
قالت ام سعد بن الربيع فرأيت على عاتقها جرحا اجوف له غور • وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما قاله ابن اسحق ابو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر النبل وهو لا يتحرك وروى سعد
ابن ابي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رايته يناولني النبل ويقول ارم فداك ابي وامي
حتى انه ليناولني السهم ما له نصل فيقول ارم به • واصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته
فاتى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت
احسن عينيه واحدهما نظرا • ورواه الدارقطني بنحوه • وياتي لبسطه ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات • و
رمى ابو رهم الغفاري كلثوم بن الحصين بسهم في نحره فبصق عليه الصلاة والسلام فبرأ • وانقطع سيف
عبد الله بن جحش فاعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به • وكان ذلك السيف يسمى العرجون
ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من امراء المعتصم بالله في بغداد بمائتي دينار • وهذا نحو حديث عكاشة
السابق في غزوة بدر الا ان سيف عكاشة كان يسمى العون • واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون
الاذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم اصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشراف
اصحابه • وكان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر
فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم
نحو الشعب معه ابو بكر وعمر وعلي ورهط من المسلمين • فلما اسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب

ادركه أبي بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا فقالوا يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال
صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنى تناول عليه الصلاة والسلام الحربة من الحارث بن الصمة فلما
اخذها عليه السلام منه انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعرات عن ظهر البعير
اذا انتفض • ثم استقبله عليه السلام فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعا
من اضلاعه فلما رجع الى قريش قال قتلني محمد والله • أليس قد كان قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي
لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة • رواه البيهقي وابو نعيم ولم يذكر فكسر ضلعا من اضلاعه
قال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات أبي بن خلف ببطن رابغ فاني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل
اذا نار تأجج لهبها فهبتها فاذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح العطش واذا رجل يقول لا تسقه
فان هذا قتيل رسول الله هذا أبي بن خلف • رواه البيهقي ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب
ملأ علي بن ابي طالب درقته من المهراس وهو صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء وقيل هو اسم ماء باحد فجاء
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على
من ادمى وجه نبيه • وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي اصابته وصلى
المسلمون خلفه قعودا • قال ابن اسحق ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانف وبقرت هند عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها
فلفظتها • ولما اراد ابو سفيان الانصراف اشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته انعمت فعال ان الحرب
سجال يوم بيوم بدر اعل هبل • وكان ابو سفيان لما اراد الخروج الى احد كتب على سهم نعم وعلى آخر لا واجالهما عند
هبل فخرج سهم نعم فخرج الى احد فلما قال اعل هبل اي زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيبوه
الله اعلى واجل فقال ابو سفيان انعمت فعال فقال اي ازلت ذكرها فقد صدقت في فتواها واجابت بنعم
فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار • فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا
الله مولانا ولا مولى لكم • ولما انصرف ابو سفيان واصحابه انوعدكم بدر العام القابل فقال عليه السلام
لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد • وذكر الطبراني لما انصرف المشركون خرج النساء الى الصحابة يعينونهم
فكانت فاطمة فيمن خرج فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم
فلما رأت ذلك اخذت شيئا من حصير فاحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم • ثم ارسل
عليه السلام محمد بن مسلمة كما ذكره الواقدي فنادى في القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني حتى انظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف فوجده جريحا في القتلى وبه
رمق فقال ابلغ رسول الله عني السلام وقل يقول جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن امته وابلغ قومك عني
السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات • وقتل ابو جابر فما عرف
الا ببنانه اي اصابعه وقيل اطرافها واحدتها بنانة • وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده
ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فنظر عليه السلام الى شيء لم ينظر الى

شيء

شيء اوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير وصولا للرحم • اما والله لامثلن بسبعين
منهم مكانك • قال فنزلت خواتيم سورة النحل فصبر وكفر عن يمينه وامسك عما اراد • وممن مثل به كما مثل
بحمزة عبد الله بن جحش ابن اخت حمزة • ولذا يعرف بالمجدع في الله • وكان حين قتل ابن بضع واربعين سنة ودفن
مع حمزة في قبر واحد • ولما اشرف عليه السلام على القتلى قال انا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح في
الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك • وفي رواية عبد الله بن ثعلبة
قال عليه السلام لقتلى احد زملوهم بجراحهم • وروى ابو بكر بن مردويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا جابر الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال سلني اعطك قال
اسألك ان ارد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق مني انهم لا يرجعون الى الدنيا قال
اي رب فابلغ من ورائي فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية • وعن ابن عباس
رضـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في جوف طير خضر ترد انهار
الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن
مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون بما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى
انا ابلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على نبيه هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله • رواه احمد
قال بعض من تكلم على هذا الحديث • قوله ثم تأوي الى قناديل يصدقه • قوله والشهداء عند ربهم لهم اجرهم
ونورهم • وانما تأوي الى تلك القناديل ليلا وتسرح نهارا • وبعد دخول الجنة في الآخرة لا تأوي الى
تلك القناديل • وانما ذلك في مدة البرزخ • وقال مجاهد الشهداء يأكلون من ثمر الجنة ولا يسكنونها • وقد رد هذا القول
ويشهد له ما وقع في مسند ابن ابي شيبة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء بنهر او على نهر يقال
له بارق عند باب الجنة في قباب خضر يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا • قال الحافظ عماد الدين بن كثير كأن
الشهداء اقسام منهم من تسرح ارواحهم في الجنة • ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة • وقد يحتمل
ان يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح • قال وقد روينا
في مسند الامام احمد حديثا فيه بشرى لكل مؤمن بان روحه تكون في الجنة ايضا وتسرح فيها وتأكل من ثمارها
وترى ما فيها من النضرة والسرور • وتشاهد ما اعده الله لها من الكرامة • قال وهو باسناد صحيح عزيز عظيم
اجتمع فيه ثلاثة من الائمة الاربعة اصحاب المذاهب المتبعة • فان الامام احمد رواه عن الشافعي عن مالك
ابن انس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه يرفعه نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة
حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه • وقوله تعلق اي تأكل • وفي هذا الحديث ان روح المؤمن يكون على شكل
طائر في الجنة • واما ارواح الشهداء ففي حواصل طير خضر فهي كالكواكب بالنسبة الى ارواح عموم المؤمنين
فانها تطير بانفسها • فنسأل الله ان يثبتنا على الايمان • وعدة من استشهد يوم احد من المسلمين سبعون
فيما قاله مغلطاي وغيره وقيل خمسة وستون اربعة من المهاجرين • وروى ابن منده من حديث ابي بن
كعب قال استشهد من الانصار يوم احد اربعة وستون ومن المهاجرين ستة • وصححه ابن حبان

من هذا الوجه • وقتل من المشركين ثلثة وعشرون رجلا • وقتل عليه السلام بيده أبي بن خلف • وحضر الملائكة يومئذ • ففي حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم في صحيحه انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل يقاتلان كاشد القتال وفيه كما قدمناه في غزوة بدر ان قتال الملائكة معه صلى الله عليه وسلم لا يختص بيوم بدر خلافا لمن زعمه كما نص عليه النووي في شرح مسلم كما قدمته والله اعلم **تنبيه** ذكر القاضي عياض في الشفاء عن القاضي أبي عبد الله بن المرابط من المالكية انه قال من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم فيستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته • انتهى وهذا موافق لمذهبنا لكن قال العلامة البساطي من المالكية هذا القايل اذ كان يخالف في اصل المسألة اعني حكم الساب فله وجه • وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى • وقد كان في قصة احد وما اصيب به المسلمون من الفوايد والحكم الربانية اشيا عظيمة • منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشوم ارتكاب النهي • ولما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا منه • ومنها عادة الرسل ان تبتلى ويكون لهم العاقبة • والحكمة في ذلك انه لو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق عن غيره • ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة • فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب • وذلك ان نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة واظهر اهل النفاق ما اظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا وعرف المسلمون ان لهم عدوا في دورهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم • ومنها ان تاخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها فلما ابتلي المسلمون صبروا وجزع المنافقون • ومنها ان الله تعالى هيا لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها اعمالهم فقيض لهم اسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها • ومنها ان الشهادة من اعلى مراتب الاوليا فساقهم اليها • ومنها انه اراد اهلاك اعدائه فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في اذى اوليائه فمحص بذلك ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين

غزوة حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة • فكانت صبيحة يوم احد لست عشرة مضت وقيل لثمان خلون من شوال على راس اثنين وثلثين شهرا من الهجرة لطلب عدوهم بالامس • ونادى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج معنا احد الا من حضر يومنا بالامس اي من شهد احدا • وانما خرج صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم • واقام عليه السلم بها الاثنين والثلثا والاربعا ثم رجع الى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا • وظفر في مخرجه ذلك بمعاوية ابن المغيرة ابن ابي العاص فامر بضرب عنقه صبرا • قال الحافظ مغلطاي وحرمت الخمر في شوال ويقال في سنة اربع انتهى • قال ابو هريرة فيما رواه احمد حرمت الخمر ثلث مرات • قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس • الى اخر الاية • فقال الناس ما حرم علينا انما قال فيهما

مطلب غزوة حمراء الاسد وتحريم الخمر

اثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الايام صلى رجل من المهاجرين ام اصحابه في المغرب خلط في قراءته فانزل الله اية اغلظ منها يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وكان الناس يشربون • ثم نزلت اية اغلظ منها يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر • الى قوله لعلكم تفلحون • قالوا انتهينا ربنا • والميسر القمار • وقيل غيره • انتهى • وولد الحسن بن علي في هذه السنة

ثم سرية ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد هلال المحرم على راس خمس وثلثين من الهجرة الى قطن جبل بناحية فيد ومعه مائة وخمسون رجلا من الانصار والمهاجرين لطلب طلحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما ووجد ابلا وشاء فاغار عليها ولم يلق كيدا

ثم سرية عبد الله بن انيس وخرج يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على راس خمسة وثلثين شهرا من الهجرة الى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة وادي عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع فلما وصل اليه قال له من الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لاكون معك قال اجل فمشى معه ساعة ثم اغتره وقتله واخذ راسه فكان يسير الليل ويتوارى بالنهار حتى قدم المدينة فقال له عليه الصلوة والسلام افلح الوجه قال افلح وجهك يا رسول الله ووضع راسه بين يديه وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم

ثم سرية عاصم بن ثابت في صفر على راس ستة وثلثين شهرا من الهجرة الى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه فسميت به • وعضل والقارة بفتح الضاد المعجمة بعدها لام بطن من الهون ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ينسبون الى عضل بن الديش والقارة بالقاف وتخفيف الراء بطن من الهون ايضا ينسبون الى الديش المذكور • قال ابن دريد القارة اكمة سوداء فيها حجارة كانهم نزلوا عندها فسموا بها • وقصة عضل والقارة كانت في بعث الرجيع لا في سرية بئر معونة • وقد فصل بينهما ابن اسحق فذكر بعث الرجيع في اواخر سنة ثلث وبئر معونة في اوايل سنة اربع • وذكر الواقدي ان خبر بئر معونة وخبر اصحاب الرجيع جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة • وسياق ترجمة البخاري يوهم ان بعث الرجيع وبئر معونة شي واحد • وليس كذلك لان بعث الرجيع كان سرية عاصم وخبيب واصحابهما وهي مع عضل والقارة • وبئر معونة كانت سرية القراء وهي مع رعل وذكوان • وكان البخاري ادمجها معها لقرب ما بينهما • ويدل على قرب ما بينهما ما في حديث انس من تشريك النبي صلى الله عليه وسلم بين بني لحيان وبني عصية وغيرهم في الدعاء • ولم يرد البخاري انهما قصة واحدة • ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحا • وانما وقع ذلك عند ابن اسحق فانه بعد ان استوفى قصة احد قال وذكر يوم الرجيع حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل والقارة فقالوا ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهونا فبعث معهم ستة من اصحابه وامر على القوم مرثد بن ابي مرثد الغنوي كذا في السيرة له • وفي الصحيح وامر عاصم بن ثابت كما سياتي وهو اصح فخرج مع القوم حتى اتوا على الرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف وقد غشوهم فاخذوا اسيافهم

مطلب سرية عاصم بن ثابت وحكاية خبيب

ليقتلوا القوم فقالوا لهم انا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم
عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم فابوا فاما مرثد وخالد وعاصم فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا
وقاتلوا حتى قتلوا • وفي البخاري وامر عليهم عاصم بن ثابت حتى اذا كانوا بالهداة بين عسفان ومكة
ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا بقريب من مائتي رجل وعند بعضهم فتبعوهم بقريب من مائة
رام والجمع بينهما واضح بان تكون المائة الاخرى غير رام • وفي رواية ابي معشر في مغازيه فنزلوا بالرجيع سحرا
فاكلوا تمر عجوة فسقط نواة في الارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار • فجاءت امرأة من هذيل
ترعى غنما فرأت النواة فانكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت في قومها اتيتم فجاؤا في طلبهم
فوجدوهم قد كمنوا في الجبل فاتبعوا آثارهم حتى لحقوهم • وفي رواية ابن سعد فلما احس بهم عاصم
واصحابه لجأوا الى فدفد بفائين مفتوحتين ومهملتين الاولى ساكنة وهي الرابية المشرفة فاحاط
بهم القوم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم بن ثابت ايها القوم
اما انا فلا انزل في ذمة كافر فقال اللهم اخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فاخبر رسوله
خبرهم يوم اصيبوا فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل اليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدي وزيد
ابن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة والنون المفتوحة المشددة وعبد الله بن طارق فانطلقوا
بخبيب حتى اجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث موسى ليستحد بها يعني يحلق عانته فغفلت
عن ابن لها صغير فاقبل الصبي فاجلسه عنده فخشيت المرأة ان يقتله ففزعت فقال خبيب ما كنت
لاغدر قال قالت والله ما رأيت اسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته ياكل قطفا من عنب مثل رأس
الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان الا رزق رزقه الله وهذه كرامة جعلها الله لخبيب
آية على الكفار وبرهانا لنبيه لتصحيح رسالته والكرامة للاولياء ثابتة مطلقا على الصحيح عند اهل السنة
لكن استثنى بعض المحققين منهم كالعلامة الرباني ابي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض
الانبياء فقال ولا يصلون الى مثل ايجاد ولد من غير اب ونحو ذلك وهذا اعدل المذاهب في ذلك وان
اجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين والاخبار بما سيأتي ونحو ذلك
قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب الى الصلاح كالعادة فانحصر الخارق الان في نحو ما قاله
القشيري وتعين تقييد قول من اطلق بان كل معجزة وجدت لنبي يجوز ان تقع كرامة لولي ووراء ذلك
ان الذي استقر عليه العامة ان خرق العادة يدل على ان من وقع له ذلك يكون من اولياء الله وهو
غلط فان الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدل بذلك على
ولاية اولياء الله الى فارق واولى ما ذكروه ان يختبر حال من وقع له ذلك فان كان متمسكا بالاوامر
الشرعية والنواهي كان علامة على ولايته ومن لا فلا والله اعلم انتهى ملخصا من الفتح • ولما خرجوا
به من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي ركعتين وعند موسى بن عقبة انه صلاهما في موضع مسجد
التنعيم وقال اللهم احصهم عددا ولا تبق منهم احدا واقتلهم بددا يعني متفرقين ثم خرج الى

ومنهم احد حتى • وفي رواية بريدة بن سفيان قال خبيب اللهم انه لا اجد من يبلغ رسولك مني السلام
فبلغه • وفي رواية ابي الاسود عن عروة فجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك الحديث • ثم انشأ
يقول • فلست ابالي حين اقتل مسلما • على اي شق كان في الله مصرعي • وذلك في ذات الاله وان يشأ • يبارك
على اوصال شلو ممزع • والاوصال جمع وصل وهو العضو • والشلو بكسر المعجمة الجسد ويطلق على العضو
لكن المراد به هنا الجسد • والممزع بالزاي ثم المهملة المقطع • ومعنى الكلام اعضاء جسد يقطع • وعند
ابي الاسود عن عروة بزيادة في الشعر لقد اجمع الاحزاب حولي والبوا • قبائلهم واستجمعوا كل مجمع • وفيه
الى الله اشكو غربتي بعد كربتي • وما ارصد الاحزاب لي عند مصرعي • وساق ابن اسحق هذه الابيات ثلثة عشر
بيتا قال ابن هشام ومن الناس من ينكرها لخبيب • وكان خبيب اول من سن الركعتين عند القتل لكل
مسلم قتل صبرا • كذا قاله ابن اسحق • وقوله هذا على انها سنة جارية وانما صار فعل خبيب سنة والسنة
انما هي اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريره لانه فعلها في حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسن
ذلك من فعله واستحسنها المسلمون • والصلوة خير ما ختم به عمل العبد • وقد صلاها ابن الركعتين
زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في حيوته عليه السلام كما رويناه من طريق السهيلي
بسنده الى الليث بن سعد قال بلغني ان زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف اشترط عليه
الكري ان ينزله حيث شاء قال فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا في الخربة قتلى كثيرة قال فلما
اراد ان يقتله قال له دعني اصلي ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلوتهم شيئا قال
فلما صليت اتاني ليقتلني فقلت يا ارحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلب فلم ير شيئا
فرجع الي فناديت يا ارحم الراحمين فعل ذلك ثلثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها
شعلة نار فطعنه بها فانفذه من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا ارحم الراحمين
كنت في السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا ارحم الراحمين كنت في سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة
اتيتك انتهى • ووقع في رواية ابي الاسود عن عروة فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب يعني خبيبا
نادوه وناشدوه اتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما احب ان يفديني بشوكة في قدمه • ويقال ان الذي
قال ذلك زيد بن الدثنة • وان ابا سفيان قال له يا زيد انشدك بالله اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك
نضرب عنقه وانك في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
تؤذيه واني لجالس في اهلي قال يقول ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا
ثم قتله نسطاس الكبير لعنه الله • وبعث قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما
من عظمائهم يوم بدر ولعل العظيم المذكور عقبة بن ابي معيط فان عاصما قتله صبرا بامر النبي عليه السلام
بعد ان انصرفوا من بدر • ووقع عند ابن اسحق وكذا في رواية بريدة بن ابي سفيان ان عاصما لما قتل ارادت
هذيل اخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهي ام مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري وكان
عاصم قتلهما يوم احد • وكانت قد نذرت حين اصاب ابنيها يوم احد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن

مطلب
حكاية خبيب

التمر في تجفير بكسر القاف هو ما انفلق من الجمجمة فبان قال الطبري وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر
اعطى الله عهداً ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً فكان عمر لما بلغه خبره يقول يحفظ الله المؤمن بعد وفاته كما حفظ
في حياته وانما استجاب الله تعالى له حمايته لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما اراد من اكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته
من هتك حرمته بقطع لحمه • سرية المنذر بن عمرو بفتح العين المهملة الى بئر معونة بفتح الميم وضم العين
وسكون الواو بعدها نون موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان في صفر على رأس ستة وثلثين شهرا من الهجرة على مطلب سرية المنذر ابن عمرو
اربعة اشهر من احد وبعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق • وكانت مع رعل بكسر الراء وسكون المهملة
بطن من بني سليم ينسبون الى رعل بن عوف بن مالك وذكوان تعرف بسرية القراء وكان من امرها كما قال ابن اسحق انه
قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام
فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال يا محمد لو بعثت من اصحابك رجالا الى اهل نجد فدعوهم الى امرك
رجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلوة والسلام اني اخشى اهل نجد عليهم • قال ابو براء انا لهم جار فابعثهم
فبعث عليه الصلوة والسلام المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل اربعون وقيل ثلثون • وقد بين
قتادة في روايته انهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل • وفي رواية ثابت يشترون به الطعام لاهل
الصفة ويتدارسون القرآن بالليل فساروا حتى نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله عليه وسلم
الى عدو الله عامر بن الطفيل العامري ومات كافرا وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمي الصحابي فلما اتاه لم ينظر الى
كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا
وجوارا ثم استصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا
بهم في رحالهم فلما رأوهم اخذوا اسيافهم وقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فعاش
حتى يوم الخندق شهيدا واسر عمرو بن امية الضمري • فلما اخبرهم انه من مضر اخذه عامر بن الطفيل واعتقه
عن رقبة زعم انها كانت على امه فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا
فبلغ ذلك ابا براء فمات اسفا على ما صنع عامر بن الطفيل • وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده دفنته
الملائكة • قال ابن سعد عن انس بن مالك ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على احد ما وجد على اصحاب
بئر معونة وفي صحيح مسلم عن انس ايضا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلثين
صباحا يدعو على رعل ولحيان وعصية عصت الله ورسوله • قال انس انزل الله في الذين قتلوا يوم بئر معونة
قرآنا قرأناه ثم نسخ بعد اي نسخت تلاوته بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه كذا وقع
في هذه الرواية • وهو يوهم ان بني لحيان ممن اصاب القراء يوم بئر معونة • وليس كذلك • وانما اصاب هؤلاء رعل
وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم • واما بنو لحيان فهم الذين اصابوا بعث الرجيع • وانما اتى الخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد فدعا على الذين اصابوا اصحابه في الموضعين دعاء واحدا
ثم غزوة بني النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة كبيرة من اليهود في ربيع الاول سنة اربع • وذكرها مطلب غزوة بني النضير
ابن اسحق هنا قال السهيلي وكان ينبغي ان يذكرها بعد بدر لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهري

قال كانت غزوة بني النضير على رأس ستة اشهر من وقعة بدر قبل احد ورجح الداودي ما قال ابن اسحق من ان غزوة
بني النضير بعد بئر معونة مستدلا بقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم
قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر وهو استدلال واه • فان الآية نزلت في شان بني قريظة فانهم هم الذين ظاهروا الاحزاب
واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كان من اعظم الاسباب في جمع الاحزاب وما وقع من اجلائهم
فانه كان من رؤسهم حيي بن اخطب وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم
ما كان فكيف يصير السابق لاحقا • انتهى • وقد تقدم قريبا ان عامر بن الطفيل اعتق عمرو بن امية لما
قتل اهل بئر معونة عن رقبة عن امه فخرج عمرو الى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو ممن انتما فذكرا له انهما من بني عامر فتركهما
حتى ناما فقتلهما عمرو وظن انه ظفر ببعض ثاره فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لقد قتلت
قتيلين لأدينهما • قال ابن اسحق وغيره • ثم خرج عليه الصلوة والسلام الى بني النضير ليستعين في دية
ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية للجوار الذي كان صلى الله عليه وسلم عقده لهما وكان بين بني النضير
وبين بني عامر عقد وحلف فلما اتاهم عليه السلام يستعينهم في ديتهما قالوا يا ابا القاسم نعينك على ما احببت
مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال وكان صلى الله عليه وسلم
الى جنب جدار من بيوتهم قالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب
لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال انا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه
ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم • قال ابن سعد فقال سلام بن مشكم لليهود لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم
وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه • قال ابن اسحق واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد
القوم فقام عليه الصلوة والسلام مظهرا انه يقضي حاجة وترك اصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة
واستبطأ النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقاموا في طلبه حتى انتهوا اليه فاخبرهم بما ارادت يهود من الغدر
قال ابن عقبة ونزل في ذلك قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية
قال ابن اسحق فامر عليه الصلوة والسلام بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم • قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن
ام مكتوم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال • قال ابن اسحق فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وحرقها
وخرب فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها • قال
السهيلي قال اهل التأويل وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء حتى انزل الله تعالى ما قطعتم من لينة
الآية الى قوله وليخزي الفاسقين • واللينة الوان التمر ما عدا العجوة والبرني ففي الآية انه صلى الله عليه وسلم
لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون بالعجوة • وفي الحديث العجوة من الجنة وتمرها
يغذو احسن غذاء • والبرني ايضا كذلك • ففي قوله تعالى ما قطعتم من لينة ولم يقل من نخلة على العموم
تنبيه على كراهة قطع ما يقتات ويغذو به من شجرة العدو اذا رجي ان يصل الى المسلمين • قال ابن اسحق
وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن ابي بن سلول بعثوا الى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا

فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم فسألوا رسول الله ان يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمائهم • وعند ابن سعد انهم حين هموا بغدره صلى الله عليه وسلم واعلمه الله ذلك بعث اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد اجلتكم عشرا فمن رئي منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك اياما يتجهزون وتكاروا من اناس من اشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله بن ابي لا تخرجوا من دياركم واقيموا في حصونكم فان معي الفين من قومي من العرب يدخلون حصنكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي فيما قاله ابن ابي فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فاظهر رسول الله التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وسار اليهم عليه السلام في اصحابه فصلى العصر بفناء بني النضير وعلي يحمل رايته فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة وغدر بهم ابن ابي ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فيئسوا من نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وقال لهم عليه الصلاة والسلام اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهي بسكون اللام قال في القاموس الدرع فنزلت يهود على ذلك وكان حاصرهم خمسة عشر يوما فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم ثم اجلاهم عن المدينة • وولي اخراجهم محمد بن مسلمة وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر . وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا • وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الاموال ووجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا • وكانت بنو النضير صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبسا لنوائبه • ولم يخمسها لان المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وانما قذف في قلوبهم الرعب وجلوا عن منازلهم الى خيبر • ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم • فقسمها عليه السلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم في الاموال والديار غير انه اعطى ابا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما • وفي الاكليل واعطى سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق • وكان سيفا له ذكر عندهم

مطلب غزوة ذات الرقاع

غزوة ذات الرقاع • واختلف فيها متى كانت فعند ابن اسحق بعد بني النضير سنة اربع في شهر ربيع وبعض جمادى • وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس • وجزم ابو معشر بانها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس فيكون ذات الرقاع في اخر السنة واول التي تليها • قال في فتح الباري قد جنح البخاري الى انها كانت بعد خيبر واستدل لذلك بامور • ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا ادري هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازي انها كانت قبل او ان ذلك من الرواة عنه او اشارة الى احتمال ان تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما اشار اليه البيهقي على ان اصحاب المغازي مع جزمهم بانها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها • انتهى • والذي جزم به عقبة تقدمها لكن تردد في وقتها فقال لا ندري كانت قبل بدر او بعدها او قبل احد او بعدها • قال الحافظ ابن حجر وهذا التردد لا حاصل له بل الذي ينبغي الجزم به انها بعد غزوة قريظة لان صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت • وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع فدل على تأخرها بعد الخندق •

صلاة الخوف

قال وصنعه قول البخاري وهي بعد خيبر لان ابا موسى جاء بعد خيبر • واذا كان كذلك وثبت ان ابا موسى شهد غزوة ذات الرقاع لزم انها كانت بعد خيبر • قال وعجبت من ابن سيد الناس كيف قال جعل البخاري حديث ابي موسى حجة في ان غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر • قال وليس في خبر ابي موسى ما يدل على شيء من ذلك • انتهى كلام ابن سيد الناس • قال وهذا النفي مردود • والدلالة من ذلك واضحة كما قررته قال واما الدمياطي فادعى غلط الحديث الصحيح وان جميع اهل السير على خلافه • وقد تقدم انهم مختلفون في زمانها • فالاولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث الصحيح • وما قاله الغزالي انها اخر الغزوات فهو غلط واضح وقد بالغ ابن الصلاح في انكاره • وقال بعض من انتصر للغزالي لعله اراد اخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف • وهو انتصار مردود بما اخرجه ابو داود والنسائي وصححه ابن حبان من حديث ابي بكرة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف • وانما اسلم ابو بكرة بعد غزوة الطائف بالاتفاق انتهى

واما تسميتها بذات الرقاع لانهم رقعوا فيها راياتهم • قاله ابن هشام • وقيل لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع • وقيل الارض التي نزلوا فيها بها بقع سود وبقع بيض كانها مرقعة برقاع مختلفة فسميت بذات الرقاع لذلك • وقيل لان خيلهم كان بها سواد وبياض قاله ابن حبان وقال الواقدي سميت بجبل هناك فيه بقع • قال الحافظ ابن حجر وهذا لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف عليه بخيل • قال واغرب الداودي فقال سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها • انتهى • قال السهيلي واصح من هذه الاقوال كلها ما رواه البخاري عن ابي موسى الاشعري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت اقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على ارجلنا • وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة بالمثلثة من غطفان بفتح الغين المعجمة والمهملة لانه عليه السلام بلغه انهم جمعوا الجموع فخرج في اربعمائة من اصحابه وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وقيل ابا ذر الغفاري حتى نزل نخلا بالخاء المعجمة موضعا من نجد من اراضي غطفان • قال ابن سعد فلم يجد في محالهم الا نسوة فاخذهم • وقال ابن اسحق فلقي جمعا منهم فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد اخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف من طرق كثيرة وسيأتي ان شاء الله تعالى الكلام على ما تيسر منها في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم • وكانت غيبته عليه السلام في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة • وفي البخاري عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه يعني سله من غمده فقال تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله • وعند ابي عوانة فسقط السيف من يده فاخذه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ قال تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله • قال لا ولكني اعاهدك ان لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى

سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس • وفي رواية عند البخاري ولم يعاقبه • وانما لم يعاقبه
عليه السلام بما صنع وعفا عنه لشدة رغبته في استيلاف الكفار ليدخلوا في الاسلام • وفي رواية
ابي اليمان عند البخاري في الجهاد قال من يمنعك مني ثلث مرات وهو استفهام انكاري اي لا يمنعك
مني احد وكان الاعرابي قائما على راسه والسيف في يده والنبي صلى الله عليه وسلم جالس لا سيف معه
يؤخذ من مراجعة الاعرابي له في الكلام ان الله سبحانه وتعالى منع نبيه والا فما الذي احوجه الى مراجعته مع
احتياجه الى الحظوة عند قومه بقتله • وفي قوله صلى الله عليه وسلم في جوابه الله اي يمنعني منك اشارة الى ذلك
ولذلك لما اعادها الاعرابي فلم يزده على ذلك الجواب وفي ذلك غاية التهكم وعدم المبالاة به • وذكر الواقدي
في نحو هذه القصة انه اسلم ورجع الى قومه فاهتدى به خلق كثير • وفي لفظ انه زلخ بالزلخة حين هم
بقتاله صلى الله عليه وسلم فندر السيف من يده وسقط الى الارض • والزلخة بضم الزاي وتشديد اللام وجع
يأخذ في الصلب • وقال البخاري قال مسدد عن ابي عوانة عن ابي بشر اسم الرجل غورث بن الحارث اي
على وزن جعفر وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير • وقد تقدم في غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر
بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور وانه قام على راسه صلى الله عليه وسلم بالسيف
فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده وانه اسلم
قال في عيون الاثر والظاهر ان الخبرين واحد • وقال غيره من المحققين الصواب انهما قصتان في
غزوتين • وفي هذه القصة فرط شجاعته وقوة يقينه على الاذى وحلمه على الجهال صلى الله عليه وسلم
وفي انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة ابطا جمل جابر بن عبد الله فنخسه عليه الصلاة والسلام
فانطلق متقدما بين يدي الركاب • ثم قال اتبيعه فابتاعه منه • وقال الحقهم الى المدينة فلما
وصلها اعطاه الثمن وارجح ووهب له الجمل • والحديث اصله في البخاري • ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط
لما وقع فيه من الاضطراب • وقيل غير ذلك مما يطول ذكره • والله اعلم

غزوة بدر الاخرة

مطلب غزوة بدر الآخرة

وهي الصغرى • وتسمى بدر الموعد • وكانت في شعبان بعد ذات الرقاع لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع اقام جمادى الاولى الى رجب ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد
ابي سفيان • ويقال كانت في هلال ذي القعدة • وميعاد ابي سفيان هو ما سبق من ان ابا سفيان
قال يوم احد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فقال عليه الصلاة والسلام لرجل من اصحابه قل نعم
هو بيننا وبينكم موعد فخرج عليه الصلاة والسلام ومعه الف وخمسماية من اصحابه وعشرة افراس واستخلف
على المدينة عبد الله بن رواحة فاقاموا على بدر ينتظرون ابا سفيان • وخرج ابو سفيان حتى نزل مجنة
من ناحية مر الظهران وقيل عسفان ثم بدا له الرجوع فقال يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب
ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم
اهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق • واقام عليه الصلاة والسلام ببدر ثمانية ايام
وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين • وانزل الله في المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول

الى قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء • الاية • والصحيح ان هذه الاية نزلت بحمراء
الاسد كما نص عليه العماد بن كثير

غزوة دومة الجندل

مطلب غزوة دومة الجندل

وهي بضم الدال
من دومة • وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال • وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة او ست
عشرة • قال ابو عبيد البكري سميت بدومي بن اسمعيل كان نزلها • وكانت في شهر ربيع الاول
على راس تسعة واربعين شهرا من الهجرة • وكان سببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا
كثيرا يظلمون من مر بهم فخرج عليه الصلاة والسلام لخمس ليال بقين من شهر ربيع في الف من اصحابه
فكان يسير الليل ويكمن النهار • واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة فلما دنا منهم لم يجد الا
النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من اصاب وهرب من هرب في كل وجه وجاء الخبر
اهل دومة فتفرقوا • ونزل عليه الصلاة والسلام بساحتهم فلم يلق بها احدا فاقام بها اياما وبعث
السرايا وفرقها فرجعوا فلم يصب منهم احد • ودخل المدينة في العشرين من ربيع الاخر

مطلب غزوة المريسيع لتسمى غزوة بني المصطلق ونزول اية التيمم

غزوة المريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين بينهما مهملة مكسورة واخره عين مهملة وهو
ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع يومان • وتسمى غزوة بني المصطلق بضم الميم وسكون المهملة وفتح
الطاء المهملة وكسر اللام وبعدها قاف وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بطن من خزاعة •
وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس • وفي البخاري قال ابن اسحق سنة ست و
قال موسى بن عقبة سنة اربع • قالوا وكان سبق قلم اراد ان يكتب سنة خمس فكتب سنة اربع • انتهى
والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق اخرجها الحاكم وابو سعيد النيسابوري والبيهقي
في الدلائل وغيرهم سنة خمس • وسببها انه بلغه عليه الصلاة والسلام ان رئيسهم الحارث بن ابي
ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتاعوا
وتهيئوا للمسير معه فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمي يعلم علم ذلك فاتاهم
ولقي الحارث بن ابي ضرار وكلمه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عليه السلام مسرعا في
بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها • واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقادوا
الخيل وكانت ثلاثين فرسا • وخرجت عائشة وام سلمة وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه الصلاة والسلام
فسيء بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب وبلغ عليه السلام
المريسيع وصف اصحابه ودفع راية المهاجرين الى ابي بكر وراية الانصار الى سعد بن عبادة ثم تراموا
بالنبل ساعة ثم امر عليه الصلاة والسلام اصحابه فحملوا حملة رجل واحد وقتلوا عشرة واسروا سائرهم
وسبوا النساء والرجال والذرية والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد • كذا ذكره ابن اسحق
والذي في صحيح البخاري من حديث ابن عمر يدل على انه اغار عليهم على حين غفلة منهم فاوقع بهم • ولفظه
اغار على بني المصطلق وهم غارون وانعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل ان
يكونوا حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا فلما كثر فيهم القتل انهزموا بان يكونوا لما دهمهم وهم على الماء تصافوا

نزول آية التيمم

ووقع القتال بين الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم • قيل وفي هذه الغزوة
نزلت آية التيمم • وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
بعض أسفاره فذكر حديث التيمم • قال في فتح الباري قوله في بعض أسفاره قال ابن عبد البر في التمهيد
يقال إنه كان في غزوة بني المصطلق • وجزم في ذلك في الاستذكار • وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان
وغزوة بني المصطلق هي غزوة المريسيع • وفيها كانت قصة الإفك لعائشة رضي الله عنها • وكان ابتداء ذلك
بسبب وقوع عقدها أيضا فإن كان ما جزموا به ثابتا حمل على أنه سقط منها في تلك السفرة مرتين لاختلاف
القصتين كما هو مبين في سياقهما • قال واستبعد بعض شيوخنا ذلك لأن المريسيع من ناحية مكة
بين قديد والساحل وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث حتى كنا بالبيداء أو بذات
الجيش وهما بين مكة وخيبر كما جزم به النووي • قال وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين فإنه
قال البيداء هي ذو الحليفة بالقرب من مكة وذات الجيش وراء ذي الحليفة • وقال أبو عبيد البكري في معجمه
أولى مكة من ذي الحليفة ثم ساق حديث عائشة هذا ثم قال وذات الجيش من المدينة على بريد قال
وبينها وبين العقيق سبعة أميال • والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر • فاستقام ما قال ابن التين
وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد • وممن جزم محمد بن حبيب الأخباري فقال سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع
وفي غزوة بني المصطلق • وقد اختلف أهل المغازي في أي هاتين الغزوتين كانت أولا • وقال الداودي
كانت قصة التيمم في غزوة الفتح • ثم تردد في ذلك • وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال
لما نزلت آية التيمم لم أدر كيف أصنع فهذا يدل على تأخرها عن غزوة بني المصطلق • لأن إسلام أبي
هريرة كان في السنة السابعة وهي بعدها بلا خلاف • وكان البخاري يرى أن غزوة ذات الرقاع كانت
بعد قدوم أبي موسى • وقدومه كان وقت إسلام أبي هريرة • ومما يدل على تأخر القصة أيضا عن قصة الإفك
ما رواه الطبراني من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت لما كان من أمر عقدي
ما كان وقال أهل الإفك ما قالوا خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أخرى فسقط أيضا عقدي
حتى حبس الناس على التماسه فقال لي أبو بكر يا بنية في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس فأنزل الله
الرخصة في التيمم فقال أبو بكر إنك لمباركة • وفي إسناده محمد بن حميد الرازي • وفيه مقال وفي سياقه
من الفوائد بيان عتاب أبي بكر رضي الله عنه الذي أبهم في حديث الصحيح • والتصريح بأن ضياع العقد كان مرتين في
غزوتين انتهى • وفي هذه الغزوة قال ابن أبي لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسمعه
زيد بن أرقم ذو الأذن الواعية فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسل إلى ابن أبي وأصحابه
فحلفوا ما قالوا فأنزل الله تعالى إذا جاءك المنافقون فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد صدقك
يا زيد • رواه البخاري • وكانت غيبته عليه الصلاة والسلام في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما

قصة الإفك

مطلب غزوة الخندق

غزوة الخندق وهي الأحزاب جمع حزب أي طائفة • فأما تسميتها بالخندق فلأجل
الخندق الذي حفر حول المدينة بأمره عليه الصلاة والسلام • ولم يكن اتخاذ الخندق من شأن العرب ولكنه

من مكايد الفرس وكان الذي أشار بذلك سلمان فقال يا رسول الله إنا كنا إذا حوصرنا خندقنا
علينا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين • وأما تسميتها بالأحزاب
فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن معهم وقد
أنزل الله تعالى في هذه القصة صدرا من سورة الأحزاب • واختلف في تاريخها فقال موسى
ابن عقبة كانت في شوال سنة أربع • وقال ابن إسحق في شوال سنة خمس وبذلك جزم غيره من أهل
المغازي ومال البخاري إلى قول موسى بن عقبة • وقواه بقول ابن عمر إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه • وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة
فأجازه فيكون بينهما سنة واحدة وأحد كانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة أربع ولا حجة
فيه إذا ثبت أنها كانت سنة خمس لاحتمال أن يكون ابن عمر في أحد كان أول ما طعن في الرابعة
عشرة وكان في الأحزاب استكمل الخمس عشرة • وبهذا أجاب البيهقي • وقال الشيخ ولي الدين
ابن العراقي والمشهور أنها في السنة الرابعة • وكان من حديث هذه الغزوة أن نفرا من يهود
خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله • فاجتمعوا
لذلك واتعدوا له • ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان بن قيس عيلان فدعوهم إلى حربه
عليه الصلاة والسلام وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا
معهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن
حصين في فزارة والحارث بن عوف بن المري في مرة • وكان عدتهم فيما ذكرها ابن إسحق عشرة
آلاف • وقيل غير ذلك • وذكر ابن سعد أنه كان من المسلمين ستة وثلاثون فرسا • ولما سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحزاب وبما اجتمعوا عليه من الأمر ضرب على المدينة الخندق
وهم يحفرون فعمل فيه عليه الصلاة والسلام ترغيبا للأجر وعمل معه المسلمون فدأب ودأبوا وأبطأ
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين في عملهم ذلك ناس من المنافقين وجعلوا
يورّون بالضعف عن العمل • وفي البخاري عن سهل بن سعد قال كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار • والأكتاد بالمثناة الفوقية جمع كتد
بكسر أوله وكسر المثناة وهو ما بين الكاهل والظهر • وفي بعض نسخ البخاري أكبادنا بموحدة
وهو موجه على أن يكون المراد به ما يلي الكبد من الجنب • وفي البخاري أيضا عن أنس قال فإذا المهاجرون
والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع
قال اللهم لا عيش إلا عيش الآخره • فاغفر للأنصار والمهاجره • فقالوا مجيبين له • نحن الذين
بايعوا محمدا • على الجهاد ما بقينا أبدا • قال ابن بطال وقوله اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة هو من
قول ابن رواحة تمثل به عليه الصلاة والسلام • وعند الحارث بن أسامة من مرسل طاوس زيادة في آخر الرجز

والعنق عضلا والقارة هم كلفونا نقل الحجارة. وفي البخاري من حديث البراء قال لما كان
يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني
الغبار جلدة بطنه. وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب
ويقول. اللهم لولا انت ما اهتدينا. ولا تصدقنا ولا صلينا. فانزلن سكينة علينا. وثبت
الاقدام ان لاقينا. ان الاولى رغبوا علينا. وان ارادوا فتنة ابينا. وفي حديث سليمان
التيمي عن ابي عثمان النهدي انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب في الخندق قال. بسم الاله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا. يا حبذا ربا وحب دينا. قال في النهاية يقال بديت بالشيء بكسر الدال
اي بدأت به فلما خفف الهمزة كسر الدال فانقلبت الهمزة ياء. وليس هو من بنات الياء. انتهى
وقد وقع في حفر الخندق آيات من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام منها ما في الصحيح عن جابر
انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة وهي بضم الكاف وتسكين الدال المهملة على التحتانية وهي
القطعة الصلبة فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق
فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم
المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم كذا بالشك من الراوي. وفي رواية الاسماعيلي بالاهيل
من غير شك. والمعنى انه صار رملا يسيل ولا يتماسك والاهيم بمعنى الاهيل. وقد قيل في قوله تعالى
فشاربون شرب الهيم المراد الرمال التي لا ترويها. وقد وقع عند احمد والنسائي في هذه القصة
زيادة باسناد حسن من حديث البراء قال لما كان حين امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر
الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك للنبي عليه السلام
فجاء واخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله
اني لابصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس
واني لابصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله
اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر ابواب صنعاء من مكاني الساعة. ومن اعلام نبوته
صلى الله عليه وسلم ما ثبت في الصحيح من حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق كما سيأتي
ان شاء الله تعالى مستوفى في مقصد المعجزات مع غيره. وقد وقع عند موسى بن عقبة انهم اقاموا
في عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة. وعند الواقدي اربعا وعشرين. وفي الروضة للنووي خمسة عشر
يوما وفي الهدي النبوي لابن القيم اقاموا شهرا. ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق
اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة
ونزل عيينة بن حصن في غطفان ومن تبعهم من اهل نجد الى جانب احد. وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى جعل ظهورهم الى سلع وكانوا ثلاثة الاف رجل. فضرب هنالك عسكره. والخندق بينه
وبين القوم. وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة. ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة وكان

صلى الله عليه وسلم بعث الحرس الى المدينة خوفا على الذراري من بني قريظة. قال ابن اسحق وخرج
عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان وادع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده. فاغلق كعب دونه باب حصنه وابى ان يفتح له
وقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فاني
لم ار منه الا وفاء وصدقا. فقال ويحك افتح لي فلم يزل به حتى فتح له فقال يا كعب جئتك بعز الدهر
جئتك بقريش حتى انزلتهم بمجتمع السيول ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا
حتى نستأصل محمدا ومن معه. ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم. وعن عبد الله بن الزبير قال كنت يوم الاحزاب انا وعمر بن ابي سلمة مع
النساء في اطم حسان فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين او ثلاثا فلما
رجعت قلت يا ابت رأيتك تختلف قال رأيتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله عليه السلام
قال من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه
ابويه فقال فداك ابي وامي. اخرجه الشيخان. وقال الترمذي حديث حسن. وفي رواية
اصحاب المغازي. فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد
ابن عبادة. ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير ليعرفوا الخبر فوجدوهم على اخبث ما بلغهم
عنهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرؤا من عقده وعهده. ثم اقبل السعدان
ومن معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا عضل والقارة اي كغدرهما باصحاب
الرجيع فعظم عند ذلك البلاء. واشتد الخوف. واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم
حتى ظن المؤمنون كل ظن. ونجم النفاق من بعض المنافقين. وانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا. الآيات. وقالت طائفة منهم
يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقال اوس بن قيظي يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو
فائذن لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة. قال ابن عائذ واقبل نوفل بن عبد الله بن
المغيرة المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله وكبر ذلك على المشركين
فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية على ان تدفعوه الينا فندفنه فرد
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم
ان تدفنوه ولا ارب لنا في ديته. وقال ابن اسحق واقام عليه الصلاة والسلام والمسلمون
وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ود العامري
اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة فبارزه علي
فقتله. وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير. وقيل قتله علي ايضا. ورجعت بقية
الخيول منهزمة. ورمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف

ساكن عرق في وسط الذراع. قال الخليل هو عرق الحياة. يقال ان في كل عضو منه شعبة، فهو
في اليد الاكحل، وفي الظهر الابهر، وفي الفخذ النسا، اذا قطع لم يرق الدم. وكان الذي رمى
سعدا ابن العرقة احد بني عامر بن لؤي، قال خذها وانا ابن العرقة، فقال له سعد عرق الله
وجهك في النار. ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه
لا قوم احب الي ان اجاهد من قوم اذوا رسولك وكذبوه. واقام عليه الصلاة والسلام واصحابه
بضع عشرة ليلة، فمشى نعيم بن مسعود الاشجعي وهو مخف اسلامه، فثبط قوما عن قوم واوقع بينهم
شرا لقوله عليه السلام الحرب خدعة، فاختلفت كلمتهم. وروى الحاكم عن حذيفة
قال لقد رأيتنا ليلة الاحزاب وابو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة من اسفل منا
نخافهم على ذرارينا وما اتت علينا ليلة اشد ظلمة ولا ريحا منها فجعل المنافقون يستأذنون
ويقولون بيوتنا عورة، فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وانا جاث على ركبتي ولم يبق معه الا ثلاثمائة
فقال اذهب فأتني بخبر القوم، قال ودعا لي فاذهب الله عني القر والفزع فدخلت عسكرهم فاذا
الريح فيه لا تجاوز شبرا، فلما رجعت رأيت فوارس في طريقي فقالوا اخبر صاحبك ان الله قد كفاه
القوم. وفي رواية ان حذيفة لما ارسله عليه السلام ليأتيه بالخبر سمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش
انكم والله ما اصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الخف والكراع، واخلفتنا بنو قريظة، ولقينا من
هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فاني مرتحل، ووثب على جمله فما حل عقاله الا وهو قائم. ووقع
في البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال يوم الاحزاب من يأتينا بخبر القوم، فقال الزبير انا، قالها
ثلاثا، وقد اشكل ذكر الزبير في هذه. فقال ابن الملقن وقع هنا ان الزبير هو الذي ذهب [illegible]
انما هو حذيفة بن اليمان. قال الحافظ ابن حجر وهذا الحصر مردود فان القصة التي ذهب لكشفها
القصة ذهب حذيفة لكشفها، فقصة الزبير كانت لكشف بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم و
بين المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين. وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين
بالخندق وتمالأت عليهم الطوائف. ثم وقع بين الاحزاب الاختلاف وحذرت كل طائفة من الاخرى
وارسل الله عليهم الريح واشتد البرد تلك الليلة فانتدب عليه الصلاة والسلام من يأتيه بخبر قريش
فانتدب له حذيفة بعد تكراره طلب ذلك. وقصته في ذلك مشهورة لما دخل بين قريش في الليل
وعرف قصتهم. وفي البخاري من حديث عبد الله بن ابي اوفى قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب
فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم. وروى احمد
عن ابي سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر، قال نعم
اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، قال فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح. وفي ينبوع الحياة لابن
ظفر قال ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا فقال يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي
فانك ترى ما نزل بي وباصحابي، فاتاه جبريل فبشره بان الله سبحانه يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم اصحابه

ورفع

ورفع يديه قائلا شكرا شكرا. وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية
وكفأت القدور، وسفت عليهم التراب، ورمتهم بالحصباء، وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير
وقعقعة السلاح، فارتحلوا هاربين في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم. قال في ذلك قوله
تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها. وفي البخاري عن علي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يوم الخندق ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس
ومقتضى هذا انه استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس. ويعارضه ما في صحيح مسلم
عن ابن مسعود انه حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت
الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن صلاة الوسطى. الحديث. و
مقتضى هذا انه لم يخرج الوقت بالكلية. قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد الحبس انتهى الى
ذلك الوقت اي الحمرة او الصفرة ولم تقع الصلاة الا بعد المغرب. انتهى. وفي البخاري عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه جاء يوم الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب فقال صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها
فقمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت
الشمس ثم صلى بعدها المغرب. وقد يكون ذلك بالاشتغال باسباب الصلاة او غيرها. و
مقتضى هذه الرواية المشهورة انه لم يفت غير العصر. وفي الموطأ الظهر والعصر. وفي
الترمذي عن ابن مسعود ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات يوم الخندق
وقال ليس باسناده بأس الا ان ابا عبيدة لم يسمع من عبد الله. ومال ابن العربي الى الترجيح فقال الصحيح
ان التي اشتغل عنها صلى الله عليه وسلم واحدة وهي العصر. وقال النووي طريق الجمع بين هذه الروايات
ان وقعة الخندق بقيت اياما فكان هذا في بعض الايام وهذا في بعضها. واما تأخيره صلى الله عليه وسلم صلاة
العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف. قال العلماء يحتمل انه اخرها نسيانا لا عمدا
وكان السبب في النسيان الاشتغال بامر العدو. ويحتمل انه اخرها عمدا للاشتغال بالعدو، وكان
هذا عذرا في تأخير الصلاة قبل نزول صلاة الخوف. واما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها
بسبب العدو والقتال بل يصلي صلاة الخوف على حسب الحال. وقد اختلف في المراد بالصلاة
الوسطى. وجمع الحافظ الدمياطي في ذلك مؤلفا مفردا سماه كشف المغطى عن الصلاة الوسطى
فبلغ تسعة عشر قولا: وهي الصبح او الظهر او العصر او المغرب او جميع الصلوات، وهو يتناول الفرائض
والنوافل. واختاره ابن عبد البر. او الجمعة. وصححه القاضي حسين في صلاة الخوف من تعليقه
او الظهر في الايام والجمعة يوم الجمعة، او العشاء لانها بين صلاتين لا تقصران، او الصبح والعشاء
او الصبح والعصر لقوة الادلة فظاهر القرآن الصبح ونص السنة العصر، او صلاة الجماعة او
الوتر او صلاة الخوف او صلاة عيد الاضحى او الفطر او صلاة الضحى او واحدة من الخمس غير معينة
او الصبح او العصر على الترديد، وهو غير القول السابق، او التوقف. انتهى. وانصرف صلى الله عليه

من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة • وكان قد قام بالخندق خمسة
عشر يوما • وقيل اربعة وعشرين يوما • وقال عليه السلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا • وفي
ذلك علم من اعلام النبوة فانه عليه الصلوة والسلام اعتمر في السنة السادسة فصدته قريش عن
البيت • ووقعت الهدنة بينهم الى ان نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة • فوقع الامر كما قال عليه السلام الهدنة الصلح
وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى • وقد اخرج البزار من حديث جابر باسناد حسن شاهدا لهذا
ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة لا يغزونكم بعدها
ابدا ولكن انتم تغزونهم • ولما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاربعاء هو مطلب غزوة بني قريظة
واصحابه ووضعوا السلاح جاء جبريل معتجرا بعمامة من استبرق راكبا على بغلة عليها قطيفة
ديباج • وفي رواية البخاري من حديث عائشة رض انه لما رجع صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح
واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بني قريظة
• وعند ابن اسحق ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل بهم فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر
الا ببني قريظة • وعند ابن عائذ قم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا •
وبعث يومئذ مناديا ينادي يا خيل الله اركبي • وعند الحاكم والبيهقي وبعث عليا على المقدمة و
خرج صلى الله عليه وسلم في اثره • وعند ابن سعد ثم سار اليهم المسلمين وهم ثلثة الاف والخيل
ستة وثلثون فرسا • وكان ذلك يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي القعدة • واستعمل على المدينة ابن ام
مكتوم فيما قاله ابن هشام • ونزل عليه السلام على بئر من آبار بني قريظة فصلوا العصر بها
بعد العشاء الاخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم • و
في البخاري عن ابن عمر فادرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم
بل نصلي لم يرد منا ذلك • فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم • كذا وقع في
جميع النسخ من البخاري انها العصر • واتفق عليه جميع اهل المغازي • ووقع في مسلم انها الظهر
مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد • ووافق مسلما ابو يعلى و
آخرون • وجمع بين الروايتين باحتمال ان يكون بعضهم قبل الامر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فقيل
لمن لم يصلها لا يصلين احد الظهر ولمن صلاها لا يصلين احد العصر • وجمع بعضهم باحتمال ان تكون طائفة
منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الاولى الظهر وللطائفة التي بعدها العصر • والله اعلم
• قال ابن اسحق وحاصرهم عليه الصلوة والسلام خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار • وعند
ابن سعد خمس عشرة • وعند ابن عقبة بضع عشرة ليلة • وقذف الله في قلوبهم الرعب • فعرض عليهم
كعب بن اسد ان يؤمنوا فقال لهم يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني اعرض عليكم خلالا
ثلثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين انه لنبي مرسل

[illegible]

وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دياركم واموالكم وابنائكم ونسائكم فابوا فقال اذا ابيتم علي
هذه فهلم نقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا
ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه فقالوا اي عيش
لنا بعد ابنائنا ونسائنا • فقال ان ابيتم علي هذه فان الليلة ليلة السبت وعسى ان يكون محمد
واصحابه قد امنوا منا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة • قالوا نفسد سبتنا و
نحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ وارسلوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر نستشيره
في امرنا فارسله اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه
فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح
قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني خنت الله ورسوله • ثم انطلق ابو
لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال
لا ابرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يطأ بني قريظة ولا يرى في بلد خنت
الله ورسوله فيه ابدا • فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه • قال لو جاءني
لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه • قالوا فاقام
ابو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلوة فتحله للصلوة ثم تعود فتربطه
بالجذع • وقال ابو عمر وروى ابن وهب عن مالك عن عبد الله بن ابي بكر رض ان ابا لبابة ارتبط بسلسلة
ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع وكاد يذهب بصره • وكانت ابنته تحله
اذا حضرت الصلوة او اراد ان يذهب لحاجة فاذا فرغ اعادته • وعن عبد الله بن قسيط ان توبة
ابي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك قالت قلت مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة قالت
قلت افلا ابشره يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب
عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك • قالت فثار الناس اليه ليطلقوه فقال
لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى صلوة
الصبح اطلقه • وروى البيهقي في دلائله بسنده عن مجاهد في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم
هو ابو لبابة اذ قال لقريظة ما قال واشار الى حلقه بان محمدا يذبحكم ان نزلتم على حكمه قال
البيهقي وزعم محمد بن اسحق بن يسار ان ارتباطه كان حين ذاك وقد روينا عن ابن عباس ما دل على
ان ارتباطه بسارية المسجد كان بتخلفه عن غزوة تبوك كما قال ابن المسيب قال وفي ذلك نزلت
هذه الآية • ولما اشتد الحصار ببني قريظة اذعنوا ان ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ • وكان قد جعله في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من اسلم

تنال لها وقيدة. وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه اتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطئوا له
بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى
سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال عليه الصلاة والسلام قوموا الى سيدكم فاما
المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار. واما الانصار
فيقولون عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال
وتسبى الذراري والنساء فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
والرقيع سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم. ووقع في البخاري فقال قضيت فيهم بحكم الله الذي حكم
به من فوق سبع سموات. وفي حديث جابر عند ابن عائذ فقال احكم فيهم يا سعد فقال الله
ورسوله احق بالحكم قال قد امرك الله ان تحكم فيهم. وفي هذه القصة جواز الاجتهاد في زمنه
صلى الله عليه وسلم وهي مسئلة اختلف فيها اهل اصول الفقه. والمختار الجواز سواء كان في
حضرته صلى الله عليه وسلم ام لا. وانما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان القطع
ولا يضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا. وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته عليه السلام كما في هذه القصة
وغيرها انتهى. وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال كما قال الدمياطي
او لخمس كما قال مغلطاي خلون من ذي الحجة. وامر عليه السلام ببني قريظة فادخلوا المدينة وحفر
لهم اخدود في السوق. وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم
وكانوا ما بين ستمائة وسبعمائة. وقال السهيلي المكثر يقول ما بين الثمانمائة والسبعمائة. وفي
حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان باسناد صحيح انهم كانوا اربعمائة مقاتل فيحتمل في طريق
الجمع ان يقال ان الباقين كانوا اتباعا. واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها
وقيل كان يطأها بملك اليمين. وامر بالغنائم فجمعت واخرج الخمس من المتاع والسبي ثم امر بالباقي
فبيع فيمن يريد وقسمه بين المسلمين فكانت على ثلاثة الاف واثنين وسبعين سهما للفرس سهمان ولصاحبه
سهم. وصار الخمس الى محمية بن جزء الزبيدي فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتق منه ويهب ويخدم
منه من اراد. وكذلك صنع بما صار اليه من الرثة وهو السقط من المتاع. وانفجر جرح سعد بن معاذ
فمات شهيدا. وفي البخاري انه دعا اللهم انك تعلم انه ليس احد احب الي ان اجاهدهم فيك
من قوم كذبوا رسولك اللهم اني اظن انك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها فانفجرت
من لبته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما
هذا الذي يأتينا من قبلكم فاذا سعد يغذو جرحه دما فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا
ودعاؤه في هذه القصة مجابا. وذلك انه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق
حرب يكون ابتداء القصد فيه من المشركين فانه تجهز عليه الصلاة والسلام الى العمرة فصدوه

عن دخول

عن دخول مكة وكادت الحرب ان تقع بينهم فلم تقع كما قال الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ثم وقعت الهدنة واعتمر عليه السلام من قابل واستمر ذلك الى ان نقضوا
العهد فتوجه اليهم غازيا ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد بقوله واظن انك قد وضعت الحرب اي ان يقصدونا
محاربين. وهو كقوله عليه السلام نغزوهم ولا يغزونا كما تقدم. وقد تقدم سبب انفجار جرح سعد في
مرسل حميد بن هلال عند ابن سعد. ولفظه انه مرت به عنز وهو مضطجع فاصاب ظلفها موضع النحر فانفجر
حتى مات. وحضر جنازته سبعون الف ملك. واهتز لموته عرش الرحمن. رواه الشيخان. قال
النووي اختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة هو على ظاهره. واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح
سعد. وجعل الله تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا. ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط
من خشية الله. وهذا القول هو ظاهر الحديث. وهو المختار. قال المازري قال بعضهم هو على حقيقته
وان العرش تحرك لموته. قال وهذا لا ينكر من جهة العقل. لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة و
السكون. قال لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك الا ان يقال ان الله جعل حركته علامة للملائكة على موته.
وقال اخرون المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول. ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم
لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها. وقال الحربي هو
عبارة عن تعظيم شأن وفاته. والعرب تنسب الشيء المعظم الى اعظم الاشياء فيقولون اظلمت لموت
فلان الارض وقامت له القيامة. وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول
باطل يرده صريح الروايات التي ذكرها مسلم اهتز لموته عرش الرحمن. وانما قال هؤلاء هذا
التأويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التي ذكرها مسلم. والله اعلم. انتهى. وقيل المراد باهتزاز
العرش اهتزاز حملة العرش. وصحح الترمذي من حديث انس قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ
قال المنافقون ما اخف جنازته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة كانت تحمله. وعن البراء
قال اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل اصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال عليه
السلام تعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين. هذا لفظ رواية ابي نعيم
في مستخرجه على مسلم. والمناديل جمع منديل بكسر الميم المنوعة المعروف. قال العلماء فيه
اشارة الى عظم منزلة سعد في الجنة وان ادنى ثيابه فيها خير من هذه لان المنديل ادنى الثياب
لانه معد للوسخ والامتهان فغيره افضل. انتهى. واخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر
عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال قبض انسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها ثم نظر اليها
بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه
فقال الحمد لله لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه. واخرج ابن سعد
عن ابي سعيد الخدري قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا. قاله
الحافظ مغلطاي وغيره. وفي هذه السنة فرض الحج وقيل سنة ست وصححه غير واحد

مطلب اهتزاز العرش لموت سعد ابن معاذ

وهو قول الجمهور. وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان. ورجحه جماعة من العلماء. وسيأتي البحث في ذلك إن شاء الله تعالى في ذكر وفد عبد القيس من المقصد الثاني. وفي ذكر حجه عليه السلام من مقصد عباداته.

مطلب سرية محمد بن مسلمة

ثم سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء بطن من أبي بكر بن كلاب. وهم ينزلون بناحية ضرية بالبكرات. وبين ضرية والمدينة سبع ليال. لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست على رأس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة بعثه في ثلاثين راكبا فلما أغار عليهم هرب سائرهم وعند الدمياطي فقتل نفرا منهم وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن أثال الحنفي أسيرا فربط بأمره عليه السلام بسارية من سواري المسجد ثم أطلق بأمره عليه السلام أيضا فاغتسل وأسلم وقال يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الأديان كلها إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم. ذكر قصته البخاري

مطلب غزوة بني لحيان

ثم غزوة بني لحيان بكسر اللام وفتحها لغتان. في ربيع الأول سنة ست من الهجرة. وذكرها أبو معشر في المغازي في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من قريظة. قال ابن حزم الصحيح أنها في الخامسة قالوا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا فأظهر أنه يريد الشام وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران واد بين أمج وعسفان. وبينها وبين عسفان خمسة أميال حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا ببئر معونة فترحم عليهم ودعا لهم فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد فأقام يوما أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فأتوا كراع الغميم ثم رجعوا ولم يلقوا أحدا وانصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيدا وهو يقول آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

كذا

مطلب غزوة الغابة وتعرف بذي قرد

ثم غزوة الغابة وتعرف بذي قرد بفتح القاف والراء وفي بالدال المهملة وهو ماء على بريد من المدينة في ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية وعند البخاري أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وفي مسلم نحوه. قال مغلطاي وفي ذلك نظر لإجماع أهل السير على خلافهما. انتهى. وقال القرطبي شارح مسلم لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية. وقال الحافظ ابن حجر ما في الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكره أهل السير على خلافها. انتهى. وسببها أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون

لقحة

لقحة وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة وكان أبو ذر فيها فأغار عليهم عيينة ابن حصن الفزاري ليلة الأربعاء في أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر. وقال ابن إسحاق وكان فيهم رجل من غفار وامرأة فقتلوا الرجل وسبوا المرأة فركبت ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ليلا حين غفلتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته بذلك فقال لا نذر في معصية ولا لأحد فيما لا يملك. ونودي يا خيل الله اركبي. وكان أول ما نودي بها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة. وقيل سبعمائة. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة. وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواء في رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول وأنا على أثرك فأدرك أخريات العدو. وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه. وقتل عكاشة بن محصن أبان بن عمرو. وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة. وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل ويقول خذها وأنا ابن الأكوع. واليوم يوم الرضع. يعني هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع أي رضع اللؤم في بطن أمه. وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس والخيول عشاء. قال سلمة فقلت يا رسول الله إن القوم عطاش فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملكت فأسجح وهو بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة أي فارفق وأحسن. والسجاحة السهولة أي لا تأخذ بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد ثم قال إنهم الآن ليقرون في غطفان وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وأفلت القوم بما بقي وهو عشر. وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف وأقام يوما وليلة ورجع وقد غاب خمس ليال. وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها.

مطلب سرية عكاشة

سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر مرزوق بالغين المعجمة المكسورة وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة في أربعين رجلا فخرج سريعا فنذر به القوم بكسر الذال المعجمة أي علموا فهربوا فنزلوا علياء بلادهم فاستاقوا مائتي بعير وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا.

مطلب سرية محمد بن مسلمة

ثم سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة بالقاف والصاد المهملة المشددة المفتوحتين موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة إلى بني ثعلبة فورد عليهم ليلا فأحدق به القوم وهم مائة رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وجردوهم من ثيابهم ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في ربيع الآخر في أربعين رجلا إلى مصارعهم فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا في الجبال وأصاب رجلا واحدا فأسلم وتركه وأخذ نعما

من نعيمهم فاستاقه ورثة من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم
قال في القاموس الرثة السقط من متاع البيت كالرثة بالكسر. ثم سرية زيد بن حارثة
الى بني سليم بالجموم ويقال الجموح ناحية ببطن نخل من المدينة على اربعة اميال في شهر ربيع الآخر سنة ست
فاصابوا امرأة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فاصابوا نعما وشاء واسرى فكان
فيهم زوج حليمة المزنية فلما قفل زيد بها اي بما اصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها
وزوجها. ثم سرية زيد بن حارثة ايضا الى العيص موضع على اربع ليال من المدينة في جمادى
الاولى سنة ست ومعه سبعون راكبا لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان عيرا لقريش قد اقبلت من الشام يتعرض
لها فاخذوها وما فيها واخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن امية واسر منهم ابو العاص بن الربيع و
قدم بهم المدينة فاجارته زوجته زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ونادت في الناس حين صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفجر اني قد اجرت ابا العاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بشيء من هذا وقد اجرنا
من اجرت ورد عليه ما اخذ منه. وذكر ابن عقبة ان اسره كان على يد ابي بصير بعد الحديبية وكانت هاجرت
قبله وتركته على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل
قبل انقضاء العدة. وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع. ثم
سرية زيد بن حارثة ايضا الى الطرف وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا في جمادى الآخرة سنة
ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت الاعراب وصبح زيد بالنعم
المدينة وهي عشرون بعيرا ولم يلق كيدا وغاب اربع ليال. ثم سرية زيد ايضا الى حسمى
بكسر المهملة وهي وراء ذات القرى وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وسببها ان دحية بن
خليفة الكلبي اقبل من عند قيصر وقد اجازه وكساه فلقيه الهنيد في ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق
فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا اليهم فاستنقذوا لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير
الليل ويكمن النهار فاقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا وقتلوا
الهنيد وابنه واغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم فاخذوا من النعم الف شاة ومائة من النساء
والصبيان فرحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه فدفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي
كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه واسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا الى زيد بن حارثة يأمره
ان يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم فرد عليهم. ثم سرية زيد ايضا الى وادي القرى ايضا
في رجب سنة ست فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد اي حمل من المعركة رثيثا اي جريحا وبه رمق وهو
بين القتلى كذا في القاموس. ثم سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل في شعبان
سنة ست قالوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن فاقعده بين يديه وعممه بيده قال اغز
باسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه الى كلب بدومة الجندل

مطلب سرية بن حارثة

مطلب زيد بن حارثة

مطلب سرية زيد بن حارثة

مطلب سرية زيد ايضا

مطلب سرية عبد الرحمن ابن عوف

وقال ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة ايام
يدعوهم الى الاسلام فاسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان رأسهم واسلم معه كثير
من قومه واقام من اقام على اعطاء الجزية. وتزوج عبد الرحمن تماضر بضم المثناة الفوقية وكسر الضاد
المعجمة بنت الاصبغ وقدم بها المدينة فولدت له ابا سلمة. ثم سرية علي بن ابي
طالب في شعبان سنة ست من الهجرة ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر لما بلغه صلى الله عليه وسلم
ان لهم جمعا يريدون ان يمدوا يهود خيبر فاغاروا عليهم بين فدك وخيبر فاخذوا خمسمائة
بعير والفي شاة وهربت بنو سعد وقدم علي ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا
ثم سرية زيد بن حارثة الى ام قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية بناحية وادي القرى على
سبع ليال من المدينة في رمضان سنة ست من الهجرة وكان سببها ان زيد بن حارثة خرج في تجارة
الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة
من بني بدر فضربوه وضربوا اصحابه واخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره فبعثه عليه الصلاة والسلام اليهم فكمن واصحابه بالنهار وساروا بالليل ثم صبحهم زيد واصحابه فكبروا
واحاطوا بالحاضر واخذوا ام قرفة وكانت ملكة رئيسة واخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة
ابن بدر وعمد قيس بن المحسر الى ام قرفة وهي عجوز كبيرة فقتلها قتلا عنيفا وربط بين رجليها حبلا
ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع
باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فاخبره بما ظفره
الله به. ثم سرية عبد الله بن عتيك لقتل ابي رافع عبد الله ويقال سلام ابن ابي الحقيق
اليهودي وهو الذي حزب الاحزاب يوم الخندق وكانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست
كذا ذكره ابن سعد هنا. وذكر في ترجمة عبد الله بن عتيك انه بعثه في ذي الحجة الى ابي رافع سنة
خمس بعد وقعة بني قريظة. وقيل في جمادى الآخرة سنة ثلاث. وفي البخاري قال الزهري بعد قتل
كعب بن الاشرف. وارسل معه اربعة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن انيس وابا قتادة والاسود بن خزاعي
ومسعود بن سنان. وامرهم بقتله فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل جاءوا الى منزله فصعدوا
درجة له وقدموا عبد الله لانه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية ففتحت له امرأته
فلما رأت السلاح ارادت ان تصيح فاشاروا اليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه الا ببياضه فعلوه
باسيافهم. وفي البخاري وكان ابو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان في حصن له
فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق
ومتلطف بالبواب لعلي ان ادخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضي حاجة وقد دخل الناس
فهتف به البواب ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس
اغلق الباب ثم علق الاغاليق قال فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده

مطلب سرية علي بن ابي طالب

مطلب زيد بن حارثة

مطلب سرية عبد الله ابن عتيك

وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من داخل
فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، قلت أبا رافع، قال من هذا
فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئا وصاح فخرجت من البيت فأمكث
غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع فقال لأمك الويل إن رجلا في البيت ضربني
قبل بالسيف قال فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره
فعرفت أني قتلته، وفي رواية له ثم جئت كأني أغيثه فقلت له ما لك يا أبا رافع وغيرت صوتي
فقال لأمك الويل دخل علي رجل فضربني قال فعمدت له أيضا فأضربه أخرى فلم تغن شيئا فصاح
وقام أهله قال ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث وإذا هو مستلق على ظهره فأضع السيف
في بطنه ثم أنكفئ عليه حتى سمعت صوت العظم فجعلت أفتح الباب حتى أتيت درجة له فوضعت رجلي وأنا
أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة فلما صاح الديك
قام الناعي على السور فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأنها لم أشتكها قط، هذا لفظ رواية البخاري، وفي رواية
محمد بن سعد أن الذي قتله عبد الله بن أنيس، والصواب أن الذي دخل عليه فقتله عبد الله بن عتيك
وحده كما في البخاري

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر

مطلب سرية عبد الله بن رواحة

في شوال سنة ست، وكان سببها أنه لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليها أسيرا فسار
في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك، فوجه عبد الله بن رواحة وثلاثة نفر
في شهر رمضان سرا فسأل عن خبره وغرته فأخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره به
فندب له صلى الله عليه وسلم الناس فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه يستعملك على خيبر ويحسن إليك فطمع في ذلك فخرج
وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى إذا كانوا بقرقرة ضربه
عبد الله بن أنيس بالسيف وكان في السرية فسقط عن بعيره ومالوا على أصحابه فقتلوهم غير رجل ولم
يصب من المسلمين أحد، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين

سرية كرز بن جابر الفهري بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي إلى العرنيين

مطلب سرية كرز بن جابر

بضم العين وفتح الراء المهملتين حي من قضاعة وحي من بجيلة والمراد هنا الثاني كذا ذكره ابن عقبة
في المغازي، وذكر ابن إسحاق أن قدومهم كان بعد غزوة ذي قرد، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست
وذكرها البخاري بعد الحديبية، وكانت في ذي القعدة منها، وعند الواقدي في شوال منها، وتبعه ابن سعد
وابن حبان، وفي البخاري في كتاب المغازي عن أنس أن ناسا من عكل وعرينة قدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام فقالوا يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة
فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها

فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا
الذود، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم
وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم، وفي لفظ: وسمر أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا
وفي لفظ: ولم يحسمهم، أي لم يكو مواضع القطع فينحسم الدم، وقال أنس: إنما سمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاء، رواه مسلم، فيكون ما فعل بهم قصاصا، وفي رواية أنهم كانوا ثمانية
وعند البخاري أيضا في المحاربين أنهم كانوا في الصفة قبل أن يطلبوا الخروج إلى الإبل، وفي رواية
قال أنس: فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه حتى مات، وعند الدمياطي كان عدد اللقاح
خمسة عشر لقحة بكسر اللام وسكون القاف، ويقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر، وقد صحح مسلم
أن السرية كانت قريبا من عشرين فارسا من الأنصار، وروى ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع قال كان
للنبي صلى الله عليه وسلم مولى يقال له يسار فنظر إليه يحسن الصلاة فأعتقه وبعثه في لقاح له بالحرة
فكان بها، قال فأظهر قوم الإسلام من عرينة وجاءوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم فعدوا
على يسار فذبحوه وجعلوا الشوك في عينيه ثم طردوا الإبل فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم
خيلا من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم إليه فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل
أعينهم، قال ابن كثير غريب جدا، وروى ابن جرير عن محمد بن إبراهيم عن جرير بن عبد الله البجلي قال
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة الحديث، وفيه قال جرير فبعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى أدركناهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم فجعلوا يقولون
الماء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النار حتى هلكوا، قال وكره الله عز وجل سمل الأعين فأنزل
هذه الآية إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله إلى آخر الآية، وفي إسناده [illegible] ضعيف، وفيه أن أمير
السرية جرير بن عبد الله البجلي، قال مغلطاي: فيه نظر لأن إسلام جرير كان بعد هذه بنحو أربع سنين
وفي مغازي ابن عقبة أن أمير هذه السرية سعيد بن زيد، كذا عنده بياء بعد العين، وعند غيره
سعد بسكون العين بن زيد الأشهلي، وهذا أنصاري، فيحتمل أنه كان رأس الأنصار، وكان كرز أمير
الجماعة، وأما قوله وكره الله سمل الأعين فأنزل الله هذه الآية، فإنه منكر، وقد تقدم في صحيح مسلم
أنهم سملوا أعين الرعاء فكان ما فعل بهم قصاصا، والله أعلم، قاله في فتح الباري
[illegible] وروي أن العرنية هم عكل وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان عكل من عدنان وعرينة من
قحطان

ثم سرية عمرو بن أمية الضمري إلى أبي سفيان بن حرب بمكة، لأنه أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم

مطلب سرية عمرو بن أمية الضمري

من يقتله غيلة، فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن هذا ليريد غدرا
فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر فسقط في يده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصدقني ما
أنت، قال وأنا آمن؟ قال نعم، فأخبره بخبره فخلى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث عمرو بن أمية وسلمة بن
أسلم، ويقال جبار بن صخر، إلى أبي سفيان، وقال إن أصبتما منه غرة فاقتلاه، ودخل عمرو مكة

مطلب غزوة الحديبية

يطوف بالبيت بليل فرآه معاوية بن أبي سفيان فأخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان
فاتكا في الجاهلية فحشد له أهل مكة وتجمعوا فهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي
فقتله وقتل آخر ولقي رسولين لقريش بعثتهما ليتجسسا الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به
المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو عليه الصلاة والسلام يضحك
ثم الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر سمي المكان بها وقيل شجرة
وقال المحب الطبري قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم وهي على تسعة أميال من مكة خرج عليه السلام
يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة وأخرج معه زوجته أم سلمة في ألف
وأربعمائة ويقال ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلاثمائة والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من
ألف وأربعمائة فمن قال ألف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال ألف وأربعمائة ألغاه ويؤيده رواية
البراء ألفا وأربعمائة أو أكثر واعتمد على هذا الجمع النووي وأما رواية ألف وثلاثمائة فيمكن حملها
على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على الزيادة بمائتين ولم يطلع هو عليهم والزيادة من الثقة مقبولة
وأما قول ابن إسحاق إنهم كانوا سبعمائة فلم يوافقه أحد عليه لأنه قاله استنباطا من قول جابر نحرنا
البدنة عن عشرة وكانوا نحروا سبعين بدنة وهذا لا يدل على أنهم ما كانوا نحروا غير البدن
مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلا وجزم موسى بن عقبة بأنهم كانوا ألفا وستمائة وعند ابن أبي شيبة
من حديث سلمة بن الأكوع ألف وسبعمائة وحكى ابن سعد ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين واستخلف
على المدينة ابن أم مكتوم ولم يخرج معه بسلاح إلا السلاح المسافر السيوف في القرب وفي البخاري
في المغازي عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي وأشعر وأحرم منها وفي رواية أحرم منها
بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه
فقال إن قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت و
مانعوك فقال أشيروا علي أيها الناس أترون أن أميل على عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون
أن يصدونا وفيه قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب
أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله وزاد أحمد كان أبو هريرة يقول
ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري
حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة
فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي
صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل
فألحت يعني تمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أي حبسها الله عن دخول مكة كما

البلد

حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدهم قريش لوقع
بينهم القتال المفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل لكن سبق في علم الله أنه
سيدخل في الإسلام منهم خلق ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون انتهى ثم قال صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها
فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يعني حفيرة فيها ماء قليل يتبرضه
الناس تبرضا أي يأخذونه قليلا قليلا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش بالري حتى
صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة
نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا
أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والعوذ بالذال
المعجمة جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الأمهات التي معها أطفالها يريد أنهم خرجوا
معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء
معهن الأطفال والمراد أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ليكون أدعى إلى عدم
الفرار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن
قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس
فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا يعني استراحوا
وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أي صفحة العنق
كنى بذلك عن القتل ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا
فقال إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال
سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته
يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال أي قوم ألستم
بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونني قالوا لا قال ألستم تعلمون
أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي وهو بالمهملة أي امتنعوا من الإجابة جئتكم بأهلي وولدي
ومن أطاعني قالوا بلى قال فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد أي خصلة خير وصلاح اقبلوها
ودعوني آتيه فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل
فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح
أصله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها وإني لأرى أشوابا يعني أخلاطا من الناس
خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضي الله عنه امصص بظر اللات أي نحن نفر عنه وندعه
قال العلماء وهذا مبالغة من أبي بكر رضي الله عنه في سب عروة فإن اللات معبود عروة وهو صنمه

مقام أمته وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبته إلى الفرار • والبظر بالموحدة المفتوحة و
الظاء المعجمة الساكنة قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة • واللات اسم صنم • والعرب تطلق هذا
اللفظ في معرض الذم انتهى • فقال أي عروة من هذا قالوا أبو بكر فقال أما والذي نفسي بيده لولا
يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك • قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم
أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما
أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن
لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال العلماء وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من
يكلمه لا سيما عند الملاطفة وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم
يغضي لعروة استمالة له وتأليفا والمغيرة يمنعه إجلالا للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما • انتهى
قال فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك — اي غدر
وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء • ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه
قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه و
جلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا
أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له • قال في فتح الباري فيه إشارة إلى الرد على ما خشيه من
فرارهم فكأنهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن به أنه
يفر عنه ويسلمه لعدوه بل هم أشد اغتباطا به وبدينه وبنصره من هذه القبائل التي تراعي
بعضها بمجرد الرحم والله أعلم انتهى • قال فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت
على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم
أصحاب محمد محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم
ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده
وما يحدون إليه النظر تعظيما له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة
دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون
فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت
البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقال رجل منهم يقال له مكرز بن حفص
بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني آتيه فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينا هو يكلمه إذ جاء سهيل بن
عمرو • قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل

لكم من أمركم • وفي رواية ابن إسحاق فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالوا اذهب إلى هذا الرجل فصالحه
فقال صلى الله عليه وسلم قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم
جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضا وأن
يرجع عنهم • قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا كتابا فدعا النبي
صلى الله عليه وسلم الكاتب هو علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما
الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا
نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى
محمد رسول الله • وفي حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم فكتب هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة الحديث
فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني • وفي رواية لمسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي امحه فقال ما أنا بالذي أمحاه وهي لغة في أمحوه • قال العلماء وهذا الذي فعله علي من باب
الأدب المستحب لأنه لم يفهم من النبي صلى الله عليه وسلم تحتيم محوه على نفسه ولهذا لم ينكر عليه ولو حتم
محوه فأراه مكانها لم يجز لعلي تركه انتهى • قال صلى الله عليه وسلم أرني مكانها فأراه مكانها فمحاه
وكتب ابن عبد الله • وفي رواية البخاري في المغازي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن
أن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله • وكذا أخرجه النسائي وأحمد ولفظه فأخذ الكتاب
وليس يحسن أن يكتب فكتب مكان رسول الله هذا ما قاضى محمد بن عبد الله • قال في فتح الباري وقد تمسك
بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي فادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن
أن يكتب فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ورموه بالزندقة • وأن الذي قاله يخالف القرآن
حتى قال قائلهم • برئت ممن شرى دنيا بآخرة • وقال إن رسول الله قد كتبا • فجمعهم الأمير فاستظهر
الباجي بما لديه من المعرفة وقال هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن لأنه قيد النفي بما قبل
ورود القرآن قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك • وبعد أن تحققت أميته
وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب في ذلك لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم
فتكون معجزة أخرى • وكذا ذكر ابن دحية أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي على ذلك منهم شيخه أبو ذر
الهروي وأبو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء إفريقية • واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبي
شيبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ وقال
مجالد فذكرته للشعبي فقال صدق قد سمعت من يذكر ذلك • وقال القاضي عياض وردت آثار تدل
على معرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه أذكر لك • وقوله
لمعاوية ألق الدواة وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم إلى غير ذلك قال وهذا وإن لم يثبت
أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة فإنه أوتي علم كل شيء • وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث

وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة والكاتب فيها هو علي بن ابي طالب رض • وقد صرح في حديث
المسور بن مخرمة بان عليا هو الذي كتب فيحمل على ان النكتة في قوله فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب
بيان ان قوله ارني اياها انه انما احتاج الى ان يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها الا
لكونه كان لا يحسن الكتابة • وعلى ان قوله بعد ذلك فكتب فيه حذف تقديره فمحاها فاعادها لعلي فكتب
او اطلق كتب بمعنى امر بالكتابة وهو كثير كقوله كتب الى كسرى وقيصر • وعلى تقدير حمله على ظاهره
فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة ان يصير عالما بالكتابة و
يخرج عن كونه اميا • فان كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف صور بعض الكلمات ويحسن وضعها
وخصوصا الاسماء • ولا يخرج بذلك عن كونه اميا ككثير من الملوك • ويحتمل ان يكون جرت يده بالكتابة
حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة اخرى في ذلك الوقت خاصة ولا
يخرج بذلك عن كونه اميا • وبهذا اجاب ابو جعفر السمناني احد ائمة الاصول من الاشاعرة وتبعه
ابن الجوزي وتعقب ذلك السهيلي وغيره بان هذا وان كان ممكنا ويكون اية اخرى لكنه يناقض كونه اميا
لا يكتب وهي الاية التي قامت بها الحجة • وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز ان يصير يكتب بعد ذلك
لعادت الشبهة • وقال المعاند كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها
بعضا والحق ان معنى قوله فكتب امر عليا ان يكتب • انتهى • وفي دعوى ان كتابة اسمه الشريف فقط
على هذه الصورة يستلزم مناقضة المعجزة ويثبت كونه غير امي نظر كبير والله اعلم • انتهى • وانما قال
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله اما الرحمن الرحيم فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم
الى اخره • فقال العلماء وافقهم عليه السلام في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة
الحاصلة بالصلح مع انه لا مفسدة في هذه الامور • اما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد وكذا
قوله محمد بن عبد الله هو ايضا رسوله • وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك
ولا في ترك وصفه صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه • وانما كانت المفسدة
تكون لو طلبوا ان يكتب ما لا يحل من تعظيم الهتهم ونحو ذلك • انتهى • ثم ان في رواية البخاري فكتب هذا
ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل
والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا
رجل وان كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما
والضغطة بالضم قال في القاموس الضيق والاكراه والشدة انتهى • فان قلت ما الحكمة في كونه
عليه الصلوة والسلام وافق سهيلا على انه لا ياتيه منهم رجل وان كان على دين الاسلام الا رده الى
المشركين فالجواب ان المصلحة المترتبة على اتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده
المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة واسلام اهلها كلهم ودخول الناس في دين الله افواجا وذلك انهم
قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا يتظاهر عندهم امور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي ولا يخلون

من

من يعلمهم بها مفصلا • فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاؤوا الى المدينة وذهب المسلمون
الى مكة وخلوا باهلهم واصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه وسمعوا منهم احوال النبي صلى الله عليه
وسلم ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بانفسهم
كثيرا من ذلك فمالت نفوسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فاسلموا بين صلح
الحديبية وفتح مكة • وازداد الاخرون ميلا الى الاسلام • فلما كان يوم الفتح اسلموا كلهم لما كان
قد تمهد لهم من الميل • وكانت العرب في البوادي ينتظرون باسلامهم اسلام قريش فلما اسلمت قريش
اسلمت العرب في البوادي • قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فالله ورسوله اعلم • انتهى • قال في رواية البخاري فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن عمرو
يرسف في قيوده وقد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول
ما اقاضيك عليه ان ترده الي فقال صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك
على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل
قال مكرز بلى قد اجزناه لك • قال ابو جندل يا معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون
الى ما قد لقيت • وكان قد عذب في الله عذابا شديدا • زاد ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وان الله جاعل لك فرجا ومخرجا • وشب عمر يمشي الى جنبه
ويقول اصبر فانما هم المشركون وانما دم احدهم كدم الكلب • قال الخطابي تاول العلماء ما وقع في
قصة ابي جندل على وجهين • احدهما ان الله قد اباح التقية للمسلم اذا خاف الهلاك ورخص له ان
يتكلم بالكفر مع اضمار الايمان ان لم تمكنه التورية فلم يكن رده اليهم اسلاما لابي جندل الى الهلاك
مع وجود السبيل الى الخلاص من الموت بالتقية • والوجه الثاني انه انما رده الى ابيه والغالب ان
اباه لا يبلغ به الى الهلاك وان عذبه او سجنه فله مندوحة بالتقية ايضا • واما ما يخاف عليه من الفتنة
فان ذلك امتحان من الله يبتلي به صبر عباده المؤمنين • واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين
على ان يرد اليهم من جاء مسلما من عندهم ام لا فقيل نعم على ما دلت عليه قصة ابي جندل وابي بصير
وقيل لا وان الذي وقع في القصة منسوخ وان ناسخه حديث انا بريء من مسلم بين مشركين وهو
وعند الشافعية يفصل بين العاقل والمجنون والصبي فلا يردان • وقال بعض الشافعية ضابط جواز
الرد ان يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب • والله اعلم • قال في فتح الباري قال في رواية البخاري
فقال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قال السنا على الحق
وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو
ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى افاخبرتك انا ناتيه العام
قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى
قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل

انه رسول الله وليس يعصيه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اوليس كان يحدثنا
انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى افاخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه فمطوف به
قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا على
على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين واذلال المبطلين وما
جواب ابي بكر لعمر رضي الله عنهما مثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله
وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره . وكان الصلح بينهم
عشر سنين كما في السير . واخرجه ابو داود من حديث ابن عمر ولابي نعيم في مسند عبد الله بن دينار
كانت اربع سنين . وكذا اخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك والاول اشهر . وكان الصلح على
وضع الحرب بحيث يأمن الناس فيها ويكف بعضهم عن بعض وان لا يدخل البيت الا العام المقبل ثلاثة
ايام . ولا يدخلونها الا بجلبان السلاح وهو القراب بما فيه . والجلبان بضم الجيم واللام ساكنة شبه الجراب
من الادم يوضع فيه السيف مغمودا . ورواه القتيبي بضم الجيم واللام وتشديد الباء وقال هو
اوعية السلاح بما فيها . وفي بعض الروايات ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوهما
اشترطوا ذلك ليكون علما وامارة للسلم اذ كان دخولهم صلحا . وقال مكي بن ابي طالب لعقد الذي
في تفسيره وبعث عليه السلام بالكتاب مع عثمان بن عفان . وامسك سهيل بن عمرو عنده فامسك
المشركون عثمان فغضب المسلمون . وقال مغلطاي فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي صلى الله عليه
وسلم ان عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا يفروا
انتهى . ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه وقال هذه عن عثمان . وفي البخاري فقال
صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده . الحديث . ولما سمع المشركون
هذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين . وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم . وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين . وحلق الناس
مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحروا هداياهم بالحديبية . قال مغلطاي وارسل الله ريحا حملت شعورهم
فالقتها في الحرم واقام عليه السلام بالحديبية بضعة عشر يوما . وقيل عشرين يوما ثم قفل . وفي نفوس
بعضهم شيء فانزل الله سورة الفتح يسليهم بها ويذكرهم نعمه فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا . قال ابن
عباس وانس والبراء بن عازب الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح بعد ان كان المنافقون يظنون ان لن
ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي حسبوا انهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم . واما قوله تعالى
واثابهم فتحا قريبا فالمراد فتح خيبر على الصحيح لانها وقعت المغانم الكثيرة فيها للمسلمين . وقد روى احمد
وابو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله عليه السلام
واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس وقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا . الاية فقال رجل يا رسول الله او
فتح هو قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح . وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي ان

انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وتابعوا بيعة الرضوان
واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بنصر الله . واما قوله اذا جاء نصر الله
والفتح . وقوله لا هجرة بعد الفتح فتح مكة بالاتفاق . قال الحافظ ابن حجر فبهذا يرتفع الاشكال
وتجتمع الاقوال والله اعلم . ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة . وفي هذه السنة كسفت
الشمس . وظاهر اوس بن الصامت من امرأته خولة . وفي هذه السنة ايضا استسقى في رمضان
ومطر الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس مؤمنا بالله وكافرا بالكواكب . في الخمر
وجزم الدمياطي في سيرته بان تحريم الخمر كان سنة الحديبية . وذكر ابن اسحق انه كان في وقعة بني النضير
وهي بعد احد . وذلك سنة اربع على الراجح . وفيه نظر لان انسا كان الساقي يوم حرمت وانه لما سمع المنادي
بتحريمها بادر فاراقها فلو كان سنة اربع لكان انس يصغر عن ذلك . واخرج النسائي والبيهقي باسناد
صحيح عن ابن عباس انما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الانصار شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض فلما
ان صحوا جعل الرجل يرى في وجهه ورأسه الاثر فيقول صنع هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم
ضغائن فيقول والله لو كان بي رحيما ما صنع بي هذا حتى وقعت في قلوبهم ضغائن فانزل الله هذه
الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون . فقال ناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن
فلان وفلان وقد قتل يوم احد فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
الى قوله المحسنين . وان تحريم الخمر نزلت في عام الفتح قبل الفتح . والخمر في الاصل مصدر خمره
اذا ستره سمي به عصير العنب اذا اشتد وقذف لانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام
مطلقا وكذا كل ما اسكر عند العلماء . وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد
حل شربه ما دون السكر انتهى . واما الحشيشة وتسمى القنب الهندي والجدرية والقلندرية فلم يتكلم فيها
الائمة الاربعة ولا غيرهم من علماء السلف لانها لم تكن في زمنهم وانما ظهرت في اواخر المائة السادسة واول
السابعة . واختلف هل هي مسكرة يجب فيها الحد او مفسدة للعقل فيجب التعزير . والذي اجمع عليه الاطباء
انها مسكرة وبه جزم الفقهاء . وصرح به الشيخ ابو اسحق الشيرازي في كتاب التذكرة في الخلاف والنووي في
شرح المهذب ولا نعرف فيه خلافا عندنا . ونقل عن ابن تيمية انه قال الصحيح انها مسكرة كالشراب فان
اكلتها ينتشون عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج وغيره فانه لا ينشي ولا يشتهى . قال الزركشي
ولم ار من خالف في هذا الا القرافي في قواعده . وقد نص العلماء بالنبات في كتبهم انها مسكرة . والذي يظهر
انها مفسدة . وفي كلام شيخه الزركشي يطول ذكره . وقد تظافرت الادلة على حرمتها ففي صحيح م
كل مسكر حرام . وقد قال تعالى ويحرم عليهم الخبائث واي خبيث اعظم مما يفسد العقل التي اتفقت الملل و
الشرائع على ايجاب حفظها . ولا ريب ان تناول الحشيشة يظهر به اثر التغير في انتظام العقل والنور
المستمد كماله من نور العقل . وقد روى ابو داود باسناد حسن عن ديلم الحميري قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انا بارض باردة نعالج فيها عملا شديدا وانا نتخذ شرابا من هذا القمح

نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا فقال هل يسكر قلت نعم قال فاجتنبوه قلت فإن الناس غير
تاركيه قال فإن لم يتركوه فقاتلوهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تنبيه على العلة التي حرم لأجلها
المزر فوجب بكل شيء عمل عمله يجب تحريمه ولا شك أن الحشيش يعمل ذلك وفوقه • وروى
أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر
المفتر كل ما يورث الفتور والخدر في الأطراف • وهذا الحديث أدل دليل على تحريم الحشيشة وغيرها من
المخدرات فإنها إن لم تكن مسكرة كانت مفترة مخدرة ولذلك يكثر النوم من متعاطيها وتثقل
رؤوسهم بواسطة تبخيرها في الدماغ • وقد نقل الإجماع على تحريمها غير واحد • منهم القرافي وابن تيمية
وقال إن من استحلها فقد كفر • وتعقبه الزركشي بأن تحريمها ليس معلوما من الدين بالضرورة نعم
ذلك لكن لا بد أن يكون دليل الإجماع قطعيا على أحد الوجهين • وقد ذكر أصحابنا أن المسكر من عصير العنب
كعصير العنب في وجوب الحد لكن لا يكفر مستحله لاختلاف العلماء فيه • واختلف هل يحرم تعاطي
اليسير الذي لا يسكر فقال النووي في شرح المهذب إنه لا يحرم أكل القليل الذي لا يسكر من الحشيش
بخلاف الخمر حيث يحرم قليلها الذي لا يسكر • والفرق أن الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليله
للنجاسة • وتعقبه الزركشي بأنه صح الحديث ما أسكر كثيره فقليله حرام قال والمتجه أنه لا يجوز
تناول شيء من الحشيش لا قليل ولا كثير • وأما قول النووي إنها طاهرة وليست بنجسة فقطع به
ابن دقيق العيد وحكى الإجماع عليه قال وأما الأفيون وهو لبن الخشخاش أقوى فعلا من
الحشيش لأن القليل منه يسكر جدا • وكذلك السيكران وجوز الطيب مع أنه طاهر بالإجماع انتهى •
وقد جمع بعضهم في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية وبدنية حتى قال بعضهم كل ما في الخمر من المذمومات
موجود في الحشيش وزيادة فإن أكثر ضرر الخمر في الدين لا في البدن وضررها فيهما فمن ذلك فساد العقل
وعدم المروءة والرعشة والأبنة وكشف العورة وترك الصلوات والوقوع في المحرمات وقطع النسل
والبرص والجذام والأسقام وتنتن الفم وسقوط شعر الأجفان وحفر الأسنان وتسويدها وتضييق
النفس وتصفير الألوان وتثقيب الكبد وتجعل الأسد كالعجل وتورث الكسل والفشل وتعيد العزيز
ذليلا والصحيح عليلا والفصيح أبكما والصحيح أبلما وتذهب السعادة وتنسي الشهادة فضائحها بعيد
عن السنة طريد عن الجنة موعود من الله باللعنة إلا أن يتوب من الذم سنته ويحسن بأمر طنته ولقد
أحسن القائل • قل لمن يأكل الحشيشة جهلا • يا خسيسا قد عشت شر معيشه • دية العقل بدرة
فلماذا • يا سفيها قد بعتها بحشيشه •

غزوة خيبر وهي مدينة كبيرة
ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام قال ابن إسحاق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بقية المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها • وقيل كانت في آخر سنة ست وهو منقول
عن مالك وبه جزم ابن حزم • قال الحافظ ابن حجر والراجح ما ذكره ابن إسحاق • ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة
ست بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول • وأغرب ابن سعد وابن أبي شيبة فرويا

كالعجل

مطلب غزوة خيبر

محيرة

من حديث أبي سعيد الخدري خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان وإسناده
حسن لكنه خطأ ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت • وتوجيهه بأن غزوة خيبر كانت ناشئة عن غزوة
الفتح وغزوة الفتح خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزما • قال وذكر الشيخ أبو حامد في
التعليقة أنها كانت سنة خمس وهو وهم • ولعله انتقال من الخندق إلى خيبر • وكان معه عليه السلام
ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس ومعه أم سلمة زوجته • وفي البخاري من حديث سلمة بن الأكوع
قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر يا عامر ألا تسمعنا من
هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول • اللهم لولا أنت ما اهتدينا • ولا
تصدقنا ولا صلينا • فاغفر فداء لك ما أبقينا • وثبت الأقدام إن لاقينا • وألقين سكينة علينا •
إنا إذا صيح بنا أتينا • وبالصياح عولوا علينا • وفي رواية إياس بن سلمة عن أبيه عند أحمد في هذا
الرجز من الزيادة • إن الذين قد بغوا علينا • إذا أرادوا فتنة أبينا • ونحن عن فضلك ما استغنينا •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري من هذا السائق قالوا عامر بن الأكوع قال يرحمه الله
قال رجل من القوم وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا به الحديث • وفي رواية أحمد فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب
وهذه كانت من عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال
وقوله اللهم لولا أنت ما اهتدينا كذا الرواية قالوا وصوابه في الوزن لاهم أو تالله كما في الحديث الآخر
وقوله فداء لك • قال المازري هذه اللفظة مشكلة • فإنه لا يقال للباري سبحانه فديتك لأن ذلك
إنما يستعمل في مكروه يتوقع حلوله بالشخص فيختار شخص آخر أن يحل ذلك به ويفديه منه قال ولعل هذا
وقع من غير قصد إلى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله ولا يريد به حقيقة الدعاء عليه • وكقوله عليه السلام
تربت يداك • وتربت يمينك • وفيه كله ضرب من الاستعارة لأن المفادي في طلب رضى المفدى حين بذل
نفسه عن نفسه للمكروه فكان مراد الشاعر أني أبذل نفسي في رضاك وعلى كل حال فإن المعنى وإن أمكن
صرفه إلى جهة صحيحة فإطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر إلى ورود الشرع بالإذن فيه قال
وقد يكون المراد بقوله فداء لك رجلا يخاطبه • وفصل بين الكلام بذلك فكأنه قال فاغفر ثم دعى إلى رجل
فقال فداء لك ثم عاد إلى تمام الأول فقال ما أبقينا قال وهذا تأويل يصح معه اللفظ والمعنى لولا أن فيه
تعسفا اضطرنا إليه تصحيح الكلام • انتهى • وقيل إنه يخاطب بهذا الشعر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تؤاخذنا
بتقصيرنا في حقك ونصرك • وعلى هذا فقوله اللهم لم يقصد بها الدعاء وإنما افتتح بها الكلام والمخاطب
بقول الشاعر لولا أنت النبي لكن يعكر عليه قوله بعد ذلك • فأنزلن سكينة علينا • وثبت الأقدام إن لاقينا • فإنه
دعاء لله تعالى • ويحتمل أن يكون المعنى فاسأل ربك أن ينزل ويثبت • والله أعلم • وقوله إذا صيح بنا أتينا
أي إذا صيح بنا للقتال ونحو ذلك من المكاره أتينا • وفي رواية أبينا بالموحدة بدل المثناة أي أبينا الفرار
وقوله وبالصياح عولوا علينا أي استغاثوا واستفرغوا للقتال وقيل هو من التعويل على الشيء وهو الاعتماد
عليه • وقيل من العويل وهو الصوت • وقوله من هذا السائق قالوا عامر قال يرحمه الله قال رجل من القوم

اى ثبتت له الشهادة وسيقع قريبا وكان معلوما عندهم ان من دعا له النبى صلى الله عليه وسلم هذا الدعا
فى هذا الموطن استشهد فقالوا هلا امتعتنا اى وددنا انك لو اخرت الدعاء له بهذا الى وقت اخر
نتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة وفى البخارى من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اتى خيبر ليلا وكان
اذا اتى قوما بليل لم يغز بهم حتى يصبح فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله
محمد والخميس فقال النبى صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
وفى رواية فرفع يديه وقال الله اكبر خربت خيبر والخميس الجيش سمى به لانه مقسوم بخمسة اقسام المقدم
والساقة والميمنة والميسرة والقلب ومحمد خبر مبتدأ اى هذا محمد قال السهيلى يوخذ من هذا
الحديث التفاؤل لانه عليه السلام لما راى آلة الهدم عرف ان مدينتهم ستخرب ويحتمل كما قال فى فتح
البارى ان يكون خربت خيبر بطريق الوحى ويؤيده قوله بعد ذلك انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال الله اكبر خربت
خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وقال مغلطاى وغيره وفرق عليه السلام
الرايات ولم تكن الرايات الا بخيبر وانما كانت الالوية وقال الدمياطى وكانت راية النبى
صلى الله عليه وسلم السوداء من برد لعائشة وفى البخارى وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه تخلف عن النبى
صلى الله عليه وسلم وكان رمدا فلحق فلما بتنا الليلة التى فتحت خيبر قال لاعطين الراية غدا او ليأخذن
الراية رجل يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم يرجون ان يعطاها فقال اين على بن ابى طالب قالوا هو يا رسول الله يشتكى عينيه قال فارسلوا
اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع
فاعطاه الراية فقال يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل
بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا
خير لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث ولما تصاف القوم كان سيف عامر قصيرا فتناول به ساق يهودى
ليضربه ويرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه فلما قفلوا قال سلمة قلت يا رسول الله
فداك ابى وامى زعموا ان عامرا حبط عمله قال كذب من قاله ان له لاجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد
روى البخارى ايضا عن يزيد بن ابى عبيد قال رايت اثر ضربة بساق سلمة فقلت ما هذه الضربة قال هذه
ضربة اصابتها يوم خيبر فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة
اخرجه البخارى وعنده ايضا عن ابى هريرة رضى الله عنه شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعى
الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب
فوجد الرجل الم الجراحة فاهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا
يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فاذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان
الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل

اهل

اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس
وهو من اهل الجنة الحديث وقاتل النبى صلى الله عليه وسلم اهل خيبر اشد القتال واستشهد من
المسلمين خمسة عشر وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفتحها الله عليه حصنا حصنا وهى
النطاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير والشق وحصن ابى وحصن البراء والقموص
والوطيح والسلالم وهو حصن ابى الحقيق واخذ كنز ابى الحقيق الذى كان فى مسك الحمار
وكانوا قد غيبوه فى خربة فدل الله رسوله عليه فاستخرجه وقلع على باب خيبر ولم يحركه سبعون
رجلا الا بعد جهد وفى رواية ابن اسحق سبعة واخرجه من طريقه البيهقى فى الدلائل ورواه
الحاكم والبيهقى من جهة ليث بن ابى سليم عن ابى جعفر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم عن جابر ان
عليا حمل الباب يوم خيبر وانه جرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا وليث ضعيف وفى رواية
البيهقى ان عليا لما انتهى الى الحصن اجتبذ احد ابوابه فالقاه فى الارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون
رجلا فكان جهدهم ان اعادوا الباب مكانه قال شيخنا وكلها واهية ولذا انكره بعض العلماء
انتهى وفى البخارى وتزوج عليه الصلوة والسلام بصفية بنت حيى بن اخطب وكان
قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن ابى الحقيق وكانت عروسا فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه
فخرج بها حتى بلغت سد الصهباء حلت له يعنى طهرت من الحيض فبنى بها عليه السلام ثم صنع حيسا
فى نطع صغير ثم قال لى ائذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية قال ثم خرجنا الى المدينة
فرايت النبى صلى الله عليه وسلم يحوى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية
رجلها على ركبته حتى تركب وفى رواية له فقال المسلمون احدى امهات المؤمنين او ما ملكت
يمينه قالوا ان حجبها فهى احدى امهات المؤمنين وان لم يحجبها فهى مما ملكت يمينه فلما ارتحل وطأ
لها ومد الحجاب وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قتل المقاتلة وسبى الذرارى وكان فى السبى صفية
فصارت الى دحية الكلبى ثم صارت الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها وفى رواية
فاعتقها وتزوجها وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم لدحية خذ جارية من السبى غيرها وفى
رواية لمسلم انه صلى الله عليه وسلم اشترى صفية منه بسبعة ارؤس واطلاق الشراء على ذلك
على سبيل المجاز وليس فى قوله سبعة ارؤس ما ينافى قوله فى رواية البخارى خذ جارية من السبى
غيرها اذ ليس هنا دلالة على نفى الزيادة والله اعلم وانما اخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها
بنت ملك من ملوكهم وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان فى الصحابة مثل دحية وفوقه
وقلة من كان فى السبى مثل صفية فى نفاستها فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان
المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه عليه السلام بها فان ذلك رضى الجميع وليس ذلك من
الرجوع فى الهبة فى شىء انتهى وقال مغلطاى وغيره وكانت صفية قد رأت ان القمر سقط
فى حجرها فتؤول بذلك قال الحاكم وكذا اخرجه الجوزقى تحريم لحوم الحمر الاهلية وفى هذه الغزوة

حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الأهلية كما في البخاري. ولفظه فلما أمسى الناس مساء
اليوم الذي فتحت عليهم يعني خيبر أوقدوا نيرانا كثيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه النيران
على أي شيء توقدون قالوا على لحم قال أي لحم قالوا لحم الحمر الإنسية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أهريقوها
واكسروها فقال رجل يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها قال أو ذاك. والمشهور في الإنسية كسر الهمزة
منسوبة إلى الإنس وهم بنو آدم. وحكي ضم الهمزة ضد الوحشية. ويجوز فتحها والنون أيضا
مصدر أنست به أنسا وأنسة. وفي رواية نهى يوم خيبر عن أكل الثوم وعن لحوم الحمر الأهلية
وفي رواية نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية. ورخص في الخيل. قال ابن أبي أوفى فتحدثنا أنه إنما
نهى لأنها لم تخمس. وقال بعضهم نهى عنها البتة لأنها كانت تأكل العذرة. قال العلماء وإنما
أمر بإراقتها لأنها نجسة محرمة. وقيل إنما نهى عنها للحاجة إليها. وقيل لأخذها قبل القسمة. وهذا
التأويل للقائلين بإباحة لحومها. والصواب ما قدمناه. وأما قوله صلى الله عليه وسلم اكسروها
فقال رجل أو نهريقها ونغسلها قال أو ذاك فهذا محمول على أنه صلى الله عليه وسلم اجتهد
في ذلك فرأى كسرها ثم تغير اجتهاده وأوحي إليه بغسلها. وأما لحوم الخيل فاختلف العلماء في إباحتها
فذهب الشافعي والجمهور من السلف رضي الله عنهم أنه مباح لا كراهة فيه. وبه قال عبد الله بن الزبير
وأنس بن مالك وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما. وفي صحيح مسلم عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأكلناه ونحن بالمدينة. وفي رواية الدارقطني فأكلناه نحن وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
قال في فتح الباري ويستفاد من قولها ونحن بالمدينة أن ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استند إلى
منع أكلها لعلة أنها من آلة الجهاد. ومن قولها وأهل بيت النبي الرد على من زعم أنه ليس فيه أن النبي
صلى الله عليه وسلم اطلع على ذلك مع أن ذلك لو لم يرد لم يظن بآل أبي بكر أنهم يقدمون على فعل شيء في زمنه عليه السلام
إلا وعندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم به عليه الصلاة والسلام وعدم مفارقتهم له هذا مع توفر
داعية الصحابة إلى سؤاله عليه السلام عن الأحكام. ومن ثم كان الراجح أن الصحابي إذا قال كنا نفعل
كذا على عهده عليه السلام كان له حكم الرفع لأن الظاهر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ذلك وتقريره وإذا
فإذا كان ذلك في مطلق الصحابة فكيف بآل أبي بكر. وقال الطحاوي ذهب أبو حنيفة إلى كراهة أكل
لحوم الخيل وخالفه صاحباه وغيرهما. واحتجوا بالأخبار المتواترة في حلها. انتهى. وقد نقل بعض
التابعين الحل عن الصحابة مطلقا من غير استثناء أحد. فأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين
عن عطاء قال لابن جريج لم يزل سلفك يأكلونه. قال ابن جريج قلت له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
وأما ما نقل في ذلك عن ابن عباس من كراهتها فأخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق بسندين ضعيفين
وقال أبو حنيفة في الجامع الصغير أكره لحوم الخيل فحمله أبو بكر الرازي على التنزيه. وقال لم يطلق أبو حنيفة
فيه التحريم وليس هو عنده كالحمار الأهلي. وصحح أصحاب المحيط والهداية والذخيرة عنه التحريم وهو
قول أكثرهم. وقال القرطبي في شرح مسلم مذهب مالك الكراهة. وقال الفاكهاني المشهور عند المالكية

الكراهة

الكراهة والصحيح عند المحققين منهم التحريم. وقال ابن أبي جمرة الدليل على الجواز مطلقا واضح لكن
سبب كراهة مالك لأكلها لكونها تستعمل غالبا في الجهاد فلو انتفت الكراهة لكثر الاستعمال ولو كثر لأفضى
إلى قلتها فيفضي إلى فنائها فيؤول إلى النقص من إرهاب العدو الذي وقع الأمر به في قوله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون
فعلى هذا فالكراهة لسبب خارج وليس البحث فيه فإن الحيوان المتفق على إباحته لو حدث أمر
يقتضي أنه لو ذبح لأفضى إلى ارتكاب محذور لامتنع. ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه. انتهى.
وأما قول بعض المانعين لو كانت حلالا لجازت الأضحية بها فمنتقض بحيوان البر فإنه مأكول
ولم تشرع الأضحية به. وأما حديث خالد بن الوليد عند أبي داود والنسائي نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن لحوم الخيل والبغال والحمير فضعيف. ولو سلم ثبوته لا ينهض معارضا لحديث
جابر الدال على الجواز. وقد وافقه حديث أسماء. وقد ضعف حديث خالد بن الوليد أحمد والبخاري
والدارقطني والخطابي وابن عبد البر وعبد الحق وآخرون. وزعم بعضهم أن حديث جابر دال على التحريم
لقوله رخص لأن الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع فدل على أنه رخص لهم بسبب المخمصة
التي أصابتهم بخيبر فلا يدل ذلك على الحل المطلق. وأجيب بأن أكثر الروايات جاء بلفظ الإذن
كما رواه مسلم. وفي رواية له أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي صلى الله عليه وسلم
عن الحمار الأهلي. وعند الدارقطني من حديث ابن عباس نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمر الأهلية
وأمر بلحوم الخيل فدل على أن المراد بقوله رخص أذن. ونوقض أيضا بالإذن في أكل الخيل ولو كان رخصة
لأجل المخمصة لكانت الحمر الأهلية أولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ. فدل على أن الإذن في
أكل الخيل إنما كان للإباحة العامة لا لخصوص الضرورة. وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم
أنهم احتجوا للمنع بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة. وقرروا ذلك بأوجه أحدها
أن اللام للتعليل فدل على أنها لم تخلق لغير ذلك لأن العلة المنصوصة تفيد الحصر فإباحة أكلها تقتضي
خلاف ظاهر الآية. ثانيها عطف البغال والحمير فدل على اشتراكها معهما في حكم التحريم فيحتاج من
أفرد حكم ما عطفت عليه إلى دليل. ثالثها أن الآية سيقت مساق الامتنان فلو كان ينتفع بها
في الأكل لكان الامتنان به أعظم والحكيم لا يمتن بأدنى النعم ويترك أعلاها ولا سيما وقد وقع الامتنان
في المذكورات قبلها. رابعها لو أبيح أكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة
وأجيب بأن آية النحل مكية اتفاقا والإذن في أكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة بأكثر من ست سنين فلو
فهم النبي صلى الله عليه وسلم من الآية المنع لما أذن في الأكل. وأيضا فآية النحل ليست نصا في منع الأكل
والحديث صريح في جوازه. وأيضا فلو سلمنا أن اللام للتعليل لم نسلم إفادة الحصر في الركوب والزينة
فإنه ينتفع بالخيل في غيرهما وفي غير الأكل اتفاقا. وإنما ذكر الركوب والزينة لكونهما أغلب ما تطلب له
الخيل. ونظيره حديث البقرة المذكورة في الصحيحين حين خاطبت راكبها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما
خلقت للحرث فإنه مع كونه أصرح في الحصر لم يقصد به إلا الأغلب وإلا فهي تؤكل وينتفع بها في أشياء غيرها

الحرث اتفاقا • وقال البيضاوي واستدل بها اي بالاية الحنفية على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم
من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا انتهى • وايضا فلو سلم الاستدلال
للزم منع حمل الاثقال على الخيل والبغال والحمير ولا قائل به • واما عطف البغال والحمير فدلالة العطف
انما هي دلالة اقتران وهي ضعيفة واما انها سيقت مساق الامتنان فالامتنان انما قصد به غالب ما كان
يقع به انتفاعهم بالخيل فخوطبوا بما الفوا وعرفوا ولم يكونوا يعرفون اكل الخيل لعزتها في بلادهم
بخلاف الانعام فان اكثر انتفاعهم بها كان لحمل الاثقال وللاكل فاقتصر في كل من الصنفين على الامتنان باغلب
ما ينتفع به فلو لزم من ذلك الحصر في هذا الشق لاضر • واما قولهم لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها الى اخره
فاجيب عنه بانه لو لزم من الاذن في اكلها ان تفنى للزم مثله في البقر وغيرها مما ابيح اكله ووقع الامتنان
به • وانما اطلت في ذلك لامر اقتضاه • وحرم [illegible] وفي هذه الغزوة ايضا نهى صلى الله
عليه وسلم عن اكل ذي ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تقسم وان لا توطأ جارية حتى تستبرأ • وفي
هذه الغزوة ايضا سمت النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم كما في البخاري
من حديث ابي هريرة • ولفظه لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني سائلكم عن شيء فهل انتم صادقوني عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابوكم فقالوا ابونا فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل ابوكم فلان فقالوا صدقت و
بررت فقال لهم هل انتم صادقوني عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك عرفت
كذبنا كما عرفته في ابينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم
تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال
لهم هل انتم صادقوني عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا
نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا اردنا ان كنت كذابا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك •
وفي حديث جابر عند ابي داود ان يهودية من اهل خيبر سمت شاة مصلية ثم اهدتها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل منها رهط من اصحابه معه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم وارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة قالت من اخبرك قال اخبرتني
هذه في يدي للذراع قالت نعم قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها
صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة • واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله
من اجل الذي اكل من الشاة • وفي رواية غيره جعلت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم تسأل اي الشاة احب
الى محمد فيقولون الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يطني يعني لا يلبث ان
يقتل من ساعته • وقد شاورت يهود في سموم فاجمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة واكثرت
في الذراعين والكتفين فوضعت بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء وتناول عليه الصلوة والسلام

الذراع

الذراع فانتهش منها وتناول بشر بن البراء عظما اخر فلما ازدرد صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر
ابن البراء ما في فيه واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذا الذراع تخبرني انها
مسمومة • وفيه ان بشر بن البراء مات وفيه انه صلى الله عليه وسلم دفعها الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها
رواه الدمياطي • وقد اختلف هل عاقبها صلى الله عليه وسلم • فعند البيهقي من حديث ابي هريرة
فما عرض لها • ومن طريق ابي نضرة عن جابر نحوه قال فلم يعاقبها • وقال الزهري اسلمت فتركها
قال البيهقي يحتمل ان يكون تركها اولا ثم لما مات بشر بن البراء من الاكلة قتلها • وبذلك اجاب السهيلي
وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا • ويحتمل ان يكون تركها لكونها
اسلمت وانما اخر قتلها حتى مات بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه • وفي مغازي
سليمان التيمي انها قالت ان كنت كاذبا ارحت الناس منك وقد استبان لي الان انك صادق
وانا اشهدك ومن حضر اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال
فانصرف عنها حين اسلمت • وفيه موافقة الزهري على اسلامها والله اعلم
وفي هذه الغزوة نام صلى الله عليه وسلم عن صلوة الفجر لما وكل به بلالا كما في حديث ابي هريرة
عند مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليله حتى ادركه الكرى
عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما
قارب الفجر استند بلال الى راحلته موجه الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته
فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم استيقاظا فقال اي بلال فقال بلال اخذ بنفسي الذي اخذ
بابي انت وامي يا رسول الله بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضأ صلى الله عليه وسلم
وامر بلالا فاقام الصلوة فصلى بهم الصبح فلما قضى الصلوة قال من نسي الصلوة فليصلها اذا ذكرها
فان الله تعالى قال اقم الصلوة لذكري • وفيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة
واختلف في فتح
خيبر هل كان عنوة او صلحا • وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن انس التصريح بانه كان عنوة • وبه
جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين اسلمهما اهلهما لحقن دمائهم • وهو
ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال انتهى • ثم فتح وادي القرى في جمادى الاخرة
بعدما اقام بها اربعا يحاصرهم • ويقال اكثر من ذلك واصاب بها غلاما مولاه مدعم فقال صلى الله عليه وسلم
ان الشملة التي غلها من خيبر لتشتعل عليه نارا • وصالحه اهل تيماء على الجزية قاله الحافظ مغلطاي
ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى تربة في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا
فخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن بالنهار فاتى الخبر الى هوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب
الى محالهم فلم يلق منهم فانصرف راجعا الى المدينة • ثم سرية ابي بكر الصديق رضي الله عنه

غلبته عيناه

الى بنى كلاب ناحية ضرية فى شعبان سنة سبع • وبعثه الى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل اخرين
وفى صحيح مسلم فزارة هو الصواب • ثم سرية بشير بن سعد الانصارى الى بنى مرة بفدك
فى شعبان سنة سبع ومعه ثلثون رجلا فقتلوا وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه وقيل قد مات
وقدم ابن زيد الحارثى بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد
ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى الى الميفعة بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد
فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة فى مائتين وثلثين رجلا فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من
اشرافهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة • قالوا وفى هذه السرية قتل اسامة بن زيد نهيك
ابن مرداس بعد ان قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شققت عن قلبه فتعلم اصادق
هو ام كاذب فقال اسامة لا اقاتل احدا يشهد ان لا اله الا الله • وفى الاكليل فعل ذلك اسامة
فى سرية كان هو اميرا عليها سنة ثمان • وفى البخارى عن ابى ظبيان قال سمعت اسامة بن زيد يقول
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا
منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصارى عنه وطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا
بلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة اقتلته بعدما قال لا اله الا الله قلت كان متعوذا
فما زال يكررها حتى تمنيت انى لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم • ثم سرية بشير
ابن سعد الانصارى ايضا الى يمن وجبار بفتح الجيم وهى ارض لغطفان وقيل لفزارة وعذرة
فى شوال سنة سبع من الهجرة وبعث معه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا الليل
وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير اليهم هربوا واصاب لهم نعما كثيرة فغنمها واسر رجلين
وقدم بهما الى المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما • ثم عمرة القضية
وتسمى عمرة القضاء لانه قاضى فيها قريشا لا لانها قضاء عن العمرة التى صد عنها لانها لم تكن
فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة • ولهذا عدوا عمر النبى صلى الله عليه وسلم اربعا كما سيأتى
ان شاء الله تعالى • وقال اخرون بل كانت قضاء عن العمرة الاولى وعدوا عمرة الحديبية فى العمر لثبوت
الاجر فيها لا لانها كملت • وهذا الخلاف مبنى على الاختلاف فى وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن
البيت • فقال الجمهور يجب عليه الهدى ولا قضاء عليه • وعن ابى حنيفة عكسه • وعن احمد رواية
انه لا يلزمه هدى ولا قضاء • واخرى يلزمه القضاء • فحجة الجمهور قوله تعالى فان احصرتم فما استيسر
من الهدى • وحجة ابى حنيفة ان العمرة تلزم بالشروع فاذا احصر جاز له تاخيرها فاذا زال الحصر
اتى بها • ولا يلزم من التحلل بين الاحرامين سقوط القضاء • وحجة من اوجبها ما وقع للصحابة
فانهم نحروا الهدى حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدى • وحجة من لم يوجبهما ان تحللهم
بالحصر لم يتوقف على نحر بل امر من معه هدى ان ينحره • ومن ليس معه هدى ان يحلق • انتهى •
قال الحاكم فى الاكليل تواترت الاخبار انه لما هل ذو القعدة سنة سبع امر اصحابه ان يعتمروا

مطلب عمرة القضية و تسمى عمرة القضاء

قضاء عمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية وان لا يتخلف احد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف
منهم احد الا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا • وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين الفان
واستخلف على المدينة ابا رهم الغفارى • وساق عليه السلام ستين بدنة وحمل السلاح والبيض
والدروع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة
وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد • واحرم صلى الله عليه وسلم ولبى والمسلمون يلبون معه
ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسالوه فقال هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فاتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا ونزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن ياجج كيسمع وينصر ويضرب موضع بمكة
حيث ينظر الى انصاب الحرم وخلف عليه اوس بن خولى الانصارى فى مائتى رجل • وخرجت قريش من مكة
الى رؤس الجبال • وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى امامه فحبس بذى طوى • وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبون فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون • وابن رواحة آخذ بزمام راحلته • وفى رواية الترمذى
فى الشمائل من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه
وهو يقول • خلوا بنى الكفار عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله • ضربا يزيل الهام عن
مقيله • ويذهل الخليل عن خليله • فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله تقول شعرا
فقال صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى اسرع فيهم من نضح النبل • ورواه عبد الرزاق من حديث
انس ايضا من وجهين بلفظ • خلوا بنى الكفار عن سبيله • قد انزل الرحمن فى تنزيله • بان خير القتل
فى سبيله • نحن قتلناكم على تاويله • كما قتلناكم على تنزيله • واخرجه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل
وفيه • اليوم نضربكم على تنزيله • ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل الخليل عن خليله •
يا رب انى مؤمن بقيله • وعند ابن عقبة فى المغازى بعد قوله قد انزل الرحمن فى تنزيله • فى صحف
تتلى على رسوله • لكنه لم يذكر انسا • وزاد ابن اسحق بعد قوله يا رب انى مؤمن بقيله • انى رايت
الحق فى قبوله • وقال ابن هشام ان قوله نحن ضربناكم على تاويله الى اخر الشعر من قول عمار بن ياسر
قاله يوم صفين قالوا ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه
على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم • وفى البخارى عن ابن عباس قال المشركون
انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يرملوا الاشواط الثلثة وان
يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعهم ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم • وفى رواية قال ارملوا ليرى
المشركون قوتكم والمشركون من قبل قعيقعان • ومعنى قوله الا الابقاء عليهم انه لم يمنعهم من امرهم بالرمل فى
جميع الطوفات الا الرفق بهم والاشفاق عليهم • ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة
على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة قال هذا المنحر

وكل فجاج مكة منحر · فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون · وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ناسا منهم الى اصحابهم ببطن ياجج فيقيموا على السلاح ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم (فيقضوا)
ففعلوا · واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا · وفي البخاري من حديث البراء فلما دخلها
يعني مكة ومضى الاجل اتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج رسول الله صلى الله عليه
فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي فاخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فحملتها
فاختصم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي انا اخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي وقال
زيد بنت اخي فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام الحديث · وانما اقرهم
النبي صلى الله عليه وسلم على اخذها مع اشتراط المشركين ان لا يخرج باحد من اهلها اراد الخروج
لانهم لم يطلبوها · وقوله الخالة بمنزلة الام اي في هذا الحكم الخاص لانها تقرب منها في الحنو والشفقة
والاهتداء الى ما يصلح الولد · ويؤخذ منه ان الخالة في الحضانة مقدمة لان صفية بنت عبد المطلب
كانت موجودة حينئذ واذا قدمت على العمة مع كونها اقرب العصبات من النساء فهي مقدمة على غيرها
ويؤخذ منه تقديم اقارب الام على اقارب الاب · انتهى · قال ابن عباس وتزوج صلى الله عليه ميمونة وهو محرم
وبنى بها وهو حلال · وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه قال سعيد بن المسيب وهل
ابن عباس وان كانت خالته ما تزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعد ما حل ذكره البخاري · ووهل بكسر الهاء
اي غلط · وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه
مسلم · وسياتي في الخصائص من مقصد معجزاته ان شاء الله تعالى ان له صلى الله عليه وسلم النكاح حال
الاحرام على اصح الوجهين عند الشافعية · ثم سرية ابن ابي العوجاء السلمي
الى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلا فاحدق بهم الكفار من كل ناحية وقاتل القوم
قتالا شديدا حتى قتل عامتهم واصيب ابن ابي العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اول صفر سنة ثمان · ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي
الى بني الملوح بالحاء المهملة بالكديد بفتح الكاف في صفر سنة ثمان من مهاجره فغنم · وفي هذا
الشهر قدم خالد بن الوليد وعثمان بن ابي طلحة وعمرو بن العاص المدينة فاسلموا · وقال ابن ابي خيثمة
كان ذلك سنة خمس · وقال الحاكم سنة سبع · ثم سرية غالب ايضا الى مصاب اصحاب
بشير بن سعد بفدك في صفر سنة ثمان ومعه مائتا رجل فاغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى
واصابوا نعما · ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي الى بني عامر بالسي ماء من ذات
عرق الى وجرة على ثلاث مراحل من مكة الى البصرة وخمس مراحل من المدينة في شهر ربيع الاول سنة ثمان
ومعه اربعة وعشرون رجلا الى جمع من هوازن وامره ان يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار
حتى صبحهم فاصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة · وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة
واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا · وعدلوا البعير بعشر من الغنم
ثم سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح وهي ذات القرى في ربيع الاول سنة ثمان في خمسة
عشر رجلا

فساروا

فساروا حتى انتهوا الى ذات اطلاح فوجدوا جمعا كثيرا فقاتلهم الصحابة اشد القتال حتى قتلوا
وافلت منهم رجل جريح في القتلى · قال مغلطاي قيل هو الامير · فلما برد عليهم الليل تحامل حتى اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع
آخر فتركهم · ثم سرية مؤتة بضم الميم وسكون الواو وبغير همز لاكثر الرواة · وبه جزم
المبرد · وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز · وحكى غيرهم الوجهين · وهي من عمل البلقاء بالشام
دون دمشق في جمادى الاولى سنة ثمان · وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ارسل الحارث
ابن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم
يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره · فامر رسول الله عليه الصلوة والسلام زيد بن حارثة
على ثلاثة الاف وقال ان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون
برجل من بينهم يجعلوه عليهم · وفي حديث عبد الله بن جعفر عند احمد والنسائي باسناد صحيح فان
قتل زيد فاميركم جعفر الحديث · قالوا وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء ابيض ودفعه الى زيد بن حارثة
واوصاهم ان ياتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا استعانوا
عليهم بالله وقاتلوهم · وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم فلما ساروا نادى
المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين · فقال ابن رواحة · لكنني اسال الرحمن مغفرة · وضربة (سالمين)
ذات فرغ تقذف الزبدا · فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام فيهم شرحبيل بن عمرو
فجمع اكثر من مائة الف · وقدم الطلائع امامه · وقد نزل المسلمون معان من ارض الشام (امامه)
وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم · وان هرقل نزل بارض البلقاء في مائة الف من المشركين فاقاموا ليلتين
لينظروا في امرهم · وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فشجعهم عبد الله بن رواحة على
المضي فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل لاحد به من العدد والسلاح والكراع والديباج
والحرير والذهب والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء يومئذ على ارجلهم فاخذ اللواء زيد بن حارثة
فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح · ثم اخذ اللواء جعفر بن ابي طالب فنزل
عن فرس له شقراء فقاتل حتى قتل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في احد نصفيه بضعة
وثلاثون جرحا · وفيما اقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح · قال في رواية
البخاري ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية · وفي رواية ان ابن عمر وقف على جعفر
يومئذ وهو قتيل فعددت خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره · وذكر ابن اسحق باسناد
حسن وهو عند ابي داود من طريقه عن رجل من بني مرة قال والله لكاني انظر الى جعفر بن ابي طالب حين اقتحم
عن فرس له شقراء فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل · قالوا ثم اخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل
حتى قتل فاخذ اللواء ثابت بن اقرم العجلاني الى ان اصطلح الناس على خالد بن الوليد فاخذ اللواء وانكشف
الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين · وقال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد
فقتل منهم مقتلة عظيمة واصاب غنيمة · وقال ابن سعد انما انهزم المسلمون · وقال ابن اسحق انحاز

كل طائفة من غير هزيمة • ورفعت الارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم •
عن عبد الله بن الزبير رضه قال حدثني ابي الذي ارضعني وكان احد بني مرة قال شهدت مؤتة مع جعفر
بن ابي طالب واصحابه فرايت جعفرا حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها و
قاتل القوم حتى قتل خرجه البغوي في معجمه • وقطعت في تلك الوقعة يداه جميعا ثم قتل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء • خرجه ابو عمر
وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن ابي طالب
جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فيه الحزن • الحديث • واخرج الطبراني باسناد حسن
عن عبد الله بن جعفر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك ابوك يطير مع الملائكة في
السماء • وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جعفر بن ابي طالب يطير
مع الملائكة • اخرجه الترمذي والحاكم • وفي اسناده ضعف لكن له شاهد من حديث علي رضه
عن ابن سعد • وعن ابي هريرة ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مر بي جعفر الليلة في ملا
من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم • اخرجه الترمذي والحاكم باسناد على شرط مسلم •
واخرج هو ايضا والطبراني عن ابن عباس مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرايت فيها جعفر بن ابي طالب
يطير مع الملائكة • وفي طريق اخرى عنه ان جعفرا يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من
يديه • واسناد هذا جيد فقد عوضه الله تعالى من قطع يديه في هذه الوقعة حيث اخذ اللواء بيمينه فقطعت
ثم اخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل • قال السهيلي له جناحان ليسا كما يسبق الى الوهم كجناحي الطائر
وريشه لان الصورة الآدمية اشرف الصور واكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية
اعطيها جعفر • وقد عبر القرآن عن العضد بالجناح توسعا في قوله واضمم يدك الى جناحك • وقال العلماء
في اجنحة الملائكة انها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فقد ثبت ان لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد
للطير ثلاثة اجنحة فضلا عن اكثر من ذلك واذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها من غير بحث عن حقيقتها • انتهى •
قال الحافظ ابن حجر • وهذا الذي جزم به في مقام المنع • والذي نقله عن العلماء ليس صريحا في الدلالة
لما ادعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما ذكره من المعهود وهو قياس الغائب على الشاهد
وهو ضعيف • وكون الصورة البشرية اشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لان الصورة باقية
وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة ان جناحي جعفر من ياقوت • وجاء في جناحي
جبريل انهما من لؤلؤ • اخرجه ابن منده في ترجمة ورقة • وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان يعلى بن امية
قدم بخبر اهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرني وان شئت اخبرتك قال
اخبرني فاخبره خبرهم فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره • وعند الطبراني
من حديث ابي اليسر الانصاري ان ابا عامر الاشعري هو الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمصابهم
ثم سرية عمرو بن العاص الى ذات السلاسل • وسميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة
ان يفروا • وقيل لان بها ماء يقال له السلاسل وراء ذات القرى من المدينة على عشرة ايام وكانت

في جماد

في جماد الآخرة سنة ثمان • وقيل كانت سنة سبع • وبه جزم ابن ابي خالد في كتاب صحيح التاريخ
ونقل ابن عساكر الاتفاق على انها كانت بعد غزوة مؤتة الا ابن اسحاق فقال قبلها • وسببها انه
بلغه صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا للاغارة • فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء
وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والانصار • ومعهم ثلاثون فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما قرب
منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستمده فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح • وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين
والانصار فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهم • وامره ان يلحق بعمرو • وان يكونا جميعا ولا يختلفا
فاراد ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت علي مددا وانا الامير فاطاع له بذلك
ابو عبيدة فكان عمرو يصلي بالناس • وسار حتى وصل الى العدو بلي وعذرة • فحمل عليهم
المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا
ثم سرية ابي عبيدة بن الجراح • وسماها البخاري
غزوة سيف البحر • ويعرف بسرية الخبط • وبعثه صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة كما في الصحيحين
وغيرهما وهو المشهور • لكن في رواية للنسائي وبضعة عشر • فان صحت هذه الرواية فلعله اقتصر
في الرواية على الثلاثمائة اسقط الكسر • والاخذ بالزيادة مع صحتها واجب • وكان فيهم
عمر بن الخطاب رضه يتلقى عيرا لقريش • رواه مسلم • وعنده ايضا الى ارض جهينة ولا منافاة بينهما لان
ارض جهينة والقصد تلقي عير قريش • وهي الابل المحملة للطعام وغيره • لكن نقل ابن سعد ان البعث
الى حي من جهينة بالقبلية بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال • وان
البعث المقصود رصد عير قريش ومحاربة حي من جهينة • قال ابن سعد وكانت في رجب سنة ثمان
وفيه نظر فان تلقي عير قريش لا يتصور ان يكون في هذه المدة لانهم حينئذ كانوا في الهدنة •
فالصحيح ان تكون هذه السرية في سنة ست او قبلها قبل هدنة الحديبية • نعم يحتمل ان يكون تلقيهم للعير
ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة • ولهذا لم يقع في شيء من طرق الخبر انهم قاتلوا احدا بل فيه انهم قاموا
نصف شهر او اكثر في مكان واحد • والله اعلم • قاله الحافظ ابن حجر لكن قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح
التقريب قالوا وكانت هذه السرية في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد نكث قريش العهد • وقيل
انه كان في رمضان من السنة المذكورة • انتهى • وزودهم صلى الله عليه وسلم جرابا من تمر فلما فني
اكلوا الخبط وهو بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السلم • وفي رواية ابي الزبير وكنا نضرب بعصينا
الخبط ونبله بالماء فناكله • وهذا يدل على انه كان يابسا خلافا لمن زعم انه كان اخضر رطبا • وقد
كان معهم تمر غير الجراب المزود • ويدل عليه حديث البخاري في الجهاد وخرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا
على رقابنا ففني زادنا حتى كان الرجل منا ياكل كل يوم تمرة • وابتاع قيس بن سعد جزورا ونحرها لهم ثم
اخرج لهم دابة من البحر تسمى العنبر فاكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا • وفي رواية جابر عند الا
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب اميرنا ابو عبيدة بن الجراح فاقمنا على الساحل

حتى فني زادنا حتى كلنا الخبط ثم ان البحر القى لنا دابة يقال لها العنبر فاكلنا منها نصف شهر حتى صلحت اجسامنا فاخذ ابو عبيدة ضلعا من اضلاعه فنصبه ونظر الى اطول بعير فجاز تحته • الحديث • زاد الشيخان في رواية فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا قال فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل منه

ثم سرية ابي قتادة بن ربعي الانصاري الى خضرة وهي ارض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا الى غطفان فقتل من اشرف منهم وسبى سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتي بعير والغنم الفي شاة • وكانت غيبته خمس عشرة ليلة

ثم سرية ابي قتادة ايضا الى بطن اضم فيما بين ذي خشب وذي المروة على ثلثة برد من المدينة في اول شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم ان يغزو اهل مكة بعث ابا قتادة في ثمانية نفر سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولان يذهب بذلك الاخبار فلقوا عامر بن الاضبط فسلم عليهم بتحية الاسلام فقتله محلم بن جثامة فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا الى اخر الاية • رواه احمد • وعند ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه • وزاد فجاء محلم بن جثامة في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات فلفظته الارض وعند غيره ثم عادوا به فلفظته الارض • فلما غلب قومه عمدوا الى صدين فطرحوه ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه • وفي رواية ابن جرير فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن يريد الله ان يعظكم • ونسب ابن اسحق هذه السرية لابن حدرد ومعه رجلان الى الغابة لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان رفاعة بن قيس يجمع لحربه فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره وغنموا غنيمة عظيمة • حكاه مغلطاي

ثم فتح مكة زادها الله شرفا

وهو كما قال في زاد المعاد الفتح الاعظم الذي اعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الامين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من ايدي الكفار والمشركين وهو الفتح الذي استبشر به اهل السماء وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزاء • ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق به وجه الدهر ضياء • وابتهاجا خرج صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية فانه كان وقع في الشرط انه من احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل • ومن احب ان يدخل في عهد قريش وعقدهم فعل فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم • ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده • وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فاصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وامدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا • وخرج عمرو بن سالم الخزاعي

في اربعين راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي اصابهم ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر منه نفسي • وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ميمونة انها سمعته صلى الله عليه وسلم يقول في متوضئه لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله كأنك تكلم انسانا فهل كان معك احد فقال صلى الله عليه وسلم هذا راجز بني كعب يستنصرني ويزعم ان قريشا اعانت عليهم بني بكر ثم خرج عليه السلام فامر عائشة ان تجهزه ولا تعلم احدا فدخل عليها ابو بكر فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت والله ما ادري فقال والله ما هذا زمان غزو بني الاصفر فاين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لا علم لي قالت فاقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الراجز ينشده • يا رب اني ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا • ان قريشا اخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقك المؤكدا • وزعموا ان لست تدعو احدا • فانصر هداك الله نصرا ابدا • وادع عباد الله ياتوا مددا • فيهم رسول الله قد تجردا • ان سيم خسفا وجهه تربدا • قال في القاموس وتربد يعني بالراء تغير • انتهى • وزاد ابن اسحق • هم بيتونا بالوتير هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا • وزعموا ان لست تدعو احدا • وهم اذل واقل عددا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم فكان ذلك ما هاج فتح مكة • وقد ذكر البزار من حديث ابي هريرة بعض الابيات المذكورة • وقدم ابو سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يسأله ان يجدد العهد ويزيد في المدة فابى عليه فانصرف الى مكة فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اعلام احد بذلك فكتب حاطب كتابا وارسله الى مكة يخبرهم بذلك • فاطلع الله نبيه على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب قال فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرءا ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم اكن من انفسها • وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق • فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله فقد ضل سواء السبيل • رواه البخاري • قال في فتح الباري وانما قال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن ان من خالف ما امره به النبي عليه الصلاة والسلام استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله واطلق عليه منافقا لكونه

ابطن خلاف ما اظهر وعذر حاطب بما ذكره فانه صنع ذلك متأولا ان لا ضرر فيه • وعند الطبري
من طريق الحارث عن علي رضي الله عنه في هذه القصة قال أليس قد شهد بدرا وما يدريك ان الله اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فاشار الى علة ترك قتله • وعند الطبري ايضا عن عروة
فاني غافر لكم • وهذا يدل على ان المراد بقوله فقد غفرت اغفر على طريق التعبير عن الآتي بالواقع
مبالغة في تحققه • قال والذي يظهر لي ان هذا الخطاب خطاب اكرام وتشريف تضمن ان هؤلاء
حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا ان يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة
وقد اظهر الله تعالى صدق رسوله في كل من اخبر عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على اعمال اهل
الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من احدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى
يعلم ذلك من احوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم • قاله القرطبي • وذكر بعض اهل المغازي وهو
في تفسير يحيى بن سلام ان لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له وعده فانظروا لانفسكم
والسلام كذا حكاه السهيلي وروى الواقدي بسند له مرسل ان حاطبا كتب الى سهيل بن عمرو وصفوان
بن امية وعكرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس بالغزو ولا اراه يريد غيركم وقد
وقد احببت ان تكون لي يد • انتهى • وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب
فجلبهم اسلم وغفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق
وكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف • وفي الاكليل وشرف المصطفى اثنا عشر الفا ويجمع بينهما بان العشرة
الاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به الالفان واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم • وقيل ابا رهم
الغفاري • وخرج عليه السلام يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة
قاله الواقدي • وعند احمد باسناد صحيح عن ابي سعيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
لليلتين خلتا من شهر رمضان فما قاله الواقدي ليس بقوي لمخالفته ما هو اصح منه • وفي تعيين هذا التاريخ
اقوال اخر منها عند مسلم لست عشرة • ولاحمد لثماني عشرة • وفي اخرى لثنتي عشرة • والذي في المغازي
دخل لتسع عشرة مضت وهو محمول على الاختلاف في اول الشهر ووقع في اخرى لتسع عشرة او سبع عشرة على
الشك

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف الذي بين قديد وعسفان
افطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر • رواه البخاري • وفي اخرى افطر وافطروا • الحديث • وكان العباس قد
خرج قبل ذلك باهله وعياله مسلما مهاجرا فلقي النبي صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته
ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض • وكان ممن لقيه في الطريق ابو سفيان بن الحارث ابن عمه صلى الله عليه وسلم
واخوه من الرضاع حليمة السعدية ومعه ولده جعفر بن ابي سفيان • وكان ابو سفيان يألف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما بعث عاداه وهجاه وكان لقاؤهما له عليه السلام بالابواء واسلما قبل دخول مكة • وقيل لقيه

هو

هو وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج فاعرض صلى الله عليه وسلم
عنهما لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فقالت له ام سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس
بك • وقد علم علي لابي سفيان فيما حكاه ابو عمر وصاحب ذخائر العقبى ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه ابدا
لا يرضى ان يكون احد احسن منه قولا ففعل ذلك ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين • ويقال انه ما رفع راسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ اسلم حياء قالوا ثم سار صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات
ودفعها الى القبائل ثم نزل مر الظهران عشاء فامر اصحابه فاوقدوا عشرة الاف نار ولم يبلغ
قريشا مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه اياهم فبعثوا ابا سفيان بن حرب فقالوا ان لقيت محمد بن عبد الله
فخذ لنا منه امانا فخرج ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى اتوا مر الظهران
فلما راوا العسكر افزعهم • وفي البخاري فاذا هم بنيران كانها نيران عرفة • فقال ابو سفيان بن حرب
ما هذه لكانها نيران عرفة • فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو • فقال ابو سفيان عمرو اقل وادنى
من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلم ابو سفيان فلما سار قال للعباس احبس ابا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر
الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على ابي
سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال هذه غفار قال ما لي ولغفار • ثم مرت جهينة من القبائل
قال مثل ذلك حتى اقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن
عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة المشرفة
قال ابو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة اي الهلاك • قال الخطابي تمنى ابو سفيان
ان يكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم • وقيل هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه وقيل
هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من ان ينالني مكروه • وقال ابن اسحق زعم بعض اهل العلم ان سعدا
قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما آمن ان يكون لسعد
في قريش صولة فقال لعلي ادركه فخذ الراية منه فكن انت تدخل بها • وقد روى الاموي في المغازي ان
ابا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه امرت بقتل قومك قال لا فذكر له ما قال سعد بن عبادة
ثم ناشده الله والرحم فقال يا ابا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا • وارسل الى سعد واخذ
الراية منه فدفعها الى ابنه قيس • وعند ابن عساكر من طريق ابي الزبير عن جابر قال لما قال سعد بن عبادة
ذلك عارضت امراة من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الهدى اليك لجائي حي قريش
ولات حين لجاء • حين ضاقت عليهم سعة الارض • وعاداهم اله السماء • ان سعدا يريد قاصمة الظهر
باهل الحجون والبطحاء • فلما سمع هذا الشعر دخلته رأفة لهم فامر بالراية فاخذت من سعد ودفعت الى

لم درجة

ولده

ويمكن الجمع بأن الحرس لما أخذوه استنقذه العباس • وروى أن عمر رضي الله عنه لما رأى أبا سفيان رديف العباس
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان دعني أضرب عنقه فقال العباس
يا رسول الله إني قد أجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به فذهب
فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا أبا سفيان
ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس
منها شيء فقال له العباس أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فأسلم وشهد
شهادة الحق فقال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم وأمر عليه السلام
فنادى مناديه من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن
إلا المستثنين عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم كما قال مغلطاي وغيره • وابن خطل قتله أبو برزة • وقينتاه
وهما فرتنا بالفاء المفتوحة والراء الساكنة والتاء المثناة الفوقية والنون • وقرينة بالقاف والموحدة
مصغر أسلمت إحداهما وقتلت الأخرى • وذكر غير ابن إسحاق أن الذي أسلمت فرتنا وأن قرينة قتلت • و
سارة مولاة لبني المطلب أسلمت • ويقال كانت مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم • وأرنب غلام امرئه قتلت • وقريبة
وعكرمة بن أبي جهل أسلم والحارث بن نقيد قتله علي • ومقيس بن صبابة بمهملة مضمومة وموحدتين الأولى خفيفة
قتله نميلة الليثي وهبار بن الأسود أسلم • وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت
فنخس بها حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها • وكعب بن زهير أسلم • وهند بنت عتبة أسلمت • و
وحشي بن حرب أسلم • انتهى • وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة • وابن نقيد بضم النون وفتح القاف
وسكون المثناة التحتية آخره دال مهملة مصغرا • ومقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة التحتية آخره
مهملة • وقد جمع الواقدي عن شيوخه أسماء من قريش يوم الفتح وأمر بقتله عشرة أنفس ستة رجال وأربع
نسوة • وروى أحمد ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث على إحدى
المجنبتين خالد بن الوليد • وبعث الزبير على الأخرى • وبعث أبا عبيدة على الحسر بضم المهملة وتشديد السين
أي الذين بغير سلاح فقال لي يا أبا هريرة اهتف لي بالأنصار فهتفت بهم فجاؤوا فأطافوا به فقال
أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بإحدى يديه على الأخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا
قال أبو هريرة فانطلقنا فما نشاء أن نقتل منهم أحدا إلا قتلنا فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيحت
خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن قال في فتح الباري وقد
تمسك بهذه القصة من قال إن مكة فتحت عنوة • وهو قول الأكثر • وعن الشافعي وهو رواية عن أحمد
أنها فتحت صلحا لما وقع من هذا التأمين ولإضافة الدور إلى أهلها لأنها لم تقسم ولأن الغانمين لم
يملكوا دورها ولا لجاز إخراج أهل الدور منها • وحجة الأولين ما وقع التصريح به من الأمر بالقتال
ووقوعه من خالد بن الوليد • وبتصريحه عليه السلام بأنها أحلت له ساعة من نهار • ونهيه عن التأسي
به في ذلك اليوم وأجابوا عن ترك القسمة بأنها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن

اذهب به

وعند أبي يعلى من حديث الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم دفعها إليه فدخل مكة بلوائين وإسناده ضعيف جدا
لكن جزم موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري أنه دفعها إلى الزبير بن العوام • فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه
الراية التي نزعت من سعد • والذي يظهر في الجمع أن عليا أرسل لينزعها ويدخل بها • ثم خشي تغير خاطر سعد
فأمر بدفعها إلى ابنه قيس • ثم إن سعدا خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي أن
يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير • قال وفي رواية البخاري • ثم جاءت كتيبة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه • وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير • فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال ألم تعلم ما
قال سعد بن عبادة قال ما قال قال كذا وكذا فقال كذب سعد • ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة و
يوم تكسى فيه الكعبة • قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون • قال وقال عروة
وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم • قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام يا أبا عبد الله هاهنا أمرك
رسول الله أن تركز الراية قال نعم • وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من
أعلى مكة من كداء بالفتح والمد • ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كدا بالضم والقصر فقتل من خيل خالد يومئذ
رجلان حبيش بن الأشعر • وكرز بن جابر الفهري • قال الحافظ ابن حجر وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة
الآتية في البخاري أيضا أن خالدا دخل من أسفل مكة والنبي صلى الله عليه وسلم من أعلاها • يعني حديث
ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد • وحديث
عائشة أنه صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة وغيرهما قال وقد ساق ذلك موسى
ابن عقبة سياقا واضحا فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم
وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه • وبعث خالد بن الوليد
في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت • وبعث
سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا
إلا من قاتلهم واندفع خالد بن الوليد حتى دخل مكة من أسفلها وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة
وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا وقتل من بني بكر نحو
من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا الدور فارتفعت
طائفة منهم على الجبال وصاح أبو سفيان من أغلق بابه وكف يده فهو آمن • قال ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى البارقة فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن أن خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن
يقاتلهم • قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم
بدؤونا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت فقال قضاء الله خير • وعند ابن إسحاق فلما نزل عليه السلام
مر الظهران رقت نفس العباس لأهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد أحدا فيعلم
أهل مكة بمجيء النبي عليه الصلاة والسلام ليستأمنوه فسمع صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و
بديل بن ورقاء فأردف أبا سفيان خلفه وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة

على أهلها ويترك لهم دورهم • قال وأما قول النووي واحتج الشافعي بالأحاديث المشهورة بأن النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة ففيه نظر لأن الذي أشار إليه إن كان مراده ما وقع من قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن كما تقدم وكذا من دخل المسجد كما عند ابن إسحق فإن ذلك لا يسمى صلحا إلا إذا التزم من أشير إليه بذلك الكف عن القتال • والذي ورد في الأحاديث الصحيحة ظاهر في أن قريشا لم يلتزموا ذلك لأنهم استعدوا للحرب وإن كان مراده بالصلح وقوع عقد فهذا لم ينقل منهم ولا أظنه عنى إلا الاحتمال الأول وفيه ما ذكرته • انتهى • ثم دخل رسول الله عليه السلام مكة في كتيبة الخضراء وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير فرأى أبو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما • فقال العباس ويحك إنه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم • وروي أنه صلى الله عليه وسلم وضع رأسه تواضعا لله تعالى لما رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن رأسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته أن أحل له بلده ولم يحله لأحد قبله ولا لأحد بعده • وفي البخاري من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس وفي المحكم هو ما يجعل من فضل درع الحديد على الرأس مثل القلنسوة فلما نزعه جاء رجل فقال ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتله • وفي حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطني والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة لا أؤمنهم في حل ولا في حرم الحويرث بن نقيذ وهلال بن خطل ومقيس ابن صبابة وعبد الله بن أبي سرح • فأما هلال بن خطل فقتله الزبير الحديث • وفي حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في الدلائل نحوه لكنه قال أربعة نفر وامرأتان وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة فذكر عبد الله بن خطل بدل هلال • وقال عكرمة بدل الحويرث ولم يسم المرأتين قال فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا وكان أشب الرجلين فقتله الحديث • وروى ابن أبي شيبة من طريق أبي عثمان أن أبا برزة الأسلمي قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وإسناده صحيح مع إرساله • ورواه أحمد من وجه آخر وهو أصح ما ورد في تعيين قاتله • وبه جزم البلاذري وغيره من أهل الأخبار وتحمل بقية الروايات على أنهم ابتدروا قتله فكان المباشر له منهم أبو برزة • ويحتمل أن يكون غيره شاركه فيه فقد جزم ابن هشام في السيرة بأن سعيد بن حريث وأبا برزة الأسلمي اشتركا في قتله • وإنما أمر بقتل ابن خطل لأنه كان مسلما فبعثه صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث معه رجلا من الأنصار وكان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا فأمر المولى أن يذبح تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدى عليه فقتله ثم ارتد مشركا • وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الجمع بين ما اختلف فيه من اسمه أنه كان يسمى عبد العزى فلما أسلم سمي عبد الله • وأما من قال هلال فالتبس عليه بأخ له اسمه هلال • وفي رواية أبي داود من حديث مصعب لما كان يوم الفتح أمن

لعله الكف من القتال

رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة نفر فذكرهم • ثم قال وأما ابن سرح فاختبأ أولا عند عثمان بن عفان رضي الله عنه • فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا يا رسول الله ما ندري ما في نفسك ألا أومأت إلينا • قال إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين الحديث • قال مالك كما في رواية البخاري ولم يكن رسول الله عليه السلام فيما نرى والله أعلم يومئذ محرما • انتهى • وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن بن مهدي عن مالك جازما به • أخرجه الدارقطني في الغرائب • ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام • وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن طاوس قال لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة إلا محرما إلا يوم فتح مكة • وقد اختلف العلماء هل يجب على من دخل مكة الإحرام أم لا فالمشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا • وفي قول يجب مطلقا • وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب وهو أولى بعدم الوجوب • والمشهور عن الأئمة الثلاثة الوجوب • وفي رواية عن كل منهم لا يجب وجزم به الحنابلة باستثناء ذوي الحاجات المتكررة • واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات • والله سبحانه أعلم • وقد زعم الحاكم في الإكليل أن بين حديث أنس في المغفر وبين حديث جابر في العمامة السوداء معارضة • وتعقبوه باحتمال أن يكون أول دخوله كان على رأسه المغفر ثم أزاله ولبس العمامة بعد ذلك فحكى كل منهما ما رآه • ويؤيده أن في حديث عمرو بن حريث أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء • أخرجه مسلم أيضا • وكانت الخطبة عند باب الكعبة • وذلك بعد تمام الدخول • وهذا الجمع للقاضي عياض • وقال غيره يجمع بأن العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر أو كانت تحت المغفر وقاية لرأسه من صدأ الحديد فأراد أنس بذكر المغفر كونه دخل متأهبا للحرب • وأراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم • وفي البخاري عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح يا رسول الله أين تنزل غدا قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل • وفي رواية هل ترك لنا عقيل من رباع أو دور • وكان عقيل ورث أبا طالب ولم يرث جعفر ولا علي شيئا لأنهما كانا مسلمين • وكان عقيل وطالب كافرين • فكان عمر بن الخطاب يقول لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر • وفي رواية أخرى قال عليه السلام منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر يعني به المحصب وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم • وفي رواية أخرى أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيت أم هانئ ثم صلى الضحى ثماني ركعات قالت لم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود • وأجارت أم هانئ حموين لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ • والرجلان الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية ابن المغيرة كما قاله ابن هشام وقد كان أخوها علي بن أبي طالب أراد أن يقتلهما فأغلقت عليهما بابا وذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم • ولما كان الغد من يوم الفتح قام عليه الصلاة والسلام خطيبا في الناس

[illegible]

أي جزم بالوجوب [illegible]

فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله • ثم قال أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض
فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة • فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة
فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم • وإنما أحلت لي ساعة
من نهار • وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب • ثم قال يا معشر قريش ما
ترون أني فاعل بكم • قالوا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يؤسروا
ولم يسترقوا • والطليق الأسير إذا أطلق • والمراد بالساعة التي أحلت له عليه السلام ما بين أول النهار
ودخول وقت العصر كذا قاله في فتح الباري ولقد أجاد العلامة أبو محمد الشقراطيسي حيث يقول في قصيدته
المشهورة: ويوم مكة إذ أشرفت في أمم • يضيق عنها فجاج الوعث والسهل • خوافق ضاق
ذرع الخافقين بها • في قاتم من عجاج الخيل والإبل • وجحفل قذف الأرجاء ذي لجب • عرمرم كزهاء
الليل منسحل • وأنت صلى عليك الله تقدمهم • في بهو إشراق نور منك مكتمل • تنير فوق أغر الوجه منتجب
متوج بعزيز النصر مقتبل • يسمو أمام جنود الله مرتديا • ثوب الوقار لأمر الله ممتثل • خشعت تحت بهاء
العز حين سمت • بك المهابة فعل الخاضع الوجل • وقد تباشر أملاك السماء بما • ملكت إذ نلت
منه غاية الأمل • والأرض ترجف من زهو ومن فرق • والجو يزهر إشراقا من الجذل • والخيل تختال
زهوا في أعنتها • والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل • لولا الذي خطت الأقلام من قدر • وسابق من
قضاء غير ذي حول • أهل ثهلان بالتهليل من طرب • وذاب يذبل تهليلا من الذبل • الملك لله
هذا عز من عقدت • له النبوة فوق العرش في الأزل • شعبت صدع قريش بعد ما قذفت
بهم شعوب شعاب السهل والقلل • قالوا محمد قد زارت كتائبه • كالأسد تزأر في أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته • وويل أم قريش من جوى الهبل • فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم
تلمم ولا بإلمام اللوم والعذل • ضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم • طولا أطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها • تحت الوشيج نشيج الروع والوجل • عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف
مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل • أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها • وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
وطفت بالبيت محبورا وطائفة • من كان يعبده قبل الفتح في شغل
الجحفل الجيش العظيم • قذف الأرجاء أي متباعدها • اللجب بالجيم الضجة من كثرة الأصوات • العرمرم الضخم الكثير
العدد • وقوله كزهاء الليل في سده الأفق واسوداده بالسلاح • والمنسحل بالحاء المهملة الماضي في
سيره ويتبع بعضه بعضا • وقوله في بهو إشراق شبه النور الذي يغشاه عليه السلام ببهو [illegible] والبهو
البناء العالي كالإيوان ونحوه • والمنتجب المتخير من أصل نجيب أي كريم • والمقتبل المستقبل الخير • وترجف
تهتز • والزهو الخفة من الطرب يعني أن الأرض اهتزت فرحا بهذا الجيش وفرقا من صولته أي كادت تهتز
قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر أي كادت تبلغ • والجدل جمع جديل وهو الزمام المضفور • وثنى الجدل
ما انثنى على أعناق الإبل أي انعطف • وثهلان اسم جبل معروف • وأهل رفع صوته • ويذبل اسم جبل

الواسع

أيضا • والذبل الرماح الذوابل • وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت أي جفت ويبست • وتهليلا
جبنا وفزعا يعني لولا ما سبق من تقدير الله أن الجبال لا تنطق لرفع صوته ثهلان • وهلل الله من الطرب
ولذاب يذبل من الجزع والفرق • وقوله شعبت أي جمعت وأصلحت • وقذفت بهم أي فرقت بهم نحو شعوب
وشعوب اسم للمنية لأنها تفرق الجماعات من شعبت أي فرقت وهو من الأضداد • والشعاب الطرق في الجبال
والسهل خلاف الجبل • والقلل رؤس الجبال يعني أنه صلى الله عليه وسلم عفى عنهم بعدما انصدعوا أي تفرقوا و
هربوا من خوفه إلى كل سهل وجبل • وقوله كالأسد تزأر في أنيابها العصل أي المعوجة • والله أعلم
ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم قال الأنصار فيما بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها وكان عليه السلام يدعو على الصفا رافعا يديه فلما فرغ من
دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا
محياكم والممات مماتكم • وهم فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت
فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضالة قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به
نفسك قال لا شيء كنت أذكر الله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره
فسكن قلبه • وكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه
وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فكلما
مر بصنم أشار إليه بقضيبه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه
البيهقي • وفي رواية أبي نعيم قد ألزقها الشيطان بالرصاص والنحاس • وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي
أن الله تعالى لما أعلمه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أنجز له وعده بالنصر على أعدائه وفتحه مكة وإعلاء كلمة دينه أمره
إذا دخل مكة أن يقول وقل جاء الحق وزهق الباطل فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنه
ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيخر الصنم ساقطا مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص وكانت ثلثمائة و
ستين صنما بعدد أيام السنة • قال وفي معنى الحق والباطل لعلماء التفسير أقوال قال قتادة جاء القرآن وذهب
الشيطان • وقال ابن جريج جاء الجهاد وذهب الشرك • وقال مقاتل جاءت عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان
وقال ابن عباس وجد صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حول البيت ثلثمائة وستين صنما كانت لقبائل العرب يحجون إليها
وينحرون لها فشكى البيت إلى الله تعالى فقال أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله إليه أني
سأحدث لك توبة جديدة يدفون إليك دفيف النسور ويحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك
بالتلبية • قال ولما نزلت الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها
فجعل يأتي صنما صنما ويطعن في عينه أو بطنه بمخصرته ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه
حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله عليه السلام
حتى صعد ورمى به وكسره فجعل أهل مكة يتعجبون انتهى • وعن ابن عباس قال لما قدم النبي عليه السلام
أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت فأخرجوا صورة إبراهيم وإسمعيل عليهما السلام

في أيديهما الأزلام يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله والله لقد
علموا أنهما لم يستقسما بها قط • فدخل البيت وكبّر في نواحيه ولم يصلّ • رواه البخاري • وعن ابن عمر قال أقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقة القصواء وهو مردف أسامة حتى أناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان
ابن طلحة فقال ائتني بالمفتاح فذهب إلى أمه فأبت أن تعطيه فقال والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من
صلبي فأعطته إياه فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه إليه ففتح الباب • رواه مسلم • وروى الفاكهي من
طريق ضعيفة عن ابن عمر أيضا قال كان بنو طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتحها بيده • وعثمان المذكور هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى ويقال له
الحجبي بفتح المهملة والجيم ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة • وهو ابن عم
عثمان • وعثمان هذا لا ولد له • وله صحبة ورواية • واسم أم عثمان سلافة بضم السين المهملة والتخفيف والفاء
وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبي
صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك
سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عمرت وعزت
يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال • فلما كان يوم الفتح
قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه إلي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا
الظالم • يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف • قال فلما وليت ناداني
فرجعت إليه فقال ألم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي
أضعه حيث شئت قلت بلى أشهد أنك رسول الله • وفي التفسير أن هذه الآية إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي أمره صلى الله عليه وسلم أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه و
أغلق باب البيت وصعد إلى السطح وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذ المفتاح منه وفتح الباب
فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة
فأنزل الله هذه الآية وأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه ففعل ذلك علي فقال له
أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي لقد أنزل الله في شأنك وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن محمدا رسول الله
فجاء جبريل عليه السلام فقال ما دام هذا البيت ولبنة من لبناته قائمة فإن المفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيمة
قال ابن ظفر في ينبوع الحياة قوله لو أعلم أنه رسول الله لم أمنعه هذا وهم لأنه كان ممن أسلم فلو قال هذا لكان مرتدا
وعن الكلبي لما طلب عليه السلام المفتاح من عثمان مد يده إليه فقال العباس يا رسول الله اجعلها مع السقاية
فقبض عثمان يده بالمفتاح فقال صلى الله عليه وسلم إن كنت يا عثمان تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته فقال هاكه
بالأمانة فأعطاه إياه ونزلت الآية • قال ابن ظفر وهذا أولى بالقبول • وفي رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم
هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي فأغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر فلما فتحوا كنت أول من ولج
فلقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين العمودين اليمانيين وذهب عني

أن أسأله كم صلى • وفي إحدى روايات البخاري جعل عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه
وليس بين الروايتين مخالفة • لكن قوله في الرواية الأخرى وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل
لأنه يشعر بكون ما عن يمينه أو عن يساره كان اثنين ولذا عقبه البخاري برواية إسمعيل بن أبي أويس التي
قال فيها عمودين عن يمينه • ويمكن الجمع بين الروايتين بأنه حيث ثنى أشار إلى ما كان عليه البيت في زمنه
صلى الله عليه وسلم وحيث أفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك • ويرشد إليه قوله وكان البيت يومئذ
لأن فيه إشعارا بأنه تغير عن هيئته الأولى • ويحتمل أن يقال لم تكن الأعمدة الثلاثة على سمت واحد
بل اثنان على سمت • والثالث على غير سمتهما • ولفظ المتقدمين في إحدى روايات البخاري مشعر به و
في رواية مسلم جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه عكس رواية إسمعيل • وكذلك قال الشافعي وبشر
بن عمر في إحدى الروايتين عنهما • وجمع بعض المتأخرين بين هاتين الروايتين باحتمال تعدد الواقعة
وهو بعيد لاتحاد مخرج الحديث • وقد جزم البيهقي بترجيح رواية إسمعيل • ووافقه عليها ابن القاسم
القعنبي وأبو مصعب ومحمد بن الحسن وأبو حذافة • وكذلك الشافعي وابن مهدي في إحدى الروايتين
عنهما انتهى ملخصا من فتح الباري • وقد بين موسى بن عقبة في روايته عن نافع أن بين موقفه صلى الله
عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة أذرع • وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع فيما
أخرجه الدارقطني في الغرائب ولفظه • وصلى وبينه وبين القبلة ثلاثة أذرع • وفي كتاب مكة للأزرقي
والفاكهي أن معاوية سأل ابن عمر أين صلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اجعل بينك وبين الجدار ذراعين
أو ثلاثة • فعلى هذا ينبغي لمن أراد الاتباع في ذلك أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع فإنه تقع
قدماه في موضع قدميه صلى الله عليه وسلم إن كانت ثلاثة سواء أو تقع ركبتاه أو يداه أو وجهه إن
كان أقل من ثلاثة أذرع والله أعلم • وفي رواية عن ابن عباس قال أخبرني أسامة أنه عليه السلام لما دخل البيت
دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين فقال هذه القبلة رواه
مسلم • والجمع بينه وبين حديث ابن عمر أن أسامة أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة كما رواه
أحمد والطبراني بأن أسامة حيث أثبتها اعتمد في ذلك على غيره • وحيث نفاها أراد ما في علمه لكونه
لم يره حين صلى • وبكون ابن عمر ابتدأ بلالا بالسؤال ثم أراد زيادة الاستثبات في مكان الصلوة فسأل
أسامة أيضا • قال النووي وقد أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مثبت فمعه زيادة علم
فوجب ترجيحه • قالوا وأما نفي أسامة فسببه أنهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء فرأى
أسامة النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل في ناحية من نواحي البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في ناحية
أخرى وبلال قريب منه • ثم صلى النبي صلى الله عليه وسلم فرآه بلال لقربه منه ولم يره أسامة لبعده واشتغاله
وكانت صلوته عليه السلام خفيفة فلم يرها أسامة لإغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء وجاز
له نفيها عملا بظنه • وأما بلال فحققها فأخبر بها انتهى • وتعقبوه بما يطول ذكره • وأقرب ما قيل
في الجمع أنه صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة لما غاب عنه أسامة من الكعبة لأمر ندبه إليه وهو أن يأتي

اليه وهو أن تأخر بمحو الصور التي كانت في الكعبة فأثبت الصلاة بلال لرؤيته لها ونفاها أسامة
لعدم رؤيته • ويؤيده ما رواه أبو داود والطيالسي عن أسامة بن زيد قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الكعبة ورأى صورا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها ويقول قاتل الله قوما
يصورون ما لا يخلقون • ورجاله ثقات • وأفاد الأزرقي في تاريخ مكة أن خالد بن الوليد كان على باب
الكعبة يذب عنه صلى الله عليه وسلم الناس • وفي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم أقام خمسة عشر ليلة • وفي
رواية تسع عشرة • وفي رواية أبي داود سبع عشرة • وعند الترمذي ثماني عشرة • وفي الإكليل أصحها بضع عشرة
يقصر الصلاة • وقال الفاكهي في تاريخ مكة وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان

ثم سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه عقب فتح مكة إلى العزى بنخلة • وكانت لقريش وجميع بني كنانة • وكانت أعظم أصنامهم
لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها فلما انتهوا إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال هل رأيت شيئا قال لا قال فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها فرجع
خالد متغيظا فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها
باثنين ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد أيست أن تعبد ببلادكم

ثم سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى سواع صنم هذيل على ثلاثة أميال من مكة في شهر رمضان
سنة ثمان حين فتح مكة قال عمرو فانتهيت إليه وعنده السادن فقال ما تريد قلت أمرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع أو يبصر قال فدنوت
منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى سعيد
مناة صنم للأوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان حين فتح مكة فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى إليها
فقال السادن ما تريد قال هدم مناة قال أنت وذاك فأقبل سعد يمشي إليها فخرجت إليه امرأة عريانة
سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فضربها سعد بن زيد فقتلها وأقبل إلى الصنم ومعه
أصحابه فهدموه وانصرف راجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست بقين من رمضان

ثم سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة قبيلة من عبد القيس أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم في شوال سنة
ثمان وهو يوم الغميصاء أنه عليه السلام لما رجع من هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة بعثه
في ثلاثمائة وخمسين رجلا داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا فلما انتهى إليهم قال ما أنتم قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا
بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا • وفي البخاري لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا فقال لهم
استأسروا فاستأسر القوم فأمر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم في أصحابه فلما كان السحر نادى منادي
خالد من كان معه أسير فليقتله فقتلت بنو سليم من كان بأيديهم • وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا
أساراهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد • وبعث عليا رضي الله عنه
فودى لهم قتلاهم • قال الخطابي يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام ولم ينقادوا
إلى الدين فقتلهم متأولا • وأنكر صلى الله عليه وسلم العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من

قولهم

قولهم صبأنا

ثم غزا صلى الله عليه وسلم حنينا بالتصغير • وهو واد قرب
ذي المجاز • وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف • وتسمى غزوة هوازن وثقيف
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها وأسلم عامة أهلها مشت أشراف هوازن
وثقيف بعضهم إلى بعض وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين • وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري
فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست خلون من شوال في اثني عشر ألفا من المسلمين
عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان ممن أسلم من أهل مكة • وهم الطلقاء يعني الذين خلي عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم
فلم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الأسير إذا أطلق سبيله • واستعمل صلى الله عليه وسلم
على مكة عتاب بن أسيد • وخرج معه صلى الله عليه وسلم ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم استعار منه مائة درع بأداتها فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال
فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا إليه وقد تفرقت
أوصالهم من الرعب • ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي فدخل عسكرهم فطاف بهم
وجاء بخبرهم • وفي حديث سهل بن الحنظلية عند أبي داود بإسناد حسن أنهم ساروا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأطنبوا السير فجاء رجل فقال انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بـ
هوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله تعالى • وقوله عن بكرة أبيهم كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد و
ليس هناك بكرة في الحقيقة • وهي التي يستقى عليها الماء استعيرت هنا • وقوله بظعنهم أي بنسائهم واحدها ظعينة
وأصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها أي يسار • وقيل للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها حيث
ما ظعن ولأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت • وقيل الظعينة المرأة في الهودج ثم قيل للمرأة بلا هودج و
للهودج بلا امرأة ظعينة • انتهى • وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن الربيع قال قال رجل يوم حنين
لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب عليه السلام بغلته البيضاء دلدل ولبس
درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة • وذلك في غبش بقية الليل
الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم
أهل مكة والناس ثم لم يثبت معه صلى الله عليه وسلم إلا العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن العباس
وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد في أناس من أهل بيته وأصحابه • قال العباس
قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في
نحر العدو وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه وجعل عليه السلام يقول للعباس ناد يا معشر الأنصار يا أصحاب
الشجرة يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعوا تحتها أن لا يفروا عنه فجعل ينادي تارة يا أصحاب الشجرة وتارة
يا أصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا
حنت على أولادها • وفي رواية مسلم قال العباس فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر

على أولاها يقولون يا لبيك يا لبيك فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع اخذ درعه وأرسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم عليه السلم ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس وهو التنور يخبز به يضرب مثلا لشدة الحرب الذي يشبه حرها حره وهذه من فصيح الكلام الذي لم يسمع من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم • وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه اي قبحت ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب من الارض فيحتمل انه رمى بذه مرة وبالاخرى اخرى • ويحتمل ان يكون قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب • ولاحمد وابو داود والدارمي من حديث ابي عبد الرحمن الفهري في قصة حنين قال فولى المشركون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه فاخذ كفا من تراب قال فاخبرني الذي كان ادنى اليه مني ضرب به وجوههم وقال شاهت الوجوه فهزمهم الله قال يعلى بن عطاء راويه عنهما عن ابي عبد الرحمن الفهري فحدثني ابناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا احد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست الحديد بدا بايهم • قال في النهاية وصف الطست وهي مؤنثة بالجديد وهو مذكر اما لان تانيثها غير حقيقي فاوله على الاناء والظرف او لان فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة تانيث كما يوصف به المذكر نحو امرأة قتيل • انتهى • ولاحمد والحاكم من حديث ابن مسعود فحادت به بغلته صلى الله عليه وسلم فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلأت اعينهم ترابا • وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب • فولى المشركون الادبار • وروى ابو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما انهزمناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا وركبوا اكتافنا • وفي سيرة الدمياطي كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر ارخوها بين اكتافهم • وفي حديث جبير بن مطعم نظرت الى ناس يقتتلون يوم حنين مثل البجاد الاسود يهوي من السماء • والبجاد بالموحدة والجيم آخره دال مهملة الكساء يخبر انه الملائكة الذين ايدهم الله بهم • قاله ابن الاثير • وفي البخاري عن البراء وسأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • وهذه اشارة الى ان صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما اقول حتى انهزم بل انا متيقن ان الذي وعدني الله به من النصر حق فلا يجوز علي الفرار • واما ما في رواية عن سلمة بن الاكوع من قوله ورجع منهزما

الى

الى قوله مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فقال لقد رأى ابن الاكوع فزعا • فقال العلماء قوله منهزما حال من ابن الاكوع كما صرح اولا بانهزامه ولم يرد ان النبي صلى الله عليه وسلم انهزم • وقد قالت الصحابة كلهم انه عليه السلم ما انهزم ولم ينقل احد انه انهزم قط في موطن من المواطن • وقد نقلوا اجماع المسلمين انه لا يجوز ان يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان بن الحارث آخذين ببغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو • وقد تقدم في غزوة احد ما نسب لابن المرابط من المالكية مما حكاه القاضي عياض في الشفاء ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل • وان العلامة البساطي تعقبه بما لفظه هذا القائل ان كان يخالف في اصل المسئلة يعني حكم الساب فله وجه وان اتفق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل • انتهى • قال بعضهم وقد كان ركوبه عليه السلم البغلة في هذا المحل الذي هو موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقا للنبوة لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة ولا يصلح لمواطن الحرب في العادات الا الخيل فبين صلى الله عليه وسلم ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكلا على الله وقد ركبت الملائكة في الحرب معه صلى الله عليه وسلم على الخيل لا غير لانها بصدد ذلك غالبا دون غيرها من المركوبات ولهذا لا يسهم في الحرب الا للخيل • والسر في ذلك انها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل انتهى • وعند ابن ابي شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة لم يبق معه عليه السلم الا اربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي والعباس بين يديه وابو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الايسر وليس يقبل نحوه احد الا قتل • وفي الترمذي باسناد حسن من حديث ابن عمر لقد رأيتنا يوم حنين وان الناس لمولين وما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل • وفي شرح مسلم للنووي انه ثبت معه عليه الصلاة والسلام اثنا عشر رجلا وكانه اخذه من قول ابن اسحق • ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب ان الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك لقوله • نصرنا رسول الله في الحرب تسعة • وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا • وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه • لما مسه في الله لا يتوجع • وقد قال الطبري الاشهر ان الذي بقي معه هو ما وقع في شعر العباس • واما الاستطراد للكثرة فهو كالمتعين الجمع • انتهى • واما قوله عليه السلم • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • فقال العلماء انه ليس بشعر لان الشاعر انما سمي شاعرا لوجوه منها انه يشعر القول ويقصده ويهتدي اليه ويأتي به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى فان خلا من هذه الاوصاف او بعضها لم يكن شعرا ولا يكون قائله شاعرا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا اراده فلا يعد شعرا وان كان موزونا • واما قوله عليه السلم انا ابن عبد المطلب ولم يقل انا ابن عبد الله فاجيب بان شهرته بجده كانت اكثر من شهرته بابيه لان اباه توفي في حياة ابيه عبد المطلب قبل مولده عليه السلام وكان عبد المطلب مشهورا شهرة ظاهرة شائعة • وكان سيد قريش • وكان كثير من الناس يدعون النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب ينسبونه الى جده لشهرته • ومنه حديث ضمام بن ثعلبة في قوله ايكم ابن عبد المطلب • وقيل غير هذا • وامر صلى الله عليه وسلم ان يقتل كل من قدر عليه وافضى المسلمون

والفضل بن العباس

في القتل الى الذرية فنهاهم عليه السلم عن ذلك • وقال من قتل له عليه بينة فله سلبه • واستلب ابو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلا • وقال ابن القيم في الهدى النبوي كان الله قد وعد رسوله انه اذا فتح مكة ودخل الناس في دين الله افواجا • ودانت له العرب باسرها فلما تم الفتح المبين اقتضت حكمته ان امسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وان يجمعوا ويتالبوا الحرب عليه ليظهر امره ويتم اعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكرانا لاهل الفتح • وليظهر الله تعالى رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها ولا يقاومهم بعده احد من العرب فاقتضت حكمته سبحانه ان اذاق المسلمين اولا مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل عليه السلم واضعا راسه منحنيا على فرسه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته ان احل له بلده ولا يحل لاحد بعده • وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم من قلة ان النصر انما هو من عند الله تعالى وانه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له • وانه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي اعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين • فلما انكسرت قلوبهم ارسلت خلع الجبر مع بريد انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها • وقد اقتضت حكمته تعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على اهل الانكسار • ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض • قال وبهاتين الغزوتين اعني حنينا وبدرا قاتلت الملائكة بانفسها مع المسلمين ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين بالحصباء فيهما • انتهى • وامر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى بعضهم الى الطائف وبعضهم الى نخلة وقوم منهم الى اوطاس • واستشهد من المسلمين اربعة منهم ايمن ابن ام ايمن • وقتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلا

ثم سرية ابي عامر الاشعري • وهو عم ابي موسى الاشعري • وقال ابن اسحق ابن عمه • والاول اشهر • بعثه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوازن يوم حنين الى اوطاس • وهو واد في ديار هوازن وكان معه سلمة بن الاكوع فانتهى اليهم فاذا هم ممتنعون فقتل ابو عامر منهم تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه وبرز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه ابو عامر فافلت ثم اسلم بعد فحسن اسلامه • فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راه قال هذا شريد ابي عامر • ورمى ابا عامر ابنا الحارث العلاء واوفى فقتلاه فخلفه ابو موسى الاشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه • وكان في السبي الشيماء اخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة • وقيل قاتل ابي عامر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابي عامر واجعله من اعلى امتي في الجنة • وفي رواية البخاري قال يعني ابا عامر لابي موسى الاشعري يا ابن اخي اقرئ النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقل له يستغفر لي ثم مات ورجعت فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بخبرنا وخبر ابي عامر وقال قل له استغفر لي فدعا بماء فتوضا ثم رفع يديه وقال اللهم اغفر لعبيد ابي عامر ورايت بياض ابطيه ثم قال اللهم اجعله يوم القيمة

فوق كثير من خلقك فقلت ولي فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيمة مدخلا كريما قال ابو بردة احدهما لابي عامر والاخرى لابي موسى

ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي

الى ذي الكفين صنم من خشب كان لعمرو بن حممة في شوال لما اراد عليه الصلوة والسلام المسير الى الطائف ليهدمه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول يا ذا الكفين لست من عبادكا • ميلادنا اقدم من ميلادكا • انا حششت النار في فؤادكا • وانحدر معه من قومه اربعمائة سراعا فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه باربعة ايام • وعند مغلطاي • وقدم معه اربعة مسلمون

ثم غزوة الطائف

وهي بلد كبير على ثلث مراحل او اثنتين من مكة من جهة المشرق كثيرة الاعناب والفواكه • وقيل ان اصلها ان جبريل عليه السلم اقتلع الجنة التي كانت لاصحاب الصريم فسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطائف فسمي الموضع بها • وكانت اولا بنواحي صنعا واسم الارض وج بتشديد الجيم وسار اليها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة • وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وكان ثقيف لما انهزموا من اوطاس دخلوا حصنهم بالطائف واغلقوه عليهم بعد ان ادخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيؤا للقتال وسار صلى الله عليه وسلم فمر في طريقه بقبر ابي رغال وهو ابو ثقيف فيما يقال فاستخرج منه غصنا من ذهب ونزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كانه رجل جراد حتى اصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا منهم عبد الله بن ابي امية • ورمي عبد الله بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما يومئذ بسهم فجرح فاندمل ثم نقض بعد ذلك فمات منه في خلافة ابيه • وارتفع صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف اليوم وكان معه من نسائه ام سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله فحاصرهم ثمانية عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو اول منجنيق رمي به في الاسلام • وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذي الكفين فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال • فامر صلى الله عليه وسلم بقطع اعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا ثم سالوه ان يدعها لله وللرحم فقال عليه السلم اني ادعها لله وللرحم ثم نادى مناديه عليه السلم ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر • قال الدمياطي فخرج منهم بضعة عشر رجلا فيهم ابو بكرة • وعند مغلطاي ثلثة وعشرون عبدا • وفي البخاري عن عثمان النهدي قال سمعت سعدا وابا بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عاصم لقد شهد عندي رجلان اما احدهما فاول من رمى بسهم في سبيل الله تعالى واما الاخر فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثالث ثلثة وعشرين من الطائف الحديث • واعتق صلى الله عليه وسلم من نزل منهم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على اهل الطائف مشقة شديدة ولم يؤذن له صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف وامر عمر بن الخطاب فاذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك فقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال عليه السلام فاغدوا على القتال فغدوا فاصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله تعالى

ونزل

فسرّوا بذلك وادّعنوا وجعلوا يرحلونه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك • قال النووي قصده صلى الله
عليه وسلم الشفقة عليهم والرفق بالرحيل عن الطائف لصعوبة امره وشدة الكفار الذين فيه وتقويتهم
بحصنهم مع انه صلى الله عليه وسلم علم او رجا انه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة • فلما حرص الصحابة على المقام
والجهاد اقام وجدّ في القتال فلما اصابتهم الجراح رجع الى ما كان قصده اولاً من الرفق بهم ففرحوا بذلك
لما راوا من الشفقة الظاهرة وبعثوا على الرحيل فضحك صلى الله عليه وسلم تعجبا من تغير رأيهم • وفقئت
عين ابي سفيان صخر بن حرب يومئذ • فذكر ابن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهي في يده ايما احب
اليك عين في الجنة او ادعو الله ان يردها عليك قال لا بل عين في الجنة ورمى بها وشهد اليرموك فقاتل
وفقئت عينه الاخرى يومئذ • ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح التقريب • قال صلى الله عليه
وسلم لاصحابه قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده • فلما
ارتحلوا قال قولوا آيبون عابدون لربنا حامدون • فانظر كيف كان صلى الله عليه وسلم اذا اخرج للجهاد
ويعتد لذلك يجمع اصحابه واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الجهاد والسفر ثم رجع عليه
الصلوة والسلام يتبرى من ذلك ويرد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله آيبون تائبون عابدون
لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده • وانظر الى قوله عليه السلام وهزم
الاحزاب وحده فنفى صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره • وهذا هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق
لربه عز وجل فهو الله سبحانه وتعالى الذي خلق ودبّر واعان واجرى الامور على يد من شاء ومن اختار من خلقه
فالامر منه واليه ولو شاء الله ان يبيد اهل الكفر من غير قتال لفعل قال تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم
ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثيب الله تعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين • قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم • فعلى المكلف الامتثال في الحالتين اي امتثال تعاطي الاسباب
والرجوع الى المولى والسكون اليه بساحة كرمه كما كان صلى الله عليه وسلم يأتي الاسباب اولا تأدبا مع الربوبية
وتشريعا لامته ثم يظهر الله تعالى على يديه ما يشاء من قدرته الغامضة التي ادخرها له عليه السلام
قاله ابن الحاج في المدخل • ولما قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف قال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم وكان عليه
السلام قد امر ان يجمع السبي والغنائم مما افاء الله على رسوله يوم حنين فجمع ذلك كله الى الجعرانة فكان بها الى
ان انصرف عليه السلام من الطائف • وكان السبي ستة آلاف رأس • والابل اربعة وعشرين الف بعير • والغنم
اكثر من اربعين الف شاة • واربعة آلاف اوقية فضة • واستأنى صلى الله عليه وسلم اي انتظر وتربص بهوازن
ان يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ثم بدأ يقسم الاموال بها • وفي البخاري وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي
رجالا المائة من الابل فقال ناس من الانصار يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا و
سيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم
في قبة من ادم ثم قال لهم اما ترضون ان يذهب الناس بالاموال وتذهبوا بالنبي الى رحالكم فوالله لما تنقلبون
به خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول الله قد رضينا • وعن جبير بن مطعم قال بينما انا مع النبي صلى الله عليه وسلم

ومعه

ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب حتى اضطروه الى سمرة
فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه نعم
لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا • رواه مسلم • وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم
ثم اعتمر وذلك لليلتين بقيتا من شوال • قال ابن سيد الناس وهذا ضعيف والمعروف عند اهل السير
ان النبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام بها ثلاث
عشرة ليلة فلما اراد الانصراف الى المدينة خرج ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا
فاحرم بعمرة ودخل مكة • وفي تاريخ الازرقي عن مجاهد انه عليه السلام احرم من وراء الوادي حيث الحجارة
المنصوبة • وعند الواقدي من المسجد الاقصى تحت الوادي بالعدوة القصوى من الجعرانة وكان مصلاه
عليه السلام اذ كان بالجعرانة به والجعرانة موضع بينه وبين مكة بريد كما قاله الفاكهي • وقال الباجي
ثمانية عشر ميلا • وسمي باسم امرأة تلقب بالجعرانة كما ذكره السهيلي • قالوا وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وقد
غاب عنها شهرين وستة عشر يوما • وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد بن عبادة
الى ناحية اليمن في اربعمائة فارس وامره ان يقاتل قبيلة صداء حتى يرده عليهم في الطريق • فقدم زياد بن
الحارث الصدائي فسأل عن ذلك البعث فاخبر فقال يا رسول الله انا وافدهم فاردد الجيش وانا لك بقومي
فردهم النبي صلى الله عليه وسلم من قناة • وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوما فاسلموا وتأتي قصة وفودهم
في الفصل العاشر من المقصد الثاني ان شاء الله تعالى • وبعث عيينة بن حصن
الفزاري الى بني تميم بالسقيا • وهي ارض بني تميم في المحرم سنة تسع في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري
ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في صحراء فدخلوا وسرحوا مواشيهم فلما راوا الجمع ولّوا
فاخذوا منهم احد عشر رجلا • ووجدوا في المحلة احدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا • فقدم منهم عشرة من
رؤسائهم منهم عطارد والزبرقان وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس فجاؤا الى باب النبي صلى الله عليه و
سلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فخرج صلى الله عليه وسلم واقام بلال الصلوة وتعلقوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم
وخطب • فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس فاجابهم • ونزل فيهم ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات الاية • ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الاسرى والسبي • وفي البخاري
عن عبد الله بن الزبير انه قدم ركب بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امّر القعقاع بن معبد
ابن زرارة • وقال عمر بل امّر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي قال عمر ما اردت خلافك
فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما • فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا حتى انقضت • اي لا تقدموا
القضاء في امر قبل ان يحكم الله ورسوله فيه • ولما نزل لا ترفعوا اصواتكم اقسم ابو بكر رضي الله عنه لا يكلم بين يدي
رسول الله الا كمن يسارر صاحبه فنزلت فيه وفي امثاله ان الذين يغضون عند رسول الله • الاية

ثم بعث الوليد بن عقبة بن ابي معيط الى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية وكانوا قد اسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزر والغنم فرحا به تعظيما لله ورسوله فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فرجع من الطريق قبل ان يصلهم واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد فاخبروا النبي عليه السلام الخبر على وجهه فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ الى اخر الاية فقرأ صلى الله عليه وسلم عليهم القرآن • وبعث معهم عباد بن بشر ياخذ صدقات اموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقريهم القرآن • وفي شرف المصطفى للنيسابوري مما ذكره مغلطاي انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجة الى بني عمرو بن حارثة • وقيل حارثة بن عمرو • قال وهو الاصح في مستهل صفر يدعوهم الى الاسلام فابوا ان يجيبوا واستخفوا بالصحيفة فدعا صلى الله عليه وسلم عليهم بذهاب العقل فهم الى اليوم اهل رعدة وعجلة وكلام مختلط

ثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة الى خثعم قريبا من تربة بفتح الراء من اعمال مكة سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وامره ان يشن الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعا • وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة • وكانت سهامهم اربعة ابعرة والبعير يعدل بعشرة من الغنم بعد ان اخرج الخمس

ثم سرية الضحاك ابن سفيان الكلابي الى بني كلاب في ربيع الاول سنة تسع الى القرطا فدعاهم الى الاسلام فابوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا

ثم سرية علقمة بن مجزز المدلجي الى الحبشة في ربيع الاخر وقال الحاكم في صفر سنة تسع • وذكر ابن سعد انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان ناسا من الحبشة تراءاهم اهل جدة فبعث اليهم علقمة بن مجزز في ثلثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر اليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم الى اهلهم فامر عبد الله بن حذافة على من تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق واوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال اجلسوا انما كنت امزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال من امركم بمعصية فلا تطيعوه • رواه احمد وابن ماجة • وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابي سعيد الخدري • وبوب عليه البخاري فقال سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي • ويقال انها سرية الانصار • ثم روى عن علي قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الانصار وامرهم ان يطيعوه فغضب فقال اليس قد امركم النبي صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا بلى قال فاجمعوا حطبا فقال اوقدوا فاوقدوها فقال ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا الى النبي صلى الله عليه وسلم من النار فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها • قال الحافظ ابو الفضل بن حجر في قوله ويقال انها سرية الانصاري اشارة الى احتمال تعدد القصة وهو الظاهر لاختلاف سياقهما واسم اميرهما • ويحتمل الجمع بينهما بضرب من التأويل ويبعد وصف عبد الله بن حذافة السهمي القرشي المهاجري

بكونه انصاريا • ويحتمل ان يكون الحمل على المعنى الاعم اي انه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجملة والى التعدد جنح ابن القيم • واما ابن الجوزي فقال قوله من الانصار وهم من بعض الرواة وانما هو سهمي قال في فتح الباري ويؤيده حديث ابن عباس عند احمد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم نزلت في عبد الله بن حذافة وقيس بن عدي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية انتهى • وقال النووي وهذا الذي فعله هذا الامير قيل اراد امتحانهم • وقيل كان مازحا • وقيل ان هذا الرجل عبد الله بن حذافة السهمي قال وهذا ضعيف لانه قال في الرواية التي بعدها انه رجل من الانصار

ثم سرية علي بن ابي طالب رضه الى الفلس بضم الفاء وسكون اللام وهو صنم لطيء ليهدمه في ربيع الاخر سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا • وعند ابن سعد مائتي رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاء • وكان في السبي سفانة بنت حاتم اخت عدي بن حاتم فاطلقها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سبب اسلام عدي • وعند ابن سعد ايضا انه كان معهم الذي كان نصبها خالد بن الوليد رضه

ثم سرية عكاشة بن محصن رضه الى الجناب ارض عذرة وبلي • وقيل ارض فزارة وكلب ولعذرة • وبها ذكر قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بعد منصرفه عليه السلام من الطائف وغزوة تبوك وكان من خبر كعب واخيه بجير ما ذكره ابن اسحق وعبد الملك بن هشام وابو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الانباري دخل حديث بعضهم في حديث بعض ان بجيرا قال لكعب اثبت حتى اتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فامن به • وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب فسمع منهم انه قد ان مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه انه قد مد سبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فاوله بالنبي الذي يبعث في اخر الزمان وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوه ان يسلموا • وقال ابن اسحق ولما قدم صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير الى اخيه كعب بن زهير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه • وان من بقي من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب قد هربوا في كل وجه • فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه تائبا • وان انت لم تفعل فانج بنجائك • وكان كعب قد قال

الا ابلغا عني بجيرا رسالة • فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا • فبين لنا ان كنت لست بفاعل • على اي شيء غير ذلك دلكا • على خلق لم تلف اما ولا ابا • عليه ولا تلفي عليه اخا لكا • فان انت لم تفعل فلست باسف • ولا قائل اما عثرت لعا لكا • سقاك بها المأمون كاسا روية • فانهلك المأمون منها وعلكا

قال السهيلي لعا كلمة تقال للعاثر دعاء له انتهى • قال ابن اسحق وبعث بها الى بجير فلما اتت بجيرا كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاك بها المأمون صدق وانه لكذوب وانا المأمون • ولما سمع على خلق لم تلف اما ولا ابا عليه قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم قال بجير لكعب

من مبلغ كعبا فهل لك في التي • تلوم عليها باطلا وهي احزم • الى الله لا العزى ولا اللات وحده • فتنجو اذا كان النجاء وتسلم • لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت • من الناس الا طاهر القلب مسلم • فدين زهير وهو لا شيء دينه • ودين

ابي سلمى على نحوهم • فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان في
حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدا قال القصيدة التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويذكر فيها خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة
من جهينة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستامنه فقام حتى جلس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله
ان كعب بن زهير جاء ليستامنك تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال رسول الله عليه
الصلوة والسلام نعم قال انا يا رسول الله كعب بن زهير • قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة انه
وثب عليه رجل من الانصار ليقتله فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال صلى الله عليه
وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع صاحبهم
وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير • ثم قال القصيدة اللامية التي اولها • بانت سعاد
فقلبي اليوم متبول • متيم اثرها لم يفد مكبول • ومنها • انبئت ان رسول الله اوعدني • والعفو عند
رسول الله مامول • مهلا هداك الذي اعطاك نافلة • القرآن فيها مواعيظ وتفصيل •
لا تاخذني باقوال الوشاة ولم • اذنب ولو كثرت في الاقاويل • ان الرسول لسيف يستضاء
به • مهند من سيوف الله مسلول • في عصبة من قريش قال قائلهم • ببطن مكة لما اسلموا زولوا •
زالوا فما زال انكاس ولا كشف • عند اللقاء ولا ميل معازيل • يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم •
ضرب اذا عرد السود التنابيل • وفي رواية ابي بكر بن الانباري انه لما وصل الى قوله • ان الرسول لسيف
يستضاء به • مهند من سيوف الله مسلول • رمى عليه الصلوة والسلام اليه بردة كانت عليه • وان معاوية
بذل له فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث الى
ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم • قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم • وقال ابن اسحق قال عاصم
ابن عمر بن قتادة فلما قال كعب • اذا عرد السود التنابيل • وانما يعني الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص
المهاجرين بمدحته غضب الانصار • فقال بعد ان اسلم يمدح الانصار قصيدة التي يقول فيها • من سره
كرم الحياة فلا يزل • في مقنب من صالحي الانصار • ورثوا المكارم كابرا عن كابر • ان الخيار هم بنو الاخيار •
المكرهين السمهري باذرع • كسوالف الهندي غير قصار • والناظرين باعين محمرة • كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم • للموت يوم تعانق وكرار • يتطهرون يرونه نسكا لهم • بدماء من علقوا
من الكفار • قوم اذا خوت النجوم فانهم • للطارقين النازلين مقاري • وقد كان بيت زهير من فحول
الشعراء وابوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن عقبة

غزوة تبوك

مكان معروف وهو نصف طريق المدينة الى دمشق • وهي غزوة العسرة • وتعرف بالفاضحة لافتضاح
المنافقين فيها • وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف • وذكر البخاري انها بعد حجة
الوداع وهو خطأ من النساخ • وكان حرا شديدا وجدبا كثيرا فلذلك لم يورّ عنها كعادته في سائر الغزوات • وفي
تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال خرجوا في قلة من الظهر • وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير
فيشربون ما في كرشه من الماء وكان ذلك عسرة في الماء والظهر وفي النفقة • فسميت غزوة العسرة •

وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة ان الروم
تجمعت بالشام مع هرقل فندب صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج واعلمهم بالمكان الذي يريد ليتاهبوا
لذلك • وروى الطبراني من حديث عمران بن الحصين قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا
الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك واصابتهم سنون فهلكت اموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز
معه اربعين الفا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة وكان عثمان قد جهز
عيرا الى الشام فقال يا رسول الله هذه مائتا بعير باقتابها واحلاسها ومائتا اوقية قال فسمعته
يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها • وروي عن قتادة انه قال حمل عثمان في جيش العسرة على الف بعير
وسبعين فرسا • وعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان بن عفان بالف دينار في كمه حين جهز
جيش العسرة فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره
ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم • خرجه الترمذي وقال حسن غريب • وعند الفضائلي والملا
في سيرته كما ذكره الطبري في الرياض النضرة من حديث حذيفة بعث عثمان يعني في جيش العسرة بعشرة
الاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقلبها ظهرا
لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة ما يبالي
ما عمل بعدها • ولما تاهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج قال قوم من المنافقين لا تنفروا
في الحر فنزل قوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون • وارسل عليه السلم
الى مكة وقبائل العرب يستنفرهم • وجاء البكاؤن يستحملونه فقال عليه السلام لا اجد ما احملكم
عليه وهم سالم بن عمير وعلبة بن زيد وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني والعرباض بن سارية
وهرمي بن عبد الله وعمرو بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن عمرو المزني وعمرو بن الحمام ومعقل المزني
وحضرمي بن مازن والنعمان بن سويد ومعقل وعقيل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن
وهم قال الله تعالى فيهم تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون • قال مغلطاي
وفي البخاري عن ابي موسى قال ارسلني اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اساله الحملان
لهم فقلت يا نبي الله ان اصحابي ارسلوني اليك لتحملهم فقال والله لا احملكم على شيء فرجعت حزينا من
منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه علي فرجعت الى
اصحابي فاخبرتهم الذي قال النبي عليه السلام فلم البث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادي اين
عبد الله بن قيس فاجبته فقال اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما اتيته قال خذ هذين
القرينين وهذين القرينين لستة ابعرة ابتاعهم حينئذ من سعد فانطلق الى اصحابك فقل
ان الله او ان رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن الحديث • وقام علبة بن زيد فصلى من الليل و
بكى وقال اللهم انك قد امرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما اتقوى به مع رسولك ولم تجعل
في يد رسولك ما يحملني عليه واني اتصدق على كل مسلم بكل مظلمة اصابني فيها مال او جسد او عرض

ومنها
تسعى الوشاة جنابيها وقولهم • انك يا ابن ابي سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله • لا الهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكم • فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وان طالت سلامته • يوما على آلة حدباء محمول
ومنها
لقد اقوم مقاما لو يقوم به • ارى واسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد الا ان يكون له • من الرسول باذن الله تنويل

ثم اصبح مع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق
فليقم فقام اليه فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم ابشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة
المتقبلة. رواه ابن يونس لما ذكره السهيلي في الروض والبيهقي في الدلائل. وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم في التخلف فاذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلا. وقعد آخرون من المنافقين
بغير عذر وعلة جراءة على الله ورسوله. وهو قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله. واستخلف
على المدينة محمد بن مسلمة. قال الدمياطي وهو عندنا اثبت ممن قال استخلف غيره. انتهى. وقال
الحافظ زين الدين العراقي في ترجمة علي بن ابي طالب رضي الله عنه من شرح التقريب لم يتخلف عن المشاهد الا تبوك
فان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على المدينة وعلى عياله وقال له يومئذ انت مني بمنزلة هرون من موسى
الا انه لا نبي بعدي. وهو في الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص. انتهى. ورجحه ابن عبد البر.
وقيل استخلف سباع بن عرفطة. وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك
ومرارة بن ابي الربيع وهلال بن امية وفيهم نزلت وعلى الثلثة الذين خلفوا وابو خيثمة وابو ذر ثم لحقاه
بعد ذلك. ولما رأى عليه السلام ابا ذر الغفاري وكان عليه السلام نزل في بعض الطريق فقال يمشي
وحده ويعيش وحده ويموت وحده وكان كذلك. وامر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الانصار
وقبائل العرب ان يتخذوا لواء وراية. وكان معه عليه السلام ثلثون الفا. وعند ابي زرعة سبعون الفا.
وفي رواية عنه ايضا اربعون الفا. وكانت الخيل عشرة الاف فرس. ولما مر عليه السلام بالحجر بكسر الحاء و
سكون الجيم بديار ثمود قال لا تشربوا من مائها شيئا ولا يخرجن احد منكم الا ومعه صاحب له ففعل الناس
الا رجلين من بني ساعدة خرج احدهما لحاجته وخرج الاخر لطلب بعيره. فاما الذي خرج لحاجته فخنق
على مذهبه. واما الذي خرج في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طيء فاخبر بذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال الم انهكم ثم دعا للذي خنق على مذهبه فشفي. واما الاخر فاهدته طيء لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة. وفي صحيح مسلم من حديث ابي حميد انطلقنا حتى قدمنا تبوك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم احد منكم فمن كان له بعير
فليشد عقاله فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى القته بجبل طيء. وروى الزهري لما مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا
انفسهم الا وانتم باكون خوفا ان يصيبكم ما اصابهم. رواه الشيخان. ولما كان عليه السلام ببعض الطريق
ضلت ناقته فقال زيد بن اللصيت وكان منافقا اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو
لا يدري اين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول وذكر مقالته واني والله لا اعلم الا
ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى
تأتوني بها فانطلقوا فجاؤوا بها. رواه البيهقي وابو نعيم. وفي مسلم من حديث معاذ بن جبل انهم وردوا
عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء فغرفوا منها قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل صلى الله عليه وسلم

بوجه

به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس الحديث ويأتي ان شاء الله تعالى
في مقصد المعجزات. ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى تبوك اتاه صاحب ايلة فصالحه و
اعطاه الجزية. واتاه اهل جربا بالجيم واذرح بالذال المعجمة والحاء المهملة بلدين بالشام بينهما ثلثة
ايام فاعطوه الجزية. وكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابا. ووجه صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى اكيدر
ابي عبد الملك النصراني وكان ملكا عظيما بدومة الجندل في اربعمائة وعشرين فارسا في رجب سنة تسع و
قال له عليه الصلوة والسلام انك ستجده يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في
ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو واخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستأسر اكيدر وقتل اخاه
حسانا. وهرب من كان معهما فدخل الحصن. ثم اجار خالد اكيدر من القتل حتى يأتي به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانمائة فرس واربعمائة درع
واربعمائة رمح. وفي هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم كتابا من تبوك الى هرقل يدعوه الى الاسلام
فقارب الاجابة ولم يجب. رواه ابن حبان في صحيحه من حديث انس. وفي مسند احمد انه كتب
من تبوك الى النبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب هو على نصرانيته. وفي
كتاب الاموال لابي عبيد بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله نحوه. ولفظه فقال كذب عدو الله ليس بمسلم
ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد ان اقام بضع عشرة ليلة. وقال الدمياطي ومن قبله ابن سعد
عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ولم يلق كيدا. وبني في طريقه مساجد. واقبل عليه السلام حتى نزل بذي
اوان بفتح الهمزة بلفظ الاوان الحين وبينها وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا
مالك بن الدخشم ومعن بن عدي العجلاني فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه
فحرقاه وهدماه. وبعد ذلك ان انزل الله فيه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الاية. قال الواقدي
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر
رجلا يضارون به مسجد قبا. وذلك بانهم قالوا في جماعة من المنافقين نبني مسجدا فنقيل فيه ولا
نحضر خلف محمد. قال المفسرون ولما بنوا ذلك لاغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى غزوة تبوك قالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والليلة المطيرة ونحن نحب ان تصلي فيه وتدعو
لنا بالبركة فقال عليه السلام اني على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه. فلما قفل من
غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت هذه الاية. ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس
لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن. طلع البدر علينا من ثنيات الوداع. وجب الشكر
علينا ما دعا لله داع. وقد وهم بعض الرواة كما قدمته وقال انما كان ذلك عند مقدمه المدينة وهو
وهم لان ثنيات الوداع انما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يراها الا اذا
توجه الى الشام كما قدمت ذلك. وفي البخاري لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فدنا من
المدينة قال ان في المدينة اقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم العذر

وهذا معنى ما روى نية المؤمن خير من عمله فان نية هؤلاء ابلغ من اعمالهم فانها بلغت بهم مبلغ اولئك
العاملين بابدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم والمسابقة الى الله تعالى والى الدرجات العلى بالنيات والهمم
لا بمجرد الاعمال • ولما اشرف صلى الله عليه وسلم قال هذه طابة وهذا جبل احد يحبنا ونحبه ولما
دخل قال العباس يا رسول الله ائذن لي ان امتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك • فقال من قبلها
طبت في الظلال وفي • مستودع حيث يخصف الورق • ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا
علق • بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرا واهله الغرق • تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى
عالم بدا طبق • وردت نار الخليل مكتتما • في صلبه انت كيف يحترق • حتى احتوى بيتك المهيمن
من خندف علياء تحتها النطق • وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي • النور وسبل الرشاد نخترق • وقوله من قبلها طبت الى آخره اي طاب
الجنة اي كنت طيبا في صلب آدم حيث كان في الجنة وقوله من قبلها اي من قبل نزولك الى الارض
فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى • وقوله هبطت البلاد لا بشر اي لما هبط آدم عليه السلام
الى الدنيا كنت في صلبه غير بالغ هذه الاشياء • وقوله وقد الجم نسرا واهله الغرق • يريد الصنم الذي
كان يعبده قوم نوح وهو المذكور في قوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا
وقوله احتوى بيتك المهيمن
الخ النطق جمع نطاق وهي اعراض من جبال بعضها فوق بعض اي نواح واوساط منها • شبهت بالنطق التي
تشد بها اوساط الناس ضربه في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال
والمراد ببيته شرفه والمهيمن نعته • اي احتوى شرفك الشاهد على فضلك على مكان من نسب خندف
وهو بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة انتهى • وجاء صلى الله عليه وسلم من كان تخلف عنه فحلفوا له
فعذرهم واستغفر لهم وارجأ امر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب
عليهم انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وظنوا ان لا
ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم • والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن ربيعة • وعند البيهقي في الدلائل من مرسل سعيد بن المسيب ان ابا لبابة لما اشار لبني قريظة بيده
الى حلقه انه الذبح فاخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم احسبت ان الله
غفل عن يدك حين تشير اليهم بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم غزا تبوك
فتخلف عنه فيمن تخلف عنه ابو لبابة فيمن تخلف ولما قفل صلى الله عليه وسلم منها جاءه ابو لبابة يسلم عليه فاعرض
عنه صلى الله عليه وسلم ففزع ابو لبابة فارتبط بسارية التوبة سبعا وقال لا ازال هكذا حتى افارق
الدنيا او يتوب الله علي الحديث • وعند ايضا من حديث ابن عباس في قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملا صالحا قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع عليه السلام

اوثق

اوثق سبعة منهم انفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع في المسجد عليهم فقال من هؤلاء
فقالوا ابو لبابة واصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم فقال اقسم بالله لا اطلقهم
ولا اعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو فانزل الله تعالى وآخرون
اعترفوا بذنوبهم فلما نزلت ارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم وعذرهم الحديث • قالوا ولما
قدم عليه السلام من تبوك وجد عويمرا العجلاني امرأته حبلى فلاعن عليه السلام بينهما
ثم حجة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع في ذي القعدة كما ذكره ابن سعد وغيره باسناد
صحيح عن مجاهد ووافقه عكرمة بن خالد • اخرجه الحاكم في الاكليل • وقال قوم في ذي الحجة وبه قال
الداودي والثعلبي والماوردي • ويؤيده ان ابن اسحق صرح بان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بعد ان رجع
من تبوك رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث ابا بكر اميرا على الحج فهو ظاهر في ان بعث ابي بكر
رضي الله عنه كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله اعلم
وكان مع ابي بكر ثلثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة • وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ابا بكر
بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم
النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن
ابي طالب رضي الله عنه وامره ان يؤذن ببراءة فاذن معنا في اهل منى ببراءة وان لا يحج بعد العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان • قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك العام فلم يحج العام القابل الذي
حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك فانزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه الى المشركين
يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الآية • وقد تمسك بهذه
الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما في الصحيح المؤمن لا ينجس واما نجاسته بدنه فالجمهور انه ليس بنجس البدن
والذات • وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم وهذا ضعيف لان اعيانهم لو كانت نجسة كالكلب
والخنزير لما طهرهم الاسلام ولاستوى في النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره من المساجد
فالمراد الاخباث لما فيهم من خبث الباطن بالكفر وخبث الباطن بالعداوة • قاله مقاتل • وروى النسائي عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من عمرة الجعرانة بعث ابا بكر على الحج فاقبلنا معه حتى اذا كنا بالعرج ثوب
بالصبح فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير فقال هذه رغوة ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الجدعاء لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج فلعله ان يكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنصلي معه فاذا علي عليها فقال ابو بكر امير او رسول قال لا بل رسول ارسلني رسول الله صلى الله عليه
وسلم ببراءة اقرؤها على الناس في مواقف الحج فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر فخطب
الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها • ثم خرجنا معه حتى اذا
كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها
ثم كان يوم النحر فافضنا فلما رجع ابو بكر خطب الناس فحدثهم عن افاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم

فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها فلما كان يوم النفر الاول قام ابو بكر فخطب الناس
فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى
ختمها • وهذا السياق فيه غرابة من جهة ان امير الحج سنة عمرة الجعرانة انما هو عتاب بن اسيد فاما
ابو بكر رضي الله عنه فانما كان سنة تسع • واستدل بهذه القصة على ان فرض الحج كان قبل حجة الوداع و
الاحاديث في ذلك شهيرة كثيرة • وذهب جماعة الى ان حج ابي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض بل كان تطوعا
قبل فرض الحج • ولا يخفى ضعفه • وفي هذه السنة مات عبد الله بن ابي بن سلول فجاء ابنه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه ثم سأله ان يصلي عليه فقام ليصلي
عليه فقام عمر رضي الله عنه فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد
نهاك ربك ان تصلي عليه فقال صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر
لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وساريد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
رواه الشيخان والنسائي • وفي هذه السنة ايضا آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا وجحش شقه
اي خدش وجلس في مشربة له درجها من جذوع فاتاه اصحابه يعودونه فصلى بهم جالسا وهم قيام
فلما سلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا صلى قائما فصلوا قياما واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا ولا
تركعوا حتى يركع ولا ترفعوا حتى يرفع ونزل لتسع وعشرين فقالوا يا رسول الله انك آليت شهرا فقال
ان الشهر يكون تسعا وعشرين

ثم بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قبل حجة الوداع كل واحد منهما
على مخلاف • قالوا واليمن مخلافان • ثم قال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا • وقال لمعاذ انك ستأتي قوما
اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك
بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم اطاعوا لك بذلك
فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب • رواه البخاري • والمخلاف
بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وآخره فاء بلغة اهل اليمن الكورة والاقليم والرستاق • وكانت جهة
معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم والنون وله بها مسجد مشهور • وكانت جهة
ابي موسى السفلى • ثم ارسل خالد بن الوليد قبل حجة الوداع ايضا في ربيع الاول سنة عشر • وقيل في ربيع
الآخر • وقيل في جمادى الاولى الى بني عبد المدان فقاتلهم بنجران فاسلموا
ثم ارسل علي بن ابي طالب الى اليمن في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة وعقد له لواء • وعممه بيده • و
اخرج ابو داود واحمد والترمذي من حديث علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله
تبعثني الى قوم اسن مني وانا حديث السن لا ابصر القضاء قال فوضع يده في صدري وقال
اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر

كذا بخط المصنف

الحديث فخرج في ثلثمائة فارس ففرق اصحابه فاتوا بنهب وغنائم ونساء واطفال ونعم وشاء
وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فابوا ورموا بالنبل فحمل عليهم باصحابه فقتل منهم عشرين
رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا واجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم
على الاسلام ثم قفل فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر
ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع • وتسمى حجة الاسلام وحجة البلاغ • وكره ابن عباس ان يقال حجة الوداع
وكان صلى الله عليه وسلم قد اقام بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي فلما كان في ذي القعدة سنة
عشر من الهجرة اجمع على الخروج الى الحج • قال ابن سعد ولم يحج غيرها منذ تنبأ الى ان توفاه الله تعالى
وفي البخاري عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة • وانه حج بعد ما هاجر حجة
واحدة ولم يحج بعدها حجة الوداع • قال وقال ابن اسحق وبمكة اخرى • وقيل حج بمكة حجتين هذا بعد النبوة
وقبلها لا يعلمه الا الله • فخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة
وجزم ابن حزم بان خروجه كان يوم الخميس وفيه نظر لان اول ذي الحجة كان يوم الخميس قطعا لما ثبت
وتواتر ان وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة فتعين ان اول الشهر كان يوم الخميس • ولا يصح خروجه
يوم الخميس • ولا يصح ان يكون خروجه يوم الخميس لظاهر الخبر ان يكون يوم الجمعة لكن ثبت في
الصحيحين عن انس صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذي الحليفة
ركعتين فدل على ان خروجهم لم يكن يوم الجمعة • ويحمل من قال لخمس بقين اي ان كان الشهر ثلثين
فاتفق كان تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس اول ذي الحجة بعد مضي اربع ليال لا خمس وبها تتفق الاخبار
هكذا جمع الحافظ عماد الدين بن كثير الروايات وقوى هذا الجمع بقول جابر انه خرج لخمس بقين من ذي القعدة
او اربع • وصرح الواقدي بان خروجه عليه السلام كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وكان
خروجه من المدينة بين الظهر والعصر وكان دخوله مكة صبح رابعة كما في حديث عائشة وذلك يوم الاحد
وهذا يؤيد ان خروجه من المدينة كان يوم السبت كما تقدم فيكون مكثه في الطريق ثمان ليال وهي المسافة
الوسطى • وخرج معه عليه السلام تسعون الفا • ويقال مائة الف واربعة عشر الفا • ويقال اكثر من
ذلك كما حكاه البيهقي • ويأتي الكلام على حجة الوداع وما فيها من المباحث في مقصد العبادات ان
شاء الله تعالى
ثم سرية اسامة بن زيد بن حارثة الى اهل ابنا بالشراة
ناحية بالبلقاء وكانت يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة • وهي آخر سرية جهزها
النبي صلى الله عليه وسلم واول شيء جهزه ابو بكر الصديق رضي الله عنه للغزو الروم مكان قتل ابيه زيد •
فلما كان يوم الاربعاء بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد لاسامة
لواء بيده فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة الاسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه
المهاجرين والانصار الا انتدب فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على
المهاجرين فخرج صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال

ابنا بباء وتاء ونون

ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في امارتي
أسامة لقد طعنتم في امارتي اباه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليقا وان ابنه بعده لخليق
للامارة وان كان لمن احب الناس الي فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل عن المنبر فدخل بيته
يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة
يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف • فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل اسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور • وهو اليوم الذي
لدّوه فيه فطأطأ اسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم
يضعهما على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لي • ورجع اسامة الى معسكره ثم دخل يوم الاثنين و
اصبح صلى الله عليه وسلم مفيقا فودعه اسامة وخرج الى معسكره فامر الناس بالرحيل فبينا هو يريد الركوب
اذا رسول امه ام ايمن قد جاءه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت فاقبل هو وعمر وابو عبيدة
فتوفي صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول
واستشكله السهيلي ومن تبعه • وذلك انهم اتفقوا على ان ذا الحجة كان اوله يوم الخميس فمهما فرضت
الشهور الثلاثة توام او نواقص او بعضها لم يصح • قال الحافظ ابن حجر وهو ظاهر لمن تامله • واجاب
البارزي ثم ابن كثير باحتمال وقوع الاشهر الثلاثة كوامل • وكان اهل مكة والمدينة اختلفوا في رؤية
هلال ذي الحجة فرآه اهل مكة ليلة الخميس ولم يره اهل المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية
اهل مكة ثم رجعوا الى المدينة فارخوا برؤية اهلها فكان اول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت و
اول المحرم الاحد وآخره الاثنين واول صفر الثلثا وآخره الاربعا واول ربيع الاول الخميس
فيكون ثاني عشر الاثنين • قال وهذا الجواب بعيد من حيث انه يلزم توالي اربعة اشهر كوامل وقد
جزم سليمان التيمي احد الثقات بان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت الثاني والعشرين
من صفر وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول فعلى هذا يكون صفر ناقصا • ولا يمكن ان يكون
اول صفر السبت الا ان كان ذو الحجة والمحرم ناقصين فيلزم منه نقص ثلثة اشهر متوالية • قال
والمعتمد ما قاله ابو مخنف انه توفي صلى الله عليه وسلم في ثاني ربيع الاول وكان سبب غلط غيره انهم قالوا
توفي صلى الله عليه وسلم في ثاني ربيع الاول فغيرت فصارت ثاني عشر او استمر الوهم بذلك يتبع
بعضهم بعضا من غير تامل • انتهى   قلت وفاته عليه السلام يوم الاثنين من
ربيع الاول بلا خلاف • بل كاد يكون اجماعا • لكن في حديث ابن مسعود في حادي عشر رمضان • رواه
البزار • والمعتمد ما تقدم • والله اعلم • انتهى • وسياتي حديث الوفاة المعظمة ان شاء الله
تعالى في المقصد الاخير   ولما توفي صلى الله عليه وسلم دخل المسلمون الذين عسكروا
بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة معقودا حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغرزه عند بابه فلما بويع ابو بكر الصديق رضي الله عنه امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة

ليمضي لوجهه فمضى به الى معسكرهم الاول • وخرج اسامة هلال ربيع الآخر سنة احدى عشرة الى
اهل ابنى فشن عليهم الغارة فقتل من اشرف له • وسبى من قدر عليه • وحرق منازلهم ونخلهم وقتل
قاتل ابيه في الغارة ثم رجع الى المدينة ولم يصب احد من المسلمين • وخرج ابو بكر رضي الله عنه في
المهاجرين والانصار يتلقونه مسرورين • والله تعالى اعلم • فجميع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه
سبع وعشرون

المقصد الثاني

في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة وذكر اولاده
الكرام الطاهرين وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته
وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام وبمكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام
وآلات حروبه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه وسلم • وفيه عشرة فصول

الفصل الاول

في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة **اعلم** ان الاسماء جمع اسم وهو كلمة وضعها العرب
بازاء مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى • فعلى هذا لا بد من مراعاة اربعة اشياء الاسم والمسمى
بفتح الميم الاخيرة والمسمي بكسرها والتسمية • فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها وتخصيصها عن
غيرها كلفظ زيد • والمسمى هو الذات المقصودة بتمييزها بالاسم كشخص زيد • والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ و
التسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات • والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق واحس فهم ذلك المعنى
واختلفوا هل الاسم عين المسمى او غيره • وهي مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا • فذهب قوم
الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرب جل وعلا
فدل على ان اسمه هو هو • واجيب بانه اشرب معنى سبح اذكر فكأنه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا • وقد اشرب معنى ذكر سبح عكس الاول فقال تعالى واذكر اسم ربك اي سبح
ربك • والاشراب جار في لغتهم يشربون معنى فعل فعلا • واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه
فانه يلزم منه اضافة الشيء الى نفسه • واجيب بان الاسم هنا بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية
هي اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا • واحتج من قال بان الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى
بغلام اسمه يحيى ثم قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى • واجيب بان المعنى يا ايها
الغلام الذي اسمه يحيى • ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه • ومن قال العسل
ذاق حلاوته   وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى • وقد سماه الله تعالى نبينا صلى
الله عليه وسلم باسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى السنة انبيائه عليهم الصلاة والسلام
ثم ان اشهر اسمائه محمد وبه سماه جده عبد المطلب • وذلك انه لما قيل له ما سميت
ولدك قال محمدا فقيل له كيف سميته باسم ليس لاحد من آبائك وقومك فقال اني لارجو ان يحمده اهل
الارض كلهم • وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب كما ذكر حديثها علي القيرواني العابر في كتاب البستان
قال كان عبد المطلب قد رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف
في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كأنهم

يتعلقون بها فقصها فعبّرت لهم بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا مع حدثته امه آمنة حين قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا • وعن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب • رواه الشيخان • وقد روي على قدمي بتخفيف الياء بالافراد وبالتشديد على التثنية • قال النووي في شرح مسلم معنى الروايتين يحشرون على اثري وزماني ورسالتي • وفي رواية نافع بن جبير عند البخاري في تاريخه الصغير والاوسط والحاكم في مستدركه وصححه وابي نعيم في الدلائل وابن سعد انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال اتحصي اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان جبير بن مطعم يعدها قال نعم هي ستة فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير وزاد الخاتم • وفي حديث حذيفة احمد ومحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة • ولفظ رواية ابي نعيم هي ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي فاما حاشر فبعث مع الساعة نذير لكم بين يدي عذاب شديد • واما عاقب فانه اعقب الانبياء • واما ماحي فان الله عز وجل محا به سيئات من اتبعه وذكر بعضهم ان العدد ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره الراوي بالمعنى • وفيه نظر لتصريحه في الحديث ان لي خمسة اسماء • والذي يظهر انه اراد ان لي خمسة اسماء اختص بها لم يتسم بها احد قبلي او مشهورة في الامم الماضية لا انه اراد الا اراد الحصر فيها • وهذا الجواب عن الاشكال الوارد وهو ان المقرر في علم المعاني ان تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر لكن ورود الروايات بالاكثر يدل على انه ليس حصرا مطلقا • فالطريق في ذلك ان يحمل على حصر مقيد كما ذكر والله اعلم • وروي عن النقاش عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله وقد جاءت من الكتابة صلى الله عليه وسلم واسمائه في القران عدة كثيرة • وتعرض جماعة لتعدادها و بلغوا بها عددا مخصوصا فمنهم من بلغ تسعة وتسعين موافقة لعدد اسماء الحسنى الواردة في الحديث قال القاضي عياض وقد خصه الله تعالى بان سماه من اسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسما • وقال ابن دحية في كتابه المستوفي اذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقران والحديث وفي الثلثمائة انتهى • ورايت في كتاب احكام القران للقاضي ابي بكر ابن العربي قال بعض الصوفية لله تعالى عز وجل الف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم الف اسم • انتهى • والمراد الاوصاف فكل الاسماء التي وردت اوصاف مدح واذا كان كذلك فله صلى الله عليه وسلم من كل وصف مدح اسم • ثم ان منها ما هو مختص به او الغالب عليه • ومنها ما هو مشترك • وكل ذلك بين بالمشاهدة لا يخفى • واذا جعلنا له من كل وصف من اوصافه اسما بلغت اوصافه ما ذكر بل اكثر • والذي رايته في كلام شيخنا في القول البديع والقاضي عياض في الشفا وابن العربي في القبس والاحكام وابن سيد الناس وغيرهم يزيد على الاربعمائة • وقد سردتها على حروف المعجم **الالف** الابر • الابطحي • اتقى الناس • الاجود • اجود الناس • الاحد • احسن

احسن الناس • احمد • أجيد بضم اوله وكسر المهملة ثم ياء تحتانية • الاخذ بالحجزات • اخذ الصدقات • الاخر • الاخشى لله • اذن خير • ارجح الناس عقلا • ارحم الناس بالعيال • الازهر • وهو النير المشرق الوجه • اشجع الناس • الاصدق في الله • اطيب الناس ريحا • الاعز • الاتقى • الاعلم بالله • اكثر الناس تبعا • الاكرم • اكرم الناس • اكرم ولد آدم • المحي • امام الخير • امام الرسل • امام المتقين • الامام • الامر • آمين • امنة اصحابه • الامين • الامي • انعم الله • الاول • اول شافع • اول المسلمين • اول شفيع • اول المؤمنين • اول من تنشق عنه الارض **حرف الباء** البر • البارقليط • الباطن • البرهان • بشير • بشرى عيسى • البشير • البصير • البليغ • بالغ • البيان • البينة **التاء** التالي • التذكرة • التقي • التنزيل • التهامي **الثاء** ثاني اثنين **الجيم** الجبار • الجد • الجواد • جامع **الحاء** حاتم • حزب الله • الحاشر • الحافظ بما اراد الله • الحامد • حامل لواء الحمد • الحايد لامته عن النار • الحبيب • حبيب الرحمن • حبيب الله • الحجازي • الحجة • الحجة البالغة • حجة الله على الخلائق • حرز الاميين • الحرمي • حريص • الحريص على الايمان • الحسيب • الحفيظ • الحق • الحكيم • الحليم • حماد • حمطايا • احيد • حيا حيا • حمعسق • حق • الحمد • الحنيف **الخاء** الخبير • خاتم النبيين • خاتم المرسلين • الخاتم • الخازن لمال الله • الخاشع • الخاضع • الخالص • خطيب الانبياء • خطيب الوافدين على الله • الخليل • خليل الرحمن • خليل الله • الخليفة • خير البرية • خير خلق الله • خير العالمين نظرا • خير الناس • خير هذه الامة **الدال** دار الحكمة • الداعي الى الله • دعوة ابراهيم • دعوة النبيين • دليل الخيرات **الذال** الذكر • ذكر الله • ذو الحوض المورود • ذو الخلق العظيم • ذو الصراط المستقيم • ذو العروة الوثقى • ذو مكانة • ذو عزة • ذو فضل • ذو المعجزات • ذو المقام المحمود • ذو الوسيلة **الراء** الراضع • الراضي • الراغب • الرافع • راكب البراق • راكب البعير • راكب الجمل • راكب الناقة • راكب النجيب • الرحمة • رحمة الامة • رحمة العالمين • رحمة مهداة • الرحيم • الرسول • رسول الراحة • رسول الرحمة • رسول الله • رسول الملاحم • الرشيد • الرفيع الذكر • رافع الرتب • رفيع الدرجات • الرقيب • روح الحق • روح القدس • الرؤوف • ركن المتواضعين **الزاي** الزاهد • زعيم الانبياء • الزكي • الزمزمي • زين من وافى القيامة **السين** السابق • السابق بالخيرات • سابق العرب • الساجد • سبيل الله • السراج المنير • الصراط المستقيم • السعيد • سعد الله • سعد الخلائق • السميع • السلام • السيد • سيد ولد آدم • سيد المرسلين • سيد الناس • سيد ولد آدم • سيد الكونين • سيد الثقلين • سيف الله المسلول **الشين** الشارع • الشافع • الشافي • الشاهد • الشكور • الشكار • الشمس • الشهيد **حرف الصاد** الصابر • الصاحب • صاحب الآيات • صاحب المعجزات • صاحب البرهان • صاحب البيان • صاحب التاج • صاحب الجهاد • صاحب الحجة • صاحب الحطيم • صاحب الحوض المورود • صاحب الخاتم • صاحب الخير • صاحب الدرجة العالية الرفيعة • صاحب اللواء • صاحب الازرع • صاحب العلامة

أحْمد

صاحب السجود للرب المحمود • صاحب السرايا • صاحب السلطان • صاحب السيف • صاحب الشرع • صاحب
الشفاعة الكبرى • صاحب العطايا • صاحب المدثرات الباهرات • صاحب العلو والدرجات • صاحب
الفضيلة • صاحب الفرج • صاحب القضيب • صاحب القضيب الاصغر • صاحب قول لا اله الا الله
صاحب القدم • صاحب الكوثر • صاحب اللواء • صاحب المحشر • صاحب المدينة • صاحب المغفر • صاحب
المغنم • صاحب المعراج • صاحب المظهر المشهود • صاحب المقام المحمود • صاحب المنبر • صاحب
المنبر • صاحب النعلين • صاحب الهراوة • صاحب الوسيلة • الصادع بامر الله • الصادق
الصبور • الصدق • صراط الله • صراط الذين انعمت عليهم • الصراط المستقيم • الصفوح
الصفوح عن الزلات • الصفوة • الصفي • الصالح • **الضاد** الضارب بالحسام المسلول
الضحاك • الضحوك • **الطاء** • طاب طاب • الطاهر • الطيب • طسم • طس • طه • الحبيب
الظاء الظاهر • المظفر من الظفر وهو الفوز • **العين** العابد • العادل • العظيم
العافي • العاقب • العالم • علم الايمان • علم اليقين • العالم بالحق • العامل • عبد الله
العبد • العدل • العربي • العروة الوثقى • العزيز • العفو • العليم • العطوف • العلي
العلامة • عبد الكريم • عبد الجبار • عبد الحميد • عبد المجيد • عبد الوهاب • عبد القهار • عبد الرحيم
عبد الخالق • عبد القادر • عبد المهيمن • عبد القدوس • عبد الغياث • عبد الرزاق • عبد السلام
عبد المؤمن • عبد الغفار • **الغين** الغالب • الغفور • الغني • الغني بالله • الغيث • الغوث
الغياث • **الفاء** الفاتح • الفارقليط وقيل بالباء وقد تقدم • الفارق • فاروق • الفتاح
الفخر • الفرط • الفصيح • فضل الله • فاتح النور • **حرف القاف** القاسم • القاضي • القانت
قائد الخير • قائد الغر المحجلين • القائل • القائم • القتال • القتول • قثم • القثوم • قدم صدق
القرشي • القريب • القرم • القيم ومعناه الجامع الكامل وصوابه بالمثلثة بدل الياء • القوي
الكاف كافة الناس • الكفيل • الكامل في جميع اموره • الكريم • كهيعص • اللسان • **الميم**
الماجد • ماذماذ • المؤمل • الماحي • المأمون • المانح • الأمين • المبارك • المبجل • المبر
المبشر • مبشر اليائسين • المبعوث بالحق • المبعوث • المبلغ • المبيح • المبين • المتبتل
المتبسم • المتربص • المترحم • المتضرع • المتقي • المتلو عليه • المتهجد • المتوسط • المتوكل • المثبت
مجاب • مجيب • المجتبى • المجير • المحرض • المحرم • المحفوظ • المحلل • محمد • المحمود • المخبر • المختار
المخصوص بالشرف • المخصوص بالعز • المخصوص بالمجد • المخلص • المدثر • المدني • مدينة العلم
المذكر • المذكور • المرتضى • المزمل • المرسل • المرتجى • المرحوم • المرفع الدرجات • المزمل • وهو
الرجل الكامل • المروءة • المزكي • المزمل • المسبح • المستغفر • المستغني • المستقيم • المسرى به
المسعود • المسلم • المسلم • المشاور • المشفع • المشفوع • المشفع • المشهود • المشهر • المصباح
المصارع • المصافح • مصحح الحسنات • المصدق • المصطفى • المصلح • المصلى عليه • المطاع

المطهر

المطهر • المطهر • المطاع • المطيع • المظفر • المعزز • المعصوم • المعطي • المعقب • المعلم
معلم امته • المعلم • المعلن • المعلى • المفضال • المفضل • المفتاح • مفتاح الجنة • المقتصد
المقتفي بمعنى قفا النبيين • المقدس • المقرئ • المقسط • المقصوص عليه • المقفي وقيل بزيادة ياء
بعد القاف كما تقدم • مقيم العثرات • مقيم السنة بعد الفترة • المكرم • المكتفي • المكي • المكين
الملاحمي • ملقى القرآن • الممنوح • المنادي • المنتصر • المنجي • المنذر • المنزل عليه • المنتخب
المنصور • المنيب • المنير • المهاجر • المهتدي • المهدي • المهداة • المهيمن • المؤمن • الموقن
جوامع الكلم • الموحى اليه • الموصل • الموقر • المولى • الموفي • المريد • الميسر • **حرف النون** • ن
النابذ • الناجز • الناس لقوله تعالى ام يحسدون الناس المفسر عليه الصلوة والسلام • الناسخ
الناشر • الناصح • الناصر • الناطق • الناهي • نبي الاحمر • نبي الاسود • نبي التوبة • نبي الحرمين
نبي الراحة • نبي الرحمة • النبي الصالح • نبي الله • نبي المرحمة • نبي الملحمة • نبي الملاحم • النبي • النجم
النجم الثاقب • نجي الله • النذير • النسيب • نسيخ ناصح • النعمة • نعمة الله • النقيب • النقي • النور
نور الامم اي الهادي لها الذي وصلها نور الله الذي لا يطفأ • **الهاء** الهادي • هدى • هدية الله
الهاشمي • **الواو** الوجيه • الواسط • الواسع • الواصل • الواضع • الواعد • الواعظ • الورع
الوسيلة • الوفي • الوافي • ولي الفضل • الولي • **الياء** اليثربي • يس • **وكنيته** المشهورة
ابو القاسم كما جاء في عدة احاديث صحيحة • ويكنى بابي ابراهيم كما في حديث انس في مجي جبريل اليه
صلى الله عليه وسلم وقوله السلام عليك يا ابا ابراهيم • وبابي الارامل فيما ذكره ابن دحية • وبابي المؤمنين
فيما ذكره غيره • **واعلم** انه لا سبيل لنا ان نستوعب شرح جميع هذه الاسماء الشريفة
اذ في ذلك تطويل يفضي بنا الى العدول عن غرض الاختصار • فلنذكر من ذلك ما منح الله تعالى به مما
يدل على نبوته • وبالله تعالى نستعين • فاول ذلك ما اله عليه الكلام من معنى الحمد الذي هو سمة المنبئ
عن ذاته الذي صار اسما او وصفا راجعة اليه • وهو في المعنى واحد • وله في الاشتقاق صيغتان الاسم
المبني صيغته على صيغة افعل المنبئة عن الانتهاء الى غاية ليس وراها منتهى وهو اسمه **احمد**
والاسم المبني على صيغة التفعيل المنبئة عن التضعيف والتكثير الى غاية لا ينتهي الاحصار وهو
اسمه **محمد** • قال القاضي محمد منقول من الصفة • فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد • ولا يكون
مفعل مثل مضرب وممدح الا لمن تكرر منه الفعل مرة بعد اخرى • واما احمد وهو اسمه عليه السلام الذي سمي به
على لسان عيسى وموسى عليهما السلام • فانه ايضا منقول من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى احمد
احمد الحامدين لربه • وكذلك هو في المعنى لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح لاحد قبله فيحمد ربه بها
ولذلك يعقد له لواء الحمد • قال واما محمد فمنقول من صفة ايضا • وهو في معنى محمود • ولكن فيه معنى المبالغة
والتكرار • فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة • وكذلك الممدح ونحو ذلك
ونحو ذلك • فاسم محمد مطابق لمعناه • والله سبحانه وتعالى سماه به قبل ان يسمى به علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه
صادقا عليه فهو صلى الله عليه وسلم محمود في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو في الاخرة محمود بالشفاعة

فقد تكرر معنى الحمد فيه كما يقتضي اللفظ • ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه • فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد • فذكره عيسى عليه السلام فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة احمد • فباحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل • وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته • فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الاخر في الذكر والوجود وفي الدنيا والاخرة تلح لك الحكمة الالهية في تخصيصه بهذين الاسمين • وقال القاضي عياض كان عليه السلام احمد قبل ان يكون محمدا كما وقع في الوجود لان تسميته احمد وقعت في الكتب السالفة وتسميته محمد وقعت في القرآن • وذلك لانه حمد ربه قبل ان يحمده الناس • انتهى • وهذا موافق لما قاله السهيلي • وذكره في فتح الباري واقره عليه • وهو يقتضي سبقية اسمه احمد خلافا لما ادعاه ابن القيم • وذكر ابن القيم في اسمه احمد انه قيل انه بمعنى مفعول • ويكون التقدير احمد الناس اي احق الناس واولاهم ان يحمد فيكون محمدا في المعنى • لكن الفرق بينهما ان محمدا هو الكثير الخصال التي يحمد عليها • واحمد هو الذي يحمد افضل مما يحمد غيره • فمحمد في الكثرة والكمية • واحمد في الصفة والكيفية • فيستحق من الحمد اكثر مما يستحق غيره اي افضل حمد حمده البشر • فالاسمان واقعان على المفعول • قال وهذا ابلغ في مدحه واكمل معنى فلو عني الفاعل لسمي الحماد اي كثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان اكثر الناس حمدا لربه فلو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى الحماد كما سميت بذلك امته • وايضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من اخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها استحق ان يسمى محمدا واحمد • وقال القاضي عياض في تشريفه تعالى له عليه السلام باسمائه بر من اسمائه الحسنى احمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد قرآن في اسمه محمد خصائص منها كونه على اربعة احرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد فان عدة الجلالة اربعة احرف كمحمد • ومنها انه قيل انه مما اكرم به الادمي انه كانت صورته على شكل كتب هذا اللفظ فالميم الاول رأسه والحاء جناحاه والميم الثاني سرته والدال رجلاه • وقيل لا يدخل النار من يستحق دخولها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة هذا اللفظ حكاه ابن مرزوق والاول ابن العماد في كتابه كشف الاسرار • ومنها انه تعالى اشتقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت • اغر عليه للنبوة خاتم • من الله من نور يلوح ويشهد • وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن اشهد • وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد • واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول • وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد • وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بالفي عام كما ورد من حديث انس بن مالك من طريق ابي نعيم في مناجاة موسى عليه السلام • وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال ان الله انزل على آدم عصيا بعدد الانبياء والمرسلين ثم اقبل على ابنه شيث فقال اي بني انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فاذكر الى جنبه اسم محمد فاني رايت اسمه مكتوبا على ساق العرش وانا بين الروح والطين • ثم اني طفت السموات فلم ار في السموات موضعا الا رايت اسم محمد مكتوبا عليه • وان ربي اسكنني الجنة فلم ار في الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوبا عليه • ولقد رايت اسم محمد

مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملائكة فاكثر ذكره فان الملائكة تذكره في كل ساعاتها • بدا مجده من قبل نشأة آدم • فاسماه في العرش من قبل تكتب • وروينا في جزء الحسن بن عرفة من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله وابو بكر من خلفي • ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح امين • ذكره في الشفاء • وعلى حجر بالعبرانية باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتب موسى بن عمران • ذكره ابن ظفر في البشر عن معمر الزهري • وشوهد كما ذكر في الشفا في بعض بلاد خراسان مولود ولد على احد جنبيه لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله • وببلاد الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله • وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله بن صوحان عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فرأينا فيها وردا احمر ذكي الرائحة طيب الشم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وورد ابيض مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله • وفي تاريخ ابن العديم عن علي بن عبد الله الهاشمي الرقي انه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق • قال فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح فكان فيها كذلك • وفي البلد منه شيء كثير • واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى • وقال ابو عبد الله بن مالك دخلت بلاد الهند فسرت الى مدينة يقال لها نيلة او ثميلة فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر فاذا كسرت ثمرة خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله واهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث • حكاه القاضي ابو البقاء بن الضياء في منسكه • وفي روض الرياحين لليافعي عن بعضهم انه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرا كاللوز له قشران اذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب فيها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها • قال فحدثت بذلك ابا يعقوب الصياد فقال ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الايلة فاصطدت سمكة على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رايتها قذفتها في الماء احتراما لها • وعن بعضهم مما ذكره ابن مرزوق لبرنوة الابوصيري انه اتي بسمكة فرأى في احد جنبيها لا اله الا الله • وفي الاخرى محمد رسول الله • وعن جماعة انهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالابيض خلقة • ومن جملة الخطوط كتب بالعربية في احد جنبيها الله • وفي الاخر عز احمد عز احمد بخط بين لا يشك فيه عالم بالخط • وانه وجد في سنة تسع وثمانمائة او قال سنة سبع بالموجزة حبة عنب مكتوب فيها بخط بارع بلون اسود محمد • وفي كتاب النطق المفهوم لابن طغربك السياف عن بعضهم انه رأى في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة

مكتوب فيه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة
ثلثة اسطر الاول لا اله الا الله وفي الثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام
قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم انه لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله تعالى لهذا
الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشر به الانبياء
فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة الا انه لما قرب زمانه وبشر اهل الكتاب بقربه سمى قوم اولادهم
رجاء ان يكون هو هو والله اعلم حيث يجعل رسالته ما كل من زار الحمى سمع الندا من اهله
اهلا بذاك الزائر ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد عدهم القاضي عياض ستة ثم قال
لا سابع لهم وذكر ابو عبد الله بن خالويه في كتاب ليس والسهيلي في الروض انه لا يعرف في العرب من تسمى
محمدا قبل النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلثة قال الحافظ ابو الفضل بن حجر رحمه الله تعالى وهو حصر
مردود والعجب ان السهيلي متاخر الطبقة عن عياض ولعله لم يقف على كلامه قال وقد جمعت
اسماء من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين لكن مع تكرر في بعضهم ووهم في بعضهم فيتلخص
منهم خمسة عشر نفسا واشهرهم محمد بن عدي بن ربيعة ابن سواءة بن جشم بن سعد بن زيد مناة
بن تميم التميمي السعدي ومنهم محمد بن احيحة بضم الهمزة وفتح المهملة بن الجلاح بضم الجيم وتخفيف اللام
آخره مهملة الاوسي ومحمد بن اسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ومحمد بن البراء وقيل البر
ابن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكري العتواري ومحمد
ابن الحارث بن حديج بن حويص ومحمد بن حرماز بن مالك اليعمري ومحمد بن حمران بن خزاعي بن
ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر ومحمد بن خزاعي بن علقمة بن حرابة السلمي من بني
ذكوان ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن اليحمد الازدي ومحمد بن
يزيد بن عمرو بن ربيعة ومحمد بن الاسيدي ومحمد بن الفقيمي ولم يدرك الاسلام الاول
فهي سيما وفي خبره ما يشعر بذلك والرابع هو صحابي جزما وممن ذكره عياض محمد بن مسلمة الانصاري
وليس في ذكره بجيد فانه ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بازيد من عشرين سنة لكن قد ذكر تلو كلامه
المتقدم محمد بن محمد الماضي فصار من عنده ستة لا سابع لهم انتهى واما اسمه عليه السلام
محمود فاعلم ان من اسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى حمد نفسه وحمده عباده
وقد سمى الرسول بمحمود وكذا وقع اسمه في زبور داود عليه السلام
واما الماحي ففسر في الحديث بمحو الكفر ولم يمح
الكفر باحد من الخلق ما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه بعث واهل الارض كلهم كفار ما بين
عباد اوثان ويهود ونصارى ضالين وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا ومن عباد
الكواكب وعباد النار وفلسفة لا يعرفون شرائع الانبياء ولا يقرون بها فمحاها برسوله حتى اظهر
دينه على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار ولما كان

المجاز

المجاز هي الماحية للاوثان كما ان اسمه عليه السلام فيها الماحي واما الحاشر ففسر ايضا
في الحديث بانه الذي يحشر الناس على قدمه اى يقدمهم وهم خلفه وقيل على سابقته وقيل قدامه
وحوله اى يجتمعون اليه في القيمة وقد كان حشر لاهل الكتاب اخراجهم من حصونهم وبلادهم
من هجرته الى حيث اذاقهم من شدة المحشر ما شاء في دار الدنيا الى ما اتصل لهم في برزخهم وهو اول
من تنشق عنه الارض فيحشر الناس على اثره واليه يلجاؤن في محشرهم وقيل على سنته
واما العاقب فهو الذي جاء عقب الانبيا فليس بعده نبي لان العاقب هو الاخر اى عقب الانبياء
قبل وهو اسمه عليه السلام في النار فاذا جاء جرمته شفاعته خمدت النار وسكنت كما روي ان قوما
من حملة القرآن يدخلونها فينسيهم الله تعالى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يذكرهم جبريل فيذكرون
فتخمد النار وتنزوي عنهم واما المقفي فكذلك اى قفى آثار من سبقه من الرسل وهي
لفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه اذا تاخر عنه ومنه قافية الرأس وقافية البيت
فالمقفي اى قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم واما الاول فلانه اول
النبيين خلقا كما مر وكما انه في البدء فهو اول بالعود فهو اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل
الجنة وهو اول شافع واول مشفع كما كان في اوليات البدء في عالم الذر اول مجيب اذ هو اول
من قال بلى اذ اخذ ربه الميثاق على الذرية الادمية فاشهدهم على انفسهم الست بربكم فهو
صلى الله عليه وسلم الاول في ذلك كله على الاطلاق واما الآخر فلانه آخر الانبياء في
البعث كما في الحديث واما الظاهر فلانه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره وظهر على
الاديان دينه فهو الظاهر في وجوه الظهور كلها واما الباطن فهو المطلع على بواطن الامور
بواسطة ما يوحيه الله تعالى اليه واما الفاتح الخاتم ففي حديث الاسراء عن ابي هريرة
من طريق الربيع بن انس قول الله تعالى وجعلتك فاتحا خاتما وفي حديث ابي هريرة ايضا في الاسراء
قوله صلى الله عليه وسلم وجعلني فاتحا وخاتما فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد ان كان مرتجا و
فتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفتح امصار الكفر وفتح به ابواب الجنة وفتح به طرق
العلم النافع والعمل الصالح والدنيا والآخرة والقلوب والاسماع والابصار والامصار وقد
يكون المراد المبدأ المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم
في البعث واما الرؤوف الرحيم ففي القرآن لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وهو فعول من الرأفة وهي ارق من الرحمة قال ابو عبيدة
والرحيم فعيل من الرحمة وقيل رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين واما الحق المبين فقال الله تعالى
حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل اني انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم
وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد عليه السلام وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وامره والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين
للناس ما نزل اليهم واما المؤمن فقال الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو

اذن قل هو اذن خير يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق • وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المؤمن • واما المهيمن فقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما
بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه قول ابن الجوزي في زاد المسير ان ابن ابي نجيح روى عن مجاهد ومهيمنا
عليه قال محمد مؤتمن على القرآن قال الضحاك فعلى قوله في الكلام محذوف كانه قال وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه •
وسماه العباس بن عبد المطلب في شعره مهيمنا في قوله • حتى احتوى بيتك المهيمن • خندف علياء تحتها النطق
ثم اهتدى منك المهيمن • وروي قيل اراد يا ايها المهيمن • قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري
واما العزيز فمعناه جلال القدر والذي لا نظير له • او المعز لغيره • وقد استدل القاضي عياض لهذا
الاسم بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله اي فيجوز ان يوصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعزيز والمعز لحصول العزة له
ولقائل ان يقول هذا الوصف ايضا للمؤمنين لشمول العطف لهم فلزم اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم
والغرض اختصاصه قال اليمني وعجبت من القاضي كيف خفي عليه مثل هذا • ويجاب باختصاصه عليه
برتبة من العزة ليست لغيره والله اعلم • واما العالم والعليم والمعلم ومعلم امته
فقد قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم • وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون •
واما الخبير فمعناه المطلع على كنه الشيء العالم بحقيقته • وقيل المخبر قال الله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا
قال القاضي برهان الدين الحلبي فيما ذكره في الشفا المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله عز وجل
او النبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين • قيل لانه عليه الصلاة والسلام عالم على غاية من العلم
بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن في اعلامهم به • انتهى
واما العظيم فقال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم • ووقع في اول سفر من التوراة عن اسمعيل وسيلد عظيما
لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم • واما الشاكر والشكور فقد
وصف صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا • اي اترك تهجدي فلا اكون عبدا شكورا
والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه • وعلى هذا فتكون الفاء للسببية • وقال القاضي
عياض شكور لمعترف بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجتهدا في الزيادة من ذلك لقوله
تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم • واما الشكار فهو المبالغ من شاكر • وفي حديث ابن ماجه
انه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه رب اجعلني لك شكارا • واما الكريم والاكرم والاكرم ولد
آدم فسماه الله تعالى به في قوله تعالى انه لقول رسول كريم اي محمد صلى الله عليه وسلم • وليس المراد به
جبريل لانه تعالى لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن • والمشركون
لم يكونوا يصفوا جبريل بذلك فتعين ان يكون المراد بالرسول الكريم هنا محمدا صلى الله عليه وسلم • كما
سياتي ان شاء الله تعالى بيانه في مقصد اي التنزيل • وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم
واما الولي والمولى فقال عليه السلام انا ولي كل مؤمن • رواه مسلم • واما الامين
فقد كان عليه السلام يعرف به وشهر به قبل النبوة وبعدها وهو احق العالمين بهذا الاسم فهو امين الله عز وجل
على وحيه ودينه • وهو امين من في السماء والارض • واما الصادق المصدوق فقد ورد

في الحديث تسميته بهما ومعناه ظاهر • وكذلك الاصدق • وروي انه عليه السلام لما كذبه قومه
حزن فقال له جبريل انهم يعلمون انك صادق • واما الطيب وماذماذ بميم
ثم الف ثم ذال معجمة منونة ثم ميم ثم الف قرة بمعجمة كذا رايته لبعض العلماء • ونقل العلامة الحجازي
في حاشيته على الشفا عن الدهلي ضم الميم واشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودا وقال
نقلته عن رجل اسلم من علماء بني اسرائيل وقال معناه طيب طيب • ولا ريب انه صلى الله عليه وسلم
اطيب الطيبين • وحسبك انه كان يؤخذ من عرقه ليتطيب به • فهو صلى الله عليه وسلم طيب الله تعالى
الذي نفحه في الوجود فتعطرت به الكائنات وتمت واغتذت به القلوب فطابت وتنسمته الارواح
فنمت • واما الطاهر والمطهر والمقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر • او الذي يطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما
قال تعالى ويزكيهم • وقال ويخرجهم من الظلمات • او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة
والاوصاف الدنية • واما العفو والصفوح فمعناهما واحد وقد وصفه الله
تعالى بهما في القرآن العظيم والتوراة والانجيل كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند البخاري
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وامره تعالى بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف
عنهم واصفح • واما العطوف فهو الشفوق وسمي عليه الصلاة والسلام لكثرة
شفقته على امته ورأفته بهم • واما النور فقال تعالى قد جاءكم من الله نور
قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن فهو نور الله تعالى الذي لا يطفى • واما السراج
فسماه الله تعالى به في قوله سراجا منيرا لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين
بما جاء به فهو منير في ذاته منير لغيره • فهو السراج الكامل في الاضاءة • ولم يوصف بالوهاج
كالشمس لان المنير هو الذي ينير من غير احراق بخلاف الوهاج • واما الهادي
فمعنى الدال والداعي قال الله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم • وقال تعالى وداعيا الى
الله باذنه • واما البرهان فقال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
قيل محمد وقيل معجزاته وقيل القرآن • واما النقيب فروي انه صلى الله عليه وسلم
لما مات نقيب بني النجار ابو امامة اسعد بن زرارة وجد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عليهم
نقيبا بعده وقال انا نقيبكم فكانت من مفاخرهم • والنقيب شاهد القوم وناظرهم وضمينهم
واما الجبار فسمي به في مزامير داود عليه السلام في قوله تقلد ايها الجبار
سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك لانه الجبار الذي يجبر الخلق بالسيف
على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا • قال القاضي عياض وقد نفى الله تعالى عنه في القرآن جبرية التكبر
التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار • وهذا الاسم من اسمائه تعالى • وحظ العبد منه ان يتحلى
درجة الاستتباع بالرفع عن الاتباع • ويجبر الخلق بهيئته على الاقتداء في سمته وسيرته فيفيد

[illegible]

الخلق ولا يستفيد ولم يحظ على التحقيق الا المصطفى • قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي • واما الشاهد والشهيد فسماه الله تعالى في قوله انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم • وقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا • روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم • وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم • قاله البيضاوي • واما الناشر فسمي به لانه نشر الاسلام واظهر شرايع الاحكام • واما المزمل فاصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي • وسمي به لما روي انه عليه وسلم كان يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب اول ما جاءه • وقيل اتاه وهو في قطيفة • وقال الذي ناداه يا ايها النايم • قال وكان متلففا في ثياب نومه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني المتزمل بالقرآن • وعن عكرمة بالنبوة • وقيل ان المزمل بمعنى الحامل والزاملة اي المتحمل باعباء النبوة • وعلى هذا يكون التزمل مجازا • وقال السهيلي ليس المزمل باسم من اسمائه يعرف به وانما اشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب • والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب ترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي وقد نام ولصق جنبه بالتراب قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له • فقوله يا ايها المزمل فيه تأنيس وملاطفة • واما ما رووا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان متزملا بمرط طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه كذب صراح لان نزول يا ايها المزمل بمكة اول مبعثه ودخوله بعائشة كان بالمدينة • واما المدثر فاصله المتدثر فادغمت التاء في الدال • روي انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي كان ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر • وعن عكرمة يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها قد تدثرت هذا الامر فقم به • وقيل ناداه بالمزمل والمدثر في اول الامر فلما شرع خاطبه الله تعالى بالنبوة والرسالة • واما طه • فروى النقاش عنه عليه السلام ان لي في القرآن سبعة اسماء فذكر منها طه • وقيل هو اسم الله تعالى • وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم • وهو مروي عن الواسطي • وقيل معناه يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الله • وقيل الطاء في الحساب بتسعة والهاء بخمسة وذلك اربعة عشر فكانه قال يا بدر • وهذه من محاسن التاويل • لكن المعتمد انها من اسماء الحروف • واما يس • فحكى ابو محمد مكي انه روي عنه عليه السلام انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر منها يس

قد تدثر

[illegible]

ويدعى بالربانية • واصله كما قاله البيضاوي وابن الخطيب وغيرهما يا انيسين بصيغة التصغير فاقتصر على شطره لكثرة النداء به • وقيل يا سين لكن تعقب بانه لا يعلم ان العرب العرباء قالوا في تصغيره انيسين • وان الذي نقل عنهم في تصغير انسان انيسيان بياء بعدها الف بعدها نون • وبان التصغير من التحقير الممتنع في حق النبوة لنصهم على ان التصغير لا يدخل الاسماء المبجلة المعظمة شرعا • ويأتي المزيد لذلك ان شاء الله في الفصل الرابع من النوع الخامس من احد انواع المقصد السادس • وعن ابن الحنفية معناه يا محمد • وعن ابي العالية يا رجل • وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر • وعن جعفر الصادق يا سيد مخاطبة له عليه الصلوة والسلام وفيه من تعظيمه على تفسيره يا سيد ما فيه • واما الفجر فقال ابن عطا في الآية الكريمة قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لانه منه تفجر الايمان • وهو تأويل عجيب غريب لم يرتضه • والصواب ان الفجر المفسر بالصبح في قوله والصبح اذا تنفس • واما القوي فقال الله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين • قيل محمد • وقيل جبريل عليهما الصلوة والسلام وسيأتي في المقصد السادس ما في ذلك • واما ما قال ابن عطا في قوله تعالى والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله فلا يخفى ما فيه • واما النجم فعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم اجمعين في تفسير قوله تعالى والنجم انه محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السماء ليلة المعراج • وحكى السلمي في قوله والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم • والصحيح ان المراد بالنجم على ظاهره • وسمي به عليه السلام لانه يهتدى به في طرق الهدى كما يهتدى بالنجم • واما الشمس فسمي بها صلى الله عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بجماله حتى لا يسع الرائي له ان ينظر اليه ملء عينيه اجلالا له كما ان الشمس في الرتبة ارفع من غالب الكواكب لانها في السماء الرابعة والانتفاع بها اكثر من غيرها كما لا يخفى ولا يدركها البصر لكبر جرمها • وايضا فلما كان سائر الكواكب يستمد من نورها ناسب تسميته عليه السلام بها لان نور الانبياء مستمد من نوره • واما النبي والرسول فمن خصايصه عليه السلام انه خاطبه الله بهما في القرآن دون سائر انبيائه • قرأ نافع النبوة بالهمز ماخوذه من النبأ وهو الخبر • وقد لا يهمز تسهيلا اي ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبأ • او يكون مخبرا عما بعثه الله ومنبئا بما اطلعه الله • وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهو ما ارتفع من الارض اي ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله منيفة • قال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح البردة وكان نافع يقرأ النبيء بالهمز في جميع القرآن • والاختيار تركه وهو لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء في الحديث ان رجلا قال له يا نبيء الله سمي بالهمز فقال لست نبيء الله ولكني نبي الله • فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه السلام • قال الجوهري والصاغاني انما انكره لان الا

[illegible]

اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى • وتكلم جماعة من القراء في هذا الحديث • وقد رواه الحاكم في المستدرك عن ابي الاسود عن ابي ذر • وقال صحيح الاسناد على شرط الشيخين • وفيما قاله نظر وان فيه حسين الجعفي كذا قاله بعضهم وليس من شرطهما • ورواه ابو عبيد حدثنا محمد بن سعد عن حمزة الزيات عن حمران بن اعين ان رجلا الحديث • وهذا منقطع انتهى •

والرسول انسان بعثه الله الى الخلق بشريعة مجددة يدعو الناس اليها • واختلف هل هما بمعنى او معنيين فقال بالاول قوم مستدلين بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فاثبت لهما معا الارسال • وعلى هذا فلا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا • وقال اخرون بالثاني وانهما يجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الارسال وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين اذ لو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ • ويكون المعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وذهب اخرون الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار • والصحيح ان كل رسول نبي وليس كل رسول نبيا • ثم نوزع في هذا بانه كلام يطلقه من لا تحقيق عنده فان جبريل وغيره من الملائكة المكرمين بالرسالة رسل لا انبياء • فالانفصال عنه بان تقييد الفرق بين الرسول والنبي البشري • ثم ان النبوة والرسالة ليستا ذاتا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا وصف ذات بل تخصيص الله اياه بذلك خلافا للكرامية • وقال القرافي كما نقله عنه ابن مرزوق يعتقد كثير ان النبوة مجرد الوحي وهو باطل لحصوله لمن ليس بنبي كمريم • وليست نبية على الصحيح مع ان الله تعالى يقول فارسلنا اليها روحنا الاية وان الله يبشرك • وفي مسلم بعث الله تعالى ملكا لرجل على مدرجته كان خرج في زيارة اخ له في الله تعالى وقال له ان الله يعلمك ان الله يحبك لحبك له في الله وليس بنبوة لانها عند المحققين ايحاء الله لبعض خلقه بحكم انشائي يختص به كقوله اقرأ باسم ربك هذا تكليف يختص به في الوقت فهذه نبوة لا رسالة فلما نزل قم فانذر كانت رسالة لتعلق هذا التكليف بغيره ايضا • فالنبي كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره فالرسول اخص مطلقا انتهى •

ونبينا صلى الله عليه وسلم رسول الان قال ابو الحسن الاشعري هو صلى الله عليه وسلم في حكم الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام اصل الشيء • الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح • ويأتي لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى •

واما المذكر فقال تعالى فذكر انما انت مذكر من يخشاها •

واما البشير والمبشر والنذير والمنذر فقال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • اي مبشرا لاهل طاعته بالثواب • وقيل بالمغفرة • ونذيرا لاهل معصيته بالعذاب • وقيل محذرا من الضلالات •

واما المبلغ فقال الله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك •

واما الحنيف فقال الله سبحانه فاقم وجهك للدين حنيفا •

واما نبي التوبة لان الامم رجعت

بهديته

بهدايته بعد ما تفرقت بها الطرق الى الصراط المستقيم •

واما رسول الرحمة ونبي الرحمة ونبي المرحمة • فقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • وقال تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم فبعثه الله تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين • وروى البيهقي مرفوعا انما انا رحمة مهداة • ورحم الله تعالى به الخلق مؤمنهم وكافرهم • وهذا الاسم من اخص اسمائه • وقد كان حظ ادم من رحمته سجود الملائكة له تعظيما له اذ كان في صلبه • ونوح خروجه من السفينة سالما وابراهيم كانت النار بردا وسلاما عليه اذ كان في صلبه فرحمته عليه السلام في المبدء والختام والدوام لما ابقى الله تعالى له من دعوة الشفاعة • ولما كانت نبوته رحمة دائمة مستمرة مضاعفة اشتق له من الرحمة اسم المرحمة •

واما نبي الملحمة والملاحم وهي الحروب فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف ولم يجاهد نبي وامته قط ما جاهد صلى الله عليه وسلم وامته والملاحم التي وقعت وتقع بين امته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله فان امته يقاتلون الكفار في اقطار الارض على تعاقب الاعصار حتى يقاتلوا الاعور الدجال

واما صاحب القضيب فهو السيف كما وقع مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك • وقد يحمل على القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم

واما صاحب الهراوة فهي في اللغة العصا • وقد كان صلى الله عليه وسلم يمسك في يده القضيب كثيرا • وكان يمشي بين يديه بالعصا • وتغرز له في الارض فيصلي اليها • قال القاضي واراها العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا فلما كان صلى الله عليه وسلم راعيا للخلق سائقا لجميعهم الى موائدهم كان صاحب الهراوة يزجي بها اهل الطواعية وصاحب السيف يقتل به من لا تزيده الحيوة الا شرا

واما الضحاك بالمعجمة فهو الذي يسيل دماء العدو في الحرب لشجاعته

واما صاحب التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ للعرب والعمائم تيجانها

واما صاحب المغفر فهو بكسر الميم وسكون الغين وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبسه في الحرب

واما قدم صدق فقال قتادة والحسن وزيد بن اسلم في قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم • وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم

واما نعمة الله فقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله عليه وسلم • وقال يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعني يعرفون ان محمدا نبي ثم يكذبونه وهذا مروي عن مجاهد والسدي • وقاله الزجاج

واما الصراط المستقيم فقال ابو العالية والحسن البصري في تفسير سورة الفاتحة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه • وحكى الماوردي في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن

ابن زيد. واما العروة الوثقى فحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير
قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الآية انه محمد صلى الله عليه وسلم
واما ركن المتواضعين فلاشتراط عمادهم وقد ظهر عليه الصلوة والسلام من التواضع ما لم يظهر
على غيره وكان يرقع القميص ويخصف النعل ويقم البيت ووقع فيما ترجموه من كتاب شعيا
ما يدل على صريح في البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يميل الى الهوى ولا يذل الصالحين
الذين كالقصبة الضعيفة بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي
لا يطفأ. واما قثم وقثوم بالقاف والمثلثة ففسره القاضي عياض بالجامع للخير
وقال ابن الجوزي مشتق من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطاء يقثم اذا اعطاه. وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق ندى واسخاهم يدا. واما البارقليط و
الفارقليط بالموحدة وبالفاء بدلها وفتح الراء والقاف وبسكون الراء مع فتح القاف وبفتح الراء
مع سكون القاف وبكسر الراء وسكون القاف غير منصرف للعجمة والعلمية فوقع في الانجيل يوحنا ومعناه
روح الحق. وقال ثعلب الذي يفرق بين الحق والباطل. وفي نهاية ابن الاثير في صفته عليه السلام
ان اسمه في الكتب السالفة فارق ليطا اي يفرق بين الحق والباطل. قال ومنه الحديث محمد فرق بين
الناس اي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه.

واما حمطايا بفتح الحاء المهملة وسكون
الميم. قال الهروي اي حامي الحرم. وقال ابن الاثير في حديث كعب انه قال في اسماء النبي صلى الله
عليه وسلم في الكتب السالفة محمد واحمد وحمياطا يعني بالحاء المهملة ثم ميم ساكنة ثم مثناة تحتية
فالف فطاء مهملة فالف. قال ابو عمرو سألت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي
الحرم من الحرام ويوطئ الحلال. واما احيد وهو بهمزة مضمومة ثم
حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم دال مهملة كذا وجدته في بعض نسخ الشفا المعتمدة
والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وكسر الحاء المهملة وبفتح المثناة التحتية. وفي نسخة بفتحها و
كسر الحاء وسكون المثناة. فقال النووي في كتاب تهذيب الاسماء واللغات عن ابن عباس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية احيد وانما
سميت احيد لاني احيد عن امتي نار جهنم. واما المنحمنا هو بضم الميم وسكون
النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة مقصورا. وضبطه بعضهم بفتح الميم
معناه بالسريانية محمد. والمشفح وهو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالفاء
المشددة المفتوحتين ثم حاء مهملة. وروي بالقاف بدل الفاء ففي كتاب شعيا في البشارة
صلى الله عليه وسلم يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما اعطيه
لا اعطي احدا مشفح يحمد الله حمدا جديدا وهو بلغتهم الرزاق المحمد.

واما مقيم السنة ففي كتاب الشفا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة
واما المبارك فبدء الكون ونماؤه كاين من بركته المستمدة من بركة
نبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل ببركته حتى اشبع الجيش الكثير وغير ذلك مما لمسه
او باشره كما سيأتي ذلك ان شاء الله تعالى في مقصد معجزاته. واما المكين فهو صلى الله
عليه وسلم المكين بعلو مكانته عند ربه تعالى. ومن ذلك انه قرن سبحانه ذكره بذكره فما اذن
باسم احد سواه ولا قرن اسم احد مع اسمه الا اياه. فانظر الى السابقة على ساق العرش واذنه
في اللاحقة على منابر الايمان. واما الامي فهو من اخص اسمائه. وقال تعالى
علی منایر الایمان
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فهو تعالى تولى تربيته
ما كتبه بيده وما خطته اقلامه العلية في اللوح قد به فيغنيه بذلك عن ان يتربى ما يكتب
الخلق. واما المكي فقد كان بداية ظهوره عليه السلام في الارض مكة التي
هي حرم الله وهي مبدأ البركة ومنشأ الهدى فهو صلى الله عليه وسلم مكي الاقامة ومبدأ النبوة ومكي الاتجاه
وكان نهاية ذلك توجهه لها حيث ما توجه. فهو عليه السلام المكي الذي لم يبرح حجا او قصدا ولم
حيث قصدهم لا تحت حجبه حتى كان من شرعه ان يوجه الميت للكعبة. ومن اوى للشيء فهو الماوى. و
لذلك صحت الصلوة ايماء. واما المدني فلان المدينة دار هجرته واقامته
لا ارحلة لزمها. وخصت تربتها بان ضمت اعضاءه المقدسة. واما عبد الكريم
فذكر الحسن بن محمد الدامغاني في كتابه شوق العروس وانس النفوس نقلا عن كعب الاحبار انه قال
اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند اهل الجنة عبد الكريم. وعند اهل النار عبد الجبار. وعند اهل العرش
عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد. وعند الانبياء عبد الوهاب. وعند الشياطين عبد القهار
وعند الجن عبد الرحيم. وفي الجبال عبد الخالق. وفي البر عبد القادر. وفي البحر عبد المهيمن. وعند
الحيتان عبد القدوس. وعند الهوام عبد الغياث. وعند الوحوش عبد الرزاق. وعند السباع
عبد السلام. وعند البهائم عبد المؤمن. وعند الطيور عبد الغفار. وفي التورية موذ موذ. و
في الانجيل طاب طاب. وفي الصحف عاقب. وفي الزبور فاروق. وعند الله سبحانه وتعالى طه ويس
وعند المؤمنين محمد صلى الله عليه وسلم. وكنيته ابو القاسم لانه يقسم الجنة بين اهلها
واما عبد الله فسماه الله تعالى به في اشرف مقاماته. فقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله. وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا.
وقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب. فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب عليه والتحدي
بان ياتوا بمثله. وقال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره في مقام الدعوة اليه. وقال
تعالى وقال سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام. وقال فاوحى الى عبده
ما اوحى. ولو كان له اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية. ولما رفعه الله تعالى الى

حضرة النسبة ورقاه الى اعلى المعالي العلوية الرتبة تشريفا له باسم العبودية وقد كان صلى الله عليه وسلم يجلس للاكل جلوس العبد وكان يتخلى عن وجوه الترفهات كلها في ملبسه ومأكله ومبيته ومسكنه اظهارا لظاهر العبودية فيما تراه العيان صدقا عما في باطنه من تحقق العبودية لربه تحقيقا لمعنى والذي جاء بالصدق وصدق به • ولما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ما هو الاتم • وكان صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيح لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاستثبت ما هو ثابت له واسلم منه ما هو له لا سواه • وليس للعبد الا اسم العبد • ولذا كان عبد الله احب الاسماء الى الله تعالى [illegible]

الفصل الثاني في ذكر اولاده الكرام عليه وعليهم الصلوة والسلام

اعلم ان جملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم وابراهيم واربع بنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة وكلهن ادركن الاسلام وهاجرن معه • واختلف فيما سوى هؤلاء فعند ابن اسحق الطاهر والطيب ايضا فيكون على هذا ثمانية اربعة ذكور واربع بنات • وقال الزبير بن بكار كان له عليه السلام سوى ابراهيم القاسم وعبد الله مات صغيرا بمكة • ويقال له الطيب والطاهر ثلثة اسماء • وهو قول اكثر اهل النسب قال ابو عمرو وقال الدارقطني هو الاثبت • وسمى عبد الله بالطيب الطاهر لانه ولد بعد النبوة فعلى هذا يكون جملتهم سبعة ثلثة ذكور واربع بنات • وقيل عبد الله غير الطيب والطاهر حكاه الدارقطني وغيره فيكون على هذا جملتهم تسعة خمسة ذكور • وقيل كان له الطيب والمطيب ولدا في بطن • والطاهر والمطهر ولدا في بطن كره صاحب الصفوة • فيكونون على هذا احد عشر • وقيل ولد له قبل المبعث ولد يقال له عبد مناف فيكونون على هذا اثنى عشر • وكلهم سوى هذا ولدوا في الاسلام بعد المبعث وذكر ابن اسحق كلهم غير ابراهيم قبل الاسلام • وماتت البنون قبل الاسلام وهم يرتضعون • وقد تقدم من قول غيره ان عبد الله ولد بعد النبوة • ولذلك سمى بالطيب الطاهر فتحصل من جميع الاقوال ثمانية ذكور اثنان متفق عليهما القاسم وابراهيم • وستة مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر • والاصح انهم ثلثة ذكور والاربع بنات متفق عليهن • وكلهن من خديجة بنت خويلد الا ابراهيم فاما القاسم فهو اول ولد ولد له عليه السلام قبل النبوة وبه كان يكنى وعاش حتى مشى • وقيل عاش سنتين • وقال مجاهد مكث سبع ليال • وخطاه الغلابي في ذلك وقال الصواب انه عاش سبعة عشر شهرا • وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة • ومات قبل البعث وفي مستدرك الفريابي ما يدل على انه توفي في الاسلام • وهو اول من مات من ولده

واما زينب فهي اكبر بناته بلا خلاف الا ما لا يصح • وانما الخلاف فيها وفي القاسم ايهما ولد اولا • وعند ابن اسحق انها ولدت في سنة ثلثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وادركت الاسلام وهاجرت • وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها ابي العاص لقيط • وقيل مهشم بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس • وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه • وردها النبي صلى الله عليه وسلم له بالنكاح الاول بعد

سنتين • وقيل بعد ست سنين • وقيل قبل انقضاء العدة فيما ذكره ابن عقبة • وفي حديث عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده ردها بنكاح جديد سنة سبع وولدت له عليا مات صغيرا وقد ناهز الحلم وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح • وولدت له ايضا امامة التي حملها صلى الله عليه وسلم في صلوة الصبح على عاتقه • وكان اذا ركع وضعها واذا رفع رأسه من السجود اعادها وتزوجها علي بن ابي طالب بعد موت فاطمة رضي الله عنها واما رقية فولدت سنة ثلث وثلثين من مولده عليه السلام • وذكر الزبير بن بكار وغيره انها اكبر بناته صلى الله عليه وسلم • وصححه الجرجاني النسابة • والاصح الذي عليه الاكثرون كما تقدم ان زينب الكبرى • وكانت رقية تحت عتبة بن ابي لهب واختها ام كلثوم تحت اخيه عتيبة فلما نزلت تبت يدا ابي لهب قال لهما ابوهما ابو لهب رأسي من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية وهاجر بها الهجرتين الى ارض الحبشة وكانت ذات جمال رائع • وذكر الدولابي ان تزويجه كان في الجاهلية • وذكر غيره ما يدل على انه كان بعد ابتداء الوحي وتوفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر • وعن ابن عباس لما عزى صلى الله عليه وسلم برقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات • خرجه الدولابي واما ام كلثوم فلا يعرف لها اسم انما تعرف بكنيتها وكانت عند عتيبة بن ابي لهب كما قدمته ففارقها قبل الدخول • ويروى ان عتيبة لما فارق ام كلثوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا احبك ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجرا فقال صلى الله عليه وسلم اما اني اسئل الله ان يسلط عليك كلبه • وفي رواية اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وابو لهب حاضر فوجم لها فقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن دعوة ابن اخي فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له الزرقاء ليلا فاطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول يا ويل امي هو والله اكلي كما دعى علي محمد اقاتلي ابن ابي كبشة وهو بمكة وانا بالشام • فعدى عليه الاسد من بين القوم فاخذ برأسه فقد ضغمه • وفي رواية فجاء الاسد فجعل يتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات • وفي رواية ان الاسد اقبل يتخطاهم حتى اخذ برأس عتيبة ففدغه • ذكره الدولابي ولما توفيت رقية خطب عثمان بن عمر حفصة فرده فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادلك على خير لك من عثمان وادل عثمان على خير له منك قال نعم يا نبي الله قال تزوجني ابنتك وازوج عثمان ابنتي خرجه الخجندي • وكان تزويج عثمان بام كلثوم سنة ثلث من الهجرة • ويروى انه عليه السلام قال له والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك اخرى • هذا جبريل اخبرني ان الله يأمرني ان ازوجكها • رواه الفضائلي وماتت ام كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها عليه السلام • ونزل في حفرتها علي والفضل واسامة بن زيد وفي البخاري جلس صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان وقال هل فيكم من احد لم يقارف الليلة فقال

واحدة بعد واحدة

أبو طلحة أنا فقال انزل قبرها • وقد روي نحو ذلك في رقية وهو وهم فإنه عليه السلام لم يكن حاضراً دفنها
كان حاضراً بل في غزوة بدر كما قدمته • وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وشهدت
أم عطية غسلها وروت قوله عليه السلام اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو أكثر من ذلك إن رأيتن
بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافوراً فإذا فرغتن فآذنني فلما فرغنا آذناه فألقى إلينا حقوه
وقال أشعرنها • قالت ومشطناها ثلاثة قرون وألقيناها خلفها والحقو الإزار وأشعرنها أي
اجعلنها شعاراً لها الذي يلي جسدها وذلك هو الشعار وما فوقه الدثار

وأما فاطمة الزهراء البتول فولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم • قاله
أبو عمرو • وهو مغاير لما رواه ابن إسحاق أن أولاده عليه السلام كلهم ولدوا قبل النبوة إلا إبراهيم
وقال ابن الجوزي ولدت قبل النبوة بخمس سنين أيام بناء البيت • وروي مرفوعاً إنما سميت فاطمة
لأن الله تعالى قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة • أخرجه الحافظ الدمشقي • وروى
الغساني مرفوعاً لأن الله فطمها ومحبيها • وسميت بتولاً لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً
وحسباً • وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله • قاله ابن الأثير • وتزوجت بعلي بن أبي
طالب في السنة الثانية • وقيل بعد أحد • وقيل بعد بنائه عليه السلام بعائشة بأربعة أشهر
ونصف وبنى بها بعد تزويجها بسبعة أشهر ونصف • وقيل في صفر في السنة الثانية وبنى
بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً • وكان تزويجها بأمر الله تعالى ووحيه • وتزوجت
ولها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف • ولعلي إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر
وقيل غير ذلك • وتقدم مزيد لذلك في المغازي والسير من المقصد الأول • قال أبو عمرو
وفاطمة وأم كلثوم أفضل بنات النبي صلى الله عليه وسلم • وكانت فاطمة أحب أهله إليه
صلى الله عليه وسلم • وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانها • وإذا أراد سفراً يكون آخر عهده
بها وإذا قدم أول ما يدخل عليها • وقال عليه السلام فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني
رواه البخاري • وقال لها أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين • رواه مسلم • وفي
رواية أحمد أفضل نساء الجنة • وتوفيت بعده عليه السلام بستة أشهر لثلاث
خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي ابنة تسع وعشرين سنة • قاله المدائني • وقيل
توفيت بعده بثمانية أشهر • وقيل غير ذلك • والأول أصح كذا قاله في الرياض • وهو غير منتظم مع
السابق فليتأمل • وروي أنها قالت لأسماء بنت عميس إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء
أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها فقالت أسماء يا بنت رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بأرض
الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً فقالت فاطمة رضي الله عنها ما أحسن
هذا تعرف به المرأة من الرجل فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي ولا تدخلي علي أحداً •
خرجه أبو عمر وفي حديث أم سلمة أنها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثياباً جدداً ثم اضطجعت

في وسط البيت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها ثم استقبلت القبلة وقالت إني مقبوضة
الآن فلا يكشفني أحد ولا يغسلني ثم قبضت مكانها • ودخل علي فأخبرناه الذي قالت
فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها أحد • رواه أحمد في المناقب والدولابي • وهذا
لفظه مختصراً • وهو مضاد لخبر أسماء المتقدم • قال أبو عمرو فاطمة أول من غطي نعشها من النساء
على الصفة المذكورة في خبر أسماء المتقدم • ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك أيضاً
وولدت لعلي حسناً وحسيناً ومحسناً • فمات محسن صغيراً وأم كلثوم وزينب ولم يكن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عقب إلا من ابنته فاطمة رضي الله عنها • فانتشر نسله الشريف منها من جهة
السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما فقط • ويقال للمنسوب لأولهما حسني ولثانيهما حسيني
وقد يضم للحسيني ممن يكون من ذرية إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين الإسحاقي فيقال الحسيني الإسحاقي وإسحاق هو
زوج السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي • وله منها القاسم وأم كلثوم
ولم يعقبا • وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت فاطمة فولدت له زيداً ورقية و
لم يعقبا • ثم تزوج أم كلثوم بعد موت عمر عون بن جعفر ثم تزوجت بعد وفاته بأخيه محمد بن
جعفر ثم مات عنها فتزوجت بأخيهما عبد الله بن جعفر • ثم ماتت عنده ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى
الثالث ابنة توفيت صغيرة فليس لها عقب • ثم تزوج عبد الله بن جعفر بأختها زينب بنت فاطمة فولدت
له عدة من الأولاد منهم علي وأم كلثوم وتزوج أم كلثوم هذه ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب
فولدت له عدة من الأولاد منهم فاطمة تزوج حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام • وله منها عقب • و
بالجملة فعقب عبد الله بن جعفر أكثر من علي وأخته أم كلثوم ابني زينب بنت الزهراء • فيقال
لكل من ينتسب لهؤلاء جعفري • ولا ريب أن لهؤلاء شرفاً • وأما الجعافرة المنسوبون
لعبد الله بن جعفر فلهم أيضاً شرف لكنه متفاوت • فمن كان من ولده من زينب بنت الزهراء فهم
أشرف من غيرهم مع كونهم لا يوازن شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما • وكذا يوصف
العباسيون بالشرف لشرفهم بهاشم • قال الحافظ ابن حجر في الألقاب وقد لقب به يعني بالشريف
كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر • وفي شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له الشريف العباسي •
وأما عبد الله بن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل مات صغيراً بمكة • فقال
العاصي بن وائل قد انقطع ولده فهو أبتر فأنزل الله تعالى إن شانئك هو الأبتر • واختلف
هل ولد قبل النبوة أو بعدها • وهل هو الطيب والطاهر • والصحيح أنهما لقبان له
وأما إبراهيم فمن مارية القبطية • وسيأتي ذكرها في سراريه عليه السلام إن شاء الله تعالى في
الفصل الثاني لهذا في أمهات المؤمنين • وولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة • وقيل ولد بالعالية
ذكره الزبير بن بكار • وكانت سلمى زوج أبي رافع مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلته • فبشر أبو رافع

بن النبي صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا • وعق عنه يوم سابعه بكبشين • وحلق رأسه ابو هند
وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وتصدق بزنة شعره ورقا على المساكين ودفنوا شعره في الارض
• وفي البخاري من حديث انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال ولد لي الليلة غلام سميته باسم ابي ابراهيم ثم
دفعه الى ام سيف امرأة قين بالمدينة يقال له ابو سيف • الحديث • وفيه انه بقي عندها الى ان مات
والقين الحداد • ويجمع بينهما بان التسمية كانت قبل السابع كما في حديث ابن هند ثم ظهرت فيه
واما حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عند الترمذي مرفوعا انه امر بتسمية المولود يوم سابعه
فيحمل على انها لا تؤخر عن السابع الا انها تكون فيه • بل هي مشروعة من الولادة الى السابع • قال
الزبير بن بكار وتنافست الانصار فيمن يرضع ابراهيم عليه السلم فانهم احبوا ان يفرغوا مارية له
صلى الله عليه وسلم فاعطاه لام بردة بنت المنذر بن زيد الانصاري زوجة البراء بن اوس فكانت
ترضعه بلبن ابنها في بني مازن بن النجار وترجع به الى امه • واعطى صلى الله عليه وسلم ام بردة قطعة
نخل • وقد تقدم انه اعطاه ام سيف بقي عندها الى ان مات • فيحتمل ان يكون اعطاه اولا
لام بردة ثم اعطاه ام سيف وبقي عندها الى ان توفي • لكن قد روي انه توفي عند ام بردة
فيرجع في الترجيح الى التصحيح • وعن انس بن مالك قال ما رأيت احدا ارحم بالعيال من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان مسترضعا في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت
وكان ظئره قينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع • الحديث • رواه ابو حاتم • وفي حديث جابر اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فاتى به النخل فاذا ابنه يجود بنفسه
فاخذه صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم ذرفت عيناه ثم قال انا بك يا ابراهيم
لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب • خرجه بهذا السياق ابو عمرو
ابن السمان ومعناه في الصحيح وتوفي وله سبعون يوما فيما ذكره ابو داود
في ربيع الاول يوم الثلثاء لعشر خلون منه • وقيل بلغ ستة عشر شهرا وثمانية ايام • وقيل
سنة وعشرة اشهر وستة ايام • وحمل على سرير صغير وصلى عليه صلى الله عليه وسلم بالبقيع
وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون • وروي عن عائشة قالت دفن صلى الله عليه
وسلم ولم يصل عليه • فيحتمل ان يكون لم يصل عليه بنفسه وامر اصحابه ان يصلوا عليه
او لم يصل عليه في جماعة • وروي ان الذي غسله ابو بردة • وروي الفضل بن العباس
ولعلهما اجتمعا عليه • ونزل قبره الفضل واسامة والنبي صلى الله عليه وسلم على شفير القبر
ورش قبره واعلم بعلامة • قال الزبير وهو اول قبر رش • وانكسفت الشمس يوم موته فقال الناس
انما كسفت لموت ابراهيم فقال عليه الصلوة والسلام ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان
لموت احد رواه الشيخان • قيل والغالب ان الكسوف يكون يوم الثاني والعشرين او التاسع
والعشرين فكسفت يوم موت ابراهيم في العاشر • ولذلك قالوا كسفت لموته • وقال ليس

ان له

ان له مرضعا في الجنة رواه ابن ماجة • وقد روي من حديث انس بن مالك انه قال لو بقي يعني ابراهيم
ابن النبي صلى الله عليه وسلم لكان نبيا ولكن لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء • اخرجه ابو عمرو • قال الطبري
وهذا انما يقوله انس عن توقيف يخص ابراهيم والا فلا يلزم ان يكون ابن النبي نبيا بدليل ابن نوح •
وقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات واما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا
فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم • انتهى • قال شيخنا في كتابه
المقاصد الحسنة ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده لا ادري ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم
يلد النبي الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح • انتهى • قال الحافظ ابن حجر ولا يلزم من
الحديث المذكور ما ذكره الطبري كما لا يخفى • وكأن سلف النووي وقال ايضا عقب كلام النووي
انه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة قال وكأنه لم يظهر له وجه تأويله فقال في انكاره ما قال
وجوابه ان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع ولا يظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا بالظن
قال شيخنا والطرق الثلاثة • احدها ما اخرجه ابن ماجة وغيره من حديث ابن عباس لما توفي ابراهيم
ابن النبي صلى الله عليه السلام صلى عليه وقال ان له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا و
لو عاش لاعتقت اخواله من القبط وما استرق قبطي • وفي سنده ابو شيبة ابراهيم بن عثمان
الواسطي وهو ضعيف • ومن طريقه اخرجه ابن منده في المعرفة • وقال انه غريب • ثانيها ما رواه
ابراهيم السدي عن انس قال لقد ابراهيم قد ملأ المهد ولو بقي لكان نبيا • الحديث • ثالثها عند البخاري
من طريق محمد بن بشر عن اسمعيل بن ابي خالد قال قلت لعبد الله بن ابي اوفى رأيت ابراهيم ابن النبي عليه السلم
قال مات صغيرا ولو قضي ان يكون بعد محمد صلى الله عليه نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده • اخرجه احمد
عن وكيع عن اسمعيل سمعت ابن ابي اوفى يقول لو كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبي ما مات ابنه • انتهى •

الفصل الثالث

في ذكر ازواجه الطاهرات وسراريه المطهرات • قال الله تعالى النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اي ازواجه عليه السلام امهات المؤمنين سواء
من مات عنها او مات عنه وهي تحته • وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن لا في نظر
وخلوة • ولا يقال بناتهن اخوات المؤمنين ولا اباؤهن وامهاتهن اجداد وجدات ولا اخوتهن و
اخواتهن اخوال وخالات • قال البغوي كن امهات المؤمنين دون النساء • روي ذلك عن عائشة رضي الله عنها
وهو جار على الصحيح عند اصحابنا وغيرهم من اهل الاصول ان النساء لا يدخلن في خطاب الرجال بل
وكان صلى الله عليه وسلم ابا الرجال والنساء • ويجوز ان يقال ابو المؤمنين في الحرمة • وفضلت زوجاته
على النساء • وثوابهن وعقابهن مضاعفان • ولا يحل سؤالهن الا من وراء حجاب • وافضلهن خديجة
وعائشة رضي الله عنهما وفي افضلهما خلاف • يأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى • واختلف في عدة ازواجه
صلى الله عليه وسلم وترتيبهن وتدقيق من مات منهن قبله • ومن مات عنهن • ومن دخل بها ومن لم يدخل
بها • ومن خطبها ولم ينكحها • ومن عرضت نفسها عليه • والمتفق عليه انهن احدى عشرة

امراة ومنهن من قريش خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي • وعائشة بنت ابي بكر بن ابي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوي • وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي • وام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي • وام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي • وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لوي • واربع عربيات • زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة • ميمونة بنت الحارث الهلالية • زينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين • جويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية • وواحدة غير عربية من بني اسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير • ومات منهن في حياته صلى الله عليه وسلم اثنتان خديجة وزينب ام المساكين • وتوفي صلى الله عليه وسلم عن تسع • ولا خلاف في ان اول امرأة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد وانه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى ماتت وهذا حين الشروع في ذكرهن فاما ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها وامها فاطمة بنت زائدة بن الاصم • وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة • وكانت تحت ابي هالة التميمي بن زرارة فولدت له هندا وهالة وهما ذكران • ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت جارية اسمها هند • وبعضهم يقدم عتيقا على ابي هالة • ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر اربعون سنة وبعض اخرى • وكان سنه عليه السلام احدى وعشرين سنة • وقيل خمسا وعشرين وعليه الاكثر وقيل ثلثين • وكانت قد عرضت عليه نفسها • فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة • وزاد ابن اسحق من طريق اخر وحضر ابو طالب ورؤساء مضر فخطب ابو طالب • وقد قدمت خطبته في المقصد الاول عند ذكر تزويجها له صلى الله عليه وسلم • وذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة اثنتي عشرة اوقية ذهبا وكانت خديجة اول من امن من الناس • وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام او ادام او شراب فاذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب • والقصب اللؤلؤ المجوف قال ابن اسحق كان صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له عليه السلام فيحزنه ذلك الا فرج عنه بخديجة اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه امر الناس حتى ماتت • وعن عبد الرحمن بن زيد قال ادم عليه السلام اني لسيد البشر يوم القيامة الا رجلا من ذريتي نبيا من الانبياء يقال له احمد فضل علي باثنتين زوجته عاونته فكانت له عونا وكانت زوجتي علي عونا • واعانه الله على شيطانه فاسلم وكفر شيطاني • خرجه الدولابي كما ذكره الطبري • وخرج الامام احمد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت

عمران واسية امرأة فرعون • قال الشيخ ولي الدين خديجة افضل امهات المؤمنين على الصحيح المختار وقيل عائشة • انتهى • وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري في شرح بهجة الحاوي وافضلهن خديجة وعائشة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس • وسئل ابن داود ايهما افضل فقال عائشة اقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة اقرأها جبريل من ربها السلام على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فهي افضل • قيل له فمن افضل خديجة ام فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني فلا اعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا • ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة الا مريم • واحتج من فضل عائشة بما احتجت به من انها في الاخرة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة مع علي • وسئل السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم افضل ثم امها خديجة ثم عائشة ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه • واما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد ثم اسية امرأة فرعون فاجاب عنه ابن العماد بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة • واختار السبكي ان مريم افضل من خديجة لهذا الخبر وللاختلاف في نبوتها • انتهى • وقال ابو امامة بن النقاش ان سبق خديجة وتاثيرها في اول الاسلام ومؤازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه احد لا عائشة ولا غيرها من امهات المؤمنين • وتاثير عائشة في اخر الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من الامة ما لم تشركها خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها • انتهى •

وتوفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلث سنين وقيل باربع وقيل بخمس ودفنت في الحجون وهي ابنة خمس وستين سنة ولم يكن يصلى على الجنائز • وكانت مدة مقامها مع صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وقيل اربعا وعشرين سنة • واما سودة ام المؤمنين بنت زمعة فامها الشموس بنت قيس فاسلمت قديما وبايعت • وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو اخو سهيل بن عمرو واسلم معها قديما وهاجرا جميعا الى ارض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها • وقيل مات بالحبشة • وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل ان يعقد على عائشة • هذا قول قتادة وابي عبيدة ولم يذكر ابن قتيبة غيره • ويقال تزوجها بعد عائشة • ويجمع بين القولين انه صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عائشة والتزويج يطلق على كل واحد منهن والذي كان المتبادر الى الفهم العقد دون الدخول • ولما كبرت سودة اراد صلى الله عليه وسلم طلاقها فسالته ان لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فامسكها • وتوفيت بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين من الهجرة وروى البخاري في تاريخه باسناد صحيح الى سعيد بن هلال انها ماتت في خلافة عمر رضي الله عنه • وجزم الذهبي في التاريخ الكبير بانها ماتت في اخر خلافة عمر • وقال ابن سيد الناس المشهور

وأما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها • وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس من بني مالك بن
كنانة • وكانت مسماة على جبير بن مطعم فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم وأصدقها فيما قال ابن إسحق
أربعمائة درهم • وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلث ولها ست سنين • وعرّس
بها في المدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل بعد سبعة أشهر
من مقدمه عليه السلام • وخرج الشيخان عن عائشة أنها قالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمرق شعري فأتتني
أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة مع صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني فأخذت
بيدي حتى وقفتني على باب الدار وأنا أنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي
ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة فأسلمتني إليهن
فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمنني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين
• وأخرجه أبو حاتم بتغيير بعض ألفاظه • قال أبو عمرو وكان نكاحه عليه السلام لعائشة في شوال وابتنى
بها في شوال وكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها في شوال على أزواجهن وكانت أحب
نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه • وكانت إذا هويت الشيء تابعها عليه • وفقدها عليه السلام في
بعض أسفاره فقال واعروساه • خرجه أحمد • وقال لها عليه السلام كما في الصحيحين رأيتك في المنام ثلث
ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فأقول إن يك من عند الله
يمضه • والسرقة شقة الحرير البيضاء • وفي الترمذي أن جبريل جاءه صلى الله عليه وسلم بصورتها في
خرقة حرير خضراء قال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة • وفي رواية عنده قال جبريل إن الله قد
زوجك بابنة أبي بكر ومعه صورتها • وكانت مدة مقامها معه تسع سنين • ومات عنها
صلى الله عليه وسلم ولها ثمانية عشر سنة • ولم يتزوج بكرا غيرها • وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعارفة بأيام العرب وأشعارها • روى عنها جماعة كثيرة
من الصحابة والتابعين • وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة بنت
زمعة لأنها وهبت ليلتها لما كبرت لها كما تقدم ولنسائه ليلة ليلة • وكان يدور على نسائه و
يختم بعائشة • وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين • وقال الواقدي ليلة الثلاثاء لسبع
عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة • وأوصت أن
تدفن بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية بن أبي
سفيان • وكانت عائشة تكنى أم عبد الله • يروى أنها أسقطت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
سقطا ولم يثبت • والصحيح أنها كانت تكنى بعبد الله بن الزبير ابن أختها فإنه عليه السلام تفل
في فيه لما ولد وقال لعائشة هو عبد الله وأنت أم عبد الله قالت فما زلت أكنى بها • وما ولدت
قط خرجه أبو حاتم — وأما أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها

ترد

بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه • وأمها زينب بنت مظعون • فأسلمت وهاجرت • وكانت قبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بضم المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة بن حذافة السهمي هاجرت معه
ومات عنها بعد غزوة بدر • ولما تأيمت ذكرها عمر على أبي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما إلى نكاحها
فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحه أباها في سنة ثلث من الهجرة • وطلقها تطليقة واحدة
ثم راجعها نزل عليه الوحي راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة • روى
عنها جماعة من الصحابة والتابعين • وماتت في شعبان سنة خمس وأربعين وهي ابنة ستين سنة
وقيل إنها ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه • — وأما أم المؤمنين أم سلمة
هند • وقيل رملة • والأول أصح • وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة • وليست عاتكة بنت
عبد المطلب • وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت أبي سلمة بن عبد الأسد • وكانت هي و
زوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة فولدت له بها زينب وولدت بعد ذلك سلمة وعمر ودرة
وقيل هي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة • وقيل غيرها • ومات أبو سلمة سنة أربع • وقيل سنة
ثلث من الهجرة • وكانت أم سلمة سمعته عليه السلام يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول
اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها • قالت فلما مات أبو سلمة
قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلي
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له • وفي رواية فخطبها أبو بكر فأبت و
خطبها عمر فأبت ثم أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مرحبا برسول الله إن في خلالا ثلثا
أنا امرأة شديدة الغيرة وأنا امرأة مصبية وأنا امرأة ليس لي هنا أحد من أوليائي فيزوجني فغضب
عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد مما غضب لنفسه حين ردته فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أما ما ذكرت من غيرتك فإني أدعو الله أن يذهبها عنك • وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم و
أما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه و
سلم فزوجه • قال صاحب السمط الثمين رواه بهذا السياق هدبة بن خالد وصاحب الصفوة
• وخرج أحمد والنسائي طرفا منه • ومعناه في الصحيح • وفيه دلالة على أن الابن يلي العقد على أمه
وعندنا أنه إنما زوجها بالعصوبة لأنه ابن ابن عمها لأن أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال
ابن عبد الله وأم سلمة هند بنت سهيل ابن المغيرة بن عبد الله • ولم يكن من عصبتها أحد حاضر
غيره • وكانت أم سلمة من أجمل الناس وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال
من السنة التي مات فيها أبو سلمة رضي الله عنه — وتوفيت سنة تسع وخمسين • وقيل
سنة اثنتين وستين • والأول أصح • ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة • وقيل سعيد بن زيد
وكان عمرها أربعا وثمانين سنة — وأما أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها
رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب • وقيل اسمها هند • والأول أصح • وأمها صفية بنت أبي العاص

فكانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية وتنصر وارتد عن الاسلام و
مات هناك وثبتت ام حبيبة على الاسلام • واختلف في وقت نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها
وموضع العقد • فقيل انه عقد عليها بارض الحبشة سنة ست • فروي انه صلى الله عليه وسلم بعث
عمرو ابن امية الضمري الى النجاشي ليخطبها فزوجها اياه واصدقها عنه اربعمائة دينار وبعث بها اليه
مع شرحبيل بن حسنة • وروي ان النجاشي ارسل اليها جاريته ابرهة فقالت ان الملك يقول لك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الي ان ازوجك منه وانها ارسلت الى خالد بن سعيد بن العاصي فوكلته
واعطت ابرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به فلما كان العشي امر النجاشي جعفر بن
ابي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون • اما بعد فقد اجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته
ام حبيبة وقد اصدقتها اربعمائة دينار ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدي القوم • فتكلم خالد بن سعيد فقال
الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون • اما بعد فقد اجبت الى ما دعا اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن العاصي فقبضها ثم ارادوا ان يقوموا فقال اجلسوا فان سنة الانبياء •
اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا • خرجه صاحب الصفوة كما قاله الطبري
وكان ذلك في سنة سبع من الهجرة • قال ابو عمر واختلف فيمن زوجها • وروي انه سعيد بن العاص • وقيل
عثمان بن عفان وهي ابنة عمته • وذكر البيهقي ان الذي زوجها خالد بن سعيد بن العاص وهو ابن عم ابيها
لكن ان صح التاريخ المذكور فلا يصح ان يكون عثمان هو الذي زوجها لانه كان مقدمه من الحبشة قبل
وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة وكان ابو سفيان ابوها حال نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم • وقد قيل ان عقد النكاح عليها كان بالمدينة بعد رجوعها من ارض الحبشة و
المشهور الاول • وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين • وقيل سنة اثنتين واربعين •

واما ام المومنين زينب بنت جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم طلقها كما سيأتي ان شاء الله تعالى في الخصائص فلما
انقضت عدتها منه قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرني لها قال فذهبت اليها فجعلت ظهري
فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيئا حتى اوامر ربي عز وجل
فقامت الى مسجدها فانزل الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليها بغير اذن • اخرجه مسلم • فقال المنافقون حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه
فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الاية • وكانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

تقول

وتقول زوجكن اباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات • رواه الترمذي وصححه • وكان اسمها
برة فسماها عليه السلام زينب • وعن انس لما تزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا
القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما راى
ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس
ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت
لادخل فالقى الحجاب بيني وبينه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية
وكان تزويجها له صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة • وقيل سنة ثلث • وهي اول من مات من ازواجه بعده
وقالت عائشة في شانها ولم تكن امرأة خيرا منها في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم و
اعظم صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى • رواه مسلم
وماتت بالمدينة سنة عشرين • وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلث وخمسون سنة • وصلى
عليها عمر بن الخطاب • وهي اول من جعل على جنازتها نعش •

واما ام المومنين زينب
بنت خزيمة رضي الله عنها بن الحارث الهلالية • وكانت تدعى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم
فكانت تحت عبد الله بن جحش في قول ابن شهاب قتل عنها يوم احد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة ثلث ولم تلبث عنده الا شهرين او ثلثة • وتوفيت في حياته صلى الله عليه وسلم • وقيل مكثت
عنده ثمانية اشهر • ذكره الفضائلي • وقيل كانت قبله عليه السلام تحت الطفيل بن الحارث ثم خلف
عليها اخوه عبيدة بن الحارث • وقتل عنها يوم احد شهيدا فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاول اصح • وتوفيت في ربيع الاخر سنة اربع ودفنت بالبقيع • قال الطبري كذا ذكره الفضائلي
وانما يكون هذا على ما حكاه مكثت عنده عليه السلام ثمانية اشهر • اما على ما حكاه ابو عمر فلا يصح ان ذلك
العقد كان في سنة ثلث ومدتها عنده صلى الله عليه وسلم شهران او ثلثة فلا يصح ان يكون وفاتها
في ربيع الاخر • انتهى • فليتامل •

واما ام المومنين ميمونة رضي الله عنها
بنت الحارث الهلالية وامها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير فتزوجها عليه الصلوة
والسلام لما كان بمكة معتمرا سنة سبع بعد غزوة خيبر • وكانت اختها ام الفضل لبابة الكبرى تحت
العباس بن عبد المطلب واختها لامها اسماء بنت عميس تحت جعفر وسلمى بنت عميس تحت حمزة • وكانت
جعلت امرها الى العباس فانكحها النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم فلما رجع بنى بها بسرف حلالا
ذكره ابو عمر • وفي الصحيح من افراد مسلم عنها انه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال • وزاد
البرقاني بعد قوله تزوجها حلالا وماتت بسرف فيحمل قوله وهو محرم اي داخل الحرم ويكون العقد وقع
بعد انقضاء العمرة ثم خرج منه الى سرف وابتنى بها فيه • وهو على عشرة اميال من مكة • كذا قاله الطبري
وسياتي في مقصد المعجزات في ذكر الخصائص مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى • وكانت ميمونة قبل
عند ابي رهم بن عبد العزى • ويقال بل عبد الله بن ابي رهم • وقيل عند حويطب بن عبد العزى • و
قيل فروة بن عبد العزى • قال ابن اسحق ويقال انها وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك

ان خطبته على لسلم انتهت اليها وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليها لله ولرسوله • وقيل
الواهبة نفسها غيرها • وتوفيت بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك سنة احدى وخمسين • وقيل ست وستين • وقيل ثلث وستين • وصلى عليها ابن عباس
ودخل قبرها   واما ام المؤمنين جويرية رضي الله عنها بنت الحارث بن ابي ضرار
بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء فكانت تحت سافع بالسين المهملة والفاء ابن صفوان المصطلقي و
كانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق
في سنة خمس • وقيل سنة ست فكاتبته على نفسها ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله انا جويرية بنت الحارث وكان من امري ما لا يخفى عليك ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن
الشماس واني كاتبت نفسي فجئت اسألك في كتابتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك الى ما هو
خير لك قالت وما هو يا رسول الله قال اؤدي عنك كتابتك واتزوجك قالت قد فعلت فتسامع
الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية فارسلوا ما في ايديهم من السبي فاعتقوهم
وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت اعظم بركة على قومها
منها اعتق في سببها مائة اهل بيت من بني المصطلق • خرجه ابو داود من حديث عائشة • وقال
ابن هشام ويقال اشتراها صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس واعتقها وتزوجها واصدقها اربعمائة
درهم   وعن ابن شهاب سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث يوم المريسيع فحجبها وقسم لها
وكانت ابنة عشرين سنة وكان اسمها برة فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية • وقد تقدم
مثل ذلك في زينب بنت جحش • وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة في ربيع الاول سنة خمسين
وقيل سنة ست وخمسين   واما ام المؤمنين صفية رضي الله عنها بنت حيي بن
اخطب بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين وبالياء المثناة التحتية ابن ثعلبة بن عبيد
من بني اسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام • وامها ضرة بفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء بنت سموئل
بفتح السين المهملة وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام • وكانت تحت كنانة بن ابي الحقيق بضم الحاء و
فتح القاف الاولى وسكون المثناة التحتية قتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة • قال انس لما افتتح صلى الله عليه
وسلم خيبر وجمع السبي جاء دحية فقال يا رسول الله اعطني جارية قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية فجاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة بني قريظة والنضير
ما تصلح الا لك قال ادعوه بها فجاء بها قال فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي
غيرها قال فاعتقها وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا
كان في الطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل فاصبح صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء
فليجئ به قال وبسط نطعا قال فجعل الرجل يجيء بالاقط وجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يأتي بالسمن فحاسوا
حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفي رواية فقال الناس لا ندري اتزوجها ام اتخذها
ام ولد قالوا ان حجبها فهي امرأته فان لم يحجبها فهي ام ولد فلما اراد ان يركبها حجبها • وفي رواية فانطلقنا

حتى اذا رأينا جدر المدينة هششنا اليها ورفعنا مطايانا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مطيته قال وصفية خلفه قد اردفها قال فعثرت مطية رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرع
وصرعت قال فليس احد من الناس ينظر اليه واليها حتى قام عليه الصلوة والسلام فسترها قال
فدخلنا المدينة فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها • رواه الشيخان • وهذا
لفظ مسلم • وروي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم اتي بصفية يوم خيبر وانه قتل اباها واخاها
وان بلالا مر بها بين المقتولين وانه صلى الله عليه وسلم خيرها بين ان يعتقها فترجع الى من بقي من اهلها
او تسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله ورسوله خرجه في الصفوة • وخرج تمام في
فوائده من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في قالت يا رسول الله لقد كنت
ذلك في الشرك فكيف اذا امكنني الله منه في الاسلام • وخرج ابو حاتم من حديث ابن عمر رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفية خضرة فقال ما هذه الخضرة فقالت كان رأسي
في حجر ابن ابي الحقيق وانا نائمة فرأيت قمرا وقع في حجري فاخبرته بذلك فلطمني وقال
تمنين ملك يثرب • وبنى بها صلى الله عليه وسلم بالصهباء • وماتت في رمضان سنة خمسين
في زمن معاوية • وقيل غير ذلك ودفنت بالبقيع • فهؤلاء ازواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في
ذلك بين اهل السير والعلم في الاثر   وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر
وجملتهن فيما ذكر اثنتا عشرة امرأة • الاولى الواهبة نفسها له صلى الله عليه وسلم واختلف من
هي فقيل ام شريك القرشية العامرية واسمها غزية بضم الغين المعجمة وفتح الزاي وتشديد التحتية
بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لؤي • وقيل بنت داود بن عوف وطلقها صلى الله عليه وسلم
واختلف في دخوله بها • وقيل هي ام شريك غزية الانصارية من بني النجار • وفي الصفوة هي ام شريك
غزية بنت جابر الدوسية • قال والاكثرون على انها التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم فلم
يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت • وذكر ابن قتيبة في المعارف عن ابي اليقظان ان الواهبة نفسها
خولة بنت حكيم السلمية • ويجوز ان يكون وهبتا انفسهما من غير تضادد • وقال عروة بن الزبير
كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحي المرأة
ان تهب نفسها للرجل • فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قالت عائشة ما ارى ربك الا يسارع لك
في هواك • رواه الشيخان • وهذه خولة زوجة عثمان بن مظعون • ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان
الثانية خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها صلى الله عليه وسلم فماتت قبل ان تصل اليه
الثالثة عمرة بنت يزيد بن الجون بفتح الجيم الكلابية • وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد بن اوس بن كلاب
الكلابية • قال ابو عمر وهذا اصح تزوجها صلى الله عليه وسلم فتعوذت منه حين ادخلت عليه
فقال لها لقد عذت بمعاذ فطلقها وامر اسامة بن زيد فمتعها بثلاثة اثواب • قال ابو عمر هكذا
روي عن عائشة • وقال قتادة كان ذلك في امرأة من سليم • قال ابو عبيد انما ذلك لاسماء بنت النعمان

قتل ابوها واخوها

ابن الجون • وهكذا ذكره ابن قتيبه وسياقه • وقال في عمرة هذه ان اباها وصفها للنبي صلى
الله عليه وسلم ثم قال وازيدك انها لم تمرض قط فقال عليه السلام ما لهذه عند الله من خير فطلقها
الرابعة اسما بنت النعمان ابن الجون بفتح الجيم بن الحارث الكندية وهي الجونية • اجمعوا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم تزوجها • واختلفوا في سبب فراقه لها • فقال قتاده وابو عبيدة انه صلى الله عليه وسلم
لما دعاها قالت تعال انت وابت ان تجئ • وقال بعضهم قالت اعوذ بالله منك فقال عذت بمعاذ
اعاذك الله مني • وقيل ان نساءه صلى الله عليه وسلم علمنها ذلك فانها كانت من اجمل النساء فخفن ان
تغلبهن عليه فقلن لها انه يحب اذا دنى منك ان تقولي اعوذ بالله منك فقال عذت بمعاذ و
طلقها ثم سرحها الى اهلها • وكانت تسمي نفسها الشقية • وقال الجرجاني قلن لها ان اردت ان تحظى
عنده فتعوذي بالله منه فقالت ذلك فولى وجهه منها • وقيل المعوذة غيرها • قال ابو عبيدة
ويجوز ان يكون تعوذتا • وقال آخرون كان بجسمها وضح فقال لها الحقي باهلك • وقد قيل في اسمها
اميمة • وقيل امامة الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم هي التي استعاذت
من النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل دخل بها وماتت عنده • والاول اصح • ومنهم من ينكر تزويجه اصلا
السادسة فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين
نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عليه الصلوة والسلام فكانت بعد ذلك تلتقط البعر
وتقول هي الشقية اختارت الدنيا • هكذا رواه ابن اسحق • لكن قال ابو عمر هذا عندنا غير صحيح لان
ابن شهاب يروي عن عروة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم حين خير ازواجه بدء بها فاختارت الله
ورسوله وتابعت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك • وقال قتادة وعكرمة كان عنده صلى
الله عليه وسلم عند التخيير تسع نسوة وهن اللواتي توفي عنهن • وقيل انه عليه السلام تزوجها سنة ثمان
وقيل ان اباها قال انها لم تصدع قط فقال لا حاجة لي بها السابعة عالية بنت ظبيان بن عمرو
ابن عوف تزوجها عليه السلام وكانت عنده ما شاء الله تعالى ثم طلقها • وقل من ذكرها • وقال
ابو سعد طلقها حين ادخلت عليه صلى الله عليه وسلم الثامنة قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية
وسكون المثناة التحتية بنت قيس اخت الاشعث بن قيس الكندي • زوجه اياها اخوها الاشعث
في سنة عشر ثم انصرف الى حضرموت فحملها فقبض صلى الله عليه وسلم سنة احدى عشرة قبل قدومها
عليه • وقيل تزوجها عليه السلام قبل وفاته بشهرين • وقال قائلون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصى بان تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من امهات المؤمنين وان شاءت الفراق فلتنكح
من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن ابي جهل بحضرموت فبلغ ذلك ابا بكر فقال رضي الله عنه
هممت ان احرق عليهما بيتهما • فقال عمر رضي الله عنه ما هي من امهات المؤمنين ما دخل بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب • وقال بعضهم لم يوص فيها عليه السلام بشيء ولكنها ارتدت
حين ارتد اخوها • وبذلك احتج عمر على ابي بكر انها ليست من امهات المؤمنين بارتدادها التاسعة

سبا بنت اسما بن الصلت السلمية تزوجها عليه الصلوة والسلام ومات قبل ان يدخل بها وعند ابن
اسحق طلقها قبل ان يدخل بها العاشرة شراف بفتح الشين وتخفيف الراء ثم الفاء بنت خليفة
الكلبية اخت دحية الكلبي تزوجها صلى الله عليه وسلم فماتت قبل دخوله بها
الحادية عشر ليلى بنت الخطيم بفتح الخاء المعجمة وكسر الطاء المهملة اخت قيس تزوجها صلى الله عليه وسلم
وكانت غيورا فاستقالته فاقالها فاكلها الذئب • وقيل هي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه
وسلم • الثانية عشر امرأة من غفار تزوجها صلى الله عليه وسلم فامرها فنزعت ثيابها فرأى
بكشحها بياضا فقال الحقي باهلك ولم ياخذ مما آتاها شيئا • خرجه احمد • فهؤلاء جملة من ذكر
من ازواجه صلى الله عليه وسلم وفارقهن في حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده كما ذكرناه
فيكون جملة من عقد عليهن ثلثا وعشرين امرأة دخل ببعضهن دون بعض • مات منهن عنده بعد الدخول
خديجة وزينب بنت خزيمة ومات منهن قبل الدخول اثنتان اخت دحية وبنت الهذيل باتفاق
واختلف في مليكة وسبا هل ماتتا او طلقهما مع الاتفاق على انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بهما
وفارق بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمرة واسما والغفارية
واختلف في ام شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة • والمستقيلة التي جهل حالها •
والمفارقات باتفاق سبع • واثنتان على خلف • والميتات في حياته باتفاق اربع • وتوفي صلى الله عليه
وسلم عن عشر واحدة لم يدخل بها • وروي انه عليه السلام خطب عدة من النسوة الاولى منهن
امرأة من بني مرة بن عوف بن سعد خطبها عليه السلام الى ابيها فقال ان بها برصا وهو كاذب فرجع فوجد البرص
بها • ويقال انها ابن البرصا بل الحارث بن عوف • ذكره ابن قتيبة كما قاله الطبري • وعند ابن الاثير
في جامع الاصول جمرة بنت الحارث بن عوف خطبها صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها سوءا ولم
يكن بها شيء فرجع اليها فوجدها برصا وهي ام شبيب ابن البرصا الشاعر الثانية امرأة قرشية يقال لها سودة
خطبها صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت اخاف ان يضغو صبيتي اي يضجروا ويبكوا عند راسك
فدعا لها وتركها • الثالثة صفية بنت بشامة بفتح الموحدة وتخفيف الشين كان اصابها سبي
فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها • الرابعة ولم يذكر اسمها قيل انه صلى الله عليه
وسلم خطبها فقالت استأمر ابي فلقيت اباها فاذن لها فعادت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد
التحفنا لحافا غيرك • الخامسة ام هانئ فاختة بنت ابي طالب اخت علي بن ابي طالب خطبها صلى الله
عليه وسلم فقالت اني امرأة مصبية واعتذرت اليه فعذرها • السادسة ضباعة بضم الضاد
المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر بن قرط بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة
خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابنها سلمة بن هشام فقال حتى استأمرها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم انها كبرت
فلما عاد ابنها وقد اذنت له سكت عنه صلى الله عليه وسلم فلم ينكحها • السابعة امامة بنت حمزة بن
عبد المطلب عرضت عليه صلى الله عليه وسلم فقال هي ابنة اخي من الرضاعة • الثامنة عزة بنت ابي سفيان

عرضتها اختها ام حبيبة عليه صلى الله عليه وسلم فقال انها لا تحل لي لمكان اختها ام حبيبة تحت
النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل تزوج عليه السلام الجندعية بضم الجيم وسكون النون وضم الدال
بالعين المهملة امرأة من جندع • وهي ابنة جندب بن ضمرة ولم يدخل بها • وانكره بعض الرواة • فهؤلاء
النساء اللاتي ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوجهن او خطبهن او دخل بهن او لم يدخل بهن او عرضن عليه
صلى الله عليه وسلم وأما سراريه فقيل انهن اربعة مارية القبطية بنت
شمعون بفتح الشين المعجمة اهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية واهدى معها اختها
سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء وبالنون آخرها وخصيا يقال له مابور
والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي دلدل وحمارا اشهب وهو عفير
ويقال يعفور وعسلا من عسل بنها • فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم العسل ودعا في عسل بنها بالبركة
قال ابن كثير وبنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم في عسلها
والناس اليوم يفتحون الباء • انتهى • ووهب صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت وهي ام عبد الرحمن
ابن حسان • ومارية هي ام ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم • وماتت مارية في خلافة عمر رضه سنة
ست عشرة ودفنت بالبقيع وريحانة بنت شمعون من بني قريظة • وقيل من بني النضير
والاول اظهر • وماتت قبل وفاته عليه السلام مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع
وكان عليه السلام وطئها بملك اليمين • وقيل اعتقها وتزوجها • ولم يذكر ابن الاثير غيره واخرى
وهبتها له زينب بنت جحش • الرابعة اصابها في بعض السبي

الفصل الرابع

في اعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته • قال صاحب ذخاير العقبى في مناقب ذوي القربى
كان له صلى الله عليه وسلم اثنا عشر عما بنو عبد المطلب ابوه عبد الله ثالث عشرهم الحارث وابو طالب
واسمه عبد مناف والزبير ويكنى ابا الحارث وحمزة وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق و
المقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وحجل بتقديم الجيم وهو لقب المغيرة • وقال
الدارقطني بتقديم الحاء وهو القيد والخلخال • ويسمى المغيرة • وقيل كانوا احد عشر فاسقط المقوم
وقيل هو عبد الكعبة وقيل عشرة فاسقط الغيداق وحجلا • وقيل تسعة فاسقط قثم
فاما حمزة فامه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ويكنى ابا عمارة وابا يعلى
كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى • وكان يدعى اسد الله واسد رسوله • وفي معجم البغوي انه صلى الله عليه
وسلم قال والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله عز وجل في السماء السابعة حمزة اسد الله واسد رسوله
وكان اسلامه في السنة الثانية من المبعث • وقيل في السادسة بعد دخوله عليه السلام دار الارقم
وقيل قبل اسلام عمر بثلاثة ايام • وشهد بدرا • وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة قاله موسى بن
عقبة • وقيل بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة • قاله ابن اسحق • واول راية عقدها عليه السلام
لاحد من المسلمين كانت لحمزة واول سرية بعثها • وقال عليه الصلوة والسلام خير اعمامي حمزة • رواه

الحافظ الدمشقي • وروى ابن السري مرفوعا سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب • و
ذكر الثعلبي عن بريدة في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة قال حمزة بن عبد المطلب • وعن ابن عباس فمنهم
من قضى نحبه قال حمزة • واستشهد في وقعة احد قتله وحشي • وعن سعيد بن المسيب كان يقول
كنت اتعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى انه مات غريقا في الخمر • رواه الدارقطني على شرط الشيخين • وقال
ابن هشام بلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان • وكان عمر رضه يقول لقد علمت
ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة • ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى فلما رأى ما مثل به
شهق • وعن ابي هريرة وقف على حمزة وقد قتل ومثل به فلم ير منظرا كان اوجع لقلبه منه رواه
ابو عمر والمخلص وصاحب الصفوة • وعند ابن هشام انه عليه السلام قال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت
موقفا قط اغيظ لي من هذا • وعند ابن شاذان من حديث ابن مسعود ما رأينا رسول الله باكيا قط اشد
من بكائه على حمزة بن عبد المطلب • ووضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء يقول
يا حمزة يا عم رسول الله واسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات
يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله • والنشغ الشهيق حتى يبلغ به الغشي • وكان صلى الله عليه وسلم
اذا صلى على جنازة كبر عليها اربعا وكبر على حمزة سبعين تكبيرة • رواه البغوي في معجمه • وقد روى
انس بن مالك ان شهداء احد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم • خرجه احمد وابو داود فيحمل
امر حمزة على التخصيص ومن صلى عليه غيره على انه جرح حال الحرب ولم يمت حتى انقضت الحرب • وكان
سن حمزة يوم قتل تسعا وخمسين سنة • ودفن هو وابن اخته عبد الله بن جحش في قبر واحد
واما العباس وكنيته ابو الفضل وامه نتلة ويقال نتيلة بنت جناب بن كلب بن النمر بن قاسط
ويقال اول عربية كست البيت الحرام الديباج واصناف الكسوة لان العباس ضل وهو
صبي فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت • وكان العباس جميلا وسيما ابيض له ضفيرتان
معتدلا • وقيل كان طويلا • وولد قبل الفيل بثلث سنين • وكان اسن من النبي صلى الله عليه
وسلم بسنتين او ثلث • وكان رئيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام • وكان مع النبي عليه
السلام يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار • وكان عليه السلام يثق به في امره كله
ولما شدوا وثاقه في اسرى بدر سهر عليه السلام تلك الليلة فقيل ما يسهرك يا رسول الله قال
لانين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم • ذكره ابو عمر وصاحب
الصفوة • وقيل كان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم من لقي
العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها فاسره كعب بن عمرو ففادى نفسه ورجع الى مكة
وقيل انه اسلم يوم بدر فر الى المدينة مهاجرا • فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء
وكان معه في فتح مكة وبه ختمت الهجرة • وقال ابو عمر اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه و
يسره ما يفتح الله على المسلمين واظهر اسلامه يوم فتح مكة • وشهد حنينا والطايف وتبوك وقيل

ان اسلامه كان قبل بدر • وكان يكتب باخبار المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يثقون به • وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم ان مقامك بمكة خير لك • وقال ابو مصعب اسمعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت حدثنا ابو حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال استاذن العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم اقم مكانك الذي انت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة • رواه ابو يعلى والهيثم بن كليب في مسنديهما والطبراني في الكبير • وابو مصعب متروك ولكن يعتضد بقول عروة بن الزبير كان العباس قد اسلم واقام على سقايته ولم يهاجر • اخرجه الحاكم في مستدركه • وذكر الذهبي في الفضائل ان ابا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه • وكان عليه السلام يكرم العباس بعد اسلامه ويعظمه • ووصفه عليه السلام فقال اجود الناس كفا واحناهم عليهم • رواه الفضائلي • وفي معجم البغوي العباس عمي وصنو ابي ومن آذاه فقد آذاني • وفي الترمذي نحوه وقال حسن صحيح • وذكر الذهبي في الفضائل ان العباس اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قام اليه وقبل ما بين عينيه ثم اقعده عن يمينه ثم قال هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه فقال العباس نعم القول يا رسول الله قال ولم لا اقول هذا انت عمي وصنو ابي وبقية آبائي ووارثي وخير من اخلف من اهلي • وقال له عليه السلام لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى آتيكم فان لي بكم حاجة فلما اتاهم اشتمل عليهم بملاءته ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين • رواه ابن غيلان وابو القاسم حمزة والذهبي ورواه ابن السري وفيه فما بقي في البيت مدرة ولا باب الا امن • ورواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ فالبسنا كساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده • وقال حسن غريب • وعند ابن الباقي من حديث ابي هريرة اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن احبهم • وفي تاريخ دمشق من حديث ابن عباس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في فتح مكة اللهم انصر العباس وولد العباس قالها ثلاثا ثم قال يا عم اما علمت ان المهدي من ولدك • وروى الحاكم في مستدركه والبغوي في معجمه عن سعيد بن المسيب انه قال العباس خير هذه الامة ووارث النبي صلى الله عليه وسلم وعمه قال الذهبي سنده صحيح قال ويتكلف في تاويله يعني ان كان قوله خير بالمعجمة والحتية • وفي الافراد للدارقطني عن جابر الانصاري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لم يحب العباس بن عبد المطلب واهل بيته فقد برئ من الله ورسوله • وفي سنده عمر بن راشد الحارثي وهو ضعيف جدا • لكن يشهد له ما رواه محمد بن الحسين الاشناني ثم ابو بكر بن عبد الباقي في اماليه • ومن طريقهما المنذري من طريق منصور عن مسلم بن ابي صبيح ابي الضحى عن مسروق

عن ابن

عن ابن عباس رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحب عمي هذا واخذ بيد العباس فرفعها الله عز وجل وللقرابة مني فليس بمؤمن • وللترمذي وقال حسن عن عبد المطلب بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال يا ايها الناس من آذى عمي فقد آذاني فانما عم الرجل صنو ابيه • وروى البغوي انه عليه السلام قال له لك يا عم من الله حتى ترضى • وروى الذهبي في الفضائل انه عليه السلام قال يا عباس ان الله عز وجل غير معذبك ولا احد من ولدك • وفي المعجم الكبير للطبراني عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للعباس ولابناء العباس ولابناء ابناء العباس • وفي سنده عبد الرحمن بن حاتم المرادي المصري وهو متروك وفي تاريخ دمشق مما هو شديد الوهاء عن ابي هريرة مرفوعا اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمحبي ولد العباس وشيعتهم • وللذهبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك • وفي المناقب للامام احمد بسند لا باس به ان العباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى في السماء نجما قلت نعم قال لما ترى قلت الثريا قال اما انه يلي هذه الامة بعددها من صلبك • وروى الذهبي من حديث ابن عباس انه عليه السلام قال له الا ابشرك يا عم قال بلى بابي انت وامي قال عليه السلام ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفاء • ومن حديث ابي هريرة فيكم النبوة والمملكة • ومن حديث ابن عباس عن ابيه هذا عمي ابو الخلفاء اجود قريش كفا واجملها وان من ولده السفاح والمنصور والمهدي • وذكر ابن حسان والملا من حديث ابن عباس انه عليه السلام قال يا ابا بكر هذا العباس قد اقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد • وعن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن في ولد بني العباس ملوك يكونون امراء امتي يعز الله بهم الدين قال الحافظ ابو الحسن الدارقطني هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار • خرجه الاصفهاني وتوفي العباس رضه في خلافة عثمان رضه قبل مقتله بسنتين بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة وقيل لاربع عشرة خلت من رجب • وقيل من رمضان سنة اثنتين وقيل ثلث وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة • وقيل سبع وثمانين سنة ادرك منها في الاسلام • ودفن بالبقيع • ودخل قبره ابنه عبد الله وكان نعظيما جليلا • وكان يسمى ترجمان القران • وهو ابو الخلفاء • ويروى ان امه ام الفضل لما وضعته اتت به النبي صلى الله عليه وسلم فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى وقال اذهبي بابي الخلفاء • رواه ابو حيان وغيره وقد ملا عقبه الارض حتى قيل انهم بلغوا في زمن المامون ستمائة الف واستبعد • والله اعلم • وكان العباس اصغر اعمامه ولم يسلم منهم الا هو وحمزة واسنهم الحارث

واما عماته صلى الله عليه وسلم

بنات عبد المطلب بن هاشم فجملتهن ست عاتكة وأميمة والبيضاء ام حكيم وبرة و
صفية واروى ولم يسلم منهن الا صفية ام الزبير بلا خلاف واختلف في اروى وعاتكة
فذهب ابو جعفر العقيلي الى اسلامهما وعدهما في الصحابة وذكر الدارقطني عاتكة في جملة الاخوة
والاخوات ولم يذكر اروى واما ابن اسحق فذكر انه لم يسلم غير صفية فاما صفية فاسلمت
كما ذكرنا وشهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود وضرب لها عليه الصلوة والسلام بسهم
وامها هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة شقيقة حمزة والمقوم وحجل وكانت في
الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن امية بن عبد شمس ثم هلك فخلف عليها العوام بن خويلد اخو
خديجة ام المومنين فولدت له الزبير والسايب وعبد الكعبة وتوفيت بالمدينة في
خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين ولها ثلث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع
واما عاتكة المختلف في اسلامها فامها فاطمة بنت عمرو بن عايذ فتكون شقيقة عبد الله ابي النبي
صلى الله عليه وسلم وابي طالب والزبير وعبد الكعبة بني عبد المطلب وهي صاحبة الرؤيا في قصة
بدر واما اروى المختلف ايضا في اسلامها فامها صفية بنت جندب فهي شقيقة الحارث
ابن عبد المطلب وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد قصي فولدت له طليبا ثم خلفت عليها كلدة بن
عبد مناف بن عبد الدار بن قصي واسلم طليب وكان سببا في اسلام امه كما ذكره الواقدي
واما حكيم البيضا فهي شقيقة ابي النبي صلى الله عليه وسلم واما برة فامها فاطمة ايضا
وكانت عند ابي رهم بن عبد العزى العامري ثم خلف عليها عبد الاسد بن هلال المخزومي فولدت له ابا سلمة
بن عبد الاسد الذي كانت عنده ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم واما اميمة
فامها وكانت تحت جحش بن رئاب
فولدت له عبد الله وعبيد الله وابا احمد وام حبيبة وحمنة اولاد جحش بن رئاب
واما جداته عليه السلم من ابيه فام عبد الله ابيه هي فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم وام عبد المطلب
سلمى ابنة عمرو من بني النجار وكانت قبل هاشم تحت احيحة بن الجلاح فولدت له عمرو بن احيحة وهو اخو
عبد المطلب لامه وام هاشم هي عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم وام عبد مناف
عاتكة بنت فالج بن مليك بن ذكوان من بني سليم وام قصي بنت سعد من ازد الشراة وام
كلاب نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وام مرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهم
وام كعب سلمى بنت محارب من فهم وام لوي وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة
وام غالب سلمى بنت سعد بن هذيل وام فهر جندلة ابنة الحارث الجرهمي وام
مالك هند بنت عدوان بن قيس بن غيلان وام النضر برة بنت مرة اخت تميم بن مرة ذكره
ابن قتيبة في كتاب المعارف كما حكاه الطبري عنه فقال فالجدة الاولى مخزومية والثانية نجارية
والثالثة سلمية والرابعة سلمية ايضا وقيل خزاعية والخامسة ازدية والسادسة كنانية

والسابعة فهمية والثامنة فهمية ايضا او فهرية الخط في الاصل والتاسعة كنانية
والعاشرة هذلية والحادية عشر جرهمية والثانية عشر قيسية والثالثة عشر مرية
واما جداته من امه عليه السلام فام آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب
برة بنت عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة وام ابيها وهب اوتا عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال بن
فالج بن ذكوان من بني سليم ذكره ابن قتيبة وقال ابو عمر ويعرف ابوها بابي كبشة الذي كان ينسب
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال ابن ابي كبشة ونسب اليه لانه كان يعبد الشعرى ولم يكن احد
من العرب يعبدها غيره فلما جاء عليه السلام بخلاف ما كانت عليه العرب قالوا هذا ابن ابي كبشة
ولم يقصدوا ذمه عليه السلام بذلك وقيل بل نسب الى وهب ابي امه كان يدعى بها وقيل كان
يدعى بها ابوه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى زوج حليمة فنسب اليه وام برة
هي ام حبيب قاله ابن قتيبة وقال ابو سعد ام سفيان بنت اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب
ابن مرة وام ام حبيب هي برة بنت عوف بن عبيد بن عدي بن كعب بن لوي ابن غالب
وام برة بنت عوف قلابة بنت الحارث بن صعصعة بن عايذ بن لحيان من هذيل
وام قلابة هند بنت يربوع من ثقيف قاله ابن قتيبة وقال ابن سعد انها بنت مالك بن عثمان من بني لحيان
فالجدة الاولى والثانية والثالثة من امهات امه عليه السلام قرشيات وام ابي
امه سلمية والرابعة لحيانية هذلية والخامسة ثقفية نفي كل قبيلة من قبايل العرب له عليه السلم
علقة نسب واما اخوته عليه السلام من الرضاعة فحمزة وابو سلمة بن عبد الاسد ارضعتهما
معه صلى الله عليه وسلم ثويبة جارية ابي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة وابو سفيان
وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ارضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية
وعبد الله وانيسة وحذافة وتعرف بالشيما اللثة اولاد حليمة وقد روي ان خيلا له عم
اغارت على هوازن فاخذوها في جملة السبي فقالت انا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت له يا محمد انا اختك فرحب بها وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت
عيناه وقال عليه السلم ان احببت مكرمة محببة وان احببت ان ترجعي الى قومك وصلتك
قالت بل ارجع الى قومي فاسلمت واعطاها صلى الله عليه وسلم ثلثة اعبد وجارية ونعما وشاء ذكره
ابو عمر وابن قتيبة واما امه من الرضاعة فحليمة بنت ابي ذؤيب من هوازن وهي التي ارضعته
حتى اكملت رضاعه وجاءته عليه السلم يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها فجلست عليه
وكذا ثويبة جارية ابي لهب ايضا واختلف في اسلامها كما اختلف في اسلام حليمة وزوجها والله اعلم
وكانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عليه وسلم بعد ان تزوج خديجة فكان يكرمها واعتقها ابو لهب
وكان عليه السلام يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر ذكره ابو عمر
وكانت حاضنته عليه السلم ام ايمن بركة بنت ثعلبة بن حصن بن مالك

عليها كنيتها • وكنيت باسم ابنها ايمن الحبشي • وهي ام اسامة بن زيد تزوجها زيد بعد عبيد فولدت له اسامة • ويقال انها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجرت الهجرتين الى ارض الحبشة والى المدينة • وكانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها النبي صلى الله عليه وسلم • وقد كانت لابنة عم وكان يقول عليه السلم ام ايمن امي بعد امي • وكانت الشيما بنت حليمة تحضنه ايضا مع امها حليمة السعدية

الفصل الخامس في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ويأذن عليه ومن كان يضرب الاعناق بين يديه

اما خدمه فمنهم انس ابن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الانصاري الخزرجي يكنى ابا حمزة خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين او عشر سنين • ودعا له صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة • قال ابو هريرة ما رايت احدا اشبه صلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم منه • وتوفي في سنة ثلث وتسعين وقيل سنة اثنين وقيل سنة احدى وتسعين وقد جاوز المائة • ومنهم ربيعة ابن كعب الاسلمي صاحب وضوئه • وتوفي سنة ثلث وستين • ومنهم ايمن بن ام ايمن صاحب مطهرته عليه السلام استشهد يوم حنين • ومنهم عبد الله بن مسعود بن غافل بالمعجمة والفاء ابن حبيب الهذلي احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد كلها • وكان صاحب الوسادة والسواك والنعلين والطهور وكان يلي من النبي صلى الله عليه وسلم • وكان اذا قام النبي صلى الله عليه وسلم البسه نعله واذا جلس جعلهما في ذراعه حتى يقوم • وتوفي بالمدينة • وقيل بالكوفة سنة اثنين وثلثين وقيل ثلث وثلثين • ومنهم عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو الجهني وكان صاحب بغلته يقود به في الاسفار • روينا عنه انه قال بينما انا اقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب من تلك النقاب اذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب يا عقبة قال فاجللت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اركب مركبه ثم اشفقت ان يكون معصية قال فركبت هنيهة ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم وقدت به فقال لي يا عقبة الا اعلمك من خير سورتين قرء بهما الناس فقلت بلى بابي وامي يا رسول الله فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس الحديث رواه احمد وابو داود والنسائي • ولاحمد قال لي عقبة يا عقبة الا اعلمك خير ثلث سور انزلت في التورية والانجيل والزبور والقرآن العظيم قال قلت بلى قال فاقرأني قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس • وكان عقبة عالما بكتاب الله وبالفرائض فصيحا شاعرا مفوها ولي مصر لمعاوية سنة واربعين • ثم صرفه بمسلمة بن مخلد • وتوفي بها في سنة ثمان وخمسين • ومنهم اسلع بن شريك صاحب راحلته • وفي الطبراني عن ربيع بن بدر حدثني ابي عن ابيه عن رجل يقال له الاسلع قال كنت اخدم النبي صلى الله عليه وسلم وارحل فقال لي ذات يوم يا اسلع قم فارحل فقلت يا رسول الله اصابتني جنابة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاه جبريل باية الصعيد فقال رسول الله قم يا اسلع فتيمم قال فقمت فتيممت ثم رحلت له ثم سار حتى مر بماء فقال لي يا اسلع مس او امس هذا جلدك

قال فاراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين • انتهى • ومنهم سعد مولى ابي بكر • وقيل سعيد ولم يثبت • وروى عنه ابن ماجة • ومنهم ابو ذر جندب ابن جنادة الغفاري اسلم قديما وتوفي بالربذة سنة احدى وثلثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات بعده في ذلك اليوم قاله ابن الاثير في معرفة الصحابة • وفي التقريب للحافظ ابن حجر سنة اثنين وثلثين • ومنهم مهاجر مولى ام سلمة • ومنهم حنين والد عبد الله مولى ابن عباس كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس • ومنهم نعيم بن ربيعة الاسلمي • ومنهم ابو الحمراء مولاه صلى الله عليه وسلم وخادمه واسمه هلال بن الحارث او ابن ظفر نزل حمص • ومنهم ابو السمح خادمه عليه السلام واسمه اياد • ومن النساء بركة ام ايمن الحبشية وهي والدة اسامة بن زيد • ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه • وخولة جدة حفص • وسلمى ام رافع زوج ابي رافع • وميمونة بنت سعد وام عياش مولاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم • وكان يضرب الاعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد ابن مسلمة وعاصم بن ثابت بن ابي الافلح والضحاك بن سفيان • وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه بمنزلة صاحب الشرطة • وابو رافع واسمه اسلم • وقيل غير ذلك قبطي كان على ثقله وكان بلال على نفقاته • ومعيقيب بن ابي فاطمة الدوسي على خاتمه • وابن مسعود على سواكه ونعله كما تقدم • واذن عليه في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رباح النوبي • واما حرسه فمنهم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس سيد الاوس اسلم بين العقبتين على يدي مصعب بن عمير وشهد بدرا واحدا والخندق ورمي فيه بسهم عاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات حرس النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين نام في العريش • ومنهم محمد بن مسلمة الانصاري حرسه يوم احد • ومنهم الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق • ومنهم بلال اسلم قديما وعذب في الله وسكن الشام اخيرا ولا عقب له وتاتي وفاته ان شاء الله تعالى • وكان يحرس النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى • وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يوم بدر في العريش شاهرا سيفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يصل اليه احد من المشركين • رواه ابن السمان في الموافقة • ووقف المغيرة ابن شعبة على راسه بالسيف يوم الحديبية • واما مواليه فمنهم اسامة وابوه زيد ابن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقه وزوجه مولاته ام ايمن • واسمها بركة فولدت له اسامة • وكان زيد قد اسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فاستوهبه النبي عليه السلام • ذكر قصته محمد بن اسحق في السيرة • وان اباه وعمه اتيا مكة فوجداه فطلبا ان يفدياه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يدفعه لهما او يبقى عنده فاختار ان يبقى عنده صلى الله عليه وسلم • وفي رواية الترمذي قال يا رسول الله لا اختار عليك احدا • واستشهد زيد في غزوة موتة • ومات ابنه اسامة بالمدينة او بوادي القرى سنة اربع وخمسين • ومنهم ثوبان لازم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ونزل بعد ذلك الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين • وابو كبشة اوس و
يقال سليم من مولدي مكة وشهد بدرا • وشقران بضم الشين المعجمة وسكون القاف واسمه صالح
الحبشي • ويقال فارسي شهد بدرا وهو مملوك ثم عتق • قال الحافظ ابن حجر وقال الظنة مات في
خلافة عثمان رضي الله عنه • ورباح بفتح الراء وبالموحدة الاسود وكان يأذن عليه احيانا اذا
انفرد وهو الذي اذن لعمر بن الخطاب في المشربة • ويسار الراعي وهو الذي قتله العرنيون
وزيد وهو ابو اسامة • وليس زيد بن حارثة والد اسامة ذكره ابن الاثير • ومدعم بكسر الميم وفتح العين
المهملة عبد اسود وكان لرفاعة بن زيد الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الاولى فاهداه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وابو رافع واسمه اسلم القبطي وكان للعباس فوهبه النبي عليه السلام
فلما بشر النبي باسلام العباس اعتقه • توفي قبل قتل عثمان بيسير • ورفاعة بن زيد الجذامي
وسفينة • واختلف في اسمه فقيل طهمان • وقيل كيسان • وقيل مهران • وقيل غير ذلك • وسماه رسول
صلى الله عليه وسلم سفينة لانهم كانوا حملوه شيئا كثيرا في السفر • ومابور القبطي
وواقد وابو واقد وانجشة الحادي • ويأتي ذكره في حداته عليه السلام ان شاء الله تعالى • وسلمان الفارسي
ابو عبد الله • ويقال له سلمان الخير اصله من اصبهان • وقيل من رامهرمز اول مشاهده الخندق
مات سنة اربع وثلثين • ويقال بلغ ثلثمائة سنة • وشمعون بن زيد ابو ريحانة • قال الحافظ
ابن حجر حليف الانصار • ويقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم • شهد فتح دمشق • وقدم مصر •
وسكن بيت المقدس • وابو بكرة نفيع • ومن النساء ام ايمن الحبشية • وسلمى ام
رافع زوج ابي رافع • ومارية وريحانة وقيصر اخت مارية وغير ذلك • قال ابن الجوزي
مواليه ثلثة واربعون • واماؤه احدى عشرة

الفصل السادس في اصحابه ورسله

وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرائع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام
اما كتابه فالخلفاء الاربعة • ابو بكر الصديق • وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة وفي
الاسلام عبد الله • وسمي بالصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل ان الله صدقه • ولقب
عتيقا لجماله • او لانه لم يكن في نسبه ما يعاب به • وقيل لانه عتيق من النار • ولي الخلافة سنتين ونصفا
وسنه سن المصطفى صلى الله عليه وسلم • وتوفي مسموما • واسلم ابوه ابو قحافة يوم الفتح وتوفي في خلافة
عمر رضي الله عنه • واسلمت ام الخير سلمى بنت صخر قديما في دار الارقم • وعمر بن الخطاب
ابن نفيل بن عبد العزى استخلفه ابو بكر فاقام عشر سنين وستة اشهر واربع ليال • وقتله ابو لؤلؤة
فيروز غلام المغيرة بن شعبة • وعثمان بن عفان رضي الله عنه بن ابي العاص بن امية • وكانت خلافته
احدى عشرة سنة واحد عشر او ثلثة عشر يوما • ثم قتل يوم الدار شهيدا • وروي عن عائشة رضي الله عنها
ذكره الطبري في فضائله من كتاب الرياض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسند ظهره الى وان جبريل
ليوحي اليه القرآن وانه ليقول اكتب يا عثيم • رواه احمد • وروى البيطي عن جعفر بن محمد عن ابيه قال

كان اذا جلس جلس ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه • وكان كاتب سر رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه واقام في الخلافة اربع سنين وتسعة اشهر
وثمانية ايام • وتوفي شهيدا على يد عبد الرحمن بن ملجم • واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية
وطلحة بن عبيد الله احد العشرة • استشهد يوم الجمل سنة ست وثلثين وهو ابن ثلث وستين
والزبير بن العوام بن خويلد احد العشرة • قتل ايضا سنة ست وثلثين يوم الجمل • وابن ابي وقاص
بن ابي وقاص • وعامر بن فهيرة • وعبد الله بن الارقم مات في خلافة عثمان • وولاه عمر بيت المال
وابي بن كعب بضم الهمزة وفتح الموحدة من سباق الانصار • كان يكتب الوحي له صلى الله عليه وسلم
وهو احد الستة الذين حفظوا القرآن • واحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده عليه الصلوة والسلام
وتوفي بالمدينة سنة تسع عشرة • وقيل سنة عشرين • وقيل غير ذلك • وهو الذي كتب الكتاب الى ملكي
عمان جيفر وعبد ابني الجلندى كما سيأتي ان شاء الله تعالى • وثابت بن قيس بن شماس استشهد
باليمامة • وهو الذي كتب كتاب قطن بن حارثة العليمي كما سيأتي ان شاء الله تعالى • وحنظلة بن
الربيع الاسدي الذي غسلته الملائكة حين استشهد • وابو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية
ولي لعمر الشام واقره عثمان • قال ابن اسحق كان اميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة • وروينا في
مسند الامام احمد من حديث العرباض قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم علم معاوية
الكتاب والحساب وقه العذاب • وهو مشهور بكتابة الوحي • ومات في رجب سنة ستين • وقد
قارب الثمانين • واخوه يزيد بن ابي سفيان بن حرب امره عمر على دمشق حتى مات بها سنة ست عشرة
بالطاعون • وزيد بن ثابت بن الضحاك النجاري مشهور بكتب الوحي • مات سنة خمس او ثمان
واربعين • وقيل بعد الخمسين • وكان احد فقهاء الصحابة • وهو احد من جمع القرآن في خلافة ابي بكر
ونقله في المصحف في زمن عثمان • وشرحبيل بن حسنة وجهامة • والعلاء بن الحضرمي
وخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله • اسلم بين الحديبية والفتح • مات سنة احدى او اثنتين
وعشرين • وعمرو بن العاص بن وائل السهمي اسلم عام الحديبية • وولي امرة مصر مرتين • وهو
الذي فتحها • ومات بها سنة نيف واربعين • وقيل بعد الخمسين • والمغيرة بن شعبة الثقفي
اسلم قبل الحديبية وولي امرة البصرة ثم الكوفة • مات سنة خمسين على الصحيح • وعبد الله بن رواحة
الخزرجي الانصاري احد السابقين • شهد بدرا • واستشهد بمؤتة • ومعيقيب بفاء وآخره
موحدة مصغر ابن ابي فاطمة الدوسي من السابقين الاولين • وشهد المشاهد • مات في خلافة عثمان
او علي • وكتب له خالد بن سعيد بن العاص كتابا لثقيف • يأتي ان شاء الله تعالى في الوفود • وحذيفة
ابن اليمان من السابقين • صح في مسلم انه صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان وما يكون الى ان تقوم الساعة •
وابوه صحابي ايضا استشهد باحد • ومات حذيفة في اول خلافة علي سنة ست وثلثين •
وحويطب بن عبد العزى العامري اسلم يوم الفتح عاش مائة وعشرين • ومات سنة اربع وخمسين • وكان

معاوية وزيد بن ثابت الزمهم لذلك واختصهم به كما قال الحافظ الشرف الدمياطي وغيره
ونبهت عليه قال الحافظ ابن حجر وقد كتب له قبل زيد بن ثابت ابي بن كعب وهو اول من كتب له بالمدينة
واول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن ابي سرح ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام يوم الفتح وممن كتب له
في الجملة الخلفاء الاربعة وابان وخالد ابنا سعيد بن العاص بن امية وقد كتب صلى الله عليه وسلم
الى اهل الاسلام كتبا في الشرايع والاحكام منها كتابه في الصدقات الذي كان عند ابي بكر فكتبه
ابو بكر لانس لما وجهه الى البحرين ولفظه كما عند البخاري وابي داود والنسائي بسم الله الرحمن
الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين التي امر الله تعالى
بها رسوله صلى الله عليه وسلم فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا
يعط في اربعة وعشرين من الابل فما دونها من الغنم في كل خمس شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين
الى خمس وثلثين ففيها بنت مخاض انثى فان لم تكن ابنة مخاض فابن لبون فاذا بلغت ستا واربعين
الى ستين ففيها حقة طروقة فاذا بلغت واحدة وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة فاذا
بلغت ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة
ففيها حقتان طروقتا الجمل فاذا زادت على عشرين ومائة ففي كل اربعين ابنة لبون وفي كل خمسين
حقة ومن لم يكن معه الا اربع من الابل فليست فيها صدقة الا ان يشاء ربها فاذا بلغت خمسا
من الابل ففيها شاة ومن بلغت عنده من الابل صدقة الجذعة وليست عنده جذعة وعنده حقة
فانها تقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين ان استيسرتا له او عشرين درهما ومن بلغت عنده صدقة
الحقة وليست عنده الحقة وعنده الجذعة فانها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق عشرين
درهما او شاتين ومن بلغت صدقة الحقة وليست عنده الا ابنة لبون فانها تقبل منه ابنة لبون
ويعطي شاتين او عشرين درهما ومن بلغت عنده صدقة ابنة لبون وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة
ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون وليست عنده الا بنت
مخاض فانها تقبل منه بنت المخاض ويعطي معها عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة بنت مخاض
وليست عنده وعنده بنت لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين
فان لم تكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون فانها تقبل منه وليس معه شيء
وصدقة الغنم في سائمتها فاذا بلغت اربعين الى عشرين ومائة شاة شاة فاذا زادت على عشرين ومائة الى
مائتين ففيها شاتان فاذا زادت على مائتين الى ثلثمائة ففيها ثلث شياه فاذا زادت على ثلثمائة ففي كل
مائة شاة فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من اربعين شاة شاة واحدة فليس فيها صدقة الا
ان يشاء ربها ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين
فانهما يتراجعان بينهما على السوية ولا يخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الا ان يشاء
المصدق وفي الرقة ربع العشر فان لم تكن الا تسعين ومائة فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها

قوله وفي الرقة اي الدراهم المضروبة والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة من الورق كما قاله ابن الاثير
في الجامع وقال في فتح الباري هي بكسر الراء وتخفيف القاف الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة
او غير مضروبة ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في نصب الزكاة وغيرها كما رواه ابو داود والترمذي عن سالم عن ابيه عبد الله بن عمر بن الخطاب كتب
صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض فعمل به ابو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض
وكان فيه في خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلث شياه وفي عشرين اربع شياه
وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلثين فان زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس
واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين
فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فاذا زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة
فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم
في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان الى مائتين فاذا زادت على المائتين
ففيها ثلث شياه الى ثلثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى
يبلغ المائة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان
بالسوية ولا يوخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب قال ابن الاثير في النهاية والخليط المخالط
يريد به الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه والتراجع بينهما هو ان يكون لاحدهما مثلا اربعون بقرة
وللاخر ثلثون بقرة ومالهما مختلط فياخذ الساعي عن الاربعين مسنة وعن الثلثين تبيعا فيرجع باذل
المسنة بثلاثة اسباعها على شريكه وباذل التبيع باربعة اسباعه على شريكه لان كل واحد من السنين
واجب على الشيوع كان المال ملك واحد انتهى وقال في فتح الباري واختلف في المراد بالخليط
فعند ابي حنيفة انه الشريك واعترض عليه بان الشريك لا يعرف عين ماله وقد قال انهما يتراجعان
بينهما بالسوية ومما يدل على ان الخليط لا يستلزم ان يكون شريكا قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء و
قد بينه قبل ذلك بقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة واعتذر بعضهم عن الحنفية
بانهم لم يبلغهم هذا الحديث او راوا ان الاصل قوله ليس فيما دون خمس ذود صدقة وحكم الخلطاء يغاير
هذا الاصل فلم يقولوا به وقال ابو حنيفة لا يجب على احد منهم فيما يملك الا مثل الذي يجب عليه لو لم
يكن خلطة وقال سفيان الثوري حتى يتم لهذا اربعون شاة ولهذا اربعون شاة وقال الشافعي
واحمد واصحاب الحديث اذا بلغت ماشيتهما النصاب زكيا والخلطة عندهم ان يجتمعا في المسرح و
المبيت والحوض والفحل والشركة اخص منها انتهى ومنها كتابه الى اهل اليمن
وهو كتاب جليل فيه انواع الفقه في الزكاة والديات والاحكام وذكر الكباير والطلاق والعتاق
واحكام الصلوة في الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك واحتج الفقهاء كلهم
بما فيه من مقادير الديات ورواه النسائي وقال وروى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلا و

ابو حاتم في صحيحه وغيرهما متصلا عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن وكان في كتابه ان من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود
الا ان يرضى اولياء المقتول • وفيه ان الرجل يقتل بالمرأة • وفيه في النفس الدية مائة من الابل
وعلى اهل الذهب الف دينار • وفي الانف اذا اوعب جدعه الدية مائة من الابل • وفي الاسنان
الدية • وفي الشفتين الدية • وفي البيضتين الدية • وفي الذكر الدية • وفي الصلب الدية •
وفي العينين الدية • وفي الرجل الواحدة نصف الدية • وفي المامومة ثلث الدية • وفي الجائفة
ثلث الدية • وفي المنقلة خمس عشرة من الابل • وفي كل اصبع من اصابع اليد والرجل عشر من الابل •
وفي السن خمس من الابل • وفي رواية مالك وفي العين خمسون • وفي اليد خمسون • وفي
الرجل خمسون • وفي الموضحة خمس من الابل • ومنها كتابه عليه السلام الى
بني نهار
واما مكاتباته عليه السلام
الى الملوك وغيرهم فروى انه عليه السلام لما رجع من الحديبية كتب الى الروم فقيل له انهم لا يقرؤون
كتابا الا ان يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر
وختم به الكتب • وانما كانوا لا يقرؤون الكتاب الا مختوما خوفا من كشف اسرارهم والاشعار بان
الاحوال المعروضة عليهم ينبغي ان يكون مما لا يطلع عليها غيرهم • وعن انس ان ختم كتاب السلطان
والقضاة سنة متبعة • وقال بعضهم هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم
فكتب الى هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك
اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا و
لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون • رواه البخاري •
وكان عليه السلام ارسل هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي الى هرقل في اخر سنة ست بعد
ان رجع من الحديبية كما قال الواقدي • ووقع في تاريخ خليفة ان ارساله كان سنة خمس والاول
اثبت • بل هذا غلط لتصريح ابي سفيان بان ذلك كان في مدة صلح الحديبية كما في حديث البخاري
في المدة التي كان عليه السلام ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش يعني مدة صلح الحديبية وكانت
سنة ست اتفاقا • ولم يقل صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم لانه معزول بحكم الاسلام ولم
يخله من الاكرام لمصلحة التأليف • وقوله يؤتك الله اجرك مرتين اي لكونه مؤمنا بنبيه ثم امن بمحمد صلى
الله عليه وسلم • وقوله فان عليك اثم الاريسيين اي فان عليك مع اثمك اثم الاتباع بسبب انهم اتبعوك
على استمرار الكفر • وقيل انه عليه السلام كتب هذه الاية يعني يا اهل الكتاب الخ قبل نزولها فوافق لفظه
لفظها لما نزلت لان هذه الاية نزلت في قصة وفد نجران وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع وقصة
ابي سفيان هذه كانت قبل ذلك سنة ست • وقيل نزلت في اليهود • وجوز بعضهم نزولها مرتين

وهو بعيد • والله سبحانه اعلم وكتب صلى الله عليه وسلم الى كسرى
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله
ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ادعوك بدعاية الله
فاني رسول الله الى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فعليك
اثم المجوس • فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق ملكه
وفي البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله
ابن حذافة السهمي فامره ان يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرءه مزقه
فحسبت ان ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق • وقيل بعثه
مع عمر بن الخطاب رض • والذي في البخاري هو الصحيح • وفي كتاب الاموال لابي عبيد من مرسل عمير
ابن اسحق قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قرء الكتاب مزقه
واما قيصر فلما قرء الكتاب طواه ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هؤلاء فيمزقون واما
هؤلاء فسيكون لهم بقية • وروي انه لما جاءه جواب كسرى قال مزق ملكه • ولما جاءه جواب هرقل
قال ثبت ملكه • وذكر في فتح الباري عن سيف الدين قلج المنصوري انه قدم على ملك الغرب بهدية
من الملك المنصور قلاوون فارسله ملك الغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبله واكرمه و
قال لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج له صندوقا مصفحا بذهب فاخرج مقلمة من ذهب فاخرج منها
كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد التصقت عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه
الى الان واوصانا اباؤنا عن ابائهم الى قيصر انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا فنحن
نحفظه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا • انتهى وكتب صلى الله عليه وسلم
الى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة • اما بعد فاني احمد
اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله
وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه كما خلق ادم
بيده واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني
فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام
على من اتبع الهدى • وبعث الكتاب مع عمرو بن امية الضمري • فقال النجاشي اشهد بالله انه النبي الامي
الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل • ثم كتب النجاشي
جواب الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي اصحمة
سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا اله الا هو • اما بعد فقد بلغني كتابك
يا رسول الله فما ذكرت من امر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا انه
كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت

ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين • والمغروق علاقة ما بين النواة والقشر • وهذا هو
اصحمة الذى هاجر اليه المسلمون فى رجب سنة خمس من النبوة وكتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه
الى الاسلام مع عمرو بن امية الضمرى سنة ست من الهجرة فآمن به واسلم على يد جعفر بن ابى طالب • وتوفى
فى رجب سنة تسع ونعاه النبى صلى الله عليه وسلم يوم توفى وصلى عليه بالمدينة • واما النجاشى الذى ولى
بعده وكتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فكان كافرا لم تعرف اسلامه ولا اسمه وقد
خلط بعضهم ولم يميز بينهما • وفى صحيح مسلم عن قتادة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى والى قيصر
والى النجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشى الذى صلى عليه

وكتب عليه الصلوة والسلام الى ملك مصر والاسكندرية بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله و
رسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى • اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام
اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فعليك اثم القبط يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون • وبعث به حاطب بن ابى بلتعة فلما دخل عليه قال انه كان
قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك
ولا يعتبر غيرك بك • فقال ان لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير منه • فقال حاطب ندعوك الى دين الله
وهو الاسلام الكافى به الله فقدنا سواه • ان هذا النبى دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم
اليهود واقربهم منه النصارى • ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه
وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التورية الى الانجيل • وكل نبى ادرك قوما فهم من امته
فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادركه هذا النبى • ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك به
فقال المقوقس انى قد نظرت فى امر هذا النبى فوجدته لا يامر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه و
لم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب • ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار
بالنجوى • وسانظر واخذ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فجعله فى حق من عاج ودفعه لجارية له ثم دعا كاتبا
له يكتب بالعربية فكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم
القبط اما بعد فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا بقى وكنت
اظن انه يخرج بالشام فقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة
واهديت لك بغلة تركبها • والسلام • ولم يزد على هذا ولم يسلم •

وكتب عليه السلام الى المنذر بن ساوى ذكر الواقدى باسناده عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب
فى كتب ابن عباس بعد موته فنسخته فاذا فيه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى الى المنذر
ابن ساوى وكتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام • فكتب المنذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما بعد يا رسول الله فانى قرات كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب الاسلام واعجبه ومنهم من كرهه

ودبارضى

ودبار ضى يهود ومجوس فاحدث الى فى ذلك امرك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر ابن ساوى سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى
لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اما بعد فانى اذكرك الله عز وجل فانه
من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع امرهم فقد اطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى
قد اثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب
فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية

وكتب الى ملكى عمان وبعثه مع عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر بفتح الجيم وسكون الخاء بعدها فاء وعبد ابنى الجلندى سلام
على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة
لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا
بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما • وكتب ابى بن كعب
وختم الكتاب • قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان احكم
الرجلين واسهلهما خلقا فقلت انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخى المقدم
على بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتى يقرا كتابك ثم قال وما تدعو اليه قال ادعوك الى الله
وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد ان محمدا عبده ورسوله • قال يا عمرو انك ابن
سيد قومك فكيف صنع ابوك فان لنا فيه قدوة • قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت
انه كان اسلم وصدق به وقد كنت على مثل رايه حتى هدانى الله للاسلام قال فمتى تبعته قلت قريبا
فسالنى اين كان اسلامك قلت عند النجاشى • واخبرته ان النجاشى قد اسلم قال فكيف صنع قومه
بملكه قلت اقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم • قال انظر يا عمرو
ما تقول ليس من خصلة فى رجل افضح له من كذب قلت ما كذبت وما نستحله فى ديننا ثم قال
ما اخبرنى بالذى يامر به وينهى عنه • قلت يامر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويامر
بالبر وصلة الرحم • وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر • وعن عبادة الحجر والوثن و
الصليب • قال ما احسن هذا الذى يدعو اليه لو كان اخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به
ولكن اخى اضن بملكه من ان يدعه ويصير ذنبا قلت انه ان اسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقرائهم • قال ان هذا لخلق حسن • قال وما الصدقة فاخبرته
بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات فى الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ
من سوائم مواشينا التى ترعى الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال والله ما ارى قومى فى بعد دارهم وكثرة
عددهم يطيعون بهذا قال فمكثت ببابه اياما وهو يصل الى اخيه ويخبره كل خبرى ثم انه دعانى يوما
فدخلت عليه فاخذ اعوانه بضبعى فقال دعوه فارسلت فذهبت لاجلس فابوا ان يدعونى اجلس

فنظرت فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه
الى اخيه فقرأه مثل قراءته الا انى رأيت اخاه ارق منه فقال الا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت
تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام
واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فلا اعلم احدا بقي غيرك في هذه الحرجة
وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال
قال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فرجعت الى اخيه فقال يا عمرو اني لارجو ان يسلم ان لم يضن بملكه
حتى اذا كان الغد اتيت اليه فابى ان يأذن لي فانصرفت الى اخيه فاخبرته اني لم اصل اليه فاوصلني
اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو
لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله الفت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت وانا خارج غدا فلما ايقن
بمخرجي خلا به اخوه فاصبح فارسل الي فاجاب الى الاسلام هو واخوه جميعا وصدقا النبي صلى
الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني

كتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن علي وارسل به مع سليط
ابن عمرو العامري بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى
واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم
عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما انزله وحياه واقرأ عليه الكتاب فرد ردا
دون رد وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما احسن ما تدعو اليه واجمله والعرب تهاب مكاني
فاجعل الي بعض الامر اتبعك واجاز سليطا بجائزة وكساه اثوابا من نسج هجر فقدم بذلك كله على
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سألني سيابة من الارض ما فعلت
باد وباد ما في يده فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بان هوذة
مات فقال صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي مكان كذلك
وكان صاحب باعث النفوس روى عن ابي هند الداري قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن ستة نفر تميم بن اوس الداري واخوه نعيم ويزيد بن قيس وابو عبد الله بن عبد الله
وهو صاحب الحديث واخوه الطيب بن عبد الله فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن و
فاكهة بن النعمان فاسلمنا وسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعنا ارضا من ارض الشام
فقال عليه الصلوة والسلام سلوا حيث شئتم قال ابو هند فنهضنا من عنده عليه الصلوة
والسلام الى موضع نتشاور فيه اين نسأل فقال تميم ارى ان نسأله بيت المقدس وكورتها فقال
ابو هند رأيت ملك العجم اليس هو بيت المقدس قال تميم نعم فقال ابو هند كذا وكذا فقال تميم
فاين ترى ان نسأل قال ارى ان نسأله القرى التي نضع فيها حصوننا مع ما فيها من آثار ابراهيم
عليه السلام فقال تميم اصبت ووفقت قال فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يا تميم احب ان تخبرني بما كنتم فيه او اخبركم فقال تميم بل تخبرنا يا رسول الله فنزداد ايمانا فقال
عليه السلام اردت يا تميم امرا واراد هذا غيره ونعم الرأي رأي ابي هند فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقطعة من ادم وكتب لهما كتابا فيها نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر ما وهب محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين اذ اعطاه الله الارض وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم
وبيت ابراهيم ومن فيهم الى الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة و
كتب قال ثم دخل بالكتاب الى منزله فعالج في زاوية الرقعة بشيء لا يعرف وعقده من خارج الرقعة
بسير عقدتين وخرج الينا مطويا وهو يقول ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
آمنوا والله ولي المؤمنين ثم قال انصرفوا حتى تسمعوا اني قد هاجرت قال ابو هند فانصرفنا
فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه ان يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا
نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما انطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الداري واصحابه اني
انطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت
وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم ابد الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد ابو بكر بن ابي قحافة
وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وكتب فلما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وجند الجنود الى الشام كتب كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم
من ابي بكر الصديق الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما
بعد فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين وان كان اهلها قد جلوا
عنها واراد الداريون ان يزرعوها فليزرعوها واذا رجع اليها اهلها فهي لهم واحق بهم والسلام عليك
انتهى نقل من كتاب اسعاف الاخصاء بفضائل المسجد الاقصى وكتب صلى الله عليه وسلم
الى الحارث بن ابي شمر الغساني وكان بدمشق بغوطتها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق واني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده
لا شريك له يبقى لك ملكك وارسل مع شجاع بن وهب وكتب صلى الله عليه وسلم ليوحنة
ابن رؤبة صاحب ايلة لما اتاه بتبوك وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه الجزية
بسم الله الرحمن الرحيم هذه امنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنة بن رؤبة واهل ايلة اساقفهم
وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر
فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان
يمنعوه ماء يريدونه ولا طريقا يريده من بر او بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة
باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب صلى الله عليه وسلم لاهل جربا واذرح لما
اتوه بتبوك ايضا واعطوا الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لاهل
اذرح انهم آمنون بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم

بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين من المحاربين. وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده ضميرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأم ضميرة وهي تبكي فقال ما يبكيك أجائعة أنت أم عارية أنت فقالت يا رسول الله فرق بيني وبين ابني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفرق بين الوالدة وولدها ثم أرسل إلى الذي عنده ضميرة فدعاه فابتاعه منه ببكر. قال ابن أبي ذويب ثم أقرأني كتابا عنده بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقهم وأنهم أهل بيت من العرب إن أحبوا أقاموا عند رسول الله وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم فلا يعرض لهم إلا بحق ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيرا وكتب أبي بن كعب. وكتب صلى الله عليه وسلم إلى أهل وج سيأتي في وفد ثقيف من الفصل العاشر من هذا المقصد إن شاء الله تعالى. وكذا كتابه عليه السلام إلى مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة.

وكتب عليه السلام لأكيدر ولأهل دومة الجندل لما صالحه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله لأكيدر ولأهل دومة أن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصين ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك العهد والميثاق ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين. الضاحي البارز الظاهر. والضحل الماء القليل والبور الأرض تستخرج. والمعامي وأغفال الأرض. والحصين. وحمر الجندل. والضامنة النخل الذي معهم في الحصن. والمعين الظاهر من الماء الدائم. وباع صلى الله عليه وسلم للعداء عبدا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله اشترى عبدا أو أمة شك الراوي لا داء ولا غائلة ولا خبثة بيع المسلم للمسلم. رواه أبو داود والدارقطني. والغائلة الإباق والسرقة والزنا والخبثة. قال ابن عروبة بيع أهل غير المسلمين. وكان إسلام العداء بعد فتح خيبر. وهذا يدل على مشروعية الإشهاد في المعاملات قال الله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم والأمر هنا ليس للوجوب فقد باع عليه السلام ولم يشهد واشترى ورهن درعه عند يهودي ولم يشهد ولو كان الإشهاد أمرا واجبا لوجب مع الرهن خوف المنازعة والله أعلم.

أما أمراؤه عليه الصلاة والسلام فمنهم باذان بن ساسان من ولد بهرام أمره صلى الله عليه وسلم على اليمن وهو أول أمير في الإسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم وأمر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد. وولى زياد بن لبيد الأنصاري حضرموت. وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن. وولى معاذ بن جبل الجند. وولى أبا سفيان بن حرب نجران. وولى ابنه يزيد تيما. وولى عتاب بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية ابن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة مكة وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان. وولى علي بن أبي طالب القضاء باليمن. وولى عمرو بن العاص عمان وأعمالها. وولى أبا بكر الصديق إقامة الحج

سنة

سنة تسع وبعث في إثره عليا فقرأ على الناس براءة فقيل إن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج وقيل أردفه عونا ومساعدا ولهذا قال له الصديق أمير أو مأمور قال بل مأمور وأما الرافضة فقالوا بل عزله وهذا لا يبعد من بهتهم وافترائهم. وقد ولى صلى الله عليه وسلم الصدقات جماعة كثيرة. وأما رسله صلى الله عليه وسلم فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم بعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع. وذكر القاضي عياض في الشفاء مما عزاه للواقدي أنه أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم انتهى. وكان أول رسول بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة. وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن. فأخذ النجاشي ووضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض ثم أسلم وشهد شهادة الحق. وقال لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته. وفي الكتاب الآخر أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فزوجه إياها كما تقدم في ذكر الأزواج ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها. كذا قاله الواقدي وغيره. وبعث عليه السلام دحية بن خليفة الكلبي وهو أحد الستة إلى قيصر ملك الروم واسمه هرقل يدعوه إلى الإسلام فهم بالإسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فأمسك. وبعث عبد الله السهمي إلى كسرى. وهو الثالث. وبعث الرابع وهو حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس فأكرمه وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بجاريتين وكسوة وبغلة ولم يسلم. وبعث الخامس شجاع بن وهب الأسدي إلى ملك البلقاء الحارث بن شمر الغساني. وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامري إلى هوذة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي فأسلم ثمامة. وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد ابني الجلندى بعمان فأسلما وصدقا. وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة. وقيل قبل الفتح فأسلم وصدق. وبعث المهاجر بن أمية المخزومي إلى الحارث بن كلال الحميري باليمن قال سأنظر في أمري. وبعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك سنة عشر في ربيع الأول داعيين إلى الإسلام فأسلم غالب أهلها من غير قتال ثم بعث علي بن أبي طالب بعد ذلك إليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع. وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهم إلى الإسلام فأسلما وتوفي صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم. وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب وبعث إلى فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملا لقيصر بمعان يدعوه إلى الإسلام فأسلم وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه وبعث إليه هدية مع مسعود بن سعد وهي بغلة شهباء يقال لها فضة وفرس يقال لها الظرب وحمار يقال له يعفور وبعث إليه أثوابا وقباء سندسا مذهبا فقبل هديته ووهب لمسعود اثنتي عشرة أوقية. وبعث المصدقين

لاخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع ه وبعث عيينة بن حصن الفزاري الى
تميم وبعث بريدة وبقال كعب بن مالك الى اسلم وغفار وبعث عباد بن
بشر الى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث الى جهينة وبعث عمرو بن العاص
الى فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الى بني كلاب وبعث بشر بن سفيان الكعبي
وبقال النحام العدوي الى بني كعب وبعث عبد الله بن اللتبية الى ذبيان

الفصل السابع

وبعث رجلا من سعد هذيم الى قومه في مؤذنيه وخطبائه
وحداته وشعرائه اما مؤذنوه فاربعة اثنان بالمدينة بلال ابن رباحة وامه حمامة
مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو اول من اذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤذن
بعده لاحد من الخلفاء الا لعمر رض لما قدم الشام حين فتحها اذن بلال فتذكر الناس النبي صلى الله
عليه وسلم قال اسلم مولى عمر ره فلم ار باكيا اكثر من يومئذ • وتوفي بلال سنة سبع عشرة او ثماني
عشرة او عشرين بداريا بباب كيسان وله بضع وستون سنة • وقيل دفن بحلب • وقيل بدمشق
وعمرو بن ام مكتوم القرشي الاعمى وهاجر الى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم واذن له
عليه السلم بقبا سعد بن عائذ او ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظ وبالقرظي
مولى عمار بقي الى ولاية الحجاج الى الحجاز وذلك سنة اربع وسبعين وبمكة ابو محذورة
واسمه اوس الجمحي المكي ابوه معير بكسر الميم وسكون المهملة وفتح التحتية مات بمكة سنة تسع و
خمسين • وقيل تاخر بعد ذلك • وكان يرجع الاذان ويثني الاقامة • وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة
فاخذ الشافعي باذان بلال • واهل مكة اخذوا باذان ابي محذورة واقامة بلال • واخذ ابو حنيفة
واهل العراق باذان بلال واقامة ابي محذوره • واخذ احمد واهل المدينة باذان بلال واقامته •
وخالفهم مالك في موضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة واما شعراؤه
عليه الصلوة والسلام فكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الخزرجي الانصاري وحسان بن ثابت
ابن المنذر بن عمرو بن حرام الانصاري • دعا له عليه السلام فقال اللهم ايده بروح القدس فيقال
اعانه جبريل بسبعين بيتا • وفي الحديث ان جبريل مع حسان ما نافح عني وهو بالحاء المهملة
اي دافع والمراد هجا المشركين ومجاوبتهم على اشعارهم وعاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية
وستين في الاسلام • وكذا عاش ابوه ثابت وجده المنذر وجد ابيه حرام كل واحد منهم مائة و
عشرين سنة • وتوفي حسان سنة اربع وخمسين • ولما جاءه عليه السلام بنو تميم وشاعرهم
الاقرع بن حابس فنادوه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين
فلم يزد عليه السلام على ان قال ذلك الله اذا امتدح زان او ذم شان اني لم ابعث بالشعر
ولم اومر بالفخر ولكن هاتوا فامر عليه السلام ثابت بن قيس ان يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم • فقام الاقرع
ابن حابس شاعرهم فقال • اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا • اذا خالفونا عند ذكر المكارم •

وانا رؤس الناس من كل معشر • وان ليس في ارض الحجاز كدارم • فامر النبي صلى الله عليه وسلم حسانا
يجيبهم فقام فقال • بني دارم لا تفخروا ان فخركم • يعود وبالا عند ذكر المكارم • هبلتم
علينا تفخرون وانتم • لنا خول ما بين قن وخادم • وكان اول من اسلم شاعرهم • وكان اشد
على الكفار حسانا وكعبا • ولما رجع عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد همدان وعليهم مقطعات
الحبرات والعمائم العدنية جعل مالك النمط يرتجز بين يديه عليه السلام • وكان خطيبه عليه السلام
ثابت بن قيس بن شماس بمعجمة وميم مشددة واخره مهملة وهو خزرجي شهد له النبي صلى الله
عليه وسلم بالجنة • وكان خطيبه وخطيب الانصار • واستشهد يوم اليمامة سنة اثني عشرة و
كان يحدو بين يديه عليه السلام في الشعر عبد الله بن رواحة كما في الترمذي في الشمائل عن
انس انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول •
خلوا بني الكفار عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله • ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل
الخليل عن خليله • وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية • والله اعلم وعامر بن الاكوع
بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الواو والعين المهملة وهو عم سلمة بن الاكوع واستشهد يوم خيبر و
مرت قصته في غزوتها • وانجشة العبد الاسود وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين
المعجمة وكان حسن الحداء • قال انس كان البراء بن مالك يحدو بالرجال وانجشة يحدو بالنساء وكان
يحدو وينشد القريض والرجز فقال له عليه السلم كما في رواية البراء بن مالك رويدك رفقا بالقوارير
اي النساء • فشبههن بالقوارير من الزجاج لانها يسرع اليها الكسر فلم يامن عليه السلام ان يصيبهن
او يقع في قلوبهن حداؤه فامره بالكف عن ذلك • وفي المثل الغناء رقية الزنا • وقيل اراد ان الابل
اذا سمعت الحداء اسرعت في المشي واشتدت فازعجت الراكب واتعبته فنهاه عن ذلك لان النساء
يضعفن عن شدة الحركة

الفصل الثامن

في الات حروبه عليه السلام كدروعه وقواسه
ومنطقته واتراسه اما اسيافه صلى الله عليه وسلم فكان له تسعة اسياف مأثور وهو اول
ملكه عليه السلام وهو الذي يقال انه قدم الى المدينة في الهجرة والعضب ارسله اليه سعد
ابن عبادة حين سار الى بدر وذو الفقار لانه كان في وسطه مثل فقرات الظهر وجوز
في فائه الفتح والكسر وصار اليه يوم بدر وكان للعاصي بن منبه • وكان هذا السيف لا يفارقه
صلى الله عليه وسلم يكون معه في كل حرب يشهد • وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذوابته وبكراته
ونعله من فضة والقلعي بضم القاف وفتح اللام وهو الذي اصاب من قلع موضع بالبادية
والبتار اي القاطع والحتف وهو الموت والمخذم وهو القاطع والرسوب
اي يمضي في الضريبة ويغيب فيها وهو فعول من رسب يرسب اي ذهب الى اسفل واذا ثبت اصابها
من الفلس بضم الفاء واسكان اللام صنم كان لطي والقضيب واما ادراعه فسبعة
ذات الفضول بالضاد المعجمة لطولها ارسل اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وكانت من حديد

كانت رهنها عند ابي الشحم اليهودي على شعير وكان ثلثين اصوع • وكان الدين الى سنة
وذات الوشاح وذات الحواشي والسغدية ويقال بالعين المهملة وهي درع عكبر القينقاعي • قيل
وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت وفضة وكان قد اصابها من بني
قينقاع والبتري لقصرها والخرنق باسم ولد الارنب • وكان له عليه السلام يوم
احد درعان • ذات الفضول وفضة • وكان له عليه السلام يوم خيبر درعان ذات الفضول والسغدية
واما اقواسه عليه السلام فكانت ستة الزوراء وثلث من سلاح بني قينقاع قوس
تدعى الصفراء وشوحط والكتوم كسرت يوم احد • فاخذها قتادة والسداد • وكانت له
جعبة تدعى الكافور • وكانت له منطقة من اديم فيها ثلث حلق من فضة والابزيم من فضة والطرف
من فضة واما اتراسه فكان عليه السلام ترس اسمه الزلوق يزلق عنه السلاح وترس
يقال له الفتق • وترس اهدي له فيه صورة تمثال عقاب او كبش فوضع يده عليه فاذهب الله
ذلك التمثال واما ارماحه عليه السلام فالمثوى قال ابن الاثير سمي به لانه يثبت
المطعون به من الثوى وهو الاقامة • انتهى • والمثني ورمحان اخران • وكانت له عليه السلام حربة كبيرة
اسمها البيضاء • وكانت له عليه السلام حربة اخرى صغيرة دون الرمح شبه العكازة يقال لها
العنزة • وكانت تركز امامه ويصلي اليها • وكان له عليه السلام فسطاط يسمى الكن • وكان له
عليه السلام مغفر من حديد يسمى السبوغ او ذا السبوغ • واخر يسمى الموشح • وكان له محجن
قدر ذراع او اكثر يمشي ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره • وكانت له مخصرة تسمى العرجون
وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق • وكان له قدح يسمى الريان • واخر يسمى مغيثا • وقدح مضبب
بسلسلة من فضة في ثلث مواضع • واخر من عيدان • واخر من زجاج • وتور من حجارة يسمى المخضب
وركوة تسمى الصادرة • ومخضب من نحاس • ومغتسل من صفر • ومدهن • وربعة اسكندرانية
يجعل فيها المراة • ومشط من عاج وهو الذبل • والمكحلة يكتحل منها عند النوم ثلثا في كل عين • وكان في
الربعة ايضا المقراض والسواك • وهذه الربعة اهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية ام ابراهيم
عليه السلم • وكانت له قصعة تسمى الغراء باربع حلق • وصاع • ومد • وقطيفة • وسرير قوائمه
من ساج • وفراش من ادم حشوه ليف • وخاتم من حديد ملوي بفضة • وخاتم فضة فصه منه
يجعله في يمينه • وقيل كان اولا في يمينه ثم حوله الى يساره • منقوش عليه محمد رسول الله • واهدى له النجاشي
خفين ساذجين فلبسهما • وكان له ثلث جباب يلبسهن في الحرب • وجبة سندس اخضر • وجبة
طيالسة • وعمامة يقال لها السحاب • واخرى سوداء • ورداء • صلوات الله عليه وسلامه

الفصل التاسع في ذكر خيله عليه الصلوة والسلام ولقاحه ودوابه

اما خيله عليه السلام • فالسكب يقال فرس سكب اي كثير الجري كانما يصب جريه صبا واصله من سكب
الماء يسكبه • وهو اول فرس ملكه • اشتراه عليه الصلوة والسلام بعشرة اواق • وكان اغر محجلا

طلق اليمين كميتا • قال ابن الاثير كان ادهم والمرتجز بضم الميم وسكون الراء وفتح التاء وكسر الجيم
بعدها اي سمي به لحسن صهيله ماخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر • وكان ابيض وهو
الذي شهد له خزيمة بن ثابت فيه • فجعل شهادته شهادة رجلين والظرب بالظاء المعجمة
اخره موحدة واحد الظراب سمي به لكبره وسمنه • وقيل لقوته وصلابة حافره اهداه له فروة
بن عمرو الجذامي واللحيف بالمهملة اهداه له ربيعة بن البراء • سمي به لسمنه وكبره كانه
يلحف الارض اي يغطيها بذنبه لطوله • فعيل بمعنى فاعل • يقال لحفت الرجل باللحاف طرحته عليه
• ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة رواه البخاري ولم يحققه • والمعروف بالحاء المهملة • قاله في النهاية
واللزاز سمي به لشدة تلززه واجتماع خلقه • ولزبه الشيء اي لزق به كانه يلتزق بالمطلوب لسرعته
وهذه اهداها له المقوقس والورد قال ابن سعد اهداه له تميم الداري فاعطاه عمر رضي الله عنه
فحمل عليه في سبيل الله فوجده يباع برخص وسبحة بالموحدة من قولهم فرس سابح اذا كان حسن
مد اليدين في الجري • قال ابن بنين هي فرس شقراء اشتراها من اعرابي من جهينة بعشر من الابل فهذه
سبعة متفق عليها • وذكر ابن بنين فيما حكاه الحافظ الدمياطي البحر في خيله عليه السلام
قال وكان اشتراه من تجر قدموا المدينة فسبق عليه مرات فجثا صلى الله عليه وسلم على ركبتيه و
مسح وجهه وقال ما انت الا بحر فسمي بحرا قال ابن الاثير وكان كميتا والسجل بكسر السين
المهملة وسكون الجيم • ذكره علي بن محمد بن الحسين بن عبد القدوس الكوفي • ولعله ماخوذ من قوله
سجلت الماء فانسجل اي صببته فانصب وذو اللمة بكسر اللام وتشديد الميم • ذكره ابن حبيب
وذو العقال بضم العين المهملة وتشديد القاف • وحكى بعضهم تخفيفها والسرحان بكسر السين
المهملة وسكون الراء • ذكره ابن خالويه والطرف بكسر الطاء المهملة وسكون الراء بعدها فاء
ذكره ابن قتيبة في المعارف • وذكر في رواية انه هو الذي اشتراه من الاعرابي وشهد له فيه خزيمة
ابن ثابت والمرتجل بكسر الجيم • ذكره ابن خالويه • من قولهم ارتجل الفرس ارتجالا اذا خلط
العنق بشيء من الهملجة والمراوح بكسر الميم من ابنية المبالغة كالمطعام مشتق من الريح
لسرعته او من الرواح لتوسعه في الجري اهداه له قوم من مذحج ذكره ابن سعد وملاوح
بضم الميم وكسر الواو • ذكره ابن خالويه والمندوب ذكره بعضهم في خيله صلى الله عليه وسلم
والنجيب ذكره ابن قتيبة • وان في رواية انه الذي اشتراه من الاعرابي وشهد له خزيمة واليعبوب
والنعبوب ذكرهما قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل وكان له عليه السلام من البغال
دلدل بدلالين مضمومتين وكانت شهباء اهداها له المقوقس وفضة اهداها له فروة بن
عمرو الجذامي واخرى اهداها له يوحنا صاحب ايلة وكانت بيضاء • رواه البخاري في كتاب الجزية
والمودعة بعد الجهاد واخرى من دومة الجندل واخرى من عند النجاشي • قيل واهدى له كسرى
بغلة اخرى • وفي ذلك نظر لان كسرى مزق كتابه صلى الله عليه وسلم وكان له عليه السلام

من الحمير عفر اهداه له المقوقس ويعفور اهداه له فروة بن عمرو وبقال هما واحد • وذكر ان سعد
ابن عبادة اعطى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه وكان له عليه السلام من اللقاح القصوى
وهي التي هاجر عليها والعضبا والجدعا ولم يكن عضبا ولا جدعا وانما سميت بذلك • وقيل كان باذنها
عضب • وقيل العضبا والجدعا واحدة فجاء اعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال
عليه السلام انه حقا على الله ان لا يرفع شيئا الا وضعه وغنم عليه السلام يوم بدر جملا في انفه برة
من فضة فاهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين • وكانت خمسة واربعون لقحة ارسلها اليه
سعد بن عبادة منها • الحلال والطراق • وبردة • وبركة • والبغوم • والحنا • ومرزة • والريا •
والسعدية • وسقيا • والشمر • والشقرا • وعجرة • والعريس • وغوثة • وقيل غيثة • وقمر • ومروة
ومهرة • وورشة • والعبيدة وكانت له مائة شاة وكانت له ستة اعنز منايح
ترعاهن ام ايمن

الفصل العاشر

في ذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم

وزاده فضلا وشرفا • قال النووي الوفد الجماعة المختارة في لقي العظماء واحدهم وافد
وكان ابتداء الوفود عليه بعد رجوعه عليه السلام من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها • وقال ابن
اسحق بعد غزوة تبوك • وقال ابن هشام كانت سنة تسع سنة الوفود • وقد سرد محمد بن سعد في
الطبقات الوفود • وتبعه الدمياطي في السيرة له وابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ زين العراقي
ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين فقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن كما ذكره البخاري
وغيره • وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطايف في
شوال الى الجعرانة وفيها السبي يعني سبي هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر
من اشرافهم فاسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا يا رسول الله ان فيمن اصبتم الامهات والاخوات والعمات
والخالات فقال سا طلب لكم وقد وقعت المقاسم فاي الامرين احب اليكم السبي ام المال قالوا
خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال فالحسب احب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير • فقال اما الذي
لبني هاشم فهو لكم وسوف اكلم لكم المسلمين فكلموهم واظهروا اسلامكم • فلما صلى رسول الله صلى الله عليه و
سلم الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فابلغوا ورغبوا الى المسلمين في رد سبيهم • ثم قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين عليه • وقال قد رددت الذي لبني هاشم عليهم
وفي رواية ابن اسحق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وادركه وفد هوازن بالجعرانة وقد اسلموا
فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك
وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله ان اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك
اللاتي كن يكفلنك وانت خير مكفول ثم انشد • امنن علينا رسول الله في كرم • فانك المرء
نرجوه وننتظر • الابيات المشهورة الآتية ان شاء الله تعالى • وروينا في المعجم الصغير للطبراني
من حديث ثابت عن زهير بن صرد الجشمي يقول لما اسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوازن

وذهب يفرق السبي والشاء اتيته فانشأت اقول هذا الشعر
امنن علينا رسول الله في كرم • فانك المرء نرجوه وننتظر • امنن على بيضة قد عاقها قدر • ممزق
مشتت شملها في دهرها غير • ابقت لنا الدهر هتافا على حزن • على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها • يا ارجح الناس حلما حين يختبر • امنن على نسوة قد كنت ترضعها
اذ فوك تملؤه من محضها الدرر • اذ انت طفل صغير كنت ترضعها • واذ يزينك ما تأتي
وما تذر • لا تجعلنا كمن شالت نعامته • واستبق منا فانا معشر زهر • انا لنشكر للنعماء
اذ كفرت • وعندنا بعد هذا اليوم مدخر • فالبس العفو من قد كنت ترضعه • من امهاتك
ان العفو مشتهر • يا خير من مرحت كمت الجياد به • عند الهياج اذا ما استوقد الشرر •
انا نؤمل عفوا منك تلبسه • هادي البرية اذ تعفو وتنتصر • فاعفو عفا الله عما انت راهبه
يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر • قال فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان
لي ولبني المطلب فهو لكم • وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله • وقالت الانصار ما كان لنا
فهو لله ولرسوله • وبين الطبراني وزهير لا يعرف لكن يقوي حديثه بالمتابعة المذكورة فهو
حديث حسن • وقد وهم من زعم انه منقطع • وقد زاد الطبراني على ما اورد ابن اسحق خمسة ابيات
وذكر الواقدي ان وفد هوازن كانوا اربعة وعشرين بيتا فيهم ابو برقان السعدي فقال يا رسول الله
ان هذه الحظائر لامهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا من الله عليك
فقال قد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت السبي
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف بعد قدومه عليه السلام من تبوك وكان من امرهم انه صلى الله
عليه وسلم لما انصرف من الطايف قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف قال اللهم اهد ثقيفا وائت
بهم • ولما انصرف عنهم اتبع اثره عروة بن مسعود ادركه قبل ان يدخل المدينة فاسلم وسأله ان يرجع
الى قومه بالاسلام فلما اشرف على علية له وقد دعاهم الى الاسلام واظهر لهم دينه رموه بالنبل
من كل وجه فاصابه سهم فقتله • ثم اقامت ثقيف بعد قتله اشهرا • ثم انهم ائتمروا بينهم
وراوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا واسلموا • واجمعوا ان يرسلوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبعثوا عبد ياليل بن عمرو ومعه اثنان من الاحلاف الحكم بن عمرو ومعتب بن مالك
وشرحبيل بن غيلان وثلثة من بني مالك عثمان بن ابي العاص واوس بن عوف ونمير بن خرشة فلما قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد • وكان خالد بن سعيد بن العاص هو
الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا واكتتبوا كتابهم وكان خالد هو الذي كتبه
وكان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلث سنين فابى
عليهم عليه السلام الا ان يبعث ابا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها وكانوا سألوه مع ذلك
ان يعفيهم من الصلوة وان لا يكسروا اوثانهم بايديهم فقال عليه السلام كسروا اوثانكم بايديكم

وَأَمَّا الصَّلَوٰةُ فلا خير في دين لا صلوة فيه • فلما اسلموا وكتب لهم الكتاب امّر عليهم عثمان بن العاص
وكان من احدثهم سنًّا لكن من احرصهم على التفقّه في الاسلام وتعلّم القرآن فرجعوا الى بلادهم ومعهم ابو
سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة لهدم الطاغية فلما دخل المغيرة عليها علاها يضربها بالمعول
وخرج نساء ثقيف حسّرًا يبكين عليها • واخذ المغيرة بعد ان كسرها مالها وحليها
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله والى المؤمنين انّ
عضاه وجّ وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل شيئًا من ذلك فانه يجلد وينزع ثيابه فان تعدّى
ذلك فانه يؤخذ فيبلغ النبي محمد وان هذا امر النبي محمد رسول الله • فكتب خالد بن سعيد بامر
محمد بن عبد الله فلا يتعدّاه احد فيظلم نفسه فيما امر به محمد رسول الله • ووجّ واديا الطايف و
اختلف فيه هل هو حرم يحرم صيده وقطع شجره • فالجمهور انه ليس في البقاع حرم الا حرم مكة و
المدينة وخالفهم ابو حنيفة في حرم المدينة • وقال الشافعي في احد قوليه وجّ حرم يحرم صيده
وشجره • واحتج لهذا القول بحديثين احدهما ما تقدم • والثاني حديث عروة بن الزبير عن ابيه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وجّ وعضاهه حرم محرّم لله • رواه الامام احمد وابو داود • ولكن
في سماع عروة من ابيه نظر وان كان قد رآه • وفي مغازي المعتمر بن سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن
الطايفي عن عمه بن اوس عن عثمان بن ابي العاص قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اصغر
الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف • وذلك اني كنت قرأت سورة البقرة فقلت يا رسول الله
ان القرآن يتفلّت مني فوضع يده على صدري وقال يا شيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا
بعده اريد حفظه • وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال
بيني وبين صلوتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوّذ بالله واتفل
على يسارك ثلثا قال ففعلت فاذهبه الله عني

وقدوم وفد بني عامر عليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحق لما فرغ عليه السلام من تبوك واسلمت ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود العرب من كل
وجه فدخلوا في دين الله افواجا يضربون اليه من كل وجه • فوفد عليه عليه السلام بنو عامر بن الطفيل
واربد بن قيس وخالد بن جعفر وحيان بن اسلم بن مالك • وكان هؤلاء النفر رؤساء القوم وشياطينهم
فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد ان يغدر به فقال لاربد
اذا اقدمنا على الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف • فكلم عامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله لاملانّها عليك خيلا ورجالا • فلما ولى قال عليه السلام اللهم
اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجوا قال عامر لاربد ويحك اين ما كنت امرتك به فقال والله ما هممت
بالذي امرتني به الا دخلت بيني وبينه أفأضربك بالسيف • ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله على
عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله • وفي صحيح البخاري ان عامرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اخيّرك بين ثلث خصال يكون لك اهل السهل ولي اهل المدر او اكون خليفتك من بعدك

او اغزوك

او اغزوك بغطفان بالف اشقر والف شقراء فطعن في بيت امرءة فقال أغدّة كغدّة البكر في
بيت امرءة من بني فلان ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه

وقدوم وفد عبد القيس

عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه • وهم قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون الى عبد القيس بن
افصى بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن اعمى بن دعمي بضم الدال وسكون العين المهملة وكسر الميم بعدها
تحتانية • وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قدوم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا رسول الله انّ بيننا
وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل نأخذ به و
نامر به من وراءنا وندخل به الجنة قال آمركم باربع وانهاكم عن اربع آمركم بالايمان بالله وحده
اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله • واقام الصلوة وايتاء
الزكوة • وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس • وانهاكم عن اربع عن الدبّاء والحنتم والنقير
والمزفّت فاحفظوهن وادعوا اليهن من وراءكم • قال ابن القيم في هذه القصة ان الايمان بالله
مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم
كلهم ذكره الشافعي في المبسوط وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة ولم يعدّ الحج من هذه
وكان قدومهم في سنة تسع • وهذا احد ما يحتج به على ان الحج لم يكن فرض بعد وانه انما فرض بالعاشرة
ولو كان فرض لعدّه من الايمان كما عدّ الصوم والزكوة • انتهى • وقد كان لعبد القيس وفادتان احديهما
قبل الفتح ولهذا قالوا له عليه السلام حال ما بيننا وبينك كفار مضر • وكان ذلك قديما اما في سنة خمس
او قبلها وكانت قريتهم بالبحرين • وكان عدد الوفد الاول ثلثة عشر رجلا • وقيل كانوا اربعة عشر
راكبا وفيها سألوه عن الايمان والاشربة وكان فيهم الاشجّ • وكان كبيرهم • وقال له عليه السلام ان
فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناءة • رواه مسلم من حديث ابي سعيد • واخرج البيهقي بينما النبي
صلى الله عليه وسلم يحدّث اصحابه قال سيطلع عليكم ركب هم خير اهل المشرق فقام عمر نحوهم فلقي ثلثة
عشر راكبا فبشّرهم بقوله عليه السلام ثم مشى معهم حتى اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرموا بانفسهم عن
ركائبهم فاخذوا يده فقبّلوها • الحديث • واخرجه البخاري في الادب المفرد • فيمكن احد المذكورين غير راكب
او مردفا • وثانيهما كانت في سنة الوفود • وكان عددهم حينئذ اربعين رجلا كما في حديث ابي خيرة
الصباحي عند ابن منده • ويؤيد التعدد ما اخرجه من وجه آخر انه عليه السلام قال لهم ما لي ارى الوانكم
تغيّرت ففيه اشعار بانه كان رآهم قبل التغيّر • وفي قولهم يا رسول الله دليل على انهم كانوا حين المقالة مسلمين
وكذا في قولهم كفار مضر وقولهم الله ورسوله اعلم • ويدل على سبقهم الى الاسلام ايضا ما في البخاري انّ
اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين وهي
قريتهم وانما جمعوا بعد رجوع وفدهم اليهم • وقال في فتح الباري فدلّ على انهم سبقوا جميع القرى الى الاسلام
وما جزم به ابن القيم فانه السبب كونه لم يذكر الحج في الحديث لانه لم يكن فرض بعد هو المعتمد • وقد تقدم

الدليل على قدم اسلامهم لكن جزمه تبعا للواقدي بان قدومهم كان في سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد لان فرض الحج كان سنة ست على الاصح • ولكنه اختار كغيره ان فرض الحج في السنة العاشرة حتى لا يرد على مذهبه انه على الفور انتهى • وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بان فرض الحج بعد الهجرة • وانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج في سنة ثمان وفي سنة تسع ولم يحج الا في سنة عشر • وسياتي في حجة عليه السلام من مقصد عباداته مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فان قلت كيف قال اربع والمذكورات خمس

اجاب القاضي عبد الوهاب تبعا لابن بطال بان الاربع ما عدا اداء الخمس • قال وكانه اراد اعلامهم بقواعد الايمان وفروض الاعيان • ثم اعلمهم بما يلزمهم باخراجه اذا وقع لهم جهاد لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر ولم يقصد الى ذكرها بعينها لانها مسببة عن الجهاد ولم يكن الجهاد اذ ذاك فرض عين • قال ولذا لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض • وقال غيره قوله وان تعطوا معطوف على قوله باربع اي امركم باربع وان تعطوا ويدل عليه العدول عن سياق الاربع • والاتيان بان والفعل مع توجه الخطاب اليهم • وقال القاضي ابو بكر بن العربي يحتمل ان يقال انه عليه السلام عد الصلوة والزكوة واحدة لانها قرينتها في كتاب الله وتكون الرابعة اداء الخمس او انه لم يعد من الاربع الخمس لانه داخل في عموم الزكوة والجامع انه اخراج مال معين • وقال البيضاوي الظاهر ان الامور الخمسة هنا تفسير للايمان • وهو احد الاربعة الموعود بذكرها و الثلاثة الاخرى حذفها الراوي اختصارا او نسيانا • وتعقب بانه وقع في صحيح البخاري ايضا في رواية امركم باربعة شهادة ان لا اله الا الله وعقد واحدة فدل على ان الشهادة احدى الاربع • وقال القرطبي قيل ان اول الاربع المامور بها اقام الصلوة • وانما ذكر الشهادتين تبركا • والى هذا نحا الطيبي فقال عادة البلغاء ان الكلام اذا كان منصبا لغرض جعلوا سياقه وطرحوا ما عداه • وهنا لم يكن الغرض في الايراد ذكر الشهادتين لان القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادتين ولكن ربما كانوا يظنون ان الايمان مقصور عليهما كما كان الامر في صدر الاسلام قال ولهذا لم يعد الشهادتين في الاوامر • انتهى ملخصا من فتح الباري

وقدم عليه الصلوة والسلام وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب فكان منزلهم في دار امرءة من الانصار من بني النجار • فاتوا بمسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستر بالثياب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه في يده عسيب من سعف النخل فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما اعطيتكه • وذكر حديثه ابن اسحق على غير ذلك فقال حدثني شيخ من اهل اليمامة من بني حنيفة ان وفد بني حنيفة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما اسلموا ذكروا له مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما امر به للقوم وقال لهم انه ليس بشركم مكانا يعني لحفظه ضيعة اصحابه • ثم انصرفوا فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ • وقال اني اشركت في الامر معه ثم جعل يسجع السجعات • فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن • لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة

تسعى

تسعى من بين صفاق وحشا • وسجع اللعين على سورة انا اعطيناك الكوثر • فقال انا اعطيناك الجواهر • فصل لربك وهاجر • ان مبغضك رجل كافر • وفي رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر • واحذر ان تحرص او تكاثر • وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر • ولم يعرف المخذول انه محروم عن المطلوب • وسياتي في اوائل المقصد معجزاته عليه السلام من تسجيع مسيلمة الركيك مزيد على ما ذكرته هنا ان شاء الله تعالى • وقيل انه ادخل البيضة في القارورة • وادعى انها معجزة له فافتضح بنحو ما ذكر ان النوشادر اذا ضرب في الخل الخمر ضربا جيدا وجعلت فيه بيضة بات يومها يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فتجعل في القارورة ويصب عليها الماء البارد فانها تجمد • ولما سمع اللعين ان النبي صلى الله عليه وسلم مج في بئر فكثر ماؤها • وتفل في عين علي رضي الله عنه وكان ارمد فبرئ • فتفل اللعين في بئر فغار ماؤها • وفي عين بصير فعمي • ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها • ويبس ضرعها • ولله در الشقراطيسي حيث يقول يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

اعجزت بالوحي ارباب البلاغة في • عصر البيان فضلت اوجه الحيل •
سألتهم سورة في مثل حكمته • فتلهم عنه حين العجز حين تلي •
فرام رجس كذوب ان يعارضه • بغي عي فلم يحسن ولم يطل •
مسيلم بركيك الافك ملتبس • ملجلج بزري الرقن والخطل •
يمج اول حرف من سامعه • ويعتريه كلال العجز والملل •
كانه منطق الورهاء شد به • لبس من الخبل او مس من الخبل •
امرت البئر واغورت لمجته • فيها وعمي بصير العين بالتفل •
وايبس الضرع منه شوم راحته • من بعد ارسال رسل منه منهمل •

فشبه هذا الكلام نارض به كلمة بكلام امرءة ورهاء وهي الحمقاء التي تتكلم لحمقها بما لا يفهم في هذي بكلام منشرب اي مختلط لا يناسب بعضه ببعض ولا يشبه بعضه بعضا الكلام منه خبل بسكون الباء الموحدة اي فساد او مس من الخبل بفتحها اي جنون • ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلوة واحل لهم الخمر وهو مع ذلك يشهد لرسول الله انه نبي • وقد كان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد اشركت معك في الامر وان لنا نصف الامر ولقريش نصف الامر • فقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسوله بهذا الكتاب فكتب اليه صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى • اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين • وفي الصحيحين من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ان جعل لي محمد الامر من بعده ما اتبعته • وقدمها في بشر كثير من قومه فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في اصحابه فقال ان سألتني هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو امر الله فيك ولئن ادبرت ليعقرنك الله واني لاراك الذي اريت فيه ما رايت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني • ثم انصرف • قال ابن عباس فسألت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انك الذي اريت فيه ما رايت فاخبرني

ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رايت في يدي سوارين من ذهب فاهمني شانهما فاوحي
الله الي في المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي فهذان هما
احدهما العنسي والاخر مسيلمة **فان قلت** كيف يلتئم خبر ابن اسحق مع الحديث الصحيح ان
النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وخاطبه وصرح بحضرة قومه انه لو سأله القصعة الجريدة لما اعطاه
الجواب ان المصير الى ما في الصحيح اولى ويحتمل ان يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان
تابعا وكان رئيس بني حنيفة غيره ولهذا اقام في حفظ رحالهم ومرة متبوعا وفيها خاطبه
النبي صلى الله عليه وسلم او القصة واحدة وكانت اقامته في رحالهم باختياره انفة منه و
استكبارا ان يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعامله عليه السلام معاملة الكرم على عادته في الاستئلاف
فقال للقوم انه ليس بشركم اي مكانا لكونه كان يحفظ رحالهم واراد استئلافه بالاحسان بالقول
والفعل فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه اليه ليقيم عليه الحجة ويعذر اليه بالانذار والعلم
عند الله سبحانه وتعالى   وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم
زيد الخيل وهو سيدهم فعرض عليهم الاسلام فاسلموا وحسن اسلامهم وقال عليه السلام ما ذكر لي رجل
من العرب بفضل ثم جاءني الا رايته دون ما يقال الا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما فيه ثم سماه زيد
الخير فخرج الى قومه فلما انتهى الى ماء من مياه نجد اصابته الحمى فمات قال ابن عبد البر وقيل
مات في اخر خلافة عمر وله ابنان مكنف وحريث اسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا
قتال اهل الردة مع خالد   وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد كندة ثمانين
او ستين راكبا من كندة فدخلوا عليه مسجده قد رجلوا جممهم وتكحلوا ولبسوا جباب الحبرات مكففة
بالحرير فلما دخلوا قال صلى الله عليه وسلم اولم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير في اعناقكم فشقوه
فنزعوه والقوه   وقدم عليه زاده الله شرفا لديه وفد الاشعريين واهل اليمن
قيل هي من عطف الخاص على العام وقال الحافظ ابو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر المراد بهم بعض اهل
اليمن وهم وفد حمير قال ووجدت في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق اياس بن عمرو الحميري
انه قدم وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من حمير فقالوا اتيناك لنتفقه في الدين الحديث
والحاصل ان الترجمة مشتملة على طائفتين وليس المراد اجتماعهما في الوفادة فان قدوم الاشعريين
كان مع ابي موسى في سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كانت في تسع وهي سنة الوفود ولهذا اجتمعوا
مع بني تميم وروى يزيد بن هرون عن حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم ارق
منكم قلوبا فقدم الاشعريون يرتجزون غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء اهل اليمن هم ارق افئدة واضعف قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية
السكينة في اهل الغنم والفخر والخيلاء في الفدادين اهل الوبر قبل مطلع الشمس رواه مسلم وفي البخاري ان
نفرا من بني تميم جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء نفر من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد
قبلنا ثم قالوا يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن هذا الامر فقال كان الله ولم
يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وقوله وجاء نفر من اهل اليمن هم
الاشعريون قوم ابي موسى   وقدم عليه صلوات الله عليه صرد بن عبد الله الازدي
فاسلم وحسن اسلامه في وفد من الازد فامره عليه السلام على من اسلم من قومه وامره ان يجاهد بمن اسلم
اهل الشرك من قبائل اليمن فخرج صرد يسير بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بجرش وبها قبائل من
قبائل العرب فحاصرهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها فرجع عنهم قافلا حتى اذا كان في جبل لهم و
تحاصرهم
ظنوا انما ولى عنهم منهزما خرجوا في طلبه حتى ادركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وكانوا اهل
جرش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين منهم فبينما هما عنده عليه السلام عشية فقال عليه
السلام لهما ان بدن الله لتنحر عند شكر اي المكان الذي وقع به قتل قومهم فجلس الرجلان
الى ابي بكر وعثمان فقالا لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما فخرجا الى قومهما فوجداهم
قد اصيبوا في اليوم الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ما قال في الساعة التي ذكر فيها ما ذكر
فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله عليه فاسلموا وحمى لهم حول قريتهم
وفد بني الحارث بن كعب   قال ابن اسحق بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد في شهر ربيع الاخر او جمادى الاولى سنة عشر الى بني الحارث بن كعب بنجران وامره
ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلثا فان استجابوا فاقبل وان لم يفعلوا فقاتلهم
فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون
ايها الناس اسلموا تسلموا فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام خالد يعلمهم الاسلام وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم اقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه وفدهم منهم
قيس بن الحصين ويزيد بن المحجل وشداد بن عبد الله وقال لهم عليه الصلوة والسلام بم كنتم تغلبون
من قاتلكم قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ احدا بظلم قال صدقتم وامر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا
الى قومهم في بقية من شوال او من ذي القعدة فلم يمكثوا الا اربعة اشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم   وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد همدان فيهم مالك بن النمط وضمام بن مالك
وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات و
العمائم العدنية على الرواحل المهرية والارحبية ومالك بن النمط يرتجز بين يديه صلى الله عليه
وسلم وذكر له كلاما كثيرا حسنا فصيحا فكتب لهم عليه السلام كتابا اقطعهم فيه ما سألوه وامر عليهم
مالك بن النمط واستعمله على من اسلم من قومه وامره بقتال ثقيف وكان لا يخرج لهم سرح الا اغاروا عليه
وروى البيهقي باسناد صحيح عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اهل اليمن
يدعوهم الى الاسلام قال البراء فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فاقمنا ستة اشهر يدعوهم الى الاسلام

فلم يجيبوا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب فامره ان يقفل خالدا الا رجلا ممن كان
مع خالد ان يعقب مع علي فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحدا
ثم تقدم بين ايدينا وقرء عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب علي رضي الله عنه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرء رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم
رفع رأسه فقال السلام على همدان السلام على همدان • واصل الحديث في صحيح البخاري • وهذا اصح
مما تقدم ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا ولا تغير على سرحهم فان همدان باليمن وثقيفا بالطائف قاله
ابن القيم في الهدي النبوي — وفد مزينة — روى البيهقي عن النعمان بن مقرن قال قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعمائة رجل من مزينة • فلما اردنا ان ننصرف قال يا عمر زود القوم
قال ما عندي الا شيء من تمر ما اظنه يقع من القوم موقعا • قال انطلق فزودهم • قال فانطلق بهم عمر
فادخلهم منزله ثم اصعدهم على علية فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم
قال النعمان وكنت في آخر من خرج فنظرت وما افقد موضع تمرة من مكانها — وفد دوس
وكان قدومهم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر • قال ابن اسحق كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث انه قدم مكة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا
له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا فرق جماعتنا وشتت امرنا • وانما قوله كالسحر
يفرق بين المرء وابيه • وبين المرء واخيه • وبين الرجل وزوجه • وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل
علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه • قال فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت ان لا اسمع منه شيئا ولا اكلمه
حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من ان يبلغني شيء من قوله قال فغدوت الى المسجد
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فابى الله الا ان يسمعني بعض
قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل اماه والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني
ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت • قال فمكثت حتى
انصرف الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته قلت يا محمد ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله
ما برحوا يخوفونني امرك حتى سددت اذني بكرسف ان لا اسمع قولك ثم ابى الله الا ان يسمعنيه فسمعت
قولا حسنا فاعرض علي امرك فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا علي القرآن فلا والله
ما سمعت قولا قط احسن منه ولا امرا اعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله
اني امرء مطاع في قومي واني راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي آية قال فخرجت الى قومي حتى
اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح قال فقلت اللهم في غير وجهي اني اخشى
ان يقولوا انها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم • قال فتحول فوقع في رأس سوطي كالقنديل المعلق وانا
اهبط اليهم من الثنية حتى جئتهم واصبحت فيهم فلما نزلت اتاني ابي وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عني يا ابت فلست
مني ولست منك قال لم يا بني قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد قال اي بني فديني دينك قال فقلت فاذهب

فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى اعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت
عليه الاسلام فاسلم ثم اتتني صاحبتي فقلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قالت لم قلت
فرق الاسلام بيني وبينك اسلمت وتابعت محمدا عليه الصلوة والسلام قالت فديني دينك فاسلمت
ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا علي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله انه قد غلبني
على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق
بهم فرجعت اليهم فلم ازل بارض دوس ادعوهم الى الله ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر
المدينة بسبعين او ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لنا مع المسلمين
وهذا يدل على تقدم اسلامه • وقد جزم ابن ابي حاتم بانه قدم مع ابي هريرة بخيبر • وكانها قدمته الثانية
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران فلما دخلوا المسجد النبوي بعد
العصر حانت صلوتهم فقاموا يصلون فيه فاراد الناس منعهم فقال عليه السلام دعوهم فاستقبلوا
المشرق فصلوا صلوتهم وكانوا ستين راكبا منهم اربعة وعشرون رجلا من اشرافهم • والاربعة والعشرون
منهم ثلثة نفر اليهم يؤول امرهم • العاقب امير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم • واسمه عبد المسيح • والسيد
صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم بتحتانية ساكنة • ويقال شرحبيل • وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن
وائل قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من اهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وكان
يعرف امر النبي صلى الله عليه وسلم وشأنه وصفته مما علمه من الكتب المتقدمة ولكن حمله جهله على الاستمرار
في النصرانية لما يرى من تعظيمهم ووجاهته عند اهلها • فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وتلا
عليهم القرآن فامتنعوا فقال ان انكرتم ما اقول فهلم اباهلكم • وفي البخاري من حديث حذيفة جاء السيد
والعاقب صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعناه يعني يباهلاه • فقال احدهما
لصاحبه لا تفعل • وعند ابي نعيم ان القائل لذلك هو السيد • وعند غيره بل الذي قال ذلك هو العاقب
لانه كان صاحب رأيهم • وفي زيادات يونس بن بكير في المغازي ان الذي قال ذلك شرحبيل فوالله لئن كان
نبيا فلاعننا يعني باهلنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا • زاد في رواية ابن مسعود عند الحاكم ابدا
ثم قالا انا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا امينا ولا تبعث معنا الا امينا فقال لابعثن
معكم رجلا امينا حق امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة
ابن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا امين هذه الامة • وفي رواية يونس بن بكير انه
صالحهم على الفي حلة الف في رجب والف في صفر ومع كل حلة اوقية • وساق الكتاب الذي كتبه مطولا
وذكر ابن سعد ان السيد والعاقب رجعا بعد ذلك واسلما • وفي ذلك مشروعية مباهلة المخالف اذا اصر
بعد ظهور الحجة • وقد وقع ذلك لجماعة من العلماء سلفا وخلفا • ومما عرف بالتجربة ان من باهل وكان مبطلا
لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم فروة بن عمرو الجذامي
عامل الروم وكان قد بعث معان باسلامه واهدى له بغلة بيضاء ولما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه

حتى أخذوه فحبسوه ثم صلبوه على ماء فلسطين وضربوا عنقه على ذلك ثم رزق الشهادة

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم ضمام بن ثعلبة بعثه بنو سعد بن بكر. وروى البخاري من حديث أنس بن مالك قال بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال أيكم محمد والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ فقال الرجل ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجبتك فقال إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك فقال سل عما بدا لك. فقال أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس فقال اللهم نعم ثم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم نعم. فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر. وزاد ابن إسحق في مغازيه فقال آلله أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون فقال صلى الله عليه وسلم اللهم نعم. قال وكان ضمام رجلا جلدا أشعر ذا غديرتين. ثم أتى بعيره وأطلق عقاله حتى أتى قومه فاجتمعوا إليه وكان أول ما تكلم به أن قال بئست اللات والعزى فقالوا مه يا ضمام اتق البرص والجنون والجذام قال ويلكم إنهما لا يضران ولا ينفعان إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما. قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة

وفد طارق بن عبد الله وقومه. روى البيهقي عن جامع بن شداد قال حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله قال إني لقائم بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله قال قلت من هذا الذي يفعل هذا قالوا عمه عبد العزى قال فلما أسلم الناس وهاجر خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فإذا رجل في طمرين له فسلم وقال من أين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مخطوم فقال أتبيعون جملكم هذا قالوا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فأخذ بخطام الجمل فانطلق فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا قال تقول المرأة التي معنا والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه قطعة ليلة البدر أنا ضامنة لثمن جملكم. وفي رواية ابن إسحق قالت الظعينة فلا تلاوموا لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه فإذا أقبل رجل فقال أنا رسول رسول الله إليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا

فاكلنا

فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد إذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فإن الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وهم من السكون (بطن من كندة باليمن) ثلاثة عشر رجلا قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر النبي عليه السلام بهم وأكرم منزلتهم. وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم ثم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعونه. فأمر بلالا فأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود. قال هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنا قال أرسلوه إلينا. فلما أقبل الغلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي وإن كانوا راغبين في الإسلام والله ما أخرجني إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي. فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر لرجل من أصحابه. ثم انطلقوا راجعين إلى أهليهم. ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى سنة عشر فقال ما فعل الغلام قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها

قدوم وفد بني سعد هذيم من قضاعة. روى الواقدي عن أبي النعمان عن أبيه من بني سعد هذيم قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد الحرام فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم بايعناه صلى الله عليه وسلم على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا وقد كنا خلفنا أصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا فأتي بنا إليه فتقدم صاحبنا إليه فبايعه على الإسلام فقلنا يا رسول الله إنه أصغرنا وخادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عليك. قال فكان والله خيرنا وأقرأنا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم أمره علينا فكان يؤمنا ومرجعنا إلى قومنا فرزقهم الله الإسلام

وفد بني فزارة. قال أبو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفاء ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس ابن أخي عيينة بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالإسلام وهم مسنتون على ركاب عجاف. فسألهم عليه السلام عن بلادهم فقال أحدهم يا رسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جناننا وغرث عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا وليشفع لنا ربك إلينا. فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا إنما شفعت إلى ربي عز وجل فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه لا إله إلا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات والأرض فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد. وقال عليه السلام إن الله ليضحك من شفقكم وقرب غياثكم. فقال الأعرابي يا رسول الله أو يضحك ربنا عز وجل قال نعم. فقال الأعرابي لن نعدمك من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله فصعد المنبر فرفع يديه حتى رئي بياض إبطيه. وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار

اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا
على الاعداء الحديث. رواه ابن سعد والبيهقي. وياتي بتمامه ان شاء الله تعالى في الاستسقاء
من مقصد عباداته عليه السلام. وقدم بنو اسد عشرة رهط فيهم وابصة بن
معبد وطليحة بن خويلد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه. فقال متكلمهم يا رسول الله
انا نشهد ان الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وجئناك ولم تبعث الينا بعثا.
فانزل الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين. وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه وفد بهراء
من اليمن. وكانوا ثلاثة عشر رجلا فلما انتهوا الى باب المقداد رحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس
فاكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شيء فجمع في قصعة صغيرة وارسل بها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة فاصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا ثم
اكل منها الضيف ما اقاموا يرددون ذلك عليهم وما تغيض حتى جعلوا يقولون يا ابا معبد انك
لتنهلنا من احب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين. واخبرهم ابو معبد بخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه اكل منها وردها وان هذه بركة اصابعه عليه السلام فجعل القوم يقولون نشهد
انه رسول الله وازدادوا يقينا وتعلموا الفرائض واقاموا اياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر
لهم بجوائز وانصرفوا الى اهليهم. وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد عذرة في صفر
سنة تسع. وكانوا اثني عشر رجلا منهم حمزة بن النعمان فرحب بهم عليه السلام فاسلموا وبشرهم بفتح الشام
وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده. ثم انصرفوا وقد اجيزوا. وقدم عليه صلى الله عليه
وسلم وفد بلي فاسلموا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير
دين الاسلام فهو في النار. ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اجازهم
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد ذي مرة وكانوا ثلاثة عشر رجلا ورئيسهم الحارث بن عوف فقال
عليه الصلوة والسلام كيف البلاد فقالوا والله انا لمسنتون فادع الله لنا فقال عليه السلام
اللهم اسقهم الغيث ثم اقاموا اياما ورجعوا بالجائزة فوجدوا بلادهم قد امطرت في ذلك اليوم
الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقدم عليه زاده الله شرفا لديه
وفد خولان في شعبان سنة عشر وكانوا عشرة فقالوا يا رسول الله نحن مؤمنون مصدقون برسوله
وقد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا
زائرين لك. فقال عليه افضل الصلوة والسلام اما ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة
خطاها بعير احدكم حسنة. واما قولكم زائرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري
يوم القيامة. ثم قال عليه السلام ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا ابشر بدلنا الله به
ما جئت به الا ان عجوزا وشيخا كبيرا يتمسكان به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى
ثم علمهم عليه السلام فرائض الدين وامرهم بالوفاء بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار وان

لا يظلموا

لا يظلموا احدا. ثم اجازهم ورجعوا الى قومهم وهدموا الصنم. وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفد محارب عام حجة الوداع وكانوا اغلظ العرب وافظهم عليه ايام عرضه على القبائل يدعوهم
الى الله. فجاءه عليه السلام منهم عشرة فاسلموا ثم انصرفوا الى اهليهم. وقدم عليه
صلى الله عليه وسلم وفد صداء في سنة ثمان. وذلك انه لما انصرف من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن
عبادة في اربعمائة وامره ان يطأ ناحية من اليمن فيها صداء. فقدم رجل منهم علم بالبعث على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردد الجيش وانا لك بقومي فرد قيسا ورجع الصدائي الى قومه
فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا منهم فبايعوه على الاسلام ورجعوا الى قومهم
ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع. ذكره الواقدي
وذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائي انه الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اردد
الجيش. وقال وكان زياد هذا معه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره. وانه عليه السلام قال له يا اخا
صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي فقال اصببه فصببته في قعب ثم وضع عليه السلام كفه
فيه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه عينا تفور. وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد غسان
في شهر رمضان سنة عشر. وكانوا ثلاثة نفر فاسلموا. واجازهم عليه السلام بجوائز وانصرفوا راجعين
وقدم عليه عليه السلام وفد سلامان في شوال سنة عشر كما قال الواقدي
وكانوا سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو فاسلموا وشكوا اليه جدب بلادهم فدعا لهم ثم ودعوه وامر
لهم بالجوائز ورجعوا الى بلادهم فوجدوها قد امطرت في اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في تلك الساعة. وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني عبس فقالوا يا رسول الله
قدم علينا قراؤنا فاخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا اموال ومواشي فان كان لا اسلام لمن
لا هجرة له بعناها وهاجرنا فقال عليه السلام اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من اعمالكم شيئا
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد غامد سنة عشر وكانوا عشرة فاقروا بالاسلام
وكتب لهم فيه شرائع الاسلام. وامر ابي بن كعب فعلمهم قرآنا. واجازهم عليه السلام وانصرفوا
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد الازد. ذكر ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة وابو موسى
المديني من حديث احمد بن ابي الحواري قال سمعت ابا سليمان الداراني قال حدثني علقمة بن يزيد بن
سويد الازدي قال حدثني ابي عن جدي قال وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه و
سلم فلما دخلنا عليه وكلمناه اعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال ما انتم قلنا مؤمنون فتبسم عليه
السلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها امرتنا رسلك
ان نؤمن بها وخمس امرتنا ان نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الا ان تكره منها شيئا
فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التي امرتكم بها رسلي قلنا امرتنا ان نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
والبعث بعد الموت. قال وما الخمس التي امرتكم ان تعملوا بها قلنا امرتنا ان نقول لا اله الا الله ونقيم

قعب قدح ضخم

الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قالوا وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية قلنا الشكر عند الرخا والصبر عند البلا والرضا بمر القضا والصدق في مواطن اللقا وترك الشماتة بالاعدا. فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء. ثم قال صلى الله عليه وسلم وانا ازيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون. فلا تجمعوا ما لا تأكلون. ولا تبنوا ما لا تسكنون. ولا تنافسوا في شيء انتم عنه غدا زائلون. واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون. وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون. فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه السلام وعملوا بها. وقدم عليه عليه الصلوة والسلام وفد بني المنتفق. روى عبد الله بن الامام احمد في مسند ابيه عن دلهم بن الاسود عن عاصم بن لقيط ان لقيط بن عامر خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك ابن عاصم بن مالك بن المنتفق فوافيناه صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلوة الغداة فقام في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس الا اني خبأت لكم صوتي منذ اربعة ايام لتسمعوا اليوم الا هل من امرء بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثم لعله يلهيه حديث نفسه او حديث صاحبه او يلهيه الضلال الا اني مسئول هل بلغت الا اسمعوا تعيشوا الحديث. وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار. وفيه ثم قال قلت يا رسول الله على ما ابايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان لا تشرك بالله شيئا الحديث.

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد النخع وهم آخر الوفود قدوما عليه. وكان قدومهم في نصف المحرم سنة احدى عشرة في مائتي رجل فنزلوا دار الاضياف. ثم جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل. فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله اني رأيت في سفري هذا عجبا قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها كأنها ولدت جديا أسفع أحوى. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك. قال يا رسول الله فما باله أسفع أحوى قال ادن مني فدنا منه. قال هل بك من برص تكتمه قال والذي بعثك بالحق نبيا ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك قال فهو ذلك. قال يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ومدلجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب رجع الى احسن زيه وبهجته. قال يا رسول الله ورأيت عجوزا شمطا خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا. قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو قال صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتلون الناس امامهم وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن احلى من شرب الماء ان مات ابنك ادركت الفتنة وان مت انت ادركها ابنك. قال يا رسول الله ادع الله ان لا ادركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات وبقي ابنه وكان ممن خلع عثمان بن عفان رضي الله عنه. انتهى ملخصا من الهدى النبوي.

والله الموفق. وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا من المقصد الثامن.

المقصد الثالث

فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة اليه صلى الله عليه وسلم. وفيه اربعة فصول

الفصل الاول

في كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم. اعلم ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فيكون ما يشاهد من خلق بدنه آيات على ما يتضح من عظيم خلق نفسه الكريمة. وما يتضح من عظيم خلق نفسه آيات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس. ولله در القول الابوصيري حيث قال. فهو الذي تم معناه وصورته. ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم. منزه عن شريك في محاسنه. فجوهر الحسن فيه غير منقسم. يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه لانه الذي تم معناه دون غيره وهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما. وفي الآثار ان خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال اما اني افصل فلا فقال الرجل اجمل اجمل فقال الرسول على قدر المرسل. ذكره ابن المنير في اسرار الاسرا. فمن ذا الذي يصل قدره ان يقدر قدر الرسول. او يبلغ من الاطلاع على الماثور المامور والمسؤل. وقد حكى القرطبي في كتاب الصلوة عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم. ولقد احسن البوصيري حيث قال. اعيى الورى فهم معناه فليس يرى. للقرب والبعد فيه غير منفحم. كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من امم. وهذا مثل قوله ايضا. انما مثلوا صفاتك للناس. كما مثل النجوم الماء. واشار بقوله تظهر الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا. ولقد بين عيب التشبيه على الاطلاق ابو النواس حيث قال. يقيه الشمس والقمر المنير. اذا قلنا كانهما الامير. لان الشمس تغرب حين تمسي. وان البدر ينقصه المسير. وهذه التشبيهات الواردة في حقه عليه السلام انما هو على سبيل التقريب والتمثيل والا فذاته اعلى. فاما وجهه الشريف فحسبك ما روى الشيخان من حديث البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا. وعن ابي هريرة ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه. رواه الترمذي والبيهقي واحمد وابن حبان. قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من باب عكس التشبيه وجعل وجهه مقرا ومكانا للشمس. ولله در القائل. لم لا يضيء بك الوجود وليله. فيه صباح من جمالك مسفر. فبشمس حسنك كل يوم مشرق. وببدر وجهك كل ليل مقمر. وفي البخاري سئل البراء أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر. وكان السائل اراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء فقال بل مثل القمر في التدوير

ويحتمل ان يكون اراد مثل السيف في اللمعان والصقال فقال بل فوق ذلك وعدل الى القمر لجمعه الصفتين
التدوير واللمعان • وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا • وانما قال مستديرا للتنبيه
على انه جمع بين الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل ان يريد فيه الطول واللمعان فرده المسؤول
ردا بليغا • ولما جرى التعارف ان التشبيه بالشمس انما يراد به غالبا الاشراق وبالقمر انما يراد
به الملاحة دون غيرهما فقوله وكان مستديرا اشار الى انه اراد به التشبيه بالصفتين معا الحسن
والاستدارة • وروى الترمذي والبيهقي عن علي في نعته صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن بالمطهم
ولا بالمكلثم وكان في وجهه تدوير • والمكلثم المدور الوجه اي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه
تدوير قليل • وفي حديث علي عند ابي عبيد في الغرايب وكان في وجهه تدوير • قال ابو عبيد في شرحه
يريد ما كان في غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهي احلى عند العرب • وفي حديث ابي هريرة عند الذهلي
في الزهريات في صفته صلى الله عليه وسلم كان اسيل الخدين • قال ابن الاثير الاسالة في الخد الاستطالة
وان لا يكون مرتفع الوجنة • وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وهو الحاصل على من سأل اكان وجهه
مثل السيف • واخرج البخاري عن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه
كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه اي الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه • وقالت عايشة
مسرورا تبرق اسارير وجهه ولذلك قال قطعة قمر • وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني التفت الينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر فهذا محمول على صفته عند الالتفات • وقد اخرج الطبراني
من حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها كانه دارة قمر • ويشعر على السر في التقييد بالقطعة مع
كثرة ما ورد في كثير من كلام البلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد • وقد كان كعب بن مالك قائل هذا
من شعراء الصحابة • فلا بد في التقييد بذلك من حكمة • وما قيل في ذلك من الاحتراز من السواد الذي في القمر
ليس بقوي لان المراد بتشبيهه ما في القمر من الضيا والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيها اقل مما في القطعة
المجردة فكان التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب ان يشبه ببعض القمر • وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
قال كان وجه رسول الله كدارة القمر • اخرجه ابو نعيم • وروى البيهقي عن ابي اسحق عن امرأة من همدان
قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم قلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله •
وروى الدارمي والبيهقي وابو نعيم والطبراني عن ابي عبيدة قال قلت للربيع بنت معوذ صفي لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت لو رايته لقلت الشمس طالعة • وروى مسلم عن ابي الطفيل انه قيل له صف لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان ابيض مليح الوجه • وما احسن قول سيدي علي بن وفا حيث قال
الا يا صاحب الوجه المليح • سألتك لا تغب فانت روحي • متى ما غاب شخصك عن عياني • رجعت
فلا ترى الا صريحي • بحقك جد لرقك يا حبيبي • وداوي لوعة القلب الجريح • ورق لمغرم في الحب امسى
واصبح بالهوى دنفا طريح • محب ضاق بالاشواق ذرعا • واوى منك للكرم الفسيح

وفي

وفي النهاية في صفته عليه السلام كان اذا سر فكان وجهه المرآة وكان الجدر تلاحك وجهه قال
والملاحكة شدة الملاءمة اي يرى شخص الجدر في وجهه صلى الله عليه وسلم • وفي حديث ابي
هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر • وذلك لان القمر يملأ الارض بنوره ويونس كل
من شاهده • وهو يجمع النور من غير اذى ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التي تغشى البصر
فتمنع من يمكن الرؤية • والتشبيه بالبدر ابلغ في العرف من التشبيه بالقمر لانه وقت كماله كما
لو كنت من شيء سوى بشر • كنت المنور ليلة البدر • ولقد صادف هذا التشبيه تحقيقا فمن
اسمائه صلى الله عليه وسلم البدر • ولهذا انشدوا • طلع البدر علينا • من ثنيات الوداع • ولقد
احسن من قال كالبدر • والكاف ان انصفت زائدة • فيه فلا تظننها كاف التشبيه •
وما احلى قول ابن الحلاوي • يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه • وبدر التما عن ذلك الحسن
ينحط • كما شبهوا غصن النقا بقوامه • لقد بالغوا بالمدح للغصن واشتطوا • فقد حصل
للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه • على ان هذه التشبيهات الواردة في صفاته عليه
السلام انما هي على عادة الشعراء والعرب • والا فلا شيء في هذه المحدثات تعادل صفاته الخلقية
والخلقية • ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا حيث قال • كم فيه للابصار حسن مدهش
كم فيه للارواح راح مسكر • سبحان من انشاه من سبحانه • بشرا باسرار الغيوب يبشر •
كاسوه جهلا بالغزال تغزلا • هيهات يشبهه الغزال الاحور • هذا وحقك ما له من مشبه
وارى المشبه بالغزال مكفر • يا من تعظم ذنبه في تشبيهه • لولا ارتجاله تستغفر • فخر الملاح
بحسنهم وجمالهم • وبحسنه كل المحاسن تفخر • فجماله مجلى لكل جميلة • وله منار كل وجه
نير • جنات عدن في جنا وجناته • ودليله ان المراشف كوثر • هيهات الهو عن هواه بغيره
والغير في حشر الاجانب يحشر • كتب الغرام علي في اسفاره • كتبا تماوك بالهوا وتفسر •
فدعي الدعي وما ادعاه في الهوا • فدعيه بالهجر فيه يهجر • وعليك بالعلم العليم فانه
يخطبه في كل خطب منبر • واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله
تعالى في كتابه العزيز بقوله ما زاغ البصر وما طغى • وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء • رواه البخاري • وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي هنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني لاريكم من وراء
ظهري • رواه البخاري ومسلم • وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلماء
كما يرى في الضوء • رواه البيهقي • وعند مسلم من رواية انس انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس
اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فاني اريكم من امامي ومن خلفي • وعن مجاهد
في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال كان صلى الله عليه وسلم يرى
من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه • رواه الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره

بحسنه وجماله

وهذه الرؤية رؤية ادراك • والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التي هي العين عند اهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة • وهذا بالنسبة الى القديم العالي • اما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية في حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة بالاتفاق • ولهذا كان خرق عادة في حقه عليه السلام وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها قال الحرالي وهذه الآية قد جعلها الله تعالى دالة على ما في حقيقة امره في الاطلاع الباطن لسعة علمه ومعرفته لما عرف به ربه لا بنفسه اطلعه الله على ما بين يديه مما تقدم مما تقدم من امره وعلى ما وراء الوقت مما تأخر من امره فلما كان على ذلك من الاحاطة في ادراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في مدركات العيون فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يرى ما بين يديه كما قال صلى الله عليه وسلم • ومن الغريب ما ذكره الزاهدي مختار بن محمود شارح القدوري في رسالته الناصرية انه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما ولا تحجبهما الثياب • وقيل بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرءاة امثلتهم فيها فيشاهد امثالهم • وهذا ان كان نقل عن الشارع صلى الله عليه وسلم بطريق صحيح فمقبول والا فليس المقام مقام رأي على ان الاقعد في اثبات كونه معجزة حملها على الادراك من غير آلة والله اعلم • وقد ذهب بعضهم الى ان هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف • وعن بعضهم المراد بها العلم اما بان يوحى الله له كيفية فعلهم • واما بان يلهم • والصحيح والصواب ما تقدم وقد استشكل على قول من يقول ان المراد بذلك العلم ما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بغير اسناد انه صلى الله عليه وسلم قال اني لا اعلم ما وراء جداري هذا فان صح فالمراد منه نفي العلم بالمغيبات فكيف يجتمعان • واجيب بان الاحاديث الاول على ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلوة ويحمل المطلق منها على المقيد • واما اذا ذهبنا الى الادراك بالبصر وهو الصواب فلا اشكال لان نفي العلم هنا عن الغيب بدون المشاهدة • وفي المقاصد الحسنة حديث ما اعلم ما خلف جداري هذا قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر لا اصل له • قلت ولكنه قال في تلخيص تخريج الرافعي عند قوله في الخصائص ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه هو في الصحيحين وغيرهما من حديث انس وغيره والاحاديث الواردة فيها مقيدة بحالة الصلوة وبذلك يجمع بينه وبين قوله لا اعلم ما وراء جداري هذا انتهى • قال شيخنا وهذا مشعر بوروده على انه على تقدير وروده لا تنافي بينهما لعدم تواردهما على محل واحد • فان قيل يشكل على هذا ايضا اخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من المغيبات ووقعت كما اخبر صلى الله عليه وسلم • فالجواب ان نفي العلم فيه هو ورد على اصل الوضع وهو ان علم الغيب يختص بالله سبحانه وتعالى وما وقع منه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او الهام • ويدل على ذلك الحديث الذي فيه انه لما ضلت ناقته صلى الله عليه وسلم تكلم بعض المنافقين وقال ان محمدا يزعم انه يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي

في موضع

في موضع كذا وكذا حبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم فصح انه لا يعلم وراء جداره ولا غيره الا ما علمه الله تبارك وتعالى • وذكر القاضي عياض في الشفا انه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وعند السهيلي اثنا عشر وفي حديث ابن ابي هالة واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ واما الذي في الانف فهو الموق والماق • وقوله واذا التفت التفت جميعا اراد انه لا يسارق النظر • وقيل اراد لا يلوي عنقه يمنة ويسرة اذا نظر الى الشيء • وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف • ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا قاله ابن الاثير • وعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين بحمرة • رواه البيهقي • وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين منهوس العقبين • رواه مسلم • والشكلة الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود محبوب • واما الشهلة فانها حمرة في سوادها وهذا هو الصواب لا ما فسره به بعضهم بانه طول شق العين • وعند الترمذي في حديث عن علي رضي الله عنه انه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان في وجهه تدوير ابيض مشربا ادعج العينين اهدب الاشفار الحديث • والادعج الشديد سواد الحدقة • والاهدب الطويل الاشفار شعر العين • وعنده ايضا عن علي رضي الله عنه قال كان اسود الحدقة اهدب الاشفار • وعن علي رضي الله عنه بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن لاخطب يوما على الناس وحبر من احبار اليهود واقف بيده سفر ينظر فيه فلما رآني قال صف لي ابا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث وفيه قال علي ثم سكت فقال الحبر وماذا قلت هذا ما يحضرني قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية ثم قال علي هذه والله صفته قال الحبر فاني اجد هذه الصفة في سفر ابائي واني اشهد انه نبي وانه رسول الله الى الناس كافة الحديث • واما سمعه الشريف فحسبك انه قد قال صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى • رواه الترمذي من رواية ابي ذر • وما رواه ابو نعيم عن حكيم بن حزام بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ قال لهم تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شيء قال اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد او قائم • واما جبينه الكريم صلى الله عليه وسلم فقد كان واضح الجبين مقرون الحاجبين لهذا وصفه علي رضي الله عنه كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين اي واضحه • والقرن اتصال شعر الحاجبين • وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين • ولله در القائل • جبينه مشرق من فوق طرته • يتلو الضحى ليله والليل كافره •

بالمسك خلقت على كافور جبهته • من فوق نوناتها سينا ظفايره • محكم الخلق لا تحصى خصايصه
منتصر الحسن قد قلت نظايره • وقال ابن ابي هالة ازج الحواجب وفسر بالمقوس الطويل الوافر
الشعر • ثم قال من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اي يمتلى دما اذا غضب كما يمتلى الضرع لبنا اذا
در • قال في النهاية • وعن مقاتل بن حيان قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اسمع واطع
يا ابن الطاهرة البكر البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك اية للعالمين فاياي فاعبد وعلي
فتوكل فسر لاهل سوان اني انا الله الحي القيوم الذي لا ازول صدقوا النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة
والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الراس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار
الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه في وجهه كاللولوة وريح المسك
ينفح منه كان عنقه ابريق فضة الحديث • والاكحل الواسع شق العين والقرن بالتحريك التقاء
الحاجبين • وما وصفه به ابن ابي هالة مخالف لما في حديث مقاتل بن حيان • وما في حديث ام معبد
فانها قالت ازج اقرن اي مقرون الحاجبين قال ابن الاثير والاول هو الصحيح في صفته يعني سوابغ
في غير قرن • والقنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه • وقد وصفه صلى الله
عليه وسلم غير واحد بانه عظيم الهامة اي الراس كذا في حديث ابن ابي هالة المشهور • وقال علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه في حديث رواه الترمذي وصححه البيهقي ضخم الراس • وكذا قال انس
في رواية البخاري • وكان عليه السلام ايضا ضخم الكراديس وهي رؤس العظام كما وصفه علي رضي الله عنه
في حديث الترمذي • وقال ايضا في رواية للترمذي جليل المشاش والكتد وفسر رؤس العظام كالركبتين
والمرفقين والمنكبين اي عظيمها • والكتد بفتحتين ويجوز كسر التاء مجمع الكتفين • وكان عليه السلام
دقيق العرنين اي اعلا الانف كما وصفه به علي رضي الله عنه في رواية ابن سعد وابن عساكر • وفي
روايته ايضا عن ابن عمر من وصف علي له ايضا اقنى الانف وفسر بالسايل المرتفع وسطه • وقال
ابن ابي هالة اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتامله اشم • والاشم الطويل قصبة الانف
واما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي مسلم من حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان
ضليع الفم يعني واسعه • وكذا وصفه به ابن ابي هالة • وزاد يفتتح الكلام ويختمه باشداقه يعني لسعة
فمه • والعرب تمتدح به وتذم بصغر الفم • وقال شمر عظيم الاسنان • وفي حديث عند البزار والبيهقي
قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسيل الخدين • ووصفه صلى الله عليه وسلم ابن ابي هالة
فقال اشنب مفلج الاسنان • والشنب رونق الاسنان وماؤها • وقيل رقتها وتحززها • والفلج في الاسنان
تباعدها • وقال علي رضي الله عنه مبلج الثنايا بالموحدة اخرجه ابن سعد من حديث ابي هريرة • وعنده
ابن عساكر عن علي رضي الله عنه براق الثنايا • وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج
الثنيتين اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه • رواه الترمذي في الشمايل والدارمي والطبراني
في الاوسط • وكان عليه السلام احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم • يحكي النهد فيه راشفه

الاكحل

فمه الشريف

ياقوت نثر صدف وفيه جواهره • وعن ابي قرصافة قال بايعنا رسول الله انا وامي وخالتي فلما
رجعنا قالت لي امي وخالتي يا بني ما راينا مثل هذا الرجل احسن وجها ولا انقى ثوبا ولا الين
كلاما وراينا كالنور يخرج من فيه • واما ريقه الشريف • ففي الصحيح عن سهل بن
سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجوا ان
يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرئ حتى كان لم يكن به وجع • الحديث متفق عليه • واتي بدلو
من ماء فشرب من الدلو ثم صب في البئر او قال مج في البئر ففاح منها مثل رايحة المسك • رواه احمد
وابن ماجة من حديث وايل بن حجر • وبزق في بير في دار انس فلم يكن في المدينة بير اعذب منها • رواه
ابو نعيم • وكان عليه السلام يوم عاشورا يدعو برضعايه ورضعاء ابنته فاطمة رضي الله عنها فيتفل
في افواههم ويقول للامهات لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه يجزيهم • رواه البيهقي • ودخلت عليه
عميرة بنت مسعود هي واخواتها يبايعنه • وهن خمس فوجدنه ياكل قديدا فمضغ قديدة لهن ثم ناولهن فمضغتها
كل واحدة قطعة فلقين الله وما وجد لافواههن خلوف • رواه الطبراني • ومسح صلى الله عليه
وسلم بيده الشريفة بعد ان نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان يرشي فما كان
يشم منه الطيب رايحة • رواه الطبراني • واعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظماؤه فمصه
حتى روي • رواه ابن عساكر • ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي حيث يقول
جنى النحل في فيه وفيه حياتنا • ولكنه من لي بلثم لثامه • رحيق الثنايا والمثاني تنفست
اذا قال عن فح بطيب ختامه • واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه
وحكمه • فكان صلى الله عليه وسلم افصح خلق الله واعذبهم كلاما واسرعهم اداء واحلاهم
منطقا حتى كان كلامه ياخذ القلوب ويسلب الارواح ينظم درا لثغر نثر مطوله • فيا علم لم
في نثره ونظامه • يناجي فينجي من يناجي من الجوى • فكل كليم ترؤه في كلامه • ففصاحة لسانه
غاية لا يدرك مداها • ومنزلة لا يدانى منتهاها • وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه
سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده فهو ينطق بحكمه عن امره • ويبين مراده بحقيقة
ذكره • افصح خلق الله اذا لفظ • وانصحهم اذا وعظ • لا يقول هجرا • ولا ينطق هزلا • كلامه كله يثمر علما
ويمتثل شرعا وحكما • لا يتفوه بشر بكلام احكم منه في مقالته • ولا اجزل منه في عذوبته • وخليق
بمن عبر عن مراد الله بلسانه • واقام به الحجة على عباده ببيانه • وبين مواضع فروضه واوامره ونواهيه
دون زجره ووعيده ووعده وارشاده • ان يكون احلى الخلق جنانا وافصحهم لسانا • واوضحهم بيانا
وقد كان عليه السلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ • قالت
عايشة رضي الله عنها ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثا لو عده العاد

ريقه الشريف

فصاحته

لاخفاء. وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه. وكان يقول انا افصح العرب وان اهل الجنة
يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ما لك افصحنا
ولم تخرج من بين اظهرنا قال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني جبريل فحفظنيها. رواه
ابو نعيم. وروى العسكري في الامثال من حديث علي رضي الله عنه بسند ضعيف جدا قال قدم
بنو نهد على النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه ذكر خطبتهم وما اجابهم النبي صلى الله عليه
وسلم قال فقلنا يا نبي الله نحن بنو اب واحد ونشأنا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان
ما نفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبني فاحسن تأديبي ونشأت في بني سعد بن بكر. وعن محمد
ابن عبد الرحمن الزهري عن ابيه عن جده قال قال رجل يا رسول الله ما قال لك وما قلت له
قال انه سألني الرجل اهله قلت له نعم اذا كان مفلسا. قال ابو بكر يا رسول الله ايداك الرجل امرأته
قال نعم اذا كان ملفجا. فقال له ابو بكر يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم
فما سمعت افصح منك قال ادبني ربي ونشأت في بني سعد. رواه السرقسطي في الدلائل بسند واه. وكذا
اخرجه ابن عساكر. قال في القاموس وداكه اي ماطله. انتهى. وقوله ملفجا بضم الميم وفتح الفاء
اسم فاعل من الفج الرجل فهو ملفج اذا كان فقيرا وهو غير مقيس. ومثله احصن فهو محصن واسهب فهو
مسهب في الفاظ شذت. والقياس الكسر. قاله ابن مرزوق. لكن قال ابن الاثير لم يجئ الا في ثلاثة
احرف اسهب واحصن والفج. وقال غيره ايداعب الرجل امرأته يعني قبل الجماع. وسماه مطلا لكون
عرضها الانظام الجماع قال اذا كان عاجزا لكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه يسمى مفلسا. واما ما يروى
انا افصح من نطق بالضاد. فقال ابن كثير لا اصل له انتهى. لكن معناه صحيح. والله اعلم. وقد حدوا الفصاحة
بخلوص الكلمة من التنافر والغرابة ومخالفة القياس. والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف كقوله
غدائره مستشزرات الى العلا. فان السين والشين والتاء والزاي كلها متقاربة المخارج. والغرابة
كون الكلمة لا تدل على المراد من اول وهلة لاحتمال معنى اخر. ومخالفة القياس استعمال الكلمة على غير قانون
كابقاء وجود المثلين من كلمة واحدة من غير ادغام. كقوله الحمد لله العلي الاجلل. والفصاحة يوصف بها
الكلام والكلمة والمتكلم. والبلاغة ان يطابق الكلام مقتضى الحال مع فصاحته. والجزالة خلاف
الركاكة فصاحته صلى الله عليه وسلم الى الحد الخارق للعادة البالغ نهاية المرتبة والزيادة التي تصدع القلوب
قبل الاذهان. وتقرع الجوانح قبل الاذان بما رق ويفوق. ويجل على ساير البشر الحقوق التي لا تقابل
بالعقوق. فهو صاحب جوامع الكلم وبدايع الحكم وقوارع الزجر وقواطع الامر والامثال السايرة
والغرر السايلة والدرر المنثورة والنوادر المأثورة والقضايا المحكمة والوصايا المبرمة
والمواعظ التي هي على القلوب محكمة. والحجج التي هي للخصم مفحمة ملجمة. وقليل هذا الوصف في حقه
صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه. وقد روى الحاكم وصححه من حديث ابن
عباس رضي الله عنهما ان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا يحتاج العلم

بفصاحته الى الشاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند. وقد جمع الناس من كلامه الفرد الموجز البديع الذي
لم يسبق اليه دواوين. وفي كتاب الشفا للقاضي عياض من ذلك ما يشفي العليل كقوله المرء مع من احب
وقوله اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وقوله السعيد من وعظ بغيره ومما لم يذكره القاضي رحمه الله
قوله عليه الصلوة والسلام انما الاعمال بالنيات. رواه الشيخان وغيرهما. وقوله ليس للعامل من عمله الا
ما نواه وتحت هاتين الكلمتين كنوز من العلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله حديث الاعمال بالنيات
تدخل في نصف العلم. وذلك ان للدين ظاهرا وباطنا والنية متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر
وايضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح. وقال بعض الائمة حديث الاعمال بالنيات
ثلث الدين. ووجهه ان الدين قول وعمل ونية. وقوله نية المؤمن خير من عمله. رواه الطبراني لكن قال
بعضهم لا يصح رفعه. قال ورواه القضاعي عن اسمعيل بن عبد الرحمن الصفار اخبرنا علي بن عبد الله الفضل
حدثنا محمد بن الحنفية الواسطي حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول نية المؤمن ابلغ من عمله. قال وهذا اسناد لا ضوء عليه. ويوسف بن عطية متروك الحديث
ورواه عثمان بن عبد الله الشامي من حديث النواس بن سمعان نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله
وقال ابن عدي عثمان بن عبد الله الشامي له احاديث موضوعات. وهذا من جملتها. وقال ابن الجوزي
لا يصح رفعه. ومعناه ان النية سر والعمل ظاهر وعمل السر افضل. وهو يقتضي انه لو نوى ان يذكر الله
او يتفكر يكون نية الذكر والتفكر خيرا منه وليس بصحيح. وقيل ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية
وهذا بعيد لان العمل اذا خلا عن النية لم يكن فيه خير اصلا. وقيل النية عمل القلب والفعل عمل الجوارح
وعمل القلب خير من عمل الجوارح فان القلب امير الجوارح وبينه وبينها علاقة فاذا تالمت تالم القلب
واذا تالم القلب تالمت فارتعدت الفرايص وتغير اللون فان الملك الراعي والجوارح خدمه ورعيته
وعمل الملك ابلغ من عمل رعيته. وقيل لما كانت النية اصل الاعمال كلها وروحها ولبها والاعمال تابع
لها تصح بصحتها وتفسد بفسادها وهي التي تقلب العمل الصالح فتجعله فاسدا وغير الصالح تجعله صالحا
مثابا عليه ويثاب عليها اضعاف ما يثاب على العمل فلذا كانت نية المؤمن خيرا من عمله. وقوله
يا خيل الله اركبي. رواه ابو الشيخ في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير والعسكري عن انس وابن عائذ
في المغازي عن قتادة. ولفظه عند ابن عائذ قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يعني يوم الاحزاب
مناديا ينادي يا خيل الله اركبي. قال العسكري وهذا على المجاز والتوسع اراد يا فرسان خيل الله اركبي
فاختصر. وقوله الولد للفراش وللعاهر الحجر رواه الشيخان. وقوله كل الصيد في جوف الفرا وهو
بفتح الفاء حمار الوحش. رواه الرامهرمزي في الامثال. وسنده مع الحكمة مرسل. ونحوه
عند العسكري. وقوله الحرب خدعة. رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال
سمى النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وليس عند مسلم سمى. وفي خدعة ثلث لغات اشهرها فتح الخاء واسكان
الدال قال ثعلب وغيره وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم. والثانية ضم الخاء واسكان الدال والثالثة ضم الخاء

ومنه الدال • قال النووي اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيف امكن الا ان يكون
فيه نقض عهد او امان فلا يحل • وقوله واياكم وخضراء الدمن رواه الرامهرمزي والعسكري في الامثال
وابن عدي في الكامل والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي من حديث الواقدي حدثنا محمد بن
سعيد بن دينار عن ابي وجزة يزيد بن عبيد عن عطاء بن يزيد الليثي عن ابي سعيد مرفوعا قيل يا رسول الله
وما ذاك قال المرأة الحسناء في المنبت السوء • قال ابن عدي تفرد به الواقدي ومعناه انه كره
النكاح الفاسد • وقال ان اعراق السوء تنزع اولادها • وتفسير حقيقته ان النبات
ينبت على البعر في الموضع الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا • فالدمن جمع دمنة
وهي البعرة • وانشد زفر بن الحارث • وقد ينبت المرعى على دمن الثرى • وتبقى حزازات النفوس كما هيا
ومعنى البيت ان الرجلين قد يظهران الصلح والمودة وينطويان على البغضاء والعداوة كما ينبت المرعى
على الدمن • وهذا الكوني او كلي في زماننا • اشار اليه شيخنا . وقوله الانصار كرشي وعيبتي رواه
البخاري اي انهم بطانته وموضع سره والعيبة كذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يضع ثيابه
في عيبته وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي • ويقال عليه كرش من الناس اي جماعة • ووقع
في رواية الترمذي الا ان عيبتي التي آوي اليها اهل بيتي وان كرشي الانصار • وقوله ولا يجني على المرء الا
يده ولاحمد وابن ماجه من حديث عمرو بن الاحوص لا يجني جان الا على نفسه • وقوله ليس الشديد من غلب الناس
بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه • رواه ابن حبان في صحيحه • ورواه الشيخان بلفظ ليس الشديد بالصرعة
انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب يعني انه اذا ملكها فقد قهر اقوى اعدائه وشر خصومه • ولذلك
قال اعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك • وهذا من باب المجاز ومن فصيح الكلام لانه لما كان الغضبان بحالة شديدة
من الغيظ وقد ثارت عليه شدة من الغضب فقهرها بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع الرجال
ولا يصرعونه • وقوله ليس الخبر كالمعاينة • رواه احمد بن منيع والطبراني والعسكري • وقوله المجالس بالامانة
رواه العقيلي في ترجمة حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده عن علي رفعه • وعن جابر بن عتيك اذا حدث
الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة • رواه ابو داود في سننه والترمذي في جامعه وابن ابي الدنيا في الصمت
وغيرهم • ففي هاتين الكلمتين من الحمل على آداب العشرة وادب الصحبة وكتم السر وحفظ الود وحسن العهد
واصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الاخوان الموقعة للشنآن ما لا يكاد يخفى على مبادي الاذهان
وقوله البلاء موكل بالمنطق • رواه ابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد من رواية ابرهيم عن ابن مسعود و
رواه الديلمي عن ابي الدرداء مرفوعا البلاء موكل بالمنطق • واورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث
ابي الدرداء وابن مسعود • قال شيخنا في المقاصد الحسنة ولا يحسن مع مجموع ما ذكرناه الحكم عليه
بالوضع ويشهد لمعناه قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي دخل عليه يعوده وقال لا بأس طهور
فقال الاعرابي بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقال عليه الصلاة والسلام فنعم اذا • وانشد
في معناه • لا تنطقن بما كرهت فربما • نطق اللسان بحادث فيكون • وقوله عليه السلام ترك الرجل صدقة

رواه

رواه   وقوله اي داء ادوى من البخل • رواه البخاري •   وقوله لا ينتطح فيها عنزان
اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع • وقوله الحياء خير كله متفق عليه   وقوله اليمين الفاجرة تدع
الديار بلاقع • رواه في مسند الفردوس من حديث ابي هريرة • وقوله سيد القوم خادمهم • رواه
ابو عبد الرحمن السلمي في اداب الصحبة له عن عقبة بن عامر رفعه • وفي سنده ضعف وانقطاع •
ورواه غيره ايضا • وقوله فضل العلم خير من فضل العبادة • رواه الطبراني والبزار • وقوله الخيل
في نواصيها الخير • متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه بلفظ الخيل في نواصيها الخير
الى يوم القيمة • وفي لفظ لغيرهما معقود بنواصيها الخير • وقوله اعجل الاشياء عقوبة البغي •
رواه   وقوله ان من الشعر لحكمة • رواه ابو داود • ومن رواية صخر بن عبد الله بن بريدة عن ابيه عن جده
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما فقال
صعصعة بن صوحان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم • اما قوله ان من البيان لسحرا فالرجل يكون عليه الحق
وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق • واما قوله ان من العلم جهلا فيتكلف العالم
الى علمه ما لا يعلم فيجهله • واما قوله ان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس
ومفهومه ان بعض الشعر ليس كذلك لان من تبعيضية • وفي البخاري ان من الشعر حكمة اي قولا صادقا
مطابقا للحق • قال الطبري وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا • واحتج بقول ابن مسعود الشعر
مزامير الشيطان • وعن ابي امامة رفعه ان ابليس لما اهبط الى الارض قال رب اجعل لي قرآنا قال قرآنك
الشعر • ثم اجاب عن ذلك بانها احاديث واهية • وهو كذلك • فحديث ابي امامة فيه علي بن يزيد الالهاني
وهو ضعيف • وعلى تقدير قوتها فهو محمول على الافراط فيه والاكثار منه • ويدل على الجواز احاديث
كثيرة • منها ما اخرجه البخاري في الادب المفرد عن عمرو بن الشريد عن ابيه استنشدني النبي صلى الله عليه
وسلم من شعر ابن ابي الصلت فانشدته مائة قافية • وقوله الصحة والفراغ نعمتان • رواه البخاري
وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود • رواه الطبراني في معاجيمه الثلاث عن معاذ
ابن جبل رفعه • واخرجه الخلعي من علي رفعه استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها • وقوله المكر
والخديعة في النار • وقوله من غشنا فليس منا رواه مسلم في صحيحه • وقوله المستشار مؤتمن
رواه احمد وغيره • ومعناه ان من افضى اليك بسره وامنك على ذات نفسه فقد جعلك بموضع نفسه
فيجب عليك ان لا تشير عليه الا بما تراه صوابا فانه كالامانة للرجل الذي لا يأمن على ايداع ماله الا
الثقة في نفسه • والسر الذي ربما كان في اذاعته تلف النفس اولى بان لا يجعل الا عند الموثوق به
وقوله الندم توبة • رواه الطبراني في الكبير • وقوله الدال على الخير كفاعله   رواه العسكري وابن
جميع • ومن طريقه المنذري عن ابن عباس في حديث مرفوع بلفظ وكل معروف صدقة والدال على الخير
كفاعله • والله يحب اغاثة اللهفان • والمعنى ان من دلك على خير وارشدك اليه فكأنه بارشاده
كان من فعل ذلك الخير • وقوله حبك الشيء يعمي ويصم • رواه ابو داود والعسكري من حديث بقية

ابن المولد عن ابي بكر بن عبد الله بن ابي مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن ابي الدرداء عن ابيه مرفوعا
ولم ينفرد به بقية بل توبع عليه • وابن ابي مريم ضعيف • وقد حكم الصغاني عليه بالوضع • وتعقبه
العراقي وقال ان ابن ابي مريم لم يتهمه احد بكذب • ويكفينا سكوت ابي داود عليه فليس بموضوع بل ولا
شديد الضعف فهو حسن • قال العسكري اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان من الحب ما يعميك عن طريق
الرشد ويصمك عن استماع الحق • وان الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل او دين
اصمه حبه عن العدل واعماه عن الرشد • ولذا قال بعض الشعراء • وعين الرضا عن كل عيب كليلة •
كما ان عين السخط تبدي المساويا • اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة • وقوله عليه السلام
العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم • رواه الترمذي وابو داود • وقوله
سبقك بها عكاشة • رواه البخاري • وقوله عجب ربك من كذا • روي في عدة روايات عند البخاري
وغيره ومعناه كما قال ابن الاثير عظم ذلك عنده وكبر لديه اعلم الله انه انما يتعجب الادمي اذا عظم موقعه
عنده وخفي عليه سببه فاخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الاشياء عنده • وقيل معنى عجب ربك
اي رضي واثاب فسماه عجبا مجازا وليس بعجب في الحقيقة والاول الوجه • وقوله قتل صبرا • رواه غير
واحد • وقوله ليس المسئول باعلم من السائل • رواه مسلم وغيره • وقوله لا ترفع عصاك عن اهلك
ادبهم • رواه احمد • اي لا تدع تاديبهم وجمعهم على طاعة الله يقال شق العصا اي فارق الجماعة
وليس المراد الضرب بالعصا ولكنه جعله مثلا • وقيل لا تغفل عن ادبهم ومنعهم من الفساد قاله
ابن الاثير • وقوله مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم • رواه البخاري • وذكر ابن دريد وقال انه
من الكلام المفرد الوجيز لم يسبق صلى الله عليه وسلم الى معناه • اي كل ما انبتت الجداول واسناد الانبات
اليه مجاز والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى • ومن للتبعيض • وحبطا بفتح المهملة والموحدة
والطاء المهملة ايضا وهو انتفاخ البطن من كثرة الاكل حتى تنتفخ فتموت • ويلم بضم الياء اي يقرب
من الهلاك • وهو مثل للمنهمك في جمع الدنيا المانع من اخراجها من وجهها • وقوله عليه السلام خير
المال عين ساهرة لعين نائمة • رواه ومعناه عين ماء تجري ليلا ونهارا وصاحبها
نائم فجعل دوام جريانها سهرا لها • وقوله عليه السلام من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه •
رواه مسلم من حديث ابي هريرة • وقوله زر غبا تزدد حبا • رواه البزار والحارث بن ابي اسامة عن
ابي هريرة مرفوعا • وفي بعض احاديث الباب انه قيل له يا ابا هريرة اين كنت امس قال زرت ناسا من
من اهلي فقال له يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا • وقوله انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم
باخلاقكم • رواه ابو يعلى والبزار من طرق احدها حسن بلفظ انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن
يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق • وقوله الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل • رواه الطبراني
في الكبير والاوسط والبيهقي • وقوله ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك
عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى • رواه البزار والحاكم في علومه • والبيهقي

في سنن

في سننه كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا • وهو مما اختلف فيه على ابن سوقة
في ارساله ووصله وفي رفعه ووقفه ثم في الصحابي اهو جابر او عائشة او عمر • ورجح البخاري في تاريخه
من حديث ابن المنكدر الارسال • ومعناه لم يبق في طريقه وقد عطب ظهره • والوغول الدخول فكأنه
قال ان هذا الدين مع كونه يسيرا سهلا شديد فبالغوا فيه بالعبادة لكن اجعلوا تلك المبالغة مع رفق
فان من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك ان يمل حتى ينقطع عن الواجبات فيكون
مثله كمثل الذي يعسف الركاب ويحملها من السير ما لا تطيق رجاء الاسراع فينقطع ظهره فلا هو الذي قطع
الارض التي اراد ولا هو ابقى ظهره سالما ينتفع به بعد ذلك • وقوله عليه السلام من شاد هذا الدين
غلبه • رواه العسكري عن بريدة • وللبخاري من حديث معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن
ابي هريرة مرفوعا ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا
بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة • الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله الاماني • رواه الحاكم عن شداد بن اوس وقال صحيح على شرط البخاري •
وتعقبه الذهبي بابن ابي مريم وهو واه • وكذا رواه العسكري والقضاعي والترمذي وابن ماجة
وقوله عليه السلام تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك
متفق عليه من حديث ابي هريرة • وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه
رواه البيهقي واحمد وابو نعيم مختصرا • والعسكري بتمامه • كلهم من حديث دراج عن ابي الهيثم عن ابي
سعيد وله شواهد • وانما كان الشتاء ربيع المؤمن لانه يرتع فيه في بساتين الطاعات ويسرح
في ميادين العبادات وينزه قلبه في رياض الاعمال الميسرة فيه من الطاعات فان المؤمن يقدر
على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة • ولا يحصل له جوع ولا عطش • فان نهاره قصير بارد
فلا يحصل فيه مشقة الصيام • وقوله عليه السلام القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى • رواه
الطبراني في الاوسط من حديث المنكدر عن ابيه عن جابر • والقضاعي بدون وكنز لا يفنى عن انس
وفي القناعة احاديث كثيرة ولو لم يكن في القنع الا التمتع بالعز لكفى صاحبه • وكان من دعائه
عليه السلام اللهم قنعني بما رزقتني • وانشد بعضهم • ما ذاق طعم الغنا من لا قنوع له • ولن
ترى قانعا ما عاش مفتقرا • وقوله عليه السلام الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد
الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم • رواه البيهقي في الشعب • والعسكري في الامثال
وابن السني والديلمي من طريقه والقضاعي كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعا • وضعفه البيهقي •
لكن له شاهد عند العسكري من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن انس رفعه الاقتصاد نصف العيش
وحسن الخلق نصف الدين • وكذا اخرجه الطبراني وابن لال • ومن شواهده ايضا للعسكري عن انس رفعه
السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة • وما عال امرؤ في اقتصاد • وللديلمي من حديث ابي امامة
السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة • وفي صحيح ابن حبان من حديث طويل عن ابي ذر عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال له يا اباذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق • وهذا اللفظ عند البيهقي في الشعب • وله ايضا وللعسكري عن علي رضي الله عنه مرفوعا التودد نصف الدين وما عال امرؤ قط على اقتصاد • اي ما افتقر من انفق قصدا ولم يجاوزه الى الاسراف • وقوله عليه السلم المؤمن من امنه الناس • رواه الترمذي • وقوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله • متفق عليه • عن ابن عمر وبزيادة مرفوعا عن ابي موسى • ومسلم عن جابر • وقوله قلة العيال احد اليسارين • رواه صاحب مسند الفردوس • ولفظه التدبير نصف المعيشة والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العيال احد اليسارين • قوله عليه السلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك • رواه ابو داود والترمذي من رواية شريك وقيس بن الربيع كلاهما عن ابي صالح والحارث من رواية الحسن كلاهما عن ابي هريرة • وقال الترمذي حديث حسن غريب • واخرجه الدارمي في مسنده والدارقطني والحاكم وقال انه صحيح على شرط مسلم • ولكن اعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقي • وقال ابو حاتم انه منكر • وقال الشافعي انه ليس بثابت عند اهله • وقال احمد هذا حديث باطل لا اعرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه صحيح • قال شيخنا لكن بانضمامها يقوى الحديث • انتهى • وقوله الرضاع يغير الطباع • رواه ابو الشيخ من حديث ابن عمر • وقوله عليه السلم لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له • رواه احمد وابو يعلى في مسنديهما والبيهقي في الشعب عن انس • وقوله عليه الصلوة والسلام السناء حبائل الشيطان • رواه في مسند الفردوس عن عقبة بن عامر • وقوله عليه الصلوة والسلام حسن العهد من الايمان • رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة قالت جاءت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها من انت قالت جثامة المزنية قال انت حسانة كيف انتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بابي انت فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال قالت انها كانت زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان • وقال انه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة • وقوله صلى الله عليه وسلم جمال الرجل فصاحة لسانه • رواه القضاعي من حديث الاوزاعي والعسكري من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر كلاهما عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا • واخرجه ايضا الخطيب وابن طاهر • وفي اسناده احمد ابن عبد الرحمن بن الجارود الرقي • والديلمي من حديث جابر رفعه • الجمال صواب المقال والكمال حسن الفعال بالصدق • وعند العسكري من حديث العباس قلت يا نبي الله ما الجمال في الرجل قال فصاحة لسانه • وقوله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا • رواه الطبراني في الكبير • والقضاعي عن ابن مسعود • وهو عند البيهقي في المدخل عن القاسم قال قال ابن مسعود منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان اما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان • واما صاحب العلم فيزداد من رضى الرحمن • وقال انه موقوف منقطع • وكذا رواه البزار والعسكري وغيرهما وبمجموعهما يتقوى وان كانت مفرداته ضعيفة • والله سبحانه اعلم •

متوسط بالاعتدال بين البخل والاسراف

هو الحسن البصري

هو السهمي

وقوله لا فقر اشد من الجهل ولا مال اعز من العقل ولا وحشة اشد من العجب • رواه ابن ماجة • وقوله صلى الله عليه وسلم الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت • رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر • وقوله صلى الله عليه وسلم ما جمع شيء الى شيء احسن من حلم الى علم • رواه العسكري في الامثال من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن الحسين عن علي مرفوعا بزيادة وافضل الايمان التحبب الى الناس • ثلث من لم يكن فيه فليس مني ولا من الله حلم يرد به جهل الجاهل • وحسن خلق يعيش به في الناس • وورع يحجزه عن معاصي الله • وعنده ايضا من حديث جابر مرفوعا ما اوى شيء الى شيء احسن من حلم الى علم وصاحب العلم غرثان الى الحلم • وقوله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبايا الارض • رواه في جزء يحيى عن ابي شريح والمراد الزرع • وانشدوا • تتبع خبايا الارض وادع مليكها • لعلك يوما ان تجاب فترزقا • وقوله عليه الصلوة والسلام كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك في اهل القبور • رواه البيهقي في الشعب والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعا انه حديث • واخرجه البخاري والترمذي وغيرهم • وقوله عليه الصلوة والسلام صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر • خرجه الطبراني في الكبير بسند حسن • وقوله عليه الصلوة والسلام العفو لا يزيد العبد الا عزا والتواضع لا يزيده الا رفعة • وما نقص مال من صدقة • روى مسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله • وروى القضاعي عن ابي سلمة عن ام سلمة مرفوعا ما نقص مال من صدقة ولا عفى رجل عن مظلمة الا زاده الله تعالى عزا • وروى الديلمي من حديث ابي هريرة مرفوعا والذي نفس محمد بيده لا ينقص مال من صدقة • ورواه الترمذي وقال حسن صحيح • وقوله عليه السلم اللهم اني اعوذ بك من شر فتنة الغنا • رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة • وقوله عليه الصلوة والسلام ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر • وان الاخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل فكونوا ابناء الاخرة ولا تكونوا ابناء الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها • رواه ابو نعيم في الحلية من حديث شداد • وقوله عليه الصلوة والسلام اخسر الناس صفقة من اذهب اخرته لدنيا غيره • رواه وعند ابن النجار من حديث عبد الله بن عامر عن ابيه اخسر الناس صفقة رجل اخلق يديه في اماله ولم تساعده الايام على امنيته فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة • وقوله عليه السلام ان من كنوز البر كتمان المصائب • رواه وقوله عليه الصلوة والسلم اليمين حنث او ندم • رواه ابو يعلى وابن ماجة الا انه قال الحلف • وقوله عليه الصلوة والسلام لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك • رواه الترمذي من حديث مكحول عن واثلة • وقال حسن غريب • وهو عند الطبراني ايضا • وفي رواية لابن ابي الدنيا فيرحمه الله ويبتليك بدل فيعافيه • وروى الترمذي مرفوعا من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله • وقوله عليه الصلوة والسلام لابي هريرة جف القلم بما انت لاق قال صاحب فتح المنة بشرح الاحاديث المحيية للسنة هو كناية عن جريان القلم بالمقادير وامضائها والفراغ منها فان الفراغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده فهو من اطلاق اللازم على الملزوم • وهذا اللفظ

لم يوجد في كلام العرب بل هو من الالفاظ التي لم يهتد اليها البلغاء بل افتضتها الفصاحة ابتداء .
وقوله عليه الصلوة والسلام من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة . رواه جماعة
منهم العسكري به . وفي البخاري والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ من يضمن لي ما بين لحييه وما بين
رجليه اضمن له الجنة والمراد بما بين لحييه اللسان وما يأتي به النطق وما بين رجليه الفرج
وقال الداودي المراد ما بين اللحيين الفم فيتناول الاقوال والاكل والشرب وسائر ما يتأتى بالفم
وفي لفظ آخر من توكل لي ما بين فقميه ورجليه اتوكل له بالجنة والفقم بالضم والفتح اللحي وفي لفظ
آخر من تكفل لي تكفلت له . وللديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس من وقي شر قبقبه وذبذبه و
لقلقه وجبت له الجنة . ولفظ الاحياء وقي يعني البطن من القبقبة وهو صوت يسمع في البطن و
كانها حكاية ذلك الصوت . ويجوز ان يكون كناية عن اكل الحرام وشبهه والذكر واللسان . فهذا
واشباهه مما يعسر استقصاؤه يدلك على ذلك انه صلى الله عليه وسلم قد ادرك من الفصاحة مع
جوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره وحاز مرتبة لا يقدر فيها قدره صلى الله عليه وسلم
ومما عدّ من وجوه بلاغته ما ذكر انه جمع متفرقات الشرائع وقواعد الاسلام في اربعة احاديث وهي
حديث انما الاعمال بالنيات . رواه الشيخان . وحديث الحلال بيّن والحرام بيّن . رواه مسلم . وحديث
البينة على المدعي واليمين على من انكر . وحديث لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه . رواه
الشيخان . فالحديث الاول يشتمل على ربع العبادات . والثاني على ربع المعاملات . والثالث
على ربع الحكومات وفصل الخصومات . والرابع على ربع الآداب المناصفات . ويدخل تحته التحذير من الجنايات
قال ابن المنير ومما عدّ ايضا من انواع بلاغته كلامه صلى الله عليه وسلم مع كل ذي لغة بليغة
بلغته اتساعا في الفصاحة واستحداثا للالفة فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب اهل الحضر بكلام الين
من الدهن وارق من المزن . ويخاطب اهل البدو بكلام ارسى من الهضب وازهى من الخشب فانظر الى
دعائه عليه الصلوة والسلام لاهل المدينة وقد سألوه ذلك . فقال اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك
لهم في صاعهم ومدهم . وفي حديث آخر بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا
وبارك لنا في مدنا . اللهم اني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه . ثم انظر دعاءه
لبني نهد وقد وفدوا عليه في جملة الوفود فقام طهفة بن زهير النهدي يشكو الجدب . فقال اتيناك
يا رسول الله من غوري تهامة باكوار الميس ترتمي بنا العيس . نستحلب الصبير . ونستخلب الخبير .
ونستعضد البرير . ونستخيل الرهام . ونستجيل الجهام . من ارض غائلة النطاء . غليظة الوطاء . قد
نشف المدهن . ويبس الجعثن . وسقط الاملوج . ومات العسلوج . وهلك الهدي . ومات
الودي . برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام . وشريعة
الاسلام . ما طما البحر . وقام تعار . ولنا نعم همل اغفال . ما تبل ببلال . فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له
الثمد وبارك له في المال والولد . من اقام الصلوة كان مسلما . ومن آتى الزكوة كان محسنا . ومن

شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك . لا تلطط في الزكوة
ولا تلحد في الحيوة . ولا تتثاقل عن الصلوة . ثم كتب معه كتابا الى بني نهد . بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة
الفريضة . ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد
طلحكم . ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق . من اقرّ بما في هذا الكتاب فله من الله الوفاء
بالعهد والذمة . ومن ابى فعليه الربوة . وتحتاج هذه الالفاظ البالغة اعلا انواع البلاغة
الى التفسير . فالميس شجر صلب تعمل منه اكوار الابل ورحالها . ونستحلب بالحاء المهملة الصبير
بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة وهو سحاب ابيض متراكب متكاثف . اي نستدر السحاب . ونستخلب
بالخاء المعجمة الخبير بالخاء المعجمة ايضا ثم الموحدة النبات والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها
واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل . والخبير يقع على الوبر والزرع والاكار . قال ابن الاثير
ونستعضد البرير اي نقطعه ونجنيه من شجره للاكل وهو بموحدة وراءين بينهما مثناة تحتية ثمر
الاراك اذا اسود وبلغ . وقيل هو اسم له في كل حال وكانوا ياكلونه في الجدب . ونستخيل بالخاء المعجمة
الرهام بكسر الراء وهي الامطار واحدتها رهمة اي نتخيل الماء في السحاب القليل . وقيل الرهمة اشد وقعا
من الديمة . ونستجيل بالجيم اي نراه جائلا تذهب به الريح ههنا وههنا . والجهام بالجيم اي السحاب
الذي فرغ ماؤه . ومن روى نستخيل بالخاء المعجمة فهو نستفعل من خلت اخال اذا ظننت اراد
لا نتخيل في السحاب الا المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه . ومن رواه بالحاء المهملة وهو
الاشهر اراد لا ننظر من السحاب في حال الا الى جهام من قلة المطر . وارض غائلة بالغين المعجمة
والنطاء بكسر النون اي مهلكة للبعد . يقال بلد نطي اي بعيد . ويروى المنطى وهو مفعل منه
والمدهن نقرة في الجبل . والجعثن بالجيم والمثلثة اصل النبات ويقال الصليان خاصة وهو نبت
معروف . والعسلوج بضم العين والسين المهملة آخره جيم هو الغصن اذا يبس فذهبت طراوته و
قيل هو القضيب الحديث الطلوع يريد ان الاغصان يبست وهلكت من الجدب وجمعه عساليج
والاملوج بالضم والجيم ورق شجر يشبه الطرفا والسرو . وقيل هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان وقيل
هو نوى المقل . وفي رواية وسقط الاملوج من البكارة بالكسر جمع البكر بالفتح يريد ان السمن الذي قد
علا بكارة الابل بما رعت من هذه الشجرة قد سقط عنها فسماه باسم المرعى اذ كان سببا له . وهلك الهدي
بفتح الهاء وكسر الدال المهملة والتشديد كالهدي بالتخفيف وهو ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر
فاطلق على جميع الابل وان لم يكن هديا تسمية للشيء ببعضه . يقال كم هدي بني فلان اي كم ابلهم
ومات الودي بالتشديد فسيل النخل يريد هلكت الابل ويبست النخيل . وبرئنا اليك من الوثن و
العنن الاعتراض يقال عنّ لي الشيء اي اعترض كانه قال برئنا اليك من الشرك والظلم . وقيل اراد به الخلاف
والباطل . وما طما البحر اي ارتفع بامواجه . وتعار بكسر التاء المثناة الفوقية نعرف ولا نصرف اسم جبل

ولنا نعم همل اي مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهي كالضالة والابل الاغفال التي لا لبن
بها وقوله صلى الله عليه وسلم في محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة اي خالص لبنها
ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن واخذ زبده ومذقها بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف
اي ممزوج بالماء وانعثر لهما في الدثر بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ثم الراء المال الكثير
وقيل الخصب والنبات الكثير واجعل الثمد بفتح المثلثة المال القليل اي صيره كثيرا
وودايع الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق يقال توادع الفريقان اذا اعطى كل واحد منهم
عهده للاخر لا يغزوه وقيل ما كان استودعوه من اموال الكفار الذين لم يدخلوا في الاسلام
اراد احلالها لهم لانها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط ووضايع الملك جمع وضيعة
وهي الوظيفة التي تكون على الملك وهي ما يلزم الناس في اموالهم من الزكوة والصدقة اي لكم الوظايف
التي تلزم المسلمين لا نتجاوزها عنكم ولا نزيد عليكم شيئا ولا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام
الساكنة ثم طاآن الاولى مكسورة والثانية مجزومة على النهي اي لا تمنعنها ولا تلحد في الحق
بضم المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة اخره دال مهملة اي لا تمل عن الحق ما دمت حيا
قال بعضهم كذا رواه القتيبي لا تلطط ولا تلحد على النهي للواحد ولا وجه له لانه خطاب للجماعة
ورواه غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلوة ولا يلطط في الزكوة ولا يلحد في
قال الحافظ ابو السعادات الجزري وهو الوجه لان الخطاب للجماعة واقع على ما قبله وقوله ولا
تثاقل عن الصلوة اي لا تتخلف والوظيفة الحق الواجب والفريضة اي الهرمة المسنة اي
تأخذ في الصدقات هذا الصنف كما انا لا نأخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة
المريضة والفريش بفتح الفاء اخره شين معجمة وهي من الابل كالنفساء من بنات ادم اي لكم خيار
المال وشراره ولنا وسطه والعنان بكسر العين سير اللجام والركوب بفتح الراء الفرس الذلول
والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة اخره مهملة المهر العسر الصعب اي نمن عليه بترك الصدقة في
الخيل في جيدها ورديها ولا يمنع بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة و
سكون الراء وبالحاء المهملة ما يسرح من المواشي اي لا يدخل عليكم في مراعيكم ولا يعضد طلحكم اي
لا يقطع ولا يحبس دركم اي لا يحبس ذوات الدر عن المرعى الى ان تجتمع المواشي ثم تعد اوانا منعناه
ان ياخذها لما في ذلك من الاضرار والاماق بالميم ما لم يضمروا الغيظ والبكاء مما يلزمكم من الصدقة
قاله في القاموس وقال الزمخشري المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار في دين الله وفي رواية
الرماق بالراء والميم اي النفاق يقال رامقته رماقا وهو ان ينظر اليه شزرا نظر العداوة يعني ما
لم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق اي ضيق وعيش رمق ومرمق اي يمسك الروح والرمق
بقية الروح واخر النفس وتاكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة اي الا ان تنقضوا العهد
واستعار الاكل لنقض العهد لان البهيمة اذا اكلت الربق اي الحبل يجعل فيه عرى وتشد به خلصت من الرباط

والربوة

والربوة بكسر الراء وفتحها وضمها اي الزيادة يعني من تقاعد عن اعطاء الزكوة فعليه الزيادة
في الفريضة عقوبة له فانظر الى هذا الدعاء والكتاب الذي انطبق على الغنم وجاد وزاد عليهما في الجزالة
والبداوة انه هذا من كتابه عليه الصلوة والسلام لانه في الصدقة وان ذلك من كتابه بين قريش و
الانصار انهم امة واحدة دون الناس من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى ويكونون
عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وان المؤمنين المتقين ايديهم على من بغى عليهم او ابتغى
دسيعة ظلم وان سلم المؤمنين واحد على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا
ومن اغتبط مؤمنا قتلا فهو قود الا ان يرضى ولي المقتول ومن ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه
واهل بيته هذه الصحيفة البر المحسن كذا روي مختصرا من حديث ابن شهاب وقوله دسيعة
ظلم اي عظيمة من الظلم وربعتهم امرهم القديم الذي كانوا عليه ويتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى
اي يكونون على ما كانوا عليه من اخذ الديات واعطائها وهو تفاعل من العقل والمعاقل الديات
جمع معقلة يقال بنو فلان على معاقلهم التي كانوا عليها اي في مراتبهم وحالاتهم ولا يوتغ اي
لا يهلك ويعقب بعضهم بعضا اي يكون الغزو بينهم نوبا فاذا خرجت طائفة ثم عادت لم
تكلف ان تعود ثانية حتى تعقبها غيرها وانه هذا البين في القوة وقرب الماخذ في اللفظ على طريق الحضارة
وعرف الجمهور المشهور من كتابه لذي المشعار الهمداني لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك
فقال مالك بن نمط يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلص نواج متصلة
بحبائل الاسلام لا تاخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل
ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم
هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف واهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار
مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
ياكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيه الصالغ والقارح
وقوله نصية من كل حاضر وباد قال ابن الاثير النصية ما ينتصى من القوم اي يختار من نواصيهم
وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع اذناب واتوك على قلص بضم القاف
واللام جمع قلوص وهي الناقة الشابة والنواج السراع وقوله متصلة بحبائل الاسلام اي عهوده
واسبابه وخارف بالخاء المعجمة ويام بالمثناة التحتية قبيلتان ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل
اي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والافساد كما يقال لا افسدنا بيني وبينك بمذاهب الاشرار وطرقهم في
الفساد والسنة الطريقة والسنن ايضا والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم
القاف الداهية اي لا ينقض عهدهم بسعي الواشي ولا بداهية تنزل ولعلع جبل وما جرى اليعفور
بفتح التحتية الخشف لد البقرة الوحشية وقيل هو تيس الظبا والجمع اليعافير والياء زائدة

وبصلع بضم ... الارض التي لا نبات بها

وقوله عليه السلام • واهل جناب الهضب بكسر الجيم اسم موضع • وجفاف الرمل اسماء بلادهم • وفراعها بكسر الفاء وبراء وعين مهملة اي اعلاها من الجبال او الارض • ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط • وبه سمي الوهط وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطائف • وقيل الوهط قرية بالطائف كان الكرم المذكور بها • وعزازها بفتح العين المهملة فزاءين معجمتين مخففتين ما صلب من الارض واشتد وخشن • وانما يكون في اطرافها • علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تاكله الماشية • وعفاها بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد اي المباح • ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء والهمز قال في المجمل نتاج الابل والبانها والانتفاع بها • وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء اي نخلهم • والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبالموحدة ما هرم من ذكور الابل وتكسرت اسنانه • والناب بالنون والموحدة الناقة التي طال نابها • والفصيل بالمهملة الذي ينفصل عن امه • والفارض بالفاء المسن من الابل • والداجن بالمهملة والجيم الدابة التي تالف البيوت • والكبش الحوري بالحاء المهملة ثم واو مفتوحتين فراء مكسورة الذي في صوفه حمرة • والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تمت اسنانها • والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل في السنة الخامسة • انتهى • وهذا من جنس كتابه لقطن بن حارثة العليمي من كلب هذا كتاب من محمد رسول الله لعمائر كلب واحلافها ومن ظاهره الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقام الصلوة لوقتها وايتاء الزكوة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين • وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبي عليهم من الهمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار • والحمولة المائرة لهم لاغية • وفي الشوي الورى مسنة حاملا وحائل • وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر • وفي العثري شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق • شهد على ذلك الله ورسوله • وكتب ثابت بن قيس بن شماس • وتفسير غريبه انه قوله ومن ظاهره الاسلام بالظاء المعجمة والهاء آخره هاء اي عاونه عليه وعليهم • في الهمولة بفتح الهاء هي التي ترعى بانفسها ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة • والبساط التي معها اولادها • والظؤار ان تعطف الناقة على غير ولدها • والحمولة المائرة لهم لاغية يعني الابل التي تحمل عليها الميرة وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لا يوخذ منها زكوة لانها عوامل • وفي الشوي بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة والورى السمينة • ومن هذا النمط • كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة الى الاقيال العباهلة ومن الارواع المشابيب • وذكر الفرائض فقال في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله • وكل مسكر حرام • ووائل بن حجر يترفل على الاقيال • قيل الاقيال وهو بالقاف والمثناة التحتية بالرؤساء الذين دون الملوك • والعباهلة بالمهملة المفتوحة والموحدة الذين قروا على ملكهم لا يزالون • والارواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم

ذوو الهيئات الحسان الوجوه • والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وبالباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤس الحسان الوجوه • في التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين اربعون من الغنم • وفي القاموس والنهاية ادنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان • ولا مقورة بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو • والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام آخرها طاء مهملة اي الجلود لكونها مهزولة • ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضدها وهي المكتنزة اللحم • وانطوا بقطع الهمزة اي اعطوا • والثبجة بالمثلثة ثم موحدة ثم جيم مفتوحات • وقد تكسر الموحدة اي الوسط في الصدقة لا من خيار المال ومن رذالته • وفي السيوب بضم المهملة وآخره موحدة اي الركاز قاله الهروي • وقيل المال المدفون في الجاهلية او المعدن • ومن زنا مم بكر الراء بلا تنوين لان اصله من البكر لكن اهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهي ساكنة فادغمت النون فيها • والمراد بالبكر الجنس وقال ابن الاثير اي من بكر ومن ثيب فقلبت النون الساكنة ميما • اما مع بكر فلان النون اذا سكنت قبل الباء فانها تقلب بالنطق نحو عنبر وشنبا • اما مع غير الباء فانها لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف • انتهى • وفاصقعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة اي اضربوه • واستوفضوه عاما بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة اي غربوه وانفوه سنة • وفضرجوه بالضاد المعجمة وتشديد الراء وبالجيم • وبالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة اي دموه بالضرب بجماهير الحجارة • ولا توصيم بصاد مهملة مكسورة اي لا كسل عن اقامة الحدود • ولا غمة بضم المعجمة وتشديد الميم اي لا تستر ولا تخفى • ويترفل بتشديد الفاء المفتوحة يتسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو اسباغه واسباله • وقريب من هذا كتابه صلى الله عليه وسلم لاكيدر واهل دومة كما قدمته في مكاتباته صلى الله عليه وسلم • وقال عليه الصلوة والسلام في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية • والسفلى هي المنطاة • قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا • وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه ان يكلم كل ذي لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب الفاظها واساليب كلمها • وكان احدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي • وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الخليقة سودا وحمرا • والكلام باللسان بقع في غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا في الترجمة نازلا عن صاحب الاصالة في تلك اللغة الا نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم فانه زاده الله تكريما وشرفا تكلم في كل لغة من لغة العرب افصح وانصع بلغاتها منها بلغة نفسها وجدير بذلك فقد اوتي في سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس ما لا يضبطه قياس ولا يدخل تحت تحقيقه الناس • انتهى • واما صوته الشريفة فعن انس قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت

رواه ابن عساكر. وروى نحوه من حديث علي بن ابي طالب. وروي انه كان اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه. وقد كان صوته عليه الصلوة والسلام يبلغ حيث لا يبلغ صوت غيره. فعن البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في خدورهن. رواه البيهقي. وقالت عايشة رضي الله عنها جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم فجلس في مكانه. رواه ابو نعيم. وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت اسماعنا. وفي لفظ ففتح الله اسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا. رواه ابن سعد. وعن ام هانئ قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وانا على عريشي. رواه ابن ماجه.

وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم. اي ما رايته مستجمعا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكا تاما مقبلا بكليته على الضحك. واللهوات بفتح اللام والهاء جمع لهاة وهي اللحمة التي باعلى الحنجرة من اقصى الفم. وهذا لا ينافي ما في حديث ابي هريرة في قصة المواقع اهله في رمضان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه. رواه البخاري. وهي بالجيم والذال المعجمة الاضراس. ولا تكاد تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عايشة انما نفت رؤيتها وابو هريرة اخبر بما شاهده. والمثبت مقدم على النافي. وقد قال اهل اللغة التبسم مبادي الضحك والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور. فان كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة والا فالضحك وان كان بلا صوت فهو التبسم. وقال ابن ابي هالة جل ضحكه التبسم. ويفتر عن مثل حب الغمام اي يبدي اسنانه ضاحكا. وحب الغمام البرد. وقال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان في معظم احواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك. قال والمكروه من ذلك انما هو الاكثار منه او الافراط فيه لانه يذهب الوقار. قال ابن بطال والذي ينبغي ان يقتدى به من افعاله ما واظب عليه من ذلك. وقد روى البخاري في الادب المفرد وابن ماجه عن ابي هريرة رفعه لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب. وقال ابو هريرة رضي الله عنه واذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ في الجدر. رواه البزار والبيهقي. اي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار وهو الحائط اي يشرق نوره كاشراق الشمس عليها. وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه بل كان اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم. رواه مسلم. (في ضحكه م)

وكان بكاؤه صلى الله عليه وسلم من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره ازيز. يبكي رحمة لميت وخوفا على امته وشفقة ومن خشية الله وعند سماع القرآن واحيانا في صلوة الليل. قاله في الهدي النبوي. وقد حفظه الله تعالى من التثاوب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن ابي شيبة عن يزيد بن الاصم ما تثاءب صلى الله عليه وسلم قط. ولكن في رواية عند ابن ابي شيبة ما تثاءب نبي قط. (في بكائه م)

واما

واما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن الكفين كما سياتي اي غليظ اصابعهما. وبانه عبل الذراعين رحب الكفين. وقد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر بن سمرة قال فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار. رواه مسلم. وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي لقد كنت اصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم او يمس جلدي جلده فاتعرفه بعد في يدي وانه لاطيب رايحة من المسك. وقال يزيد بن الاسود ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هي ابرد من الثلج واطيب ريحا من المسك. رواه البيهقي. وعن المستورد بن شداد عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخذت بيده فاذا هي الين من الحرير وابرد من الثلج. رواه الطبراني. ودخل صلى الله عليه وسلم على سعد بن ابي وقاص بمكة يعوده وقد اشتكى قال فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل الي اني اجد برد يده على كبدي حتى الساعة. رواه مسلم. وفي البخاري من حديث انس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو من باب عطف الخاص على العام لان الديباج نوع من الحرير. قيل وهذا الوصف في هذا الحديث يخالف ما وقع في حديث ابن ابي هالة عند الترمذي في صفته صلى الله عليه وسلم فان فيه كما تقدم كان شثن الكفين والقدمين اي غليظهما في خشونة. وهكذا وصفه علي رضي الله عنه من عدة طرق عند الترمذي والحاكم وغيرهما. وكذا وصف عايشة رضي الله عنها عند ابن ابي خيثمة. والجمع بينهما ان المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته. وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غير انها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث انس. قال واما قول الاصمعي الشثن غلظ الكف في خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة. والذي فسره به الخليل اولى. قال وعلى تسليم ما فسره به الاصمعي الشثن يحتمل ان يكون انس وصف حالتي كف النبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا عمل بكفه في الجهاد او في مهنة اهله صار كفه خشنا للعارض المذكور واذا ترك ذلك رجع. وتعقب بانه ثبت في وصفه عليه السلام انه كان سائل الاطراف. انتهى. ويؤيد كونها لينة قوله في رواية النعمان كان سبط الكفين بتقديم المهملة على الموحدة فانه موافق لوصفها باللين. والتحقيق في الشثن انه الغلظ من غير قصر ولا خشونة. وقد نقل ابن خالويه ان الاصمعي لما فسر الشثن بما مضى قيل له انه ورد في وصف النبي صلى الله عليه وسلم انه لين الكف فآلى على نفسه ان لا يفسر شيئا في الحديث. انتهى. وفي حديث معاذ عند الطبراني والبزار اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيئا قط الين من جلده صلى الله عليه وسلم. واصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان اثر يده عليه الصلوة والسلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس. رواه الحاكم وابو نعيم وابن عساكر. واخرج البخاري في تاريخه والبغوي وابن منده في الصحابة من طريق صاعد بن العلاء بن بشر عن ابيه عن جده بشر بن معاوية انه قدم مع ابيه معاوية بن ثور على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح راسه ودعا له بالبركة فكانت في وجهه مسحة النبي صلى الله عليه وسلم كالغرة وكان

لا يمسح شيئا الا برأ • ومسح صلى الله عليه وسلم رأس مدلوك ابي سفيان فكان ما مرت يده عليه اسود وشاب ما سوى ذلك • رواه البخاري في تاريخه والبيهقي • وكذا وقع له عليه الصلاة والسلام في رأس السائب رواه البغوي والبيهقي وابن منده • واخرج البيهقي وصححه • والترمذي وحسنه عن ابي زيد الانصاري قال مسح عليه السلام بيده على رأسي ولحيتي ثم قال اللهم جمّله قال فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض ولقد كان منبسط الوجه • ولم ينقبض وجهه حتى توفي • ومسح عليه الصلاة والسلام رأس ابن حنظلة بن حذيم بيده وقال له بورك فيك فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والانسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول بسم الله على اثر يد رسول الله فيمسحه ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم • رواه احمد والبخاري في التاريخ • وابو يعلى وغيرهم • وقد جاء في عدة احاديث عن جماعة من الصحابة بياض ابطيه • فعن انس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى رأيت بياض ابطيه • وقال الطبري • ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون غيره الا [illegible] عليه السلام • ومثله للقرطبي وزاد وانه لا شعر عليه • لكن نازع فيه صاحب تخريج الاسانيد وقال انه لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه • قال والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره • وسيأتي مزيد لذلك في الخصائص ان شاء الله تعالى • وعن رجل من بني حريش قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال علي من عرق ابطه مثل ريح المسك • رواه البزار • ووصفه علي رضي الله عنه فقال ذو مسربة • وفسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة • وقال ابن ابي هالة دقيق المسربة وعند ابن سعد عن علي طويل المسربة • وعند البيهقي له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره • ووصفت بطنه ام هانئ فقالت ما رأيت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ذكرت القراطيس المثني بعضها على بعض • رواه الطيالسي والطبراني • وقال ابو هريرة كان صلى الله عليه وسلم ابيض كانما صيغ من فضة • رجل الشعر • مفاض البطن • عظيم مشاش المنكبين • وتقدم ان المشاش هي رؤوس العظام كالركبتين • ومفاض اي واسع • وقيل مستوي البطن مع الصدر • وخرج الامام احمد عن محرش الكعبي قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة • وكان صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين • رواه البخاري اي عريض الصدر • ووقع عند ابن سعد من حديث ابي هريرة رحب الصدر • واما قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم فاعلم ان القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد • وقال الواحدي وسمي به لتقلبه بالخواطر والعزوم • قال الشاعر • وما سمي الانسان الا لنسيه • ولا القلب الا انه يتقلب • وقال الزمخشري مشتق من القلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه الا ترى الى ما روى ابو موسى الاشعري عن النبي عليه السلام ومثل هذا القلب كريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر • قالوا والفرق بينه وبين الفؤاد ان الفؤاد وسط القلب سمي به لتفؤده اي توقده • وفسر الجوهري القلب بالفؤاد ثم فسر الفؤاد بالقلب قال الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه • ويؤيد الفرق قوله

ع

صلى الله عليه وسلم ألين قلوبا وارق افئدة • وهو اولى من قول بعضهم المذكور لاختلاف اللفظ • وقال الراغب يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به كالعلم والشجاعة • وقيل حيثما ذكر الله القلب فاشارة الى العقل والعلم كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب • وحيثما ذكر الصدر فاشارة الى ذلك والى سائر القوى من الشهوة والغضب ونحوها انتهى • قال بعض العلماء وقد خلق الله تعالى الانسان وجعل له قلبا يعقل عنه وهو اصل وجوده اذا اصلح قلبه صلح سائره واذا افسد قلبه فسد سائره • وجعل سبحانه القلوب محل السر والاخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من يشاء من عباده • فاول قلب اودعه قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول الخلق وصورته صلى الله عليه وسلم اخر صورة ظهرت من صور الانبياء فهو اولهم وآخرهم • وقد جعل الله تعالى احدق القلوب للنفوس اقلاما على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت اخلاقه لجميع خلق الله تعالى • وكذلك جعل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فكونه علامات اختصاص جثمانية آيات دالة على تحول نفسه للترقي • وعظم خلقه ويكون على عظم الخلقة آيات على سر قلبه المقدس • ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم اوسع قلب اطلع الله عليه كما ورد في الخبر كان هو الاولى ان يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى ما وسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن • ولما كان كماله قبل الاسراء بمنزلة سائر النبيين كان صدره يضيق فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره • وقد صح ان جبريل عليه السلام شقه واستخرج منه علقة • فقال له هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فاعاده في مكانه • قال انس فلقد كنت ارى اثر المخيط في صدره • رواه مسلم • وانما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقها تكملة للخلق الانساني فلا بد منها ونزعها امر رباني طرأ بعد ذلك • قاله السبكي • وعند احمد وصححه الحاكم ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين • فقال احدهما ائتني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بماء برد فغسلا قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة • وفي رواية البيهقي ان الملكين جاءآني في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح احدهما صدري ومج الآخر بمنقاره فيه • وعن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما ابتدئت به من امر النبوة قال اني لفي صحراء ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق رأسي يقول احدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاخذاني فلصقاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذه ثم قال ادخل الرأفة والرحمة فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما اغدو به من رحمتي للصغير ورقتي على الكبير • رواه عبد الله بن الامام احمد في زوائد

بما اغدو

المسند وابو نعيم • وقال انفرد به معاذ عن ابانة • وتفرد بذكر البتن • وعند ابي نعيم في حديث يونس
بن ميسرة فاستخرج حشوة جوفي فغسلها ثم ذر عليها ذرورا • ثم قال قلب وكيع يعي ما وقع فيه عينان
بصيرتان واذنان تسمعان وانت محمد رسول الله المقفى الحاشر قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك
مطمئنة وخلقك قيم وانت قثم • وهذا الشق • روى انه عليه السلام وقع له مرات • مرة في حال
طفوليته ارهاصا وتقديم المعجزة على زمان البعثة جائز للارهاص • ومثل في خوارق الرسل عليهم الصلوة
والسلام كثير • وبه يجاب عن استشكال وقوع ذلك في حال طفوليته لانه من المعجزات ولا يجوز ان يتقدم
على النبوة • قاله الرازي والذي عليه اكثر اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى كما نبهت
في اوائل الكتاب • ويأتي ان شاء الله تعالى في المقصد الرابع وهو المراد بقوله الم نشرح لك صدرك
وقيل المراد بالشرح في الاية ما يرجع الى المعرفة والطاعة ثم ذكروا في ذلك وجوها • منها انه لما بعث الى
الاحمر والاسود من جني وانسي اخرج تعالى عن قلبه جميع الهموم • وانفسح صدره حتى اتسع لجميع المهمات
فلا يقلق ولا يضجر بل هو في حالتي البوس والفرج منشرح الصدر مشتغل باداء ما كلف به فان قلت
لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان محل الوسوسة الصدر كما قال تعالى يوسوس
في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح لا جرم خص ذلك الشرح بالصدر
دون القلب • وقد قال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فيجئ
الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا دخل مسلكا اغار فيه وانزل جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص
فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء حصل الامن
وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام باداء حقوق العبودية • وههنا دقيقة قال الله تعالى حكاية
عن موسى عليه السلام رب اشرح لي وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الم نشرح لك صدرك اعطي بدون سؤال
ثم انه تعالى نعته عليه السلام فقال وسراجا منيرا • فانظر الى التفاوت فان شرح الصدر هو ان يصير قابلا
للنور والسراج المنير يقتبس منه النور والفرق بينهما واضح • قال الدقاق كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال
رب اشرح لي صدري • ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله تعالى الم نشرح لك صدرك والله اعلم •
واما جماعه صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة
امرأة • قال الراوي قلت لانس او كان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين • رواه البخاري • وعند
الاسمعيلي عن معاذ قوة اربعين • زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال اهل الجنة • وعن انس مرفوعا يعطى
المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع • الحديث • من حديث عمران القطان فاذا ضربنا الاربعين في مائة تبلغ اربعة
الاف • وذكر ابن العربي انه كان له صلى الله عليه وسلم القوة الظاهرة على الخلق في الوطء وكان له في الاكل
القناعة ليجمع الله له الفضيلتين في الامور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين في الامور الشرعية حتى يكون حاله
كاملا في الدارين • انتهى • وطاف صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع ليلة واحدة • رواه ابن سعد • وورد
انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع • رواه

ابن سعد • حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسامة بن زيد عن صفوان بن سليم مرسلا • وروي
من حديث ابي هريرة شكى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى
تلألأ مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثنايا جبريل فقال له اين انت عن اكل الهريسة فان فيه
قوة اربعين رجلا • ومن حديث حذيفة بلفظ اطعمني جبريل الهريسة اشد بها ظهري واتقوى
بها على الصلوة • رواه الدارقطني • ومن حديث جابر بن سمرة وابن عباس وغيرهم وكلها واهية
بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين في جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة بانه موضوع
وروي انه عليه السلام اعطي قوة بضع واربعين رجلا كل من اهل الجنة • رواه الحارث ابن ابي اسامة •
وقد حفظه الله تعالى من الاحتلام • فعن ابن عباس قال ما احتلم نبي قط • وانما الاحتلام من الشيطان
رواه الطبراني • واما قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد
بانه كان شثن القدمين اي غليظ اصابعهما • رواه الترمذي وغيره • وعن ميمونة بنت كردم قالت
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه • رواه احمد
وعن جابر بن سمرة كانت خنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة • رواه البيهقي • وقد اشتهر
على الالسنة ان سبابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى • قال الحافظ ابن حجر وهو غلط
ممن قاله وانما ذلك في اصابع رجليه • انتهى • وقال شيخنا في المقاصد الحسنة وسلف جمهورهم
الكمال الدميري وهو خطأ نشأ عن اعتماد رواية مطلقة • وعبارته كذا رواه ابن هرون عن عبد الله
ابن مقسم عن سارة بنت مقسم انها سمعت ميمونة بنت كردم تخبر انها رأت اصابع النبي صلى الله عليه و
سلم كذلك فضم ما وقع فيها من اطلاق الاصابع الى كون الوسطى من كل اطول من السبابة وعينا اليد
صلى الله عليه وسلم لذلك بناء على ان القصد ذكر وصف اختص به صلى الله عليه وسلم عن غيره ولكن الحديث
في مسند الامام احمد من حديث يزيد بن هرون المذكور مقيد بالرجل ولفظه كما قدمته فما نسيت
طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه • وهو عند البيهقي ايضا في الدلائل من طريق يزيد و
لفظها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقة وانا مع ابي فدنا منه فاخذ بقدمه
فاقر له النبي صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه •
وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص • رواه البيهقي • وعن ابي امامة
الباهلي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدمه كلها • رواه ابن عساكر • وقال ابن
ابي هالة خمصان الاخمصين مسيح القدمين • قال ابن الاثير الاخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق
بالارض منها عند الوطء • والخمصان المبالغ منه • اي ان ذلك الموضع من اسفل القدم شديد التجافي
عن الارض • وسئل ابن الاعرابي عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل
القدم فهو احسن ما يكون • واذا استوى او ارتفع جدا فهو ذم فيكون المعنى ان اخمصه معتدل الخمص
بخلاف الاول • ووقع في حديث ابي هريرة اذا وطئ بقدميه وطئ بكلها ليس له اخمص • وقوله

مُسِيحُ القدمين اي مُلسَاوين لينتان ليس فيهما تكسر ولا تشقق فلهذا اصابهما الماء نبا عنهما نبوعنه الماء
قاله ابن ابي هالة وهو معنى حديث ابي هريرة • وعن عبد الله بن بريدة كان صلى الله عليه وسلم احسن
البشر واما طوله صلى الله عليه وسلم • فقال علي رضي الله عنه كان صلى الله عليه
وسلم لا قصير ولا طويل • وهو الى الطول اقرب • رواه البيهقي • وعنه كان صلى الله عليه وسلم ليس
بالذاهب طولا وفوق الربعة اذا جامع القوم غمرهم • رواه عبد الله بن الامام احمد • وعن ابي هريرة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة • وهو الى الطول اقرب • رواه الترمذي • وفعلة ربعة
اي مربوعا • والتانيث باعتبار النفس • وقد فسر في الحديث الآخر بانه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة • وقال ابن ابي هالة اطول من المربوع
واقصر من المشذب • وهو بمعجمة مفتوحتين ثانيهما مشددة • اي البائن الطول في نحافة • وهو مثل قوله
في الحديث الآخر لم يكن بالطويل الممغط وهو بتشديد الميم الثانية المتناهي الطول • وامغط النهار
اذا امتد • ومغطت الحبل اذا مددته • واصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت
في الميم • ويقال بالعين المهملة بمعناه • وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد • وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده • ولم يكن على حال
احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم • ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان
فيطولهما فاذا فارقاه نسب صلى الله عليه وسلم الى الربعة • رواه ابن عساكر والبيهقي • وزاد ابن سبع
في الخصائص انه كان اذا جلس يكون كتفه اعلى من جميع الجالسين • ووصفه ابن ابي هالة بانه بادن متماسك
اي معتدل الخلق كان اعضاءه يمسك بعضها بعضا • واما شعره الشريف صلى الله
عليه وسلم • فعن قتادة قال سألت انسا عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين
لا رجل ولا سبط ولا جعد قطط كان بين اذنيه وعاتقه • وفي رواية قال كان شعرا رجلا ليس بالسبط
ولا الجعد بين اذنيه وعاتقه • وفي اخرى الى انصاف اذنيه • رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي
وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكان له شعر
فوق الجمة ودون الوفرة • رواه الترمذي وابو داود • والوفرة الشعر الواصل الى شحمة الاذن • وقال
ابن ابي هالة ايضا كان رجل الشعر • وهو بفتح الراء وكسر الجيم اي يتكسر قليلا بخلاف السبط والجعد ان
انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره • والعقيقة بالقافين شعر راسه
الشريف • يعني ان انفرقت بنفسها فرقها • والا تركها معقوصة • ويروى ان انفرقت عقيصته بالصاد
وهي الشعر المعقوص • وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره • وكان المشركون يفرقون رؤوسهم
وكان اهل الكتاب يسدلون رؤوسهم • وكان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم • رواه الترمذي في الشمائل • وفي صحيح مسلم نحوه • وسدل الشعر ارساله • والمراد هنا ارساله على الجبين
واتخاذه كالقصة • واما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض • قال العلماء والفرق سنة لانه الذي رجع

اليه صلى الله عليه وسلم • والصحيح جواز الفرق والسدل • لكن الفرق افضل • وعن عائشة رضي الله عنها
كان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة • رواه الترمذي • وفي حديث انس كان الى اذنيه • وفي حديث البراء
يضرب منكبيه • يبلغ الى كتفيه او منكبيه • وفي رواية ما رايت من ذي لمة احسن منه • والجمة هي الشعر الذي
نزل الى المنكبين • والوفرة ما نزل الى شحمة الاذنين • واللمة التي المت بين المنكبين • قال القاضي عياض
والجمع بين هذه الروايات ان ما يلي الاذن هو الذي يبلغ شحمة اذنيه • وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه • كما
وقيل بل ذلك لاختلاف الاوقات • فاذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب واذا قصرها كانت الى انصاف الاذنين
فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك • وعن ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
علينا مكة قدمة وله اربع غدائر • رواه الترمذي في الشمائل • والغدائر بالغين المعجمة والدال المهملة
هي الذوائب • واحدتها غديرة • وفي مسلم عن انس كان في لحيته عليه السلام شعرات بيض • وفي رواية
عنده لم ير من الشيب الا قليلا • وفي اخرى له ايضا لو شئت ان اعد شمطات كن في راسه • ولم يخضب
وعنده ايضا لم يختضب عليه السلام انما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين • وفي الراس نبذ بضم النون
وفتح الباء الموحدة • وبفتح النون واسكان الموحدة اي شعرات متفرقة • وفي رواية ما شانه الله ببيضاء
قال عبد الجليل في شعب الايمان فيما حكاه عن الفاكهاني • وانما كان ذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من
النبي صلى الله عليه وسلم شيئا كفر • وقال في النهاية قد تكرر في الحديث جعل الشيب ههنا عيبا وليس بعيب فانه
قد جاء في الحديث انه وقار وانه نور والشيب ممدوح • وذلك عجيب منه لاسيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم
ويمكن ان يجمع بينهما • ووجه الجمع انه عليه الصلوة والسلام لما راى ابا قحافة وراسه كالثغامة امرهم بتغييره
وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلما علم انس ذلك من عادته قال ما شانه الله ببيضاء بناء على هذا القول
وحملا له على هذا الرأي ولم يسمع الحديث الآخر ولعل احدهما ناسخ للآخر • انتهى • وفي رواية ابي جحيفة
عنده رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه منه بيضاء • ووضع الراوي بعض اصابعه على عنفقته
وفي حديث انس عند البيهقي ما شانه الله بالشيب كان في راسه ولحيته الا سبع عشرة او ثماني عشرة
شعرة بيضاء • وعن ابي جحيفة كان ابيض قد شمط • رواه البخاري • وفي الصحيحين ان ابن عمر رأى
النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة • وعن عمر رضي الله عنه انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم نحوا
من عشرين شعرة بيضاء • رواه الترمذي • وروى ايضا عن ابن عباس قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت • وفي حديث جابر عنده
لم يكن في راسه عليه الصلوة والسلام شيب الا شعرات في مفرق راسه اذا ادهن واراهن الدهن • وفي رواية
البيهقي اسود اللحية حسن الثغر • واختلف العلماء هل خضب عليه الصلوة والسلام ام لا • قال القاضي
عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك • وقال النووي المختار انه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر
كل بما رأى وهو صادق • قال وهذا التاويل كالمتعين • فحديث ابن عمر في الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تاويل له
واما اختلاف الرواية في قدر شيبه فالجمع بينها انه رأى شيئا يسيرا • فمن اثبت شيبه اخبر عن ذلك اليسير

ومن نفاه اراد لم يكثر فيه كما قال في الرواية الاخرى لم يزن الشيب لاطلاقه انتهى وعن جابر بن سمرة
كان صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان اذا ادهن لم يتبين فاذا شعث رأسه تبين وكان
كثير شعر اللحية رواه مسلم والنسائي وعن انس كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته رواه
البغوي في شرح السنة وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام من حديث ابي هالة بانه كان موصول ما بين اللبة و
السرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر وعن
انس قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا
في يد رجل رواه مسلم وسيأتي ان شاء الله تعالى قصة حلق رأسه الشريف في حجة الوداع ولم يروانه صلى الله
عليه وسلم حلق رأسه الشريف في غير نسك حج او عمرة فيما علمته فتبقية الشعر في الرأس سنة ومن تركها
مع علمه يحب تاديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته وقد رأيت بمكة المشرفة في ذي القعدة سنة
سبع وتسعين وثمانمائة شعرة عند الشيخ حامد المرشدي شاع وذاع انها من شعره صلى الله عليه وسلم وزرتها
بحضرة المقام العزيز خليل الحاج وانا اصلي عليه وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا من شعر
النبي صلى الله عليه وسلم اصبناه من قبل انس قال لان يكون عندي شعرة منه احب الي من الدنيا وما فيها
رواه البخاري وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من لحيته من عرضها
وطولها رواه الترمذي وقال حديث غريب واخرج الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقص شاربه وعنده من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم من لم يأخذ شاربه
فليس منا وفي الصحيح خالفوا المشركين وفروا اللحا واحفوا الشارب واختلف في قص الشارب
وحلقه ايهما افضل ففي الموطا يوخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة وعن ابن عبد الحكم عن مالك
قال ويحفى الشارب ويعفى اللحا وليس احفاء الشارب حلقه وارى تاديب من حلق شاربه وعنه
انه قال ان حلقه بدعة قال وارى ان يوجع ضربا من فعله وقال النووي المختار في قص الشارب
يقصه حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من اصله وقال الطحاوي لم نجد عن الشافعي شيئا منصوصا في هذا
وكان المزني والربيع يحفان شاربهما واما ابو حنيفة وصاحباه فمذهبهم في شعر الرأس والشارب ان
الاحفاء افضل من القصر واما احمد فقال الاثرم رايته يحفي شاربه شديدا وقد اختلفوا في كيفية
قص الشارب هل يقص طرفاه ايضا وهما المسميان بالسبالين ام يترك السبالان كما يفعله كثير من الناس
قال الغزالي في الاحياء لا باس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره لان
ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمرة الطعام اذ لا يصل اليه انتهى وروى ابو داود عن جابر قال كنا نعفي
السبال الا في حج او عمرة وكره بعضهم ابقاءه لما فيه من التشبه بالاعاجم بل بالمجوس واهل الكتاب
وهذا اولى بالصواب لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس
فقال انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم فكان يجز سباله كما يجز الشاة او البعير وروى احمد
في مسنده في اثناء حديث لابي امامة فقلنا يا رسول الله فان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون

سبالهم

سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب والعثانين بالعين المهملة
والمثلثة وتكرار النون جمع عثنون وهو اللحية قاله في شرح تقريب الاسانيد واما العانة
ففي حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور وكان اذا كثر شعره حلقه ولكن سنده ضعيف
وروى ابن ماجة والبيهقي ورجاله ثقات ولكن اعل بالارسال وانكره احمد من حديث ام سلمة ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى بدأ بعانته فطلاها بالنورة وسائر جسده اهله واما
الذي يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع باتفاق اهل المعرفة بالحديث
كما قاله الحافظ ابن كثير بل ولم تعرف العرب الحمام ببلادهم الا بعد ان توفي صلى الله عليه وسلم واخرج
البيهقي من مرسل ابي جعفر الباقر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ان يأخذ اظفاره
وشاربه يوم الجمعة وله شاهد موصول من حديث ابي هريرة رضي الله عنه لكن سنده ضعيف اخرجه البيهقي
ايضا في الشعب وسئل عنه احمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير
قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر وهذا هو المعتمد انه يستحب كيفما احتاج اليه قال ولم يثبت في استحباب
قص الظفر يوم الخميس حديث وكذا لم يثبت في كيفيته شيء ولا في تعيين يوم له عن النبي صلى الله عليه
وسلم وما يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه ثم لشيخ الاسلام ابن حجر قال شيخنا انه باطل
والمراد ازالة ما يزيد على ما يلامس رأس الاصبع من الظفر لان الوسخ يجتمع فيستقذر وقد ينتهي
الى حد يمنع من وصول الماء الى ما يجب غسله في الطهارة وقد حكى اصحاب الشافعي فيه وجهين
فقطع المتولي بان الوضوء حينئذ لا يصح وقطع الغزالي في الاحياء بانه يعفى عن مثل ذلك واخرج
الطبراني في الاوسط عن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم لا يفارق سواكه ومشطه
وكان ينظر في المرآة اذا سرح لحيته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل
كل ليلة ثلثة في هذه وثلثة في هذه رواه ابن ماجة والترمذي واحمد ولفظه كان يكتحل بالاثمد
كل ليلة قبل ان ينام وكان يكتحل في كل عين ثلثة اميال وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد
بن علي قال سألت عائشة اكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر
واما مشيه صلى الله عليه وسلم فعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ
تكفأ كانما ينحط من صبب رواه الترمذي وصححه البيهقي والتكفؤ الميل الى سنن المشي وعند
البزار من حديث ابي هريرة اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وعند الترمذي في الشمائل من حديثه وما رأيت
احدا اسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث
وعن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى اسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه
رواه ابن سعد وبروحاء اذا مشى مشى مجتمعا اي قوي الاعضاء غير مسترخ في المشي وقال علي رضي الله عنه
كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى تقلع وقال ابن ابي هالة اذا زال زال تقلعا ويمشي هونا ذريع المشية
اذا مشى كانما ينحط من صبب وفي رواية اذا زال قلعا بالفتح والضم فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل اي يزول
قالعا رجله من الارض وبالضم اما مصدر او اسم وهو بمعنى الفتح قال الهروي قرأت هذا الحرف في كتاب

غريب الحديث لابن الانباري قلعا بفتح القاف وكسر اللام • وكذلك قرأته بخط الازهري وهو كما جاء في
حديث آخر كانما ينحط من صبب والانحدار من الصبب والتقلع من الارض قريب بعضه من بعض اراد انه
كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة • وذريع المشية اي واسع الخطو
قال ابن الاثير • وقال ابن القيم التقلع والارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية
اولي العزم والهمة والشجاعة وهي اعدل المشيات واروحها للاعضاء فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة
كانه خشبة محمولة وهي مذمومة • واما ان يمشي بانزعاج مشي الجمل الاهوج وهي مشية مذمومة
وهي علامة خفة عقل صاحبها ولا سيما ان اكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا • وفي بعض
المسانيد ان المشاة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشي في حجة الوداع فقال استعينوا
بالنسلان وهو العدو الخفيف الذي لا يزعج الماشي • واما مشيه مع اصحابه فكانوا يمشون بين
يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة • وهو معنى قول القائل وكان يسوق اصحابه ويماشيهم
فرادى وجماعة • ومشى عليه الصلوة والسلام في بعض غزواته مرة فجرحت اصبعه وسال منها الدم
فقال • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • رواه ابو داود •
لم يكن له ظل
ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا في قمر • رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان • وقال ابن سبع لانه كان صلى الله
عليه وسلم نورا • فكان اذا مشى في الشمس او القمر لا يظهر له ظل • قال غيره ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم
في دعائه واجعلني نورا •
في لونه
واما لونه الازهر الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه
عليه الصلوة والسلام جمهور اصحابه بالبياض منهم ابو بكر وعمر وعلي وابو جحيفة وابن عمر وابن
عباس وابن ابي هالة والحسن بن علي رضي الله عنهما وابو الطفيل ومحرش الكلبي وابن مسعود والبراء و
عائشة وانس في احدى الروايتين عنه رضي الله عنهم اجمعين • فاما ابو جحيفة فقال كان ابيض
رواه البخاري • واما ابو الطفيل فقال كان ابيض مليحا • رواه الترمذي في الشمائل • وفي رواية مسلم
ابيض مليح الوجه • وفي رواية عنه للطبراني ما انسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره ومن شعر
ابي طالب • وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل • وقال علي رضي الله عنه
ابيض مشرب • والمشرب هو الذي في بياضه حمرة • كما قال في الرواية الاخرى ابيض مشرب بحمرة
وبهذا فسر قول انس في صحيح مسلم ازهر اللون • وفي النسائي من حديث ابي هريرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم
جالس بين اصحابه جاء رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب قالوا هذا الامغر المرتفق • والامغر المشرب حمرة
والمرتفق المتكئ على مرفقته • وفي البخاري من حديث انس ليس بابيض امهق • قال الحافظ ابن حجر ووقع
عند الداودي تبعا لرواية المروزي امهق ليس بابيض • وفي رواية عند ابي خيثمة وغيره • واستشكله
بعضهم وقال ان غالب هذه الروايات متدافعة • وبعضها يمكن الجمع كالابيض مع رواية مشرب بالحمرة
والازهر • وبعضها لا يمكن الجمع كالابيض الشديد الوضح مع الاسمر • واعترض على الداودي رواية امهق
ليس بابيض وعلى ان تعقبه تبعا لرواية المروزي • وقال القاضي عياض انها وهم • قال وكذا رواية
من روى انه ليس بالابيض ولا بالآدم • وليس بصواب • قال الحافظ ابن حجر هذا ليس بجيد لان المراد انه ليس بالابيض

ولهذا الحديث طرق في بعضها عن انس رضي الله عنه باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمر

الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الادمة • وانما يخالط بياضه الحمرة • والعرب قد تطلق على كل من
كان كذلك اسمر • واخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن انس فذكر الصفة النبوية فقال كان
صلى الله عليه وسلم ابيض بياضه الى السمرة • وفي حديث ابن عباس في صفته صلى الله عليه وسلم
رجل بين رجلين جسمه ولحمه احمر الى البياض • اخرجه احمد • وقد تبين من مجموع الروايات ان المراد بالسمرة
الحمرة التي تخالط البياض وان المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة والمنفي ما لا يخالطه وهو الذي
تكره العرب لونه وتسميه امهق • وبهذا تبين ان رواية المروزي امهق ليس بابيض مقلوبة على انه
يمكن توجيهها بان المراد بالامهق الاخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية ولا سمرته ولا حمرته • فقد
نقل عن رؤبة ان المهق خضرة الماء • فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية • وقد تقدم في حديث ابي جحيفة
اطلاق كونه كان ابيض • وكذا في حديث ابي الطفيل عند مسلم والترمذي • وفي حديث سراقة عند ابن
اسحق فجعلت انظر كانها جمارة • ولاحمد من حديث محرش الكعبي في عمرة الجعرانة قال فنظرت الى ظهره
كانه سبيكة فضة • وعن سعيد بن المسيب انه سمع ابا هريرة يصفه صلى الله عليه وسلم فقال كان شديد
البياض • اخرجه يعقوب بن سفيان والبزار باسناد قوي ويجمع بينهما بما تقدم • وقال البيهقي ان
المشرب منه حمرة والى السمرة ما ضحى للشمس والريح اي كالوجه والعنق • واما ما تحت الثياب فهو الازهر
الابيض انتهى • وهذا ذكره ابن ابي خيثمة عقب حديث عائشة في صفته صلى الله عليه وسلم بابسط
من هذا • وزاد ولونه الذي لا يشك فيه الابيض الازهر • انتهى • والله اعلم • ولعل تحقيق بعضهم قول
من قال انه وصف بالسمرة ما كانت الشمس تصيبه بان انسا لا يخفى عليه امره حتى يصفه بغير
صفته اللازمة لقربه منه • ولم يكن عليه الصلوة والسلام ملازما للشمس • نعم لو وصفه بذلك بعض
القادمين ممن صادفه في وقت غيرته الشمس لامكن • فالاولى حمل السمرة في رواية انس على الحمرة التي لا
تخالط البياض كما قدمته • وفي الشفا حكاية عن احمد بن سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل • انتهى • وهذا يقتضي ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته
كفر موجب للقتل • وليس كذلك بل لا بد من ضميمة ما يشعر بالنقص في ذلك كما في مسئلتنا اذ هو ان
الاسود لون مفضول •
في طيبه وعرقه وفضلته
واما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلته
فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا • وروينا عن انس قال ما شممت
نجا ولا مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم • الحديث • رواه الامام احمد •
وفي رواية البخاري ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم • وفي
رواية الترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق النبي صلى الله عليه وسلم • وقوله شممت
بكسر الميم الاولى وسكون الثانية • وعن ام عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي • قالت كنا عند عتبة
اربع نسوة فما منا امرأة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون اطيب من صاحبتها • وما يمس عتبة الطيب
الا ان يمس دهنا يمسح به لحيته ولهو اطيب ريحا منا • وكان اذا خرج الى الناس قالوا ما شممنا

ريحا اطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجتهد في الطيب لانت اطيب ريحا منا فمم ذلك فقال
اخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فشكوت ذلك اليه فامرني ان اتجرد فتجردت
وقعدت بين يديه والقيت ثوبي على فرجي فنفث في يده ثم مسح ظهري وبطني بيده فعبق هذا
الطيب بي يومئذ • رواه الطبراني في معجمه الصغير • وروى ابو يعلى والطبراني قصة الذي استعان به
صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها
فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين • وقال جابر
ابن عبد الله كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم تكن في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه
من طيب عرفه وعرقه • ولم يكن يمر بحجر الا سجد له • رواه الدارمي والبيهقي وابو نعيم • ولله در القائل
فلو ان ركبا يمموك لقادهم • نسيمك حتى يستدل به الركب • وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا
الطريق • رواه ابو يعلى والبزار باسناد صحيح • وما احسن قول القائل • يروح على غير الطريق التي غدا
عليها فلا ينهى علاه نهاته • تنفسه في الوقت انفاس عصره • فمن طيبه طابت له طرقاته •
تروح له الارواح حيث تنسمت • لها سحرا من جيبه نسماته • وعن عائشة رضي الله عنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لونا لم يصفه واصف قط الا شبه
وجهه بالقمر ليلة البدر • وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر • رواه ابو نعيم
وعن انس رضه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة
فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذي تصنعين قالت
هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب • رواه مسلم • وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت ام سليم
فينام على فراشها وليست فيه قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فاتيت فقيل لها النبي نائم في بيتك
على فراشك قال فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة اديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف
ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعين يا ام سليم فقالت
يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال اصبت • والعتيدة الصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة
ما يعز عليها من متاعها • واما روي ان الورد خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم او من عرق البراق
فقال شيخنا في الاحاديث المشتهرة قال النووي لا يصح • وقال شيخ الاسلام ابن حجر انه موضوع وسبقه
لذلك ابن عساكر • وهو في مسند الفردوس بلفظ الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر
خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق • رواه من طريق مكي بن بندار الزنجاني حدثنا
الحسن بن علي بن عبد الواحد القرشي حدثنا هشام بن عمار عن الزهري عن انس به مرفوعا ثم قال قال ابو مسعود
وحدثنا ابو عبد الله الحاكم عن جماعة عن مكي وتفرد به • انتهى • ورواه ابو الحسين بن فارس اللغوي
في الريحان والراح عن مكي به ممن اتهمه الدارقطني بالوضع • وله طريق اخرى رواه ابو الفرج النهرواني

في الخامس والتسعين من الجليس الصالح من طريق محمد بن عنبسة بن حماد حدثنا جعفر بن سليمان
عن مالك بن دينار عن انس لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف من نباتها
فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر
ثم قال ابو الفرج اللصف الكبر • قال وما اتى به هذا الخبر فهو اليسير من كثير مما اكرم الله به نبيه
ودل على رفيع منزلته • انتهى • وانما ذكرته ليعلم • وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خدي
قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار • قال غيره مسها بطيب او لم يمسها
يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها
وجونة العطار بضم الجيم وهمزة بعدها ويجوز تخفيفها واوا سليلة مستديرة مغشاة ادما
وقد ورد مما عزاه القاضي عياض للاخباريين ومن الف في الشمائل الكريمة انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة
قال غيره ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط • واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي كما هو في بعض نسخ
الشفا • وقالوا انه ليس من الرواية ولا من حواشي اصل ابن جبير بل من حواشي غيره عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة
او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء • انتهى • وفي الشفا لابن سبع
عن بعض الصحابة قال صحبته صلى الله عليه وسلم في سفر فلما اراد قضاء الحاجة تاملته وقد دخل
مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم ار اثر غائط ولا بول • ورايت في ذلك الموضع
ثلاثة احجار فاخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرا • قلت وقد سئل الحافظ عبد الغني
المقدسي هل روي انه صلى الله عليه وسلم كان ما يخرج منه تبتلعه الارض فقال قد روي ذلك من
وجه غريب • والظاهر يؤيده فانه لم يذكر عن احد من الصحابة انه راه ولا ذكره • واما البول
فقد شاهده غير واحد وشربته ام ايمن • والله اعلم • انتهى • لكن قال البيهقي واما الحديث الذي
اخبرنا ابو الحسين بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا زيد بن اسمعيل الصائغ حدثنا
حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الغائط
دخلت في اثره فلا ارى شيئا الا اني كنت اشم رائحة الطيب فذكرت ذلك له فقال يا عائشة اما
علمت ان اجسادنا نبتت على ارواح اهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الارض • فهذا من موضوعات الحسين
ابن علوان لا ينبغي ذكره • ففي الاحاديث الصحيحة المشهورة في معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان
انتهى • لكن للحديث طرق غير طريق ابن علوان فعند الدارقطني في الافراد • حدثنا محمد بن سليمان الباهلي
حدثنا محمد بن حسان الاموي حدثنا عبد الرحمن بن قيس عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت
يا رسول الله اني اراك تدخل الخلاء ثم ياتي الذي بعدك فلا يرى لما يخرج منك اثرا فقال يا عائشة
اما علمت ان الله امر الارض ان تبتلع ما خرج من الانبياء • ومحمد بن حسان بغدادي ثقة وعبد الرحمن

رجال الصحيح وله طريق اخرى عند ابن سعد واخرى عند الحاكم في مستدركه • ويروى انه كان يتبرك ببوله ودمه صلى الله عليه وسلم فروى ابن حبان في الضعفاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته اخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير احدا تحسا دمه حتى فرغ ثم اقبل فنظر في وجهه فقال ويحك ما صنعت بالدم قلت غيبته من وراء الحائط قال اين غيبته قلت يا رسول الله نفست على دمك ان اهريقه في الارض فهو في بطني فقال اذهب فقد احرزت نفسك من النار • وفي سنن سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السائب انه بلغه ان مالكا والد ابي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى انقاه ولاح ابيض فقيل له مجه فقال لا والله لا امجه ابدا ثم ازدرده فقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد • واخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وابو نعيم في الحلية من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني الدم فقال اذهب فغيبه فذهبت فشربته فاتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته قال ويل للناس منك وويل لك من الناس • وعند الدارقطني من حديث اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما نحوه وفيه ولا تمسك النار • واخرج الحسن بن سفيان في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وابو نعيم من حديث ابي مالك النخعي عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ام ايمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة قلت قد والله شربت ما فيها قالت فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال اما والله لا يتجعن بطنك ابدا • وعن ابن جريج قال اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة تخدم ام حبيبة جاءت معها من ارض الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا ام يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه • وروى ابو داود عن ابن جريج عن حكيمة عن امها اميمة بنت رقيقة • وصحح ابن دحية انهما قضيتان وقعتا لامرأتين • وقد صح ان بركة ام يوسف غير بركة ام ايمن وهو الذي صححه شيخ الاسلام البلقيني • وفي هذه الاحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه صلى الله عليه وسلم • قال النووي في شرح المهذب واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين ان ابا طيبة الحاجم حجمه صلى الله عليه وسلم وشرب دمه ولم ينكر عليه • وان امرأة شربت بوله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليها • وحديث ابي طيبة ضعيف • وحديث شرب المرأة البول صحيح • رواه الدارقطني وقال هو حديث حسن صحيح • وذلك كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا • ثم قال ان القاضي حسين قال الاصح القطع بطهارة الجميع • انتهى • وبهذا قال ابو حنيفة كما قاله العيني • وابو طيبة بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وبالموحدة اسمه نافع الحجام مولى محيصة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد المثناة تحت وكسرها هو ابو مسعود الانصاري • وقال

شيخ الاسلام ابن حجر قد تكاثرت الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم • وعد الائمة ذلك في خصائصه • انتهى • قال بعضهم وكان السر في ذلك ما روي من صنيع الملكين حين غسلا جوفه والله اعلم • واما بوله صلى الله عليه وسلم في البراز ففي حديث عائشة عند ابي عوانة في صحيحه والحاكم ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما منذ انزل عليه القرآن • وفي حديث عبد الرحمن بن حسنة عند النسائي وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم بال جالسا فقالوا انظروا اليه يبول كما تبول المرأة • وحكى ابن ماجه عن بعض مشايخه انه قال كان من شأن العرب البول قائما • ويؤيده ما في حديث عبد الرحمن بن حسنة هذا • وفيه دلالة على انه كان يخالفهم في ذلك فيقعد لكونه استر وابعد من مماسة البول • وقال حذيفة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ • رواه البخاري وفي رواية ابن خزيمة بال قائما ففرج رجليه اي فرقهما وباعد ما بينهما • والسباطة بضم المهملة وبعدها موحدة هي المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لاهلها وتكون في الغالب سهلة لا يرتد فيها البول على البائل • واضافها الى القوم اضافة اختصاص لا ملك لانها لا تخلو عن النجاسة • وبهذا يندفع ايراد من استشكله لكون البول يوهي الجدار ففيه اضرار • او نقول انما بال فوق السباطة لا في اصل الجدار وهو صريح في رواية ابي عوانة في صحيحه • وقيل يحتمل ان يكون علم اذنهم في ذلك بالتصريح في ذلك او غيره او لكونه مما يتسامح به او لعلمه بايثارهم اياه بذلك • او لكونه يجوز له التصرف في مال امته دون غيره لانه اولى بالمؤمنين من انفسهم واموالهم هذا وان كان صحيح المعنى لكن لم يعهد ذلك من سيرته ومكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم • قال الحافظ ابن حجر وانما خالف صلى الله عليه وسلم ما عرف من عادته من الابعاد عند قضاء الحاجة عن الطرق المسلوكة وعن اعين النظار • فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وسلم كان مشغولا بمصالح المسلمين فلعله طال عليه المجلس حتى حاقه البول فلو ابعد لتضرر • واستدنى حذيفة ليستره من خلفه من رؤية من لعله يمر به • ولعله فعله لبيان الجواز ثم هو في البول وهو اخف من الغائط لاحتياجه الى زيادة تكشف • والغرض من الابعاد التستر وهو يحصل بارخاء الذيل والدنو من الساتر • وروى الطبراني من حديث عصمة بن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض سكك المدينة فانتهى الى سباطة قوم فقال يا حذيفة استرني فذكر الحديث • وظهر منه الحكمة في ادنائه حذيفة في تلك الحالة • وقيل انما بال قائما لانها حالة يؤمن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريبا من الديار • ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال البول قائما احصن للدبر • وقيل في ذلك ما روي عن الشافعي واحمد ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك فلعله كان به • وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة قال انما بال النبي صلى الله عليه وسلم قائما لجرح كان بمابضه • والمابض بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة باطن الركبة فكانه لم يتمكن لاجله من القعود • ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم لكن ضعفه الدارقطني والبيهقي • والاظهر انه فعل ذلك لبيان الجواز • وكان اكثر احواله البول عن قعود • وقيل ان البول عن قيام منسوخ • واستدل عليه بحديث عائشة المتقدم • والصواب انه غير منسوخ

والحوالب عن حديث عائشة انه مستند الى علمها فيحمل على ما وقع منه في البيوت • واما غير البيوت فلم تطلع عليه • وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة وهو جائز من غير كراهة اذا امن الرشاش • وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يدخل الخلاء قال اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث • رواه البخاري من حديث انس • والخبث بضم الخاء المعجمة والموحدة • ومراده ذكران الشياطين واناثهم • وقد كان عليه الصلوة والسلام يستعيذ اظهارا للعبودية ويجهر بذلك للتعليم • وهل يختص هذا الذكر بالامكنة المعدة لذلك لكونها حضرة الشياطين او يعم • والاصح الثاني • ويقول ذلك قبل الدخول في الامكنة واما في غيرها فيقول في اول الشروع كتشمير ثيابه مثلا • وهو مذهب الجمهور • ولو نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه • وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض • رواه الترمذي وابو داود والدارمي • وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك • رواه الترمذي وابن ماجة • وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذي اذهب عني الاذى وعافاني • رواه ابن ماجة • وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره • شرقوا او غربوا • رواه البخاري من حديث ابي ايوب الانصاري • وهذا في الصحراء • واما في البنيان فلا لما روي عن ابن عمر ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام • رواه الشيخان • واما حديث جابر عند ابي داود وابن خزيمة • ولفظه عند احمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان نستدبر القبلة او نستقبلها بفروجنا اذا اهرقنا الماء قال ثم رايته قبل موته بعام مستقبل القبلة فقال في فتح الباري الحق انه ليس بناسخ لحديث النهي خلافا لمن زعمه بل هو محمول على انه رآه في بناء او نحوه لان ذلك هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته في التستر • ودعوى خصوصية ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دليل عليه اذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال • وهو مذهب الجمهور • وهو مذهب مالك والشافعي واسحق التفريق بين البنيان والصحراء • وهذا اعدل الاقوال لاعماله جميع الادلة • وقال قوم بالتحريم مطلقا • وهو المشهور من مذهب ابي حنيفة واحمد وقال به من المالكية ابن العربي • وحجتهم ان النهي مقدم على الاباحة ولم يصححوا حديث جابر المتقدم • وقال قوم بالجواز مطلقا • وهو قول عائشة وعروة وربيعة محتجين بان الاحاديث تعارضت فليرجع الى اصل الاباحة • وفي البخاري كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجته اجيء انا وغلام معنا اداوة من ماء يعني يستنجي به • وفي رواية مسلم عنه فخرج علينا وقد استنجى بالماء • وعن ابي هريرة قال اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم وخرج لحاجته فقال ابغني احجارا استنفض بها ولا تاتني بعظم ولا روث فاتيته باحجار بطرف ثيابي فوضعتها الى جنبه فلما قضى حاجته اتبعه بهن • وعن عبد الله بن مسعود قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم الغائط فامرني ان آتيه بثلاثة احجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم اجده فاخذت روثة فاتيته بها فاخذ الحجرين ورمى الروثة • رواه البخاري • وفي حديث

سلمان

سلمان عند مسلم مرفوعا لا يستنج احدكم باقل من ثلاثة احجار • وقد اخذ الشافعي واحمد واصحاب الحديث بهذا فاشترطوا ان لا ينقص من الثلاثة مع مراعاة الانقاء فاذا لم يحصل بها فيزاد حتى ينقي ويستحب حينئذ الايتار لقوله عليه الصلوة والسلام من استجمر فليوتر • وليس بواجب لزيادة في ابي داود حسنة الاسناد • وقال ومن لا فلا حرج • قال الخطابي لو كان القصد الانقاء فقط لخلا اشتراط العدد لفظا وعلم الانقاء فيه معنى دل على ايجاب الامرين • ونظيره العدة بالاقراء فان العدد مشترط ولو تحققت براءة الرحم بقرء واحد • وقال الطحاوي ولو كان العدد مشترطا لطلب عليه السلام حجرا ثالثا • وتعقب رحمه الله بما اخرجه احمد في مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود في هذا الحديث فان فيه فالقى الروثة وقال ائتني بحجر • ورجاله ثقات اثبات • واستدلال الطحاوي فيه نظر لاحتمال ان يكون اكتفى بطرف احدهما عن الثالث لان المقصود بالثلاثة ان يمسح بها ثلاث مسحات • وذلك حاصل ولو بواحد • انتهى ملخصا من فتح الباري

العدد عن الفائدة فلما اشترط

الفصل الثاني

فيما اكرمه الله تعالى به من الاخلاق الزكية • وشرفه به من الاوصاف المرضية • اعلم ان الاخلاق جمع خلق بضم الخاء واللام • ويجوز اسكانها • قال الراغب الخلق والخلق بالضم والفتح في الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة • انتهى • وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم • الحديث رواه البخاري • وقال القرطبي الخلق جبلة في نوع الانسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا • وكذا ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى • وقد وقع في حديث الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان في او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما • رواه احمد والنسائي وصححه ابن حبان فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بان في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي • اخرجه احمد وصححه ابن حبان • وعند مسلم في حديث دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت • ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به حد • ولا يحصره عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم • وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مشتمل على هذه الاخلاق ومستول عليه • والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة • وقد وصف الله تعالى نبيه بما يرجع الى قوته العلمية بانه عظيم فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما • ووصفه بما يرجع الى قوته العملية بانه عظيم فقال وانك لعلى خلق عظيم • فدل مجموع هاتين الآيتين على ان روحه فيما بين الارواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كانها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس ارواح الملائكة • قال الحليمي وانما وصف خلقه بالعظيم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم

خلقه متصوفًا على ذلك بل كان رحيمًا بالمؤمنين رفيقًا بهم شديدًا على الكفار غليظًا عليهم مهيبًا
في صدور الاعداء منصورًا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى لشموله
الانعام والانتقام • وقال الجنيد وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيمًا لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى
وقيل لانه عليه الصلوة والسلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه • وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق فيه
فيه • قال عليه الصلوة والسلام كما رواه الطبراني في الاوسط بسند فيه عمر بن ابرهيم المقدسي وهو ضعيف
عن جابر ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال • وفي رواية مالك في الموطا بلاغًا بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه ادب بالقرآن
كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن • قال بعض العارفين وقد علم ان القرآن فيه المتشابه الذي
لا يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به اي قررناه في نصابه وتشابه من خلف
حجابه وتقلدنا سيف الحجة به ولكن في قرابه • وما كونه مما يختص معلكه • ولا حد مما يحس الاناسي
وقال صاحب عوارف المعارف ولا يبعد ان قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض
وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقًا باخلاق الله تعالى
فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترًا للحال بلطف المقال وهذا
من وفور عقلها وكمال ادبها • انتهى • فكما ان معاني القرآن لا تتناهى فكذلك اوصافه الحميدة الجميلة الدالة
على خلقه العظيم لا تتناهى • اذ في كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه
الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه الا الله فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة تعرضًا
لما ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات عاداته • قال الحرالي وهو كما في القاموس بتشديد اللام
نسبة الى قبيلة بالبربر واسمه علي بن احمد بن الحسن ذو التصانيف المشهورة • ولما كان عرفان قلبه
عليه السلام بربه عز وجل كما قال عليه السلام بربي عرفت كل شيء كانت اخلاقه اعظم خلق ولذلك بعثه
الى الناس كلهم ولم يقصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقصرها على الثقلين حتى عمت العالمين فكل
من كان الله ربه فمحمد رسوله وكما ان الربوبية تعم العالمين فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين • انتهى •
وهذا مصير منه الى انه صلى الله عليه وسلم قد ارسل الى الملائكة ايضًا • وسياق الكلام في ذلك مستوفى
ان شاء الله تعالى وهو المستعان • وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولًا على الاخلاق الكريمة في اصل خلقته
الزكية النقية لم يحصل ذلك برياضة نفس بل بجود الهي • ولهذا لم يزل تشرق انوار المعارف في قلبه
حتى وصل الى الغاية العليا والمقام الاسنى • واصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل
لانه به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل • فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة • والبصيرة للروح بمثابة
القلب • والعقل بمثابة اللسان • قال بعضهم لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر
واما ما روي ان الله لما خلق العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا
اشرف منك • فبك آخذ وبك اعطي فقال ابن تيمية وتبعه غيره انه كذب موضوع باتفاق • انتهى •

وفي زوايد عبد الله بن الامام احمد على الزهد لابيه عن علي بن مسلم عن سيار بن حاتم وهو ممن ضعفه غير واحد
وكان نجاما للرقائق وقال القواريري انه لم يكن له عقل قال حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا مالك بن
دينار عن الحسن البصري مرسلًا لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال ما خلقت
خلقًا احب الي منك بك آخذ وبك اعطي • واخرجه ابو داود بن المحبر في كتاب العقل له • وابن المحبر كذاب
قال الحافظ ابو الفضل بن حجر والوارد في اول ما خلق الله حديث اول ما خلق الله القلم وهو اثبت من حديث
العقل • ولابي الشيخ عن قرة بن اياس المزني رفعه الناس يعملون الخير وانما يعطون اجورهم على قدر
عقولهم • وقد اختلف في ماهية العقل اختلافًا طويلًا يطول استقصاؤه • وفي القاموس
ومن خط مؤلفه نقلت العقل العلم او بصفات الاشياء من حسنها او قبحها وكمالها ونقصانها
والعلم بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعاني مجتمعة
في الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلماته
والحق انه روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية • وابتداء وجوده عند اجتنان الولد
ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ • انتهى • وقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال العقل في الغاية القصوى
التي لم يبلغها بشر سواه • ولهذا كانت معارفه عظيمة وخصائصه جسيمة حارت العقول في بعض ما
افاضه من غيبه وكلت الافكار في معرفة بعض ما اطلعه الله عليه • وكيف لا يعطى ذلك وقد امتلأ قلبه
وباطنه وفاض على جسده المكرم ما وهبه من اسرار الهيبة ومعرفة ربوبيته وتحقق عبوديته • قال وهب
ابن منبه قرات في احد وسبعين كتابًا فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا
الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل بين رمل جميع رمال الدنيا و
ان محمدًا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلًا وافضلهم رايًا • رواه ابو نعيم في الحلية وابن عساكر • وعن بعضهم
مما هو في عوارف المعارف العقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر
المؤمنين • ومن تامل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحش الشارد والطبع المتنافر المتباعد وكيف
ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى ان انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه اهليهم
وآباءهم وابناءهم واختاروه على انفسهم وهجروا في رضاه اوطانهم واحباءهم من غير ممارسة سبقت
له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين تحقق انه اعقل العالمين • ولما كان عقله عليه السلام اوسع
العقول لا جرم اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعًا لا يضيق عن شيء من ذلك اتساع خلقه العظيم
في الحلم والعفو مع القدرة وصبره عليه السلام على ما يكره وحسبك صبره وعفوه عليه السلام عن الكفار
المقاتلين المحاربين له في اشد ما نالوه به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد
حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على اصحابه شديدًا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني
لم ابعث لعانًا ولكني بعثت داعيًا ورحمة اللهم اغفر لقومي او اهد قومي فانهم لا يعلمون • وقال ابن حبان
اي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي لا انه اراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقًا • اذ لو كان كذلك لاجيب ولو اجيب

لا تسلموا الكلام كذا قال رحمه الله • وقد روي عن عمر انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون • وههنا دقيقة وهي انه عليه السلام لما شج وجهه غشي وقال اللهم اهد قومي وحين شغلوه عن الصلوة يوم الخندق قال اللهم املأ بطونهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة في وجهه الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه دينه فان وجه الدين هو الصلوة ورجح حق خالقه على حقه • واعلم ان الصبر على الاذى جهاد النفس وقد جبل الله تعالى النفس على التالم بما يفعل بها • ولهذا اشتق عليه الصلوة والسلام نسبتهم له الى الجور في القسمة لكنه عليه السلام حلم على القائل وصبر لما علم من جزيل ثواب الصابرين وان الله يأجره بغير حساب وصبره عليه السلام على الاذى انما هو فيما كان من حق نفسه • واما اذا كان لله فانه يمتثل فيه امر الله تعالى من الشدة كما قال الله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم • وقد وقع له عليه السلام انه غضب لاسباب مختلفة مرجعها الى ان ذلك كان في امر الله واظهر الغضب فيها ليكون اوكد في الزجر فصبره وعفوه انما كان فيما يتعلق بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم • وقد روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنة بالمهملة والنون المفتوحتين كما قيده به عبد الغني • وذكره الدار قطني بالمثناة التحتية نبه له في الشفا وصح عليه مولفه بخطه • وهو الذي ذكره ابن اسحق • وهو كما قاله النووي اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل • فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تامرني بحسن الاداء وتامره بحسن التباعة اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فقد اختبرتهما فاشهدك اني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا • وعن ابي هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابي قد ادركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداؤه خشنا فالتفت اليه فقال له الاعرابي احمل لي على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا احملك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني فكل ذلك يقول له الاعرابي والله لا اقيدكها فذكر الحديث قال ثم دعا رجلا فقال له احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا

رواه ابو داود • ورواه البخاري من حديث انس بلفظ كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة قال انس فنظرت الى صفحة عاتقه وقد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك ثم امر له بعطاء • وفي هذا بيان لحلمه عليه السلام وصبره على الاذى في النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الاسلام • وعن عائشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح • رواه الترمذي اي لم يكن الفحش له خلقا ولا مكتسبا • وروى البخاري من حديث ابن عمر لم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا • وقد رواه ايضا من حديث انس بن مالك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فاحشا ولا لعانا • والفحش كل خارج عن مقداره حتى يستقبح ويدخل في القول والفعل والصفة لكن استعماله في القول اكثر • والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه • وعن عائشة ان رجلا استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال بئس اخو العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة متى عهدتني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره • رواه البخاري • قال ابن بطال هذا الرجل هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري • وكان يقال له الاحمق المطاع • وكذا فسره به القاضي عياض والقرطبي والنووي • واخرج عبد الغني من طريق ابي عامر الخزاعي عن عائشة قالت جاء مخرمة بن نوفل يستأذن فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته قال بئس اخو العشيرة الحديث • والمراد بالعشيرة الجماعة او القبيلة • وانما تطلق صلى الله عليه وسلم له في وجهه تألفا له ليسلم قومه لانه كان رئيسهم • وقد جمع هذا الحديث كما قاله الخطابي علما وادبا وليس في قوله صلى الله عليه وسلم في امته بالامور التي يسميهم بها ويضيفها اليهم من المكروه غيبة وانما يكون ذلك من بعضهم في بعض بل الواجب عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس امرهم فان ذلك من باب النصيحة والشفقة على الامة • ولكنه لما جبل عليه من الكرم واعطيه من حسن الخلق اظهر له البشاشة ولم يجبهه بالمكروه لتقتدي به امته في اتقاء شر من هذا سبيله • وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته • وقال القرطبي فيه جواز غيبة المعلن بالفسق او الفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك الى المداهنة في دين الله • ثم قال تبعا للقاضي حسين والفرق بين المداراة والمداهنة ان المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا او الدين او هما معا وهي مباحة وربما استحسنت • والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا • والنبي صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته • ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فيه فعله فان قوله فيه حق وفعله معه حسن عشرة • فيزول مع هذا التقرير الاشكال بحمد الله • وقال القاضي عياض لم يكن عيينة والله اعلم حينئذ اسلم فلم يكن القول فيه غيبة او كان اسلم ولم يكن اسلامه ناصحا فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه • وقد كانت منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده امور تدل على ضعف ايمانه • فيكون ما وصفه به عليه الصلوة والسلام من علامات النبوة • واما الالانة في القول بعد ذلك فعلى سبيل الائتلاف • وفي فتح الباري ان عيينة ارتد في زمن الصديق

وحارب ثم رجع وأسلم وحضر بعض الفتوح في عهد عمر رض . وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه . رواه
البخاري . **فإن قلت** قد صح أنه صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل ابن أبي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما
ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم وهذا ينافي قوله وما انتقم لنفسه . **فالجواب** أنهم كانوا مع ذلك
ينتهكون حرمات الله . وقيل أراد بأنه لا ينتقم إذا أوذي في غير السبب الذي يخرج إلى الكفر كما عفى
عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه . وعن الآخر الذي جبذ برداءه حتى أثر في كتفيه . وحمل
الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال . وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه . وقد أخرج الحاكم
هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري مطولا . أوله ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر
أي تصريح اسمه . وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب في سبيل الله ولا سئل شيئا قط فمنعه إلا
أن يسأل مأثما . ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم . الحديث . ومما روي
من اتساع خلقه وحلمه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للطائفة المنافقين الذين كانوا يؤذونه
إذا غاب ويتملقونه إذا حضر . وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى تؤيدها العناية الربانية
وكان عليه الصلاة والسلام كلما أذن له في التشديد عليهم فتح لهم صلى الله عليه وسلم بابا من
مكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فقال عليه الصلاة
والسلام خيرني ربي فاخترت إن استغفرت لهم وكما قال الله تعالى إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم فقال صلى الله عليه وسلم لأزيدن على السبعين وأمر ولده الذي كره النفاق والأذى منهم ببر أبيه
ولما مات كفنه في ثوب خلعه عن بدنه صلى الله عليه وسلم هذا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يجذبه بثوبه
ويقول يا رسول الله أتصلي على رأس المنافقين فنثر ثوبه فقال إليك عني يا عمر فخالف مؤمنا ولبا
في حق منافق مدقق . وكل ذلك رحمة منه لأمته ا . أشار إليه الحرالي . وقال النووي قيل إنما أعطاه
قميصه وكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه فإنه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فأجابه إليه . وقيل مكافأة
لعبد الله المنافق الميت لأنه كان ألبس العباس حين أسر يوم بدر قميصا . وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم
أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء وقابله بالحسنى فألبسه قميصه كفنا و
صلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم . **ومن ذلك** عليه الصلاة والسلام لم يؤاخذ
لبيد بن الأعصم إذ سحره وعفى عن اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح من الرواية . والله تعالى يرحم القائل
وما الفضل إلا خلق أنت فضه . وعفوك نقش الفص فاختم به عقدي .
ومن ذلك إشفاقه صلى الله عليه وسلم على أهل الكبائر من أمته وأمره إياهم بالستر قال من أتى شيئا من هذه القاذورات يعني المحرمات فليستتر
وأمر أمته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما خففوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم ارحمه وقال
لهم في رجل كان كثيرا ما يؤتى به سكران بعد تحريم الخمر فلعنه مرة فقال لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله فاعلم
لهم بكونه قلبه لما رفضوه بظاهر فعله وإنما نظرهم إلى القلوب . طهر الله قلوبنا وغفر لنا ذنوبنا
ومن ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان
يصغي إلى الهرة الإناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها . **ومن ذلك** اتساع خلقه في تربية صحبه
وأدبهم وحسن عشرته مع أهله وخدمه ورعاياه . قال بعضهم اعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا

لمعان نور المشاهدة في قلبه . فعند ذلك تذوب النفس . وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب
فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها . وكان الحظ الأوفر من التواضع لنبينا
صلى الله عليه وسلم في أوطان القرب . وحسبك من تواضعه عليه السلام أن خيره الله تعالى بين أن
يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فأعطاه الله تعالى بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الأرض وأول
شافع وأول مشفع . فلم يأكل متكئا بعد ذلك حتى فارق الدنيا . وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني
كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله . رواه الترمذي .
ومن تواضعه عليه السلام أنه كان لا ينهى خادما . روينا في كتاب الترمذي عن أنس قال خدمت النبي
صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته
وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وإمائه ما ضرب أحدا منهم قط . وهذا أمر لا تتسع له الطباع
البشرية لولا التأييدات الربانية . وفي رواية لمسلم ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وقالت عائشة رضي الله عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة
ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله . وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله
فينتقم لله . رواه مسلم . وسئلت عائشة رضي الله عنها كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته
قالت ألين الناس بساما ضحاكا لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه . وعنها ما كان أحد أحسن خلقا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال لبيك . وعند أحمد وابن سعد وصححه ابن
حبان عنها كان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله . وفي رواية لأحمد ويرقع دلوه . وعنده
أيضا يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه . وهذا يتعين على أوقات فإنه ثبت أنه كان له خدم فتارة
يكون بغيره وتارة بنفسه وتارة بالمشاركة . وكان يركب الحمار ويردف خلفه . وركب يوم بني
قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف . رواه الترمذي . وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة وركب صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس
اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن تركب
وإما أن تنصرف . وفي رواية أخرى اركب فأنا أحق بصدر دابتي أو لي بمقدمها . رواه أبو داود وغيره . وفي البخاري
من حديث أنس بن مالك أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وإني لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض
نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عثرت الناقة فقلت المرأة فقال
صلى الله عليه وسلم إنها أمكم فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحديث . والمرأة صفية . والرديف
والردف الراكب خلف الراكب بإذنه . وقال معاذ بن جبل بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه
إلا آخرة الرحل . وقد ركب النبي صلى الله عليه وسلم على حمار على إكاف عليه قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد
ولما قدم عليه السلام مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه . وقال الآخر أتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه . أو قثم خلفه والفضل بين يديه

وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية له انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء وابو هريرة
معه قال يا ابا هريرة احملك فقال ما شئت يا رسول الله قال اركب فوثب ابو هريرة ليركب فلم يقدر
فاستمسك برسول الله فوقعا جميعا ثم قال يا ابا هريرة احملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك
ثالثا • وذكر الطبري ايضا انه عليه السلام كان في سفر وامر اصحابه باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله
علي ذبحها • وقال آخر يا رسول الله علي سلخها • وقال آخر يا رسول الله علي طبخها • فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم علي جمع الحطب • فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكن اكره
ان اتميز عليكم • وان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه • انتهى • ولم ار هذا لغير الطبري
بعد التتبع • نعم رأيت في جزء تمثال النعل الشريف لابي اليمن بن عساكر بعد ان روى حدثنا عبد الله
ابن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف فانقطعت شسعه فقلت
يا رسول الله ناولني اصلحه فقال هذه اثرة ولا احب الاثرة • والاثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من آثر
يؤثر اذا اعطى • والاثرة الاستئثار وهو الانفراد بالشيء • قال وكانه كره صلى الله عليه وسلم ان ينفرد احد
باصلاح نعله فيحوز فضيلة الخدمة فيكون بمثابة الخادم ويكون له صلى الله عليه وسلم ترفع المخدوم على خادمه
كره ذلك صلى الله عليه وسلم لتواضعه وعدم ترفعه على من يصحبه ويتأيد بما روي انه صلى الله عليه
وسلم اراد ان يمتهن نفسه في شيء فقالوا نحن نكفيك يا رسول الله قال قد علمت انكم تكفوني ولكن اكره ان اتميز
عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه • انتهى • ثم رأيت شيخنا في الاحاديث المشتهرة
حكى ذلك • والله الموفق • وعن ابي قتادة وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه
نكفيك قال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانا احب ان اكافئهم • ذكره في الشفا • وفي البخاري عن انس
كان الرجل يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات حتى افتتح قريظة والنضير وان اهلي امروني ان آتي النبي صلى الله
عليه وسلم فاسأله الذي كانوا اعطوه او بعضه وكان عليه السلام قد اعطاه ام ايمن فجاءت ام ايمن فجعلت الثوب
في عنقي تقول كلا والذي لا اله الا هو لا يعطيكهم وقد اعطانيها او كما قالت والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لك كذا
وتقول كلا والله حتى اعطاها حسبت انه قال عشرة امثالها او كما قال • وانما فعلت هذا ام ايمن لانها ظنت
انها كانت هبة مؤبدة وتمليكا لاصل الرقبة • واراد النبي صلى الله عليه وسلم استطابة قلبها في استرداد ذلك
فما زال يزيدها في العوض حتى رضيت • وكل هذا تبرع منه صلى الله عليه وسلم واكرام لها لما لها من
حق الحضانة والتربية • ولا يخفى ما في هذا من فرط جوده وكثرة حلمه وبره صلى الله عليه وسلم • وجاءته صلى
الله عليه وسلم امرأة كان في عقلها شيء فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي في اي سكك المدينة شئت اجلس
اليك • وفي رواية مسلم حتى اقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها ولا ريب ان هذا
كان من كثرة تواضعه صلى الله عليه وسلم • وقال عبد الله بن الحمساء بالحاء المهملة المفتوحة والميم الساكنة وبالسين
المهملة فالهمزة ممدودة بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه
بها في مكانه فنسيت فذكرت بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال لقد شققت علي انا هنا منذ ثلاث انتظرك

روا

رواه ابو داود • وقال ابن ابي اوفى كان عليه السلام لا يأنف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي له الحاجة
رواه النسائي • وفي رواية البخاري ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق
به حيث شاءت • وفي رواية احمد فتنطلق به في حاجتها • وعنده ايضا ان كانت الوليدة من ولائد
اهل المدينة لتجيء فتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث
شاءت • والمقصود من الاخذ لازمه وهو الانقياد • وقد اشتمل على انواع من المبالغة في التواضع
لذكره المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاماء اي امة كانت وبقوله حيث
شاءت اي من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة
والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعدها على ذلك • وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع
انواع الكبر صلى الله عليه وسلم • ودخل الحسن وهو يصلي قد سجد فركب على ظهره فابطأ في سجوده حتى
نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض اصحابه يا رسول الله قد اطلت سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان
اعجله اي جعلني كالراحلة فركب على ظهري • وكان عليه الصلوة والسلام يعود المرضى ويشهد الجنازة
اخرجه الترمذي في الشمائل • وحج عليه الصلوة والسلام على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوي اربعة دراهم
فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة • وكان اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء
فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه وربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها • رواه مسلم والترمذي
وكان صلى الله عليه وسلم حسن العشرة مع ازواجه • وكان عليه السلم ينام مع ازواجه • قال النووي وهو ظاهر
فعله الذي واظب عليه مع مواظبته صلى الله عليه وسلم على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا اراد القيام
لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف • وقد علم من هذا
ان اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد افضل لا سيما ان عرف من حالها حرصها على هذا • ولا يلزم
من نومه معها الجماع • والله اعلم • وقد كان عليه السلام يسرب الى عائشة بنات الانصار يلعبن معها
رواه الشيخان • واذا شربت من الاناء اخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب • رواه مسلم • واذا تعرقت
عرقا وهو العظم الذي عليه اللحم اخذه فوضع فمه على موضع فمها • رواه مسلم ايضا • وكان يتكئ في حجرها
ويقبلها وهو صائم • رواه الشيخان • وكان يريها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهي متكئة على منكبه
رواه البخاري • ورواه الترمذي بلفظ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن والصبيان حولها فقال
يا عائشة تعالي فانظري فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت انظر اليها ما بين
المنكب الى رأسه فقال لي اما شبعت اما شبعت فجعلت اقول لا لا • وقال حسن صحيح غريب • وروي
انه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ان حملت اللحم فسبقها فقال هذه بتلك • ورواه ابو داود بلفظ
سابقته في سفر فسبقته على رجلي قالت فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال هذه بتلك السبقة • وعن
انس بن مالك انهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها اذ اتي بصحفة خبز
ولحم من بيت ام سلمة فوضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا ايديكم فوضع نبي الله صلى الله عليه وسلم

ووضعنا ايدينا فأكلنا وعائشة تصنع طعاما عجلته وقد رأت الصحفة التي أتي بها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة ام سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله غارت امكم ثم اعطى صحفتها ام سلمة فقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء رواه الطبراني في الصغير • وهو عند البخاري بلفظ كان عند بعض نسائه فارسلت احدى امهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت امكم ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الى التي كسرت صحفتها وامسك المكسورة في بيت التي كسرت وعند احمد وابي داود والنسائي قالت عائشة ما رأيت صانعة طعاما مثل صفية اهدت الى النبي صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسي ان كسرته فقلت يا رسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وعند غيرهم فاخذت القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتقط اللحم والطعام وهو يقول غارت امكم فلم يثرب عليها فوسع خلقه العظيم اما لطمات اثار ضربتها ولم يؤاخذ وقضى عليها بحكم الله في التقاص • وهكذا كانت احواله عليه السلام مع ازواجه لا يأخذ عليهن ويعذرهن وان اقام عليهن قسطاس عدل اقامه بغير قلق ولا غضب بل رؤف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه ما يعنتهم • قيل في هذا الحديث على عدم مؤاخذة الغيرى فيما يصدر منها لانها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي اثارته الغيرة • وقد اخرج ابو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة ان الغيرى لا تبصر اسفل الوادي من اعلاه • انتهى • وعن عائشة رضي الله عنها اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت فقلت لها كلي فابت فقلت لها لتاكلين او لالطخن بها وجهك فابت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي • وخرجه الملا في سيرته • والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثيرا فاذا نضج ذر عليه الدقيق • وبالجملة ففي ما سيرته عليه الصلاة والسلام مع اهله واصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل والاضياف والمساكين علم انه قد طبع من رحمة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها للحلوة • وان كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارقة المخزومية [?] ذلك • وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط اصحابه بما يوجب محبته في القلوب كان له رجل من البادية يسمى زاهرا وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بعض وجود البادية بما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافئه بوجود الحاضرة وبما يستطرف منها وكان يقول صلى الله عليه وسلم زاهر باديتنا ونحن حاضرته • وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم يوما الى السوق فوجده قائما فجاء من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فاحس زاهر بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت امسح ظهري في صدره رجاء بركته • وفي رواية الترمذي في الشمائل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال ارسلني

زاهر بن حرام

من هذا فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد فقال له زاهر يا رسول الله اذا تجدني كاسدا فقال له صلى الله عليه وسلم انت عند الله غال • واخرج ابو يعلى عن زيد بن اسلم ان رجلا كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل فاذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعط هذا متاعه فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على ان يتبسم ويأمر به فيعطى • ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم وكان لا يدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء فقال يا رسول الله هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فقال اعط هذا الثمن فيقول الم تهده لي فيقول ليس عندي فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه • وكان عليه السلام يمزح ولا يقول الا حقا كما روى ابو هريرة وقد قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه عليه السلام من القول بما عسى ان يكون شفاء لبلهه بعد ذلك فقال انا حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ما يصدق عليه البنوة فقال يا رسول الله ما عسى يغني عني ابن الناقة فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك وهل تلد الجمل الا الناقة • رواه الترمذي وابو داود • وباسط عمته صفية وهي عجوز فقال لها ان الجنة لا يدخلها عجوز فلما جزعت قال لها انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة • وفي رواية الترمذي عن الحسن اتت صلى الله عليه وسلم عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله لي ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وذكره رزين • وكان عليه السلام يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعبهم ويأخذ معهم في تدبير امورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره وهو مع ذلك سره في الملكوت يجول حيث اراد الله به • والدعابة بضم الدال وتخفيف العين المهملتين وبعد الالف موحدة هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره • وقد اخرج الترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال لا اقول الا حقا • وما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله تعالى والتفكر في مهمات الدين ونحو ذلك • والذي يسلم من ذلك هو المباح • فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان هو فعله عليه الصلاة والسلام فهو مستحب • وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرآه حزينا فقال ما شأنه قالوا مات نغره فقال يا ابا عمير ما فعل النغير • رواه البخاري ومسلم • وفي رواية الترمذي قال انس ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لي صغير يا ابا عمير ما فعل النغير • قال الجوهري النغير تصغير نغر والنغر جمع نغرة وهو طائر كالعصفور والجمع نغران مثل صرد وصردان • وكان يتلطف [?] عليه السلام مع الهائبين • ولقد جاءه صلى الله عليه وسلم رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس اني اوحي الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا فاوكد [?] عليه السلام ذوي شفقته لامته بالمؤمنين رؤف رحيم • وما ابلغ [?] وصف الملوكية بقوله انما [?] لست بملك لا بكر [?]

من الخبز والتمر . وقال انما انا ابن امرأة تاكل القديد تواضعا لان القديد مفضول مأكول المسكنة . ولما
رآه عليه السلام قيلة بنت مخرمة في المسجد وهو قاعد القرفصاء ارعدت من الفرق . رواه ابو داود
. وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأت منه عيني قط
حياء منه وتعظيما له . ولو قيل لي صفه لما قدرت او كما قال . وان كان هذا قوله وهو من اجلة الصحابة
ولولا انه كان عليه السلام يباسطهم ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر احد منهم ان يقعد معه ولا ان يسمع كلامه
عليه الصلاة والسلام لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة . يبين ذلك ما روي انه عليه الصلاة والسلام
كان اذا فرغ من ركوع الفجر حدث عائشة ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك
الى الصلاة وما ذلك الا انه عليه السلام لو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني
في مناداته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر ان يلقاه
ولا يباشره . فكان عليه السلام يتحدث مع عائشة او يضطجع بالارض حتى يحصل التأنيس بجنسهم وهو التأنيس
مع عائشة او حصل اصل الخلقة التي هي الارض ثم يخرج اليهم . وما ذلك الا رفقا بهم . وكان بالمؤمنين رحيما .
قاله ابن الحاج في المدخل . وقد جاء في الحديث انه لما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فنظر عليه السلام
الى جبريل كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض يشير الى التواضع فاختار عليه الصلاة والسلام العبودية
فلما كان تواضعه عليه الصلاة والسلام الى الارض حيث اشار جبريل اورثه ذلك رفعته الى السماء ثم
الى الرفيق الاعلى الى الحضرة قاب قوسين او ادنى . ووقف بين يديه محمود بن الربيع وهو ابن خمس سنين
فمج عليه السلام في وجهه مجة من ماء من دلو بدارهم بما كان في ذلك من البركة انه لما كبر لم يبق في ذهنه
من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة فعد بها من الصحابة وحديثه مذكور في البخاري وغيره
ودخلت عليه ربيبته زينب بنت ام سلمة وهو يغتسل فنضح الماء في وجهها فكان ذلك من البركة في وجهها انه لم
يزل ماء الشباب ثابتا في وجهها ظاهرة رونقها وهي عجوز كبيرة وحديثهما مذكور
فقد علمت انه صلى الله عليه وسلم كان مع اصحابه واهله ومع الغريب والقريب من سعة الصدر ودوام البشر
وحسن الخلق والسلام على من لقيه والوقوف مع من استوقفه والمزح بالحق مع الصغير والكبير احيانا
واجابة الدعوة ولين الجانب حتى يظن كل واحد من اصحابه انه احبهم اليه . وهذا الميدان لا يجري فيه الا
واجبا او مستحبا او مباحا فكان يباسط الخلق ويلاطفهم ليستضيئوا بنور هدايته في ظلمات دياجي
الجهل ويقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم . وقد كانت مجالسه عليه السلام مع اصحابه رضي الله عنهم عامتها
مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب اما بتلاوة القرآن او بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم
ما ينفع في الدين كما امره الله تعالى ان يذكر ويعظ ويقص وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة
وان يبشر وينذر . فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في
الآخرة كما ذكره ابو هريرة فيما رواه احمد والترمذي وابن حبان في صحيحه قال قلنا يا رسول الله ما لنا اذا
كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من اهل الآخرة فاذا خرجنا من عندك عافسنا اهلنا

وشممنا

وشممنا اولادنا انكرنا انفسنا فقال صلى الله عليه وسلم لو انكم اذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك
لزارتكم الملائكة في بيوتكم . الحديث . ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما عاب ذواقا قط ولا عاب
طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه . رواه الشيخان . وهذا اذا كان الطعام مباحا . اما الحرام
فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه . وذهب بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة كره وان كان
من جهة الصنعة لم يكره . قال لان صنعة الله لا تعاب وصنعة الآدميين تعاب . قال في فتح الباري
والذي يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع . قال النووي من آداب الطعام المتأكدة ان لا يعاب كقوله
مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك . ومن تواضعه ان هذه الدنيا شاع ذمها
في العالمين فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير
وبها ينجو من الشر ولا تسبوا الدهر . رواه البخاري من حديث ابي هريرة بلفظ ولا تقولوا خيبة الدهر فان
الله هو الدهر . وفي لفظ له يسب بنو آدم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار . وعند مسلم في حديث بلفظ
لا يسب احدكم الدهر . ومحصل ما قيل في تأويله ثلاثة اوجه . احدها ان المراد بقوله ان الله هو الدهر
اي المدبر للامور . ثانيها على حذف مضاف اي صاحب الدهر . ثالثها التقدير مقلب الدهر ولذلك
عقبه بقوله في رواية البخاري بيدي الليل والنهار . وقال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر
حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك لتشبهه
باهل الكفر في الاطلاق . وما خير صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان
كان اثما كان ابعد الناس منه . رواه البخاري . اي بين امرين من امور الدنيا لا اثم فيهما وابهم فاعل خير
ليكون اعم من قبل الله تعالى او من قبل المخلوقين . وقوله الا اختار ايسرهما وقوله ما لم يكن اثما اي ما لم
يكن الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينئذ يختار الاشد . وفي حديث انس عند الطبراني في الاوسط الا
اختار ايسرهما ما لم يكن لله فيه سخط . ووقوع التخيير بين ما فيه اثم وما لا اثم فيه من المخلوقين
ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام انه لم يكن له بواب راتب كما جاء عن انس انه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم
بامرأة وهي تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك لم تصب بمصيبتي قال فجاوزها
ومضى فمر بها رجل فقال لها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته قال انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا . الحديث . رواه البخاري . لكن في حديث ابي موسى
انه كان بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس على القف . وجمع بينهما بانه كان عليه الصلاة اذا لم يكن في
شغل من اهله ولا انفراد من امره انه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه . وقد جاء
عن عمر في استئذانه له في الاسود في قصة حلفه ان لا يدخل على نسائه شهرا فيه انه كان في وقت خلوته بنفسه
يتخذ بوابا ولولا ذلك لاستأذن عمر لنفسه ولم يحتج الى قوله يا رباح استأذن لي . لكن يحتمل ان يكون سبب استئذانه
عمر انه خشي ان يكون وجد عليه بسبب ابنته فاراد ان يختبر ذلك باستئذانه عليه فلما اذن له اطمأن . وقد
اختلف في مشروعية الحجاب للحاكم فقال الشافعي وجماعة ينبغي للحاكم ان لا يتخذ حاجبا . وذهب آخرون الى جوازه

المتأكدة

وحمل الاول على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم • وقال اخرون هل يستحب ذلك النحر لترك
الخصوم ويمنع المستطيل ويدفع الشرير • والله اعلم   واما ما روى من حيائه صلى الله عليه وسلم
فحسبك ما في البخاري من حديث ابي سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها •
والعذراء هي البكر • والخدر بكسر الخاء المعجمة اي في سترها وهو من باب التتميم لان العذراء في الخلوة يشتد
حياؤها اكثر مما تكون خارجة عنه لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها فالظاهر ان المراد تقييده بما اذا
دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة فيه • والحياء الممدودة وهو من الحيوة ومنه الحيا للمطر لكن هو مقصور
وعلى حسب حيوة القلب يكون قوة خلق الحيا وقلة الحيا من موت القلب والروح وكلما كان القلب احيى
كان الحيا اتم • وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به • وقد يطلق على مجرد ترك
الشيء بسبب والترك انما هو من لوازمه • وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق
ذي الحق • وقال ذو النون الحيا وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك • والحب ينطق
والحياء يسكت والخوف يقلق • وقال يحيى بن معاذ رحمه الله من استحيى من الله مطيعا استحيى الله منه
وهو مذنب • وهذا الكلام يحتاج الى شرح • ومعناه ان من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال
طاعته فقلبه مطرق بين يديه اطراق مستحي خجل فانه اذا وقع منه ذنب استحى الله من نظره اليه
في تلك الحالة لكرامته عليه فيستحيي ان يراه من وليه ما يشينه عنده • وفي الشاهد شاهد
بذلك فان الرجل اذا اطلع على اخص الناس به واحبهم اليه واقربهم منه من صاحب او ولد ومن يحبه
وهو يخونه فانه يلحقه من ذلك الاطلاع عليه تجيب حتى كانه هو الجاني وهذا غاية الكرم
وللحياء اقسام ثمانية يطول استقصاؤها   منها حياء الكرم كحيائه عليه الصلوة والسلام
من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب وطولوا عنده المقام واستحيى ان يقول لهم انصرفوا
ومنها حياء المحب من محبوبه حتى انه اذا خطر على قلبه في حال غيبته هاج الحياء من قلبه واحس به في وجهه
فلا يدري ما سببه • ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج من محبة وخوف ومشاهدة عدم
صلاح عبوديته لمعبوده وان قدره اعلى واجل منها فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة • ومنها حياء
المؤمن من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقنعها بالدون فيجد
نفسه مستحيا من نفسه حتى كان له نفسين يستحيي احدهما من الاخرى • وهذا اكمل ما يكون من الحياء • فان العبد
اذا استحيى من نفسه فهو بان يستحيي من غيره اجدر • والحياء كما قال عليه الصلوة والسلام لا ياتي الا بخير
وهو من الايمان كما رواه البخاري • قال القاضي عياض وغيره انما جعل الحياء من الايمان وان كان غريزة لان استعماله
على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم • وقال القرطبي الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان
وهو المكلف به دون الغريزي غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا • قال
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان في الغريزي اشد حياء من العذراء في خدرها • وقال القاضي
عياض وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد •

الغريزة الجبلة

واما خوفه

واما خوفه صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل   فاعلم ان الخوف والوجل والرهبة الفاظ متقاربة غير مترادفة
قال الجنيد الخوف توقع العقوبة على مجاري الانفاس • وقيل الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف
وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الاحكام • وهذا سبب الخوف لا انه نفسه • وقيل الخوف هرب القلب من حلول
المكروه عند استشعاره • والخشية اخص من الخوف فان الخشية للعلماء بالله تعالى قال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء فهو خوف مقرون بمعرفة • وقال صلى الله عليه وسلم انا اتقاكم لله واشدكم له خشية
فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون • فان الذي يرى العدو والسيل ونحوهما له حالتان احدهما
حركة للهرب منه وهي حالة الخوف والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل اليه وهي الخشية • واما
الرهبة فهي الامعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه • واما الوجل
فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته • واما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم
والاجلال واكثر ما يكون مع المعرفة والمحبة • والاجلال تعظيم مقرون بالحب • فالخوف لعامة المؤمنين
والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين • وعلى قدر العلم والمعرفة يكون على قدر
العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية • رواه
البخاري • وقال عليه الصلوة والسلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا • رواه البخاري من حديث
ابي هريرة • وفيه دلالة على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بمعارف بصرية وقلبية وقد يطلع الله تعالى غيره
عليها من المخلصين من امته لكن بطريق الاجمال • واما تفاصيلها فاختص بها صلى الله عليه وسلم • وفي
صحيح مسلم من حديث انس انه عليه الصلوة والسلام قال والذي نفس محمد بيده لو رايتم ما رايت لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا قالوا وما رايت يا رسول الله قال رايت الجنة والنار فقد جمع صلى الله عليه وسلم بين علم اليقين وعين اليقين مع
الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجتمع لغيره • ولذا قال ان اتقاكم واعلمكم بالله انا
في الصحيح من حديث عائشة • وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكاء • رواه النسائي وابن خزيمة
وابن حبان في صحيحه بلفظ كازيز الرحا اي حنين من الخوف بالخاء المعجمة وهو صوت البكاء • وقيل هو ان يجيش
جوفه ويغلي بالبكاء   واما ما روي من شجاعته صلى الله عليه وسلم ونجدته وقوته في
وشدته • فعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة
ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر
على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لم تراعوا • وكان فزع في المدينة فاستعار النبي صلى الله عليه
وسلم فرسا من ابي طلحة يقال له المندوب فركب فلما رجع قال ما راينا من شيء وان وجدناه لبحرا او انه لبحر •
وكان فرسا يبطأ • رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي • وللبخاري ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب النبي
صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او فيه قطاف فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد
لا يجارى • وفي اخرى له ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه فقال لن تراعوا انه لبحر فما سبق بعد
ذلك اليوم • قوله لن تراعوا اي روعا مستقرا او روعا يضركم • وفي الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه
وسلم من شدة عجلته في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس • وفيه

بركة ومعجزة في انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيئا وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلام وجدناه بحرا اي واسع الجري وفيه قطاف فقال قطف الفرس في مشيه اذا تضايق خطوه واسرع مشيه قال وقد كان في افراسه صلى الله عليه وسلم مندوب فلعله صار اليه بعد ابي طلحة • وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم • وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وذكر ابن اسحق في كتابه وغيره انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع • وكان الناس يأتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينا هو في ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه او كما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ركانة يا محمد هل من شاهد يدل على صدقك قال أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة قال تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم صرعه قال فتعجب ركانة من ذلك ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شانك لعجيب • ورواه الحاكم في مستدركه عن ابي جعفر محمد بن ركانة المصارع ورواه الترمذي وكذا البيهقي من رواية سعيد بن جبير وقد صارع عليه الصلوة والسلام جماعة غير ركانة منهم ابو الاسود الجمحي كما قال السهيلي • وروى البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب اطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه • فدعا رسول الله الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن وفي قصته طول • وفي البخاري من حديث البراء وسأله رجل من قيس افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغا وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة للجري ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه • وفي حديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو وقمنا خلفه

واما ما ذكر من سخائه وجوده وكرمه • فاعلم ان السخاء صفة غريزية • وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فحكم بالفلاح لمن وقي الشح • وحكم بالفلاح ايضا لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون • والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين • وليس الشح من الآدمي بعجيب لانه جبلي فيه وانما العجب وجود السخا في الغريزة • والسخاء اتم واكمل من الجود • وفي مقابلة الجود البخل • وفي مقابلة السخاء الشح • والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذ كان ذلك من ضرورة الغريزة • فكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا • والجود يتطرق اليه الرياء وياتي به الانسان متطلعا الى غرض من الخلق او الحق بمقابلة الثناء او غيره من الخلق والثواب من الله ولا يتطرق الرياء الى السخاء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض

اشار الى ذلك في عوارف المعارف • وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس رواه البخاري من حديث انس • والجود افضل تفصيل من الجود • وهو اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي • ومعناه هو اسخى الناس لما كانت نفسه اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة لا بد ان يكون فعله احسن الافعال وشكله املح الاشكال وخلقه احسن الاخلاق • فلا شك ان يكون اجود • وهو مستغن عن الثناء بالباقيات الصالحات • واقتصار انس على هذه الاوصاف الثلاث من جوامع الكلم لانها امهات الاخلاق فان في كل انسان ثلاث قوى احدها الغضبية وكمالها الشجاعة ثانيها الشهوانية وكمالها الجود ثالثها العقلية وكمالها النطق بالحكمة • وقد روى مسلم عنه ما سئل رسول الله شيئا الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وعنده ايضا عن صفوان بن امية قال لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه لمن ابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي • قال ابن شهاب اعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وفي مغازي الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان يومئذ واديا مملوا ابلا ونعما فقال صفوان اشهد ما طابت بهذا الا نفس نبي • ويرحم الله ابن جابر حيث قال • هذا الذي لا يتقي فقرا اذا • يعطي ولو كثر الانام وداموا • وادي من الانعام اعطى بلا • فتحيرت لعطائه الاوهام • وانما اعطاه ذلك لانه صلى الله عليه وسلم علم ان داءه لا يزول الا بهذا الدواء • وهو الاحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر واسلم • وهذا من كمال شفقته ورحمته ورأفته عليه الصلوة والسلام اذ عامله بكمال الاحسان وانقذه من حر النار الى برد لطف الجنان • وكان علي كرم الله وجهه اذا وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واصدق الناس لهجة • وخرج ابن عدي باسناد فيه ضعف من حديث انس مرفوعا انا اجود بني ادم فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب اجود بني آدم على الاطلاق كما انه افضلهم واعلمهم واشجعهم واكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع انواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل اثقالهم • ولقد احسن ابن جابر حيث قال • يروي حديث الندى والبشر عن يده • ووجهه بين منهل ومنسجم • من وجهه احمد لي بدر ومن يده • بحر ومن فمه در لمنتظم • يمم نبيا تباري الريح انمله • والمزن من كل هامي الودق مرتكم • لو عامت الفلك فيما فاض من يده • لم تلق اعظم بحر منه ان تعم • تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ • به ودع كل طامي الموج ملتطم • لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت • كل الانام وروت قلب كل ظمي • فسبحان من اطلع انوار الجمال من افق جبينه وانشأ قطار السحاب من غمام يمينه • وروى البخاري من حديث جابر ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا • وكذا عند مسلم • اي ما طلب منه شيء من امر الدنيا فمنعه • قال الفرزدق • ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد كانت لاؤه نعم • لكن قال شيخ شيخنا الحافظ ابو الفضل ابن حجر ليس المراد انه يعطي ما يطلب منه جزما بل المراد انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده اعطاه ان كان الاعطاء ساغا والا سكت • قال وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية

عند ابن سعد ولفظه اذا سئل فاراد ان يفعل قال نعم واذا لم يرد ان يفعل سكت • وهو قريب من
حديث ابي هريرة ما عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه • قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام
معناه لم يقل لا منعا للعطاء ولا يلزم من ذلك ان لا يقولها اعتذارا كما في قوله لا اجد ما احملكم عليه • ولا
يخفى الفرق بين قوله لا اجد ما احملكم وبين لا احملكم انتهى • وهو نظير ما في حديث ابي موسى الاشعري
لما سأله الاشعريون الحملان فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي ما احملكم لكن يشكل عليه انه صلى الله عليه وسلم
حلف لا يحملهم فقال والله لا احملكم • ويمكن ان يخص من عموم حديث جابر ما اذا سئل ما ليس عنده والسائل
يتحقق ان ليس عنده ذلك او حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة او من
حال السائل كان لم يكن يعرف العادة فلو اقتصر في جوابه على السكوت مع حاجة السائل لتمادى على السؤال
مثلا ويكون القسم على ذلك تأكيدا لقطع طمع السائل • والسر في الجمع بين قوله لا اجد ما احملكم وقوله
والله لا احملكم ان الاول لبيان ان الذي سأله لم يكن موجودا عنده والثاني انه لا يتكلف الاجابة الى ما
سئل بالقرض مثلا او بالاستيهاب اذ لا اضطرار حينئذ • وروى الترمذي انه حمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فقال ما عندي شيء
ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر • فكره النبي صلى الله عليه وسلم
فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت • وانما فعل ذلك للمصلحة الدينية لذلك كالاستئلاف ونحوه
وذكر ابن فارس في كتابه في اسماء النبي صلى الله عليه وسلم انه في يوم حنين جاءت امرأة فانشدت شعرا
تذكره ايام رضاعته في هوازن فرد عليهم ما اخذ واعطاهم عطاء كثيرا حتى قوم ما اعطاهم ذلك اليوم
فكان خمسمائة الف الف • قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود • وفي البخاري
انه اتي بمال من البحرين فقال انثروه يعني صبوه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم فخرج الى
المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا الا اعطاه اذ جاءه العباس
فقال اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال
يا رسول الله مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فالقاه على كاهله ثم انطلق
فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام صلى الله عليه وسلم وثم
منها درهم • وفي رواية ابن ابي شيبة من طريق حميد بن هلال مرسلا كان المال ثمانين الفا وانه ارسل به العلاء
الحضرمي من خراج البحرين قال وهو اول مال حمل اليه صلى الله عليه وسلم وساوم جابرا على جمل له فقال عليه الصلاة
والسلام بعني جملك فقال هو لك يا رسول الله بابي وامي انت فابتاعه منه [illegible]
فقعد ثم قال صلى الله عليه وسلم اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما مكافأة لقوله هو لك يا رسول الله
فاعطاه الثمن ورد عليه الجمل وزاده الدعاء بالبركة فيهما • وفي حديث البخاري ومسلم وغيرهما
وقد كان جوده عليه السلام كله لله وفي ابتغاء مرضاته فانه كان يبذل المال تارة لفقير او محتاج وتارة

ان لا يقولها اعتذارا

ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف به على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامه • وكان يؤثر على
نفسه واولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء
فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار • وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع • وكان
صلى الله عليه وسلم قد اتاه سبي فشكت اليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها
مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد • وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة
تطوى بطونهم من الجوع • واتته امرأة ببردة فقالت يا رسول الله اكسوك هذه فاخذها صلى الله عليه
وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يا رسول الله ما احسن هذه فاكسنيها فقال
نعم فلما قام صلى الله عليه وسلم لامه اصحابه قالوا ما احسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
اخذها محتاجا اليها ثم سألته اياها وقد عرفت انه لا يسأل شيئا فيمنعه • رواه البخاري من
حديث سهل بن سعد • وفي رواية ابن ماجه والطبراني قال نعم فلما دخل طواها وارسل بها اليه
وافاد الطبراني في رواية زمعة بن صالح انه صلى الله عليه وسلم امر ان يصنع له غيرها فمات قبل ان
يفرغ منها • وفي هذا الحديث من الفوائد حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وسعة جوده • واستنبط
منه السادة الصوفية جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما
استدلوا على الباس الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم البس ام خالد الخميصة السوداء ذات العلم
رواه
لكن قال شيخنا ما يذكرونه من ان الحسن البصري لبسها من علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال ابن دحية وابن الصلاح انه باطل • وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ليس في شيء من طرقها ما يثبت
ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه صلى الله عليه وسلم البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين
الصوفية لاحد من صحابته ولا امر احدا من اصحابه بفعلها وكل ما يروى صريحا في ذلك فباطل • قال
ثم ان من الكذب المفترى قول من قال ان عليا البس الخرقة الحسن البصري فان ائمة الحديث لم يثبتوا
للحسن من علي رضي الله عنه سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة • وكذا قال الدمياطي والذهبي
والعلائي ومغلطاي والعراقي والابناسي والحلبي وغيرهم مع كون جماعة منهم لبسوها والبسوها تبعا
بالقوم نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة الى كميل بن زياد وهو صحب عليا رضي الله عنه
من غير خلف في صحبته له بين ائمة الجرح والتعديل • وفي بعض الطرق اتصالها باويس القرني وهو
اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن فيها • وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة
كالشاذلية وشيخنا ابي اسحق المتبولي • وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر واخذ العهد
واللبس • ولي في ذلك رسالة [illegible] القلوب [illegible] العارف المسلك [illegible]
الباسه للخرقة والتلقين والعهد • وللشيخ قطب الدين القسطلاني ارتقاء الرتبة في اللباس
والصحبة • والله تعالى يهدينا الى سواء السبيل

الفصل الثالث

فيما تدعو ضرورته
اليه من غذائه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك • وفيه انواع

النوع الاول

في عيشه

صلى الله عليه وسلم في المأكل والمشرب • اعلم ان تناول الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة
لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية • وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجزاء
سنة الله تعالى بذلك • والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والاخرة • والقالب بمجرده على طبيعة
الحيوانات يشتغلان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يشتغلان بهما على عمارة الاخرة
وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدارين • قال الغزالي لا طريق الى الوصول الى الله الا بالعلم والعمل ولا
يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن • ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها
بقدر الحاجات على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه
رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا • فمن تناول الاكل ليستعين به
على العلم والعمل ويتقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم
في المرعى فان ما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان تظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين
آدابه وسننه التي تزم العبد بزمامها وتلجم المتقي بلجامها حتى تزن بميزان الشرع شهوة الطعام
في اقدامها واحجامها فيصير بسببها رفعة للوزر ومجلبة • واعلم ان الشبع بدعة ظهرت بعد القرن
الاول • وقد روى النسائي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب الادمي لقيمات يقمن صلبه فان غلبت الادمي
نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس • قال القرطبي في شرح الاسماء كما نقله شيخ الاسلام و
الحافظ ابن حجر لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة • وقال غيره انما خص الثلثة بالذكر لانها
اسباب حيوة الحيوان ولانه لا يدخل البطن سواها • وهل المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر او التقسيم
الى ثلثة اقسام متقاربة محل احتمال • وقد صح المؤمن ياكل في معى واحد • وهو كما في الحديث مقصود المضارب
والكافر ياكل في سبعة امعاء • وليست حقيقة العدد مرادة وتخصيص السبعة للمبالغة في التكثير
والمعنى ان المؤمن من شانه التقلل في الاكل لاشتغاله باسباب العبادة • ولعلمه بان مقصود الشرع من الاكل
ما يسد الجوع ويعين على العبادة ولخشيته ايضا من حساب ما زاد على ذلك • والكافر بخلاف ذلك و عند
اهل التشريح ان امعاء الانسان سبعة المعدة ثم ثلثة امعاء بعدها متصلة بها البواب ثم الصائم
ثم الرقيق والثلثة دقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر وكلها غلاظ • وقد نظمها
الحافظ زين الدين العراقي في قوله • سبعة امعاء لكل ادمي • معدة بوابها مع صائم • ثم الرقيق
اعور قولون مع • المستقيم مسلك المطاعم • فيكون المعنى ان الكافر لكونه ياكل بشرهه ولا يشبعه الا
ملء امعائه السبعة • والمؤمن يشبعه ملء معى واحد • ولا يلزم من هذا الحديث اطراده في حق كل مؤمن
وكافر فقد يكون في المؤمنين من ياكل كثيرا اما بحسب العادة • واما لعارض يعرض له من مرض باطن او لغير ذلك ويكون
في الكفار من ياكل قليلا اما لمراعاة الصحة على راي الاطباء • واما للرياضة على راي الرهبان • واما لعارض
كضعف المعدة • ومحصل القول ان من شان المؤمن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر

وقيل المراد ان المؤمن يسمي الله تعالى عند طعامه وشرابه فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف
الكافر • وقيل المراد بالمؤمن في هذا الحديث التام الايمان لان من حسن اسلامه وكمل ايمانه اشتغل فكره
فيما يصير اليه من الموت وما بعده فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق على نفسه من استيفاء
شهوته كما ورد في حديث لابي امامة رفعه من كثر تفكره قل طعمه ومن قل تفكره كثر طعمه وقسى قلبه
وقال لا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما • ومن قل طعامه قل شربه خفت منامه • ومن خف منامه
ظهرت بركة عمره • ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل منامه • ومن ثقل نومه محقت بركة عمره •
فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه وقلبه • ومن تملأ من الطعام ساء غذاء
بدنه واشرت نفسه وقسى قلبه • وعن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل
الجوع غدا في الاخرة • رواه الطبراني • وعن سلمان وابي جحيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اكثر
الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا في الاخرة • وقالت عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط • وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه
شرب • رواه • وقولها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط محمول على الشبع
الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضي الى البطر والاشر والنوم والكسل
وقد تنتهي كراهته الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة • وليس المراد الشبع المعتاد في
الجملة ففي صحيح مسلم خروجه صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من الجوع الى بيت الانصاري وذبحه الشاة فيه فلما ان
شبعوا ورووا قال النووي فيه جواز الشبع وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه • وعن ابي هريرة
قال ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلثة ايام تباعا حتى قبض • رواه الشيخان • وعن ابن
عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء
وانما كان خبزهم الشعير • رواه الترمذي وصححه • وفي حديث مسلم عند مسلم ما شبع آل محمد يومين من خبز
البر الا واحدهما تمر • واخرج ابن سعد من طريق عمران بن زيد المدني حدثني والدي قال دخلنا على عائشة
فقالت خرج تعني النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين كان اذا شبع من التمر
لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر • وليس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين
فقد جمع صلى الله عليه وسلم القثاء بالرطب كما سياتي ان شاء الله تعالى • وعن الحسن قال خطب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال والله ما امسى في آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات • والله ما قالها استقلالا
لرزق الله ولكن اراد ان تتاسى به امته • رواه الدمياطي في السيرة له • وعن عائشة قالت كانت يعجب
نبي الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلثة اشياء الطيب والنساء والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة
اصاب النساء والطيب ولم يصب من الطعام • ذكره الدمياطي ايضا • وفي الشمائل للترمذي من النعمان
بن بشير لقد رايت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه • وفي رواية مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل
ما يملأ بطنه • وقالت عائشة ان كنا آل محمد يمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا الماء والتمر • وقال
ابن غزوان لقد رايتني واني لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق الشجر حتى
تقرحت اشداقنا • وفي رواية البخاري ومسلم كانت عائشة تقول لعروة والله يا ابن اختي ان كنا

ننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات النبي صلى الله عليه وسلم
نار فقلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
جيران من الانصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه
ولمسلم ايضا قالت لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين
وقال انس ما اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا رأى شاة
سميطا بعينه حتى لحق بالله • رواه البخاري • والمرقق الملين المحسن كخبز الحوارى وشبهه والترقيق
التليين ولم يكن عندهم مناخل وقد يكون المرقق الرقيق الموسع • قال القاضي عياض وجزم به ابن
الاثير فقال وهو التسميد وما يصنع منه من كعك وغيره • وقال ابن الجوزي هو الخفيف كانه اخذ من الرقاق
وهي الخشبة التي يرقق بها الحوارى بضم المهملة وتشديد الواو وفتح الراء الخالص الذي نخل مرة بعد مرة
اخرى • وقوله ولا شاة سميطا هو الذي ازيل شعره بالماء المسخن وشوي بجلده وانما يصنع ذلك
في الصغير السن وهو من فعل المترفين من وجهين احدهما المبادرة الى ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه
وثانيهما ان المسلوخ ينتفع بجلده في اللبس وغيره والسمط يفسده • وقد جرى ابن بطال وابن الاثير على ان
المسموط هو المشوي لكن الشائع ذكرنا اصله نزع صوفه بالماء الحار كما تقدم قال وانما يفعل ذلك في الغالب
ليشوى لعله يعني انهم لم يروا السميط في ما كوله والا فان لم يكن معهودا فلا تمدح • وعن ابي حازم
انه سأل سهلا هل رأيتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي قال لا فقلت كنتم تنخلون الشعير قال لا و
لكن كنا ننفخه • رواه البخاري • وفي رواية له هل كانت لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل قال
ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله • قال شيخ الاسلام ابن حجر ولعله
احترز عما قبل البعثة لكونه صلى الله عليه وسلم كان يسافر في تلك المدة الى الشام تاجرا وكانت الشام اذ ذاك
مع الروم والخبز النقي عندهم كثير وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه • ولا ريب انه رأى ذلك عندهم
واما بعد البعثة فلم يكن الا بمكة والطائف والمدينة ووصل الى تبوك وهي من اطراف الشام لكن لم يفتحها ولا
طالت اقامته بها • انتهى • وقد تتبعت هل كانت اقراص خبزه صغارا او كبارا فلم اجد في ذلك شيئا بعد
التفتيش نعم روى امره بتصغيرها في حديث عند الديلمي عن عائشة رفعته بلفظ صغروا الخبز واكثروا
عدده يبارك لكم فيه وهو واه بحيث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات • وقال ان المتهم به جابر بن سليم
وروي عن ابن عمر مرفوعا البركة في صغر القرص • وقيل عن الشافعي انه كذب • لكن روى البزار بسند ضعيف
عن ابي الدرداء مرفوعا قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه • قال في النهاية وحكي عن الاوزاعي انه تصغير الارغفة
وكذا حكى البزار عن ابراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن بعض اهل العلم انه تصغير الارغفة اشار الى ذلك شيخنا
في المقاصد الحسنة ولعل هذا مستند شيخي وقدوتي وملاذي نصيري العارف الرباني برهان الدين
ابي اسحق ابراهيم المتبولي في تصغير ارغفته سماط كالشيخ ابي العباس احمد البدوي والسادات الكبراء
معادن المعارف اولي المواهب العلية والحقائق المحمدية بني الوفاء اعاد الله من بركاتهم علينا وواصل
امداداتهم الينا عن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عندي شيء ياكله ذو كبد
الا شطر من شعير في رف لي فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني • رواه البخاري ومسلم • وعنها انه

قال

قالت توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير • وقال ابن عباس ودرعه
مرهونة بعشرين صاعا من طعام اخذه لاهله • رواه الترمذي • وعن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله
قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته
المرأة قالت مرحبا واهلا فقال لها صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري
فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق
فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك
والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا قال صلى الله عليه وسلم
لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا
حتى اصابكم هذا النعيم • رواه مسلم وغيره • وهذا السؤال سؤال تشريف وانعام وتعديد فضل و
اكرام • وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر بن عبد الله يقول اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
ذات يوم الى منزله فاخرج اليه فلقا من خبز فقال ما من ادم فقالوا لا الا شيء من خل قال نعم الادم
الخل قال جابر فما زلت احب الخل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم • وقال طلحة فما زلت
احب الخل منذ سمعتها من جابر • رواه مسلم • وروي عن ابن عمر قال اصاب النبي صلى الله عليه وسلم
جوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال الا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية
يوم القيامة الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم • رواه
ابن ابي الدنيا • وعن انس بن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا
عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين • قال الترمذي هذا حديث غريب من حديث
ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه • ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر قال كان احدهم يشد في بطنه
الحجر من الجهد والضعف الذي به من الجوع • وقصة جابر يوم الخندق حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب بحجر تقدمت • وما احسن قول الابوصيري
وشد من سغب احشاءه وطوى • تحت الحجارة كشحا مترف الادم • والكشح كما ذكرته في شرح هذه
القصيدة ما بين خاصرته الشريفة واقصر ضلع من جنبه الشريف • وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن
بعض الم الجوع • وانما كان هذا الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهي اذا امتلات
من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتالم
الانسان بتلك الحرارة فتعلق بكثير من جواهر البدن فاذا انضمت على المعدة الاحشاء والجلد خمد نارها
بعض الخمود فقل الالم • وانما تالمه بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى
ان من رآه لا يظن به جوعا لان جسمه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نضارة من اجساد المترفين
بالنعم في الدنيا • وهذا المعنى هو الذي قصده الناظم بقوله مترف الادم • وهو من باب الاحتراس التتميم

لانه لما ذكر انه شد من سغب خاف من يتوهم ان جبهته الشريف حينئذ اثر الجوع فاحترس ورفع ذلك
الايهام بقوله مترف الادم • وقد انكر ابو حاتم بن حبان احاديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع
وقال انها باطلة متمسكا بحديث الوصال لست كاحدكم انى اطعم واسقى • وقال انما معناها الحجز بالزاي
وهو طرف الازار لان الله تعالى قد كان يطعم رسوله عليه الصلوة والسلام ويسقيه اذا واصل فكيف
يحتاج الى شد الحجر على بطنه وما يغني الحجر من الجوع • انتهى • وقال بعضهم يجوز ان يكون عصب الحجر لعادة
عند العرب او اهل المدينة انهم يفعلون ذلك اذا خلت اجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجرا فيفعل
صلى الله عليه وسلم ذلك ليعلم اصحابه انه ليس عنده ما يستأثر به عليهم • والصواب صحة الاحاديث وانه صلى الله
عليه وسلم فعل ذلك اختيارا للثواب • وقد استشكل كونه عليه الصلوة والسلام واصحابه كانوا يطوون
الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه قسم بين اربعة انفس من اصحابه الف بعير مما
افاء الله عليه وانه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابي بقطيع من الغنم
وغير ذلك مع ما كان معه من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم
واموالهم بين يديه • وقد امر بالصدقة فجاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة
فجهزهم عثمان بالف بعير الى غير ذلك • واجاب عنه الطبري كما حكاه في فتح الباري ان ذلك كان منهم
في حال دون حالة لا لعوز وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهية الشبع ولكثرة الاكل • انتهى •
وتعقب بان ما نفاه مطلقا فيه نظر لما تقدم من الاحاديث • واخرج ابن حبان في صحيحه عن عائشة من حدثكم
انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك الى غير ذلك • قال الحافظ
ابن حجر والحق ان الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى المدينة كان اكثرهم كذلك
فواساهم الانصار بالمنازل والمنائح فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منائحهم • كما تقدم
وقد قال عليه الصلوة والسلام لقد اخفت في الله وما يخاف احد واوذيت في الله وما يؤذى احد ولقد اتت
على ثلثون من يوم وليلة ما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شيء يواريه ابط بلال • رواه الترمذي من حديث
وصححه • نعم كان صلى الله عليه وسلم يختار ذلك مع امكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له كما اخرج
الترمذي من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا
يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك • وحكمة
هذا التفصيل الاستلذاذ بالخطاب والا فالله تعالى عالم بكل الاشياء جملة وتفصيلا • وعن ابن عباس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق
ما امسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر الله اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك
فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك اسير
معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومى

اليه

اليه جبريل ان تواضع قال بل نبيا عبدا ثلثا • رواه الطبراني باسناد حسن • فانظر الى همته العلية
كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فاباها • ومعلوم انه لو اخذها لانفقها في طاعة ربه فابى
ذلك واختار العبودية المحضة • فيا لها من همة سنية رفيعة لما اشتاقها ونفس زكية كريمة
ما ابتغاها • وهو در صاحب البردة المديح حيث قال • وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه
فاراها ايما شمم • واكدت زهده فيها ضرورته • ان الضرورة لا تعدو على العصم • وكيف تدعو
الى الدنيا ضرورة من • لولاه لم تخرج الدنيا من العدم • اي كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى
زخرف الدنيا وهي بما فيها انما برزت لاجله فكيف يضطر اليها • لكن في كلامه شيء فانه في مقام
المدح فلا يليق منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة • قال الحليمي في شعب الايمان من تعظيم النبي صلى الله
عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عند الناس من اوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا • وانكر بعضهم
اطلاق الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم • وقد حكى صاحب نثر الدرر عن محمد بن واسع انه قيل له ان
فلانا زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها • وقد ذكر القاضي عياض في الشفا ونقله عنه
الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه السيف المسلول ان فقهاء الاندلس افتوا بقتل حاتم المتفقه
الطليطلي وصلبه لاستخفافه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وزعمه
ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها • انتهى • وذكر الشيخ بدر الدين الزركشي عن
بعض الفقهاء المتأخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال
فقير بل كان اغنى الناس فانه قد كفي امر دنياه في نفسه وعياله • وكان يقول في قوله عليه السلام
اللهم احيني مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته
وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك • انتهى • واما ما يروى انه عليه الصلوة والسلام
قال الفقر فخري وبه افتخر فقال شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر هو باطل موضوع • انه لم يكن من عادته
صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة على نوع واحد من الاغذية لا يتعداه الى سواه فان ذلك يضر بالطبيعة
جدا ولو انه افضل الاغذية بل كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما جرت عادة اهل بلده باكله من اللحم و
الفاكهة والخبز والتمر وغيره مما سياتي • وكان صلى الله عليه وسلم ياكل الحلوا والعسل
وكان يحبهما • رواه البخاري والترمذي والحلوا بالقصر وتمد كل حلو • وقال الخطابي اسم الحلوا لا يقع الا
على ما دخلته الصنعة • وقال ابن سيده ما عولج من الطعام بحلو • وقد يطلق على الفاكهة • قال الخطابي
ولم يكن حبه صلى الله عليه وسلم لها على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس اليها وانما كان ينال منها اذا احضرت
اليه نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه • ووقع في كتاب فقه اللغة للثعالبي ان حلوا النبي صلى الله عليه وسلم
التي كان يحبها هي المجيع بالجيم وزن عظيم وهو تمر يعجن بلبن كما حكاه في فتح الباري • واخرج [illegible] انه عليه الصلوة
كان يحب الشكر ولا انه [illegible] ولا انه اكله • [illegible] اخرج ابو جعفر الطحاوي والبيهقي في سننه [illegible]
[illegible] عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر [illegible]

الحلوا والعسل

الشكر

[illegible]

فجاءت الجواري بصحن من الأطباق عليها اللوز والسكر فأمسك القوم أيديهم فقال عليه الصلاة والسلام ألا تنتهبون قالوا إنك نهيت عن النهبة فقال أما العرسان فلا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه • واحتج به الطحاوي على أن النثار غير مكروه كما ذهب إليه أبو حنيفة وقضى به على الأحاديث الصحيحة فيها النهي عن النهبة • لكن قال البيهقي بعد رواية الحديث وهذا لا يثبت • ثم قال وروي من جهة عائشة عنه صلى الله عليه وسلم ولا يثبت في هذا المعنى شيء • وشنع على الطحاوي القول في ذلك التحجيل في كتاب المعرفة وقال الحديث إنما يروى عن عون بن عمارة وعصمة بن سليمان وكلاهما لا يحتج به وشيخهما لمازة بن المغيرة مجهول فهاتان علتان كل منهما منفردة توجب ضعف الحديث فكيف بهما مجتمعتان • وهذا خالد بن معدان منقطع ولا في المنقطع حجة فهذه علل ثلاث يضعف الحديث بدونها • وقد أطال الكلام على ذلك ابن مفلح اليوسفي • والله سبحانه أعلم • وعن ليث بن أبي سليم قال أول من خبص في الإسلام عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل فاستطابه • قال الطبري في الرياض رواه خيثمة في فضائل عثمان رضي الله عنه • وعن عبد الله بن سلام قال قدمت عير فيها حمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حواري وسمن وعسل فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج أو كاد ينضج ثم أنزل فقال صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شيء تسميه فارس الخبيص • قال الطبري خرجه تمام في فوائده • والطبراني في معجمه ورجاله ثقات • وأكل عليه الصلاة والسلام لحم الضأن • وهذه الثلاثة أعني الحلوا والعسل واللحم من أفضل الأغذية وأنفعها للبدن والكبد والأعضاء ولا ينفر منها إلا من به علة أو آفة • وفي اللحم سيد طعام أهل الجنة • وفي رواية هو سيد الطعام لأهل الدنيا والآخرة • رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا من حديث أبي الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف • ولابن عدي منها عن علي رضي الله عنه سيد طعام الدنيا اللحم ثم الأرز • أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي • وأكل اللحم يزيد في السمع قوة • قال الزهري • وعن علي أنه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه • ولأبي الشيخ ابن حيان من رواية أبي سمعان قال سمعت علماءنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم ويقول هو يزيد في السمع • وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل • وقال الإمام الشافعي أكله يزيد العقل • وكان عليه الصلاة والسلام يعجبه الذراع ولذلك سم فيه • وعن أبي رافع أنه أهديت له شاة فجعلها في قدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا أبا رافع فقال شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر قال ناولني الذراع يا أبا رافع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع الآخر فقال ناولني الذراع الآخر فقال يا رسول الله إنما للشاة ذراعان فقال أما إنك لو سكت لناولتني ذراعا فذراعا ما سكت ثم دعا بماء فتمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فصلى الحديث • رواه أحمد • ورواه الدارمي والترمذي عن أبي عبيد بلفظ طبخت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع

الخبيص

لحم الضأن

الذراع

فقال

فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سكت لناولتني الذراع ما دعوت • وقالت عائشة وكان الذراع أحب إليه وكان لا يأكل اللحم إلا غبا وكان يعجل إليها لأنها أعجل نضجا • رواه الترمذي وكذلك كان يحب لحم الرقبة • فعن ضباعة بنت الزبير أنها ذبحت في بيتها شاة فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أطعمينا من شاتكم فقالت ما بقي عندنا إلا الرقبة وإني لأستحيي أن أرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فأخبره فقال ارجع إليها فقل لها أرسلي بها فإنها هادية الشاة وأقرب الشاة إلى الخير وأبعدها من الأذى • ولا ريب أن أخف لحم الشاة الرقبة والذراع والعضد وهو أخف على المعدة وأسرع انهضاما • وفي هذا أنه ينبغي مراعاة الأغذية التي تجمع ثلاث خواص • أحدها كثرة نفعها وتأثيرها في القوى • الثاني خفتها على المعدة وسرعة انحدارها عنها • الثالث سرعة هضمها • وهذا أفضل ما يكون من الغذاء • قال عليه الصلاة والسلام أطيب اللحم لحم الظهر • رواه الترمذي • وأما حديث أنه كره الكليتين لمكانهما من البول فقال الحافظ العراقي رويناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله الشخير من حديث ابن عباس بإسناد فيه ضعف انتهى • وكان عليه الصلاة والسلام ينهش اللحم أي يقبض عليه بفيه ويزيله من العظم أو غيره وينتشله أي يقتلعه من المرق • والنهش بمقدم الأسنان • وفي البخاري أنه عليه الصلاة والسلام احتز من كتف شاة في يده فدعي إلى الصلاة فألقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام إلى الصلاة ولم يتوضأ • قال ابن بطال هذا الحديث يرد حديث أبي معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من صنيع الأعاجم وانهشوه فإنه أهنأ وأمرأ • قال أبو داود هو حديث ليس بالقوي • قال أبو الفضل العسقلاني رحمه الله تعالى له شاهد من حديث صفوان ابن أمية أخرجه الترمذي بلفظ انهشوا اللحم نهشا فإنه أهنأ وأمرأ • وقال لا نعرفه إلا من حديث عبد الكريم انتهى قال وعبد الكريم هو ابن أبي المخارق ضعيف • لكن أخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن صفوان ابن أمية فهو حسن لكن ليس فيه ما زاد أبو معشر من التصريح بالنهي عن قطع اللحم بالسكين • وأكثر ما في حديث صفوان أن النهش أولى • انتهى • ويمكن الجمع بأن النهش مما على العظم الصغير والاحتزاز مما على الكبير • وأكل صلى الله عليه وسلم الشوي فعن أم سلمة أنها قربت إلى النبي صلى الله عليه وسلم جنبا مشويا فأكل منه ثم قام إلى الصلاة وما توضأ • قال الترمذي حديث صحيح • وأكل عليه الصلاة والسلام القديد كما في حديث في السنن عن رجل قال ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال أصلح لحمها فلم أزل أطعمه إلى المدينة • وأكل عليه الصلاة والسلام من الكبد المشوية • وأكل لحم الدجاج • رواه الشيخان والترمذي وغيرهم • وأكل لحم حمار الوحش • رواه الشيخان • وأكل لحم الجمل سفرا وحضرا • رواه • وأكل لحم الأرنب • رواه الشيخان • وأكل من دواب البحر • رواه مسلم • وأكل الثريد وهو بفتح الثاء المثلثة أن يثرد الخبز في مرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن أمثالهم الثريد أحد اللحمين • وروى أبو داود من حديث ابن عباس قال أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس • وأكله عليه السلام بالسمن • وأكل الخبز بالزيت • وعن عائشة

الرقبة

لحم الظهر

الكليتان

الشوي

القديد

الكبد

لحم الدجاج

لحم حمار الوحش

لحم الجمل

لحم الأرنب

دواب البحر

الخبز بالزيت

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة اذا طبختم قدرًا فاكثروا فيها من الدباء فانها تشد قلب الحزين رواه الطبراني في الاوسط. وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجبروا الطعام فانه بركة اشدها طهرى لقيام الليل رواه ... وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو كذاب وضع هذا الحديث. واكل عليه السلام الدباء وكانت تعجبه وكان يتتبعها من حوالي القصعة. قال انس فلم ازل احب الدباء من يومئذ. رواه مسلم. قال النووي فيه انه يستحب ان يحب الدباء وكذلك كل شيء يحبه صلى الله عليه وسلم. وكذلك اكل صلى الله عليه وسلم مطبوخًا بالشعير. قال الترمذي حديث حسن غريب. وان الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى فقالوا اصنعي لنا طعامًا مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا قال فقامت فاخذت شيئًا من الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيئًا من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته اليهم فقالت هذا مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله. رواه الترمذي. واكل عليه الصلوة والسلام الخزيرة وهي بخاء معجمة مفتوحة ثم زاي مكسورة وبعد التحتانية الساكنة راء ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة لكنه ارق منها. قاله الطبري. وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم. وقال القتيبي وتبعه الجوهري ان يؤخذ اللحم فيقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وقيل مرقة تصفى من بلالة النخالة ثم تطبخ. وقيل الخزيرة بالاعجام من النخالة والحريرة يعني بالاهمال من اللبن. وقال عتبان غدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر حين ارتفع النهار وحبسناه على خزير صنعناه. واكل عليه الصلوة والسلام الرطب والتمر والبسر. رواه مسلم والترمذي وغيرهما. واكل عليه السلام الاقط كما قال ابن عباس فيما رواه. وهو جبن اللبن المستخرج زبده. اكله. وهو كثير بمكة والمدينة زادها الله شرفًا وهو اشبه شيء بالكشك. واكل صلى الله عليه وسلم الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبعد الالف مثلثة النضيج من ثمر الاراك. وقيل ورق الاراك. وتعقبه الاسماعيلي فقال انما هو ثمر الاراك وهو البرير بوحدة موزن الحرير فاذا اسود فهو الكباث. وفي النهاية لابن الاثير انه عليه السلام كان يحب الجذب بالجيم والذال المعجمة المفتوحتين اي الجمار وهو شحم النخل واحدتها جذبة. واما الجبن ففي السنن من حديث ابن عمر قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع. رواه ابو داود. وكان يراعي عليه السلام صفات الاطعمة وطبائعها واستعمالها على قاعدة الطب فاذا كان في احد الطعامين ما يحتاج الى تعديل كسره وعدله بضده ان امكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ وهذا اصل كبير في المركبات من الادوية. وان لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير اسراف. وفي ابو داود من حديث ابي اسامة عن هشام انه كان صلى الله عليه وسلم كان ياكل البطيخ بالرطب ويقول نكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا. ورواه يزيد بن رومان عن الزهري عن عروة بتقديم البطيخ كما للموفق وبتاخيرها كالنسائي في الوليمة وكما كان عند هشام بالعكس. وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن عبد الرحمن عن الامام احمد بن حنبل عن وهب بن جرير بن حازم حدثنا ابي قال سمعت

حتى

حميدًا يحدث عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياكل الخربز او البطيخ بالرطب. وقال شعبة البطيخ الثالث من احمد. وتقديم الطائفة حكاها صاحب المحكم. وقد كان محمد بن اسلم لا ياكل البطيخ لانه لم يستقل كيفية اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له. وروى الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله ابن جعفر قال رايت في يمين النبي صلى الله عليه وسلم قثاء وفي شماله رطبًا وهو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة. وفي سنده ضعف. واخرج فيه وفي الطب لابي نعيم من حديث انس كان ياخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فياكل الرطب بالبطيخ وكان احب الفاكهة اليه وسنده ضعيف ايضًا. واخرج النسائي بسند صحيح عن حميد عن انس رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرطب والخربز وهو بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الموحدة بعدها زاي نوع من البطيخ الاصفر. وفي هذا تعقب على من زعم ان المراد بالبطيخ في الحديث الاخضر واعتلوا بان الاصفر فيه حرارة كما في الرطب وقد ورد التعليل بان احدهما يطفئ حرارة الآخر. والجواب عن ذلك بان الاصفر بالنسبة للرطب بارد وان كان فيه لحلاوته طرف حرارة. والله اعلم. وفي رواية للنسائي ايضًا بسند صحيح عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اكل البطيخ والرطب جميعًا. واخرج ابن ماجه عن عائشة ارادت امي معالجتي للسمنة لتدخلني على النبي صلى الله عليه وسلم فما استقام لها حتى اكلت الرطب بالقثاء فسمنت كاحسن سمنة. ورواه النسائي وقال بالتمر مكان الرطب. واما فضل البطيخ فاحاديثه باطلة وان افرده الموصلي في جزء كما قاله الحفاظ. والله اعلم. وكان صلى الله عليه وسلم ياكل التمر بالزبد ويعجبه. فعن ابني بسر السلميين قالا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدًا وتمرًا وكان يحب الزبد والتمر. رواه ابو داود وابن ماجه. وسمى صلى الله عليه وسلم اللبن بالتمر الاطيبين. رواه احمد. وكان ياكل الخبز مادومًا ما وجد له ادامًا فتارة يادمه باللحم ويقول هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة. وتارة بالبطيخ رواه. وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير وقال هذا ادام هذه. رواه ابو داود والترمذي بسند حسن من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذ فذكره. قال ابن القيم وهذا من تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على اصح القولين فادم خبز الشعير به من احسن التدبير. وتارة بالخل ويقول نعم الادام الخل. رواه مسلم وتقدم. قال الخطابي والقاضي عياض معناه مدح الاقتصاد في الماكل ومنع النفس عن ملاذ الاطعمة تقديره ائتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده ولا تتانقوا في الشهوات فانها مفسدة للدين مسقمة للبدن. وتعقبه النووي فقال الذي ينبغي ان يجزم به انه مدح للخل نفسه واما الاقتصاد في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد اخر. انتهى. وقال ابن القيم هذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر لا تفضيل له على غيره كما ظنه بعضهم. قال وسبب الحديث انه دخل على اهله يومًا فقدموا له خبزًا فقال اما من ادم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادام الخل. والمقصود ان اكل الخبز مع الادم من اسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على احدهما. وسمي الادم ادمًا لاصلاحه الخبز

وجعله ملائما لحفظ الصحة • وليس في هذا تفضيل له على اللبن واللحم والعسل والمرق • ولو حضر لحم او لبن
لكان اولى بالمدح منه • فقاله هذا جبرا او تطييبا لقلب من قدمه له لا تفضيلا له على سائر انواع الادم •
وكان يأكل صلى الله عليه وسلم من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها • وهذا من اكبر اسباب الفاكهة
الصحة فان الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به اهلها في وقته فيكون تناوله من
اسباب صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الادوية • وقل من احتمى عن فاكهة بلده خشية السقم الا
وهو من اسقم الناس جسما وابعدهم من الصحة والقوة • فمن اكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه
الذي ينبغي كان له دواء نافعا • وقد روى ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل العنب خرطا العنب
ورويناه في الغيلانيات • لكن قال ابو جعفر العقيلي كما حكاه في الهدي لا اصل لهذا الحديث • قال ابن
الاثير يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا منه • قال
وجاء في بعض الروايات خرصا يعني بالصاد بدل الطاء • واما البصل فروى ابو داود في سننه
عن عائشة انها سئلت عن البصل فقالت ان آخر طعام اكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل • وثبت البصل
عنه في الصحيح انه منع آكله من دخول المسجد • وكان صلى الله عليه وسلم يترك الثوم دائما
لانه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة • قال النووي واختلف اصحابنا في حكم الثوم في حقه عليه السلام الثوم
وكذلك البصل والكراث ونحوها فقال بعض اصحابنا هي محرمة عليه والاصح عندهم انها مكروهة كراهة الكراث
تنزيه ليست محرمة لعموم قوله صلى الله عليه وسلم لا في جواب قوله احرام هي • ومن قال بالاول يقول معنى
الحديث ليس بحرام في حقكم • انتهى • فينبغي لمحبه مواظبته عليه الصلاة والسلام في ترك الثوم ونحوه وترك جميع
ما كان يكرهه عليه الصلاة والسلام فان من اوصاف المحب الصادق ان يحب ما احبه محبوبه ويكره ما يكرهه الاكل بالاصابع الثلث
وكان عليه الصلاة والسلام يأكل باصابعه الثلث • رواه الترمذي في الشمائل • وهذا كما في الهدي
انفع ما يكون من الأكلات فان الاكل باصبع او اصبعين لا يستلذ به الآكل ولا يمريه ولا يشبعه الا
بعد طول ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل اكلة فيأخذها على اغماض كما يأخذ الرجل
حقه حبة حبة او نحو ذلك فلا يلتذ باخذه • والاكل بالخمسة يوجب ازدحام الطعام على آلاته
وعلى المعدة • وربما انسدت الآلات فمات وتغصب الآلات على دفعه والمعدة على احتماله ولا يجد
لذة ولا استمراء • فانفع الاكل اكله صلى الله عليه وسلم واكل من اقتدى به بالاصابع الثلث
وكان عليه الصلاة والسلام يلعق اصابعه اذا فرغ ثلثا • رواه الترمذي في الشمائل • وفي رواية اللعق
مسلم ويلعق يده قبل ان يمسحها • وفي رواية انه لم يلعق الاصابع او الصحفة • وقد روى
الترمذي عن ام عاصم قالت دخل علينا نبيشة الخير ونحن نأكل في قصعة فحدثنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة • وكذا اخرجه ابن ماجه واحمد وابن
شاهين والدارمي وغيرهم • وقال الترمذي انه حديث غريب • واورده بعضهم بلفظ تستغفر الصحفة
للاحسها • وفي حديث جابر مرفوعا عند ابي الشيخ في الثواب من اكل ما يسقط من الخوان والقصعة

امن

امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق • وللديلمي من طريق الرشيد عن آبائه عن ابن عباس
رفعه من اكل ما يسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجه ونفي عنه الفقر • واورده الغزالي في الاحياء
بلفظ عاش في سعة وعوفي في ولده • وكلها مناكير • لكن في مسلم عن جابر وانس مرفوعا اذا وقعت لقمة
احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان • ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق
اصابعه لانه لا يدري في اي طعامه البركة • وفي حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في الاوسط صفة لعق
الاصابع ولفظه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل باصابعه الثلث بالابهام والتي تليها والوسطى
ثم رأيته يلعق اصابعه الثلث قبل ان يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الابهام • قال الحافظ زين الدين
العراقي في شرح الترمذي كان السر فيه ان الوسطى اكثر تلويثا لانها اطول فيبقى فيها من الطعام اكثر
من غيرها ولانها لطولها اول ما ينزل في الطعام • وقد وقع في مرسل ابن شهاب عند سعيد بن منصور
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس فيجمع بينه وبين ما تقدم باختلاف الحال • وقد جاء علة
اللعق مبينة في بعض الروايات انه لا يدري احدكم في اي طعامه البركة • وفي الحديث رد على من كره لعق
الاصابع استقذارا من يتشبه بالرياسة والامرة في الدنيا • نعم يحصل ذلك لو فعله في اثناء
الاكل لانه يعيد اصابعه في الطعام وعليها اثر ريقه • قال الخطابي عاب قوم افسد عقلهم
الترفه لعق الاصابع وزعموا انه مستقبح كانهم لم يعلموا ان الطعام الذي علق بالاصابع
والصحفة جزء من اجزاء ما اكلوه واذا لم يكن سائر اجزائه مستقذرا لم يكن الجزء اليسير منه
مستقذرا وليس في ذلك اكثر من مصه اصابعه بباطن شفتيه • ولا يشك عاقل ان لا بأس
بذلك فقد يمضمض الانسان فيدخل اصبعه في فيه فيدلك اسنانه وباطن فمه ثم لم يقل
ان ذلك قذارة وسوء ادب • انتهى • ولا ريب ان من استقذر ما نسب الى الرسول صلى الله عليه
وسلم من الادب يخشى عليه امر عظيم • فنسأل الله تعالى بمحمد وجاهه الكريم ان يسلك بنا
سبيل سنته وان يديم لنا حلاوة محبته • وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئا كما صح انه
قال لا آكل متكئا • رواه البخاري • وقال انما انا عبد اجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد
وروى ابن ماجه والطبراني باسناد حسن قال اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه
يأكل فقال له اعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا • قال ابن بطال
انما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا • ثم ذكر من طريق ايوب عن الزهري قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
ملك لم يأته قبلها فقال ان ربك يخيرك بين ان تكون عبدا نبيا او نبيا ملكا فنظر الى جبريل كالمستشير له
فأومى اليه ان تواضع فقال بل عبدا نبيا قال فما اكل متكئا • وهذا مرسل او معضل • وقد وصله النسائي
من طريق الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ما رئي النبي صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا قط
واخرج ابن ابي شيبة عن مجاهد قال ما اكل النبي صلى الله عليه وسلم متكئا الا مرة واحدة • ويمكن بان تلك المرة
التي في اثر مجاهد لم يطلع عليها عبد الله بن عمرو • فقد اخرج ابن شاهين في ناسخه من مرسل عطاء ابن يسار

مطلب اذا وضع يده يسمي الله

اذا وضع يده في الطعام يسمي الله تعالى • واما قول النووي في اداب الاكل من الاذكار والافضل ان
ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم فان قال بسم الله كفاه وحصلت السنة • قال في فتح الباري لم ار لما ادعاه
من الافضلية دليلا خاصا • وكان عليه السلام يحمد الله في آخره فيقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير
مودع بفتح الدال الثقيلة اي غير متروك ولا مستغنى عنه ربنا • رواه الترمذي • وقوله غير مودع بفتح الدال
الثقيلة اي غير متروك ولا مستغنى عنه كما ذكرنا • ولا مستغنى بفتح النون • وربنا بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اي هو ربنا • ويجوز النصب على المدح او الاختصاص او اضمار اعني • وقال ابن الجوزي بالنصب على النداء
مع حذف اداة النداء • وفي رواية الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين • وللنسائي من طريق عبد الرحمن
بن جبير المصري انه حدثه رجل خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين انه كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرب اليه طعام يقول بسم الله فاذا فرغ قال اللهم اطعمت وسقيت واقنيت واهديت واحييت
فلك الحمد على ما اعطيت • وسنده صحيح • وقد كان عليه السلام يحب التيامن في شأنه كله • وقال
عليه السلام يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك • قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي حمله
الشافعية على الندب وبه جزم الغزالي ثم النووي لكن نص الشافعي في الرسالة وفي موضع آخر من الام على
الوجوب • وكذا ذكره الصيرفي في شرح الرسالة • ونقل البويطي في مختصره ان الاكل من رأس الثريد والتعريس
على الطريق والقران في التمر حرام • ومثل البيضاوي في منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك
وتعقبه الشيخ تاج الدين ابن السبكي في شرحه بان الشافعي نص في غير هذا الموضع على ان من اكل مما لا يليه عالما
بالنهي كان عاصيا آثما • قال وقد جمع والدي نظائر هذه المسألة في كتاب سماه كشف اللبس عن المسائل
الخمس ونصر القول بان الامر فيها للوجوب • قال شيخ الاسلام ابن حجر بعد ان ذكر ذلك ويدل على وجوب
الاكل باليمين ورود الوعيد في الاكل بالشمال • ففي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يأكل
بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد • فان قلت انه عليه السلام
كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة وهو يعارض الاكل مما يلي • فالجواب انه يحمل الجواز على ما
اذا علم رضى من يأكل معه فاذا علم كراهة من كان معه لذلك لم يأكل الا مما يليه • قال ابن بطال
والعلماء انما جالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطعام لانه علم ان احدا لا يتكره ذلك منه ولا يتقذره
بل يتبركون بريقه ومماسة يده بل كانوا يتبادرون الى نخامته فيتدلكون بها • وقال غيره انما
فعل ذلك لانه كان يأكل وحده • وهو غير مسلم لان انسا اكل معه صلى الله عليه وسلم • وحديث عكراش
عند الترمذي فيه التفصيل بين ما اذا كان لونا واحدا فلا يتعدى ما يليه او اكثر من لون فيجوز ضعيف • ولم
وقرب اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الا نأتيك بوضوء قال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة • رواه الترمذي
وفي رواية له انه عليه الصلاة والسلام قال بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده • فيحمل الوضوء الاول
على الشرعي والثاني على اللغوي • وروى ابو يعلى باسناد ضعيف من حديث ابن عمر من اكل من هذه اللحوم
شيئا فليغسل يده من ريح وضره ولا يؤذي من حذاءه • ولم يكن صلى الله عليه وسلم يأكل طعاما حارا وروي

ان جبريل رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا فنهاه • وروي فيما جاء انه صلى الله عليه وسلم نهى ان يأكل الرجل
وهو منبطح على وجهه • وقد فسر القاضي عياض في الشفا الاتكاء بالتمكن للاكل والتقعد للجلوس له كالمتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه
والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا • قال وليس معنى الحديث في الاتكاء
الميل على شق عند المحققين • انتهى • والاقعاء ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه ويتساند الى
ظهره وهو المنهي عنه في الصلاة • وتفسير القاضي عياض الاتكاء بما فسره به حكاه في الاكمال عن الخطابي
وقال ان الخطابي خالف في التأويل اكثر الناس • وانهم انما حملوا الاتكاء على انه الميل على احد الجانبين انتهى
والذي رأيته في كلام الخطابي تحسب العامة ان المتكئ هو الآكل على احد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد
على الوطاء الذي تحته • انتهى • وقد فسر ايضا بالميل على احد الشقين • وبه جزم ابن الجوزي • وقيل هو
الاعتماد على الشيء • وقيل ان يعتمد على يده اليسرى من الارض • وقد اخرج ابن عدي بسند ضعيف زجر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يعتمد الرجل على اليد اليسرى عند الاكل • قال الامام مالك هو نوع من الاتكاء
قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني وفي هذا اشارة من مالك الى كراهة كل ما يعد الآكل فيه متكئا
ولا يختص بصفة بعينها • وحكى ابن الاثير في النهاية ان من فسر الاتكاء بالميل على احد الشقين تأوله
على مذهب الطب • وقال ابن القيم انه يضر بالاكل فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئاته ويعوقه
عن سرعة نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء • واما الاعتماد على الشيء فمن
جلوس الجبابرة المنافي للعبودية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام آكل كما يأكل العبد • وان كان المراد بالاتكاء
الاعتماد على الوسائد والوطاء الذي تحت الجالس كما ذكر عن الخطابي فيكون المعنى اني اذا اكلت لم اقعد
على الاوطية والوسائد كفعل الجبابرة ومن يريد الاكثار من الطعام لكني آكل بلغة من الزاد فلذلك اقعد
مستوفزا • وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اكل تمرا وهو مقع • وفي رواية محتفز • والمراد الجلوس
على وركيه غير متمكن • واختلف السلف في حكم الاكل متكئا فزعم ابن القاص ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم
وتعقبه البيهقي فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين واصله مأخوذ من ملوك العجم قال فان
كان بالمرء مانع لا يتمكن معه من الاكل الا متكئا لم يكن في ذلك كراهة • ثم ساق عن جماعة من السلف انهم اكلوا كذلك
واشار الى حمل ذلك على الضرورة • قال في فتح الباري وفي الحمل نظر • وقد اخرج ابن ابي شيبة عن ابن عباس وخالد
ابن الوليد وعبيدة السلماني ومحمد بن سيرين وعطاء بن يسار والزهري جواز ذلك مطلقا • واذا ثبت كونه مكروها او خلاف الاولى
فالمستحب في صفة الجلوس للاكل ان يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه او ينصب الرجل اليمنى ويجلس على
اليسرى • انتهى • وقال ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع
بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعا لربه عز وجل وادبا بين يديه قال وهذه الهيئة انفع هيئات الاكل
وافضلها لان الاعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه • انتهى • واخرج ابن ابي شيبة
من طريق ابراهيم النخعي قال كانوا يكرهون ان يأكلوا اتكاءة مخافة ان تعظم بطونهم وكان صلى الله عليه وسلم

مطلب في المستحب في صفة الجلوس للاكل

فقال

الطبراني في الصغير والاوسط من حديث بلال بن ابي هريرة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بسخينة
فقال لم يطعمنا نارا قال وبلال كثير الرواية عن ابيه انتهى • وعند ابي نعيم في الحلية من حديث انس
كان يكره الكي والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة الا وان الحار لا بركة له • الحديث
ولاحمد وابي نعيم من حديث اسماء انها كانت اذا ثردت غطته بشيء حتى يذهب فوره ثم تقول اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو اعظم بركة • لكن عند البيهقي باسناد صحيح عن ابي هريرة قال اتي النبي صلى
الله عليه وسلم بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم • وكان له عليه الصلوة والسلام
قدح من خشب مضبب بحديد قال انس لقد سقيته عليه الصلوة والسلام في هذا القدح الشراب كله الماء
والنبيذ والعسل • وفي البخاري عن سهل بن سعد فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس في سقيفة بني
ساعدة هو واصحابه ثم قال اسقنا يا سهل فاخرجت لهم هذا القدح فاسقيتهم فيه واخرج لنا سهل
ذلك القدح فشربنا منه ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له • الحديث • وكان عمر بن عبد العزيز
قد ولي حينئذ امرة المدينة • وعند البخاري من حديث عاصم الاحول قال رايت قدح النبي صلى الله عليه وسلم
عند انس بن مالك وكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد عريض من نضار قال انس لقد سقيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القدح اكثر من كذا وكذا • قال ابن سيرين انه كان فيه حلقة من حديد
فاراد انس ان يجعل مكانها حلقة من ذهب او فضة فقال ابو طلحة لا تغيرن شيئا صنعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتركه • وعنده في فرض الخمس من طريق ابي حمزة السكري عن عاصم قال رايت القدح وشربت منه
واخرجه ابو نعيم من طريق يحيى بن الحسن بن شقيق عن ابي حمزة ثم قال قال علي بن الحسن وانا رايت القدح
وشربت منه • وذكر القرطبي في مختصر البخاري انه راى في بعض النسخ القديمة من البخاري قال ابو عبد الله البخاري
رايت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه وكان اشتري من ميراث النضر بن انس بثمانمائة الف • ووقع عند
احمد من طريق شريك عن عاصم رايت عند انس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضبة من فضة • وقوله
من نضار بضم النون وبالضاد المعجمة الخالص من العود ومن كل شيء • ويقال اصله من شجر النبع • وقيل من
الاثل ولونه يميل الى الصفرة • ولم ياكل صلى الله عليه وسلم على خوان ولا اكل خبزا مرققا • رواه البخاري
والخوان بكسر الخاء المعجمة ويجوز ضمها المائدة ما لم يكن عليها طعام • واما السفرة فاشتهرت لما يوضع
عليه الطعام • وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن النوم على الاكل ويذكر انه يقسي القلب • ذكره ابو نعيم
ولذا قال الاطباء كما في الهدي من اراد حفظ الصحة فليمش بعد العشاء ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه
فانه مضر جدا • والصلوة عقبه كالاكل تسهل هضمه

واما شربه صلى الله عليه وسلم

فقد كان يستعذب له الماء اي يطلب له الماء الحلو • قالت عائشة كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا
رواه ابو داود • وهي بضم المهملة وبالقاف وهي عين بينها وبين المدينة يومان • قال ابن بطال واستعذاب
الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم بخلاف تطييب الماء بالمسك ونحوه فقد كرهه مالك
فيه من السرف • ولما شرب الماء الحلو وطلبه مباح فقد فعله الصالحون • وليس في شرب الماء الملح فضيلة

كان

كان صلى الله عليه وسلم يشرب العسل الممزوج بالماء البارد • قال ابن القيم وفي هذا من حفظ الصحة ما لا
يهتدي الى معرفته الا افاضل الاطباء فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل
خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء
البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن • وقالت عائشة كان احب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحلو البارد • رواه الترمذي • ويحتمل ان تريد به الماء الممزوج بالعسل او الذي نقع فيه
التمر • وكان ينبذ له اول الليل ويشربه اذا اصبح يومه ذلك والليلة التي تجيء والغد الى العصر
فان بقي منه شيء سقاه الخادم او امر به فصب • رواه مسلم • وهذا النبيذ هو ما يطرح فيه تمر
يحليه وله نفع عظيم في زيادة القوة • ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار
وكان عليه الصلوة والسلام يشرب اللبن خالصا تارة وتارة مشوبا بالماء البارد لان
اللبن عند الحلب يكون حارا • وتلك البلاد في الغالب حارة فكان يكسر حر اللبن بالماء
البارد • وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فسلم فرد
الرجل وهو يحول الماء في حائطه فقال صلى الله عليه وسلم ان كان عندك ماء بات في شنة والا كرعنا فقال
عندي ماء بات في شن فانطلق الى العريش فسكب في قدح ماء ثم حلب عليه من داجن فشرب عليه الصلوة والسلام
الحديث • رواه البخاري • وكان عليه السلام يقول ليس يجزي من الطعام والشراب الا اللبن • قال الترمذي
حديث حسن • وللترمذي ايضا عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لا ترد اللبن والوسادة والدهن • ولبعضهم
قد كان من سيرة خير الورى • صلى الله عليه طول الزمن • ان لا يرد الطيب والمتكى • واللحم ايضا يا اخي
واللبن • قال ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده • ولا سيما ان كان الماء حارا
او باردا فانه ردي جدا • انتهى • وكان عليه السلام يشرب قاعدا وكان ذلك عادته • رواه مسلم
وفي رواية له ايضا انه نهى عن الشرب قائما • وفي رواية له ايضا عن ابي هريرة لا يشربن احدكم قائما فمن
نسي فليستقئ • وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء
زمزم فشرب وهو قائم • قال انس ان ناسا يكرهون الشرب قائما وان النبي صلى الله عليه وسلم صنع مثل ما صنعت
وكل هذه الاحاديث صحيحة ولا اشكال فيها ولا تعارض • وغلط من زعم ان فيها نسخا • وكيف يصار الى النسخ
مع امكان الجمع بين الاحاديث • والصواب ان النهي محمول على كراهة التنزيه • واما شربه عليه الصلوة والسلام
قائما فبيان للجواز • فان قلت كيف يكون الشرب قائما مكروها وقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب
ان فعله صلى الله عليه وسلم اذا كان بيانا للجواز لا يكون مكروها بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم • واما
قوله صلى الله عليه وسلم فمن نسي فليستقئ فمحمول على الاستحباب فيستحب لمن شرب قائما ان يتقايا
لهذا الحديث الصحيح الصريح سواء كان ناسيا ام لا • قاله النووي • وقال المالكية لا باس بالشرب قائما واحتجوا
لذلك بحديث جبير بن مطعم قال رايت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يشرب قائما ويقول لما بلغه ان عمر
ابن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم كانوا يشربون قياما • ولعلهم لم يبلغهم حديث ابي هريرة لا يشربن احدكم

الشرب

قايما فمن نسي فليستقي بان عبد الحق قال ان في اسناده عمرو بن حمزة العمري وهو ضعيف انتهى • وقال المازري قال بعض شيوخنا الاظهر ان النهي منصرف لمن اتى اصحابه بماء فبادر لشربه قايما قبلهم استبدادا به وخروجا عن كون ساقي القوم آخرهم شربا • وقال بعض الشيوخ الاظهر انه موقوف على ابي هريرة قال والاظهر لي ان احاديث شربه قايما تدل على الجواز واحاديث النهي تحمل على الاستحباب والحث على ما هو اولى واكمل لان في الشرب قايما ضررا ما فكره لاجله وفعله هو لامنه منه • قال وعلى هذا الثاني يحمل قوله فمن شرب قايما فليستقي على ان ذلك يحرك خلطا يكون القي دواءه • ويؤيده قول النخعي انما نهى عن ذلك لداء البطن انتهى • وقال ابن القيم للشرب قايما آفات عديدة منها انه لا يحصل به الري التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعة الى المعدة فيخشى منه ان يبرد حرارتها ويسرع النفوذ الى اسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب قايما فاذا فعله نادرا لم يضره • وعن احمد عن ابي هريرة انه رأى رجلا يشرب قايما فقال له قه قال لمه قال ايسرك ان يشرب معك الهر قال لا قال قد شرب معك من هو شر منه الشيطان • وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلثا ويقول انه اروى وامرأ وابرأ • رواه مسلم • ومعنى تنفسه ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود الى الشراب • واخرج الطبراني في الاوسط بسند حسن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب في ثلثة انفاس اذا ادنى الاناء الى فيه سمى الله فاذا اخره حمد الله يفعل ذلك ثلثا • وفي هذا الشرب حكم جمة وفوايد مهمة نبه عليه الصلوة والسلام على مجامعها بقوله اروى وامرأ وابرأ فاروى من الري بكسر الراء من غير همز اشد ريا وابلغه وانفعه وابرأ افعل من البرء بالهمز وهو الشفا اي يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الاولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت عنه الثانية • وايضا فانه اسلم لحرارة المعدة وابقى عليها من ان يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة • فانه اسلم عاقبة وآمن غايلة من تناول جميع ما يروي دفعة واحدة فانه يخاف منه ان يطفي الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته او يضعفها فيؤدي ذلك الى فساد المعدة والكبد والى امراض رديئة خصوصا في سكان البلاد الحارة وفي الازمنة الحارة فان الشرب فيها وهلة واحدة مخوف عليهم جدا • وقوله امرأ بالهمز افعل من مرئ الطعام والشراب في بدنه اذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع • وقال العصام والمعنى انه يصير هنيئا مريئا اي سالما مبريا من مرض او عطش او اذى • ويؤخذ من ذلك انه اقمع للعطش واقوى على الهضم ومن آفات الشرب نهلة واحدة انه يخاف منه الشرق بان ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فاذا تنفس رويدا ثم شرب امن من ذلك • وقد روى عبد الله بن المبارك والبيهقي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا شرب احدكم فليمص الماء مصا ولا يعب عبا فانه يورث الكباد والكباد بضم الكاف وتخفيف الباء وجع الكبد • ولا معارضة بين التنفس هنا وبين النهي عن التنفس في الاناء الوارد في الحديث لان المنهي عنه التنفس داخل الاناء فانه ربما يحصل للماء تغير من النفس اما لكون المتنفس كان متغير الفم بماكول مثلا او لبعد عهده بالسواك والمضمضة او لان النفس يصعد ببخار المعدة • وههنا التنفس خارج

الاناء

الاناء فلا تعارض فلو لم يتنفس جاز الشرب بنفس واحد • وقيل يمنع مطلقا لانه شرب الشيطان • وكان عليه السلام اذا دعي للطعام وتبعه احد اعلم به رب المنزل فيقول ان هذا تبعنا فان شئت رجع وكان يكرر على اضيافه ويعرض عليهم الاكل مرارا • وفي حديث ابي هريرة في قصة شرب اللبن وقوله له مرارا اشرب فما زال يقول اشرب حتى قال والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكا رواه البخاري وكان اذا اكل مع قوم كان آخرهم اكلا رواه البيهقي في الشعب عن جعفر بن محمد عن ابيه مرسلا وفي ابن عمر مرفوعا عند ابن ماجه والبيهقي اذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى ان يكون له في الطعام حاجة • وكان عليه السلام اذا اكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم فدعا في منزل عبد الله بن بسر فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم • ودعا في منزل سعد فقال افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة رواه ابو داود • وسقاه اخر لبنا فقال اللهم امتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء • رواه ابن السني

النوع الثاني

في لباسه عليه الصلوة والسلام وفراشه صلى الله عليه وسلم • قال البخاري

باب

ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه او لا يضيق بطلب النفيس الغالي بل يستعمل ما تيسر • وقال القاضي عياض كان عليه السلام قد اقتصر منه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجد فيلبس في غالبه احوال الشملة والكساء الخشن والاردية والازر ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهات في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء • والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط انتهى • وقد روى ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا ان من كرامة المؤمن على الله عز وجل نقاء ثوبه ورضاه بالبسير • وله ايضا من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخة ثيابه فقال اما يجد هذا شيئا ينقي به ثيابه فقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه اتم وانفع للبدن واخف عليه فانه لم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي حملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كما نشاهد من حال اصحابها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك وكان يدخلها تحت حنكه فانها تقي العنق الحر والبرد وهو اثبت لها عند ركوب الخيل والابل والكر والفر • وكذلك الاردية والازر اخف على البدن من غيرها وقد احتج ابن الحاج في المدخل في الاستدلال لاستحباب التحنيك • ثم قال واذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد ان كانت مما لبس جديدا وامتثال السنة في صفة التعميم من فعل التحنيك والعذبة وتصغير العمامة يعني سبعة اذرع او نحوها يخرج منها التحنيك والعذبة فان زاد في العمامة قليلا لاجل حر او برد فيتسامح فيه • ثم قال بعد ان ذكر قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك بان تتحرز قاعدا وتتعمم قائما

• انتهى • ولم يكن صلى الله عليه وسلم يطول اكمامه ويوسعها بل كان كم قميصه الى الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولا يقصر صلى الله عليه وسلم عن هذا فيبرز للحر والبرد • وقد روى عن اسماء بنت يزيد قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ • رواه الترمذي • وكان ذيل قميصه وردائه الى انصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويجعله كالمقيد ولم يقصر عن عضلة ساقيه فينكشف بالحر والبرد • واشار اليه في زاد المعاد • واخرج الترمذي عن الاشعث بن سليم قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال بينا انا امشي في المدينة اذا انسان خلفي يقول ارفع ازارك فانه اتقى وانقى فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انما هي بردة قال اما لك في اسوة فنظرت فاذا ازاره الى نصف ساقيه • واخرج الطبراني من طريق عبيد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم اسبلت ازاري فقال يا ابن عمر كل شيء مس الارض من الثياب في النار • وفي البخاري من حديث ابي هريرة قال ما اسفل من الكعبين في النار • فكنى بالثوب عن بدن لابسه • ومعناه ان الذي دون الكعبين من القدم يعذب بالنار عقوبة • وحاصله انه من باب تسمية الشيء باسم ما جاوره او حل فيه وتكون من بيانية • وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل رفعه ازرة المؤمن الى انصاف الساقين • وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار • والازرة بالكسر الحالة وهيئة الايتزار مثل الركبة والجلسة • واعلم طهر الله ثوبي وثوبك ونزه سري وسرك ان هذا الاطلاق محمول على ما ورد من قيد الخيلاء فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق • وقد اخرج اصحاب الاصول الا الترمذي واستغربه • وابن ابي شيبة من طريق عبد العزيز بن ابي رواد عن سالم عن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء الحديث فبين في هذه الرواية ان الحكم ليس خاصا بالازار وان جاء في اكثر طرق الاحاديث بلفظ الازار • قال الطبري انما ورد الخبر بلفظ الازار لان اكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الازر والاردية فلما لبس الناس القمص والدراريع كان حكمها حكم الازار في النهي • قال ابن بطال هذا قياس صحيح لو لم يأت بالنص بالثوب فانه يشمل جميع ذلك • وفي تصوير جر العمامة نظر الا ان يكون المراد ما جرت به عادة العرب من ارخاء العذبات فمهما زاد على العادة في ذلك كان من الاسبال وهل يدخل في الزجر عن جر الثوب تطويل اكمام القميص ونحوه محل نظر والذي يظهر ان من اطالها حتى خرج عن العادة كما يفعله بعض الحجازيين دخل في ذلك • قال ابن القيم واما هذه الاكمام الواسعة الطوال التي هي كالاخراج وعمائم كالابراج فلم يلبسها هو ولا احد من صحابه وهي مخالفة لسنته • وفي جوازها نظر من جهة الخيلاء انتهى • وقال صاحب المدخل ولا يخفى على ذي بصيرة ان كم بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاعة للمال المنهي عنها لانه قد يفصل من ذلك الكم ثوب لغيره • انتهى • ولكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به • ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه

وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل الى جر الذيل الممنوع عنه • ونقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة • وفي حديث ابي هريرة عند البخاري مرفوعا بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته اذ خسف به فهو يتجلجل الى يوم القيامة وفي الطبراني وابي داود ان رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله اليه فمقته فامر الارض فاخذته • وهذا الوعيد المذكور يتناول الرجال والنساء على هذا الفعل المخصوص وقد فهمت ذلك ام سلمة رضي الله عنها فاخرج النسائي والترمذي وصححه من طريق ايوب عن نافع عن ابن عمر فقالت ام سلمة فكيف تصنع النساء بذيولهن قال يرخين شبرا فقالت اذا تنكشف اقدامهن قال فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه والحاصل ان ما ذكر في ذلك للرجال حالين حال استحباب وهو ان يقتصر بالازار على نصف الساق وحال جواز وهو الى الكعبين • وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع • وان الاسبال يكون في الازار والقميص والعمامة وانه لا يجوز اسباله تحت الكعبين ان كان للخيلاء وما كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه • قال النووي وظواهر الاحاديث في تقييدها بالخيلاء تدل على ان التحريم مخصوص بالخيلاء • قال وهذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرنا • انتهى

تنبيه قال العراقي في شرح الترمذي الذراع الذي رخص للنساء هل ابتداؤه من الحد الممنوع منه الرجال وهو من الكعبين او من الحد المستحب وهو انصاف الساقين او من اول ما يمس الارض • الظاهر ان المراد الثالث بدليل حديث ام سلمة الذي رواه ابو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجه قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كم تجر المرأة من ذيلها قال شبرا قالت اذا ينكشف عنها قال فذراع لا تزيد عليه فظاهره انها ان تجر على الارض منه ذراعا • قال والظاهر ان المراد بالذراع ذراع اليد وهو شبران فانه في سنن ابن ماجه عن ابن عمر قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهات المؤمنين شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان الذراع المأذون فيه شبران • وهو الذراع الذي يقاس به الحصر اليوم • وانما جاز ذلك للنساء لاجل الستر لان المرأة كلها عورة الا ما استثنى • وقد كان له صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب وتلبس تحتها القلانس اللاطئة والقلانس جمع قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل الفاء وتفتح السين فيقال قلنساة • وقد تحذف النون من هذا بعدها هاء • التاتيت غشاء مبطن يستر به الراس قاله القزاز في شرح الفصيح • وقال ابن هشام هي التي يقول لها العامة الشاشية • وفي المحكم هي من ملابس الرؤوس معروف • وقال ابو هلال العسكري هي التي تغطى بها العمائم وتستر من الشمس والمطر كانها عنده راس البرنس • انتهى • وروى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء • وفي رواية انس عند البخاري دخل عام الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الراس فجمع بينهما بان العمامة السوداء كانت فوق المغفر • وجمع بينهما القاضي عياض بان اول دخوله كان على راسه المغفر ثم بعد ذلك كانت على راسه العمامة بعد ازالة المغفر بدليل قوله في حديث عمرو بن حريث خطب

خطب الناس وعليه عمامة سوداء لان الخطبة انما كانت عند باب الكعبة بعد تمام فتح مكة • قال الولي ابن العراقي • وهو اولى والظاهر في الجمع من الاول • وقد تقدم نحو ذلك في غزوة فتح مكة • وعن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل عمامته • رواه الترمذي في الشمائل • زاد مسلم وقد ارخى طرفها بين كتفيه • وروى مسلم من حديث عمرو بن حريث قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفيها بين كتفيه • وعنده ايضا عن جابر دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر فيه ذوابة فدل ان لم يكن يرخيها دايما بين كتفيه لكن قد يقال انه دخل مكة كان وعليه اهبة القتال والمغفر على راسه فلبس في كل موطن ما يناسبه • قال ابن القيم في الهدي النبوي • وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يذكر في سبب الذوابة شيئا بديعا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه بالمدينة لما رأى رب العزة قال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والارض الحديث • وهو في الترمذي • وسئل عنه البخاري فقال صحيح • قال فمن تلك الغداة ارخى الذوابة بين كتفيه • قال وهذا من العلم الذي تنكره السنة الجهال وقلوبهم • قال ولم ار هذه الفائدة في شان الذوابة لغيره • انتهى • وعبارة غير الهدي • وذكر ابن تيمية انه صلى الله عليه وسلم لما رأى ربه واضعا يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة • انتهى • لكن قال العراقي بعد ان ذكره لم نجد لذلك اصلا • انتهى • وروى ابن ابي شيبة عن علي عممني النبي صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال ان الله تعالى امدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة معتمين هذه العمة • وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين • قال عبد الحق الاشبيلي وسنة العمامة بعد فعلها ان يرخي طرفها ويتحنك به فان كانت بغير طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلماء • واختلف في وجه الكراهة فقيل لمخالفة السنة فيها وقيل لانها كذلك كانت عمائم الشياطين وجاءت الاحاديث في ارسال طرفها على انواع منها ما تقدم انه ارسل طرفها على منكب علي رضي الله عنه • ومنها ان عبد الرحمن بن عوف قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي • ذكره ابو داود • وعن ابن عباس انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة دسماء اي سوداء • رواه الترمذي • وفي حديث ركانة انه صلى الله عليه وسلم قال ان فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس • رواه الترمذي ايضا • وعن ابي كبشة الانماري قال كان كمام اصحاب النبي بطحا • رواه الترمذي ايضا • وفي رواية اكمة • وهما جمع كمة وهي القلنسوة يعني انها كانت منبطحة غير منتصبة • وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له كمة بيضا • رواه الدمياطي وكان احب الثياب اليه صلى الله عليه وسلم القميص • وعن معاوية بن قرة عن ابيه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من مزينة لنبايعه وان قميصه لمطلق الازرار او قال زر قميصه مطلق • قال فادخلت يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم • رواه الترمذي • وعن انس قال كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين • رواه الدمياطي • وعن انس بن مالك قال كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة • والحبرة ضرب من البرود وفيه حمرة • رواه الترمذي

وعن

وعن عطاء بن ابي يعلى عن ابيه قال رايته صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ببرد اخضر • رواه ابو داود • وعن عروة بن شعبة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين • رواه الترمذي • وعن ابي ذر رايت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض • رواه البخاري • وعن عائشة رضي الله عنها قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط من شعر اسود • رواه الترمذي • وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف • وكان له صلى الله عليه وسلم كساء ملبد ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد رواه الشيخان • فان قلت قد ظهر من هذا من سيرة السلف الصالح بذاذة الهيئة ورثاثة الملابس فما بال الشاذلية من الصوفية يجملون هيئاتهم وملابسهم وطريقهم الاقتداء بالسنة الشريفة والسلف الصالح

الجواب اجاب العارف الرباني سيدي علي الوفائي ومن خطه الكريم نقلت بلفظه ذلك بانهم نظروا الى المعاني والحكم فوجدوا السلف الصالح لما وجدوا اهل الغفلة اشتغلوا بدنياهم وتهالكوا على الزينة الظاهرة تفاخرا بدنياهم واطمانانا اليها واشعارا بانهم من اهلها خالفوهم اظهارا لحقارة ما احتقره الحق مما عظمه الغافلون وتنويها بالغنى عما اطمأن اليه الغافلون فكان اظهارهم يومئذ يقول الحمد لله الذي اغنانا به عما افتقرتم اليه من همة دنياه • فلما طال الامد وقست القلوب بنسيان ذلك المعنى واتخذ الغافلون رثاثة الاطمار وبذاذة الهيئات حيلة على دنياهم انعكس الامر فصار مخالفة هؤلاء في ذلك هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم • قال وقد ارشد الاستاذ ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره العزيز الى ذلك بقوله لبعض من انكر عليه جمال هيئته من اصحاب الرثاثة هيئتي هذه تقول الحمد لله وهيئتك هذه تقول اعطوني شيئا من دنياكم والعموم افعالهم دايرة مع الحكمة الربانية مرادهم مرضات ربهم • انتهى ما قاله سيدي علي وفا • وقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال • وفي الحديث الاخر ان الله نظيف يحب النظافة • وفي السنن عن ابي الاحوص الجشمي عن ابيه قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم وعلي اطمار • وفي رواية النسائي وعلي ثوب دون فقال الك من مال قلت نعم قال من اي المال قلت من كل ما اتى الله من الابل والشاء قال فلتر نعمة الله وكرامته عليك • وفي رواية للنسائي قال فاذا اتاك الله مالا فلير اثر نعمة الله عليك وكرامته • وفي حديث جابر اتانا عليه السلام فرأى رجلا شعثا قد تفرق شعره فقال اما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه • ورأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال اما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه • رواه احمد • وفي السنن ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده فهو سبحانه يحب ظهور اثر نعمته على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها • ولاجل محبته تعالى للجمال انزل لباسا على عباده يجمل ظواهرهم وتقوى يجمل بواطنهم فقال تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير • وقال في اهل الجنة ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وابدانهم بالحرير وهو سبحانه كما يحب الجمال في الاقوال والافعال واللباس والهيئة يبغض القبيح من الاقوال والافعال والهيئة فيبغض القبيح واهله ويحب الجمال واهله • ولكن ضل في هذا الموضع فريقان فريق قالوا كل ما خلقه تعالى جميل فهو يحب كل ما خلقه ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه شيئا • قالوا

راى الكاينات منه راها كلها جميلة • واحتجوا بقوله تعالى الذى احسن كل شئ خلقه • وهولاء قد عدموا الغيرة من قلوبهم والبغض فى الله والمعاداة فيه وانكار المنكر واقامة الحدود • والفرقة الثانية قالوا قد ذم الله تعالى جمال الصور وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وفى صحيح مسلم مرفوعا ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم قالوا وقد حرم الله تعالى علينا لباس الحرير والذهب وانية الذهب والفضة • وذلك من اعظم جمال الدنيا وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه • وفى الحديث البذاذة من الايمان وقد ذم الله المسرفين والسرف كما يكون فى الطعام والشراب يكون فى اللباس • وفصل النزاع ان يقال الجمال فى الصورة واللباس والهيئة ثلثة انواع منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم • فالمحمود منه ما كان لله واعان على طاعة الله وتنفيذ امره والاستجابة له كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وهو نظير لباس لامة الحرب للقتال ولباس الحرير فى الحرب والخيلاء فيه فان ذلك محمود اذا تضمن اعلاء كلمة الله تعالى ونصر دينه وغيظ عدوه • والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء وان يكون هو غاية العبد واقصى مطلبه فان كثيرا من الناس ليس له همة فى سوى ذلك • واما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين • والمقصود من هذا الحديث ان الله يحب من عبده ان يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة وجوارحه بالطاعة وبدنه باظهار نعمه عليه فى لباسه وتطهيره له من الانجاس والاحداث والشعور المكروهة كالختان وتقليم الاظفار وغير ذلك مما وردت به السنة • والله اعلم • وعن جابر بن سمرة قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة اضحيان فجعلت انظر اليه صلى الله عليه وسلم والى القمر وعليه حلة حمراء فاذا هو احسن عندى من القمر رواه الدارمى والترمذى • وعن عون ابن ابى جحيفة عن ابيه قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء كانى انظر الى بريق ساقيه • قال سفيان اراه حبرة • وعن البراء بن عازب قال ما رايت احدا من الناس احسن فى حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم • رواه الترمذى • وفى رواية البخارى ومسلم رايته فى حلة حمراء لم ار شيئا قط احسن منه • وفى رواية لابى داود ما رايت من ذى لمة فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقوله من ذى لمة بكسر اللام شعر الراس دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين فاذا زادت فهى الجمة • وفى رواية النسائى ما رايت رجلا احسن فى حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال فى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء او برد او غيره ولا يكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة • وقال ابن القيم وغلط من ظن انها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيرها وانما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كسائر البرود اليمنية وهى معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط والا فالاحمر البحت منهى عنه اشد النهى • ففى صحيح البخارى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر • وفى صحيح مسلم عن ابن عمرو قال راى النبى صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال هذا لباس الكفار فلا تلبسهما • ومعلوم ان ذلك انما يصبغ صباغا احمر • قال وفى جواز لبس الاحمر

من الثياب

من الثياب والجوخ وغيرهما نظر • واما كراهته فشديدة فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم انه لبس الاحمر القانى كلا لقد اعاذه الله منه • وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء • والله اعلم انتهى • وقال النووى اختلف العلماء فى الثياب المعصفرة وهى المصبوغة بعصفر واباحها جميع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال الامام الشافعى وابو حنيفة ومالك ولكنه قال غيرها افضل منها • وفى رواية عنه انه اجاز لباسها فى البيوت وافنية الدور وكرهه فى المحافل والاسواق وغيرها وقال جماعة من العلماء هو مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهى على هذا لانه ثبت انه عليه السلام لبس حلة حمراء • وفى الصحيحين من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة • وحمل بعضهم النهى على المحرم بالحج او العمرة • وقد اتقن البيهقى فى المسئلة فى معرفة السنن فقال نهى الشافعى الرجل عن المزعفر واباح له المعصفر قال الامام الشافعى وانما رخصت فى المعصفر لانى لم اجد احدا يحكى عنه صلى الله عليه وسلم النهى عنه الا ما قال على رضى الله عنه نهانى صلى الله عليه وسلم ولا اقول نهاكم • قال البيهقى وقد جاءت احاديث تدل على النهى على العموم ثم ذكر حديث مسلم انه من لباس الكفار واحاديث غيرها • ثم قال ولو بلغت هذه الاحاديث الشافعى لقال بها ان شاء الله تعالى • ثم ذكر باسناده ما صح عن الشافعى انه قال اذا صح الحديث خلاف قولى فاعملوا بالحديث ودعوا قولى • وفى رواية مذهبى • قال البيهقى قال الشافعى وانهى الرجل الحلال بكل حال ان يتزعفر قال وامره اذا تزعفر ان يغسله • قال البيهقى فتبع السنة فى المزعفر فمتابعتها فى المعصفر اولى به • انتهى • ورايت فى فتاوى شيخنا العلامة قاسم احد ائمة الحنفية وتحقيقها كراهة التحريم مع صحة الصلوة فيه • واستدل لها بما ذكرته وبما فى حديث طاوس عند الحاكم وقال على شرطهما عن ابن عمرو بن العاص قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ثوب معصفر قال من اين لك هذا قلت صنعته لى اهلى فقال عليه السلام احرقه • انتهى • وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس بردة الاحمر فى العيدين والجمعة • وعن يحيى بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه ورداءه وعمامته • رواهما الدمياطى • وهو عند ابى داود بلفظ يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته • وكذا رواه من حديث زيد بن اسلم وام سلمة وابن عمر لكن يعارضه ما فى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر والله اعلم • واما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم ففى رواية بردة بن ابى موسى الاشعرى قال اخرجت لنا عائشة كساء وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين • رواه البخارى • وفى رواية ازارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التى تدعونها الملبدة • وفى رواية كساء ملبدا • قال ابن الاثير اى مرقعا يقال لبدت القميص البده ولبدته • ويقال للخرقة التى يرقع بها صدر القميص اللبدة • وقيل الملبد الذى ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد • وروى مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود • والمرط بكسر الميم واسكان الراء كساء من صوف او خز يوتزر به • والمرحل بتشديد الحاء المهملة المفتوحة كمعظم هو الذى فيه صورة الرحال قال فى القاموس فى مادة رحل

اى على شرط الشيخين البخارى ومسلم

وكعظم برد ... ابو رجل قال وتفسير الجوهري اياه بازار فيه خز فيه علم جيد انما ذلك تفسير
المرجل بالجيم   وقال في مادة رجل يعني بالجيم وبرد مرجل كمعظم فيه صورة الرجال انتهى
وقال النووي والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة اي الذي عليه صور رحال
الابل ولا باس بهذه الصورة وانما يحرم تصوير الحيوان • وقال الخطابي في المرحل الذي فيه خطوط انتهى
وعن عروة ان طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر • وعن عروة
ايضا ان ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج فيه الى الوفد رداء اخضر في طول اربعة اذرع
وعرضه ذراعان وشبر • وعن معن بن عيسى قال حدثنا محمد بن هلال قال رايت على هشام بن عبد الملك
برد النبي صلى الله عليه وسلم من حبرة له حاشيتان • وعن ابن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعليه ازار يتقعقع وعن زيد بن ابي حبيب انه صلى الله عليه وسلم كان يرخي الازار من بين
يديه ويرفعه من ورائه • وعن ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر تحت سرته وتبدو
سرته • ورايت عمر يأتزر فوق سرته • رواها كلها الدمياطي   وعن اسماء بنت ابي بكر
رضي الله عنهما انها اخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج وقالت هذه
جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها • وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها • رواه مسلم • وقوله جبة طيالسة باضافة جبة الى
طيالسة وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والراء مفتوحة نسبة الى كسرى ملك الفرس
ولبنة بكسر اللام واسكان الباء رقعة في جيب القميص • وفيه جواز لبس ما له فرجان وانه لا كراهة
فيه وان المراد بالنهي عن الحرير المتمحض منه او ما اكثره منه وانه ليس المراد تحريم كل جزء بخلاف الخمر والذهب
فانه يحرم كل جزء منهما   قاله النووي
قيل لما كان صلى الله عليه وسلم لا يبدو منه الا طيب
كان آية ذلك في بدنه الشريف انه لا يتسخ له ثوب فما اتسخ له ثوب قط • قيل ولم يقمل ثوبه قط • وقال
ابن سبع في الشفاء والسبتي في اعذب الموارد واطيب الموالد لم يكن القمل يؤذيه تعظيما وتكريما لكن
عليه ما رواه احمد والترمذي في الشمائل عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفلي ثوبه ويحلب شاته ومن لازم التفلي وجود شيء يؤذي في الجملة اما قملا او برغوثا او نحو ذلك وقد
يمكن ان يجاب بان التفلي لاستقذار وجود ما علق بثوبه الشريف من غيره ولم يحصل منه اذى في جسده
صلى الله عليه وسلم وهذا فيه بحث لان اذى القمل هو غذاؤه من البدن على ما اجراه الله تعالى من عادته وقد
امتنع الغذاء لا يعيش الحيوان عادة • ونقل الفخر الرازي ان الذباب لا يقع على ثيابه قط وانه لا يمتص
دمه البعوض   واما الطيلسان وهو بفتح اللام وواحد الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة لانه فارسي معرب
وحكي كسر اللام ايضا • وقال ابن خالويه في شرح الفصيح يقال الطيلسان الاخضر الساج • وفي المجمل لابن فارس
الطاق الطيلسان • قال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبسه ولا احد من اصحابه بل
في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال يخرج معه

سبعون

سبعون الفا من يهود اصبهان عليهم الطيالسة • ورأى انس جماعة عليهم الطيالسة فقال ما اشبههم
بيهود خيبر • قال ومن هنا كرهه جماعة من السلف والخلف لما روى ابو داود والحاكم في المستدرك
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو منهم • وفي الترمذي ليس منا من تشبه
بغيرنا • واما ما جاء في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم جاء الى ابي بكر متقنعا بالهاجرة فانما فعله
صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفي في ذلك للحاجة ولم تكن عادته التقنع وقد ذكر انس عنه صلى الله
عليه وسلم انه كان يكثر القناع وانما كان يفعله للحاجة من الحر ونحوه • انتهى • قال الشيخ الامام
الولي بن العراقي في شرح تقريب الاسانيد التقنع معروف وهو تغطية الرأس بطرف العمامة
او برداء او نحو ذلك • انتهى • وقال ابن الحاج في المدخل واما قناع الرجل فهو ان يغطي رأسه برداء
ويرد طرفه على احد كتفيه • انتهى • واما قول ابن القيم انه عليه الصلاة والسلام انما فعل
ذلك للحاجة فيرد عليه حديث سهل بن سعد انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر القناع رواه البيهقي
في الشعب والترمذي والبيهقي في الشعب ايضا وابن سعد في الطبقات من حديث انس بلفظ يكثر التقنع
هذا وما اشبهه يرد قول ابن القيم انه لم ينقل عنه عليه الصلاة والسلام انه لبسه • واما قوله
ولا احد من اصحابه فيرده ما اخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط الشيخين عن مرة بن كعب
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها فمر رجل مقنع فقال هذا يومئذ على
الهدى فقمت فاذا هو عثمان بن عفان • واخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابي العلاء قال رأيت
الحسن بن علي يصلي وهو مقنع رأسه • واخرج ابن سعد عن سليمان بن المغيرة قال رأيت
الحسن يلبس الطيالسة • واخرج عن عمارة بن زاذان قال رأيت على الحسن طيلسانا انبجانيا واما
ما ذكره ابن القيم من قصة اليهود فقال الحافظ ابن حجر انما يصلح الاستدلال به في الوقت الذي
يكون الطيالسة من شعارهم وقد ارتفع ذلك في هذه الازمنة فصار داخلا في عموم المباح
وقد ذكره ابن عبد السلام في امثلة البدعة المباحة وقد يصير من شعار قوم فيكون تركه من الاخلال
بالمروءة • قيل وانما انكر انس الوان الطيالسة لانها كانت صفرا • والله اعلم
واما الخاتم   ففي الصحيح عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق وكان في
يده ثم كان في يد ابي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر اريس • وفيهما ايضا عن انس
ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبشي وكان يجعل فصه مما يلي كفه
واخرج احمد والنسائي والترمذي والبزار في مسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى
في يد رجل خاتما من حديد فقال ما لي اجد منك ريح الاصنام ثم قال لا تتخذه من فضة ولا تزده
على مثقال • وقد اختلف العلماء في لبسه في حجة فاباحه كثير من اهل العلم من غير كراهة • ومنهم
من كرهه اذا قصد به الزينة ومنهم من كرهه الا لذي سلطان ولانه عليه الصلاة والسلام انما اتخذه
لحاجة ختم الكتب التي يبعثها الى الملوك كما في حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر والنجاشي

فقيل له إنهم لا يقبلون لهم كتابًا إلا بخاتم فصاغ خاتمًا ونقش فيه محمد رسول الله • وإنما لبسه أبو بكر لا لحاجة
ولا لزينة فإنه كان يحتاج إليه وكذلك عمر وعثمان • وحكى ابن عبد البر عن طائفة من العلماء كراهة لبسه
مطلقًا احتجاجًا بحديث أنه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه • وفي الشمائل للترمذي عن ابن عمر
أنه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتمًا من فضة فكان يختم به ولا يلبسه • وفي الصحيحين من حديث أنس
أنه رأى في يده صلى الله عليه وسلم خاتمًا من ورق يومًا واحدًا ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق
ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم • والصواب القول الأول
فإن لبس النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم إنما كان في الأصل لأجل المصلحة لختم الكتب التي يرسلها
إلى الملوك ثم استدام لبسه ولبسه أصحابه معه ولم ينكره عليهم بل أقرهم عليه فدل ذلك على
الإباحة المجردة • وأما حديث النهي عن الخاتم إلا لذي سلطان فقال ابن رجب ذكر بعض
أصحابنا أن أحمد ضعفه • وأما ما جاء في حديث الزهري عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم لبسه يومًا واحدًا
ثم ألقاه فقد أجيب عنه بثلاثة أجوبة • أحدها أنه وهم من الزهري وسهو جرى على لسانه لفظ الورق
وإنما الذي لبسه يومًا واحدًا ثم ألقاه كان من ذهب كما ثبت ذلك من غير وجه في حديث ابن عمر وغيره
أيضًا • الثاني أن الخاتم الذي رمى به عليه الصلاة والسلام لم يكن كله فضة وإنما كان حديدًا عليه فضة
وروى أبو داود عن معيقيب الصحابي وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان خاتم النبي صلى الله عليه
وسلم من حديد ملوي عليه فضة فلعل هذا هو الذي لبسه يومًا ثم طرحه • ولعله هو الذي كان يختم به
ولا يلبسه • الثالث أن طرحه إنما كان لئلا يظن أنه سنة مسنونة فإنهم اتخذوا الخواتيم لما رأوه
قد لبسه فبين بطرحه أنه ليس بمشروع ولا سنة فإن الخاتم يكون تارة من فضة وتارة من ذهب
وتارة من حديد وتارة من صفر وتارة من رصاص أو نحوها وتارة من عقيق • فأما الذهب ففي الصحيحين
عن البراء بن عازب قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب وآنية الفضة • وفيهما عن أبي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن خاتم الذهب • وفيهما أيضًا عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتمًا من
ذهب فجعله في يمينه وجعل فصه مما يلي باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم الذهب فصعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر فألقاه • ونهى عن التختم بالذهب وهو مذهب الأئمة الأربعة مالك والشافعي وأبي حنيفة
وأحمد وأكثر العلماء • ورخص فيه طائفة منهم إسحق بن راهويه قال وما تختمه من أصحابه عليه الصلاة
والسلام وخواتيمهم من ذهب • قال مصعب بن سعد رأيت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم من ذهب
وعن حمزة بن أبي أسيد والزبير بن المنذر بن أبي أسيد أنهما نزعا من يد أبي أسيد خاتمًا من ذهب
حين مات وكان بدريًا • رواهما البخاري في تاريخه • وروى النسائي عن سعيد بن المسيب قال قال
عثمان لصهيب ما لي أرى عليك خاتم الذهب فقال قد رآه من هو خير منك فلم يعبه قال ومن هو
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأما خاتم الفضة فأباحه كثير من العلماء ولبسه صلى الله
عليه وسلم وجماعة من أصحابه • قال الرافعي يجوز للرجل التختم بالفضة وكذا في الروضة وغيرها

وذكر أصحابنا طائفة بجوازه • وروى أبو داود وصححه ابن حبان من حديث بريدة بن الحصيب أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال للابس الخاتم الحديد ما لي أرى عليك حلية أهل النار فطرحه وقال
يا رسول الله من أي شيء أتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالًا • وأخرجه أيضًا النسائي والترمذي وقال
غريب • وأخرجه أحمد بن حنبل وأبو يعلى في مسنديهما والضياء في المختارة مما ليس في الصحيحين ورجاله
الصحيح إلا عبد الله بن مسلم المعروف بأبي طيبة وهو محدث مشهور • وبتصحيح ابن حبان لحديثه
دال على قبوله فأقل أحواله أن يكون من درجة الحسن • والأصل في النهي كونه للتحريم ولأن الأصل في استعمال
الفضة للرجال التحريم إلا ما رخص فيه فإذا حد فيه حد وجب الوقوف عنده وبقي ما عداه على الأصل
قال ابن الرفعة في بابها يكره لبسه من الكبائر • وينبغي أن ينقص وزنه عن مثقال لأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمر رجلًا وساق الحديث • وقوله ينبغي يصلح للوجوب وغيره • وحمله عليه أولى لأنه ساق الحديث في
الاحتجاج لهذا الحكم فلا يصرف النهي عن حقيقته إلا بصارف • وظاهر صنيع ابن الملقن في شرح المنهاج
يقتضيه لأنه قال في زكاة النقد فرع في أبي داود وصحيح ابن حبان من حديث بريدة أنه عليه الصلاة والسلام
قال لذلك الرجل وذكر الحديث فأفهم سوق الفرع أنه لا اختلاف فيه بين الأصحاب • وظاهر ذلك تحريم المثقال
وفي القوت للأذرعي لم يتعرض أصحابنا لمقدار الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج عنه كان إسرافًا
كما قالوا في الخلخال للمرأة ونحوه • والصواب الضبط بما نص عليه في الحديث • وليس في كلامهم ما يخالف
هذا الضبط وهو يشير إلى هذا • وكذا مشى عليه ابن العماد في التعقبات • وعبارته وإذا جاز لبس الخاتم فشرطه
أن لا يبلغ به مثقالًا لأجل الحديث انتهى • لكن قال الحافظ ابن العراقي في شرح الترمذي إن النهي في قوله ولا
تتمه مثقالًا • وليست هذه الزيادة في رواية اللؤلؤي • ومعنى هذه الزيادة أنه ربما وصل الخاتم
بالنفاسة في صنعته إلى أن يكون قيمته مثقالًا هو داخل في النهي • وقد أفتى العلامة السراج العبادي
بأنه يجوز أن يبلغ به مثقالًا وأن ما زاد عليه حرام • وأما خاتم الحديد فأخرج أبو داود في
سننه والبيهقي في شعب الإيمان في الأدب وغيرهما من طريقه والنسائي في الزينة من سننه وابن
حبان في صحيحه أن رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شبه وهو بفتح المعجمة والموحدة وبكسر
المعجمة نوع من النحاس كانت الأصنام تتخذ منه وسمي بذلك لشبهه بالذهب لونًا فقال له ما لي أجد منك
ريح الأصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال له ما لي أرى عليك حلية أهل النار فطرحه • وأخرجه الترمذي
لكنه قال من صفر بدل من شبه وهما بمعنى • قال النووي في شرح المهذب قال صاحب الإبانة يكره الخاتم
من حديد أو شبه • وتابعه صاحب البيان فقال يكره الخاتم من حديد أو رصاص أو نحاس لحديث بريدة
وقال صاحب التتمة لا يكره الخاتم من حديد أو رصاص لحديث الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذي
خطب الواهبة نفسها اطلب ولو خاتمًا من حديد قال ولو كان فيه كراهة لم يأذن فيه • وفي سنن أبي داود بإسناد
جيد عن معيقيب الصحابي كان خاتمه عليه الصلاة والسلام من حديد ملوي عليه فضة • والمختار أنه لا يكره
لهذين الحديثين • وقال في شرح مسلم في الكلام على حديث المرأة الواهبة نفسها وفي هذا الحديث جواز اتخاذ

خاتم الحديد • وبه قال السلف حكاه القاضي • ولاصحابنا في كراهته وجهان اصحهما لا يكره لان النهي في الحديث ضعيف انتهى • ولعل تضعيف النووي للحديث انما هو بالنسبة الى معارضة حديث سهل بن سعد في الصحيح وغيره في قصة الواهبة نفسها لا مطلقا كيف ولم في ذلك شواهد عدة ان لم ترقه الى درجة الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن • واما خاتم العقيق

فعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تختموا بالعقيق واليمن احق بالزينة • وفي سنده مجهول • وروي بلفظ تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر • وروى يعقوب بن ابراهيم عن عائشة مرفوعا تختموا بالعقيق فانه مبارك و[illegible] بكروه • وروى ابو بكر بن شعيب عن فاطمة رضي الله عنها مرفوعا من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا وهذا ايضا لا يثبت • وكذا ورد فيه احاديث غيرها وكلها كما قال الحافظ ابن رجب لا تثبت وقال العقيلي لا يصح في التختم بالعقيق عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء • وروى ابن [illegible] في كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف عن علي مرفوعا من تختم بالياقوت الاصفر منع الطاعون • واسناده ضعيف

واما فص خاتمه عليه السلام فروي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فصه منه • اخرجه البخاري وغيره • وفي صحيح مسلم ان خاتمه صلى الله عليه وسلم كان من فضة فصه حبشيا • قال النووي قال العلماء يعني حجرا حبشيا اي فصا من جزع او عقيق • فان معدنهما بالحبشة واليمن فان صح انهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق فيكون له خاتمان احدهما فضة فصه عقيق والاخر فضة فصه فضة • وفي شرح مسلم للنووي حكاية انه صلى الله عليه وسلم كان له خاتم فضة فصه منه • وفي حديث آخر فصه من عقيق [illegible] وغيره صلى الله عليه وسلم انه لبس خاتما كله عقيق

واما نقش خاتمه عليه الصلاة والسلام ففي صحيح مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله وقال للناس اني اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش احد على نقشي • قال الترمذي معنى قوله لا تنقشوا عليه نهى ان ينقش احد على خاتمه محمد رسول الله • وفي رواية البخاري والترمذي وكان نقش الخاتم ثلثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر • قال في فتح الباري ظاهره انه لم يكن فيه زيادة على ذلك لكن لم تكن على هذا الترتيب لكونه لم تكن كتابته على ترتيب العادة فان ضرورة الاحتياج الى ان يختم به تقتضي ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج مستوية • واما قول بعض الشيوخ ان كتابته كانت من فوق يعني لفظ الجلالة اعلى الاسطر الثلثة ومحمد اسفلها فلم ار التصريح بذلك في شيء من كتب الاحاديث بل رواية الاسماعيلي تخالف ظاهرها ذلك فانه قال محمد سطر والسطر الثاني رسول والسطر الثالث الله • وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه في [يمينه] فلما قبض صار في يد ابي بكر في يمينه فلما قبض صار في يد عمر في يمينه ثم صار في يد عثمان في يمينه ثم ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله • رواه ابو بكر بن محمد الحلبي كما حكاه ابن رجب في كتاب الخواتيم ثم قال وهو رواية ساقطة جدا فان [illegible] مذكور بالكذب • وفي لفظه ما يدل على بطلانه وهو قوله ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله فانه انما سقط في بئر اريس قبل الدار • وقد [illegible] عثمان رضي الله عنه بعده مدة ولم يجد خاتما عوضه • وانما كان نقشه محمد رسول الله لا كلمة الاخلاص انتهى • تنبيه قال الشيخ الامام الشرف المناوي وتحصل السنة

بلبس الخاتم مطلقا ولو مستعارا او مستاجرا لكن الاوفق للسنة لبسه بالملك والاستدامة على ذلك • ويجوز تعداد الخواتم اتخاذا • واما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي عدم الجواز • وبه صرح المحب الطبري فقال المتجه انه لا يجوز للرجل ان يلبس خاتمين من فضة في يديه او في احديهما لان استعمال الفضة حرام الا ما وردت به الرخصة ولم ترد الا في خاتم واحد • لكن ذكر الخوارزمي في الكافي انه يجوز له ان يلبس زوجا في يد وفردا في الاخرى • فان لبس في كل يد زوجا فقال الصيدلاني لا في الفتاوي لا يجوز • وقال الدارمي في الاستذكار يكره للرجل لبس فوق خاتمين فاقتصاره على الكراهة يدل على عدم الحرمة • واذا تقرر ذلك فالمسئلة ذات خلاف والذي يظهر من كلام المحب الطبري فان تسامحنا اعتمدنا على ما افتى به الصيدلاني انتهى • ويجوز التختم في اليمين واليسار واختلف الناس في افضلهما فقيل اليسار وهو نص الامام احمد في رواية صالح قال التختم في اليسار احب الي وهو مذهب الامام مالك • وروي انه كان يلبسه في يساره • وكذلك الامام الشافعي • وفي صحيح مسلم عن انس قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه واشار الى الخنصر من يده اليسرى • وفي سنن ابي داود عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يساره • وروي عن اسمعيل بن مسلم عن السلمي قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة قمراء وكاني انظر الى عكن بطنه وكاني انظر الى بياض وبيص خاتمه في يساره • واسمعيل هذا قال البخاري تركه ابن المبارك وربما روى عنه • وقد ذكر الخطابي كما افاده الحافظ ابن رجب ان التختم في اليسار مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين • ورجحت طائفة التختم باليمين وهو قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر • وروى حماد بن ابي سلمة قال رأيت ابن ابي رافع يتختم في يمينه وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه • رواه احمد والنسائي وابن ماجه والترمذي • وقال قال محمد يعني البخاري هذا اصح شيء روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب • وفي الشمائل للترمذي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه • وهذا فيه ضعف كان عبد الله بن ميمون • وروي من حديث عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والخاتم في يمينه • وعباد بن صهيب متروك ايضا • وروى البزار في مسنده من حديث عبيد بن القاسم عن هشام بن عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وقبض والخاتم في يمينه • وعبيد هذا كذاب • قال الحافظ ابن رجب وقد جاء التصريح بان تختمه عليه الصلاة والسلام في يساره كان اخر الامرين في حديث رواه بقية عن محمد عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه ثم تحوله الى يساره • وقال وكيع التختم في اليمين ليس بسنة • ونص الامام احمد انه يكره التختم في السبابة والوسطى • وروي عن علي انه قال نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتختم في هذه او في هذه واوما الى السبابة والوسطى • ولمسلم • وفي الباب وكان عليه الصلاة والسلام يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشيء • ورواه ابن عدي بسند ضعيف من حديث واثلة بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد حاجة اوثق في خاتمه خيطا • وروى ابو يعلى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط في اصبعه خيطا ليذكرها • وكذا هو في رابع الخلعيات [illegible]

ابو الغيض رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث • واما السراويل
فاختلف فيه هل لبسها النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فجزم بعض العلماء بانه عليه الصلوة والسلام لم يلبسه
ويستانس له بما جزم به النووي في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه من كتاب تهذيب الاسماء واللغات
انه رضي الله عنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا اسلام الا يوم قتله • فانهم كانوا احرص شيء على اتباعه
صلى الله عليه وسلم • لكن قد ورد في حديث عند ابي يعلى الموصلي في مسنده بسند ضعيف جدا عن ابي هريرة
قال دخلت السوق يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم
وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتزن وارجح • فقال الوزان ان هذه
لكلمة ما سمعتها من احد • قال ابو هريرة فقلت له كفى بك من الوهن والجفا في دينك ان لا تعرف نبيك
فطرح الميزان ووثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم منه
وقال يا هذا انما تفعل هذا الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم فوزن فارجح • واخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم السراويل قال ابو هريرة فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله
الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه اخوه المسلم قال قلت يا رسول الله وانك لتلبس السراويل قال اجل في
السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه • وكذا اخرجه ابن حبان
في الضعفاء عن ابي يعلى ورواه الطبراني في الاوسط والدارقطني في الافراد والعقيلي في الضعفاء ومداره
على يوسف بن زياد الواسطي لكن قد صح شراؤه صلى الله عليه وسلم • وفي الهدي والظاهر انه صلى الله عليه
وسلم انما اشتراه ليلبسه • وقد روي انه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل وكانوا يلبسونه في زمانه وباذنه
قال ابو عبد الله الحجازي في حاشيته على الشفاء وما قاله في الهدي من انه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل
كانه سبق قلم • والله اعلم • وقد اورد ابو سعيد النيسابوري ذكر الحديث في تجارته صلى الله عليه وسلم
من كتاب شرف المصطفى • وقد ترجم البخاري في اللباس من صحيحه باب السراويل • واورد فيه حديث المحرم
لكونه لم يرد فيه شيء على شرطه •
واما الخف فروى الترمذي عن ابن بريدة عن ابيه ان
النجاشي اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضا ومسح عليهما • وعن المغيرة
ابن شعبة قال اهدى دحية للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما • وقال اسرائيل عن جابر عن عامر وجبة
فلبسهما حتى تخرقا لا يدري النبي صلى الله عليه وسلم اذكي هما ام لا • رواه الطبراني
واما نعله صلى الله عليه وسلم • والنعل كما قال صاحب المحكم ما وقيت به القدم • ففي البخاري عن قتادة عن
انس ان نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان • والقبال بكسر القاف زمام النعل وهو السير
الذي يكون بين الاصبعين • وعن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما رواه
الترمذي في الشمائل • وفيها ايضا عن ابي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان • وعن عيسى
ابن طهمان قال اخرج الينا انس بن مالك نعلين جرداوين لهما قبالان فحدثني ثابت بعد عن انس انهما كانتا نعلي
النبي صلى الله عليه وسلم • وعن عبيد بن جريج انه قال لابن عمر رايتك تلبس النعال السبتية فقال اني

مطلب في المنع عن تقبيل اليد

رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضا فيها فانا احب ان البسها • رواه
وعن عمرو بن حريث قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين • وعن عايشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في ترجله وتنعله وطهوره • رواه الترمذي
وعن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم اذا انتعل احدكم فليبدا باليمنى فاذا نزع فليبدا بالشمال
ولكن اليمنى اولهما تنعل واخرهما تنزع • وكان عليه السلام ينهى ان ينتعل الرجل قايما • رواه ابو داود والترمذي
وقد ذكر ابو اليمن بن عساكر تمثال النعل الكريم عليه الصلوة والسلام في جزء مفرد ورويناه قراءة
وسماعا • وكذا افرده بالتاليف ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من اهل المرية
بالاندلس • وكذا غيرهما ولم اثبتهما هنا اتكالا على شهرتهما وصعوبة ضبط تسطيرها الا على حاذق وقد
من بعض ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره ابو جعفر احمد بن عبد المجيد وكان شيخا
صالحا قال حذوت هذا المثال لبعض الطلبة فجاءني يوما فقال لي رايت البارحة من بركة هذا النعل
عجبا اصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم ارني بركة
صاحب هذا النعل فشفاها الله تعالى للحين • وقال ابو اسحق قال ابو القاسم بن محمد ومما جرب من بركته
ان من امسكه عنده متبركا به كان له امانا من بغي البغاة وغلبة العداة وحرزا من كل شيطان مارد
وعين كل حاسد • وان امسكته المراة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر امرها بحول الله وقوته
ولقد اجاد ابو اليمن ابن عساكر حيث • بالمثال اني قد ديم خالي • وتماشيا الدروس الاطلال
دع ندب اثار وذكر ماثر • لاحبة بانوا وعصر خالي • والزم تمثالا الكريم فجدد • ان فزت منه
بلثم ذا التمثال • اثر له تعلو بنا اثرها • سعد الكئيب تجنبا للحال • قبل الا فال نعلي احمص
خير الخلائق بالحمد للاجبال • الصق به قلبا يغلبه الهوى • وجلاء على الاوصاف والاوجال • صانع بها
حدا وعفر وجنة • ذنبها وجد دافيها • سيل مرجوي توى الجوانح قلبت ما حببت لي الاكام
يا شبه نعل المصطفى روحي الفدا • لمحلك الاسما الشريف العالي • هملت لمراك العيون وما قد
رمي العيان بغير ما اهمال • وتذكرت عهد العتيق فنا ترى • شوقا عقيق الدمع الهطال
وصبت فواصلت الحنين الى الذي • ما زال في حسنه في بالي • اذكرتني قدما لها قسم العلى
والجود والمعروف والافضال • اذكرتني من لم يزل ذكري له • يعتاد في الابكار والاصال
المتاجر والتقي في الدنا • والدين في الاقوال والافعال • لو انه حقا تحتذي نعلا لها • لبلغت من
نيل المنا امالي • او انه احظى بلوثم نعالها • ارضى بمت عزا بذي الاذلال
ومما احسن قول ابي الحكم بن المرحل في قصيدة ذكرها ابو اسحق بن الحاج • بوصف حسن طرز الشعر باطبه
ونمنم خد الطرس بالنقش دقة • ونقش حروف اوسع الناس رحمة • وجادت عليهم بالنوال لغمامه
لحلى قبلهم الاجياد في كل مذهب • فانا رادخ وحوتمة ومعالمه • بمن ختم الله النبيين كلهم • وكل نبا
صالح فهو خاتمه • احب رسول الله حيا ولاية • تقاسمه قومي كنتم قاسمه • كانت تقدي بحلم ذكره

مطلب كان يحب التيمن في ترجله وتنعله وطهوره

من الورق خفاق أصيبت قوادمه • أهيم إذا هبت نواسم أرضه • ومن فؤادي إن ذهبت نواسمه • فأشكو
شكا بيننا فكأنما • نوافحه جاءت بروح لطائمه • وما دعاية الدعاوى كثيرة • الى الشوق ان الشوق مما
اكاتمه • مثال لنعل من احب حويته • فها انا في يومي وليلي لاثمه • اجر على راسي ووجهي اديمه •
والثمه طورا وطورا الازمه • امثله في رجل اكرم من مشى • فتبصره عيني وما انا حالمه • اخر خده
فراحته وقعه • على وجنتي خطوا هناك يداومه • ومن لي بوضع النعل في حر وجنتي • لما ترعلك
فوق النجوم براجمه • ساجعله فوق الترائب عوذة • لقلبي لعل القلب يبرد حاجمه • وادلطه
الشؤون تيمة • لجفني لعل الجفن يرقا ساجمه • الا بابي تمثال نعل محمد • لطاب كما ذيره ومقدس
خادمه • يود هلال الافق لو انه هوى • يزاحمنا في لثمه ونزاحمه • وما ذاك الا حب من جر بيننا
يقوم باجسام الخليقة لازمه • سلام عليه كلما هبت الصبا • وغنت باغصان الاراك حمائمه •
ولابي بكر بن احمد بن الامام ابي محمد بن الحسين القرطبي • ونعل خضعنا هيبة لبهائها • وانا متى
نخضع لها ابدا نعلو • فضعها على اعلى المفارق انها • حقيقتها تاج وصورتها نعل • بأخمص خير
الخلق حازت مزية • على التاج حتى باهت المفرق الرجل • طريق الهدى منها استفاد لبصر لخيرهم
بحياها الغريب وما تسلو • فما شاقنا مذ ذاقنا دمع عزها • حميم ولا مال كريم ولا اهل • شفاء لذي
سقم رجاء لبائس • امان لذي خوف كذا يحسب الفضل •   واما فراشه صلى الله عليه وسلم
فقد كان صلى الله عليه وسلم اخشن ذلك بما ذكر عوضا ورغبة اليه وترك ما سوى ذلك • وفي صحيح مسلم
قوله عليه السلام فراش للرجل وفراش لامراته • والثالث للضيف والرابع للشيطان • قال العلماء معناه
ما زاد على الحاجة فاتخاذه انما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة
فهو مذموم وكل مذموم يضاف الى الشيطان لانه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه • وقيل انه على ظاهره
وانه اذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل • واما تعداد الفراش للزوج والزوجة
فلا باس به لانه قد يحتاج كل واحد منهما الى فراش عند المرض ونحوه • وعن عائشة انما كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف • رواه الشيخان • وروى البيهقي من حديثها قالت
دخلت علي امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت الي
بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا عائشة قلت يا رسول الله
فلانة الانصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت الي بهذا فقال رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله
معي جبال الذهب والفضة • وعن عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر
في جنبه • الحديث • رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح والطبراني • ولفظه دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو في غرفة كانها بيت حمام وهو نائم على حصير قد اثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك
يا عبد الله قلت يا رسول الله كسرى وقيصر يطؤون على الخز والحرير والديباج وانت نائم على هذا الحصير قد اثر
بجنبك فقال لا تبك يا عبد الله فان لهم الدنيا ولنا الآخرة • وقوله كانها بيت حمام يريد والله اعلم انها في

الحر والكرب كما في بيت الحمام • وعن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر في جنبه واذا انا
بقبضة من شعير نحو الصاع واذا اهاب معلق فابتدرت عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب
قال يا نبي الله ومالي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزائنك لا ارى فيها الا ما ارى وذاك كسرى وقيصر
في الثمار والانهار وانت نبي الله وصفوته وهذه خزائنك قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الآخرة
ولهم الدنيا • رواه ابن ماجه باسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم • ولفظه قال عمر رضي الله عنه
استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مشربة وانه لمضطجع على خصفة ان بعضه لعلى التراب
وتحت راسه وسادة محشوة ليفا واذا فوق راسه اهاب عطين في ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه
فجلست فقلت انت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال اولئك
عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وانا قوم اخرت لنا طيباتنا في آخرتنا • وعن عائشة
رضي الله عنها كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرير مرمل بالبردي عليه كساء اسود وقد حشوناه بالبردي
فدخل ابو بكر وعمر عليه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم عليه فلما رآهما استوى جالسا فنظرا فاذا اثر
السرير في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ما يؤذيك خشونة ما نرى من فراشك
وسريرك وهذا كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج فقال عليه الصلاة والسلام لا تقولا هذا فان فراش
كسرى وقيصر في النار وان فراشي وسريري هذا عاقبته الى الجنة • رواه ابن حبان في صحيحه • ويروى
انه عليه الصلاة والسلام ما كان مضطجعا قط ان عرض له ضجع والا اضطجع على الارض • وتغطى
صلى الله عليه وسلم باللحاف قال عليه الصلاة والسلام ما اتاني جبريل وانا في لحاف امرأة منكن غير عائشة •

النوع الثالث

في سيرته عليه الصلاة والسلام في نكاحه • قد كان صلى الله عليه
وسلم يأخذ من الجماع بالاكمل مما يحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس ويحصل به مقاصده التي
وضع لاجلها فان الجماع في الاصل وضع لثلاثة اشياء هي مقاصده الاصلية احدها حفظ النسل
ودوام النوع الانساني الى ان تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها الى هذا العالم • الثاني
قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هي الفائدة التي في الجنة اذ لا تناسل هناك ولا احتقان
يستفرغه الانزال • وفضلاء الاطباء يرون الجماع من احد اسباب حفظ الصحة لكن لا ينبغي اخراج
المني الا في طلب النسل او لاخراج المحتقن منه فان دوام احتقانه احدث امراضا ردية منها الوسواس
والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبرئ استعماله من هذه الامراض كثيرا فانه اذا طال احتباسه فسد
واستحال الى كيفية سمية توجب امراضا ردية • قال محمد ابن زكريا من ترك الجماع مدة طويلة
ضعفت قوى اعصابه واستد مجاريها وتقلص ذكره • قال ورأيت جماعة تركوه لنوع التقشف فبردت
ابدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب وقلت شهوتهم وهضمهم اشار اليه في زاد
المعاد • ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة

فهو يشغل نفسه في دنياه وآخرته ويشغل المرأة ولم يزل التفاخر بكثرة عادة معروفة والتمادح بها سيرة ماضية • ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويقول كما في حديث أنس عند الطبراني في الأوسط والنسائي في سننه حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة أي لمناجاتي فيها ربي تعالى زاد الإمام أحمد في الزهد وأصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عن فجعة النساء والنكاح من كمال الإنسان • هذا خليل الله إبراهيم إمام الحنفاء كان عنده سارة أجمل نساء العالمين وتحبب هاجر وتسرى بها • وذكر سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه قال كان الخليل إبراهيم عليه السلام يزورها في كل يوم من الشام على البراق شغفا بها وقلة صبر عنها • وهذا داود عليه السلام كان عنده تسع وتسعون امرأة فأحب تلك المرأة وتزوج بها فكمل المائة • وهذا سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على سبعين امرأة • **تنبيه** وقع في الإحياء للغزالي وتفسير آل عمران من الكشاف وكثير من كتب الفقهاء حبب إلي من دنياكم ثلاث • وقالوا إنه عليه السلام قال ثلاث ولم يذكر إلا اثنين الطيب والنساء قالوا ومنه قول الشاعر • إن الأحامرة الثلاثة أهلكت • مالي وكنت بهن قدما مولعا • الخمر واللحم القراح والطلى • بالزعفران فلا أزال مولعا • وذكرها ابن فورك في جزء مفرد وجعلها والطيب في ذلك لكن قال وهذا يسمى عنده طيا وهو أن يذكر جمع ثم يوفى ببعضه ويترك سرد باقيه لغرض للمتكلم • وأنشد الزمخشري • كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم • من العبيد وثلث من مواليها • وفائدة الطي عندهم تكثير ذلك الشيء • لكن قال ابن القيم وغيره من رواه حبب إلي من دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلاة ليست من أمور الدنيا التي تضاف إليها انتهى • نعم تضاف إليها لكونها ظرفا لوقوعها فقط فهي عبادة محضة • وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في تخاريج الكشاف إن لفظ ثلاث لم يقع في شيء من طرقه وزيادته تفسد المعنى • وكذا قال شيخ الإسلام الولي ابن العراقي في أماليه عبارة ليست هذه اللفظة وهي ثلاث في شيء من كتب الأحاديث وهي مفسدة للمعنى فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا • وكذا صرح به الزركشي وغيره كما حكاه شيخنا في المقاصد الحسنة وغيرهم • قال ابن الحاج في المدخل انظر إلى حكمة قوله عليه السلام حبب ولم يقل أحببت • وقال من دنياكم فأضافها إليهم دون ما عليه الصلاة والسلام فدل ذلك على أن محبته كانت خاصة لمولاه تبارك وتعالى و جعلت قرة عيني في الصلاة فكان عليه السلام بشري الظاهر ملكوتي الباطن وكان عليه السلام لا يأنس إلى شيء من حال البشرية إلا أنسا لأمته وتشريعا لها لا الارتياح إلى شيء من ذلك ألا ترى قوله تعالى قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك فقال لكم ولم يقل إني ملك ثم نفى الملكية عنه بالنسبة لهم أعني فمعاني عليه السلام لا في ذاته الكريمة إذ أنه عليه الصلاة والسلام جلي بشرية ما لحقي البشر • وهذا قال سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي في صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر ليس كالأبشار كما أن الياقوت حجر ليس كالأحجار • ويعلم أنه رحمهم على سبيل التقريب للمفهوم فيه أنه صلى الله عليه وسلم كان ملكي الباطن ومن كان ملكي الباطن ملك نفسه • انتهى • وهنا الحقيقة

روي عنه صلى الله عليه وسلم لما قال حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال أبو بكر وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا النظر إلى وجهك وجمع المال للإنفاق عليك والتوسل بقرابتك إليك وقال عمر وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بأمر الله وقال عثمان وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا إشباع الجائع وإرواء الظمآن وكسوة العاري وقال علي بن أبي طالب وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا الصوم في الصيف وإقراء الضيف والضرب بالسيف قال الطبري رواه الجندي قال الدهقان • وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش • رواه الطبراني • وعن أنس كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل وهن إحدى عشرة • قلت لأنس أوكان يطيقه قال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين • رواه البخاري من طريق قتادة • قال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه • ورواه سعيد بن أبي عروبة وغيره فقالوا تسع نسوة انتهى • وكذا رواه البخاري من طريق سعيد ابن أبي عروبة أيضا بلفظ ولهن يومئذ تسع نسوة • وجمع بينهما ابن حبان في صحيحه بأن حمل ذلك على حالتين لكنه وهم في قوله إن الأولى كانت في أول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع نسوة • والحالة الثانية في آخر الأمر حيث اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة • وموضع الوهم منه أنه لما قدم المدينة لم يكن تحته سوى سودة ثم دخل على عائشة بالمدينة ثم تزوج أم سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في السنة الرابعة ثم زينب بنت جحش في الخامسة ثم جويرية في السادسة ثم صفية وأم حبيبة وميمونة في السابعة هؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور • لكن يحمل رواية هشام على أنه ضم مارية وريحانة إليهن وأطلق عليهن لفظ نسائه تغليبا وعن طاوس ومجاهد أعطي قوة أربعين رجلا في الجماع • رواه ابن سعد • وفي رواية عن مجاهد قوة بضع وأربعين رجلا كل رجل من أهل الجنة • رواه الحارث بن أبي أسامة • وعند أحمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة في الأكل والشرب والجماع والشهوة • **فإن قلت** وطء المرأة في يوم الأخرى ممنوع والقسم وإن لم يكن واجبا عليه لكنه عليه الصلاة التزمه تطييبا لنفوسهن • **قلت** إنما صاحبة النوبة أو أنه في يوم لم يثبت فيه قسم كيوم قدومه من سفر أو اليوم الذي بعد كمال الدور قبل أن يبتدئ القسم فيما بعد أو أنه من خصائصه صلى الله عليه وسلم • وقد اختص في باب النكاح بأشياء كما سيأتي إن شاء الله تعالى • وعن صفوان بن سليم مرفوعا أتاني جبريل بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلا في الجماع • رواه ابن سعد • ولما كان عليه الصلاة والسلام ممن أقدر على القوة في الجماع وتحلى الكثرة منه أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره • قال ابن عباس تزوجوا فإن أفضل هذه الأمة أكثرها نساء يشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل أفضل هذه الأمة ليحترز عن سليمان عليه السلام فإنه كان أكثر نساء • ووقع عند الطبراني من سعيد بن جبير عن ابن عباس تزوجوا فإن خيرنا أكثرنا نساء • قيل المعنى خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من كان أكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل • قال أبو الفضل الحافظ العسقلاني والذي يظهر أن مراد ابن عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالأمة أخصاء أصحابه وكأنه أشار إلى

ان ترك التزويج مرجوح اذ لو كان راجحا ما آثره النبي صلى الله عليه وسلم وكان مع كونه اخشى الناس لله واعلمهم
به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة
لكونه كان لا يجد ما يتقوت به غالبا وان وجد فكان يؤثر باكثره ويصوم كثيرا ويواصل ومع ذلك
فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن وقوة البدن تابعة لما يقوم
به من استعمال المقويات من اكل وشرب وهي عنده عليه السلام نادرة او معدومة • وقال بعض العلماء
لما كان الحر لفضله يستبيح من النساء اكثر مما يستبيحه العبد وجب ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لفضله
على جميع الامة يستبيح من النساء اكثر مما تستبيحه الامة قالوا ومن فوائد ذلك الزيادة في التكليف في
القيام بهن مع تحمل اعباء الرسالة فيكون ذلك اعظم لمشاقه واكثر لاجره • ومنها ان النكاح
في حقه عبادة • ومنها نقل محاسنه الباطنة • فقد تزوج عليه الصلوة والسلام ام حبيبة وكان
ابوها في ذلك الوقت عدوه • وصفية وقد قتل اباها وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطن احواله على انه
اكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن الى ابائهن وقرابتهن فكان في كثرة النساء عنده بيان
لمعجزته وكماله باطنا كما عرف منه الرجال ظاهرا • وقد رغب عليه الصلوة والسلام في النكاح • فروى
ابو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم • وفي
ابن ماجة عن ابي هريرة رفعه انكحوا فاني مكاثر بكم وهو معنى ما اشتهر على الالسنة تناكحوا تناسلوا فاني
اباهي بكم الامم ولم اقف عليه بهذا اللفظ • وارشد عليه السلام من لم يستطع الباءة الى الصوم لان كثرته
تقلل مادة النكاح ويضعف ما يجده المرء من الحرارة القوية التي تبعثه على النكاح • وخص الشباب في قوله
يا معشر الشباب لان للشباب من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم وقد ظهر لك ان النكاح اعظم في الاجر والثواب
من الصيام فانه صلى الله عليه وسلم لم يأمر اولا بالصيام انما امر به عند عدم الطول الى النكاح وذلك ان
النكاح يتوصل به الى التناسل لتكثير هذه الامة المحمدية وهي لا شك افضل • قال عمر بن الخطاب اني لاطأ النساء
وما لي اليهن حاجة رجاء ان يخرج الله من ظهري ما يكاثر به محمد صلى الله عليه وسلم الامم • وقال الشيخ ابو محمد
ابن ابي جمرة ولم يكن نبينا صلى الله عليه وسلم بالاجماع اعبد الناس مع ما طبعت عليه البشرية من حب الجماع
وكيف يخل بعبادته شيئا لانه عليه السلام لم يكن يأتيها الا على مشروعيتها وهذا هو غاية الكمال في البشرية
لانه يرجع ما طبع عليه تابعا لما امر به • وقد روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال لا رهبانية في الاسلام
وهي ترك النساء ولو كان ترك ذلك افضل لشرع ذلك في ديننا اذ هو خير الاديان • وقد قال سليمان عليه السلام
لاطوفن الليلة على مائة امرأة • الحديث • رواه البخاري • وهذا فيه معجزة لسليمان عليه السلام اذ البشر
عاجز عن الطوف على مائة امرأة في ليلة واحدة فاظهر الله قدرته بان اعطى سليمان عليه السلام القوة على ذلك
فكان فيها معجزة واظهار قدرة والبقاء حكمة ورد على من ربط الاشياء بالعوايد فيقول لا يكون كذا الا
كذا ولا بد لهذا الا من كذا فالقوة تعالى في صلب سليمان مائة رجل وكان له ثلثمائة زوجة والف سرية
وهذا لا يعطي تفضيل سليمان عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد اعطي

الاماء

الاماء اربعين رجلا ولم يكن له غير عشر نسوة لان مرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم في الافضلية لا يدانيه
فيها احد • وسليمان تمنى ان يكون ملكا فاعطي ذلك واعطي من القوة في الجماع لكي يتم له الملك على خرق
العادة من كل الجهات ليتناسب بذلك فكان نساؤه من جنس ملكه الذي لا ينبغي لاحد من بعده كما طلب
ونبينا صلى الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا واختار ان يكون نبيا عبدا فاعطي
من الخصوصية • ذلك القدر لكونه عليه السلام اختار الفقر والعبودية فاعطي الزايد بخرق العادة في النوع
الذي اختار وهو الفقر الذي هو العبودية • فكان عليه السلام يربط على بطنه الاحجار من شدة الجوع
والمجاهدة وهو على حاله في الجماع لم ينقصه شيئا والناس لما اذا اخذهم الجوع والمجاهدة
لا يستطيعون ذلك فهو ابلغ في المعجزة فالسر في تحية النفوس

النوع الرابع في نومه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم ينام اول الليل ويستيقظ في اول النصف الثاني فيقوم فيستاك ويتوضأ
ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه وكان ينام
على جانبه الايمن ذاكرا الله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب لانه عليه
الصلوة والسلام كان يحب التيامن في شأنه كله وليرشد امته لان في الاضطجاع على الشق الايسر
سرا وهو ان القلب معلق في الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجانب الايسر استثقل نوما لانه يكون
في دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على الشق الايمن فانه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلق
القلب وطلبه مستقره وميله اليه قالوا وكثرة النوم على الجانب الايسر وان كان اهنأ مضر بالقلب
بسبب ميل الاعضاء اليه فتنصب المواد • واما قول القاضي عياض في الشفا وكان نومه على جانبه الايمن
استظهارا على قلة النوم • الخ ففيه نظر لانه عليه السلام لا ينام قلبه فسواء كان نومه على الجانب الايمن
او الايسر فهذا الحكم تابع له • وما قاله بالنسبة لغيره فحق من ينام قلبه • نعم فالاحسن تعليله بحب التيامن
وبقصد التعليم كما مر • واردى النوم النوم على الظهر ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم وادنى
منه ان ينام منبطحا على وجهه • وفي سنن ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم مر برجل في المسجد منبطح على
وجهه فضربه برجله وقال قم او اقعد فانها نومة جهنمية • وكان عليه السلام ينام على الفراش تارة وعلى
النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة • وكان فراشه ادما حشوه ليف • وكان له مسح ينام عليه
وكان صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه وضع كفه تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك
وفي رواية يوم تجمع عبادك • وقال ابو قتادة كان عليه الصلوة والسلام اذا عرس بليل اضطجع على شقه
الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه • وقال ابن عباس كان عليه السلام اذا نام
نفخ • وعن حذيفة كان عليه السلام اذا اوى الى فراشه قال اللهم باسمك اموت واحيى • وقالت عائشة
رضي الله عنها كان يجمع كفيه ثم ينفث فيهما ويقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس

ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يصنع
ذلك ثلاث مرات. وقال أنس كان عليه السلام إذا أوى إلى فراشه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا و
آوانا وكم ممن لا كافي له ولا مؤوي. رواه الترمذي. وقد كان عليه السلام تنام عينه ولا ينام قلبه
رواه البخاري من حديث عائشة قالت له لما قالت له أتنام قبل أن توتر. وإنما كان عليه السلام لا ينام
قلبه لأن القلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام إذا نام البدن. وكمال هذه الحالة كان لنبينا صلى الله
عليه وسلم ولمن اجتبى الله قلبه بمحبته واتباع رسوله من ذلك بحسب نصيبه منها فمستيقظ القلب
وغافله كمستيقظ البدن ونائمه. وإلى هذا المعنى الذي ذكرته أشار صاحب المعارف العلية و
الحقائق السنية سيدي علي بن سيدي محمد وفا. عيني تنام لكن قلبي والله لا ينام. وكيف ينام
عاشق مسبي. في الحب مستهام. ناظر إلى وجه الحب. شاخص على الدوام. إياه في المعنى يروم
أن يحيي الرسوم. فقام ما يجي العلائق. يا سعد من يقوم. وقد جمع العلماء بين هذا الحديث
وبين حديث نومه صلى الله عليه وسلم في الوادي عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتى أيقظه
عمر رضي الله عنه بالتكبير. فقال النووي له جوابان أحدهما أن القلب إنما يدرك الحسيات
المتعلقة به كالحدث والألم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق بالعين لأنها نائمة والقلب يقظان. والثاني
أنه كان له حالان حال كان قلبه لا ينام وهو الأغلب وحال ينام قلبه وهو نادر فصادف هذا أي قضية
النوم عن الصلاة. قال والصحيح المعتمد هو الأول. والثاني ضعيف. قال في فتح الباري وهو كما
قال. ولا يقال القلب وإن كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلا لكنه يدرك إذا كان يقظانا
مرور الوقت الطويل فإن من ابتداء طلوع الفجر إلى أن حميت الشمس مدة طويلة لا تخفى على من لم يكن
مستغرقا لأنا نقول يحتمل أن يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم مستغرقا بالوحي ولا يلزم مع ذلك
وصفه بالنوم كما كان يستغرق صلى الله عليه وسلم حالة إلقاء الوحي في اليقظة وتكون الحكمة في ذلك
بيان التشريع بالفعل لأنه أوقع في النفس كما في قصة سهوه في الصلاة. وقريب من هذا جواب ابن
المنير أن القلب قد يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع ففي النوم بطريق الأولى أو على السواء. وقال
ابن العربي في القبس النبي صلى الله عليه وسلم كيفما اختلف حاله من نوم أو يقظة في حق وتحقيق ومع الملائكة
وعلى طريق إنه نبي فأكثر من الشيء اشتغل وإن نام فقلبه ونفسه على الله أقبل. ولهذا قالت الصحابة كان
صلى الله عليه وسلم إذا نام لا نوقظه حتى يستيقظ لأنا لا ندري ما هو فيه فنومه عن الصلاة أو نسيانه لشيء
منها لركن عن آخر وإنما كان بالنقل من حالة إلى حالة مثلها لكونها سنة. انتهى. وقد أجيب عن أصل
الإشكال بأجوبة أخرى ضعيفة. منها أن معنى قوله لا ينام قلبي أي لا يخفى عليه حالة انتقاض وضوئه
ومنها أن معناه لا يستغرقه النوم حتى يوجد منه الحدث. وهذا قريب من الذي قبله. قال ابن دقيق العيد
كأنه قال هذا ادعاء تخصيص يقظة القلب بإدراك حالة الانتقاض وذلك بعيد. وذلك أن قوله صلى الله عليه
وسلم إن عيني تنامان ولا ينام قلبي خرج جوابا عن قول عائشة أتنام قبل أن توتر. وهذا كلام لا تعلق له بانتقاض
الطهارة الذي تكلموا فيه وإنما هو جواب يتعلق بأمر الوتر فتحمل يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر وفرق
بين من شرع في النوم مطمئن القلب به وبين من شرع فيه متعلقا باليقظة. قال فعلى هذا فلا تعارض ولا إشكال

في حديث النوم حتى طلعت الشمس لأنه يحتمل الطهارة في نومه لما أوجبه تنبه السنة معتمدا على من وكله
بكلاءة الفجر. انتهى. ويحتمل تخصيص اليقظة المفهومة من قوله لا ينام قلبي بإدراكه وقت الوتر إدراكا
معنويا لتعلقه به. وأن نومه في حديث الباب كان نوما مستغرقا. ويؤيده قول بلال أخذ بنفسي الذي
أخذ بنفسك كما في حديث أبي هريرة عند مسلم. ولم ينكر عليه. ومعلوم أن نوم بلال كان مستغرقا.
وقد اعترض عليه بأن ما قاله يقتضي اعتبار خصوص السبب. وأجاب بأنه يعتبر إذا قامت عليه قرينة و
أرشد إليها السياق وهو هنا كذلك. ومن الأجوبة الضعيفة أيضا قول من قال كان قلبه يقظانا
وعلم بخروج الوقت لكن ترك إعلامهم بذلك لمصلحة التشريع. والله سبحانه أعلم.

المقصد الرابع

في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من خصائص
آياته وبدائع كراماته. وفيه فصلان.

الفصل الأول

في معجزاته. اعلم أيها المحب لهذا النبي
الكريم والرسول العظيم سلك الله تعالى بي وبك منهاج سنته وأماتنا على محبته بمنه ورحمته وحشرنا
في زمرته وحشرنا في زمرته وأدخلنا في شفاعته وأدخلنا الجنة في صلحاء أمته. أن المعجزة هي
الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وسميت معجزة
لعجز البشر عن الإتيان بمثلها. فعلى هذا لها شروط أحدها أن تكون خارقة للعادة كانشقاق القمر
وانفجار الماء من بين الأصابع وقلب العصا حية وإخراج ناقة من صخرة ونحو ذلك مما يخرج عن
العادة كطلوع الشمس كل يوم. الثاني أن تكون مقرونة بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة
قال الجوهري يقال تحديت فلانا إذا باريته في فعل ونازعته للغلبة. وأصله الحداء يتبارى فيه
الحاديان ويتعارضان فيتحدى كل واحد صاحبه أي يطلب حداءه كما يقال توفاه بمعنى استوفاه
وفي بعض الحواشي الموثوق به كانوا عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره يتحديان
كل واحد صاحبه بمعنى يتحدى به أي يطلب حداءه ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة. انتهى
من حاشية الطيبي على الكشاف. وقال المحققون الدعوى للرسالة. انتهى. والشرط الثالث
من شروط المعجزة أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة. ويعبر عنه بعضهم
بقوله دعوى الرسالة مع أمن المعارضة وهو أحسن من التعبير بعدم المعارضة لأنه لا يلزم من
عدم المعارضة امتناعها والشرط إنما هو عدم إمكانها. وقد خرج بقيد التحدي الخارق
من غير تحد وهو الكرامة للولي وبالمقارنة الخارق المتقدم على التحدي كإظلال الغمام وشق الصدر
الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل دعوى الرسالة وكلام عيسى عليه السلام في المهد وما شابه ذلك
مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة فإنها ليست معجزات وإنما هي كرامات ظهرت على الأولياء والأنبياء
قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضا. وحينئذ تسمى إرهاصا أي تأسيسا
للنبوة كما صرح به العلامة السيد الجرجاني في شرح المواقف وغيره وهو مذهب جمهور أئمة الأصول
وغيرهم. وخرج أيضا بقيد المقارنة المتأخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية نحو ما روي بعد وفاته

صلى الله عليه وسلم من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار • وخرج ايضا بانتفاء المعارضة السحر المعروف بالتحدي فانه يمكن معارضته بالاتيان بمثله من المرسل اليهم • واختلف هل السحر قلب الاعيان واحالة الطبائع ام لا فقال اكثرهم لا وقالوا لو جوزنا ذلك حتى جوزوا للساحر ان يقلب الانسان حمارا • وذهب اخرون الى ان احدا لا يقدر على قلب عين ولا احالة طبيعة الا الله تعالى لانبيائه • وان الساحر والصالح لا يقلبان عينا قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز للنبي فاي فرق عند كرمنهما فاذن لجا قوم الى ما ذكره القاضي ابو بكر بن الباقلاني من الفرق بالتحدي فقط وقيل كم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب ولا اجماع وما تعرى من البرهان فهو باطل • الثاني ان اكثر اياته صلى الله عليه وسلم واعمها واقلها كانت بلا تحد كنطق الحصا ونبع الماء ونطق الجذع والطعام الكثير من صاع واحد وتفله في العين وتكليم الذراع وشكوى البعير • وكذا سائر معجزاته العظام ولعله لم يتحد بغير القران وتمني الموت قالوا فاذن لقولهم لا يبقى من الايات ما يسمى معجزة الا هذين الشيئين ويلغى معجزاته كالبحر المتقاذف بالامواج • ومن قال ان هذه ليست معجزات ولا ايات فهو للكفر اقرب منه الى الايمان قالوا وقد كان عليه الصلوة والسلام يقول عند ورود اثر من هذه الايات اشهد اني رسول الله كما قال ذلك عند تحققهم بصدق قوله في الاخبار عن الذي نكى في المشركين فذكر في المعركة انه من اهل النار فقتل نفسه بحضرة ذلك الذي اتبعه من المسلمين • قالوا والوجه الثالث وهو لازم لهذا القول قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون • وقال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون فسمى تعالى تلك المعجزات المطلوبات من الانبياء ايات ولم يشترط تحديا من ضرور فصح ان اشتراط التحدي محض انتهى ملخصا من تفسير العلامة ابن النقاش • والحجة انه يكفي التحدي دعوى الرسالة ولو بمجالس العلم • الرابع من الشروط المعجزة ان تقع على وفق دعوى المتحدي بها فلو قال مدعي الرسالة اية نبوتي ان تنطق يدي او هذه الدابة فنطقت يده او الدابة بكذبه فقالت كذب وليس بنبي فان هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعي لان ما فعله الله تعالى لم يقع على وفق دعواه كما روي ان مسيلمة الكذاب تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت وذهب ما فيها من الماء فمتى اختل شرط من هذه لم تكن معجزة • ولا يقال قضية ما قلتم ان ما توفرت فيه الشروط الاربعة من المعجزات لا يظهر الا على ايدي الصادقين وليس كذلك لان المسيح الدجال يظهر على يديه من الايات العظام ما هو مشهور كما وردت به الاخبار الصحيحة لان ما ذكر فيمن يدعي الرسالة وهذا يدعي الربوبية • وقد قام الدليل العقلي على ان بعثة بعض الخلق غير مستحيلة فلم يبعد ان يقيم الله تعالى الادلة على صدق مخلوق اتى عنه بالشرع والملة ودلت العقول على كذب المسيح الدجال فيما يدعيه للتغير من حال الى حال وغير ذلك من الاوصاف التي تليق بالمحدثات ويتعالى عنها رب العالمين ليس

وهو

وهو السميع البصير **فان قلت** اي الاسمين احق واولى بما اتت به الانبياء هل لفظ المعجزة او لفظ الاية او الدليل **فالجواب** ان كبار الائمة يسمون معجزات الايات دلائل النبوة وايات النبوة ولم يرد ايضا في القران لفظ المعجزة بل ولا في السنة وانما فيهما لفظ الاية والبينة والبرهان كما في قصة موسى عليه السلام فذانك برهانان من ربك في العصا واليد وفي حق نبينا عليه الصلوة والسلام قد جاءكم برهان من ربكم وانما لفظ الاية فكثير بل هو اكثر من ان تسرد هنا كقوله تعالى واذا جاءتهم اية وان في ذلك لاية واما لفظ المعجز اذا اطلق فانه لا يدل على كونه ذلك اية الا اذا فسر المراد به • وذكرت شرائطه • وقد كان كثير من اهل الكلام لا يسمى معجزا الا ما كان للانبياء فقط • ومن اثبت للاولياء خوارق عادات سماها كرامات والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزا كالامام احمد وغيره بخلاف ما كان اية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه به • وقد يسمون الكرامات ايات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فلذلك ما كان اية وبرهانا انتهى • واذا علمت هذا فاعلم ان دلائل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار بظهور معجزاته شهيرة فمن دلائل نبوته ما وجد في التورية والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج من بين يدي ايام مولده ومبعثه من الامور الغريبة القادحة في سلطان الكفر الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشان العرب الموجبة لذكرهم كقصة الفيل وما احل الله تعالى باصحابه من العقوبة والنكال وخمود نار فارس وسقوط شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان وما سمع من الهواتف الصادحة بنعوته واوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها من امكنتها الى سائر ما روي • ونقلته الاخبار المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وايام حضانته وبعدها الى ما بعثه نبيا • ولم يكن صلى الله عليه وسلم مما يستمال به القلوب من مال فيجمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا احواذ على الرأي لذي اظهره والدين الذي دعا اليه • وكانوا مجتمعين على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية في العصبة والحمية والتعادي والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء افعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ولائمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء وتناصرت القلوب وترادفت الايدي صارو البا واحدا في نصرته وعنقا واحدا الى طاعته وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته وبذلوا مهجهم وارواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم ولا اموال افاضها عليهم ولا عوض في العاجل اطمعهم في نيله يرجونه او ملك او شرف في الدنيا يحوزونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل تلتئم مثل هذه الامور وتتفق مثل هذه لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري لا والله الذي بعثه بالحق وسخر له الامور ما يرتاب عاقل في شيء من ذلك وانما هو امر الهي وشيء غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين • ومن دلائل نبوته

انه كان عليه السلام كان أمياً لا يخط كتاباً بيده ولا يقرؤه ولد في قوم أميين ونشأ بين أظهرهم في بلدة
ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين ولم يخرج في سفر ضارباً الى عالم فيعكف عليه فجاءهم بأخبار التوراة
والانجيل والأمم الماضية وقد كانت ذهبت معالم تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق
من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها وسقيمها الا القليل ثم حاج كل فريق من أهل الملل المخالفة
له بما أخذته لم حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتقنين لم يمنعهم أن ينقضوا ذلك وهذا أدل شيء على انه
جاءه من عند الله عز وجل . ومن ذلك القرآن العظيم فقد تحدى بما فيه من الاعجاز ودعاهم
الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشيء منه . قال بعض العلماء
ان الذي أورده عليه السلام على العرب من الكلام الذي أعجزهم عن الاتيان بمثله أعجب في الآية وأوضح في الدلالة
من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين
في اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عند احياء الموتى
لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الأكمه والأبرص ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام
الفصيح والبلاغة والخطابة فدل على أن العجز عنه انما كان ليصير علماً على رسالته وصحة نبوته وهذه
حجة قاطعة وبرهان واضح . وقال أبو سليمان الخطابي وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من عقلاء الرجال
عند أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله على الاطلاق وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربه تعالى بأنهم لا يأتون
بمثل ما تحداهم به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بأن ذلك من عند الله علام الغيوب وانه
لا يقع فيما أخبر عنه خلف والا لم يأذن له عقله أن يقطع القول في شيء بأنه لا يكون وهو يكون انتهى
وهذا من أحسن ما يقال في هذا المجال وأبدعه وأكمله وأتمه فانه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير
عن بلوغ الغرض في المناقضة صارخاً على رؤس الأشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به مع توفر الدواعي
وتظاهر الاجتهاد فلو كان بما ألقى اليهم علماً خبيراً قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وزعت هممهم العلية وانفسهم الشريفة الأبية بتغالب العلماء
وهتك الحريم . وقد ورد من الأخبار في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه على المشركين كانوا
من أهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجازه جمل كثيرة فمنها ما روي عن محمد بن كعب قال حدثت
ان عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في
المسجد يا معشر قريش ألا أقوم الى هذا فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا بلى
يا أبا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه
من المال وغير ذلك فلما فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال
أفعل فقال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ قرآناً عربياً فمضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما
يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا أبا الوليد قال سمعت قال

تفعلوا

وذاك

وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به
فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله
الذي سمعت نبأ . قال أجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل
من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت فيه وناشدته الرحم
أن يكف وقد علمتم أن محمداً اذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب . رواه البيهقي وغيره . وفي حديث
اسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيساً فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس ولقد ناقض اثني عشر شاعراً
في الجاهلية أنا أحدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول
الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على أقراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون . رواه مسلم
والبيهقي . وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اقرأ علي فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الى آخر الآية قال أعد فأعاد صلى الله عليه
وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا
بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بأشعار الجن والله ما يشبه
الذي يقول شيئاً من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق
أسفله وانه ليعلو وما يعلى . وفي خبر الآخر حين جمع قريشاً عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فأجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً فقالوا نقول هو كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو
بزمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول شاعر
قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا
شيئاً الا وأنا أعرف أنه باطل . رواه ابن اسحق والبيهقي . وأخرج أبو نعيم من طريق ابن اسحق حدثني
اسحق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرأ
عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال ما أحسن هذا وأجمله أوكل كلامه مثل
هذا قال يا أبت وأحسن من هذا . وقال بعض العلماء ان هذا القرآن لو وجد مكتوباً في مصحف في فلاة
من الأرض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله وأن البشر لا قدرة
لهم على تأليف مثله فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقال انه كلام الله وتحدى الخلق
كلهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك فيه . انتهى . واعلم أن وجوه
اعجاز القرآن لا تنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلماء في اعجازه على ستة أوجه أحدها
ان وجه اعجازه هو الايجاز والبلاغة مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع في كلمتين عدد حروفهما

عشر آخر في معاني كلام كثير • وحكى ابو عبيدة ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد
وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام • وسمع آخر يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد
ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى الاصمعي انه رأى جارية خماسية او سداسية وهي تقول
استغفر الله من ذنوبي كلها فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت • استغفر الله لذنبي كله
قتلت انسانا لغير حله • مثل غزال ناعم في دله • انتصف الليل ولم اصله • فقلت قاتلك الله ما افصحك
فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه
في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين و
خبرين وبشارتين • وحكي ان عمر بن الخطاب كان يوما نائما في المسجد فاذا هو برجل قائم على رأسه يتشهد شهادة الحق
فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين
يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله
عز وجل ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه • الآية • وقد رام قوم من اهل الزيغ والالحاد ممن اوتي
طرفا من البلاغة وحظا من البيان ان يضعوا شيئا يلبسون به فلم يجدوا مكانا لمجال من يد المشابهة
ما لو الى السور القصار كسورة الكوثر والعصر واشباههما لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه
لان العجز انما يقع في ذلك لقصر الاتصال • وممن رام ذلك من العرب في التشبيه بالسور القصار مسيلمة
الكذاب فقال يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب
تمنعين • فلما سمع ابو بكر رضي الله عنه هذا الكلام قال ان هذا الكلام لم يخرج من ال • قال ابن الاثير اي من ربوبية
والال بالكسر هو الله تعالى • وقيل الال الاصل الجيد اي لم يجئ من الاصل الذي جاء منه القرآن • ولما سمع مسيلمة
والنازعات قال والمبذرات بذرا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات
خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر الى غير ذلك
من الهذيان مما ذكرت في الوجود من المقصد الثالث تحته • ولما نظم • وقال آخر الم تر كيف
فعل ربك بالحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين شراسيف وحشى • وقال آخر الفيل وما الفيل
وما ادريك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل • فهذا الكلام مع
قلة حروفه من السخافة ما لا اخفاء به على من لا يعلم فضلا عمن يعلم والثالث ان اعجازه هو الوصف
الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل
شيء منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة في نثرهم ونظمهم ولذلك
تحيرت عقولهم وتدلهت احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم فلا دنيا الا ترى في فصاحته وقد فزع القلوب
بديع نظمه وفي بدائعه قد اصاب المعاني بعجائب نظمه نام لحجة القاطعة الواضحة ومعجزة الاجلة
ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما لم معارضته شيء الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب وقد
ذل المتقدم الليوث الغضاب • وقد حكي عن واحد ممن تصدى لذلك انه اعتزم روم معجبة

كفته عن ذلك كما حكي عن يحيى بن حكم الغزال بتخفيف الزاي وقد تشدد و وكان بليغ الاندلس في عصره
انه قد رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال
فاعترتني منه خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة • ويحكى ايضا ان ابن المقفع وكان افصح اهل وقته
طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في مكتب قوله تعالى
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر الآية فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا
لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر • ولقد درّ العارف سيدي محمد وفا حيث قال يمدح النبي صلى الله
عليه وسلم والقرآن المعظم • له آية القرآن في تنزيه جمعه • جوامع يأتي بها تتضح الرشد • حديث
تنزيه عن حدوث منزه • وتنزيه صفات الذات ليس له ضد • بديع بليغ للبلاغة معجز • له معجزات لا تعد
لا يعد • تحلت بروح لو تجلت لتنجه • عقود اعتقاد لا تحل لها عقد • ونهاية ارباب البلاغة عجزهم
لديه وكانوا هم لا السن اللد • فما فاهم بالافك اغناه عيه • بسيف وللاسماع عن غيه مد • تلى
فوق الاسماع جوهره • هو الثنا بها الورقاء والنجم البلد • تلاها فقال الحق في التنح وجهها • وعن زيغها ارباب
الالباب نزهها الزهد • لقد فرق القرآن شمل فريقه • بجمع رسول الله واستعلى الرشد • اتت
بالهدى تجلى عليه الهه • ولم يأته بالاهواء اذ جاءه الجد • والثالث ان وجه اعجازه
هو ان قارئه لا يمل وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له
محبة وطلاوة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد
فيعادى اذا اعيد • وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها
ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف صلى الله
عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه
العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي الى الرشد اشار اليه القاضي عياض والرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار
بما كان مما علموه وما لم يعلموه فاذا سألوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه من قصة اهل الكهف
وشان موسى والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين وقصص الانبياء مع اممها والقرون الماضية في دهرها
والخامس ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب والاخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله
لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • ثم قال ولن
يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد منهم ومثل قوله تعالى لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع
بانهم لا يفعلوا فلم يفعلوا ومن غيبياته الغيوب التي اشتمل عليها القرآن وقع بعضها في حياته صلى الله عليه
كقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وبعضها بعده كقوله تعالى الم غلبت الروم فلو كان كما قالوا انه
وقع الموقع وبانه لا اخبار عن الغيب في بعض سور القرآن ولكن فيهم معارضة سورة من جنسه فلو كان
كذلك لعارضوه بعد القصر سورا لا غيب فيها والسادس ان وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم

بهم والضلال

لايخلقه

كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علماء الامم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب يتعاطونه
فيه خبر الاولين والاخرين وحكم المختلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين فهذه ستة اوجه
يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعوا القرآن فليس اختصاص احدها بان يكون معجزا باولى من غيره
فيكون الاعجاز بجميعها وقد قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن
لا ياتون بمثله فلم يقدر احد ان ياتي بمثل القرآن فمن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابعد على نظمه وتاليفه
وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشياء التي دلت على البعث والبيانة والانباء بما كان
ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وصلة الارحام الى غير ذلك
فكيف يقدر على ذلك احد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء الفهماء في
قريش وغيرها وهو صلى الله عليه وسلم في مدة ما عرفوه قبل نبوته واداء رسالته اربعين سنة لا يحسن
نظم كتاب ولا عقد حساب ولا يتعلم سحرا ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى اكرمه الله تعالى
بالوحي المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاججهم به قال الله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا ادريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون وشهد له في كتابه بذلك فقال تعالى و
ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون واما ما عدا القرآن
من معجزاته عليه الصلوة كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد
فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحد ومجموع ذلك يفيد القطع بانه
ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي
وان كانت افراد ذلك ظنية وردت مورد الاحاد مع ان كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه
العدد الكثير منه القطع عند اهل العلم بالاثار والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم
الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك فلو ادعى مدع ان غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق النظر
لما كان مستبعدا وذلك لانه لا مرية ان رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار في الجملة
ولا يحفظ عن احد من الصحابة مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا الانكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت
منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ من الاغضاء على الباطل وعلى تقدير ان يوجد من بعضهم انكار او طعن
على بعض من روى شيئا من ذلك فانما هو من جهة توقف في صدق الراوي او تهمته بكذب او توقف في
ضبطه او نسبه الى سوء الحفظ او جواز الغلط ان يوجد احد منهم طعن في المروي كما وجد منهم في
غير هذا الفن من الاحكام وحروف القرآن وغير ذلك والله اعلم ولنا اذا تاملت معجزاته
وباهر اياته وكرامته عليه الصلوة والسلام وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق
والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر
والعاجل والاجل الى غير ذلك مما لو تتبعنا لطال كالرمي بالشهب ومنع الشياطين من استراق
السمع في الغائب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتها له بالرسالة بين يديه ومخاطبتها له بالسيادة

وحنين

وحنين الجذع ونبع الماء من كفه في الميضاة والتور والمزادة وانشقاق القمر ورد العين من العور ونطق
الضب والذئب والجمل وكالنور المتوارث من ادم الى جبهة ابيه من الاولاد وما سوى ذلك من المعجزات التي تناولتها
الجملة ونقلتها عن السنة الاولى النقلة مما لو تكلفنا انفسنا في حصر امثاله لما قدرنا في ذكرها ولو بالغ الاولون
والاخرون في احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم به من مواهبه ولكان المتكلم
باحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها ولقد صح لمحبيه ان ينشدوا فيه وعلى تفنن واصفيه
لحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف وانه الخليق بمن ينشد فما بلغت كف امرئ متناولا من
المجد الا والذي نال اطول ولا بلغ المهدون في القول مدحة ولو حذقوا الا الذي فيه افضل
ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا فلقد كفى وشفا بقوله ما شئت قل فيه فانت مصدق
فالحب يقضي والمحاسن تشهد ولقد ابدع الامام الاديب شرف الدين الابوصيري حيث قال دع
ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم وانسب الى ذاته ما شئت من شرف
وانسب الى قدره ما شئت من عظم فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
يعني ان المداح وان انتهوا الى اقصى الغايات والنهايات لا يصلون الى شأوه اذ لا حد له ويحكى انه
رأى الشيخ عمر بن الفارض السعدي في النوم فقيل له لم ما مدحت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارى كل
مادح في النبي مقصرا وان بالغ المثني عليه واكثرا اذا الله اثنى بالذي هو اهله عليه فما مقدار
ما يمدح الورى قال الشيخ بدر الدين الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابي تمام والبحتري
وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم ولان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعاني دون
مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير فيضيق على البليغ مجال النظم وعند التحقيق
اذا اعتبرت جميع الامداح التي فيها غلو بالنسبة الى ما زينت له وجدتها صادقة في حق النبي صلى
الله عليه وسلم حتى كان الشعراء على صفاته عليه الصلوة والسلام كانوا يعمدون الى الامداح بعضها
وقد اشار الابوصيري بقوله دع ما ادعته النصارى الى ما اطرق النصارى به عيسى ابن مريم من
الحادية اليها قال النيسابوري انهم صحفوا في الانجيل عيسى نبيي وانا ولدته فحرفوا الاول بتقديم
الموحدة وخففوا اللام في الثاني فلعنة على الكافرين فان قلت هل ادعى احد في نبينا صلى الله
عليه وسلم ما ادعي في عيسى عليه السلام اجيب بانهم قد كادوا ان يفعلوا ذلك حين قالوا له عليه
الصلوة والسلام افلا نسجد لك فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد
لزوجها فنهاهم عما يبلغ بهم الى العبادة وقد جاء في صفته في حديث ابن ابي هالة ولا يقبل
الثناء الا من مكافئ اي مقارب من مدحه غير مفرط به وقال ابن قتيبة معناه الا ان يكون ممن له
عليه الصلوة والسلام عليه منة فيكافئ فيه الاخر وغلطه ابن الانباري بانه لا ينفك احد من انعام
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى بعثه رحمة للعالمين فالثناء عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام
الا به قال وانما المعنى لا يقبل الثناء الا من رجل عرف حقيقة اسلامه [illegible]

الى العبادة

وكراماته كما نبه عليه القطب القسطلاني ترجع الى ثلثة اقسام ماض وجد قبل كونه فتقضى بوجوده ومستقبل وقع
بعد سواء اتر في لحده وكان معه من حين حمله ووضعه الى ان نقله الله تعالى الى محل فضله ومواطن جمعه
فاما القسم الاول الماضي فهو ما كان قبل ظهوره الى هذا الوجود فقد ذكرت منه جملة في المقصد الاول
كقصة الفيل وغير ذلك مما هو تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته . قال الامام الرازي ومذهبنا انه يجوز تقديم
المعجزة تاسيسا وارهاصا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله في سفره قبل النبوة خلافا للمعتزلة القائلين
بانه لا يجوز ان تكون المعجزة قبل الارسال انتهى . وقد تقدم اول هذا المقصد ان الذي عليه جمهور ائمة
الاصول وغيرهم ان هذا ونحوه متقدم على الدعوى لا يسمى معجزة بل تاسيسا للرسالة وكرامة للرسول عليه
الصلوة والسلام . واما القسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ في كل حين
يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كالاستغاثة به وغير
ذلك مما سيأتي ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير في اثناء الكلام على زيارة قبره المنبر .
واما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى وفاته فكالنور الذي خرج معه حتى اضاء له
قصور الشام واسواقها حتى رؤيت اعناق الابل ببصرى ومسح الطائر على فؤاده حتى لم يجد الماء لولادته
والطواغيت في الافاق الى غير ذلك وكانشقاق القمر عند اقتراحهم عليه وانضمام الشجرتين لما دعاهما اليه و
كاطعام الجيش الكثير من الزاد اليسير في غير موضع واشباع الجائع وغير ذلك مما امده الله تعالى
من المعجزات واكرمه الله تعالى به من خوارق العادات تاييدا لاقامة حجته وتمهيدا لهداية محجته وتاييدا
لسيادته في كلامه وتنبيها لمن ادكر بعدية ما يتبعه مما يخرج عن مقصد الاقتصار اذ هو باب فسيح المجال
منيع المنال لكني انبه من ذلك على نبذة يسيرة وانوه في اثنائها بجملة خطيرة . فاقول
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب . اما معجزة انشقاق القمر فقد قال الله سبحانه وتعالى
في كتابه العزيز اقتربت الساعة وانشق القمر الاية والمراد وقوع انشقاقه ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك
وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فان ذلك ظاهر في ان المراد بقوله انشق وقوع انشقاقه لان الكفار
لا يقولون ذلك يوم القيامة . واذا تبين ان قوله ذلك انما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق وانه المراد بالاية
التي زعموا انها سحر . وسيأتي ذلك صريحا في حديث ابن مسعود وغيره . واعلم ان القمر لم ينشق لاحد
غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزاته عليه الصلوة والسلام . وقد اجمع المفسرون واهل السنة
على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه اية تدل على
صدقه في دعواه فاعطاه الله تعالى هذه الاية العظيمة التي لا قدرة لبشر على اتخاذها دالة على صدقه
عليه الصلوة والسلام في دعواه الوحدانية لله تعالى وتقدس وانه منفرد بالربوبية وان هذه الالهة
التي تعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر وان العبادة انما تكون له وحده لا شريك له . قال الخطابي
انشقاق القمر اية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من ايات الانبياء وذلك انه ظهر في ملكوت السموات
خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذ

صار

مطلب انشقاق القمر

نجاح سعيد

انوه الغنم

صار البرهان به اظهر . انتهى . وقال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر
جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى ان انتهى
الينا وتايد بالاية الكريمة . انتهى . وقال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي
ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث شعبة
عن سليمان عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق اخر شتى بحيث لا يمترى في تواتره
انتهى . وقد جاءت احاديث الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم انس وابن مسعود
وابن عباس وعلي وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم . فاما انس وابن عباس فلم يحضرا ذلك
لانه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين وكان ابن عباس اذ ذاك لم يولد . واما انس فكان ابن اربع
او خمس بالمدينة . واما غيرهما فيمكن ان يكون شاهد ذلك . وفي الصحيحين من حديث انس رضي الله عنه
ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا
حراء بينهما . وقوله شقتين بكسر الشين المعجمة اي نصفين . ومن حديث ابن مسعود قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا . وفي الترمذي من حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل
وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا . وعند الامام احمد من حديث
جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل
وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم
وعن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر
ابن ابي كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال
فجاء السفار فاخبروهم بذلك . رواه ابو داود والطيالسي . ورواه البيهقي بلفظ انشق القمر بمكة
فقالوا سحركم ابن ابي كبشة فسلوا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وان لم يكونوا رأوا مثل ما رأيتم
فهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجهة فقالوا رأيناه . وعند ابي نعيم في الدلائل من وجه ضعيف
عن ابن عباس قال لما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن
هشام والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان
كنت صادقا فشق القمر فرقتين فسأل ربه فانشق . وعند البخاري مختصرا من حديث ابن عباس بلفظ ان
القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وابن عباس وان كان لم يشاهد القصة كما قدمته ففي بعض
طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود . وعند مسلم من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فاراهم انشقاق القمر
مرتين . وكذا في مصنف عبد الرزاق عن معمر بلفظ مرتين ايضا . واتفق الشيخان عليه من رواية شعبة
بلفظ فرقتين كما في حديث جبير عند احمد . وفي حديث ابن عمر فلقتين بالفاء كما قدمته . وفي لفظ في

جُبَيْر فانشق باثنتين • وفي رواية عن ابن عباس فصار قمرين • ووقع في نظم السيرة للحافظ ابي الفضل العراقي وانشق مرتين بالإجماع • قال الحافظ ابن حجر واظن قوله بالاجماع يتعلق بانشق لا بمرتين فاني لا اعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله عليه وسلم • ولعل قائل مرتين اراد فرقتين وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات • وقد وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود ونحن بمنى وهذا لا يعارض قول انس ان ذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلوة والسلام كان ليلتئذ بمكة فالمراد ان الانشقاق وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة • والله اعلم • وقد انكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة جمهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوه في فتح ابواب السماء ليلة الاسراء الى غير ذلك • وجواب هؤلاء ان كانوا كفارا ان يناظروا اولا على ثبوت دين الاسلام فاذا تمت اشتركوا مع غيرهم ممن انكر ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض ولا سبيل له الى انكار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في يوم القيمة واذا ثبت هذا استلزم الجواز ووقوعه معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم • وقد اجاب القدماء عن ذلك فقال ابو اسحق الزجاج في معاني القرآن انكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر ولا انكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم البعث ويفنيه • انتهى • واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة لانه امر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك اصل لخلد في كتب التسيير والتنجيم اذ لا يجوز اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شانه ووضوح امره • اجاب عنه الخطابي وغيره بان هذه القصة خرجت عن الامور التي ذكروها لانه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له في النهار ومن شان الليل ان يكون الناس فيه نياما ومستكنين في الابنية والبارز منهم بالصحراء اذا كان يقظانا يحتمل انه يتفق انه كان في ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه من سمر او غيره • ومن المستبعد ان يقصدوا الى مراكز القمر ناظرين اليه لا يغفلون عنه فقد يجوز انه وقع ولم يشعر به اكثر الناس وانما راه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه • ولعل ذلك انما كان قدر اللحظة التي هي مدرك البصر • وقد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم • وكما يجد الكسوف اهل بلد دون اهل بلد اخر • وقد ابدى الخطابي حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه كالقرآن بما حاصله ان معجزة كل نبي كانت اذا وقعت عامة اعقبت هلاك من كذب بها من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث منهم لما اوتوه من فضل العقول وزيادة الافهام ولو كان ادراكها عاما لعوجل من كذب بها كما عوجل من قبلهم • انتهى • وكذا اجاب ابو عبد الله بن مجوم

تنبيه

ما ذكره بعض القصاص ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له اصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد

ابن كثير

ابن كثير • واما رد الشمس له صلى الله عليه وسلم فروي عن اسماء بنت عميس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر • رواه الطحاوي في مشكل الحديث كما حكاه القاضي عياض في الشفا وقال قال الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة • انتهى • قال بعضهم هذا الحديث ليس بصحيح وان اوهم تخريج القاضي عياض في الشفا عن الطحاوي من طريقين فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع بلا شك • وفي سنده احمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني • وكان ابن حبان يقول كان يضع الحديث • قال ابن الجوزي وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره وهذا حديث باطل • قال ومن تغفيل واضعه انه نظر الى صورة فضيلة ولم يتلمح عدم الفائدة فيها وان صلوة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها اداء انتهى • وقد افرد ابن تيمية تصنيفا مفردا في الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله انه موضوع • والعجب من القاضي مع جلالة قدره وعلو خطره في علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله • انتهى • وقال شيخنا قال احمد لا اصل له وتبعه ابن الجوزي فاورده في الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض واخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه • انتهى • ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب عن اسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع صلى الله عليه وسلم راسه في حجر علي رضي الله عنه فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال عليه الصلوة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت اسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضا وصلى العصر ثم غابت • وذلك بالصهباء • وفي لفظ اخر كان عليه الصلوة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فانزل عليه يوما وهو في حجر علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرايت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر • قال وروى الطبراني ايضا في معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الشمس فتاخرت ساعة من نهار • وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق مما ذكره القاضي عياض لما اسري بالنبي واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس انتهى • وهذا يعارضه في الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع

ابن نون يعني حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل
السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم • قال الحافظ ابن كثير فيه أن
هذا كان من خصائص يوشع فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه أن الشمس رجعت حتى صلى علي بن أبي
طالب وقد صححه أحمد بن صالح المصري ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح والحسان وهو مما يتوفر الدواعي
على نقله • وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها • انتهى • ويحتمل الجمع بأن المعنى
لم تحبس على أحد من الأنبياء غيري إلا ليوشع • والله أعلم • وكذا روي حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم
أيضا يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر فيكون حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم وليوشع كما ذكره
القاضي عياض في الإكمال وعزاه لمشكل الآثار • ونقله النووي في شرح مسلم في باب حل الغنائم عن عياض •
وكذا الحافظ ابن حجر في باب الأذان من تخريج أحاديث الرافعي ومغلطاي في الزهر الباسم وأقروه • وتعقب بأن
الثابت في الصحيح وغيره أنه صلى الله عليه وسلم صلى العصر في وقعة الخندق بعدما غربت الشمس كما سبق في غزوتها
وذكر البغوي في تفسيره أنها حبست لسليمان عليه السلام أيضا لقوله ردوها علي • ونوزع فيه بعدم ذكر
الشمس في الآية فالمراد الصافنات الجياد • والله أعلم • قال القاضي عياض واختلف في حبس الشمس المذكور
هنا فقيل ردت على أدراجها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء تحركها • وقال وكل ذلك من معجزات النبوة

وأما ما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت
به الأخبار • فمنها تسبيح الطعام والحصا في كفه الشريف صلى الله عليه وسلم • خرج محمد بن يحيى الذهلي
في الزهريات قال أخبرنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من
بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة عن أبي ذر قال هجرت يوما من الأيام فإذا النبي صلى الله
عليه وسلم قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرني ببيت عائشة فأتيته وهو جالس ليس عنده
أحد من الناس وكأني حينئذ أرى أنه في وحي فسلمت عليه فرد السلام ثم قال لي ما جاء بك قلت الله ورسوله
فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر يمشي
مسرعا فسلم فرد السلام ثم قال ما جاء بك قال جاء بي الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلس إلى
ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك وجلس إلى جنب أبي بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض
فخرسن وصرن حصا ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض
فخرسن ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن
وقال الحافظ ابن حجر وقد اشتهر على الألسنة تسبيح الحصا ففي حديث أبي ذر قال تناول النبي صلى الله عليه
وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر

فسبحن

فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن • أخرجه البزار والطبراني في الأوسط • وفي رواية الطبراني
فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا • قال البيهقي في الدلائل
كذا رواه صالح بن الأخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر والمحفوظ
ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال ذكر سويد أن رجلا من بني سليم كان كبير السن • انتهى •
وليس لحديث تسبيح الحصا إلا هذه الطريق مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس • وما أحسن
قول سيدي محمد وفا • لسبحة ذاك الوجه قد سبح الحصا • ومن سبح سبحا بالكف قد سبح الرعد
وقول الآخر • يا حبذا لو لمست كفا • قد سبحت وسطها الحصاة • وقد أخرج البخاري
من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام • وعن جعفر بن
محمد رضي الله عنهما عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي
صلى الله عليه وسلم فسبح • رواه القاضي عياض في الشفاء • ونقله عنه الحافظ أبو الفضل في فتح الباري
واعلم أن التسبيح من قبيل الألفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ حقيقة من تمام اللفظ فيكون في غيره من تمام
به مجازا • فالطعام والحصا والشجر ونحو ذلك كل منها متكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة • وهذا من قبيل
خرق العادة • وفي قوله ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته
صلى الله عليه وسلم •

ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم

خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن
وقد اختلف في هذا الحجر فقيل الحجر الأسود وقيل حجر غيره بزقاق يعرف بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون
إنه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به • وقد ذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن رشيد
في رحلته مما ذكره في شفاء الغرام عن نجم الدين أحمد بن أبي بكر بن خليل قال أخبرني عمي سليمان قال أخبرني
محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف قال أخبرني أبو حفص الميانشي قال أخبرني كل من لقيته بمكة أن هذا الحجر يعني المذكور
هو كلم النبي صلى الله عليه وسلم • وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب قال كنت
أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر إلا قال السلام عليك
يا رسول الله • وعن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر
ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله • رواه البزار وأبو نعيم • وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له

ومن ذلك تأمين أسكفة الباب
وحوائط البيت على دعائه عليه الصلاة والسلام

عن أبي أسيد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للعباس بن عبد المطلب يا أبا الفضل لا ترم منزلك أنت وبنوك غدا حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة فانتظروه
حتى جاء بعدما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير نحمد الله فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم إلى بعض حتى إذا أمكنوه
اشتمل عليهم بملاءته فقال يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم

نسخة بها نور • سبح صب وسيلاه
سبحت جمع سبحة • ارزار ... للمسبحة
... الذي تضمه السبحة

بلا عن هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين ● رواه البيهقي في الدلائل
وابن ماجه مختصرا ● ومن ذلك كلام الجبال وكلام الجبل له صلى الله عليه وسلم عن انس قال
صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اثبت
أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ● رواه احمد والبخاري وابو حاتم والترمذي ● ثم قال ابن المنير
قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة
الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك الرجفة رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص على مقام النبوة
والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر ● انتهى ●
واحد جبل بالمدينة وهو الذي قال فيه أحد يحبنا ونحبه ● رواه البخاري ومسلم ● واختلف في المراد
بذلك فقيل اراد به أهل المدينة كما قال واسأل القرية اي اهلها قاله الخطابي ● وقال البغوي فيما حكاه
المحب الطبري الاولى اجراؤه على ظاهره ● ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء واهل الطاعة
كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى ان سكنها ● وكما اخبر ان حجرا كان
يسلم عليه قبل الوحي فلا ينكر ان يكون جبل احد وجميع اجزاء المدينة تحبه وتحن الى لقائه حال مفارقته
اياها انتهى ● قال الحافظ المنذري وهذا الذي قاله البغوي جيد ● وعن ثمامة عن عثمان بن عفان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته
بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ● خرجه النسائي والترمذي
والدارقطني ● والحضيض القرار من الارض عند منقطع الجبل ● وركضه برجله اي ضربه بها ● وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبي او صديق او شهيد ● وفي رواية وسعد بن ابي وقاص
ولم يذكر عليا ● خرجه مسلم ● وانفرد بذلك ● وخرجه الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان
عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال اثبت حراء ● وكذا رواه الخلعي بسنده بنحوه ولم ابا عبيدة بن الجراح و
رواه ايضا الحافظ ابو اسحق العلدي فيما رواه الكبار عن الصغار والآباء عن الابناء ● وهو ذو القبائل
وما احرى انه فرحا به ● فلولا انه قال له اسكن تضعضع وتقضقض ● وحراء وثبير جبلان متقابلان معروفان
بمكة واختلاف الروايات محمول على انها قضايا تكررت ● قاله الطبري وغيره ● لكن صحح الحافظ ابن حجر ان احد
او حراء بالشك ● وقد اخرجه احمد من حديث بريدة بلفظ حراء واسناده صحيح ● واخرجه ابو يعلى من حديث
سهل بن سعد بلفظ احد واسناده صحيح فقوي احتمال تعدد القصة ● واخرج مسلم من حديث ابي هريرة
ما يؤيد تعدد القصة فذكر انه كان على حراء ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم ولما طلبته
عليه السلام قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال
له حراء الي يا رسول الله ● رواه في الشفا ● وهو حديث مروي في الهجرة من السيرة ● وحراء مقابل ثبير و
الوادي بينهما وهما على يسار السالك الى منى وحراء قبلي ثبير مما يلي شمال الشمس ● وهذه الواقعة

غير واقعة ثور في خبر الهجرة وهو الظاهر والله سبحانه اعلم ● وقال السهيلي في حديث الهجرة وحسب
في الحديث ان ثورا ناداه ايضا لما قال له ثبير اهبط عني ● ومن ذلك كلام الشجر له و
سلامها عليه وطواعيتها له وشهادتها له بالرسالة صلى الله عليه وسلم ● اخرج البزار وابو نعيم من حديث
عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
وخرج الامام احمد عن ابي سفيان طلحة بن نافع قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس
حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض اهل مكة فقال له ما لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي هؤلاء
وفعلوا فقال له جبريل اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة
فدعاها قال فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها حتى ترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي ● ورواه الدارمي من حديث ابن عن علي قال كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله
رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ● وخرج الحاكم في مستدركه باسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تريد قال الى
اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
قال هل من شاهد على ما تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على شاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت
ثم رجعت الى منبتها الحديث ● ورواه الدارمي بنحوه ● وقوله تخد الارض بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال
المهملة اي تشق الارض ● وعن بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها مغبرة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها حتى
فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك
قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها ● رواه البزار ● وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بما اعرف انك نبي الله قال ان دعوت هذا
العذق من هذه النخلة يشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى
سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي ● رواه الترمذي وصححه ● وفي حديث
يعلى بن مرة الثقفي فسرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته
ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هي شجرة استأذنت ربها في ان تسلم
علي فاذن لها الحديث ● رواه البغوي في شرح السنة ● وفي حديث جابر بن عبد الله قال سرنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى

عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادى على باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير
المخشوش الذي يصانع قائده ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي
باذن الله تعالى فالتأمتا الحديث رواه مسلم والمنصف بفتح الميم الموضع الوسط بين الموضعين واللام
الاجتماع وقد ذكره الابوصيري حيث قال جاءت لدعوته الاشجار ساجدة تمشي اليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطرا لما كتبت فروعها من بديع الخط في اللقم فشبه اثار مشي الشجرة لما جاءت اليه
صلى الله عليه وسلم بكتابة كاتب اوقعها على نسبة معلومة في اسطر منظومة واذا كانت الاشجار تبادر
لامتثال امره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة بين يديه فنحن اولى بالمبادرة لامتثال ما دعانا اليه زاده الله
تعالى شرفا لديه وتامل قول الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك لما راى من سجود الشجرة فرأى انه احرى بذلك
حتى اعلمه عليه الصلاة والسلام ان ذلك لا يكون الا لله تعالى فحق على كل مؤمن ان يلازم السجود للحق المعبود
ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم كما قامت الشجرة ومن ذلك حنين الجذع شوقا اليه
صلى الله عليه وسلم اعلم ان الحنين مصدر مضاف الى الفاعل وهو شوقه وانعطافه الى النبي صلى الله
عليه وسلم والذي في الاحاديث المسوقة هنا صوت ولعل المراد منه الدلالة على الشوق اى الصوت الدال على
شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع
عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك قال العلامة التاج بن السبكي في شرحه لمختصر
ابن الحاجب والصحيح عندي ان حنين الجذع متواتر رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر ورواه احمد من رواية
ابي جناب عن ابيه عن ابن عمر ورواه ابن ماجه وابو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن انس
واسناده على شرط مسلم ورواه الترمذي وصححه وابو يعلى وابن خزيمة والطبراني وصححه وقال على شرط مسلم
يلزمه اخراجه من رواية اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس ورواه الطبراني من رواية الحسن عن انس ورواه احمد
وابن منيع والطبراني وغيرهم من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن ابي عمار عن ابن عباس ورواه احمد والدارمي
وابو يعلى وابن ماجه وغيرهم من رواية الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه ورواه الدارمي من رواية ابي حازم
عن سهل بن سعد ورواه ابو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز بن ابي رواد عن نافع عن تميم الداري ثم قال
ولست ادعي ان التواتر حاصل بما عددت من الطرق بل من طرق اخرى كثيرة يجدها المحدث في المسانيد
والاجزاء وغيرها وانما ذكرت في المشاهد منها او بعضها ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند اخرين انتهى
وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند
من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك والله سبحانه اعلم انتهى وقال البيهقي قصة
حنين الجذع من الامور الظاهرة حملها الخلف عن السلف انتهى وهذه الاية من اكبر الايات والمعجزات
الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم قال الشافعي فيما نقله ابن ابي حاتم عنه في مناقبه ما اعطى الله تعالى
نبيا ما اعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقيل اعطى عيسى احياء الموتى فقال اعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته
فهذا اكبر من ذلك وقال القاضي عياض حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر اخرجه اهل الصحيح

ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة
انتهى اما حديث ابي فرواه الشافعي من حديث الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي الى جذع اذ كان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من اصحابه هل لك
ان يجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة وتسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث درجات هي
التي على المنبر فلما صنع ووضعه صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه وكان اذا بدا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يخطب عليه تجاوز الجذع الذي كان يخطب اليه خار حتى تصدع وانشق فنزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر الحديث واما حديث جابر
فرواه البخاري من طرق وفي لفظ له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة او
نخلة فقالت امرأة من الانصار او رجل من الانصار الا نجعل لك منبرا قال ان شئتم فجعلوا له منبرا
فلما كان يوم الجمعة رفع الى المنبر فصاحت النخلة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمها اليه
تئن انين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفي لفظ
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم
الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وهو بكسر العين النوق الحوامل
وفي حديث ابي الزبير عن جابر عند النسائي في الكبرى اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج انتهى
والخلوج بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الخفيفة واخره جيم الناقة التي انتزع منها ولدها والحنين هو
صوت المتألم المشتاق عند الفراق وانما يشتاق الى بركة الرسول ويأسف على مفارقته اعقل
العقلاء والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة وهذا يدل على ان الله عز وجل خلق فيه الحياة
والعقل والشوق ولهذا حن وان فان قيل مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري ان الاصوات لا يشترط
خلقها في محل خلق الحياة والعقل اجيب بانه كذلك ونحن لم نجعل الحياة لازما الا ان الشوق الى الحياة
شوقا معنويا عقليا لا طبيعيا بهيميا ومذهب الشيخ ابي الحسن ان الذكر المعهود والكلام النفسي
يستلزمان الحياة استلزام الكلام لها وقد بينا ان هذه المعاني وجدت في الجذع واطلق الحاضرون
على صوته انه حنين ونحوه انه شوق الى الذكر والى مقام الحبيب وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم
هذه المعاملة فالتزمه كما يلتزم الغائب اهله واحبته يبرد غليل شوقهم اليه واسفهم عليه ولله
در القائل وحن اليه الجذع شوقا ورقة ورجع صوتا كالعشار مرددا فبادره ضما فقر لقربه
لكل امرئ من دهره ما تعودا واما حديث انس فرواه ابو يعلى الموصلي بلفظ ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس فجاءه رومي فقال الا
اصنع لك شيئا تقعد عليه كانك قائم فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد رسول الله
على المنبر خار الجذع كخوار الثور ارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل اليه رسول الله

اى صاح كخوار العجل

صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به صلى الله عليه وسلم فدفن • ورواه الترمذي وقال صحيح غريب • وكذا رواه ابن ماجه والامام احمد من طريق الحسن عن انس ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا اراد ان يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة الى المنبر • قال فاخبرني انس بن مالك انه سمع الخشبة تحن حنين الواله فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى اليها فاحتضنها فسكنت • ورواه ابو القاسم البغوي وزاد فيه فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه • ومن در القائل • والقى حتى في الجماد محبة • فكانت لاهداء السلام له تهدى • وفارق جذعا كان يخطب عنده • فأن انين الام اذ تجد الفقدا • يحن اليه الجذع يا قوم هكذا • اما نحن اولى ان نحن له وجدا • اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة • فليس وفاء ان نطيق له بعدا • واما حديث سهل بن سعد ففي الصحيحين من طرق • واما حديث ابن عباس فعند الامام احمد باسناد على شرط مسلم ورواه ابن ماجه • واما حديث ابن عمر ففي البخاري • واما حديث ابي سعيد الخدري فعند عبد بن حميد • واما حديث عائشة فعند البيهقي وفي آخره ان خير الجذع بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة • واما حديث بريدة فعند الدارمي • وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت • ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء • واما حديث ابي فعند ابي نعيم في الدلائل • والقصة واحدة وما في الفاظها مما ظاهره التغاير هو من الرواة وعند التحقيق ترجع الى معنى واحد فلا نطيل بذكر ذلك والله اعلم

واما كلام الحيوان وطاعتها له صلى الله عليه وسلم • فمنها سجود الجمل وشكواه اليه صلى الله عليه وسلم • عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال كان اهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الانصار جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس علي منه باس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل فقال له اصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد

لو صلح لبشر ان يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها • رواه احمد والنسائي والحائط هو البستان • وقوله نسني عليه اي نستقي عليه • وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي بينا نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من امره فانه شكى كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه • رواه البغوي في شرح السنة • والجران بكسر الجيم قال ابن فارس مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره وروى الامام احمد قصة اخرى نحو ما تقدم من حديث جابر باسناد ضعيف والبيهقي باسناد جيد • وكذا روى الطبراني قصة اخرى عن عكرمة عن ابن عباس لكن باسناد ضعيف • وللامام احمد ايضا من حديث يعلى بن مرة • واخرج ابن شاهين في الدلائل عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الي حديثا لا احدث به احدا من الناس • قال وكان احب ما استتر به النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف او حائش نخل • فدخل حائطا لرجل من الانصار فاذا جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه • وفي رواية فسكن ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لي يا رسول الله فقال الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الي انك تجيعه وتدئبه • قال في المصابيح وهو حديث صحيح • قال ورواه ابو داود عن موسى ابن اسمعيل عن مهدي بن ميمون • والحائش بالحاء المهملة وبالشين المعجمة ممدودا هو جماعة النخل لا واحد له من لفظه • وقوله ذفراه تثنية ذفرى بكسر الذال المعجمة مقصور وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند اذنه • ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم • عن انس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا للانصار ومعه ابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر يا رسول الله نحن احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد • رواه ابو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتاب دلائل النبوة باسناد ضعيف • وذكر القاضي عياض في الشفا وذكر ايضا عن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها • ومنها قصة كلام الذئب وشهادته له صلى الله عليه وسلم • قد جاء حديث قصة الذئب في عدة طرق من حديث ابي هريرة وانس وابن عمر وابي سعيد الخدري فاما حديث ابي سعيد فرواه الامام احمد باسناد جيد • ولفظه قال عدا الذئب على شاة فاخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فاقعى الذئب على ذنبه وقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فقال يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها الى زاوية من زواياها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعي

أنجاز بهم فأخبرهم • وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو سعيد الماليني والبيهقي • وأما حديث ابن
فأخرجه أبو نعيم في الدلائل • وأما حديث حمزة بن فرواه سعيد بن منصور في سننه قال جاء
الذئب فأقعى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئا قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم
حجرا ورماه به فأدبر الذئب وله عواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب • وروى البغوي
في شرح السنة وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح عن أبي هريرة أيضا قال جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة
فطلبه الراعي فانتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فأقعى واستثفر وقال عمدت إلى رزق رزقنيه الله
أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل تالله إن رأيت كاليوم ذئبا يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل في النخلات
بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم قال وكان الرجل يهوديا فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبره وأسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم إنها أمارات بين يدي الساعة
قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده • واستثفر بالمثلثة
والمثناة ثم المثلثة والفاء آخره راء كاستفعل أي جعل ذنبه بين رجليه كما يفعل الكلب • قال
القاضي عياض وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب مني واقفا على غنمك وتركت
نبيا لم يبعث الله قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون
قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله • قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها
حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها • وقد روي أن
وهب بن شعيب جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجدا ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف
الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال
أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا يعني الخالية أي فاسدة متغيرة يتبع شيئا
والتغير في أهلها • ومن ذلك الحمار أخرج ابن عساكر وأبو نعيم عن ابن منظور قال لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لا يركبهم إلا نبي وقد
كنت أتوقعك أن تركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك قد كنت قبلك لرجل يهودي
كنت أتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد سميتك يعفورا فكان صلى الله
عليه وسلم يبعثه إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب
رسول الله فلما قبض صلى الله عليه وسلم جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم • ورواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن الحديث مطعون فيه • وذكره ابن الجوزي
في الموضوعات • وفي معجزاته عليه الصلاة والسلام ما هو أعظم من كلام الحمار • ومن ذلك حديث الضب

وهو مشهور على الألسنة • ورواه البيهقي في أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح
إسنادا ولا متنا • وذكره القاضي عياض في الشفا • وقد روي من حديث عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه
ويأكله فلما رأى الجماعة قال من هذا قالوا نبي الله فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو
يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في
السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي • الحديث بطوله
وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع • لكن معجزاته عليه السلام فيها ما هو أبلغ من هذا • وليس فيه ما ينكر شرعا
خصوصا وقد رواه الأئمة فنهايته الضعف لا الوضع • والله سبحانه أعلم • ومن ذلك حديث الغزالة
روي حديثها البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الأئمة لكن طرقه يقوي بعضها بعضا • وذكره القاضي عياض
في الشفا • ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة رضي الله عنها
قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء من الأرض إذا هاتف يهتف يا رسول الله قال فالتفت فإذا ظبية
مشدودة في وثاق وأعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب
العشار إن لم أفعل فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الأعرابي وقال
يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجليها
الأرض وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله • وكذا رواه الطبراني بنحوه وساق الحافظ المنذري
حديثها في الترغيب والترهيب في باب الزكاة • ونقل شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير السخاوي عن ابن كثير
أنه لا أصل له وأن من نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب • ثم قال شيخنا لكنه ورد في الجملة في عدة
أحاديث يتقوى بعضها ببعض أوردها شيخ الإسلام ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج أحاديث المختصر
والله سبحانه أعلم • وفي شرح مختصر ابن الحاجب للعلامة ابن السبكي وتسبيح الحصى رواه الطبراني وابن أبي عاصم
من حديث أبي ذر وتسليم الغزالة رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني والبيهقي في دلائل النبوة • ونحن نقول
إنهما إن لم يكونا اليوم متواترين فلعلهما استغني عنهما بنقل غيرهما أو لعلهما تواترا إذ ذاك • انتهى
ومنها أي من الآيات حنين الجذع وهو ما ألقيا من الحيوانات كالعمود والأساطين وغيرهما • وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه
قال كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء ونحب • وذكر القاضي عياض بسنده • وحديث حنين الجذع مشهور متواتر
الظهور بين أصحابه • صلى الله عليه وسلم وهو أشرف الأشياء • فقال الإمام تقي الدين الفرغاني وصح فيه عن
من بين أصحابه فتكررت منه صلى الله عليه وسلم فنزل من المنبر ويشاهده أصحابه • وروي من طرق كثيرة

بيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم
حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه . وقد نقله ابن عبد البر عن المزني انه قال نبع الماء من
بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ابلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا
فتفجرت منه المياه لان خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم انتهى
وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة . منهم انس وجابر وابن مسعود فاما حديث انس
ففي الصحيحين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فامر الناس ان يتوضؤا
منه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم . وفي لفظ للبخاري
كانوا ثمانين رجلا . وفي لفظ له فجعل الماء ينبع من بين اصابعه واطراف اصابعه حتى توضأ القوم
قال فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثلثمائة . وقوله حتى توضؤا من عند آخرهم . قال الكرماني حتى للتدريج
ومن للبيان اي توضأ الناس حتى توضأ الذين هم عند آخرهم وهو كناية عن جميعهم . وعند بمعنى في
لان عند وان كانت للظرفية الخاصة لكن المبالغة تقتضي ان تكون لمطلق الظرفية فكأنه قال الذين
هم في آخرهم . وقال التيمي المعنى توضأ القوم حتى وصلت النوبة الى الآخر . وقال النووي من هنا
بمعنى الى وهي لغة . وتعقبه الكرماني بانها شاذة قال ثم ان الى لا يجوز ان تدخل على عند . ويلزم
على ما قاله التيمي انه لا يدخل الاخير . لكن ما قاله الكرماني من ان الى لا تدخل على عند لا يلزم مثله في من
اذا وقعت بمعنى الى . وعلى توجيه النووي يمكن ان يقال عند زائدة . قاله في فتح الباري . وروى هذا
الحديث ايضا عن انس ابن شاهين ولفظه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال
المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن بشيء فقال هاتوا
صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء قال فرايتها تخلل عيونا بين اصابعه قال فسقينا ابلنا ودوابنا
وتزودنا فقال اكتفيتم فقالوا نعم اكتفينا يا رسول الله فرفع يده فارتفع الماء . واخرج البيهقي عن انس
قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فاتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فادخل يده فلم يسعه القدح فادخل
اصابعه الاربع ولم يستطع ان يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال انس بصر عيني ينبع الماء من بين اصابعه فلم يزل
القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا . واما حديث جابر ففي الصحيحين قال عطش
الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه
فقال ما لكم قالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشربه الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا
كنا خمس عشرة مائة . وقوله يفور اي يغلي ويظهر متدفقا . وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث
مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله
وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد

بجفنة

بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه . وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق
اصابعه وصب عليه جابر فقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى . وروى حديث جابر ايضا الامام احمد في مسنده ولفظه اشتكى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه العطش فدعا بعس فصب فيه شيئا من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت ارى العيون تنبع من بين اصابعه . وفي لفظ من حديث نبيط
قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال بسم الله ثم قال اسبغوا الوضوء . قال جابر فوالذي
ابتلاني ببصري لقد رايت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها حتى
توضؤا اجمعون . ورواه ايضا عنه البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فاصابنا عطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوضع يده في تور من ماء بين يديه قال
فجعل الماء ينبع من بين اصابعه كانه العيون قال خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا فكفانا ولو كنا مائة الف
الف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال الفا وخمسمائة . واخرجه ايضا عن جابر احمد من طريق نبيح العنزي
عنه . وفيه فجاء رجل باداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قدح ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح قال فتزاحم الناس على القدح فقال على رسلكم
فوضع كفه في القدح ثم قال اسبغوا الوضوء قال فلقد رايت العيون عيون الماء تخرج من بين اصابعه .
واما حديث ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء
فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه
فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وظاهر هذا ان الماء كان ينبع من بين
اصابعه بالنسبة الى رؤية الرائي وهو في نفس الامر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلى الله عليه
وسلم في الاناء فيراه الرائي نابعا من بين اصابعه . وظاهر كلام القرطبي انه نبع من نفس اللحم الكائن في
الاصابع وبه صرح النووي في شرح مسلم . ويؤيده قول جابر فرايت الماء يخرج من بين اصابعه . وفي رواية
فرايت الماء ينبع من بين اصابعه وهذا هو الصحيح . وكلاهما معجزة له صلى الله عليه وسلم . وانما فعل ذلك
ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء تادبا مع الله سبحانه وتعالى اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات
وايجادها من غير اصل . وروي عن ابن عباس قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء فقال لا والله
ما وجدت الماء قال فهل من شن فاتاه بشن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين فكان ابن مسعود
يشرب وغيره يتوضأ . رواه الدارمي وابو نعيم . وكذا رواه الطبراني وابو نعيم من حديث ابي ليلى الانصاري
وابو نعيم من طريق القاسم بن عبد الرحمن بن رافع عن ابيه عن جده . ومن ذلك تفجير الماء ببركته
وابتعاثه بمسه ودعوته . روى مسلم في صحيحه عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستأتون غدا
ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي فجاء

فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل مسستما من مائها شيئا قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا
حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى
الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا
أي بساتين وعمرانا • وهذا أيضا من معجزاته عليه السلام • ورواه القاضي عياض في الشفا نحوه من
طريق مالك في الموطأ وزاد فقال قال في حديث ابن إسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهم نزلوا بأقصى الحديبية
على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري
حتى صدروا عنه • والثمد بالمثلثة والتحريك الماء القليل • وقوله يتبرضه الناس تبرضا بالضاد
المعجمة أي يأخذونه قليلا قليلا • والبرض الشيء القليل • وقوله فما زال يجيش بفتح المثناة التحتية وكسر الجيم
آخره شين معجمة أي يفور ماؤه ويرتفع • وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ومج في بئر الحديبية
من فمه فجاشت بالماء كذلك • وفي مغازي أبي الأسود عن عروة أنه توضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج
فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه في البئر ودعا الله تعالى ففارت بالماء
حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها فجمع بين الأمرين وكذا روى الواقدي
من طريق أوس بن خولي • وهذه القصة غير القصة السابقة في ذكر نبع الماء من أصابعه صلى الله
عليه السلام مما رواه البخاري في المغازي من حديث جابر عطش الناس بالحديبية وبين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور الحديث فبين القصتين
مغايرة وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع في وقتين • انتهى • فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت
صلاة العصر عند إرادة الوضوء • وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك • ويحتمل أن يكون الماء لما
تفجر من أصابعه ويده في الركوة وتوضأوا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي في الركوة في البئر
فتكاثر الماء فيها • انتهى • وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع مما رواه البخاري في قصة الحديبية وهم
أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جباها قال البراء وأتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فإما دعا وإما
بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم • قال في رواية البراء ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها
ساعة • وقوله جباها بفتح الجيم والموحدة والقصر ما حول البئر وبالكسر ما جمعت فيه من الماء • وقوله
وركابهم أي الإبل التي يسار عليها • وفي الصحيح عن عمران بن الحصين قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم
في سفر فاشتكى إليه الناس من العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه أبو رجاء ونسيه عوف ودعا عليا فقال
اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء فجاءا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي صلى الله عليه وسلم بإناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين وأوكأ
أفواههما وأطلق العزالي ونودي في الناس اسقوا واستقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهي قائمة تنظر إلى
ما يفعل بمائها وايم الله لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملأة منها حين ابتدئ فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها
ووضعوا الثوب بين يديها قال لها تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا ولكن الله هو الذي أسقانا فأتت أهلها
فقالت العجب لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الرجل الذي يقال له الصابئ ففعل كذا وكذا فوالله إنه لأسحر الناس كلهم
أو إنه لرسول الله حقا فقالت لقومها هل لكم في الإسلام • الحديث • وعن أبي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء غدا إن شاء الله تعالى فانطلق الناس لا يلوي أحد
على أحد فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل أي انتصف فمال عن الطريق فوضع رأسه ثم قال
احفظوا علينا صلاتنا فكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره ثم قال اركبوا فركبنا
فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من الماء فتوضأ منها وضوءا قال وبقي شيء
من ماء ثم قال احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ • ثم أذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ركعتين ثم صلى الغداة وركب وركبنا معه فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون
يا رسول الله هلكنا وعطشنا فقال لا هلك عليكم ودعا بالميضأة فجعل يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعد
أن رأى الناس ماء في الميضأة فتكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا الملأ كلكم سيروى
قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم صب فقال لي اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله فقال إن ساقي القوم آخرهم • قال فشربت وشرب
الحديث • رواه مسلم • وعن أنس قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا النبي
صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع
يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل
عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى
وقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم
حوالينا ولا علينا فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة
شهرا ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود • وفي رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام
والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس رواه البخاري ومسلم • والجوبة
بفتح الجيم والموحدة بينهما واو ساكنة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء جوبة أي حتى صار الغيم
والسحاب محيطا بآفاق المدينة • والجود بفتح الجيم وإسكان الواو المطر الواسع الغزير • وعن عبد الله بن عباس
أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا
منزلا أصابنا فيه العطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه

وجعل ما بقي على كبده . فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا قال اتحب
ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر
فلم نجدها تجاوز العسكر . قال الحافظ المنذري اخرجه البيهقي في الدلائل وشيخه ابن بشران ثقة وابن خزيمة
احد الائمة ويونس احتج به مسلم في صحيحه وابن وهب وعمرو بن الحارث ونافع بن جبير احتج بهم البخاري و
مسلم وعتبة فيه مقال انتهى . وقد رواه القاضي عياض في الشفاء مختصرا . وروى ابن اسحق في مغازيه
نحوه وروى صاحب كتاب مصباح الظلام عن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال كنت مع ابن اخي يعني النبي صلى
الله عليه وسلم بذي المجاز فادركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى
عنده شيئا الا الجزع فثنى وركه ثم نزل وقال اعطشت فقلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض فاذا بالماء
فقال اشرب يا عم فشربت . وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر ومن ذلك تكثير الطعام القليل
ببركته ودعائه عن جابر في غزوة الخندق قال فانكفأت الى امرأتي فقلت هل عندك شيء فاني رأيت
بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت
الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة
لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال انت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا
صنع سورا فحيهلا بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء فجاء
فاخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي
من برمتكم ولا تنزلوها وهم الف فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز
كما هو رواه البخاري ومسلم . وقوله فانكفأت اي انقلبت . وقوله داجن يعني سمينة . وقوله فذبحتها بسكون الحاء و
طحنت بسكون التاء يعني ان الذي ذبح هو جابر والتي طحنت هي امرأته سهيلة بنت مسعود الانصارية . وقوله سورا
بضم المهملة وسكون الواو بغير همز قال ابن الاثير اي طعاما يدعو اليه الناس قال والمختصر فارسية وقوله فحيهلا بكم
كلمة استدعاء فيه حث اي هلموا مسرعين . وقوله واقدحي اي اغرفي . وقوله وان برمتنا لتغط بالغين المعجمة والطاء
المهملة اي تغلي ويسمع غطيطها . وعن انس قال قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه
ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه اي ادارت بعض الخمار على رأسي مرتين كالعمامة ثم ارسلتني الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم آرسلك ابو طلحة فقلت نعم قال الطعام فقلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق
فانطلقت بين ايديهم حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم . فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه و
سلم فاقبل رسول الله وابو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز
فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت ام سليم عكة فادمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله

ان يقول

ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ثم لعشرة فاكل القوم كلهم
وشبعوا والقوم سبعون او ثمانون رجلا . رواه البخاري ومسلم . والمراد بالمسجد هنا الموضع الذي اعده
النبي صلى الله عليه وسلم للصلوة فيه حين محاصرة الاحزاب في غزوة الخندق . وفي رواية لمسلم انه قال ائذن
لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فاكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم اكل النبي صلى الله عليه وسلم واهل البيت
وتركوا سؤرا اي بقية وهو بالهمز . وفي رواية البخاري قال ادخل علي عشرة ثم عد اربعين ثم اكل النبي صلى الله
عليه وسلم فجعلت انظر هل نقص منها شيء . وفي رواية يعقوب ادخل علي ثمانية ثمانية فما زال حتى دخل عليه ثمانون
ثم دعاني ودعا امي وابا طلحة فاكلنا حتى شبعنا انتهى . وهذا يدل على تعدد القصة فان اكثر الروايات
فيها انه ادخلهم عشرة عشرة سوى هذه . قال الحافظ ابن حجر قال وظاهره انه عليه السلام دخل منزل ابي
طلحة وحده وصرح بذلك في رواية عبد الرحمن بن ابي ليلى ولفظه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب
فقال لهم اقعدوا ودخل . وفي رواية يعقوب عن انس فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك
وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى . وفي رواية عمرو بن عبد الله عن انس فقال ابو طلحة انما هو قرص
فقال ان الله سيبارك فيه . قال العلماء وانما ادخلهم عشرة عشرة والله اعلم لانها كانت قصعة واحدة
لا يمكن الجماعة الكثيرة ان يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلهم عشرة عشرة ليتناولوا من الاكل
ولا يزدحموا . واما قوله عليه السلام آرسلك ابو طلحة قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال لمن معه
قوموا فظاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم فهم ان ابا طلحة استدعاه الى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا
واول الكلام يقتضي ان ام سليم وابا طلحة ارسلا الخبز مع انس ان يأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فيأكله
فلما وصل انس ورأى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم استحى وظهر له ان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم
ليقوم معه وحده الى المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه . ويحتمل ان يكون ذلك عن رأي من ارسله عهد
اليه اذا رأى كثرة الناس ان يستدعي النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية ان لا يكفي ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ومن
معه وقد عرفوا ايثاره عليه السلام وانه لا يأكل وحده . ووقع في رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة
عن انس عند ابي نعيم واصله عند مسلم فقال ابو طلحة اذهب فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا قام فدعه حتى يتفرق عنه اصحابه ثم اتبعه حتى اذا قام على عتبة بابه فقل له ان ابي يدعوك . وفيه فقال
ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله
سيبارك فيما عندك . وفي رواية مبارك بن فضالة فقال هل من سمن فقال ابو طلحة قد كان في العكة شيء
فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم به القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل
يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يتسع . وفي رواية النضر بن انس فجئت بها ففتح رباطها
ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة . وعرف بهذا المراد بقوله فقال فيها ما شاء الله ان يقول .
وفي رواية انس عند احمد ان ابا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاويا . وعند ابي يعلى من طريق
محمد بن سيرين عن انس ان ابا طلحة بلغه انه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام فاجر نفسه

بصاع من شعير صنع بقيته يوم ذلك ثم جاء به الحديث • وفي رواية عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة عند مسلم وأبي يعلى قال رأى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا يتقلب ظهرا لبطن • وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عند مسلم أيضا عن أنس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت بعض أصحابه فقال من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة فأخبرته فدخل على أم سليم فقال هل من شيء فإني مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا • وعن أبي هريرة قال لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة • رواه مسلم • وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت أمي أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فإذا البيت غاص بأهله قيل لأنس عددكم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم قال لي يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت • رواه البخاري ومسلم • وعن جابر قال إن أم مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما • رواه مسلم • وعنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه والمرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم • رواه مسلم أيضا • والحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة وإعدام الشعير حين كاله أن عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة وتكلف الإحاطة بأسرار حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووي • وعن أبي العلاء عن سمرة بن جندب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده • رواه الترمذي والدارمي • وعنه أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد قال لما كانت تمد إلا من ههنا وأشار إلى السماء

قال من أي شيء تعجب ما كانت

رواه الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه وأبو نعيم • وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير • رواه البخاري • وعن أبي هريرة قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدعو أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع • رواه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم • وعن علي بن أبي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه • رواه في الشفا ومن ذلك إبراء ذوي العاهات وإحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة • روى البيهقي في الدلائل عنه أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا إلى الإسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه إياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا وروى الطبري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها • وكذا روي من حديث عائشة أيضا إحياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به • أورده السهيلي • وكذا الخطيب في السابق واللاحق لكن قال السهيلي أن في إسناده مجاهيل • وقال ابن كثير إنه منكر جدا • وتقدم البحث في ذلك في أوائل المقصد الأول • وعن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا • رواه ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم • وعن النعمان بن بشير قال كان زيد بن خارجة من سروات الأنصار فبينا هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر إذ خر فتوفي فأعلمت به الأنصار فأتوه فاحتملوه إلى بيته فسجوه كساء وبردين وفي البيت نساء من نساء الأنصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله حتى إذا كان بين المغرب والعشاء الآخرة سمعوا صوتا قائلا يقول أنصتوا فنظروا فإذا الصوت من تحت الثياب فحسروا عن وجهه وصدره فإذا القائل يقول على لسانه محمد رسول الله النبي الأمي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته • رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت • وعن سعيد بن المسيب أن رجلا من الأنصار توفي فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله خرجه أبو بكر بن الضحاك • أخرج أبو نعيم أن جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم

الجذعة ما دخل من الإبل في السنة الخامسة وقيل الرابعة ومن المعز ما تم له سنة ومن الضأن ما أتى عليه ثمانية أشهر أو تسعة

الفرق إناء يسع ستة عشر رطلا

العس قدح ضخم يروي الثلاثة والأربعة

فجعة الوداع

يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما منها فانى تعليه لكذا ورجع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة
قد قامت تنفض اذنيها. كذا رواه وتمامه سبحانه وتعالى اعلم. وعن معيقيب اليمامي قال حججت حجة الوداع فدخلت
دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا قال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة رواه البيهقي من حديث معرض
بالضاد المعجمة. وعن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من
انا فقال رسول الله. رواه البيهقي. وعن ابن عباس قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدره فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى. رواه الدارمي. وقوله ثع يعني قاء.
واصيب يوم احد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان لي امرأة احبها واخشى ان رأتني تقذرني فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها و
قال اللهم اكسبه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا. وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى.
وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من انت فقال: انا ابن الذي سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى ايما رد. فعادت كما كانت لاول امرها. فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد. فوصله
عمر واحسن جائزته. قال السهيلي ورواه محمد بن ابي عثمان عن مالك بن انس عن محمد بن عبد الله بن ابي صعصعة
عن ابيه عن ابي سعيد عن اخيه قتادة بن النعمان قال اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي
فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فأعادهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان. قال الدارقطني هذا حديث
غريب عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة. رواه الدارقطني عن ابراهيم الحربي عن عمار بن نصر. واخرج
الطبراني وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
آخرها ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت
عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا.
وفي البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال اين علي بن ابي طالب فقالوا يا رسول الله يشتكي عينيه
قال فارسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به
وجع. وعند الطبراني من حديث علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الي النبي صلى الله عليه وسلم الراية
يوم خيبر. وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلني النبي صلى الله عليه وسلم الى علي فجئت
به اقوده ارمد فبصق في عينيه فبرئ. وعند الحاكم من حديث علي رضي الله عنه قال لما وضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأسي في حجره ثم بصق في راحته ثم دلك بها عيني. وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى يومي هذا. واصيب
سلمة يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط. رواه
البخاري. ونفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان يقع على بيض حية فكان

يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان. رواه ابن ابي شيبة والبغوي والبيهقي
والطبراني وابو نعيم.

الفصل الثاني

فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على سائر الانبياء
من الكرامات والآيات البينات. اعلم نور الله قلبي وقلبك وقدس سري وسرك ان الله تعالى قد
خص نبينا صلى الله عليه وسلم باشياء لم يعطها لنبي قبله وما خص نبي بشيء الا وكان لسيدنا
صلى الله عليه وسلم مثله فانه اوتي جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد. وغيره
من الانبياء صلوات الله عليهم لم يكن نبيا الا في حال نبوته وزمان رسالته. ولما اعطي هذه المنزلة
علمنا انه صلى الله عليه وسلم الممد لكل انسان كامل مبعوث. ويرحم الله الاديب شرف الدين
الابوصيري فلقد احسن حيث قال. وكل آي اتى الرسل الكرام بها. فانما اتصلت من نوره
بهم. فانه شمس فضل هم كواكبها. يظهرن انوارها للناس في الظلم. قال العلامة ابن مرزوق
يعني ان كل معجزة اتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم
وما احسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطي ان نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم
ينقص منه شيء. ولو قال فانما هي من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى منه شيء. وانما كانت
آيات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن للناس في الظلم فالكواكب
ليست مضيئة بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء
قبل وجوده صلى الله عليه وسلم كانوا يظهرون فضله بجميع ما ظهر على ايدي الرسل عليهم السلام
من الانوار فانما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير ان ينقص منه شيء. واول ما ظهر
ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي
لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ثم توالت الخلائف في الارض الى ان وصل الى زمان وجود جسم نبينا صلى الله عليه وسلم الشريف
لاظهار حكم منزلته فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية
لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط
احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي صلى الله عليه وسلم مثلها. وآدم عليه السلام اعطي
ان الله تعالى خلقه بيده. اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره وتولى الله تعالى شرح صدره
بنفسه وخلق فيه الحكمة والايمان وهو الخلق النبوي فتولى من آدم الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي مع ان المقصود كان من خلق آدم خلق نبينا صلى الله عليه وسلم في صلبه
فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة. واما سجود
الملائكة لآدم فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان الملائكة امروا بالسجود لآدم لاجل ان
نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في جبهته. ولله در القائل. تجلى جلال الله في وجه آدم. فصلى
له الاملاك حين توسل. وعن ابي عثمان الواعظ فيما حكاه الحاكم سمعت الامام سهل بن محمد

يقول هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون
على النبي الآية اتم واجمع من تشريف آدم عليه السلام بامر الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز ان يكون الله
سبحانه مع الملائكة في ذلك التشريف فتشريف يصدر عنه ابلغ من تشريف تختص به الملائكة. انتهى
قاله بعضهم واما تعليم آدم اسماء كل شيء فاخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي رافع قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لي امتي في الماء والطين وعلمت الاسماء كلها. وان آدم علم اسماء
العلوم كلها كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد عليه واصل الله صلاته وسلامه عليه بعلم ذواتها
ولله در الابوصيري حيث قال. لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء. ولا ريب
ان المسميات اعلى رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات
والى الاسماء بقوله ذات العلوم والاسماء مقصودة لغيرها فهي دونها فتفضيل العالم بحسب فضل
معلومه. واما ادريس عليه السلام فرفعه الله تعالى مكانا عليا فاعطي سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره. واما نوح عليه السلام فنجاه الله تعالى
ومن معه من الغرق ونجاه من الخسف فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم تهلك امته بعذاب
من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم. واما قول الفخر الرازي في تفسيره اكرمه الله
تعالى نوحا بان امسك سفينته على الماء وفعل محمد صلى الله عليه وسلم اعظم منه روي انه صلى الله عليه
وسلم كان على شط ماء ومعه عكرمة بن ابي جهل فقال ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي في جانب الآخر
فليسبح ولا يغرق فاشار اليه عليه السلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه
فلم اره لغيره والله اعلم بحاله. واما ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود
بردا وسلاما فاعطي صلى الله عليه وسلم نظير ذلك اطفاء نار الحرب عنه عليه السلام وناهيك بنار حطبها
السيوف ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال الله تعالى كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفأها الله. فلم يرادوا ان يطفئوا النور بالنار وابى الجبار الا ان يتم نوره وان يخمد
شرورهم ويخمد لمحمد صلى الله عليه وسلم سروره وظهوره. ويذكر انه عليه السلام مر ليلة المعراج على بحر
النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه كما روي حمايته في بعض الكتب. وروى النسائي ان محمد
ابن حاطب قال كنت طفلا فانصبت القدر علي واحترق جلدي كله فحملني ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتفل عليه السلام في جلدي ومسح بيده على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس
بي. واما ما اعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد اعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم
وزاد بمقام المحبة. وقد روي في حديث الشفاعة ان الخليل ابراهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذك الله
خليلا فاشفع لنا قال انما كنت خليلا من وراء وراء اذهبوا الى غيري الى ان تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله
عليه وسلم فيقول انا لها انا لها. وهذا يدل على ان نبينا عليه السلام كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطا

ولو كان خليلا من وراء وراء لاعتذر كما اعتذر ابراهيم. وفيه تنبيه ظاهر على انه عليه السلام فاز
برؤية الحق سبحانه وكشف له الغطاء حتى رأى الحق بعيني رأسه كما سيأتي المبحث في ذلك ان شاء الله
في المقصد الخامس. والملخص من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم نال درجة الخلة التي اشتهرت لابراهيم
عليه السلام على وجه نطق ابراهيم بان نصيب سيدنا عليه السلام منه الاعلى بمفهوم قوله عن نفسه
انما كنت خليلا من وراء وراء فلم يشفع. ففيه دليل على انه يشفع من كان خليلا لا من وراء وراء بل
مع الكشف والعيان وقرب المكانة من حظيرة القدس لا المكان. وذلك مقام محمد صلى الله عليه وسلم
بالدليل والبرهان. ومما اعطيه ابراهيم عليه السلام انفراده في اهل الارض بعبادة وتوحيده
والانتصاب لكسر الاصنام والقشر اعطي نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها باسرها بمجرد من
اوفى نصرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية احتواء فيها بلا التماس من الفاس
وما عول على المعول ولا عرضة العول ولا ترض من الصول بل قال الحجر ابلا يسير وقل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا. ومما اعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام ولا خفاء
ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل سويداء القلب بل جاء انه يمين الله كما يرغ استلامه كما تستلم
الايمان عند عقد العهود والايمان. وقد اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت
لتجديده ولم يبق الا وضع الحجر تنافسوا على الفخر الفخم والمجد الضخم ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل
فاتفق دخول سيدنا صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا الامين فحكموه في ذلك فامر ببسط ثوب ووضع الحجر
فيه ثم قال ليرفع كل بطن بطرف فرفعوه جميعا ثم اخذه سيدنا صلى الله عليه وسلم فوضعه في موضعه
فادخر الله تعالى ذلك المقام ليكون منقبة له على مدى الايام. واما ما اعطيه موسى عليه السلام
من قلب العصا حية غير ناطقة فاعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقد عرفت قصته و
حكى الامام الرازي في تفسيره وغيره انه لما اراد ابو جهل ان يرميه عليه السلام بالحجر رأى على كتفيه
ثعبانين فانصرف مرعوبا. واما ما اعطيه موسى عليه السلام من اليد البيضاء وكان بياضها
يغشي البصر فاعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل في اصلاب الآباء وبطون
الامهات من لدن آدم الى ان انتقل الى عبد الله ابيه. واعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان
وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا
ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له
العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج. رواه ابو نعيم. واخرج البيهقي وصححه الحاكم عن
انس كان عباد بن بشر واسيد بن حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة
وهي ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فاضاءت لهما عصا احدهما فمشيا في ضوئها
حتى اذا افترقت بهم الطريق اضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد في ضوء عصاه حتى بلغ هديه. واخرج البخاري
في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء

فاضاءت اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعي لتنير. ومما اعطيه موسى
عليه السلام ايضا انفراق البحر له اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر كما مر فموسى عليه السلام
تصرف في عالم الارض وسيدنا صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السماء والفرق بينهما واضح وقال
ابن المنير وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه
كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه يعني
ليلة المعراج قال وهو اعظم من انفلاق البحر لموسى عليهما السلام. ومما اعطي موسى عليه السلام ليلة الاسراء
اجابة دعائه اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى. ومما اعطيه موسى عم
تفجير الماء له من الحجارة اعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ لان
الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم. ويرحم الله القائل. وكل
معجزة للرسل قد سلفت. وافى باعجب منها عند اظهار. فما حنين باعجب من. شكوى البعير ولا
من مشي اشجار. ولا انفجار معين الماء من حجر. اشد من سلسل من كفه جار. ومما اعطيه
موسى عليه السلام الكلام اعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو وايضا
كان مقام المناجاة لنبينا صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلى وسدرة المنتهى والمستوى وحجب
النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى عليه السلام طور سيناء. واما ما اعطيه هرون عم
من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع
الذي لا يجهل ولقد قال له بعض اصحابه ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القرآن بلسان
عربي مبين. وقد كانت فصاحة هرون غايتها في العبرانية. والعربية افصح منها فهل كانت فصاحة
هرون معجزة ام لا قال ابن المنير الظاهر انها لم تكن معجزة ولكن فضيلة ولم يتحد نبي من الانبياء بالفصاحة
الا نبينا صلى الله عليه وسلم لان هذه الخصوصية لا تكون لغير الكتاب العزيز. وهل فصاحته عليه السلام
في جوامع الكلم التي ليست من التلاوة ولكن معدودة من لسنه هل تحدى بها ام لا والظاهر قوله عليه السلام
اوتيت جوامع الكلم انما هو للتحدث بنعمة الله عليه وخصائصه والاخلاق بها باعتبار ما اشتملت عليه
من الاخبار بالمغيبات ونحوها معجزة. ومما اعطيه يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطي
نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله. وستأتي الاشارة الى ذلك ان شاء الله تعالى في مقصد الاسراء. ومن
تامل ما نقلته في صفته عليه السلام تبين له من ذلك التفضيل التفضيل على كل مشهور بالحسن في كل جيل
واما اعطيه يوسف عليه السلام ايضا من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك ثلث منامات. احدها حين
رأى احد عشر كوكبا والشمس والقمر. والثانية منام صاحبي السجن. والثالث منام الملك وقد اعطي نبينا صلى
الله عليه وسلم من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب وسيأتي
منه ان شاء الله تعالى. واما ما اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان اذا مسح الحديد
لان فاعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر بين يديه واورق. ومسح صلى الله عليه وسلم

ام معبد الجرباء فدرت. واما ما اعطيه سليمان عليه السلام من كلام الطير وتسخير الشياطين
والريح والملك الذي لم يعطه احد من بعده فقد اعطي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة. اما كلام الطير و
الوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصا وهو جماد وكلمته ذراع الشاة المسمومة كما تقدم
في غزوة خيبر. وكذلك كلمه الظبي وشكا اليه البعير كما مر. وروي ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على مطلب قصة الطير
رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال ايكم فجع هذا بولده فقال رجل انا فقال اردد ولده. ذكره الرازي. وروى ابو
داود بلفظ كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق في حاجته فرأينا حمرة معها فرخان فاخذنا
فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش اي تدنو من الارض فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فجع هذه بولدها
ردوا ولدها اليها. الحديث. وقصة كلام الذئب مشهورة. واما الريح التي كانت غدوها شهر و
رواحها شهر وتحمله اين اراد من اقطار الارض فقد اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو اسرع
من الريح بل اسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية وتلك مسافة في ذلك سبعة
الاف سنة. وتلك مسافة السموات. واما الى المستوى والى الرفرف فذلك لا يعلمه الا الله تعالى. وايضا الريح
تحمل سليمان لتحمله الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت حتى رأى مشارقها و
مغاربها وفرق بين من يمشي الى الارض وبين من تمشي له الارض. واما ما اعطيه من تسخير الشياطين
فقد روي ان ابا الشياطين ابليس تعرض لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو في الصلوة فامكنه الله منه وربطه
بسارية من سواري المسجد. وحضر ما اوتيه سليمان من ذلك ايمان الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسليمان استخدمهم
ومحمد صلى الله عليه وسلم استتبعهم. ولما عد الجن من جنود سليمان في قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن
خيرته عد الملائكة جبريل ومن معه في جملة اجناده عليه الصلوة والسلام باعتبار الجهاد وباعتبار تكثير
السواد على طريقة الاجناد. ولما عد الطير من جملة اجناده نابت حمامة الغار وتوكرها في الساعة الواحدة
وحمايتها من عدوه والغرض من اتخاذ الجند انما هو الحماية وقد حصلت من اعظم شيء باير شيء
واما ما اعطيه من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم ان يكون
نبيا عبدا. وعرضت عليه الكنائز. فاختير عنده على كل الملوك. واما ما اعطيه عيسى عم
من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين الى مكانها بعدما سقطت
فعادت احسن ما كانت. وروي ان امرأة معاذ بن عفراء وكانت برصاء فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمسح عليها بعصا فاذهب الله البرص منها. ذكر الرازي في دلائل النبوة للبيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي صلى
الله عليه وسلم لا اؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي. وفيه انه صلى الله عليه وسلم اتى قبرها فقال يا فلانة فقالت لبيك وسعديك
يا رسول الله. الحديث. وقد روي ايضا انه سبح الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم وحن اليه الجذع وذلك
من تكليم الموتى لانه جذع من جنس الاشجار. واما ما اعطيه عيسى عليه السلام ايضا من انه كان يعرف ما تخفيه
الناس في بيوتهم فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى. وسيأتي من ذلك ان شاء الله تعالى ما
يكفي ويشفي. واما اعطيه عيسى عليه السلام انه رفع الى السماء فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم

ذلك ليلة المعراج • وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجات والحظوة في الحضرة القدسية بالمشاهدات
وبالجملة فقد خصه تعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصايص التكريم بما لم يعطه احدا من الانبياء عليهم الصلوة
والسلام • وقد روى جابر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي • كان كل نبي يبعث
الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود • واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي • وجعلت لي الارض مسجدا و
طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل حيث كان • ونصرت بالرعب مسيرة شهر • واعطيت
الشفاعة رواه البخاري • وفي رواية وبعثت الى الناس كافة • وزاد البخاري في روايته في الصلوة عن محمد
ابن سنان من الانبياء • وعند الامام احمد اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ولا اقوله فخرا وفيه واعطيت
الشفاعة فاخرتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئا • واسناده كما قاله ابن كثير جيد • وليس المراد حصر
خصايصه صلى الله عليه وسلم في هذه الخمسة المذكورة فقد روى مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا فضلت
على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى
الخلق كافة وختم بي النبيون • فذكر الخمسة في حديث جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين وهما واعطيت جوامع
الكلم وختم بي النبيون فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال • ولمسلم ايضا من حديث حذيفة فضلنا على
الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة • وذكر خصلة الارض كما تقدم قال وذكر خصلة
اخرى وهذه الخصلة الاخرى المبهمة بينها ابن خزيمة والنسائي وهي واعطيت هذه الايات من اخر سورة البقرة
من كنز تحت العرش يشير الى ما حطه الله تعالى عن امته من الاصر وتحميل ما لا طاقة لهم به ورفع
الخطا والنسيان فصارت الخصال تسعا • ولاحمد من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد من انبياء
الله تعالى اعطيت مفاتيح الارض • وسميت احمد • وجعلت امتي خير الامم • وذكر خصلة التراب فصارت الخصال
ثنتي عشرة خصلة • وعند البزار من وجه اخر عن ابي هريرة رفعه فضلت على الانبياء بست غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر
وجعلت امتي خير الامم • واعطيت الكوثر وان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيمة تحته ادم فمن دونه
وذكر ثنتين مما تقدم • وله من حديث ابن عباس رفعه فضلت على الانبياء بخصلتين كان شيطاني كافرا
فاعانني الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة • ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك
لمن امعن التتبع • وقد ذكر ابو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى ان عدد الذي خص به صلى الله عليه وسلم
ستون خصلة • وطريق الجمع ان يقال لعله عليه السلام اطلع اولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقي ومن
لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الاشكال من اصله • وقد ذكر بعض العلماء انه صلى الله عليه وسلم انه
صلى الله عليه وسلم اوتي ثلثة الاف معجزة وخصيصة • وقد اختلف في العلم بخصايصه عليه الصلوة والسلام
فقال الصيمري من الشافعية منع ابو علي بن خيران الكلام فيها لانه امر انقضى فلا معنى للكلام فيه و
قال امام الحرمين قال المحققون ذكر الاختلاف في مسايل الخصايص خبط غير مفيد فانه لا يتعلق به حكم ناجز
تمس اليه الحاجة وانما يجري الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان الاقيسة لا مجال لها والاحكام الخاصة
تتبع فيها النصوص وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فايدة • وقال النووي في الروضة والتهذيب

بعد نقله هذين الكلامين • وقال ساير الاصحاب لا باس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم هذا كلام الاصحاب
والصواب الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه • ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لانه ربما راى جاهل بعض الخصايص
ثابتا في الحديث الصحيح فعمل به اخذا باصل التاسي • فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها فاي فايدة اهم من هذه
واما ما يقع في ضمن الخصايص مما لا فايدة فيه اليوم فقليل لا تخلو ابواب الفقه عن مثله للتدرب
ومعرفة الادلة وتحقيق الشيء على ما هو عليه • انتهى كلام النووي • وقد تتبعت ما شرفه الله تعالى به نبينا
صلى الله عليه وسلم من الخصايص والايات واكرمه به من الفضايل والكرامات من كتب العلماء كالخصايص لابن
سبع وخصايص الروضة للنووي ومختصرها للحجازي وشرح الحاوي لابن الملقن وشرح البهجة لشيخ الاسلام
زكريا الانصاري واللفظ المكرم في خصايص النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ قطب الدين الخيضري واستفدت
منه كثيرا خصوصا في فصل المعجزات مع ما ادانيه اثناء مطالعتي لفتح الباري وشرح مسلم للنووي وشرح تقريب
الاسانيد للعراقي وغير ذلك مما يطول ذكره فتحصل لي من ذلك جملة وقد قسمتها غير واحد من الائمة
اربعة اقسام • الاول ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الواجبات • والحكمة في ذلك زيادة الزلفى والدرجات
فلن يتقرب المتقربون الى الله تعالى بمثل اداء ما افترض عليهم • قال بعضهم خص الله تعالى نبيه عليه السلام
بواجبات عليه لعلمه بانه اقوم بها منهم • وقيل ليجعل اجره بها اعظم فاختص صلى الله عليه وسلم بوجوب الضحى
على المذهب لكن قول عايشة في الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف انها كانت
واجبة عليه • قال الحافظ ابن حجر ولم يثبت ذلك في خبر صحيح • انتهى • وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى
في ذكر صلاة الضحى من مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم • وهل كان الواجب عليه اقل الضحى او اكثرها او ادنى الكمال
قال الحجازي لا نقل فيه لكن في مسند احمد امرت بركعتي الضحى ولم تؤمروا بها • ومنها الوتر وركعتا الفجر كما رواه
الحاكم في المستدرك وغيره ولفظه والطبراني ثلاث علي فريضة وهن لكم تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا
الضحى • قال بعضهم وقد ثبت انه عليه الصلوة والسلام صلى الوتر على الراحلة قال ولو كان واجبا
لما جاز فعله على الراحلة • وتعقب بان فعله على الراحلة من الخصايص ايضا كما سياتي فيما اختص به
عليه الصلوة والسلام من المباحات ان شاء الله تعالى • واجيب بانه يحتاج الى دليل • وهل كان
الواجب عليه اقل الوتر ام اكثره ام ادنى الكمال • قال الحجازي لم ار فيه نقلا • والله اعلم •
ومنها صلاة الليل قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك على الصلوة المفروضة او فضيلة لك
لاختصاص وجوبه بك • ومنها السواك • واستدلوا له بما رواه ابو داود من حديث عبد الله بن
ابي حنظلة بن ابي عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء لكل صلوة طاهرا او غير طاهر
فلما شق ذلك عليه امر بالسواك لكل صلوة • وفي اسناده محمد بن اسحق وقد رواه بالعنعنة وهو
مدلس • ووجه من لم يخرجه ونحا عليه ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث ابي امامة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جاءني جبريل الا امرني بالسواك حتى خشيت ان يفرض علي وعلى امتي
واسناده ضعيف • وروى احمد في مسنده من حديث واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب علي. وإسناده حسن. والخصائص لا تثبت إلا بدليل صحيح. قاله في شرح تقريب الأسانيد. ومنها الأضحية قال الله تعالى فصل لربك وانحر. روى الدارقطني والحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فرائض وهن لكم تطوع النحر والوتر وركعتا الفجر.

ومنها المشاورة قال الله تعالى وشاورهم فظاهره الإيجاب وقيل إنه استحباب استمالة للقلوب ومعناه والمعنى استخرج آراءهم. ونقل البيهقي في معرفة السنن والآثار عن النص أن المشورة غير واجبة عليه صلى الله عليه وسلم كما نبه عليه الجاربردي وغيره. واختلف في المعنى الذي لأجله أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه وتتابع الوحي عليه ووجوب طاعته على أمته فقال بعضهم هو خاص في المعنى وإن كان عاما في اللفظ أي وشاورهم فيما ليس لك من عند الله فيه عهد يدل عليه قراءة ابن عباس وشاورهم في بعض الأمر. وقال الكلبي يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو. وقال قتادة ومقاتل كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يشاورهم فإن ذلك أعطف لهم وأذهب لأضغانهم وأطيب لنفوسهم. وقال الحسن قد علم أنه ما به حاجة إليهم ولكنه أراد أن يستن به من بعده. وحكى القاضي أبو يعلى في الذي أمر بالمشاورة فيه قولين أحدهما في أمر الدنيا خاصة. والثاني في أمر الدين والدنيا وهو الأصح قاله المعافا في تفسيره. والحكمة في المشاورة في الدين التنبيه لهم على علل الأحكام وطريق الاجتهاد. وأخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال لما نزلت وشاورهم في الأمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لأمتي. وعند الترمذي الحكيم من حديث عائشة رفعته إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض.

ومنها مصابرة العدو وإن كثر عددهم. ومنها تغيير المنكر إذا رآه لكن من قال كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه. قال المراد أنه لا يسقط عنه صلى الله عليه وسلم بالخوف بخلاف غيره.

ومنها قضاء دين من مات مسلما معسرا. روى مسلم حديث أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته. قال النووي كان هذا القضاء واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وقيل تبرع منه. والخلاف وجهان لأصحابنا وغيرهم. قال ومعنى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال أنا قائم بمصالحكم في حياة أحدكم أو موته أنا وليه في الحالين فإن كان عليه دين قضيته من عندي إن لم يخلف وفاء وإن كان له مال فلورثته لا آخذ منه شيئا وإن خلف عيالا محتاجين ضائعين فليأتوا إلي فعلي نفقتهم ومؤنتهم. انتهى. وفي وجوب قضائه على الإمام من مال المصالح وجهان لكن قال الإمام مناسبته أن يبقى معسرا إلى أن مات لم يقض دينه من بيت المال فإن كان ظلم بالمطل ففيه احتمال. والأولى لا. والله أعلم.

ومنها تخيير نسائه صلى الله عليه وسلم في فراقه وإمساكهن بعد أن اخترنه في أحد الوجهين وترك التزوج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له عليه السلام عليهن قال الله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن

الحياة الدنيا وزينتها الآية. واختلف في تخييره لهن على قولين أحدهما أنه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن أو اختيار الآخرة فيمسكهن. ولم يخيرهن في الطلاق. وهذا قول الحسن وقتادة. والثاني أنه خيرهن بين الطلاق والمقام معه. وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبي ومقاتل. واختلفوا في السبب الذي لأجله صلى الله عليه وسلم خير نساءه على أقوال أحدها أن الله تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة على الدنيا فاختار الآخرة وقال اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فلما اختار ذلك أمره الله تعالى بتخيير نسائه ليكن على مثل اختياره حكاه أبو القسم الصيمري. الثاني لأنهن تغايرن عليه. والثالث لأن أزواجه طالبنه وكان غير مستطيع فكان أولهن أم سلمة سألته سترا معلما وسألته ميمونة حلة يمانية وسألته زينب ثوبا مخططا وهو البرد اليماني وسألته أم حبيبة ثوبا سحوليا وسألته كل واحدة شيئا إلا عائشة حكاه النقاش. والرابع أن أزواجه عليه السلام اجتمعن يوما فقلن نريد ما تريد النساء من الحلي فأنزل الله تعالى آية التخيير حكاه النقاش. وذلك أنه لما نصر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن لئلا يكون لأحد منة عليه في الصبر على ما اختاره من خشونة العيش فلما اخترنه وصبرن معه عوضهن الله تعالى على صبرهن بأمرين. أحدهما أن جعلهن أمهات المؤمنين تعظيما لحقهن وتأكيدا لحرمتهن وتفضيلهن على سائر النساء بقوله تعالى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء. والثاني أن حرم عليه صلى الله عليه وسلم طلاقهن والاستبدال بهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج الآية. فكان تحريم طلاقهن مستداما. وأما تحريم التزويج عليهن فنسخ. قالت عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء يعني اللاتي حرمن عليه. وقيل الناسخ لتحريمهن قوله تعالى إنا أحللنا لك أزواجك الآية. وقال النووي في الروضة أما خيرهن فاخترنه كافأهن الله تعالى على حسن صنيعهن بالجنة فقال تعالى فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما. انتهى. وإنما اختص صلى الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والإمساك لأن الجمع بين عدد منهن يوغر صدورهن بالغيرة التي هي من أعظم الآلام وهو إيذاء يكاد ينفر القلب ويوهن الاعتقاد. وكذا إلزامهن على الصبر والفقر يؤذيهن. ومهما ألقى زمام الأمر إليهن خرج عن أن يكون ضررا فنزه عن ذلك منصبه العالي. وقيل له يا أيها النبي قل لأزواجك الآية.

ومنها إتمام كل تطوع شرع فيه حكاه في الروضة. وأصلها قال النووي وهو ضعيف. وذكر بعض الأصحاب أنه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم إذا لبس لأمته أن ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل ذكره في تهذيب الأسماء واللغات.

ومنها أنه كان يلزمه صلى الله عليه وسلم أداء فرض الصلاة بلا خلل. قاله الماوردي. قال العراقي في شرح المهذب أنه كان معصوما من نقص الفرض. انتهى. والمراد خلل لا يبطل الصلاة. وقال بعضهم كان يجب عليه صلى الله عليه

اذا رأى ما يعجبه ان يقول لبيك ان العيش عيش الآخرة • ثم قال هذه كلمة صدرت منه صلى الله عليه وسلم
في انعم حالة وهو يوم حجه بعرفة وفي اشد حالة وهو يوم الخندق • انتهى   ومنها انه صلى الله عليه وسلم
كان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحي ولا يسقط عنه الصوم والصلوة وساير الاحكام كما ذكره في زوايد الروضة •
عن ابن القاص والقفال   وكذا ذكره ابن سبع انه صلى الله عليه وسلم كان يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة
ذكره ابن القاص • ونقله ابن الملقن في الخصايص • ورواه مسلم وابو داود من حديث الاغر المزني بلفظ انه
ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة • هذا لفظ مسلم • وقال ابو داود في كل يوم • قال الشيخ
ولي الدين ابن العراقي والظاهر ان الجملة الثانية مرتبة على الاولى • وان سبب الاستغفار الغين • ويدل
لذلك قوله في رواية النسائي في عمل اليوم والليلة انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله كل يوم مائة مرة
وفي رواية له ايضا فاستغفر الله • والفاظ الحديث مختلفة يفسر بعضها بعضا • ويحتمل من حيث اللفظ
ان تكون الجملة الثانية كلاما براسه غير متعلقة بما قبله فيكون عليه الصلوة والسلام اخبر بانه يغان واعلم
بانه يستغفر الله في اليوم مائة مرة انتهى • وقال ابو عبيد اصل الغين في هذا ما يغشى القلب ويغطيه
واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها • وقال غيره الغين يغشي القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس قال القاضي عياض بعد حكاية ذلك فيكون المراد بهذا
الغين الاشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان عليه السلام
دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه
من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه
وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده
بربه واقباله بجملته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها
غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك • قال وهذا اولى وجوه الحديث واشهرها
والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد
محياه • وهو مبني على جواز الفترة والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ • انتهى • وتعقب بانه لا يرضى نسبته صلى الله عليه
وسلم الى ذلك لما يلزم عليه من تفضيل الملائكة بعدم الفترة عن التسبيح والمشاهدة ولقوله عليه السلام
لست انسى ولكن انسى لاسن فهذه ليست فترة وانما هي حكمة مقصودة يثبت بها حكم شرعي • فالاولى ان يحمل
على ما جعله علة فيه • وهو دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل اعباء النبوة
وحمل اثقالها   وقيل الغين شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس • قاله الحافظ ابن حجر شيخ الاسلام
وهذا اشار اليه الرافعي في اماليه وقال ان والده كان يقرره • وقيل كانت حالة تطلع فيها على احوال
امته فيستغفر لهم • وقيل هو السكينة التي تغشي قلبه والاستغفار لاظهار العبودية لله
والشكر لما اولاه • قال شيخ الاسلام ابن العراقي ايضا هذه الجملة حالية اخبرنا عليه الصلوة والسلام
انه يغان على قلبه مع ان حالته الاستغفار في اليوم مائة مرة وهي حال مقدرة لان الغين ليس موجودا في حال

الاستغفار بل اذا جاء الاستغفار اذهب ذلك الغين • قال وعلى تقدير تعلق احدى الجملتين بالاخرى
وان الثانية مسببة عن الاولى فيحتمل ان يكون هذا الغين تغطية للقلب عن امور الدنيا وحجابا وسترا
بينه وبينها فينجمع القلب حينئذ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة للعبودية والطاعة
قال وهذا معنى ما قاله القاضي عياض • انتهى • ومراده قوله في الشفا وقد يحتمل ان يكون هذه
الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته الى
الى آخر كلامه • قال الشيخ ابن العراقي وهو عندي كلام حسن جدا • وتكون الجملة الثانية مسببة
عن الاولى لا بمعنى التسبب بالاستغفار في ازالة الغين بل بمعنى ان الغين اصله محمود وهو الذي صدر و
نشأ عنه الاستغفار وترتب عليه • وهذا ازيد الاقوال واحسنها لان الغين حينئذ وصف
محمود وهو الذي نشأ عنه الاستغفار • وعلى الاول يكون الغين مما يسعى في ازالته بالاستغفار
وما ترتب الاشكال وجاء السؤال الا على تفسير الغين بذلك واهل اللغة انما فسروا الغين
بالغشاء فنحمله على غشاء يليق بحاله صلى الله عليه وسلم وهو الغشاء الذي يصرف القلب ويرده
ويحجبه عن امور الدنيا لا سيما وقد رتب على الغشاء امر محمود وهو الاستغفار فما نشأ هذا
الامر الحسن الا عن امر حسن • انتهى • وذكر الشيخ تاج ابن عطاء الله في كتابه لطايف المنن
ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسألته عن هذا
الحديث انه ليغان على قلبي فقال لي يا مبارك ذلك غين الانوار لا غين الاغيار

القسم الثاني ما اختص به صلى الله عليه وسلم بما حرم عليه

فمنها تحريم الزكوة عليه وكذا الصدقة على الصحيح المشهور المنصوص • قال عليه السلام انا لا ناكل الصدقة الحديث
رواه مسلم • ومن قال بالاجتهاد يقول لا يلزم من امتناعه عن اكلها تحريمها • فلعله ترك ذلك تنزها
لكرمه وهذا خلاف ظاهر الحديث • قال الشيخ ابن العراقي في شرح التقريب وعلى كل حال ففيه اختصاصه عليه الصلوة والسلام
بالامتناع من اكل الصدقة اما وجوبا او تنزها • انتهى • والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن
اوساخ اموال الناس   ومنها تحريم الزكوة على آله صلى الله عليه وسلم • وتحريم كون آله عمالا
على الزكاة في الاصح • وكذا يحرم صرف النذور والكفارة اليهم • واما صدقة التطوع فتحل لهم في الاصح
خلافا للمالكية وهو وجه عندنا   ومنها انه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اكل ما له رائحة
كريهة كثوم وبصل لتوقع مجي الملائكة والوحي • والاكل متكئا في احد الوجهين فيهما والاصح في الروضة
كراهتهما • وتعقب بعضهم على الاتكاء فقال قد ذكره غيره ايضا لانه من فعل المتعظمين وقد تقدم
زيادة في ذلك   ومنها تحريم الكتابة والشعر • وانما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول انه
صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما • والاصح انه كان لا يحسنهما • قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك • وما علمناه الشعر وما ينبغي له • انما هو في طبعه لا يحسنه ولا تقتضيه
جبلته ولا ينطق له • واجيب بان المراد تحريم التوصل اليهما • وهل تعلم الشعر خاص به عليه السلام

ومنوع الانشاء. قال البعض هو عام لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له لانه لا يظهر فيه
للخصوص نكتة. وتقدم في قصة الحديبية البحث في كونه عليه السلام كان يحسن الكتابة ام لا
ومنها نزع لامته اذا لبسها حتى يقاتل او يحكم الله بينه وبين عدوه   ومنها المن ليستكثر
ذكره الرافعي. قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر. اي لا تعط شيئا لتعطى اكثر منه بل اعط لربك واقصد
وجهه فادبه باشرف الآداب قاله اكثر المفسرين. وقال الضحاك ومجاهد هذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم
خاصة وليس على احد من امته   وقال قتادة لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا اي اعط لربك وعن
الحسن لا تمنن على الله بعملك فتستكثره   وقيل لا تمنن على الناس بالنبوة فتأخذ عليها اجرا وعوضا
من الدنيا   ومنها مد العين الى ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به اي استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اي اشكالا واشباها من الكفار وهي المزاوجة
بين الاشياء وهي المشاكلة. وعن ابن عباس اصنافا منهم فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيه فانه
كمال المطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات   ومنها خائنة الاعين وهي الايماء الى مباح من قتل
او ضرب على خلاف ما يشعر به الحال كما قيل له عليه السلام في قصة رجل اراد قتله هلا اومأت الينا
فقال ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين ولا يحرم ذلك على غيره الا في محظور. قال الرافعي فيما نقله
الحجازي في مختصر الروضة.   ومنها نكاح من لم تهاجر في احد الوجهين قال الله تعالى يا ايها
النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر على البضع. وتقييد الاحلال
باعطائها معجلة لا يتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية
في قوله ومما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
يعني من نساء وهن اللاتي هاجرن معك اي الى المدينة. قال او المراد هاجرت كما هاجرت وان لم تكن
هجرتها في حال هجرته صلى الله عليه وسلم. وظاهره يدل على ان الهجرة شرط في التحليل. وان من لم تهاجر من النساء
لم يحل له نكاحها. وقالت ام هانئ خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذر فعذرني ثم
انزل الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله اللاتي هاجرن معك فلم اكن لاحل له فاني لم
اهاجر معه كنت من الطلقاء. وعن بعض المفسرين ان شرط الهجرة في التحليل منسوخ ولم يذكر ناسخه وعن
الماوردي قولان احدهما الهجرة شرط في احلال كل النساء له عليه الصلوة والسلام من غريبة وقريبة والثاني
انها شرط في احلال الاقارب بنات عمه وعماته المذكورات في الآية وليس شرطا في احلال الاجنبيات وعنه ايضا
ان المراد بالمهاجرة المسلمات.   ومنها تحريم امساك من كرهته قاله الحجازي وغيره
ومنها نكاح الكتابية لان ازواجه امهات المؤمنين وزوجات له في الآخرة ومعه في درجته في الجنة
ولانه صلى الله عليه وسلم اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة قالوا ولو نكح كتابية هديت الى الاسلام
كرامة له.   ومنها نكاح الامة المسلمة ولو قدر نكاحه امة كان ولده منها حرا ولا تلزمه قيمته
قاله القاضي حسين. وقال ابو عاصم نعم نقله الحجازي   ولا يشترط في حقه حينئذ خوف

العنت

العنت والافتقاد الطول واما التسري بالامة فالاصح الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع بامته ريحانة
قبل ان تسلم وعلى هذا فهل عليه تخييرهما بين ان تسلم فيمسكها او تقيم على دينها فيفارقها فيه وجهان اصحهما
نعم لتكون من زوجاته في الآخرة   والثاني لا لانه عرض على ريحانة الاسلام فابت لم يزلها عن ملكه واقام
على الاستمتاع وقد اسلمت بعد   ومنها تحريم الاغارة اذا سمع التكبير كما ذكره ابن سبع في
الخصائص

لما عرض

القسم الثالث فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات

واختص صلى الله عليه وسلم
باباحة المكث في المسجد جنبا قاله صاحب التلخيص ومنعه القفال. قال النووي وما قاله في التلخيص
قد يحتج له بقوله عليه الصلوة والسلام في حديث ابي سعيد الخدري يا علي لا يحل لاحد ان يجنب في هذا
المسجد غيري وغيرك. قال الترمذي حسن غريب. وقد يعترض على هذا الحديث بان عطية ضعيف عند
الجمهور. ويجاب بان الترمذي حكم بانه حسن فلعله اعتضد بما يقتضي حسنه. لكن اذا شارك عليه
الصلوة والسلام علي في ذلك لم يكن من الخصائص. وقد غلط امام الحرمين وغيره صاحب التلخيص
في الاباحة.   واعلم ان معظم الاباحات لم يفعلها صلى الله عليه وسلم   ومما اختص به ايضا
انه لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا وفي اللمس وجهان قال النووي المذهب الجزم بانتقاضه به واستدل
القائلون بالاول بحديث عائشة عند ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض ازواجه
ثم يصلي ولا يتوضأ. ورواه النسائي ايضا. وقال ابو داود وهو مرسل ابراهيم التيمي لم يسمع من
عائشة. وقال النسائي ليس في هذا الباب حديث احسن من هذا الحديث وان كان مرسلا. واختص ايضا
باباحة الصلوة بعد العصر قضاء فانه ركعتان بعد الظهر فقضاهما ثم داوم عليهما. ذكره الحجازي
وبجواز صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه عليه كما ذكره في شرح المهذب. وعبارته كان من خصائصه
صلى الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب الخاص به على الراحلة وبالصلاة على الغائب عند ابي حنيفة وبما الذي
وبالقبلة في الصوم مع قوة الشهوة. وروى البخاري من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبل بعض ازواجه وهو صائم وكان املككم لاربه. قال الحافظ ابن حجر فاشارت بذلك الى ان الاباحة
لمن يكون مالكا لنفسه دون من لا يأمن من الوقوع في المحرم. قال وفي رواية حماد عند النسائي قال الاسود
قلت لعائشة ايباشر الصائم قالت لا قلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صائم قالت انه
كان املككم لاربه. وظاهر هذا انها اعتقدت خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. قال القرطبي
قاله اجتهادا منها. ويدل على انها لا ترى بتحريمها ولا بكونها من الخصائص ما رواه مالك في الموطا ان
عائشة بنت طلحة كانت عند عائشة فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر فقالت له
عائشة ما يمنعك ان تدنو من اهلك ان تلاعبها وتقبلها قال اقبلها وانا صائم قالت نعم. واختص ايضا
باباحة الوصال في الصوم كما سيأتي   وقال امام الحرمين هو قربة في حقه صلى الله عليه وسلم وان
ياخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج لهما اذا احتاج وجب على صاحبهما البذل ويفدي بمهجته مهجة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ولو قصده ظالم وجب على

قبلة عائشة بنت طلحة

من حضره ان يبذل نفسه دونه صلى الله عليه وسلم كما وقاه طلحة بنفسه يوم احد وباباحة النظر الى الاجنبيات وسياتي ان شاء الله تعالى في القسم الرابع حكم غيره عليه الصلوة والسلام • وبجواز الخلوة بهن • قال في فتح الباري الذي وضح لنا بالادلة القوية ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها ويدل له قصة ام حرام بنت ملحان في دخوله صلى الله عليه وسلم عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية • انتهى • ومنها نكاح اكثر من اربع نسوة وكذلك الانبياء وفي الزيادة لنبينا صلى الله عليه وسلم على التسع خلاف • ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المرأة قال تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي واما من جهته عليه السلم فلا بد من لفظ الانكاح او التزويج على الاصح في اصل الروضة وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ ابي حامد لظاهر قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك قال البيضاوي في قوله تعالى وامرأة مؤمنة • الاية • اي نحل لك امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها • واختلف في ذلك • والقائل به ذكر انها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قال وقرئ أن بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا قال وقوله ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب له الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول قال والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله • انتهى • وقال المعافا وفي معنى خالصة ثلاثة اقوال احدها ان المرأة اذا وهبت نفسها له لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين قاله انس بن مالك وابن المسيب • والثاني ان له ان ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره • والثالث خالصة لك ان تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين • قال هذا قول الشافعي واحمد وعن ابي حنيفة ينعقد النكاح بلفظ الهبة لغيره صلى الله عليه وسلم ايضا وكذا يجوز له عليه الصلوة والسلام النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء • كما تقدم ان المرأة اذا وهبت نفسها له عليه السلم لا يلزمه صداقها • قال النووي اذا وهبت امرأة نفسها له عليه الصلوة والسلام فتزوجها بلا مهر حل له ذلك ولا يجب عليه بعد ذلك مهرها بالدخول ولا بغيره ذلك بخلاف غيره فانه لا يخلو نكاحه من وجوب مهر اما مسمى او مهر المثل والله اعلم • وكذا يجوز له النكاح في حال الاحرام • قال النووي في شرح مسلم قال جماعة من اصحابنا انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يتزوج في حال الاحرام وهو مما خص به دون الامة قال وهذا اصح الوجهين عند اصحابنا • انتهى • وكذا يجوز له صلى الله عليه وسلم النكاح بغير رضى المرأة فلو رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الاجابة وحرم على غيره خطبتها او متزوجة وجب على زوجها طلاقها • قال الغزالي ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليفه النزول عن اهله فانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده والناس اجمعين • ويدل لهذه الخصيصة قصة زينب بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب المنصوص عليها بقوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بنعمة الاسلام وهي اجل النعم وانعمت عليه بالاعتاق بتوفيق الله لك وهو زيد بن حارثة

فان وهبت نفسها

الكلبي

[illegible]

الكلبي • وكان من سبي الجاهلية فملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة واعتقه وتبناه وخطب زينب فابت هي واخوها عبد الله ثم رضيا لما نزل قوله تعالى ادعوهم لابائهم • وهذه القصة كتبت الحكم بالقول او الفعل فاوحى الله اليه ان زيدا سيطلقها وانه صلى الله عليه وسلم يتزوجها والقى في قلب زيد كراهتها فاراد فراقها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي قال ما لك ارابك شيء منها قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكن تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا فلما قضى زيد منها وطرا ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجها الله له كما قال الله تعالى زوجناكها • والمعنى انه امره بتزويجها منه • او جعلها زوجته بلا واسطة عقد • ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن • وقيل ان زيدا كان السفير للتزويج وفي ذلك لزيد ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه • وقد علل تعالى تزويجه اياها بقوله لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم • اي في ان يتزوجوا زوجات من كان يتبنونه اذا فارقوهن وان هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حرم في قوله تعالى وحلائل ابنائكم • واما قوله تعالى وتخفي في نفسك فمعناه انك تعلم ان سيطلقها فعاتبه الله تعالى على هذا القدر في شيء اباحه له بان قال امسك عليك زوجك مع علمه بانه يطلق • وهذا مروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما • وعليه اهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقاضي ابي بكر بن العربي وغيرهم • والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو في ارجاف المنافقين بتزويج نساء الابناء • والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في الحركات والسكنات • ولبعض المفسرين هنا كلام لا يليق بمنصب النبوة • وقيل قوله تعالى اتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه خطاب من الله تعالى او من الرسول عليه السلام لزيد فانه اخفى الميل اليها واظهر الرغبة عنها لما توهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان تكون من نسائه • قال جار الله وكم من شيء مباح يتحفظ الانسان منه ويستحيي من اطلاع الناس عليه فطموح الانسان الى بعض مشتهياته في امرأة وغيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل منهم عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها اخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجري فاذا كان الامر مباحا من جميع جهاته لم يكن فيه وجه من وجوه القبح • انتهى • وكذا يجوز له عليه الصلوة والسلم النكاح بلا ولي ولا شهود لعدم الحاجة الى ذلك في حقه عليه الصلوة والسلام • وهذا الخلاف في غير زينب اما زينب فمنصوص عليها • والله اعلم • قال العلماء وانما اعتبر الولي للمحافظة على الكفاءة وهو صلى الله عليه وسلم فوق الاكفاء • وانما اعتبر الشهود لامن الجحود وهو عليه الصلوة والسلام لا يجحد ولو جحدت هي لم يرجع الى قولها • بل قال العراقي في شرح المهذب يكون كافرا بتكذيبه • وكان له صلى الله عليه وسلم تزويج المرأة ممن شاء بغير اذنها واذن وليها • وله اجبار الصغيرة من غير ابنه • وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس

فيقدم على الأب • وزوجه الله تعالى بزينب فدخل عليها بتزويج الله بغير عقد من نفسه • وعبر في الروضة عن هذا بقوله وكانت المرأة تحل له بتحليل الله تعالى وانه أعتق أمته صفية وجعل عتقها صداقها • وقد اختلف في معناه فقيل انه اعتقها بشرط أن يتزوجها فوجب له عليها قيمتها وكانت معلومة فتزوجها بها • ويؤيده قوله في رواية عبد العزيز بن صهيب سمعت أنسا قال سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فأعتقها وتزوجها فقال ثابت لأنس ما أصدقها قال نفسها فأعتقها • هكذا أخرجه البخاري في المغازي • وفي رواية حماد عن ثابت وعبد العزيز عن أنس قال وصارت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها فقال عبد العزيز لثابت يا أبا محمد أنت سألت أنسا ما أمهرها قال أمهرها نفسها فتبسم فهو ظاهر جدا في أن المجعول مهرا هو نفس العتق والتأويل الأول لا بأس به فانه لا منافاة بينه وبين القواعد حتى لو كانت القيمة مجهولة فان في صحة العقد بالشرط المذكور وجها عند الشافعية • وقال آخرون بل جعل نفس العتق المهر ولكنه من خصائصه وممن جزم بذلك الماوردي وقال آخرون قوله أعتقها وتزوجها معناه أعتقها ثم تزوجها فلما لم يعلم أنه ساق لها صداقا قال أصدقها نفسها ولم يصدقها شيئا فيما أعلم ولم ينف أصل الصداق ومن ثم قال أبو الطيب الطبري من الشافعية وابن بطال من المالكية ومن تبعهم انه قول أنس قاله ظنا من قبل نفسه ولم يرفعه • ويعارضه ما أخرجه الطبراني وأبو الشيخ من حديث صفية نفسها قالت أعتقني النبي صلى الله عليه وسلم وجعل عتقي صداقي وهذا موافق لحديث أنس • وفيه رد على من قال ان أنسا قال ذلك بناء على ظنه • ويحتمل ان يكون أعتقها بشرط أن ينكحها من غير مهر فلزمها الوفاء بذلك • ويكون خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره • ويحتمل انه أعتقها بغير عوض وتزوج اياها بغير مهر في الحال ولا في المآل قال ابن الصلاح معناه ان العتق حل محل الصداق وان لم يكن صداقا قال وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد له قال وهذا الوجه أصح الأوجه وأقربها الى لفظ الحديث وتبعه النووي في الروضة • وممن جزم بأن ذلك من الخصائص يحيى بن أكثم فيما أخرجه البيهقي • قال وكذا نقله المزني عن الشافعي قال وموضع الخصوصية انه أعتقها مطلقا وتزوجها بغير مهر ولا شهود وهذا بخلاف غيره • انتهى • وقال النووي في شرح مسلم الصحيح الذي اختاره المحققون انه أعتقها تبرعا بلا عوض ولا شرط ثم تزوجها برضاها من غير صداق • والله أعلم قاله شيخ الحفاظ ابن حجر • واختلف في انحصار طلاقه صلى الله عليه وسلم في الثلاث وعلى الحصر قيل تحل له من غير محلل • وقيل لا تحل له أبدا • وكان له نكاح المعتدة في أحد الوجهين • قال النووي الصواب القطع بامتناع نكاح المعتدة من غيره • والله أعلم • وفي وجوب نفقة زوجاته وجهان قال النووي الصحيح الوجوب انتهى ولا يجب عليه القسم فيما قاله طائفة من أهل العلم • وبه جزم الاصطخري من الشافعية • والمشهور عندهم وعند الأكثرين الوجوب • ونقل الجمع بين المرأة وخالتها وعمتها ونحوها لأختها وبنتها وأمها قالوا ورجح ما ابعده المصاير الى أن النكاح في حقه كالتسري في حقنا • وكان له عليه السلام أن يصطفي ما شاء من المغنم قبل القسمة من جارية وغيرها • وأبيح له القتال بمكة والقتل بها • وجواز دخول مكة بغير احرام

ذكره

ذكره ابن القاص • واستدلوا له بحديث أنس عند الستة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر وذلك من كونه عليه السلام كان مستور الرأس بالمغفر والمحرم يجب عليه كشف رأسه ومن تصريح جابر والزهري ومالك بأنه لم يكن محرما • وأبدى ابن دقيق العيد لستر الرأس احتمالا فقال يحتمل أن يكون لعذر • انتهى • وتعقبه الشيخ ولي الدين بن العراقي فقال هذا يرده تصريح جابر وغيره قال وهذا الاستدلال لا يتم إلا على غير موضع الخلاف في المشهور لأنه عليه السلام كان خائفا من القتال متأهبا له ومن كان كذلك فله الدخول عندنا بلا احرام بلا خلاف عندنا ولا عند أحد نعلمه • وقد استشكل النووي في شرح المهذب ذلك لأن مذهب الشافعي أن مكة فتحت صلحا خلافا لأبي حنيفة في قوله انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف • ثم أجاب عنه بأنه عليه السلام صالح أبا سفيان وكان لا يأمن غدر أهل مكة فدخلها صلحا وهو متأهب للقتال ان غدروا • انتهى • وقد ذكرت ما في فتح مكة من المباحث في فتحها من المقصد الأول • ثم ان غيره صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن خائفا فقال أصحابنا اذا لم يكن ممن يتكرر دخوله كالحطابين ونحوهم ففيه خلاف مرتب والأولى بعدم الوجوب وهو المذهب • وقال الحنابلة بوجوب الاحرام الا على الخائف وأصحاب الحاجات المتكررة • ونحوه للمالكية في المشهور عندهم في غير ذوي الحاجات المتكررة • وأوجبه الحنفية مطلقا الا من كان داخل الميقات • وقد تحرر أن المشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا • وعند الأئمة الثلاثة الوجوب الا فيما يستثنى • ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقضي بعلمه من غير خلاف وأن يقضي لنفسه ولولده وأن يشهد لنفسه ولولده ولا يكره له الفتوى والقضاء في حال الغضب كما ذكره النووي في شرح مسلم • وقد قضى للزبير بشراج الحرة بعد أن أغضبه خصم الزبير لعصمته صلى الله عليه وسلم فلا يقول في الغضب الا كما يقول في الرضا • وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلي الا على نبي أو ملك • وكان له أن يقتل بعد الأمان وأن يلعن من شاء بغير سبب يستوجبه ذلك • وجعل الله تعالى شتمه ولعنته قربة للمشتوم والملعون بدعائه عليه السلام قال ابن القاص • ورده عليه • حكاه الحجازي في مختصر الروضة عن نقل الرافعي • وكان له اقطاع الأراضي قبل فتحها لأن الله تعالى ملكه الأرض كلها • وأفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم الداري فيما أقطعهم وقال لأنه عليه الصلاة والسلام كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى

القسم الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل والكرامات • منها أنه أول النبيين خلقا كما تقرر في أول هذا الكتاب وأنه كان نبيا وآدم بين الروح والجسد • رواه الترمذي من حديث أبي هريرة • ومنها أنه أول من أخذ عليه الميثاق كما مر • ومنها أنه أول من قال بلى يوم ألست بربكم رواه أبو سهل القطان في جزء من أماليه • ومنها أن آدم وجميع المخلوقات خلقوا لأجله • رواه البيهقي وغيره • ومنها أن الله كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها • رواه ابن عساكر عن كعب الأحبار • ومنها أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به وينصروه قال الله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم

لو منتبه ولتنصرنه • ويأخذ العهد بذلك على قومه • ومنها انه وقع التبشير به في الكتب السالفة
كما سياتي ان شاء الله تعالى • ومنها انه لم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح رواه البيهقي
والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلائل • ومنها نكست الاصنام لمولده رواه الخرائطي في
الهواتف وغيره • ومنها ولد مختونا مقطوع السرة • رواه الطبراني • وتقدم ما فيه من البحث
في اول الكتاب • ومنها انه خرج نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد • ومنها انه وقع الى الارض
ساجدا رافعا اصبعه كالمتضرع المبتهل • رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس • ورأت امه عند ولادته
نورا خرج منها اضاءت لها قصور الشام • وكذلك ترى امهات الانبياء • رواه الامام احمد • وكان مهده
عليه السلام يتحرك بتحريك الملائكة كما ذكره ابن سعد في الخصائص • وكان القمر يحدثه وهو في مهده ويميل حيث
اشار اليه • رواه ابن طغربل في النطق المفهوم وغيره • وتكلم في المهد • رواه الواقدي وابن سبع • وظللته الغمامة
في الحر • رواه ابو نعيم والبيهقي • ومال اليه فيء الشجرة اذ سبق اليه • رواه البيهقي • ومنها شق صدره الشريف
رواه مسلم وغيره • وغطه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث غطات • عدّ هذه بعضهم من خصائصه عليه السلام
كما نقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل عن احد من الانبياء انه جرى له ذلك عند ابتداء الوحي • ومنها ان الله
ذكره في القرآن عضوا عضوا فقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى • وقوله نزل به الروح الامين على قلبك ولسانه
بقوله وما ينطق عن الهوى • وقوله فانما يسرناه بلسانك • وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى ووجهه بقوله قد
نرى تقلب وجهك في السماء • ويده وعنقه بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك • وظهره وصدره بقوله
الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك • واشتق اسمه من اسمه المحمود • ويشهد له
ما اخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول • وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد • وهو مشهور لحسان بن ثابت • وسمي احمد ولم يسم به احد قبله رواه مسلم ولاحمد
من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد قبلي • وذكر منها وسميت احمد • ومنها صلى الله عليه وسلم كان
يبيت جائعا ويصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة • كما سياتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في صيامه صلى
الله عليه وسلم من مقصد عباداته • وكان يرى من خلفه كما يرى من امامه • رواه مسلم • ويرى في الليل وفي الظلمة
كما يرى بالنهار وفي الضوء • رواه البيهقي • وكان ريقه يعذب الماء الملح • رواه ابو نعيم • ويجزي الرضيع • رواه البيهقي
ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى في الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة
ونطق به الشعراء في منظومهم والبلغاء في منثورهم مع اعتقاده بوجود اثر قدمي الخليل ابراهيم عليه السلام في حجر
المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم البالغ تعيينه والتزامه مبلغ التواتر العام
بين ابو طالب • وطيء ابراهيم في الصخر رطبة • على قدميه حافيا غير ناعل • وما في البخاري من حديث ابي هريرة
مرفوعا من معجزة ما انه ضرب بموسى الحجر ستا او سبعا اذ فر بثوبه لما اغتسل اذ ما خص نبي بشيء من المعجزات
والكرامات الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثله كما نص عليه مع ما يزيد ذلك وهو موجود اثر حافر بغلته
الشريفة على ما قيل في مسجد نطيه حتى عرف المسجد بها بحيث يقال مسجد البغلة • وما ذاك الا من بركة

البار

البار فيها يكون ذلك اقوى في الاية واوضح في الدلالة على انه اثر عليه الصلوة والسلام بهذه الاثر التي
اثرتها الخليل في حجر المقام على وجه ابلغ منه • بل قال الزبير بن بكار فيما نقله المجد الشيرازي في المغانم
المطابة بعد ذكره لاثر حافر البغلة ومسجدها في غربي اثر هذا المسجد اثر كانه اثر مرفق يذكر انه عليه السلام
اتكأ عليه ووضع مرفقه عليه وعلى حجر آخر اثر اصابع والناس يتبركون بها • وقال السيد نور الدين
السمهودي في كتابه وفاء الوفاء بعد ايراده ذلك قلت ولم اقف في ذلك على اصل الا ان ابن النجار
قال في المساجد التي ادركها خرابا بالمدينة ما لفظه ومسجدان قرب البقيع احدهما بمسجد الاجابة
والثاني يعرف بمسجد البغلة فيه اسطوان واحد وهو خراب وحوله نشز من الحجارة فيه اثر يقولون
انه اثر حافر بغلة النبي صلى الله عليه وسلم • انتهى • وكان ابطه عليه السلام لا شعر عليه • قال القرطبي
بل كان ابيض غير متغير اللون كما ذكره الطبري وعده في الخصائص • وذكره بعض الشافعية لحديث انس
المتفق عليه انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه • وقال الشيخ جمال
الدين الاسنوي في المهمات ان بياض الابط كان من خواصه صلى الله عليه وسلم • انتهى • قال في شرح تقريب
الاسانيد وما ادعاه من كون هذا من الخصائص فيه نظر اذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه بل لم يرد ذلك
في شيء من الكتب المعتمدة • والخصائص لا تثبت بالاحتمال • ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون
له شعر فان الشعر اذا نتف بقي المكان ابيض وان بقي فيه آثار الشعر • ولذلك ورد في حديث عبد الله بن اقرم الخزاعي
انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت انظر الى عفرة ابطيه اذا سجد • خرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه
وقد ذكره الهروي في الغريبين وابن الاثير في النهاية ان العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفرة الارض
وهو وجهها وهذا يدل على ان آثار الشعر هو الذي جعل المكان اعفر والا فلو كان خاليا من منبات الشعر جملة
لم يكن اعفر نعم الذي يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن لابطه رائحة كريهة بل كان نظيفا طيب الرائحة
كما ثبت في الصحيح • وكان عليه السلام يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره ولا سمعه • وكان تنام عيناه
رواه البخاري • وما تثاءب قط كما رواه ابن ابي شيبة والبخاري في تاريخه من مرسل يزيد بن الاصم قال ما تثاءب
النبي صلى الله عليه وسلم • واخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال ما تثاءب نبي قط ولذلك
الانبياء رواه الطبراني • وكان عرقه اطيب من المسك • رواه ابو نعيم وغيره • واذا مشى مع الطويل طاله • رواه
البيهقي ولم يقع له ظل على الارض ولا رؤي له ظل في شمس ولا قمر ويشهد له انه عليه السلام لما سأل الله سبحانه
وتعالى ان يجعل في جميع اعضائه وجهاته نورا ختم بقوله واجعلني نورا وكان صلى الله عليه وسلم لا يقع على
ثيابه ذباب قط • نقله الفخر الرازي • ولا يمتص دمه البعوض • كذا نقله الحجازي وغيره • وما اذاه القمل كما
ابن سبع في الشفاء والسبتي في عجب النوادر • ومنها انقطاع الكهانة عند مبعثه وحراسة
السماء من استراق السمع والرمي بالشهب • قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها
ويأتون باخبارها فيلقونه على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
منعوا من السموات كلها فما منهم احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ ابدا

انهم

فمنهم من يقتله • ومنهم من يحرق وجهه • ومنهم من يخبله فيصير غولاً يضل الناس في البراري • وهذا الرمي ظاهر
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره وكان ذلك اساس النبوة
وقال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم • وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه
ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه • وقيل ان النجم ينقض ويرمي الشياطين ثم يعود الى مكانه • ذكره البغوي
ومنها انه اتي بالبراق في ليلة الاسراء مسرجاً ملجماً • قيل وكانت الانبياء انما تركبه عرياناً ومنها انه اسري به
صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعرج به الى المحل الاعلى واراه من آيات ربه الكبرى وحفظه في
المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى واحضر الانبياء له وصلى بهم وبالملائكة اماماً واطلعه على الجنة والنار وعرّيت عنه
الهوى ومنها انه رأى الله سبحانه بعينيه كما يأتي في مقصد الاسراء ان شاء الله تعالى وجمع الله تعالى له بين
الكلام والرؤية وكلمه سبحانه في الرفيع الاعلى وكلم موسى بالجبل ومنها انه يجب علينا ان نصلي ونسلم عليه لاية
ان الله وملائكته يصلون الاية ولم ينقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم ان يصلوا على انبيائهم •
ومنها ان الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلفه وقاتلت معه كما في غزوة بدر وحنين • ومنها
انه اوتي الكتاب العزيز وهو امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة • ومنها حفظ كتابه من التحريف و
التبديل حتى سعى كثير من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة في تغييره وتبديل محكمه فما قدروا على اطفاء شيء
من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه قال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه الاية • وكتابه يشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب جامعاً لاخبار القرون السالفة والشرايع
الداثرة مما كان لا يعلم القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ويسر
تعالى حفظه لمتعلميه وقربه على متحفظيه كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وساير الامم لا تحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف بالجم الغفير على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة •
ومنها انه انزل على سبعة احرف تسهيلاً علينا وتيسيراً وشرفاً ورحمة وخصوصية لفضلنا • ومنها ان كتابه
آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا • ومنها انه تعالى تكفل بحفظه فقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقصان • ونظيره قوله تعالى في صفة القرآن لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه • وقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً **فان قلت** هذه الاية تنفي الاختلاف و
فيه حديث انزل القرآن على سبعة احرف المروي في البخاري عن عمر وغيره فاجاب الجعبري في اول شرحه
للشاطبية بان المثبت اختلاف تغاير والمنفي اختلاف تناقض فموردها مختلف انتهى • **فان قلت** فلم اشتغلت
الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه **فاجيب**
كما قال الرازي ان جمعهم للقرآن كان من اسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما اراد حفظه قيضهم لذلك
قال وقال اصحابنا وفي الاية دلالة قوية ان البسملة آية من كل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن
والحفظ لا معنى له الا ان يبقى مصوناً عن التغيير وان يكون محفوظاً عن الزيادة • ولو جاز ان يظن بالصحابة

يسوقونهم

والامم السابقة

نقص والا لما

انهم زادوا لوجب ايضاً ان يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة • واختلف
فيه كيف يحفظ القرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزاً مبايناً لكلام البشر يعجز الخلق عن الزيادة فيه
والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه او نقصوا منه تغير نظم القرآن فيظهر لكل العقلاء ان هذا ليس
من القرآن • وقال آخرون اعجز الخلق عن ابطاله وافساده بان قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه فيما
بين الخلق الى آخر بقاء التكليف • وقال آخرون المراد بالحفظ هو ان احداً لو حاول ان يغيره بحرف او نقطة
لقال له اهل الدنيا هذا كذب • حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال له الصبيان كلهم
اخطأت ايها الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الكتاب فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف
والتغيير والتحريف • وقد صان الله تعالى هذا الكتاب العزيز عن جميع التحريف مع ان دواعي الملحدة واليهود
والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده وانقضى الان ثمانية وتسعون سنة وثمانمائة سنة وهو بحمد الله
في زيادة من الحفظ ومنها انه عليه السلام خص باية الكرسي وبالمفصل وبالمثاني وبالسبع الطوال
كما في حديث ابن عباس بلفظ واعطيت خواتيم سورة البقرة من كنوز العرش وخصصت به دون الانبياء
واعطيت المثاني مكان التورية والمئين مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل • رواه
ابو نعيم في الدلايل وقال تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم • سايره واختلفوا
لم سميت مثاني فعن الحسن وابن عباس وقتادة لانها تثنى في الصلوة فتقرأ في كل صلوة • وقيل لانها مقسومة
بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما في حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين • وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة • وعن مجاهد
لان الله استثناها وادخرها لهذه الامة فما اعطاها غيرهم • وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان السبع المثاني
هي السبع الطوال اولها سورة البقرة وآخرها سورة الانفال مع التوبة • وقال بعضهم سورة يونس بدل
الانفال قال ابن عباس وانما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر
والعبر ثنيت فيها • وقال طاوس القرآن كله مثاني قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً
مثاني وسمي القرآن مثاني لان القصص ثنيت فيه • والله اعلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم اعطي الخزائن
قال بعضهم وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم
فان الاسم الالهي لا يعطيه الا عن محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتح الغيب فلا
يعلمها الا هو واعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص باعطاء مفاتح الخزائن • ومنها انه
صلى الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة وكلمات الله لا تنفد فالكلمة منه كلمات • ولما علم جوامع
الكلم اعطي الاعجاز بالقرآن الذي هو كلام الله تعالى وهو المترجم عن الله سبحانه وتعالى فوقع الاعجاز في
الترجمة التي هي له فان المعاني المجردة عن المواد لا يتصور الاعجاز بها وانما الاعجاز ربط هذه المعاني بصور
الكلم القائم من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره ومنها انه صلى الله عليه وسلم بعث الى
الناس كافة • قال بعضهم وهو من الكفت وهو الضم قال تعالى الم نجعل الارض كفاتاً اي تضم الاحياء على ظهرها

مطلب في ان مصنف هذا الكتاب في تاريخ سنة ثمانية وتسعين وثمانمائة سنة •

[illegible]

الاموات فى بطنها كذلك عمت شريعته صلى الله عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به احد الا لزمه الايمان
به ولما سمع الجن القرآن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد يا قومنا اجيبوا داعى الله
وامنوا به الاية فعمت شريعته صلى الله عليه وسلم الانس والجن وعمت رحمته التى ارسل بها العالم
قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن لم تناله رحمته فما ذلك من جهته وانما ذلك من جهة
القابل فهو كالنور الشمسى افاض شعاعه الارض فمن استتر عنه فى كن وظل جدار فهو الذى لم يقبل
النور عليه وعدل عنه فلم يرجع الى الشمس من ذلك منع انتهى فان قلت ان نوحا كان مبعوثا الى
اهل الارض بعد الطوفان فانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليه وقد جاء فى حديث جابر
وغيره وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود وفى رواية الى الناس
كافة اجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بان هذا العموم الذى حصل لنوح عليه السلام لم يكن فى
اصل بعثته وانما اتفق بالحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق فى الموجودين بعد هلاك سائر الناس
واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك واما قول اهل
الموقف لنوح عليه السلام كما فى حديث الشفاعة انت اول رسول الى اهل الارض فليس المراد به عموم بعثته بل
اثبات اوليته وعلى تقدير ان يكون مرادا فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى فى عدة آيات على ان ارسال
نوح كان الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من فى
الارض فاهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا اليهم لما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم فى اثناء مدة نوح عليه السلام
وعلم نوح بانهم لم يؤمنوا فدعا على كل من لم يؤمن من قومه وغيرهم فاجيب وهذا جواب حسن لكن لم
ينقل انه نبئ فى زمن نوح غيره ويحتمل ان يكون فى معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك بقاء شريعته
الى يوم القيمة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبى فى زمانه او بعده فينسخ بعض شريعته انتهى واما
قول بعض اليهود ان نبينا محمدا صلى الله عليه انما هو مبعوث الى العرب خاصة ففاسد والدليل عليه
انهم اى اليهود سلموا انه رسول صادق الى العرب فوجب ان يكون كلامه كله حقا وقد ثبت بالتواتر انه كان
يدعى انه رسول الله الى كل الناس فلو كذبوه فيه لزم التناقض اشار اليه صاحب المعالم ومنها نصره
صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر والشهر قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو اسرع قاطع لعموم رعبه
فى قلوب اعدائه فلا يقبل الرعب الا عدو مقصود ليتميز السعيد من الشقى ومفهوم هذا انه لم
يوجد لغيره النصر بالرعب فى هذه المدة ولا اكثر منها اما ما دونها فلا لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب
ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر والظاهر اختصاصه مطلقا وانما جعل
الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه السلام وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة
لامته من بعده فيه احتمال ومنها احلال الغنائم ولم تحل لاحد قبله وقد كان من تقدم على ضربين
منهم من لم يؤذن له فى الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيئا لم يحل لهم

ان ياكلوه وجاءت نار فاحرقته قال بعضهم اعطى صلى الله عليه وسلم ما يوافق شهوة
امته لان النفوس لها التذاذ بها لكونها حصلت لهم من قهرهم لخصمهم بتحصيلها وغلبته فلا
يريدون ان يفوتهم التنعم فى مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب ومنها جعل
الارض له ولامته مسجدا وطهورا والمراد بموضع سجود اى لا يختص منها بموضع دون غيره ويمكن
ان يكون مجازا عن المكان المبنى للصلوة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلوة فى جميعها
كان كالمسجد فى ذلك وقيل المراد جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيرى مسجدا
ولم تجعل له طهورا لان عيسى كان يسيح فى الارض ويصلى حيث ادركته الصلاة قاله ابن التين
ومن قبله الداودى وقيل انما ابيح لهم فى موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فابيح لها
فى جميع الارض الا فيما يتيقنون نجاسته والاظهر ما قاله الخطابى وهو ان من قبله انما ابيحت
لهم الصلوة فى اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ وكان
من قبلى انما كانوا يصلون فى كنائسهم وهذا نص فى موضع النزاع فثبتت الخصوصية ويؤيده
ما رواه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث جابر وفيه ولم يكن من الانبياء احد يصلى حتى
يبلغ محرابه قاله فى فتح البارى ومنها ان معجزاته عليه السلام مستمرة الى يوم القيمة
ومعجزات سائر الانبياء انقرضت لوقتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العظيم لم تزل حجته قاهرة
ومعارضته ممتنعة ومنها انه اكثر الانبياء معجزة قال القاضى عياض اما كونها كثيرة
فهذا القرآن كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر
او آية فى قدرها وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت معجزة وذهب آخرون الى ان كل جملة
منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين قال القاضى والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا
بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا
ففى القرآن من الكلمات نحو من سبع وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك
الكوثر عشر كلمات فيتجزى القرآن على نسبة انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها
معجز فى نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون فى السورة الواحدة
من هذه التجزية الاخبار عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى
ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها توجب التضعيف هذا فى حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته
ولا يحوى الحصر براهينه ومن ذلك انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين
اصابعه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت لواحد من الانبياء مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره و
تقدم ما فيه من المباحث ومنها انه خاتم النبيين والمرسلين قال عليه الصلوة والسلام مثلى
ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس

يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين
رواه البخاري ومسلم • ومنها ان شريعته مؤبدة الى يوم الدين وناسخة لجميع شرائع النبيين ولنه
اكثر الانبياء تابعا كما قال عليه السلام فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة • رواه الشيخان
من حديث ابي هريرة • ومنها انه لو ادركه الانبياء لوجب عليهم اتباعه كما سيأتي تقريره ان شاء الله
ومنها انه ارسل الى الجن اتفاقا • والدليل على ذلك قبل الاجماع الكتاب والسنة قال الله تعالى ليكون
للعالمين نذيرا وقد اجمع المفسرون على دخول الجن في هذه الاية وهو مدلول لفظها فلا يخرج عنه الا بدليل
وان قيل ان الملائكة خارجون من ذلك فلا يضر لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلماء والاصوليين
ولو بطل الاستدلال بالعمومات المخصوصة لبطل الاستدلال باكثر الادلة وقال تعالى اجيبوا داعي الله فأمر
بعضهم بعضا باجابته دليل على انه داع لهم وهو معنى بعثته اليهم الى غير ذلك من الايات • واما
السنة ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست
فذكر منها وارسلت الى الخلق كافة فيشمل الجن والانس وحمله على الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز
والكلام فيه كالكلام في اية الفرقان • فان قلت قوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
وما ارسلناك الا كافة للناس ظاهر في اختصاص رسالته عليه الصلوة والسلام بالانس واحتمال غير ذلك
عدول عن الظاهر • فالجواب ان هذا انما يمشي على مذهب الدقاق القائل بان مفهوم اللقب حجة
والناس من قبيل اللقب فان المسئلة المترجمة في الاصول بمفهوم اللقب لا يختص باللقب بل الاعلام كلها
واسماء الاجناس كلها كذلك ما لم تكن صفة والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له • فهذه الاية
ليس فيها اصلا ما يفهم منه انه ليس رسولا الى غيرهم الا على مذهب الدقاق بل ولا يتم على مذهب
المتمسك بهذا المفهوم ايضا لان الدقاق انما يقول به حيث لم يظهر غرض آخر سواه في تخصيص ذلك
الاسم وحيث ظهر غرض لا يقال بالمفهوم بل يحمل التخصيص على ذلك الغرض والغرض في الاية التعميم
في جميع الناس وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم فلا يلزم نفي الرسالة عن غيرهم لا على مذهب الدقاق
ولا على مذهب غيره • وانما خاطب الناس لانهم الذين تغلب رؤيتهم والخطاب معهم فقصد الاية خطاب
الناس والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم • وهذا اذا قلنا ان لفظ الناس لا يشمل الجن فان قلنا انه يشملهم
فواضح • فالاختلاف فيه على الخلاف في اشتقاق الناس هل هو من النوس وهو الحركة او من الانس ضد
الوحشة فاذا قلنا بالاول اطلق على الفريقين • ولكن استعماله في الانس اغلب بحيث اطلق فالمراد به
ولد آدم • واذا قلنا بالثاني فلا لانا لا نبصر الجن ولا نأنس بهم فدخول الجن في الاية اما ممتنع واما قليل
فلا يحمل عليه • وبهذا يتبين ضعف الاستدلال بها لكنها لا تدل على خلافه • واما قول الضحاك ومن
تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم فظاهر الاية لكن لم
يقل الضحاك ولا احد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة وانما محل الخلاف في ذلك في الملل المتقدمة خاصة
واما في هذه الملة فنبينا صلى الله عليه وسلم هو المرسل اليهم والى غيرهم ولم ينقل احد من الصحابة

ان رسل

ان رسل الجن منهم مطلقا ولا ينبغي ان ينسب اليه ما خالف الاجماع على ان الاكثرين قالوا لم تكن الرسل الا
من الانس ولم يكن من الجن قط رسول لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك • ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان وهما يخرجان من الملح دون العذب • وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بني آدم اليهم لا رسل الله
لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين • قال بعض العلماء • ومنها انه ارسل الى الملائكة في احد
القولين • ورجحه السبكي قال الله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
ولا نزاع ان المراد من العبد هنا محمد عليه الصلوة والسلام والعالم هو ما سوى الله تعالى فيتناول جميع
المكلفين من الجن والانس والملائكة • ويبطل بذلك قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض لان لفظ
العالمين يتناول جميع المخلوقات فتدل الاية على انه رسول الى جميع الخلق • ولو قيل انه يخص خروج الملائكة عن هذا
العموم اقام الدليل عليه بما يخرجه فانه يحتمل ان يكون من الملائكة من انذره صلى الله عليه وسلم اما بلا واسطة
واما بغيرها لكن لا يلزم من الانذار والرسالة اليهم في شيء خاص ان يكون بجميع الشريعة كلها • واذا قلنا ان الملائكة
هم مؤمنو الجن السماويون فاذا ركب هذا مع القول بعموم الرسالة للجن الذي قام الاجماع عليه لزم عموم الرسالة
لهم لكن القول بان الملائكة من الجن قول شاذ • والجمهور على ان العالمين في اية الفرقان عام مخصوص بالانس و
الجن كما في قوله حديث وارسلت الى الخلق كافة الذي رواه مسلم • وصرح الحليمي والبيهقي في الباب الرابع من شعب
الايمان بانه عليه السلام لم يرسل الى الملائكة • وفي الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه • وفي تفسير
الامام فخر الدين الرازي والبرهان النسفي حكاية الاجماع في تفسير الفرقان على انه لم يكن رسولا اليهم • وحكاه
العلامة الجلال المحلي واقره • وعبارة النسفي فانهم قالوا هذه الاية تدل على احكام اولها ان قوله
ليكون للعالمين نذيرا يتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا اجمعنا على انه عليه السلام لم يكن
رسولا الى الملائكة بل يكون رسولا الى الجن والانس جميعا • وقد تعقب الجلال المحلي العلامة كمال الدين
ابن ابي شريف فقال اعلم ان البيهقي نقل ذلك عن الحليمي ثم قال وفي هذا معنى كلام الحليمي • وفي قوله هذا اشعار بانه
من عنده بتقدير انه لا اشعار فيه فلم يصرح بانه مجمع عليه • واما الحليمي فانه وان كان من اهل السنة
فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وما نقله عنه موافق القول بافضلية الملائكة
فلعله بناه عليه • واما ما ذكر من حكاية الرازي والنسفي الاجماع على انه عليه السلام لم يكن مرسلا اليهم فقد
وقع في نسخ من تفسير الامام لكنا بينا بدل اجمعنا على ان قوله اجمعنا ليس صريحا في اجماع الامة لان مثل هذه
العبارة تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين بل لو صرح به لمنع فقد قال الامام السبكي في قوله ليكون للعالمين
نذيرا قال المفسرون كلهم في تفسيرها للجن والانس • وقال بعضهم وللملائكة • انتهى • وبالجملة فالاعتماد
على تفسير الرازي والنسفي في حكاية اجماع انفرد بحكايته امر لا ينهض حجة على طريقة علماء النقل لان مدار
نقل الاجماع من كلام الائمة وحفاظ الامة كابن المنذر وابن عبد البر ومن فوقهما في الاطلاع كالائمة اصحاب المذاهب
المتبوعة ومن يلتحق بهما في سعة دائرة الاطلاع والحفظ والاتقان لهما من الشهرة عند علماء النقل ما يغني
عن بسط الكلام فيها • والذي يتحصل في هذه المسئلة التوقف عن الخوض فيها على وجه يتحصل دعوى القطع بشيء

من الجانبين انتهى   ومنها انه ارسل رحمة للعالمين كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال الترمذي يعني للجن والانس • وقيل لجميع الخلق رحمة للمؤمن بالهداية • ورحمة للمنافق بالامان من القتل
وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه
الى الموت او القيامة • واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة • فذاته عليه السلام كما روي رحمة تعم المؤمن
والكافر كما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم • وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة • رواه الدارمي
والبيهقي من حديث ابي هريرة • وسياتي في المقصد السابع مزيد لذلك ان شاء الله تعالى • والله الموفق
ومنها ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا موسى يا داود
يا زكريا يا يحيى يا موسى يا عيسى ولم يخاطب هو فيه في القرآن الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها
المزمل يا ايها المدثر   ومنها انه حرم على الامة نداؤه باسمه قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا اي لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات
ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت • وقيل لا تجعلوا دعاءه اياكم
على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة وترك المبادرة في الاجابة   ومنها انه حرم الجهر
بالقول قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون   قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي كان ابو بكر لا يكلم
النبي صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار • وروي انه صلى الله عليه وسلم ما كان يسمع كلام عمر رضي الله عنه حتى يستفهمه
لخفض صوته • وكان ثابت بن قيس في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مقعده • وذكر ذلك له فدعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت عليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون
عملي قد حبط فقال صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة
قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى
في المسلمين بعض الانكشاف وانهزمت طائفة منهم حتى قتل   ومنها انه حرم نداؤه من وراء الحجرات
قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون • اذ العقل يقتضي حسن الادب
ومراعاة الحشمة   ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اي لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال
لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب   ومنها انه جعل اسماءه
وجمع له من المحبة والخلة • وسياتي تحقيق ذلك وما فيه من المباحث في اخر المقصد السابع ان شاء الله تعالى
ومنها انه كلم بجميع اصناف الوحي كما نقل عن ابن عبد السلام • وسبق تحقيقه في المبحث من المقصد الاول
ومنها ان اسرافيل هبط اليه ولم يهبط على نبي قبله • اخرج الطبراني من حديث ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على احد بعدي وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك اليك
امرني ان اخيرك ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاومى الي ان تواضع فلو اني قلت
ملكا لسارت الجبال معي ذهبا   ومنها انه سيد ولد آدم رواه مسلم من حديث ابي هريرة بلفظ انا سيد ولد آدم

يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وانما قال ذلك اخبارا عما اكرمه الله تعالى به من الفضل
والسودد وتحدثا بنعمة الله عنده واعلاما للامة ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه
بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس
لي ان افتخر بها   ومنها انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال الله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الله اخبره
تعالى بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبياء بمثل ذلك ويدل له قولهم في الموقف نفسي نفسي • و
قال ابن كثير في تفسيره هذه الاية يعني اية الفتح لم يشاركه فيها غيره • وقد اخرج ابو يعلى والطبراني
والبيهقي عن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا على اهل السماء وعلى الانبياء قالوا فما فضله على اهل
السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقد
كتب له براءة قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس فارسله الى الجن والانس   ومنها
انه اكرم الخلق على الله تعالى فهو افضل من كل المرسلين وجميع الملائكة المقربين • وسياتي الجواب عن قوله عليه السلام
في حديث ابي هريرة عند مسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونحو ذلك في المقصد السادس
ان شاء الله تعالى   ومنها السلام وغيره • رواه مسلم من حديث ابن مسعود والبزار من حديث ابن عباس
ومنها انه لا يجوز عليه خطا ذكره ابن ابي هريرة عن الماوردي • فقال نعم ولا النسيان حكاه النووي في شرح مسلم
ومنها ان الميت يسال عنه عليه السلام في قبره • ففي حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما فتنة القبر
فبي تفتنون وعني تسالون فاذا كان الرجل الصالح اجلس فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول
محمد رسول الله • الحديث • رواه احمد والبيهقي   ومنها انه حرم نكاح ازواجه من بعده قال الله
سبحانه وتعالى وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كحرمة الامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولانهن ازواجه في الاخرة وهل ذلك في غير المخيرات من اختار منهن الدنيا فيه طريقان • احدهما طرد الخلاف
والثاني القطع بالحل • واختاره الامام والغزالي وان زوجاته التي توفي عنهن محرمات على غيره ابدا • وفي جواز
النظر وجهان اشهرهما المنع وتثبت لهن حكم الامومة في احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة
والنفقة والميراث ولا يتعدى ذلك الى غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات المؤمنين على الاصح • وقيل انما حرمن
ازواجه لانه عليه الصلاة والسلام حي في قبره ولهذا حكى الماوردي انه لا يجب عليهن عدة الوفاة • وفي التي
فارقها في الحياة كالمستعيذة والتي راى بكشحها بياضا اوجه احدها تحرم ايضا وهو الذي نص عليه الشافعي
وصححه في الروضة لعموم الاية • وليس المراد من بعده بعدية الموت بل بعدية النكاح • وقيل لا • والثالث
وصححه امام الحرمين والرافعي في الصغير تحريم المدخول بها فقط لما روي ان الاشعث بن قيس نكح المستعيذة
في زمن عمر فهم عمر رضي الله عنه برجمه فاخبر انها لم تكن مدخولا بها فكف • وفي بلاغ فارقها بعد دخولها

أوجه ثالثها تحرم إن فارقها بالموت كمارية ولا تحرم إن باعها في الجواز . انتهى ومنها ما صححه
ابن عبد السلام أنه يجوز أن يقسم على الله به وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام وهذا ينبغي أن يكون مقصورا
على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه سيد ولد آدم وأن لا يقسم على الله بغيره من الملائكة والأولياء لأنهم
ليسوا في درجته وأن يكون هذا مما خص به لعلو درجته ومرتبته . انتهى ومنها أنه يحرم رؤية أشخاص
أزواجه في الأزر . وكذا يحرم كشف وجوههن وأكفهن لشهادة أو غيرها كما صرح به القاضي عياض . و
عبارته فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك
ذلك في شهادة ولا غيرها ولا إظهار شخوصهن وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه الضرورة من براز
ثم استدل بما في الموطأ أن حفصة لما توفي عمر رضي الله عنه سترها النساء عن أن يرى شخصها وأن زينب بنت
جحش جعلت لها القبة فوق نعشها لتستر شخصها . انتهى . قال الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره دليل
على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن فقد كن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن وكان الصحابة ومن
بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص . انتهى وأما حكم نظر غير
أزواجه عليه السلام ففي الروضة وأصلها عن الأكثرين جواز النظر إلى وجه الحرة الأجنبية وكفيها
إذا لم يخف فتنة مع الكراهة وقوة كلام الشيخين الرافعي والنووي يقتضي رجحانه . وصوبه في المهمات
لتصريح الرافعي في الشرح بأن الأكثرين عليه لكن نقل ابن العراقي أن شيخه البلقيني قال الترجيح بقوة المدرك
والفتوى على ما في المنهاج . وقد جزم في التدريب وقوة كلام الشرح الصغير يقتضي رجحانه . وعلله باتفاق
المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات . ونقلا في الروضة وأصلها هذا الاتفاق وأقراه
وعورض بنقل القاضي عياض عن العلماء مطلقا أنه لا يجب على المرأة ستر وجهها في الطريق وإنما هو
سنة وعلى الرجال غض البصر . وحكاه عنه النووي في شرح مسلم وأقره . قال الشيخ نجم الدين
ابن قاضي عجلون في تصحيح المنهاج . والله أعلم . وكان النكاح في حقه صلى الله عليه وسلم عبادة مطلقا كما
قاله السبكي وهو في حق غيره ليس بعبادة بل من المباحات والعبادة عارضة له . ومنها أن
أولاد بناته ينسبون إليه قال عليه الصلاة والسلام في الحسن إن ابني هذا سيد . رواه أبو يعلى ومنها
أن كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي والنسب بالولادة والسبب بالزواج . قيل معناه
أن أمته ينتفعون بالنسبة إليه يوم القيامة بخلاف أمة غيره ومنها أنه لا يتزوج على بناته
فعن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني
أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن إلا أن يحب علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح
ابنتهم فإنما هي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها . أخرجه الشيخان وصححه الترمذي . وعنه
أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة أتت
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل
قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد قال أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع

فحدثني

فحدثني فصدقني وإن فاطمة بنت محمد بضعة مني وإنما أكره أن يفتنوها فإنه والله لا تجتمع بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدا قال فترك علي الخطبة . أخرجه الشيخان
واسم بنت أبي جهل هذه جويرية أسلمت وبايعت وتزوجها عتاب بن أسيد . ثم أبان بن العاص قال
أبو داود حرم الله تعالى على علي بن أبي طالب أن ينكح على فاطمة في حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وذكر الشيخ أبو علي السنجي في شرح التلخيص أنه يحرم التزوج
على بنات النبي صلى الله عليه وسلم . ويحتمل أن يكون هذا خاصا بفاطمة رضي الله عنها . وقد علل عليه السلام
بأن ذلك يؤذيه وأذيته عليه السلام حرام بالاتفاق . وفي هذا تحريم أذى من يتأذى بتأذيه لأن
أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقا قليله وكثيره . وقد جزم عليه الصلاة والسلام بأنه يؤذيه ما
آذى فاطمة فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به فهو يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا
الخبر الصحيح . وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك مع أن الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم أقرب
إلى خشية الافتتان في الدين ومع ذلك فكان صلى الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات وتوجد منهن
الغيرة ومع ذلك ما راعى صلى الله عليه وسلم في حقهن كما راعاه في حق فاطمة . وأجيب بأن فاطمة
كانت إذ ذاك فاقدة من تركن إليه ممن يؤنسها ويزيل وحشتها من أم أو أخت بخلاف أمهات المؤمنين
فإن كل واحدة منهن كانت ترجع إلى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليه وهو زوجهن صلى الله عليه
وسلم لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخاطر بحيث إن كل واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه
وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب
ومنها أنه لا يجتهد في محرابه صلى الله عليه وسلم تيمنة ولا يسرة . وأفتى شيخ الإسلام أبو زرعة
ابن العراقي في شخص امتنع من الصلاة إلى المحراب النبوي صلى الله عليه وسلم وقال أنا أجتهد وأصلي
بأنه إن فعل ذلك مع الاعتراف بأنه على ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فهو رد لما ذكرنا
وبدعة وإن قال ليس هو الآن على ما كان عليه صلى الله عليه وسلم بل غير عما كان عليه فهذا سبب اجتهاده فلم يحكم بردته
وإن لم يكن هذا التأويل . ومنها أن من رآه في المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل
به . وفي رواية مسلم من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو لكأنما رآني في اليقظة بدل قوله فسيراني
ومثله عند ابن ماجه وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود . وفي رواية أبي قتادة عند مسلم
أيضا من رآني فقد رأى الحق . وله أيضا من حديث جابر من رآني في المنام فقد رآني لا ينبغي للشيطان
أن يتمثل في صورتي . وفي رواية من رآني في المنام فقد رآني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي
وفي حديث أبي سعيد عند البخاري فإن الشيطان لا يتكونني أي لا يتكون كوني فحذف المضاف
ووصل المضاف إليه بالفعل . وفي حديث أبي قتادة عند البخاري لا يتراءى بي بالراء بوزن
يتعاطى ومعناه لا يستطيع أن يتمثل بي يعني أن الله تعالى وإن أمكنه من التصور في أي صورة
أراد فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا

في الحديث انه محل ذلك اذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها • ومنهم من ضيّق الغرض في ذلك حتى قال
لا بد ان يراه على صورته التي قبض عليها حتى يعتبر الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين • وعن حماد بن زيد قال
كان محمد يعني ابن سيرين اذا قص عليه رجل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال صف لي الذي رأيته فان وصف له
صفة لا يعرفها قال لم تره • وسنده صحيح • وقد اخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني ابي قال قلت لابن
عباس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال صفه لي فذكرت الحسن بن علي فشبهته به قال قد رأيته
وسنده جيد لكن يعارضه ما اخرجه ابن ابي عاصم من وجه آخر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من رآني في المنام فقد رآني فاني ارى في كل صورة وفي سنده ابن التوأمة وهو ضعيف لاختلاطه وهو من رواية
من سمع منه بعد الاختلاط • قال القاضي ابو بكر بن العربي رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة
ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال • فان الصواب ان الانبياء لا تغيرهم الارض ويكون
ادراك الذات الكريمة حقيقة وادراك الصفات ادراك المثال قال وقد شذ بعض القدرية فقال الرؤية
لا حقيقة لها اصلا • قال وقوله فسيراني معناه فسيرى تفسير ما رأى لانه حق وغيب • واما قوله فكأنما
رآني فهو تشبيه ومعناه انه لو رآني في اليقظة لطابق ما رآه في المنام فيكون الاول حقا وحقيقة والثاني
حقا وتمثيلا • قال وهذا كله اذا رآه على صورته المعروفة • فان رآه على خلاف صفته فهي امثال فان رآه
مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وعلى العكس فالعكس • وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بقوله فقد رآني
اي فقد رأى الحق ان من رآه على صورته المعروفة او غيرها • انتهى • وتعقبه شيخ الاسلام الحافظ ابن
حجر فقال لم يظهر من كلام القاضي عياض ما ينافي ذلك بل ظاهر قوله انه يراه حقيقة في الحالين لكن في الاولى
تكون الرؤيا مما لا يحتاج الى التعبير والثانية مما يحتاج الى التعبير • وقال بعضهم معناه ان من رآه على
صورته التي كان عليها ويلزم من قول من قال انه لا تكون رؤيته الا على صورته المعلومة ان من رآه على غير
صفته ان تكون رؤياه اضغاث احلام • ومن المعلوم انه يرى في النوم على حالة تخالف حالته في الدنيا من
الاحوال اللائقة به • ولو تمكن الشيطان من التمثل بشيء مما كان عليه او ينسب اليه غير ذلك لعارض عموم قوله فان
الشيطان لا يتمثل بي • فالاولى ان تنزه رؤياه • وكذا رؤيا شيء منه او مما ينسب اليه عن ذلك فانه ابلغ في
الحرمة واليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته • فالصحيح في تأويل هذا الحديث ان مقصوده ان رؤيته في
كل حالة ليست باطلة ولا اضغاثا بل هي حق في نفسها • ولو رؤي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من
الشيطان بل هو من قبل الله تعالى • وهذا قول القاضي ابي بكر بن الطيب وغيره • ويؤيده قوله فقد رأى الحق أي الحق المشار
اليه المرضي • وقال ابن بطال قوله فسيراني في اليقظة يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها
وخروجها على الحق • وليس المراد انه يراه في الآخرة لانه سيراه يوم القيامة في اليقظة جميع امته من رآه في النوم
ومن لم يره • وقال المازري ان كان المحفوظ فكأنما رآني في اليقظة فمعناه ظاهر وان كان المحفوظ
فسيراني في اليقظة احتمل ان يكون اراد اهل عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا رآه في المنام جعل ذلك علامة
على انه يراه بعد ذلك في اليقظة واوحى الله تعالى بذلك اليه صلى الله عليه وسلم • وقيل معناه سيرى تأويل

تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها • واجاب القاضي عياض باحتمال ان يكون رؤياه في النوم على الصفة التي عُرف بها
ووصف عليها موجبة لتكرمته في الآخرة وان يراه رؤية خاصة من القرب منه او الشفاعة له بعلو الدرجة
ونحو ذلك من الخصوصيات • قال ولا يبعد ان يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه صلى الله
عليه وسلم مدة • وحمله ابن ابي جمرة على محمل آخر • فذكر عن ابن عباس او غيره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فبقي بعد ان استيقظ متفكرا في هذا الحديث فدخل على بعض امهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فاخرجت
له المرآة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فنظر فيها صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير فيها صورة نفسه
وقال الغزالي ليس معنى قوله فقد رآني انه رأى جسمي وبدني وانما المراد انه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة
يتأدى بها المعنى الذي في نفسي اليه • وكذلك قوله فسيراني في اليقظة ليس المراد انه يرى جسمي وبدني قال
والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية • والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو
روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق • قال ومثل ذلك من يرى الله
سبحانه وتعالى في المنام فان ذاته تعالى وتقدس منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته
تعالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره ويكون ذلك المثال حقا في كونه واسطة في
التعريف فيقول الرائي رأيت الله تعالى في المنام لا يعني اني رأيت ذات الله تعالى كما تقول في حق غيره • وقال الغزالي
ايضا في بعض فتاويه من رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة وانما
رأى مثاله لا شخصه ثم قال وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل • وقال الطيبي
المعنى من رآني في المنام بأي صفة كانت فليستبشر وليعلم انه قد رأى الرؤيا الحق اي رؤية الحق لا الباطل و
كذا قوله فقد رآني فالشرط والجزاء اذا اتحدا دل على الغاية في الكمال اي فقد رآني رؤيا ليس بعدها شيء •
والحاصل من الاجوبة انه على التشبيه والتمثيل ويدل عليه قوله فكأنما رآني في اليقظة • ثانيها معناه سيرى
في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة • ثالثها انه خاص باهل عصره ممن آمن به قبل ان يراه • رابعها انه يراه
في المرآة التي كانت له ان امكنه ذلك • قال شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من ابعد المحامل
خامسها انه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من رآه حينئذ ممن لم يره في المنام • والتصويب
كما قدمناه في رؤيته عليه الصلاة والسلام التعميم على اي حالة رآه الرائي يشترط ان يكون على صورته الحقيقية
في وقت ما سواء كان في شبابه او رجوليته او كهوليته او آخر عمره • وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق
بالرائي كما قال بعض علماء التعبير ان من رآه شيخا فهو غاية سلم ومن رآه شابا فهو في غاية حرب
وقال ابو سعيد احمد بن محمد بن نصر من رأى نبيا على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال
جاهه وظفره بمن عاداه ومن رآه متغير الحال عابسا مثلا فذلك دال على سوء حال الرائي • وقال
العارف ابن ابي جمرة من رآه في صورة حسنة فذلك حسن في دين الرائي وان كان في جارحة من جوارحه
شين او نقص فذلك خلل في الرائي من جهة الدين • قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا
الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل او لا لانه عليه السلام كان

نور في مثل المرآة الصقيلة ما كان في الناظر اليها من حسن وقبح تصورهما وهي في ذاتها على احسن حال لا نقص فيها • وكذلك يقال في كلامه عليه السلام في النوم انه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل في سمع الرائي ورؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو في سمع الرائي وبصره كان هذا خير ما سمعته في هذا • انتهى • وقال بعضهم ليست رؤيته عليه الصلوة والسلام رؤيا عين انما هي بالبصائر وذلك لا يستدعي حصر الرائي بل يرى من المشرق الى المغرب ومن الارض الى العرش كما ترى الصور في المرآة المحاذية لها وليست الصورة منتقلة الى جرم المرآة ومن الناظر مقابله جميع الكائنات كالمرآة • واختلاف رؤيته صلى الله عليه وسلم بان يراه بعضهم شيخا وآخر شابا وآخر ضاحكا وآخر باكيا يرجع الى الرائين كاختلاف الصورة الواحدة فيرى مختلفة الاشكال والمقادير ففي الكبيرة يرى وجهه كبيرا وفي المتباعدة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا الى غير ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف الرائي لا الى وجه المرئي كذلك الراؤون له عليه السلام احوالهم بالنسبة اليه مختلفة فمن رآه متبسما استدل على ان الرائي مستمسك بسنته • والله اعلم • وقد اجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سؤال رؤية جماعة له صلى الله عليه وسلم في آن واحد من اقطار متباعدة مع ان ذاته صلى الله عليه وسلم حق بانه صلى الله عليه وسلم سراج ونور الشمس في هذا العالم مثال نوره في العوالم كلها وكما ان الشمس يراها كل من كان في المشرق والمغرب في ساعة واحدة وبصفات مختلفة فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولله در القائل

كالبدر من اي النواحي جئته يهدي الى عينيك نورا ثاقبا

واما رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد وفاته عليه السلام فقال شيخنا لم يصل الينا عن احد من الصحابة ولا عمن بعدهم • وقد اشتد حزن فاطمة عليها السلام عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدا بعده بستة اشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرت عنه • وانما حكى عن بعض الصالحين حكايات عن انفسهم كما وقع لتوثيق عرى الايمان للبارزي • وبهجة النفوس لابي محمد بن ابي جمرة وروض الرياحين للعفيف اليافعي وغيره من تصانيفه • والشيخ صفي الدين ابن المنصور في رسالته وعبارة ابن ابي جمرة قد ذكر عن السلف والخلف الى هلم جرا عن جماعة كانوا يصدقون بهذا الحديث يعني من رآني في المنام فسيراني في اليقظة انهم رأوه صلى الله عليه وسلم في النوم فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن اشياء كانوا منها متشوشين فأخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص • ثم قال والمنكر لهذا لا يخلو اما ان يصدق بكرامات الاولياء اولا • فان كان الثاني فقد سقط البحث معه فانه يكذب ما اثبتته السنة بالدلائل الواضحة وان كان الاول فهذه منها لان الاولياء يكشف لهم بخرق العادة عن اشياء في العالمين العلوي والسفلي عديدة مع التصديق بذلك • وقال الشيخ ابن المنصور في رسالته وحكى ان الشيخ ابا العباس القسطلاني دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الله بيدك يا احمد • وعن الشيخ ابي السعود قال كنت ازور شيخنا ابا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما انقطعت واشتغلت وفتح علي لم اكن الشيخ

الاجمي

لا الى النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان يصافحه عقب كل صلوة • وقال الشيخ ابو العباس الحرار دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته يكتب مناشير الاولياء بالولاية قال وكتب لاخي محمد معهم منشورا فقلت يا رسول الله ما تكتب لي كأخي قال انت تريد ان تكون قهارا وهذه لغة اندلسية يعني طريقا وفهم عنه ان له مقاما غير هذا • وقال حجة الاسلام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال وهم يعني ارباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد انتهى • ورأيت في كتاب المنح الالهية في مناقب السادة الوفائية عن سيدي علي بن سيدي محمد وفا انه قال في بعض مشاهده كنت وانا ابن خمس سنين اقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فاتيته يوما فرأيت انا انا نقرأ عليه سورة والضحى وسجنه فنزل وهو يلوي شدقيه بالامالة ورفعته تفخما نجانا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وعليه قميص ابيض قطن ثم رأيت القميص علي فقال لي اقرأ فقرأت والضحى والم نشرح ثم غاب عني فلما بلغت احدى وعشرين سنة احرمت بصلوة الصبح بالقرافة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبالتي فعانقني فقال لي واما بنعمة ربك فحدث فاوتيت لسانه من ذلك الوقت • انتهى واما ما حكاه الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله في لطائف المنن عن الشيخ ابي العباس المرسي انه كان مع الشيخ ابي الحسن الشاذلي بالقيروان في ليلة الجمعة سابع عشرين من رمضان فذهب معه الى الجامع الحكاية الى ان قال ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس الى آخره فيحتمل ان يكون مناما • وكذلك قول الشيخ قطب الدين القسطلاني كنت اقرأ على الشيخ عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي بالمدينة النبوية فجئته يوما في وقت خلوة وانا يومئذ حديث السن فخرج الي وقال من اين لك هذا الادب وعاتب علي فذهبت وانا منكسر الخاطر فدخلت المسجد وقعدت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس على تلك الحالة واذا بالشيخ قد جاءني وقال الفقير قد جاء فيك شفيع لا يرد ونحو ما حكاه السهروردي في عوارف المعارف عن الشيخ عبد القادر الكيلاني انه قال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج • وحكي عن السيد صفي الدين الايجي والد السيد عفيف الدين انه في بعض زياراته للنبي صلى الله عليه وسلم سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف وعليك السلام يا ولدي • وقال البدر حسين الاهدل في رسالة الرؤيا له ان وقوعها للاولياء قد تواترت باخبارهم الآحاد وصار العلم بذلك قطعيا عند الكل ومن تواترت عليه اخبارهم لم يبق له شبهة فيه ولكن يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس وغموض طرف لورود حال الاكتئاب يضبطها العادة ومراتبهم في الرؤية متفاوتة وكثيرا ما يغلط فيها رواتها عن ما يجد دون تسمية صحيحة عما يوفقه واما من لا يوثق به فيكذب • وقد يرى مناما او في غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالا ودون افقه الرب وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز في هذا الباب وبالجملة فالقول برؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بالدليل العقلي لاستلزامه خروجه من القبر ومشيه في الاسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له ومخالفته عن حيث المرتب فلا يبقى منه في قبره الشريف شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب اشار الى ذلك القرطبي في الرد على القائل بانه الرائي له

له حقيقة ثم يراه كذلك في اليقظة قال وهذه حالات لا يعقل البحث منها من لم أدنى بشكه من الحظوظ
ويلزم من شيء من ذلك مختل مجهول • وقال القاضي أبو بكر بن العربي وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني
الرأس حقيقة • وقال في فتح الباري بعد أن ذكر كلام ابن أبي جمرة هذا مشكل جداً ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة
لأصحابه ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة • والشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمية • فمن يدعي في هذه الدار
أنه يرى المصطفى حقاً قصداً فاد مستنطا • ولكن بين النوم واليقظة التي يباشر هذا الأمر مرتبة وسطى
وقد حمل القاضي أبو بكر بن العربي القول بأن الرؤية في المنام بعين الرأس علو وخاصة ثم نسب لبعض المتكلمين
وهو القول بأنها مدركة بعينين في القلب وأنه ضرب من المجاز انتهى • فلا يمتنع من الخواص أرباب الخلوة
المنابين بالمراقبة والتوجه على قدم الخوف بحيث لا يسكنون لشيء مما يقع لهم من الكرامات فضلاً عن التحدث بها لغير
ضرورة مع السعي في التخلص من الكدورات والإعراض عن الدنيا وأهلها جملة • وكون الواحد منهم يود أن
يخرج من أهله وماله وأنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلاني أن يتمثل صورته صلى
الله عليه وسلم في خاطره ويتصور في عالم سره أنه بحضرته بشرط استقراره في ذلك وعدم اضطرابه فإن تزلزل
واضطرب كان له من الشيطان وليس في ذلك خادشاً في علو مقامهم لعدم عصمة غير الأنبياء • فقد قال
العلامة التاج بن السبكي في جمع الجوامع تبعاً لغيره وأن الإلهام ليس بحجة لعدم الثقة بمن ليس معصوماً بخواطره
وحينئذ فمن قال من حكاية أو غيرهم أن المرئي هو المثال لا الذات النبوي محمله على هذا والحمل كل من أطلق عليه هو
اللائق ويقرب منه قوله صلى الله عليه وسلم أريت الجنة والنار مع مزيد استبعاده فما أنكره المراد دون
العلم ويحكى عن الشيخ أبي العباس المرسي أنه قال لو حجبت عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت
نفسي من المسلمين وعلى هذا فيكون معنى قوله في اليقظة أي يتصور مشاهدته ولا يزال في نفسه حاضراً معه بحيث
لا يخرج عن آدابه وسنته صلى الله عليه وسلم ويسلك منهاجه ويمشي على شريعته وطريقته • ومنه قوله عليه السلام
في الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه • ويحمل العموم في فمن رآني على المحقق • والدليل قول بعض العارفين
أي من رآني ويتم معظم حرمتي ومشتاقاً لمشاهدتي وصل إلى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه • وقريب منه قول
شارح المصابيح أو يراه في الدنيا حالة الذوق والانسلاخ عن العوائق الجسمانية كما نقل ذلك عن بعض الصالحين
أنه زاد في حالة الذوق والشوق • وقد قال الهندي عقب الحكاية عن الشيخ أبي العباس المرسي وهذا فيه نحو ومع شبه
في كلام الشيوخ وذلك أن المراد أنه لم يحجب عن الروح الشخصية طرفة عين فذلك مستحيل • والله أعلم • انتهى
ومما خص به عليه الصلاة والسلام أن المسمى باسمه ميمون نافع في الدنيا والآخرة • ورويناه عن أنس رضي الله عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا
الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد
ولا محمد • وروى أبو نعيم عن نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا
أعذب أحداً تسمى باسمك في النار • وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد
أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين • رواه أبو منصور الديلمي • وليس لأحد أن يتكنى بكنية أبي القاسم

سواء كان اسمه محمداً أو أحمد ومنهم من كره الجمع وجوز الإفراد وينبغي أن يكون هو الأصح • قال النووي في هذه
المسألة مذاهب الشافعي منع مطلقاً وجوزه مالك • والثالث يجوز لمن ليس اسمه محمد ومن جوز مطلقاً
جعل النهي مختصاً بحياته وهو الأقرب • انتهى • ومنها أنه يستحب الغسل لقراءة حديثه والتطيب ولا يرفع
عنده الأصوات بل يخفض كما في حياته إذا تكلم فإن كلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه
الشريف وأن يقرأ على مكان مرتفع • ورويناه عن مطرف قال كان الناس إذا أتوا مالكاً رحمه الله خرجت إليهم
الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج إليهم في الوقت وإن
قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً وتعمم ولبس ساجة • والساج الطيلسان
وتلقى له منصة فيخرج يجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث • قال ابن أبي أويس فقيل له في ذلك فقال أحب أن
أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة • ويقال إنه أخذ ذلك عن سعيد بن
المسيب وقد كره قتادة ومالك وجماعة التحديث على غير طهارة • حتى كان الأعمش إذا كان على غير طهارة تيمم
ولا شك أن حرمته عليه الصلاة والسلام وتعظيمه وتوقيره بعد مماته عند ذكره وذكر حديثه وسماع
اسمه وسيرته كما كان في حياته • والله أعلم • ومنها أنه يكره لقارئ حديثه أن يقوم لأحد
قال ابن الحاج في المدخل لأنه قلة أدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وقلة احترام وعدم مبالاة إذ
يقطع حديثه لأجل غيره فكيف لبدعة • وقد كان السلف لا يتطعمون ولا يتحركون وإن أصابهم الضرر
في أبدانهم ويحتملون المشقة التي تنزل بهم وذلك احتراماً للحديث وتعظيمه صلى الله عليه وسلم • وحسبك
ما وقع لمالك رحمه الله في لدغ العقرب له سبع عشرة مرة وهو لم يتحرك وتحمله للسعها تعظيماً لجناب حديثه
عليه السلام أن يكون يغيره وهو يتحرك لغير ضرورة مع أنه معذور فيما وقع به فكيف بالحركة للقيام وذلك
لا لضرورة بل للبدعة سيما إن انضاف لذلك ما لا ينبغي من الكلام المعتاد • انتهى ملخصاً
ومنها أن قارئ حديثه لا تزال وجوههم نضرة • وأن قراء حديثه اختصوا بالتلقيب بالحفاظ وأمير المؤمنين
من بين سائر العلماء • ومنها أن تثبت الصحبة لمن اجتمع به صلى الله عليه وسلم لحظة بخلاف
التابعي مع الصحابي فلا يثبت إلا بطول الاجتماع معه على الصحيح عند أهل الأصول والفرق تعظيم منصب
النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره على الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة • ومنها أن أصحابه
كلهم عدول لظواهر الكتاب والسنة فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة
فالخطأ بالموجودين حينئذ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً أي عدولاً • وقال عليه السلام خير
قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم • وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق
أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه • في آيات كثيرة وأحاديث يقتضي القول بتعديلهم
وكذلك أجمع من يعتد به على ذلك سواء في التعديل الأئمة منهم وغيرهم لوجوب حسن الظن بهم
وحمل الملابس على الاجتهاد ونظر إلى ما تقدم من الآثار من ثناء الله عليه الصلاة والسلام وتحريم

الاقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس مع مواظبتهم على الصلوات والزكوات وانواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والاخلاق الحميدة التي لم تكن في امة من الامم المتقدمة ولا تكون لاحد بعدهم مثلهم في ذلك كل ذلك ببركة نظره عليه السلام وافضلهم عند اهل السنة اجماعا ابو بكر ثم عمر واما بعدهما فالجمهور على ان عثمان ثم علي • وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد السابع •

ومنها ان المصلي يخاطبه بقوله السلام عليك ايها النبي ولا يخاطب غيره •

ومنها انه كان يجب على من ناداه وهو في الصلاة ان يجيبه ويشهد له حديث سعيد بن المعلى كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه • الحديث • وفيه الم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فاجابته فرض يعصي المرء بتركها وهل تبطل الصلاة ام لا صرح جماعة من اصحابنا الشافعية وغيرهم انها لا تبطل • وفيه بحث لاحتمال ان تكون اجابته واجبة مطلقا سواء كان المخاطب مصليا او غير مصل • اما كونه يخرج بالاجابة من الصلاة او لا يخرج فليس في الحديث ما يستلزمه فيحتمل ان تجب الاجابة ولو خرج المجيب من الصلاة والى ذلك جنح بعض الشافعية • والله اعلم •

ومنها ان الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ومن كذب عليه لم تقبل روايته ابدا وان تاب فيما ذكره جماعة من المحدثين • وقال عبد الرزاق انا معمر عن رجل عن سعيد بن جبير ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه • ولهذا حكى امام الحرمين عن ابيه ان من تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم كفر لكن لم يوافقه احد من الائمة على ذلك • والحق انه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بها الا اذا استحله • وقال النووي لم ار له اي القول في اصل المسألة دليلا ويجوز ان يوجه بان ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته فانه يصير شرعا مستمرا الى يوم القيمة بخلاف الكذب على غيره والشهادة فان مفسدتهما قاصرة ليست عامة ثم قال وهذا الذي ذكره هولاء الائمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية • والمختار القطع بصحة توبته وقبول روايته بعدها بشروطها المعروفة • قال فهذا هو الجاري على قواعد الشرع • وقد اجمعوا على صحة رواية من كان كافرا فاسلم • قال واجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية في هذا • قال شيخنا ويمكن ان يقال فيما اذا كان كذبه في وضع حديث وحمل عنه ودون في الاجزاء متعلقة بالعمل لا يحتمل ابدا فان من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة والتوبة متعذرة ظاهرا وان وجد مجردها •

ومنها انه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها • وكذلك الانبياء •

ومنها انه لا يجوز عليه الجنون لانه نقص ولا الاغماء الطويل الزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد في تعليقه وجزم به البلقيني في حواشي الروضة وكذلك الانبياء • ونبه السبكي على ان اغماءهم يخالف اغماء غيرهم وانما هو غلبة الاوجاع للحواس الظاهرة دون القلب لانه قد ورد انما تنام اعينهم دون قلوبهم وعصمتهم من النوم الذي هو اخف من الاغماء فمن الاغماء بطريق الاولى • قال السبكي ولا يجوز عليهم العمى لانه نقص ولم يعم نبي قط وما كان من شعيب انه كان ضريرا لم يثبت • واما يعقوب فحصلت له

غشاوة

غشاوة وزالت انتهى • وقال الرازي في قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم لما قال يا اسفى على يوسف غلبه البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الماء • وقوله وابيضت عيناه من الحزن كناية عن غلبة البكاء • والدليل على صحة هذا القول ان تاثير الحزن في غلبة البكاء لا في حصول العمى فلو حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى • ثم قال واختلفوا فقال بعضهم انه كان عمي بالكلية فالله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت • وقال آخرون بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والاحزان بحيث صار يدرك ادراكا ضعيفا فلما القوا القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان عنه • انتهى •

ومنها ان من سبه او انتقصه قتل واختلف هل يتحتم قتله في الحال او يوقف على استتابته • وهل الاستتابة واجبة ام لا ومذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا او غلطا • وعبارة شيخهم العلامة خليل في مختصره وان سب نبيا او ملكا وان عرض او لعنه او عابه او قذفه او استخف بحقه او غير صفته او الحق به نقصا وان في دينه او خصلته او غض من رتبته او وفور علمه او زهده او اضاف له ما لا يجوز عليه او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او قيل له بحق رسول الله فلعن وقال اردت العقرب قتل ولم يستتب حدا الا ان يسلم الكافر • وان ظهر انه لم يرد ذمه لجهل او سكر او تهور • وهذا قد ذكره القاضي عياض في الشفاء وغيره • واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع • اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا • واللعنة من الله سبحانه هي ابعاد الملعون من رحمته واحلاله في وبيل عقوبته • قال القاضي عياض وانما يستوجب اللعن من هو كافر وحكم الكافر القتل ولا اذى هو الشرك الخفيف فانه اذا كان ضررا • كذا قاله الخطابي وغيره والاذى في حقه تعالى انما هو سبيل المجاز لتعذر الحقيقة فيه ويشهد لذلك الحديث الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني • وهذا بخلاف جانب الرسول صلى الله عليه وسلم فالاذى في حقه تعالى وحق رسوله كفر لشمول الاية • لان العذاب المهين انما يكون للكفار • وكذلك العذاب الاليم وقال تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم • قال القاضي عياض قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم • واما السنة فروى ابو داود والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لابن الاشرف • وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا • وفي رواية فانه يؤذي الله ورسوله قال القاضي عياض ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل على ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى • وفي حديث مصعب بن سعد عند ابي داود لما كان يوم الفتح امن صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وذكرهم ثم قال واما ابن ابي سرح فاختبأ عند عثمان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه

على رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال لما نجاه بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد
ثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله
فقالوا يا رسول الله ما في نفسك الا اومأت الينا قال انه لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين • وفيه
انه امر بقتل عبد الله بن خطل لان ابن خطل كان يقول الشعر يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر جاريتيه
ان تغنيا به وكذلك قتل جاريتيه • قالوا فقد ثبت انه امر بقتل من آذاه ومن تنقصه • والحق له
عليه الصلوة والسلام وهو مخير فيه فاختار القتل في بعضهم وعفى عن بعضهم وبعد وفاته تعذرت
المعرفة بالعفو فبقي الحكم على عمومه في القتل لعدم الاطلاع على العفو • وليس للامة بعده ان يسقطوا
حقه صلى الله عليه وسلم لانه لم يرد عنه الاذن في ذلك • واما الاجماع فقال القاضي عياض اجمعت الامة
على قتل منتقصه من المسلمين وسابه • فقال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله
عليه وسلم يقتل • وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي • وقال
الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما • وقال محمد بن سحنون اجمع
العلماء على ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المنتقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند
الامة القتل فمن شك في كفره وعذابه كفر انتهى • ومذهب الشافعية ان ذلك ردة الى الكفر فهو
مرتد كافر قطعا لا نزاع في ذلك عند الجمهور من ائمتنا • والمرتد يستتاب فان تاب والا قتل وفي
الاستتابة قولان اصحهما وجوبها لانه كان محترما بالاسلام وربما عرضت له شبهة فينبغي ازالتها
وقيل يستحب لانه غير مضمون الدم • فان قلنا بالاول يجب الحال ولم يؤجل كفره • وفي الصحيح حديث من
بدل دينه فاقتلوه • وفي قول يمهل ثلاثة ايام فان لم يتب وأصر رجلا كان او امرأة قتل وان اسلم
صح اسلامه وترك لقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة الآية • وعن ابن عباس قال ايما مسلم
سب الله او احدا من الانبياء فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب منها فان تاب
والا قتل • وايما معاهد سب الله او سب احدا من الانبياء نقض العهد فاقتلوه • واجيب عن ما تقدم
من اوامر الملائكة فاما قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية فليس فيه الا كفر مؤذيه عليه السلام
اما كونه يقتل بعد التوبة والاسلام فلا دلالة عليه فيه اصلا • واما ابن خطل فانما قتل وان لم يستتب
للكفر والزيادة فيه بالاذى مع جمع فيه من موجبات القتل ولانه اتخذ الاذى دينا فلا يبقى
عليه من فرط منه فرطة وقلنا بكفره وتاب ورجع الى الاسلام فالعفو واضح • وكذلك قتل جاريتيه
لانهما جعلتا ذلك دينا مع ما قام بهما من صفة الكفر • وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي
معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على
رسول الله فذكر له سببين في تحتم قتله وهذا في غاية الظهور • واما قول الخطابي وغيره لا اعلم احدا من
المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما فمحمول على التقييد بعدم التوبة • واما سياق القاضي عياض
لقصة الرجل الذي كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر عليا والزبير بقتله فليس فيه غرضا

غرضا

في هذا المقام لان الظاهر ان هذا كذب فيه افساد وفتنة بين المسلمين لا سيما ان كان كافرا فيكون من
من محاربي الله ورسوله مع السعي في الارض بالفساد فيكون متحتم القتل والا فليس مطلق الكذب عليه موجب
القتل • وكذا سياقه حديث ابن عباس في جارية مرية من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل
من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري فيها
خلف ولا نزاع فان في هذه الحكاية ونظائرها نظرا واضحا لقيام الكفر بالمحكي عنهم والزيادة منه وقد اخبر
عليه السلام انه لا عصمة لاحد من الناس بعد دعوتهم الى الاسلام الا بالاسلام فكل منهم مهدر الدم الا من
عصم الله منهم بالاسلام وانما النافع له في مقام الاستدلال ذكر من طرأ عليه من المسلمين وصحة الارتداد
بالسب بكونه ردة ثم رجع الى الاسلام وتاب • وهذا هو محل النزاع وموضع الاستدلال لا الكلام في المنازعين • اما ذكر
كافر اصلي بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وامتنع من اجابته وحاربه بيده ولسانه فلا نزاع في اهدار دمه فقتلها
لا سيما وقد نقل عن هذه المرأة الكافرة انها كانت تعيب الاسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه فاجتمع
فيها موجبات القتل اجماعا فقد تبين بما ساقه القاضي عياض ان امره عليه الصلوة والسلام بقتل سابه انما كان
عن الكفر ولم يقتل انه عليه الصلوة والسلام قتل مسلما بالسب • وانما كان ذلك في اهل الكفر والعناد فلو نقل انه قتل ملا
يتعين كونه حدا لاحتمال ان يكون قتله كفرا وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فاعلمنا ان ما وراء الشرك في حيز الامكان للمغفرة • وقال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فان قلت هذا
بالنظر الى ظلم النفس وحقوق الله تعالى لا بالنظر الى حقوق العباد لان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة وحقوق
العباد مبنية على المشاححة بعد حق النبي صلى الله عليه وسلم وليس لنا ان نسقطه بخلافه هو صلى الله عليه وسلم فان له ذلك
فالجواب فلا بد لنا من نص على ذلك منه عليه الصلوة والسلام كان يقول مثلا من سبني فاقتلوه ولا تقبلوا
له توبة ولا رجوعا عن سبه فان نقل اتبعناه • ثم انه من جهة النظر ينبغي الحاق حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحقوق الله تعالى فكما ان حقوقه تعالى مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى الله عليه وسلم فانه متخلق باخلاق
الله تعالى ... ومن خصائصه عليه الصلوة والسلام انه كان يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة
خزيمة بشهادة رجلين روى ابو داود عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من اعرابي فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فاسرع النبي صلى الله عليه وسلم
المشي وابطأ الاعرابي فطفق رجال يعترضون الاعرابي يساومونه بالفرس ولا يشعرون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فذكر الحديث قال فطفق الاعرابي يقول هلم شهيدا يشهد اني قد بعتك
فمن جاء من المسلمين يقول ويلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقول الا الحق حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة
فقال انا اشهد انك قد بايعته • الحديث • وفيه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين
وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت لم اجدها الا مع خزيمة الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته
بشهادة رجلين • وعند الحارث بن ابي اسامة في مسنده من حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشترى من اعرابي فرسا فجحده الاعرابي فجاء خزيمة فقال يا اعرابي انا اشهد عليك انك بعته فقال الاعرابي ان شهد

مطلب الساب لا يستتاب ...

وما عد من خصائصه عليه السلام انه اذا قصده ظالم وجب على من حضره ان يبذل نفسه دونه حكاه النووي في زيادة الروضة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين

ما نذرني

وبالعموم نسخ

جلنا

علی خزیمة فاعطنی الثمن فقال النبی صلی الله علیه وسلم یا خزیمة انا لم نشهدک کیف تشهد قال انا اصدقک علی
خبر السماء الا اصدقک علی ذا الاعرابی فجعل رسول الله صلی الله علیه وسلم شهادته بشهادة رجلین فلم یکن فی الاسلام
من تعدل شهادته بشهادة رجلین غیر خزیمة ٭ قال الخطابی هذا الحدیث حمله کثیر من الناس علی غیر محمله وتذرع
به قوم من اهل البدع الی استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق علی کل شیء ادعاه وانما وجه الحدیث انه
صلی الله علیه وسلم حکم علی الاعرابی بعلمه وجرت شهادة خزیمة مجری التوکید لقوله والاستظهار علی خصمه فصار
بالتقدیر بشهادة اثنین فی غیرها من القضایا انتهی ٭ ومن ذلک ترخیصه فی النیاحة لام عطیة
روی مسلم عنها قالت لما نزلت هذه الایة یبایعنک علی ان لا یشرکن بالله شیئا ولا یعصینک فی معروف قالت
کان منه النیاحة فقلت یا رسول الله الا آل فلان فانهم کانوا اسعدونی فی الجاهلیة فلا بد لی من ان اسعدهم فقال
الا آل فلان ٭ ومن ذلک ترک الاحداد لاسماء بنت عمیس لخرج عن اسماء بنت عمیس قالت اصیب
جعفر بن ابی طالب قال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم تسلبی ثلثا ثم اصنعی ما شئت ٭ ومن ذلک
الاضحیة بالعناق لابی بردة بن نیار رواه الشیخان من حدیث البراء بن عازب قال خطبنا رسول الله صلی الله علیه وسلم
یوم النحر فقال ان من صلی صلاتنا ونسک نسکنا فقد اصاب النسک ومن نسک قبل الصلاة فتلک شاة لحم فقام ابو بردة
ابن نیار فقال یا رسول الله لقد نسکت قبل ان اخرج الی الصلاة وعرفت ان الیوم یوم اکل وشرب فتعجلت واکلت
واطعمت اهلی وجیرانی فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم تلک شاة لحم قال فان عندی عناق جذعة هی خیر من شاتی
لحم فهل تجزی عنی قال نعم ولن تجزی عن احد بعدک ٭ وینا بکسر النون وتخفیف المثناة التحتیة وآخره راء ٭ وقوله
تجزی بفتح اوله غیر مهموز ای تقضی ٭ والجذع بالجیم والذال المعجمة ٭ وفی هذا الحدیث تخصیص ابی بردة باجزاء الجذع
من المعز فی الاضحیة ٭ لکن وقع فی عدة احادیث التصریح بنظیر ذلک لغیر ابی بردة ففی حدیث عقبة بن عامر عند
البیهقی ولا رخصة فیها لاحد بعدک قال البیهقی ان کانت هذه الزیادة محفوظة کان هذا رخصة لعقبة کما رخص
لابی بردة ٭ قال الحافظ ابن حجر وفی هذا الجمع نظر لان فی کل منهما صیغة عموم فایهما تقدم علی الآخر اقتضی انتفاء
الوقوع للثانی ویحتمل ان یکون خصوصیة الاول نسخت بخصوصیة الثانی ولا مانع من ذلک لانه لم یقع فی السیاق
استمرار المنع لغیره صریحا ٭ وفی کلام بعضهم ان الذین ثبتت لهم الرخصة اربعة او خمسة ٭ واستشکل الجمع و
لیس بمشکل فان الاحادیث التی وردت فی ذلک لیس فیها التصریح بالنفی الا فی قصة ابی بردة فی الصحیح وفی قصة
عقبة بن عامر عند البیهقی ٭ واما ما عدا ذلک فاخرج ابو داود وصححه ابن حبان من حدیث زید بن خالد ان النبی
صلی الله علیه وسلم اعطاه عتودا جذعا فقال ضح به فقلت انه جذع افاضحی قال ضح به ٭ وفی الاوسط للطبرانی
من حدیث ابن عباس انه صلی الله علیه وسلم اعطی سعد بن ابی وقاص جذعا من المعز فامره ان یضحی به ٭ واخرجه
الحاکم من حدیث عائشة وفی سنده ضعف ٭ قال الحافظ ویجمع بین ذلک وحدیثی ابی بردة وعقبة لاحتمال ان یکون ذلک
فی ابتداء الامر ثم تقرر الشرع بان الجذع من المعز لا یجزی ٭ واختص ابو بردة وعقبة بالرخصة فی ذلک وان تعذر
الجمع بین حدیث ابی بردة وحدیث عقبة فحدیث ابی بردة اصح مخرجا وان کان حدیث عقبة عند البیهقی من مخرج
الصحیح ٭ والله اعلم ٭ ومن ذلک انکاح ذلک الرجل بما معه من القرآن فیما ذکره جماعة ووردت به

حدیث

حدیث مرسل اخرجه سعید بن منصور عن ابی النعمان الازدی قال زوج رسول الله صلی الله علیه وسلم
امرءة علی سورة من القرآن وقال لا یکون لاحد بعدک مهرا ٭ ومنها انه کان یوعک
کما یوعک رجلان لمضاعفة الاجر ٭ ومنها ان جبریل ارسل الیه ثلاثة ایام فی مرضه یسئله عن حاله
ذکره البیهقی وغیره ٭ ومنها انه صلی الله علیه وسلم صلی علیه الناس افواجا افواجا بغیر امام وبغیر دعاء
المعروف ذکره البیهقی وابن سعد وغیرهما وترک بلا دفن ثلثة ایام کما سیاتی ٭ وفرش له فی لحده صلی الله علیه وسلم
قطیفة والامران مکروهان فی حقنا واظلمت الارض بعد موته کما سیاتی ٭ ومنها انه لا یبلی جسده و
کذلک الانبیاء رواه ابو داود وابن ماجة ٭ ومنها انه لا یورث فقیل لبقائه علی ملکه ٭ وقیل لمصیره
صدقة وبه قطع الرویانی ثم حکی وجهین فی انه هل صار وقفا هل هو الواقف وجهان ٭ قال النووی فی
زیادات الروضة الصواب الجزم بزوال الملکه وانما ترکه صدقة علی المسلمین لا یختص به الورثة ٭ انتهی ٭
وقال فی الشرح الصغیر المشهور انه صدقة ٭ وذکر الرافعی فی قسم الفیء ان الخمس کان له صلی الله علیه وسلم ینفق
منه علی نفسه ومصالحه ولم یکن یملکه ولا ینتقل الی ورثته ٭ وقال فی باب الخصائص انه ملکه والجمع
بینهما بان جهة الانفاق مادة بین مملوک وغیر مملوک ٭ والخلاف جار فی احدهما ٭ انتهی والله اعلم ٭ وعلی هذا
فیباح له ان یوصی بجمیع ماله للفقراء ویمضی ذلک بعد موته بخلاف غیره فانه لا یمضی مما اوصی به الا الثلث بعد موته
وکذلک الانبیاء لا یورثون لما رواه النسائی من حدیث الزبیر مرفوعا انا معاشر الانبیاء لا نورث ٭ وعلی هذا
فیجاب عن قوله تعالی وورث سلیمان داود ٭ وقوله تعالی رب هب لی من لدنک ولیا یرثنی بان المراد وراثة النبوة
والعلم ٭ ومنها انه حی فی قبره قیل وکذلک الانبیاء ویصلی فیه باذان واقامة ٭ ولهذا قیل لا
عدة لازواجه ٭ وقد حکی ابن زبالة وابن النجار ان الاذان ترک فی ایام الحرة ثلاثة ایام وخرج الناس وسعید
ابن المسیب فی المسجد قال سعید فاستوحشت فدنوت الی القبر فلما حضرت الظهر سمعت الاذان فی القبر
فصلیت الظهر ثم مضی ذلک الاذان والاقامة فی القبر لکل صلاة حتی مضت الثلاث لیال ورجع الناس وعاد
المؤذنون فسمعت اذانهم کما سمعت الاذان فی قبر النبی صلی الله علیه وسلم ٭ وقد ثبت ان الانبیاء یحجون ویلبون
فان قلت کیف یصلون ویحجون ویلبون وهم اموات فی الدار الآخرة ولیست دار عمل قلت انهم کالشهداء
بل افضل منهم والشهداء احیاء عند ربهم یرزقون فلا یبعد ان یحجوا ویصلوا ٭ ونقول ان البرزخ ینسحب
علیه حکم الدنیا فی استکثارهم من الاعمال وزیادة الاجور ٭ وان المنقطع فی الآخرة انما هو التکلیف وقد یحصل
الاعمال من غیر تکلیف علی سبیل التلذذ بها ٭ ولهذا انهم یسبحون ویقرؤن القرآن ومن هذا سجود النبی صلی الله علیه
وسلم وقت الشفاعة ٭ وقد قال صاحب التلخیص ان ما ترکه علیه الصلوة والسلام بعد موته قائم علی نفقته وملکه
وذلک من خصائصه ٭ ونقل امام الحرمین عنه ان ما خلفه بقی علی ما کان فی حیاته فکان ینفق ابو بکر علی
اهله صلی الله علیه وسلم وخدمه ٭ وکان یری انه باق علی ملک النبی صلی الله علیه وسلم فان الانبیاء احیاء
وهذا یقتضی اثبات الحیاة فی احکام الدنیا وذلک زاید علی حیاة الشهید ٭ والذی صرح به النووی زوال
ملکه علیه الصلوة والسلام وانما ترکه صدقة علی جمیع المسلمین لا یختص به ورثته فان قلت القرآن

مطلب
ابو بردة بن نیار

علی ازواجه

ناطقة بموته عليه السلام قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون • وقال عليه السلام اني مقبوض وقال
الصديق فان محمدا قد مات • واجمع المسلمون على اطلاق ذلك اجاب الشيخ تقي الدين السبكي عن ذلك بانه
الموت غير مستمر وانه صلى الله عليه وسلم احيي بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطا بالموت المستمر
والا فالحياة الثابتة حياة اخروية ولا شك انها اعلى واكمل من حياة الشهداء وهي ثابتة للروح بلا اشكال
وقد ثبت ان اجساد الانبياء لا تبلى وعود الروح الى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء
فضلا عن الانبيا • وانما النظر في استمرارها في البدن وفي ان البدن يصير حيا كحالته في الدنيا او حيا بدونها
وهي حيث شاء الله تعالى فان ملازمة الروح للحياة امر عادي لا عقلي فهذا مما يجوزه العقل فان صح به
سمع اتبع • وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك
الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية ان تكون
الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التي
نشاهدها بل يكون لها حكم اخر فليس في العقل ما يمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم • واما الادراكات كالعلم
والسماع فلا شك ان ذلك ثابت لهم بل لسائر الموتى حكاه الشيخ زين الدين المراغي وقال انه مما يعز وجوده
وفي مثله يتنافس المتنافسون   ومنها انه وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه رواه
احمد والنسائي والحاكم وصححه بلفظ ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام   وعند
الاصبهاني عن عمار ان ملكا اعطاه سمع العباد كلهم فما من احد يصلي علي الا ابلغنيها وتعرض اعمال
امته عليه ويستغفر لهم • وروى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم
اعمال امته غدوة وعشيا فيعرفهم بسيماهم واعمالهم   ومنها ان منبره على حوضه صلى الله عليه وسلم
كما في الحديث   وفي رواية ومنبري على ترعة من ترع الجنة • واصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة
فاذا كانت في المطمئن فهي روضة • ولم يختلف احد من العلماء انه على ظاهره وانه حق محسوس موجود
فان القدرة صالحة لا يعجزها شيء وكلما اخبر به الصادق عليه الصلاة والسلام من امور الغيب فالايمان به
واجب   ومنها ان ما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة • رواه البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري
وهذا يحتمل الحقيقة والمجاز اما الحقيقة فبان يكون ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه من الجنة ان يكون مقتطعا
منها كما ان الحجر الاسود منها وكذلك النيل والفرات من الجنة • وكذلك الثمار الهندية من الورق التي هبط بها
ادم عليه السلام من الجنة فاقتضت الحكمة ان يكون في هذه الدار من مياه الجنة ومن ترابها ومن حجرها ومن فواكهها
حكمة حكيم جليل •   واما المجاز فبان يكون من طريق اسم المسبب على السبب فانه ملازمة ذلك للصلاة والعبادة
سبب في نيل الجنة • قال ابن ابي جمرة وهو معنى قول بعضهم بكثرة العبادة فيه تؤول الى دخول العابد روضة
الجنة • وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة على غيرها • وفي كتاب بهجة النفوس لابن ابي جمرة
ايضا حكاية قول ان تلك البقعة تنقل بعينها فتكون من الجنة يعني روضة من رياضها • قال والاظهر
الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبها روضة من الجنة

وبأتي

وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في فصل الزيارة من المقصد الاخير •   ومنها انه عليه السلام
اول من ينشق عنه القبر • وفي رواية ابن مسلم انا اول من تنشق عنه الارض • وهو اول من يفيق من
الصعقة • قال عليه الصلاة والسلام انا اول من يرفع رأسه بعد النفخة فاذا انا بموسى اخذ بقائمة
من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور • رواه البخاري • والظاهر انه عليه السلام
لم يكن عنده علم ذلك حتى اعلمه الله تعالى فقد اخبر عن نفسه الكريمة انه عليه الصلاة والسلام اول من
تنشق عنه القبر • وهو اول من يجيز على الصراط • رواه البخاري من حديث ابي هريرة • وانه يحشر في
سبعين الفا من الملائكة كما روي عن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون
بقبره عليه الصلاة والسلام يضربون باجنحتهم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك
حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم الحديث
رواه ابن النجار في تاريخ المدينة • وانه يحشر راكب البراق • رواه الحافظ السلفي كما ذكره الطبري
ويكسى في الموقف اعظم الحلل من الجنة • رواه البيهقي بلفظ فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر
ورواه كعب بن مالك بلفظ يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني
ربي حلة خضراء • رواه الطبراني • وهو عند ابي شيبة بلفظ يحشر الناس على تل وامتي على تل و
عند الطبري من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وامته على كوم فوق الناس وانه
يقوم عن يمين العرش • رواه ابن مسعود عنه عليه السلام • وفيه لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون
والاخرون   ومنها انه يعطى المقام المحمود   قال مجاهد هو جلوسه صلى الله عليه وسلم
على العرش • وعن عبد الله بن سلام على الكرسي • ذكرهما البغوي • وسيأتي ما قيل في ذلك تفضله
عليه الصلاة والسلام بالمقام المحمود ان شاء الله تعالى   ومنها انه يعطى الشفاعة العظمى
في فصل القضاء بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبياء والشفاعة في ادخال قوم الجنة
بغير حساب • وفي رفع درجات ناس في الجنة • كما جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به ووردت
الاحاديث به في التي قبل   وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير والله المعين
ومنها انه صاحب لواء الحمد يوم القيامة آدم فمن دونه تحته • رواه البزار • وانه اول من يقرع باب
الجنة • وروى مسلم من حديث المختار بن فلفل عن انس قال صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح
فيقول الخازن بك امرت لا افتح لاحد قبلك   وهذه خصوصية اخرى له صلى الله عليه وسلم وهي انه خازن
الجنة لا يقوم لاحد غيره صلى الله عليه وسلم فقيامه له عليه الصلاة والسلام فيه اظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم
لاحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم وقد اقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله
حتى يمشي ويفتح له الباب •   ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة قال عليه السلام وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر • رواه الترمذي •
ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضه مجراه على الدر والياقوت وماؤه

احلى من العسل وابيض من الثلج • ومنها الوسيلة وهي اعلى درجة في الجنة
واما خصايص امته صلى الله عليه وسلم وزادها شرفا • فاعلم ان الله سبحانه وتعالى العالم على غاية
من الاتقان • وابرز جسد نبينا صلى الله عليه وسلم للعيان ظهرت عنايته بامته الانسانية لحضوره
في ظهوره فيها وان كان للعالم الانساني والناري كله امته • ولكن لهؤلاء خصوص وصف فجعلهم خير امة
اخرجت للناس وجعلهم ورثة الانبياء واعطاهم الاجتهاد في نصب الاحكام فيحكمون بما ادى اليه اجتهادهم
وكل من دخل من الانبياء كعيسى صلى الله عليه وسلم او تقدير دخوله كالخضر في زمان هذه الامة من الانبياء عليهم السلام
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم على تقدير دخولها فانه لا يحكم في العالم الا بما شرع محمد صلى الله عليه وسلم في
هذه الامة فاذا نزل سيدنا عيسى عليه السلام فانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالهام او
اطلاع على الروح المحمدي او بما شاء الله تعالى فيأخذ عنه ما شرع الله له ان يحكم به في امته فلا يحكم في شيء
من تحريم او تحليل الا بما كان يحكم به نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يحكم بشريعته التي انزلت عليه في اوان رسالته
ودولته فهو عليه السلام تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم • وقد نبه على ذلك الترمذي الحكيم وكان يختم الاولياء
واغرب عنه صاحب عنقاء مغرب وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح عقايد النسفي وصحح انه يصلي
بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي لانه افضل فامامته اولى • انتهى • فهو عليه السلام وان كان خليفة
في الامة المحمدية فهو رسول ونبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه يأتي واحدا من هذه الامة نعم هو
واحد من هذه الامة لما ذكر من وجوب اتباعه لنبينا صلى الله عليه وسلم والحكم بشريعته • فان قلت قد
ورد في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية • وان الصواب في معناه انه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام او القتل • وهذا
هو خلاف ما هو حكم الشرع اليوم • فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يحل قتله ولا اكراهه على
الاسلام • واذا كان كذلك فكيف يكون عيسى عليه السلام حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم • قلت لا
انه لا خلاف ان عيسى عليه السلام انما ينزل حاكما بهذه الشريعة المحمدية ولا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة
بل هو حاكم من حكام هذه الامة • واما حكم الجزية وما يتعلق به فليس حكما مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد
بما قبل نزول عيسى وقد اخبر نبينا صلى الله عليه وسلم بنسخه • وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا صلى
الله عليه وسلم هو المبين للنسخ فدل على ان الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم
اشار اليه النووي في شرح مسلم • فان قلت ما المعنى في تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه السلام
في قبول الجزية • فاجاب ابن بطال بانا انما قبلناها لاحتياجنا الى المال وليس يحتاج عيسى
عند خروجه الى المال لانه يفيض في ايامه المال حتى لا يقبله احد فلا يقبل الا القتل او الايمان بالله
وحده • انتهى • واجاب الشيخ ولي الدين ابن العراقي بان قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة
ما بايديهم من التوراة والانجيل وتعلقهم بزعمهم بشرع قديم فاذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة
بحصول معاينته فصاروا كعبدة الاوثان في انقطاع شبهتهم وانكشاف امرهم فعوملوا معاملتهم

فانهم لا يقبل منهم الا الاسلام والحكم يزول بزوال علته • قال وهذا معنى حسن مناسب لم ار
من تعرض له • قال وهذا اولى مما ذكره ابن بطال • انتهى • وكذا لا يتمشى ما يقوله من العلماء بنبوة الخضر
وانه باق الى اليوم فانه تابع لاحكام هذه الملة • وكذلك الياس على ما صححه ابو عبد الله القرطبي انه حي
ابقه • وليس في الرسل من يتبعه رسول الا نبينا صلى الله عليه وسلم كفى بهذا شرفا لهذه الامة المحمدية
زادها الله شرفا فالحمد لله الذي خصنا بهذه الرحمة واسبغ علينا هذه النعمة ومن علينا بما عمنا به من الفضايل
ونوه بنا في كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس • فتامل قوله كنتم اي في اللوح المحفوظ وقيل
ثم في علم الله • فينبغي لمن هو من هذه الامة المحمدية ان يتخلق بالاخلاق الزكية ليثبت له ما لهذه الامة السنية
من الاوصاف المرضية وينال ما لها من الخيرية • قال مجاهد كنتم خير امة اخرجت للناس اذا كنتم على
الشرايط المذكورة اي تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر • وقيل انما صارت امة محمد صلى الله عليه
وسلم خير امة لان المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم افشى فقيل هذا لاصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه الصلاة والسلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم • وهذا يدل على
ان اول هذه الامة خير ممن بعدها • والى هذا ذهب معظم العلماء • وان من صحبه صلى الله عليه وسلم وراه
ولو مرة من عمره افضل من كل من ياتي بعده • وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل • هذا مذهب الجمهور
وذهب ابو عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن ياتي بعد الصحابة افضل ممن كان في جملة الصحابة وان قوله
عليه الصلاة والسلام خير الناس قرني ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول وقد جمع
قرنه صلى الله عليه وسلم جماعة من المنافقين المظهرين للايمان واهل الكباير الذين اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود
وقد روى ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن راني وامن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وامن بي
وفي مسند ابي داود الطيالسي عن محمد بن ابي حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اتدرون اي الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم
بل غيرهم • ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم في اصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم افضل
الخلق ايمانا • وروي ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الي بسيرة
عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا
رجالك كرجال عمر • قال وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم • قال ابو عمر وهذه الاحاديث
تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه الامة واخرها في فضل العمل الا اهل بدر والحديبية
ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله يؤتي فضله من يشاء • انتهى • واسناد حديث ابي داود الطيالسي
عن عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى احمد والدارمي والطبراني عن ابي جمعة قال يا رسول الله احد خير منا اسلمنا
معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني • واسناده حسن • وصححه الحاكم
والذي عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم • واما الدليل على
افضلية الصحابة على غيرهم فكثيرة مستفاضة لا تحتمل ذكرها • وسياتي بقية مباحث ذلك في فضل الصحابة

افضل

من المقصد السابع ان شاء الله تعالى • وقد خص الله تعالى هذه الامة الشريفة بخصايص لم يؤتها
امة قبلهم ابان بها فضلهم والاخبار والاثار ناطقة بذلك • خرج ابو نعيم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله ان موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الامة قال يا رب اني اجد
في الالواح امة هم الاخرون السابقون فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد امة في الالواح
يحملون الصدقة في بطونهم يوجرون عليها فاجعلها امتي قال تلك امة احمد • قال يا رب اني لاجد
في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة لم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات
فاجعلها امتي قال تلك امة محمد • قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بسيئة لم يعملها لم تكتب
وان عملها كتبت له سيئة واحدة فاجعلها امتي قال تلك امة احمد • قال رب اني اجد في الالواح امة
يؤتون العلم الاول والعلم الاخر فيقتلون المسيح الدجال فاجعلها امتي قال تلك امة احمد • قال يا رب فاجعلني
من امة احمد فاعطي عند ذلك خصلتين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك
وكن من الشاكرين قال قد رضيت يا رب • وروى ابن ظفر في النطق المفهوم عن ابن عباس رفعه قال موسى
يا رب فهل في الامم اكرم عليك من امتي ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم المن والسلوى فقال سبحانه وتعالى
يا موسى اما علمت ان فضل امة محمد على سائر الامم كفضلي على جميع خلقي • قال يا رب فاريهم قال لن تراهم
ولكن اسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فاجابوا كلهم بصوت واحد لبيك اللهم لبيك وهم في اصلاب
ابائهم وبطون امهاتهم فقال سبحانه وتعالى صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي استجبت
لكم قبل ان تسألوني من لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه قال صلى الله عليه وسلم
فاراد الله ان يمن علي بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي امتك حتى اسمعنا موسى كلامهم
ورواه قتادة وزاد فقال موسى يا رب ما احسن اصوات امة محمد صلى الله عليه وسلم اسمعنيه مرة اخرى • وفي
الحلية لابي نعيم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى موسى نبي بني اسرائيل انه من لقيني وهو جاحد
باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش
قبل ان اخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته
قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم صائمون بالنهار
رهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال
نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستأخر ولكن ساجمع بينك وبينه في دار
الجلال • وعن وهب بن منبه قال اوحى الله تعالى الى شعيا اني باعث نبيا اميا افتح به اذانا صما وقلوبا
غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام عبدي المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب
المتحبب المختار لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة
ويبكي لليتيم في حجر الارملة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا لو يمر الى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القصب الرعراع لم يسمع من تحت قدميه

ابعثه

ابعثه مبشرا ونذيرا الى ان قال واجعل امته خير امة اخرجت للناس امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر
وتوحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي وتصديقا لما جاءت به رسلي وهم رعاة الشمس طوبى لتلك القلوب
والوجوه والارواح التي اخلصت لي الهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم
ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي هم اوليائي وانصاري
انتقم بهم من اعدائي عبدة الاوثان يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا يخرجون من ديارهم و
اموالهم ابتغاء مرضاتي الوفا ويقاتلون في سبيلي صفوفا اختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم
الاديان فمن ادركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني وهو مني بريء واجعلهم افضل الامم
واجعلهم امة وسطا شهداء على الناس اذا غضبوا هللوني واذا تنازعوا سبحوني يطهرون الوجوه والاطراف
ويشدون الثياب الى الانصاف ويهللون على التلال والاشراف قربانهم دماؤهم واناجيلهم صدورهم
رهبانا بالليل ليوثا بالنهار طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم وذلك فضلي
اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم • رواه ابو نعيم • وقد ذكر الامام فخر الدين انه لما كانت معجزات
الطهر يكون ثواب امته اقل • قال السبكي لا هذه الامة فان معجزات نبينا اظهر وثوابنا اكثر من
سائر الامم • ومن خصايص هذه الامة احلال الغنائم ولم تحل لامة قبلها وجعلت
لهم الارض مسجدا ولم يكن الامم تصلي الا في البيع والكنائس وجعل ترابها لهم طهورا وهو التيمم وفي رواية حديث
امامة عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا • وفي رواية مسلم من حديث حذيفة
وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها طهورا اذا لم نجد الماء • ومن خصايص هذه
الامة ايضا الوضوء فانه لم يكن الا للانبياء دون اممهم • ذكره الحليمي واستدل بحديث البخاري ان
امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضوء لكن قال في فتح الباري فيه نظر لانه ثبت في البخاري
قصة سارة عليها السلام مع الملك الذي اعطاها هاجر ان سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت تتوضأ
وتصلي • وفي قصة جريج الراهب ايضا انه قام فتوضا وصلى ثم كلم الغلام • فالظاهر ان الذي اختصت
به هذه الامة هو الغرة والتحجيل لا اصل الوضوء • وقد صرح بذلك في رواية لمسلم عن ابي هريرة مرفوعا
قال سيما ليست لاحد غيركم اي علامة غاية التحجيل استيعاب العضد والساق والغرة غسل
مقدمات الراس وصفحة العنق مع الوجه • ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد غيرهم
اخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد عن عائشة قال ان ادم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت
الصبح وفدي اسحق عند الظهر فصلى اربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير عند العصر فقيل له كم لبثت
قال يوما فرأى الشمس فقال او بعض يوم فصلى اربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب
فقام يصلي اربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثا واول من صلى العشاء الاخرة
نبينا صلى الله عليه وسلم • واخرج ابو داود في سننه وابن ابي شيبة في مصنفه والبيهقي في سننه عن
معاذ بن جبل قال اخر صلى الله عليه وسلم صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان انه قد صلى ثم خرج فقال

اعطوا بهذه الصلوة فانكم فضلتم بها على سائر الامم ولم تصلها امة قبلكم • ومنها الاذان والاقامة ومنها التسمية • قال بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الحلبي النحوي في تفسيره قال ولم تنزل لاحد الا على سليمان بن داود فهي مما اختصت به هذه الامة • انتهى ومنها التامين روى الامام احمد من حديث عائشة قالت بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ استاذن رجل من اليهود فذكر الحديث وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انهم لن يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وعلى قولنا خلف الامام آمين • قال الحافظ ابن حجر وهذا حديث غريب لا اعرفه بهذه الالفاظ من هذا الوجه لكن لبعضه متابع حسن في التامين اخرجه ابن ماجة وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتنا اليهود على ما حسدتنا على السلام والتامين •

ومنها الاختصاص بالركوع عن علي رضي الله عنه قال اول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا امرت • رواه البزار والطبراني في الاوسط • واستدل منه انه صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل فتكون الصلوة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السابقة منه قاله بعض العلماء • قال وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الامة وانه لا ركوع في صلاة بني اسرائيل ولذا امرهم بالركوع مع امة محمد صلى الله عليه وسلم • وهذا يعارضه قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين المفسر بامرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها • قال وقدم السجود قبل الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة لقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات • ومنها الصفوف في الصلوة كصفوف الملائكة • رواه مسلم من حديث حذيفة • ومنها تحية السلام لحديث عائشة السابق

ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا • ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد • رواه البخاري ومنها ساعة الاجابة التي في الجمعة • واختلف في تعيينها على اقوال تزيد على الثلاثين • ذكرتها في لوامع الانوار في الادعية والاذكار ومنها اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى اليهم ومن نظر اليه لم يعذبه ابدا • وتزيين الجنة فيه وخلوف افواه الصائمين اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة في كل يوم وليلة حتى يفطروا واذا كان اخر ليلة غفر لهم جميعا • رواه البيهقي باسناد لا باس به بلفظ اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا • رواه البزار وتصفد فيه مردة الشياطين رواه احمد والبزار ومنها السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان • واباحة الاكل والشرب والجماع ليلا الى الفجر وكان محرما على من قبلنا بعد النوم • وكذا كان في صدر الاسلام ثم نسخ ومنها ليلة القدر

ولم تنزل

رمضان وسحب

بيد بمعنى غير

كما

كما قاله النووي في شرح المهذب • وهل صيام رمضان من خصائص هذه الامة ام لا ان قلنا ان التشبيه الذي عليه كاف في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على حقيقته فيكون رمضان كتب على من قبلنا وذكر ابن ابي حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان كتب الله على الامم قبلكم • وفي اسناده مجهول • وان قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون التشبيه واقعا على مطلق الصوم وهو قول الجمهور

ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة • قال سعيد بن جبير لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم يعط الانبياء عليهم السلام مثله انا لله وانا اليه راجعون • ولو اعطيت الانبياء لاعطيه يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفى على يوسف • ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر الذي كان على الامم قبلهم قال الله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة • وقتل النفس في التوبة وقد كان الرجل من بني اسرائيل يذنب الذنب فيصبح قد كتب على باب بيته ان كفارته ان تنزع عينيك فينزعهما واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله • ومنها ان الله تعالى احل لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم • ولم يجعل عليهم في الدين من حرج كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما اشتد القيام به عليهم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه يعني من لم يستطع ان يصلي قائما فليصل قاعدا • واباح للصائم الفطر في السفر والقصر فيه • وقيل بان جعل من كل ذنب مخرجا وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه تعالى والارواش والديات في حقوق العباد قاله البيضاوي • وروي عن ابن عباس ان الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاصر والشدائد وضعه الله عن هذه الامة • وعن كعب اعطى الله تعالى هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا الانبياء جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج • وقال ادعوني استجب لكم • ومنها ان الله سبحانه وتعالى رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه • وحديث النفس وقد كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطأوا تعجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه • رواه احمد وابن حبان والحاكم وابن ماجة • ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم الا الانبياء عليهم الصلوة والسلام لقوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل ورضيت لكم الاسلام دينا اذ لو لم يكن خاصا بهم لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فائدة • وقد يجاب بان رضى الاسلام دينا وتسمية ابراهيم اياهم بذلك لا ينفي اتصاف غيرهم به • وفائدة ذلك الاعلام بالانعام عليهم بما انعم به على غيرهم من الفضائل وقيل لا يختص بهم بل اطلق على غيرهم ايضا • وهو يعم الكل دين حق لغة وشرعا • كما اجاب به ابن الصلاح لقوله تعالى حكاية عن وصية يعقوب ولا تموتن الا وانتم مسلمون • فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين الى غير ذلك • ولان الايمان اخص من الاسلام كما هو مقرر عند كثير من العلماء وليس خاصا بهذه الامة بل يوصف به كل من دخل في شريعة مقرا بالله تعالى وانبيائه كما قاله الراغب • ومنها ان شريعتهم اكمل

الكفارات

من جميع شرائع الأمم المتقدمة • وهذا مما لا يحتاج إلى بيان لوضوحه • وانظر إلى شريعة موسى عليه السلام فقد كانت شريعته جلالية قهرية أمروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات وحرمت عليهم الغنائم وعجل لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من الآصار والأغلال ما لم يحمله غيرهم • وكان موسى عليه السلام من أعظم خلق الله هيبة ووقارا وأشدهم بأسا وغضبا لله وبطشا بأعداء الله فكان لا يستطاع النظر إليه • وعيسى عليه الصلاة والسلام كان في مظهر الجمال وكانت شريعته شريعة فضل وإحسان وكان لا يقاتل ولا يحارب وليس في شريعته قتال البتة • والنصارى يحرم عليهم القتال لأنهم وهم به عصاة فإن الإنجيل يأمر فيه من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين • ونحو هذا • وليس في شريعتهم مشقة ولا آصار ولا أغلال • وأما النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية من قبل أنفسهم ولم تكتب عليهم •

وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل والشدة في الله واللين والرأفة والرحمة فشريعته وأمته أكمل الأمم وأحوالهم ومقاماتهم أكمل الأحوال والمقامات • ولذلك تأتي شريعته صلى الله عليه وسلم بالعدل إيجابا له وفرضا وبالفضل ندبا إليه واستحبابا وبالشدة في موضع الشدة وباللين في موضع اللين ووضع السيف موضعه ووضع الندى موضعه فيذكر الظلم ويحرمه والعدل ويوجبه والفضل ويندب إليه في بعض آية كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فهذا عدل فمن عفا وأصلح فأجره على الله فهذا الفضل إنه لا يحب الظالمين فهذا تحريم للظلم • وقوله وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وهذا إيجاب للعدل وتحريم الظلم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ندب إلى الفضل • وكذلك تحريم ما حرم على هذه الأمة صيانة وحمية حرم عليهم كل خبيث وضار وأباح لهم كل طيب ونافع فتحريمه عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة كما أشرت قريبا • وهدى أمته لما ضلت عنه الأمم قبلهم كيوم الجمعة كما سيأتي في ذكره في مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام وتقدم ما يشهد له ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير أمة أخرجت للناس وكمل لهم من المحاسن والمحاسن ما فرقه في الأمم كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرق في الأنبياء قبله وكمل في كتابه من المحاسن ما فرق في الكتب قبله • وكذلك في شريعته فهذه الأمة هم المجتبون كما قال الله تعالى هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعلهم شهداء على الناس فأقامهم في ذلك مقام الرسل الشاهدين على أممهم • أشار إليه ابن القيم

ومنها لا يجتمعون على ضلالة • رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير وابن أبي خيثمة في تاريخه عن أبي بصرة الغفاري مرفوعا في حديث سألت ربي أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها • ورواه ابن أبي عاصم والطبراني أيضا من حديث أبي مالك الأشعري رفعه إن الله أجاركم من ثلاث وذكر منها وأن لا تجتمعوا على ضلالة • وبالجملة فهو حديث مشهور المتن وأسانيده كثيرة • وله شواهد متعددة في المرفوع وغيره •

ومنها أن إجماعهم حجة وأن اختلافهم رحمة • وكان اختلاف من قبلهم عذابا • روى البيهقي في المدخل في حديث سنده وابن سليمان بن أبي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

واختلاف أصحابي لكم رحمة وجويبر ضعيف جدا والضحاك عن ابن عباس منقطع • وهو كما قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر حديث مشهور على الألسنة • وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ اختلاف أمتي رحمة للناس • قال وكثر السؤال عنه وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا • وقال اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما ماجن والآخر ملحد وهما إسحاق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ • وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا • ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث ولكن أشعر أن له أصلا عنده • ومن حديث الليث بن سعد قال أهل العلم أهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا • أشار إليه شيخنا في المقاصد

ومنها أن الطاعون لهم شهادة ورحمة وكان على الأمم عذابا • ومنها أنهم إذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكان الأمم السالفة إذا شهد منهم مائة •

ومنها أنهم أقل الأمم أعمالا وأكثرهم أجرا وأقصرهم أعمارا وأوتوا العلم الأول والآخر وفتحت الأمم عندهم ولم يفتتنوا •

ومنها أنهم أوتوا الإسناد وهو خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة بالغة من السنن المؤكدة • وقد روينا من طريق أبي العباس الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم المظفر يقول إن الله قد أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد إنما هو صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات • وهذه الأمة الشريفة زادها الله شرفا بنبيها إنما تنقل الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ والأضبط فالأضبط والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر حتى يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا فهذا من فضل الله على هذه الأمة فنستوزع الله تعالى شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه • وقال أبو حاتم الرازي لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله تعالى آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة

ومنها أنهم أوتوا الأنساب والإعراب • قال أبو بكر محمد بن أحمد [illegible] إن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها الإسناد والأنساب والإعراب • انتهى • وهو مروي عن أبي علي الجياني أيضا

ومنها أنهم أوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم • ولا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله رواه الشيخان •

ومنها أن فيهم أقطابا وأوتادا ونجباء وأبدالا • عن أنس مرفوعا الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وإذا ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة • رواه الخلال في كرامات الأولياء • ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم يسقون وبهم

يبصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر • ورواه ابن عدي في كامله بلفظ البدلاء اربعون
اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه آخر فاذا جاء الامر
قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة • وكذا يروى كما عند احمد في المسند والخلال من حديث عبادة
ابن الصامت مرفوعا لا يزال في هذه الامة ثلاثون مثل ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد ابدل الله تعالى
مكانه رجلا • وفي لفظ الطبراني في الكبير بهم تقوم الارض وبهم يمطرون وبهم ينصرون • ولابي نعيم في الحلية
عن ابن عمر رفعه خيار امتي في كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون
كلما مات رجل ابدل الله مكانه آخر وهم في الارض كلها • وفي الحلية ايضا عن ابن مسعود رفعه لا يزال
اربعون رجلا من امتي قلوبهم على قلب ابراهيم يدفع الله بهم عن اهل الارض يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها
بصلاة ولا بصوم ولا صدقة قالوا فبم ادركوها يا رسول الله قال بالسخاء والنصيحة للمسلمين • وعن معروف
الكرخي من قال اللهم ارحم امة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال • وهو في الحلية بلفظ من قال كل يوم
عشر مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم فرج عن امة محمد اللهم ارحم امة محمد كتب من الابدال • وعن غيره
قال من علامة الابدال ان لا يولد لهم • ويروى في مرفوع معضل علامة ابدال امتي انهم لا يلعنون شيئا
ابدا • وقال يزيد بن هارون الابدال هم اهل العلم • وقال الامام احمد ان لم يكونوا اصحاب
الحديث فمن هم • وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني قال النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء
اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر
ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة
فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان
اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته انتهى • ومنها انهم يدخلون
قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم بالاستغفار المؤمنين لهم • رواه الطبراني في الاوسط
من حديث انس ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • وروى الطبراني في الاوسط من حديث انس رفعه
امتي امة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها بالاستغفار المؤمنين
لها • ومنها انهم اختصوا في الاخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من الامم • رواه ابو نعيم عن
ابن عباس مرفوعا بلفظ وانا اول من تنشق الارض عني وعن امتي ولا فخر • ومنها انهم يدعون يوم
القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء • رواه البخاري • والغرة بياض في جبهة الفرس • والتحجيل بياض في قوائمه وذلك
مما يكسبه حسنا وجمالا فشبه صلى الله عليه وسلم النور الذي يكون يوم القيامة في اعضاء الوضوء بالغرة
والتحجيل ليفهم ان هذا البياض في اعضاء الانسان مما يزينه لا مما يشينه • يعني انهم ياتون على نوع
الا انها دون حد الوصف وكانوا على هذه الصفة • ومنها انهم يكونون في الموقف على
مكان عال • رواه ابن جرير وابن مردويه من حديث جابر مرفوعا بلفظ انا وامتي يوم القيامة على كوم مشرفين
على الخلائق ما من الناس احد الا ود انه منا وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة

ونبي • وعند ابن مردويه من حديث كعب قال انا وامتي على تل • ومنها ان لهم سيما في وجوههم من
اثر السجود قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود • وهل هذه العلامة في الدنيا او في الاخرة فيه
قولان احدهما انها في الدنيا قال ابن عباس فيما رواه ابن ابي طلحة السمت الحسن • وقال مجاهد
ليست بالندب ولكن هي سمت الاسلام وسيماه وخشوعه • وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر فتحسبهم
مرضى وما هم بمرضى • والقول الثاني انه في الاخرة يعني ان موضع السجود من وجوههم يكون اشد بياضا
يوم القيامة يعرفون بتلك العلامة انهم سجدوا في الدنيا • رواه العوفي عن ابن عباس • وعن شهر بن حوشب
يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر • وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل
من حافظ على الصلوات الخمس • ومنها انهم يؤتون كتبهم بايمانهم • رواه احمد والبزار •
ومنها ان نورهم يسعى بين ايديهم • اخرجه احمد باسناد صحيح • ومنها ان لهم ما سعوا وما سعي
لهم وليس لمن قبلهم الا ما سعى • قاله عكرمة • واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى • ففيها اجوبة
احدها انها منسوخة • روي ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم
ذريتهم فيجعل الولد الطفل في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الاباء في الابناء والابناء في الاباء بدليل
قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا • الثاني انها مخصوصة بالكافر واما المؤمن فله
ما سعى وما سعي له غيره • قال القرطبي وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح
من غيره • وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام صام عنه وليه • وقال للخثعمية
للذي حج عن غيره حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة • وعن عائشة انها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت
وقال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال
سقي الماء • وفي الموطأ عن عبد الله بن ابي بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى
قباء فماتت ولم تقضه فافتى عبد الله بن عباس ابنتها ان تمشي عنها • ومن المفسرين من قال المراد بالانسان
في الآية ابو جهل ومنهم من قال الوليد بن المغيرة ومنهم من قال المراد الاخبار عن شرع من قبلنا وقد لشرعنا
ان الانسان له سعيه وما سعي له • ومنهم من قال الانسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب
الاصحاب واسدى لهم الخير وتودد اليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه • ومنهم من قال الآية في الانسان
الحي دون الميت • ومنهم من قال لم ينف في الآية انتفاع الرجل بسعي غيره وانما نفى ملكه لسعي غيره وبين الامرين
فرق • قاله الزمخشري وان ليس للانسان الا ما سعى • فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت
والحج عنه قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون
مؤمنا صالحا فلذلك كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه • والثاني ان سعي غيره لا ينفعه
اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه • والحق في الآية
انه قوله وان ليس للانسان الا ما سعى عام مخصوص بما تقدم من الاجوبة • وقد اختلف العلماء في ثواب القراءة هل يصل
للميت فذهب الاكثرون الى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك • ونقل عن جماعة من الحنفية

وقال كثير من الشافعية والحنفية يصل، وبه قال احمد بن حنبل رحمه الله تعالى بعد ان قال القراءة على القبر بدعة
بل نقل عن الامام احمد يصل الى الميت كل شيء من الصدقة والصلوة والحج والاعتكاف والقراءة والذكر
وغير ذلك. وذكر الشيخ شمس بن القطان العسقلاني وصول ثواب القراءة الى الميت من قريب
او اجنبي هو الصحيح كما تنفعه الصدقة والدعاء والاستغفار بالاجماع. وقد افتى القاضي حسين
بان الاستيجار لقراءة القرآن على رأس القبر جائز كالاستيجار للاذان وتعليم القرآن. لكن قال الرافعي
وتبعه النووي عود المنفعة الى المستأجر شرط في الاجارة فيجب عود المنفعة في هذه الاجارة الى
المستأجر او ميته لكن المستأجر لا ينتفع بان يقرأ الغير. ومشهور ان الميت لا يلحقه ثواب القراءة
المجردة فالوجه تنزيل الاستيجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة وذكروا له طريقين احدهما ان يعقب
القراءة بالدعاء للميت فان الدعاء يلحقه والدعاء بعد القراءة اقرب الى الاجابة واكثر بركة. والثاني
ذكر الشيخ عبد الكريم الشالوسي انه ان نوى القارئ بقراءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه لكن لو قرأ ثم
جعل ما حصل من الاجر له فهذا دعاء بحصول ذلك الاجر للميت فينتفع الميت. وقال النووي في زيادات
الروضة ظاهر كلام القاضي صحة الاجارة مطلقا وهو المختار فان موضع القراءة موضع بركة وتنزل
الرحمة فيه وهذا مقصود ينفع الميت. وقال الشافعي وتبعه النووي في الروضة الذي يعتاد من
قراءة القرآن على قبر الميت قد ذكرنا في باب الاجارة طريقين في عود فائدتها الى الميت. وعن القاضي ابي الطيب
طريق ثالث وهو ان الميت كالحي الحاضر فترجى له الرحمة ووصول البركة اذا اهدى الثواب له القارئ
وقال الشالوسي اذا نوى بقراءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة
البدن فلا تقع عن الغير وان قرأ ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره
والميت يؤجر بدعاء الغير لكن الطلاق ان الدعاء ينفع الميت امر من عليه فيهم بانه موقوف على الاجابة
ويمكن ان يقال الدعاء للميت مستجاب كما اطلقوا اعتمادا على سعة فضل الله. وقال الرافعي وتبعه النووي
يستوي في الصدقة والدعاء الوارث والاجنبي. قال الشافعي وفي وسع فضل الله ان يثيب المتصدق ايضا
وقال الاصحاب يستحب ان ينوي المتصدق الصدقة عن ابويه فان الله ينيلهما الثواب ولا ينقص من اجره شيئا
وذكر صاحب العدة انه لو انبط عينا او حفر بئرا او غرس شجرا او وقف مصحفا في حال حياته او فعل غيره عنه
يلحق الثواب بالميت. وقال الرافعي والنووي وهذه الامور اذا صدرت من الحي فهي صدقات جارية
يلحقه ثوابها بعد الموت كما ورد في الخبر ولا يختص الحكم بوقف المصحف بل يلحق به كل وقف. وهذا القياس يقتضي
جواز التضحية عن الميت فانها ضرب من الصدقة لكن في التهذيب انه لا تجوز الاضحية عن الغير بغير امره وكذا
عن الميت الا ان يكون اوصى به. وقد روي عن علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة انه كان يضحي عن النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته. وعن ابي العباس محمد بن اسحاق السراج قال ضحيت عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين اضحية
واما اهداء القراءة المرسومة له صلى الله عليه وسلم فلا يعرف فيه خبر ولا اثر. وقد انكره جماعة منهم الشيخ برهان
الدين ابن الفركاح لان الصحابة لم يفعله احد منهم. وحكى صاحب الروح ان من الفقهاء المتأخرين من استحبه

من صدقة وصلوة وحج واعتكاف وقراءة وذكر

على رأس القبر

ومنهم من رآه بدعة قال لان النبي صلى الله عليه وسلم غني عن ذلك فان له اجر كل من عمل خيرا من امته من غير
ان ينقص من اجر العامل شيء. قال الشافعي ما من خير يعمله احد من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا والنبي
صلى الله عليه وسلم اصل فيه. قال في تحقيق النصرة فجميع حسنات المسلمين واعمالهم الصالحة في صحائف نبينا
صلى الله عليه وسلم زيادة على ما له من الاجر مع مضاعفة لا يحصرها الا الله تعالى لان كل مهتد وعامل الى يوم القيامة
يحصل له اجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث اربعة والرابع ثمانية وهكذا
تضعيف كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعده الى النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم تفضيل السلف على
الخلف فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الاجر الف
واربعة وعشرون فاذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار اجر النبي صلى الله عليه وسلم الفين وثمانية واربعين
وهكذا كلما زاد واحد يتضاعف ما كان قبله ابدا كما قاله بعض المحققين. انتهى. ولله در القائل وهو سيدي
محمد وفا: فلا حسن الا من محاسن حسنه * ولا محسن الا له حسناته. وبهذا يجاب عن استشكال دعاء
القارئ له صلى الله عليه وسلم بزيادة الشرف مع ان كماله صلى الله عليه وسلم في سائر انواع الشرف فكان
الداعي لحظ قبول قراءته يتضمن لعامله نظير اجره وهكذا الى المعلم الاول وهو الشارع عليه الصلوة والسلام
نظير جميع ذلك. ومن ذلك ما شرع عند رؤية الكعبة من قوله اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما
فثمرة الدعاء بذلك عائدة على الداعي لاشتماله على طلب قبول القراءة. وهذا كما قالوا في الصلوة عليه
زاده الله تعالى شرفا لديه ان ثمرتها عائدة على المصلي. اشار لنحوه الحافظ ابن حجر. ومن خصائص هذه
الامة انهم يدخلون الجنة قبل سائر الامم. رواه الطبراني في الاوسط من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
مرفوعا حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي. ومنها ان يدخل
الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب. رواه الشيخان. وعند الطبراني والبيهقي في البعث ان ربي وعدني ان يدخل
من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سألت ربي المزيد فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا
سبعين الفا. وبالجملة فقد اختصت هذه الامة بالمرتبة بنيرها من الامم كرامة لنبيها عليه الصلوة والسلام
وزيادة في شرفه. وتفصيل فضلها وخصائصها يستدعي سفرا مستقلا. وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

المقصد الخامس

في تخصيصه عليه السلم بخصائص المعراج والاسراء وتعميمه بعموم لطائف التكريم فيحضره التقريب بالكمال المؤذن بشاهد الايات
الكبرى. اعلم منحني الله واياك الترقي في معارج السعادة والوصول اليه في حظائر الكرامات
ان قصة المعراج والاسراء من اشهر المعجزات واظهر البراهين البينات واقوى الحجج المحكمات واصدق
الانباء واعظم الايات واتم الدلالات على تخصيصه عليه السلام بعموم الكرامات. وقد اختلف العلماء
في الاسراء هل هو اسراء واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما او اسراآن كل واحد في ليلة مرة بروحه
وبدنه يقظة ومرة مناما او يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد
الاقصى الى العرش او هي اربع اسراآت. احتج القائلون بانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق

بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس لأن الرؤيا مصدر الحلمية • وأما البصرية فالرؤية بالتاء • وقد أنكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما أفاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرؤيا للبصرية ولحنوا المتنبي في قوله ورؤياك أحلى في العيون من الغمض • وأجيب بأنه إنما قال الرؤيا لوقوع ذلك في الليل وسرعة تقضيه كأنه منام وبأن الرؤيا والرؤية واحد كقربى وقربة • ويشهد له قول ابن عباس في الآية والبخاري هي رؤيا عين أريها صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به • وزاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث وليس رؤيا منام • ولم يصرح في رواية البخاري بالمرئي • وعند سعيد بن منصور أيضا من طريق أبي مالك قال هو ما أري في طريقه إلى بيت المقدس • وهذا مما يستدرك به على إطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة وهو يرد على من خطأ المتنبي على أنه اختلف المفسرون في هذه الآية فقيل أي الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج • قال البيضاوي فسر الرؤيا بالرؤية وقيل رؤيا عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس وقيل رؤيا وقعة بدر وسأل ابن النقيب شيخه أبا العباس القرطبي عن الآية فقال الصحيح أنها رؤية عين يقظة أراه جبريل مصارع القوم ببدر فأرى النبي صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم كما أراه جبريل فتسامعت به قريش فاستسخروا منه انتهى • واحتج القائلون بأنها رؤيا منام أيضا بقول عائشة ما فقد جسده الشريف • وأجيب بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن إذ ذاك زوجا ولا في سن من يضبط أو لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان • وقال التفتازاني أي ما فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى •

واحتج القائلون بأنه بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب به بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة له بالإسراء قالوا ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح • وأجيب بأن حكمة التخصيص بالمسجد الأقصى سؤال قريش له عنه على سبيل الامتحان عن ما شاهده وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا أنه لم يسافر إليه فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع • ولهذا لم يسألوه عما رأى في السماء إذ لا عهد لهم بذلك • وقال الموفق في فتاويه وكان الإسراء به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة • وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضي أبي بكر بن العربي وأن مرة النوم توطئة له وتيسير عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فإنه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الإسراء سهله عليه بالرؤيا لأن هوله عظيم فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله تعالى بعبده وتسهيلا عليه • وقد جوز بعض قائلي ذلك أن يكون وقع المنام قبل البعث لأجل قول شريك في روايته وذلك قبل أن يوحى إليه • وسيأتي البحث في ذلك إن شاء الله تعالى

واحتج

واحتج القائلون بأنه أربع إسراءات يقظة بتعدد الروايات في الإسراء واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيئا ذكره الآخر • وأجيب بأنه لا يدل على التعدد لأن بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به أو نسيانه • وقد وقع في رواية عبثر بن القاسم بموحدة ثم مثلثة بوزن جعفر في روايته عن حصين بن عبد الرحمن عند الترمذي والنسائي لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي ومعه الواحد الحديث فإن كان محفوظا كان فيه قوة لمن ذهب إلى تعدد الإسراء وأنه وقع بالمدينة أيضا غير الذي وقع بمكة • قال في فتح الباري والذي يتحرر من هذه المسألة أن الإسراء الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح أبواب السماء بابا بابا ولا من التقاء الأنبياء كل واحد في سمائه ولا المراجعة معهم ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا بطلب تخفيفها وسائر ما يتعلق بذلك وإنما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك رآها صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام والله أعلم انتهى • وقال بعض العارفين إنه صلى الله عليه وسلم أربعة وثلاثين مرة [illegible] منها إسراء واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها انتهى • وقال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب وهرب إلى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر صلى الله عليه وسلم أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى • فالحق أنه إسراء واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله • قال الرازي [illegible] التحقيق الذي يدل على أنه تعالى أسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر • أما القرآن فهو قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا • وتقرير الدليل أن العبد اسم للجسد والروح فوجب أن يكون الإسراء حاصلا لجميع الجسد والروح ويدل عليه قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى ولا شك أن المراد هنا مجموع الروح والجسد • وأيضا قال سبحانه وتعالى في سورة الجن وأنه لما قام عبد الله يدعوه والمراد مجموع الروح والجسد فكذا هاهنا انتهى • واحتجوا أيضا بظاهر قوله أسرى بعبده لأن الأصل في الأفعال أن تحمل على اليقظة حتى يدل دليل على خلافه • وبأنه لو كان مناما لما كانت فيه فتنة للضعفاء ولا استبعده الأغبياء وبأن الدواب لا تحمل الأرواح وإنما تحمل الأجسام وقد تواترت الأخبار بأنه أسري على الدابة • فإن قلت ما الحكمة في كونه تعالى جعل الإسراء ليلا • أجيب بأنه إنما جعله ليلا تمكينا للتخصيص [illegible] لأنه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا والليل أخص زمان للمحب بحبيبه والخلوة بالحبيب وتحققه بالليل • وقال ابن المنير ولعل تخصيص الإسراء بالليل ليزداد الذين آمنوا إيمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم إذ الليل أخفى حالا من النهار • قال ولعله لو عرج به نهارا لفات المؤمنين فضيلة الإيمان بالغيب ولم يحصل ما وقع من الفتنة على من شقي وجحد انتهى • وفي ذلك نكتة أخرى لطيفة [illegible] الإشارات ذكرها العلامة [illegible] لأنه تعالى [illegible] الليل [illegible] النهار [illegible]

الكسر الليل يخبر بأن أسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم . وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر
ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود في الليل الى السماء . وقيل لانه صلى الله عليه وسلم
سراج والسراج انما يوقد في الليل . وانشد . قال لا استطيع تغيير رسمي . هكذا الرسم في
طلوع البدور . انما تدرك في الظلام لكي يشرق الليل من اشعة نوري . فان قلت . اما افضل
ليلة الاسراء ام ليلة القدر . فالجواب كما قال الشيخ ابو امامة بن النقاش ان ليلة الاسراء افضل في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وليلة القدر افضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم . واما ليلة
الاسراء فلم يأت في ارجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الآن ولا الى ان تقوم الساعة فيها شيء ومن قال فيها
شيئا فانما قال من كيسه لمرجح ظهر له استأنس به ولهذا تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت
الامر فيها على شيء ولو تعلق بها نفع للامة ولو بذرة لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم انتهى
فان قلت هل وقع الاسراء لغير النبي صلى الله عليه وسلم من الانبياء . فالجواب قال العارف عبد العزيز المهدوي
بان مرتبة الاسراء بالجسم الى تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من الانبياء الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى
وانما قال تعالى اسرى بعبده اشارة الى انه تعالى هو المسافر به ليعلم ان الامر من عنده عز وجل هبة ومنحة
وعناية ربانية سبقت له عليه السلام لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره . ثم دخل باء المصاحبة في قوله
بعبده ليفيد انه تعالى صحبه في سراه بالالطاف والعناية والاسعاف والرعاية ويشهد له قوله
عليه السلام اللهم انت الصاحب في السفر . وتأمل قوله تعالى يسيركم في البر والبحر وقوله اسرى بعبده
تجد لك خصوصية مصاحبة الرسول عليه السلام المحققة دون عموم الخلائق . وقدم سبحانه وتعالى التسبيح
بهذا المسرى ليقطع عن قلب صاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من احتمال التشبيه والتجسيم بحيث يخيله
في حق الحق تعالى من الجهة والحد والمكان ولذا قال لنريه من آياتنا يعني ما رأى تلك الليلة من عجائب الآيات
كانه تعالى يقول انما اسرينا به لاجل رؤية الآيات لا الى مكان فلا يحد في مكانه ونسبة الامكنة اليه بنسبة
واحدة . فلطف اسرى به سرى لا ماشيه وبلغه ايما كان . ونعم قول القائل . سبحان من اسرى ليلة
ليرى الذي اخفاه من آياته . للحضور في شيء من حجبه . والحوف . آياته . ويريه الذي خبا
تكون بسره . في سمعه اذ شاء وفي ابصاره . واكده بقوله تعالى ليلا لاجل ان لا يمكن في اللسان العربي
الا ليلا لا نهارا ليرفع الاشكال حتى لا يتخيل انه اسرى بروحه فقط ويزيل من خاطر من يعتقد
من الناس انه الاسراء ربما يكون نهارا فان القرآن وان كان نزل بلغة العرب فانه خاطب به الناس جميعا
اهل اللسان وغيرهم . وقال ليتكلم بها صاحب الكشاف وفائدة الدلالة بتنكيره على تقليل مدة
الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به . وبحقيقة النكتة حاشية
على الكشاف كما بحثت عليه في حاشية الشفاء . والمعارج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات
والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار

والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي . وقد وقع له
عليه السلام في سني الهجرة العشر ما كان فيه مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة . ولهذا ختمت
سني الهجرة بالوفاة وهي لقاء الحق جل جلاله والانتقال من دار الفناء الى دار البقاء والعروج بالروح
الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسراء
باللقاء والحضور بحضرة القدس . وقد افاد الامام الذهبي ان الحافظ عبد الغني جمع احاديث
الاسراء في جزئين ولم يتيسر لي الوقوف عليهما بعد الفحص . وقد صنف الشيخ ابو اسحق النعماني رحمه الله تعالى
في الاسراء والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادات لرقائق والامتحان وهو من اصل الحقائق ولم اقف عليه
حال كتابتي هذا المقصد الشريف . ورحم الله تعالى شيخ الاسلام والحفاظ الشهاب ابن حجر العسقلاني فانه
قد جمع في كتابه فتح الباري منه كثيرا لما اشتمل من طرق احاديث الاسراء وغيرها من الاحاديث مع تدقيق مباحث فقهه
والكشف عن اسرار معاني كلمه وبدايع الفاظه وحكمه وكل من صنف في شيء من علم النبوة والمناقب
المحمدية لا يستغني عن استجلاء معارف اللطائف من رياض عياض والاستشفاء من دواء المشكلات
بدواء الشفاء المبين لمعضل الادواء فان الله تعالى يفيض عليه وعلى سائر علماء هذه الامة سجال الرحمة
ورضوانه ويسكنهم في بحبوحة جناته . وقد وردت احاديث الاسراء من حديث انس وابي بن كعب
وجابر بن عبد الله وبريدة وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابي ذر وحذيفة بن اليمان
وشداد بن اوس وصهيب وعلي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وابي امامة
وابي ايوب وابي الحمراء وابي هريرة وابي سعيد الخدري وابي سفيان بن حرب وابي بردة وعائشة واسماء بنت ابي بكر
وام هانئ وام سلمة رضي الله عنهم . وفي تفسير الحافظ ابن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي . وبالجملة فحديث الاسراء
اجمع عليه المسلمون واعرض عنه الزنادقة الملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره
ولو كره الكافرون . وقد روى البخاري عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به بينما انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ اتاني
آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال
من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم
اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود هو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم
يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت
فاذا فيها آدم فقال هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة
قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى

السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه ثم قال مرحبا بالأخ الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي • وفي رواية له فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه • وفي رواية شريك فحشى به صدره ولغاديده وهي بلام مفتوحة وغين معجمة أي عروق حلقه • وفي النهاية جمع لغدود وهي لحمة عند اللهاة • والشك في قوله وربما قال في الحجر عن قتادة كما بينه أحمد عن عفان ولفظه بينا أنا في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر والمراد بالحطيم الحجر • ووقع عند البخاري في بدء الخلق بلفظ بينا أنا عند البيت وهو تم • وفي رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر فرج سقف

بيتي

بيتي وأنا بمكة • وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب • وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل فقال إن جبريل أتاني • والجمع بين هذه الأقوال كما في الفتح أنه في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيته وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق • قال وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد فأركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع • فإن قيل لم فرج سقف بيته عليه السلام ونزل منه الملك ولم يدخل عليه من الباب مع قوله عز وجل وأتوا البيوت من أبوابها • الآية أجيب بأن الحكمة في ذلك أن الملك انصب من السماء انصبابة واحدة ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المفاجأة وتنبيها على أن الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له عليه السلام • وهذا بخلاف موسى عليه السلام فكانت كرامته بالمناجاة والاستعداد لها فإن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يحتج عنده إلى الانتظار كما احتاج عنده إلى الانتظار ويؤخذ من هذا أن مقام نبينا صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى مقام موسى عليه السلام مقام المراد بالنسبة إلى المقام المريد • ويحتمل أن يكون توطئة وتمهيدا لكونه فرج صدره فأراه الملك بإفراجه عن السقف ثم التأم السقف على الفور كيفية ما صنع به وقرب له الأمر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لبصيرته والله أعلم • وقوله بينما أنا في الحطيم بين النائم واليقظان وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما أخرج به إلى باب المسجد فأركبه البراق استمر في يقظته • وأما ما وقع في رواية شريك عنده أيضا فلما استيقظت فإن قلنا بالتعدد فلا إشكال وإلا حمل على أن المراد استيقظت يعني أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت ورجع إلى العالم الدنيوي فالمراد الإفاقة البشرية من الغمرة الملكية • وقوله إذ أتاني آت هو جبريل عليه السلام • وفي رواية شريك جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة أي كانت القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه • وقد أنكر الخطابي قوله قبل أن يوحى إليه • وكذا القاضي عياض والنووي وعبارة النووي وقع في رواية شريك يعني هذه أوهام أنكرها العلماء أحدها قوله قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه • وأجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون قبل الوحي • انتهى • وقد صرح من وافق شريكا بتفرده بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة والنون مصغرا عن أنس كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في كتاب المغازي من طريقه قال ولم يقع التعيين بين المجيئين فيحمل أن المجيء الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع الإسراء والمعراج وإذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين أن يكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي أو عدة سنين وبهذا يرتفع الإشكال عن رواية شريك ويحصل الوفاق أن الإسراء كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة وسقط تشنيع الخطابي وغيره بأن شريكا خالف الإجماع في دعواه أن المعراج كان قبل البعثة

وقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد البعثة قوله في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السماء اذ قال له أبعث قال نعم فانه ظاهر في ان المعراج كان بعد البعثة • ووقع في رواية ميمون بن سياه عند الطبراني فاتاه جبريل وميكائيل فقالا ايهم وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال امرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاءوه وهم ثلثة • وفي رواية مسلم سمعت قائلا يقول احد الثلثة بين الرجلين فاتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما بينهما • وقوله فقد بالقاف والدال المهملة الثقيلة من ثغره بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهي الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين الى شعرته بكسر الشين المعجمة اي شعر العانة • وفي رواية مسلم الى اسفل بطنه • وفي رواية البخاري الى مراق البطن • وفي رواية شريك عنه فشق جبريل ما بين نحره الى لبته بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر وقد انكر القاضي عياض في الشفا وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسراء وقال انما كان وهو صبي قبل الوحي في بني سعد • ولا انكار في ذلك كما قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله تعالى فقد تواردت الروايات به • وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم في الدلائل • ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه الزيادة كما عند مسلم من حديث انس فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس • ويحتمل ان يكون اشارة الى حظ الشيطان المنافي كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلوته وامكنه الله منه • واما شق الصدر عند البعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى بقلب قوي على اكمل الاحوال من التطهير • واما شقه عند ارادة المعراج الى السما فليتهيأ للترقي الى الملأ الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوى لاستجلاء الاسماء الحسنى ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيؤ لم يتفق له الرؤية وكيف ثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل • ويحتمل ان يكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه السلام ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك • قال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان قدرة الله عز وجل لا يعجزها ممكن ولا يتوقف لعدم شيء ولا لوجوده ولكنه ربط العادات الا حيث شاءت القدرة لا تزيل ما يعهد وتعرفنا ان البشر متى شق بطنه واخرج القلب مات وعرض وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق على بطنه المكرمة حتى خرج القلب فغسل • وقد شق صدره ايضا كذلك وهو صغير وشق قلبه واخرجت نزغة الشيطان منه • ومعلوم ان القلب متى مسه الجرح ووصل له الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه فيها بين المرتين ولم يتأثر بذلك ولم يمت لما اراد الله تعالى ان لا يؤثر ما اجرى به العادة ان يؤثر ربما تموت صاحبها فانخرقت له العادة وقد رمي ابراهيم عليه السلام في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما • انتهى • وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه السلام بتحقيق ما اوتي من الصبر • فهو من جنس

ما اكرم اسمعيل الذبيح بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا للجبين واهواء بالمدية الى الحلق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووفى بما وعده ابقه فاكرمه بالثناء على صبره الى الابد • ولا مرية ان الذي حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم على شق الصدر اشد واجل لان تلك مقدمات وهذه نتيجة • وتلك معاريض وهذه حقيقة • والنحر متقبل وما اصابه من اسمعيل الا صورة المثل لا فعله وشق صدر نبينا صلى الله عليه وسلم واستخرج قلبه ثم شققه مرة كذا ثم كذا مقابل حديدة ووقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقاء الحياة فهذا الابتلاء اعظم من تلك الذبح بما ذكر • فان قلت انما يتحقق الصبر اذ لو كان هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في ابقاء الحياة فانخرقت في دفع المشاق وحمل الالام • اجيب بانه ورد في حديث شق صدره فاقبل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم بدل النون وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق • قال القاضي عياض وامتقع لونه صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات • وهذا يدل على غاية المشقة • واما قول ابن الجوزي فشقه وما شق نجلبه فيحمل على انه صبر صبر من لم يشق عليه • انتهى • وكذلك الابتلاء ايضا من حيث السن فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيد ما فطم وايضا فانه كان منفردا عن امه وبعيدا عن ابيه واخلفه من بين الاطفال فاليتيم مع فعل من الانفراد اشد ابتلاء للمفاد في الحال وتعظيما لما ناله من الصبر من الثواب ولنا في الهيئة لما شج وجرح وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون زاده الله تعالى شرفا • وقولهم اوتيت بطست من ذهب لما اتي بطست لانه اشهر الات الغسل عرفا • فان قلت ان استعمال الذهب حرام في شرعه صلى الله عليه وسلم فكيف استعمل الطست الذهب هنا • اجاب العارف ابن ابي جمرة بان تحريم الذهب انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه الدار واما في الآخرة فهو للمؤمنين خالصا لقوله عليه السلام هو لهم في الدنيا ولنا في الآخرة • قال ثم ان الاستمتاع بهذا الطست لم يحصل منه عليه السلام وانما كان غيره هو المتناول له وانما كان فيه حتى وضعه في المحل المبارك فان الطست المبارك بين تبارك وكونه من ذهب دال على ترفيع المقام فانتفى التعارض بما قررناه • انتهى • وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله لنزه ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم • ويمكن ان يقال ان تحريم استعماله مخصوص باحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب فيلحق باحكام الآخرة • ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة • ويظهر هنا مناسبات منها انه من اواني الجنة • ومنها انه لا تأكله النار ولا التراب • ومنها انه لا يلحقه الصدأ • ومنها انه اثقل الجواهر فناسب قلبه صلى الله عليه وسلم انه من اواني الجنة ولا تأكله النار ولا التراب ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء ولا يلحقه الصدأ وانه اثقل من كل قلب • وفيه مناسبة اخرى وهي ثقل الوحي فيه انتهى • قلت قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب

في هذه الشريعة قد جزم به فرقة وان الصلوة جزكا ينقح البارى بان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة وقال
السهيلي وابن دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب
الى ربه وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه انتهى • والمراد بقوله مليء حكمة وايمانا ان الطست
جعل فيها شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا مجازا • ويحتمل ان يكون على حقيقته وتجسيد المعاني
جائز كما في سورة البقرة تجيء يوم القيمة كانها ظلة والموت في صورة كبش • وكذلك وزن الاعمال
وغير ذلك • وقال البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له صلى الله
عليه وسلم الجنة والنار في عرض الحائط • وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس • وقال العارف ابن ابي
جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معان لانه صلى الله عليه وسلم قال عن الطست انه
مليء ايمانا وحكمة لانه لا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها اجسام حتى تملأ وانما تملأ الاناء
بالاجسام والجواهر • وهذا نص من الشارع عليه الصلاة والسلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم
ان الايمان والحكمة اعراض • فالجمع بين الحديث وما ذهبوا اليه هو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي لا يحول
اليها ادراك ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة • وانما هو غلبة ظن • لان العقل ليس الاجماع
من اهل العقل المؤيدين بالتوفيق حدا يقف عنده • ولا يتسلط بما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه فهذا
وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع عليه السلام
في الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل الى عدم الحقيقة اخبر بها عليه السلام • فيكون الجمع بينهما ان ما قاله
المتكلمون حق لاثر الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل • والحقيقة ما ذكره صلى الله عليه وسلم في الحديث
ولهذا نظائر كثيرة بين المتكلمين واثار النبوة • ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذي قررناه او ما اشبهه
ثم مثل بمجيء الموت في هيئة كبش املح • ثم بالاذكار والتلاوة • ثم قال لان ما ظهر منها هنا معان وتوجد
يوم القيمة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر • قال وفي ذلك دليل لاهل الصوفية
واهل المعاملات والتحقيق القائلين بانهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم باعيان
جواهر محسوسات • فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح • ومنهم من يعاينه مثل الشمعة • ومنهم من يعاينه مثل
المشعل وغير ذلك ويقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه
بعين بصره ويعرف الزيادة والنقصان • فان قلت ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئه ايمانا وحكمة
ولم يوجد الله تعالى ذلك فيه من غير ان يفعل به ما فعل • اجاب العارف ابن ابي جمرة بانه عليه الصلوة
والسلام لما اعطي كثرة الايمان والحكمة وقوي التصديق اذ ذاك اعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف
من جميع العادات الجارية بالهلاك فحصل له صلى الله عليه وسلم قوة الايمان من ثلثة اوجه بقوة التصديق
والمشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له صلى الله عليه وسلم بذلك ما اريد منه من قوة
الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه • ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان صلى الله عليه وسلم في
العالمين اشجعهم واثبتهم واعلاهم حالا ومقالا ففي العلو كما اخبر صلى الله عليه وسلم ان جبريل لما وصل

معه الى مقامه ثم قال ها انت وربك هذا مقامي لا اتعداه فزج في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت فكان
حاله في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ البصر وما طغى • واما حاله عليه الصلوة والسلام
في هذا العالم فكان اذا احمي الوطيس في الحرب ركض بغلته في نحر العدو وهم شاكين في سلاحهم ويقول انا ابن عبد المطلب
انا النبي لا كذب • ثم ان في العناية بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة اشارة الى مذهب اهل السنة
في ان محل العقل ونحوه من اسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة
والفلاسفة • واما الحكمة في غسل قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع
قال الحافظ الزين العراقي ولذلك غسل به قلبه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت
واستدل شيخ الاسلام البلقيني بغسل قلبه الشريف على انه افضل من ماء الكوثر قال لانه لم يكن يغسل
قلبه المكرم الا بافضل المياه اليه • واليه يومي قول العارف ابن ابي جمرة ذكره في بهجة النفوس • وما وقع
صلى الله عليه وسلم من غسل صدره فمعنى الظاهر ان المراد به القلب كما في الرواية الاخرى • وقد يحتمل ان يحمل كل واحد
على ظاهرها • ويقع الجمع انه في حال اخبر صلى الله عليه وسلم مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه واخبر
مرة بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره • فيكون الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة في تنظيف المحل المقدس
ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير وقد غسل اولا وهو عليه السلام
واخرجت من قلبه نزغة الشيطان • وما كان ذلك الا اعظاما وتاهبا لما يلقى هنالك • وقد جرت الحكمة بذلك
في غير ما موضع مثل الوضوء للصلوة لمن كان متنظفا لان الوضوء في حقه انما هو اعظاما وتاهبا للوقوف
بين يدي الله تعالى ومناجاته فلذلك غسل جوفه الشريف هنا • وقد قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها
من تقوى القلوب فكان الغسل له صلى الله عليه وسلم من تعظيم شعائر الله واشارة لامته بالفعل بتعظيم
شعائر الله كما نص عليه بالقول • واما قوله ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه
عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا • وفي رواية عنده في الصلوة ثم اخذ
بيدي فعرج الى السماء فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء • قال العارف ابن ابي جمرة كان
ذلك لانهم كانوا يمشون في الهواء وقد جرت العادة بان البشر لا يمشي في الهواء سيما وكان راكبا على دابة
من ذوات الاربع لكن اشارت القدرة بذلك فكما جعل تعالى لهم في الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم
في الهوى كما قال نبيه المكرم القدرة لا ترتبط بعادة اهل هذه الدار • وقد سئل صلى الله عليه وسلم
عن حشر الكافر على وجهه يوم القيامة كيف يمشون فقال صلى الله عليه وسلم الذي
امشاهم في الدنيا على اقدامهم قادر ان يمشيهم يوم القيامة على وجوههم • انتهى • وقد استدل بعضهم
بهذا الحديث على ان المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسراء الى بيت المقدس لكون الاسراء لم يذكر هنا
فاما المعراج ففي غير هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن على البراق بل رقى في المعراج وهو السلم
كما وقع التصريح به في حديث ابن اسحاق والبيهقي في الدلائل كما سياتي ان شاء الله تعالى • ويمكن
ان يقال لما وقع هنا اختصار من الراوي • والاتيان بثم المقتضية للتراخي لا ينافي وقوع الاسراء

وهم شاكون

مطلب في ان محل العقل ونحوه من اسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة والفلاسفة

المذكورين وهما الاطباق والعروج • وحاصله ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر • وثبت البناء
قد حفظ الحديث ففي رواية عند مسلم انه اتى بيت المقدس فصلى فيه ثم عرج الى السماء كما سيأتي ان شاء
الله تعالى • وقد قيل في الحكمة في الاسراء به راكبا مع القدرة على طي الارض له الاشارة الى ان
ذلك وقع تأنيسا له بالعادة في مقام خرق العادة لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى من
يختص به بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه • وفي كلام بعض اهل الاشارات لما كان
صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض
هذه الثمرة بين يدي مثمرها ورفعها الى حضرة قربه والطواف بها على ندماء حضرته ارسل اليه اعز
خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادما وافاه على فراشه نائما فقال قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم
قال يا جبريل الى اين قال يا محمد ارتفع الحجاب من البين انما انا رسول القدم ارسلت اليك لاكون
من جملة الخدم يا محمد انت مراد الارادة • الكل مراد لاجلك وانت مراد لاجله • انت صفوة كاس
المحبة انت درة هذه الصدفة • انت شمس المعارف • انت بدر اللطائف • ما مهدت الدار الا لاجلك • ما حمي
هذا الحمى الا لوصلك • ما روق كاس المحبة الا لشربك • فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل فالكريم يدعوني
اليه فما الذي يفعل بي فقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال يا جبريل هذا لي فما لعيالي
واطفالي قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل الآن قد طاب قلبي ها انا ذاهب الى ربي
ثم قال جبريل يا محمد لم تجئ بي الليلة لاكون خادم دولتك • وحاجب حاشيتك • وحامل غاشيتك
وجئ بالمركوب اليك لاظهار كرامتك • لان من عادة الملوك اذا استزاروا حبيبا او استدعوا
قريبا وارادوا ظهور اكرامه واحترامه ارسلوا اخص خدامهم واعز نوابهم لنقل اقدامهم فجئناك على
رسم عادة الملوك • وآداب السلوك • ومن اعتقد انه يوصل الى الله بالخطا فقد وقع في الخطأ ومن
ظن انه محجوب بالغطا فقد حرم العطا • انتهى • والحكمة في كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار
ابيض ولم يكن على شكل الفرس الاشارة الى ان الركوب كان في سلم وامن لا في حرب وخوف او لاظهار المعجزة
بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة • وذكره بقوله ابيض باعتبار كونه مركوبا او
عطفا على لفظ البراق • واختلف في تسميته بذلك فقيل من البريق • وقال القاضي عياض
لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال صوفها الابيض طاقات سود • وقيل من البرق
لانه وصف بسرعة السير • ويحتمل ان لا يكون مشتقا ووصفه بانه يضع خطوه عند اقصى طرفه
بسكون الراء وبالفاء اي يضع رجله عند منتهى ما يراه بصره • وقال ابن المنير يقطع ما انتهى
اليه بصره في خطوة واحدة • وقال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان
بصر الذي في الارض يقع على السماء فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات • انتهى • وفي حديث ابي سعيد
عند ابي يعلى والبزار كما افاده في الفتح اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه
وفي رواية لابن سعد عند الواقدي باسانيده له جناحان • قال الحافظ ابن حجر ولم ارها لغيره

وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس في صفة البراق له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس
وقوائم كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمراء • وفي رواية ابن سعد في شرف المصطفى
فكان الذي امسك بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل • وفي رواية معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك
على هذا ما ركبك خلق اكرم على الله تعالى منه قال فارفض عرقا • اخرجه الترمذي وقال حسن غريب
وصححه ابن حبان • وذكر ابن اسحق عن قتادة انه لما شمس وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته وقال
اما تستحي وذكر نحوه لكنه مرسل لانه لم يذكر انسا • وفي رواية وثيمة عند ابن اسحق نعست حتى لصقت
بالارض فاستويت عليها • وفي رواية للنسائي وابن مردويه من طريق يزيد بن ابي مالك نحوه موصولا
وزاد وكانت تسخر للانبياء قبله • ونحوه من حديث ابي سعيد عند ابن اسحق • وفيه دلالة على ان البراق
كان معدا لركوب الانبياء خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية واول قول جبريل فما ركبك اكرم على الله
منه اي ما ركبك احد قط فكيف يركبك اكرم منه فيكون مثل قول امرئ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره
فيفهم منه ان له منارا لا يهتدى به وليس المراد الا انه لا منار له البتة فكيف يهتدى به فتامله • وقد جزم
السهيلي بان البراق انما استصعب عليه لبعد عهده بركوب الانبياء قبله • وقال النووي قال صاحب مختصر
العين وتبعه صاحب التحرير كان الانبياء يركبون البراق قال وهذا يحتاج الى نقل صحيح • انتهى • وقد تقدم
النقل بذلك • قال في الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء • انتهى • قلت
فانه ليس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء وانما قال تربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط
ما هو فيحتمل كما قال ابن المنير ان يكون غير البراق • ويحتمل ان يكون ارتباط الانبياء انفسهم بتلك الحلقة
اي تمسكهم بها ويكون في جنس العروة الوثقى • انتهى • لكن وقع التصريح بذلك في حديث ابي سعيد
عند البيهقي وبعضه فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء تربط فيها • وقد وقع عند ابن اسحق
من رواية وثيمة في ذكر الاسراء فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة
وفي مغازي ابن عائذ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق هي الدابة التي كان يزور ابراهيم عليه السلام
عليها اسمعيل عليه السلام • وعلى هذا فلا يكون ركوب البراق من خصائصه صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه
مسرجا ملجما لم ينقل لغيره من الانبياء عليهم السلام • فان قلت ما وجه استصعاب البراق عليه • اجيب
بانه تيه على انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد قبله او لبعد العهد بركوبه ان قلنا انه ركبه
قبله • ويحتمل ان يكون استصعابها زهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم واراد جبريل بقوله ابمحمد تستصعب استنطاقها
بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما باهى لمكان الرسول صلى الله عليه وسلم منه ولهذا قال فارفض عرقا
فكانه اجاب بلسان الحال فتبرأ من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب • ومثل هذا رجفة الجبل به
حتى قال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فانها هزة الطرب لا هزة الغضب • وكذلك
البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله منه فاستقر وخجل من مقام الاستصعاب وتوجه الخطاب

فغرق حتى غرق • ووقع في حديث حذيفة عند الإمام أحمد قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق
فلم يزل على ظهره هو وجبريل يتعلق برفقته في السير لا في الركوب • وقال ابن دحية معناه وجبريل قائد
أو سائق أو دليل • قال وإنما جزمنا بذلك لأن قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره
فيها • وقد تعقب الحافظ ابن حجر التأويل المذكور بأن في صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود أن جبريل حمله
على البراق رديفا له • وفي رواية الحارث في مسنده أتي بالبراق فركبه خلف جبريل فسار بهما فهذا صريح في ركوبه معه
والله أعلم انتهى • وقد وقع في غير هذه الرواية بيان ما رآه ليلة الإسراء فمن ذلك ما وقع في حديث شداد بن أوس عند البزار
والطبراني • وصححه البيهقي في الدلائل أنه أول ما أسري به مر بأرض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل فصلى فقال صليت
بيثرب ثم مر بأرض بيضاء فقال انزل فصل فقال صليت بمدين ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت
حيث ولد عيسى • وفي حديث أنس عند البيهقي في الدلائل لما جاء جبريل بالبراق إليه صلى الله عليه وسلم فكأنها
أصرت أذنيها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بعجوز
على جنب الطريق فقال ما هذه يا جبريل قال سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير فإذا هو بشيء يدعوه متنحيا عن
الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر ثم مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا أول السلام عليك
يا آخر السلام عليك يا حاشر فقال له اردد عليهم السلام فرد • الحديث • وفي آخره فقال له جبريل أما العجوز التي رأيت جانب
الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز • والذي دعاك إبليس والعجوز الدنيا • أما لو أجبتها لاختارت
أمتك الدنيا على الآخرة • وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام • قال الحافظ عماد الدين بن كثير
في ألفاظه نكارة وغرابة • وفي رواية أنه مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره قال أنس وذكر كلمة فقال أشهد أنك
رسول الله • ولا مانع أن الأنبياء عليهم السلام يصلون في قبورهم لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فهم متعبدون بما يجدون
من دواعي أنفسهم لا بما يؤمرون به كما يلهم أهل الجنة الذكر • وسيأتي الإشارة لذلك في خاتمة الوضع إن شاء الله تعالى
وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار أنه صلى الله عليه وسلم أتى على قوم يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد
كما كان فقال لجبريل عليه السلام ما هذا فقال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف وما
أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين • ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا
يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة • ثم أتى على قوم
على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما
هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد • ثم أتى على قوم
بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم آخر نيء في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج قال جبريل
هذا الرجل من أمتك يكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها
حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح • ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو
يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد
أن يحمل عليها • ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم

من ذلك شيء قال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة • قال ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم
فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة
ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها • ثم أتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال
ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول رب آتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريري وسندسي
وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري
فآتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك
بي ولم يتخذ من دوني أندادا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني أعطيته ومن أقرضني جزيته ومن توكل علي
كفيته إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت قد
رضيت • ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت
جهنم تقول رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي
وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة
وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت قال فسار حتى أتى بيت المقدس • وفيه عند ابن أبي سعيد
عند البيهقي دعاني داع عن يميني انظرني أسألك فلم أجبه ثم دعاني آخر عن يساري كذلك فلم أجبه
وفيه إذا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني
أسألك فلم ألتفت إليها • وفيه أن جبريل قال له أما الداعي الأول فهو داعي اليهود ولو أجبته لتهودت
أمتك وأما الثاني فداعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك • وأما المرأة فالدنيا • وفيه ثم صعد
إلى السماء الدنيا ورأى فيها آدم وأنه رأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم منتن
عليها ناس يأكلون فقال جبريل هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام • وفيه أنه مر بقوم بطونهم
كأمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فقال جبريل هؤلاء أكلة الربا • وأنه مر بقوم مشافرهم كالإبل يلتقمون
حجرا فيخرج من أسافلهم فقال جبريل هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى • وأنه مر بنساء معلقات بثديهن وهن
الزواني • وأنه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمونه وأنهم الهمازون اللمازون • وفي حديث
أبي هريرة عند البزار والحاكم أنه صلى في بيت المقدس مع الملائكة وأنه أتي هناك بأرواح الأنبياء
فأثنوا على الله تعالى • وفيه قول إبراهيم لقد فضلكم محمد • وفي رواية عبد الرحمن بن هشام عن أنس
بعث له آدم فمن دونه فأمهم تلك الليلة • وفي حديث أم هانئ عند أبي يعلى والطبراني نشر لي رهط من الأنبياء
منهم إبراهيم وموسى وعيسى • وفي رواية أبي سلمة ثم حانت الصلاة فأممتهم • أخرجه مسلم • وفي حديث
أبي أمامة عند الطبراني في الأوسط ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم
وفي رواية ثابت البناني عن أنس عند مسلم قال فربطته يعني البراق بالحلقة وهي بإسكان اللام
على الأشهر التي تربط بها الأنبياء جمعها حلق بفتحتين على غير قياس أو على معنى الحلقة وهو الشيء • وأن رحل
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن

فقال جبريل اخترت الفطرة اي اخترت اللبن الذي عليه بنيت الخلقة وبه نبت اللحم ونشز العظم او
لانه الحلال الدائم في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما استقر عليه الامر • وقال النووي المراد بالفطرة
هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله اعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة قال وجعل
اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة واما الخمر فانها ام الخبائث
وجالبة لانواع الشر في الحال والمآل انتهى • وقال القرطبي يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه
اول شيء يدخل جوف المولود ويشق امعاءه • والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره
لكونه كان مالوفا له اولا انتهى • واذا كانت الخمر مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة
فما وجه تعيينه عليه السلم لاحد المباحين وما وجه عد ذلك صوابا وعد الآخر خطأ وهما
سواء في الاباحة فيحتمل ان يكون توقاها تورعا وتعريضا بانها ستحرم وانه لما وافق الصواب
في علم الله تعالى قال له جبريل اصبت الفطرة او اصبت ما اصاب الله بك كما رويا • واذا قلنا
بانها كانت من خمر الجنة فيكون سبب تجنبها صورتها ومضاهاتها الخمر المحرمة اي في علم الله تعالى
ذلك ابلغ في الورع فيستفاد منه ان من اتخذ من ماء الرمان او غيره ولو ماء قراحا مثلا وضاهى
به الخمر في الصفو وهيأه بالهيئة التي يتعاطاها اهل الشهوات من الاجتماعات والالات فقد ركب
منكرا وان كان لا يحد عليها قاله ابن المنير • ونظر فيما يعمله كثير من فقراء اليمن وغيرهم بمكة المشرفة
وجدة وغيرهما من ماء قشر البن ويسمونه بالقهوة وهي اسم من اسماء الخمر • وفي حديث ابن عباس
عند احمد فلما اتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف جيء بقدحين في احدهما لبن وفي الاخر عسل
فاخذ اللبن • وفي رواية بثلاثة آنية وان الثالث كان خمرا وان ذلك وقع ببيت المقدس وان الاول
كان ماء ولم يذكر العسل • وفي حديث شداد بن اوس فصليت من المسجد حيث شاء الله واخذني
من العطش اشد ما اخذني فاتيت باناءين احدهما لبن والاخر عسل فاخذت اللبن فقال
شيخ بين يدي يعني جبريل اخذت صاحبك الفطرة • وقد كان اتيانه بالاواني مرتين مرة عند فراغه
من الصلوة ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى • ورؤية الانهار الاربعة كما صرح به كما قاله
الحافظ عماد الدين بن كثير • وعلى هذا فيكون كرر جبريل التصويب تحقيقا لاختيار اللبن تاكيدا
للتحذير مما سواه • وقد انكر حذيفة ربط البراق بالحلقة • فروى احمد والترمذي من حديث
حذيفة قال يحدثون انه ربطه لانه خاف ان يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ولذا انكر حذيفة
ايضا صلاته صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس • ونقضه البيهقي وابن كثير بان المثبت مقدم
على النافي يعني من اثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك
فهو اولى بالقبول • ووقع في رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة اسري بي فاتى جبريل الصخرة
التي ببيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق • وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي
حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء تربط فيه فدخلت انا

وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين • وفي رواية ابن مسعود نحوه وزاد ثم دخلت
المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلوة فقمنا صفوفا ننتظر
من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم • وفي حديث ابن مسعود ايضا عند مسلم
وحانت الصلوة فاممتهم • وفي حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى صلى الله عليه وسلم الاقصى
قام يصلي فاذا النبيون اجمعون يصلون معه • وعن ابي سعيد ثم سار حتى اتى بيت المقدس
فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من
معك قال محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ
وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم فقال ابراهيم عليه السلم
الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا يؤتم بي وانقذني
من النار وجعلها علي بردا وسلاما • ثم ان موسى عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي
كلمني تكليما واصطفاني وانزل علي التورية وجعل هلاك فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي
وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون • ثم ان داود اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي
ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير وآتاني الحكمة وفصل
الخطاب • ثم ان سليمان اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون
ما شئت من محاريب وتماثيل وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين و
والانس والطير وآتاني ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب •
ثم ان عيسى عليه السلم اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني مثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتورية والانجيل وجعلني اخلق من الطين كهيئة الطير
فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني ابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله ورفعني
وطهرني واعاذني وامي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل • قال وان محمدا
صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي امة وسطا
وجعل امتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد • ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء و
ذكر القاضي عياض في الشفا مختصرا من حديث ابي هريرة • ورواه البيهقي من حديث ابي سعيد الخدري وهذا لفظه
وفي رواية ابن ابي حاتم في تفسيره عن انس فلما بلغ بيت المقدس بلغ المكان الذي يقال له باب محمد اتى
الى الحجر الذي به فغمزه جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل
يا محمد هل سألت ربك ان يريك الحور العين قال نعم قال انطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن
قال فسلمت عليهن فرددن علي السلام فقلت من انتن فقلن خيرات حسان نساء قوم ابرار نقوا فلم

يدرنوا وانّا موا فلم يطعنوا وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم ألبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلوة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت قال لي جبريل اتدري من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله • قال القاضي عياض يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء جميعا في بيت المقدس ثم صعد الى السماء منهم من ذكر انه عليه السلام رآه • ويحتمل ان يكون صلى بهم بعد ما هبط من السماء فهبطوا ايضا • والاظهر ان صلاته بهم في بيت المقدس كان قبل المعراج انتهى • وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى • وقد اختلف في هذه الصلوة هل هي فرض او نفل واذا قلنا انها فرض فاي صلاة هي قال بعضهم الاقرب انها الصبح • ويحتمل ان تكون العشاء وانما يأتي على قول من قال انه صلى بهم قبل عروجه الى السماء • واما على قول من قال انه صلى بهم بعد العروج فيكون الصبح • قال ابن كثير ومن الناس من يزعم انه امّهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس • والظاهر انه بعد رجوعه اليه لانه لما مرّ بهم في منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم ثم قال وهذا هو اللائق لانه اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي ليفرض الله عليه وعلى امته ما يشاء ولما فرغ مما اريد به اجتمع هو واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم بتقديمه في الامامة • وفي رواية ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس اتي بالمعراج ولم ار قط شيئا احسن منه وهو الذي يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر فاصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي الى باب من ابواب السماء • وفي رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج جبريل • وفي شرف المصطفى انه اتي بالمعراج من جنة الفردوس وانه منضد عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة • وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي ثم اتيت بالمعراج الذي تعرج عليه ارواح بني آدم فلم ير الخلائق احسن من المعراج اما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه بالمعراج وقد تقدم في حديث البخاري السابق فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل انا حين قيل من انما نسبه لجبريل لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة • وفي الكلام السائر اول من قال انا ابليس فشقي وايضا فقوله انا مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهي غير كافية في البيان وعلى هذا فينبغي للمستأذن اذا قيل له من لا يقول انا بل يقول فلان • وفي رواية للبخاري ايضا فعرج وهو بفتح العين بمعنى صعد وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي حتى انتهى الى باب من ابواب السماء يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل تحت يديه اثنا عشر الف ملك • وفي رواية شريك عند البخاري ايضا ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء الدنيا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا واهلا يستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء بما يريد الله في الارض حتى يعلمهم على لسان من شاء بجبريل • ووقع في الرواية انه رأى في السماء الدنيا النيل والفرات عنصرهما • وظاهره يخالف حديث ابن مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى واذا في اصلها

[illegible]

اربعة انهار • ويجمع بان اصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض • ووقع في هذه الرواية ايضا ثم مضى به في السماء الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصور من لؤلؤ وزبرجد وانه الكوثر • وهو مما استشكل من رواية شريك فان الكوثر من الجنة والجنة فوق السماء السابعة ويحتمل ان يكون تقديره ثم مضى في السماء الدنيا الى السابعة فاذا هو بنهر • ثم ان في قوله في الحديث فتح دلالة على انه صادف ابواب السماء مغلقة • والحكمة في ذلك والله اعلم التنويه بقدره عليه الصلاة والسلام وتحقيق ان السموات لم تفتح ابوابها الا من اجله ولو وجدها مفتوحة لم يتحرر انها فتحت لاجله فلما فتحت لم يتحقق عليه السلام ان المحل مصون وان فتحه له اكرامه وتبجيله • واما قوله في الحديث ارسل اليه وفي رواية وقد بعث اليه فيحتمل ان يكون استفهم عن الارسال اليه للعروج الى السماء وهو الاظهر لقوله اليه لان اصل بعثته قد اشتهرت في الملكوت الاعلى • وقيل سألوا تعجبا من نعمة الله عليه بذلك او استبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقى هذا الترقي الا باذن من الله تعالى وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل اليه • وقد قيل ان الله سبحانه وتعالى اراد اطلاع نبيه على انه معروف عند الملأ الاعلى لانهم قالوا ابعث اليه او ارسل اليه فدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك المجيء سيقع له والا لكانوا يقولون من محمد مثلا • ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء وكلامهم هذا بصيغة دال دليل على ما ذكرنا من معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته ولان هذا اجل ما يكون من حسن الخطاب والترفيع على المعروف من عادة العرب • واما قوله من معك فيشعر بانهم احسوا به صلى الله عليه وسلم والا لكان السؤال بلفظ امعك احد وهذا الاحساس اما بمشاهدة لكون السماء شفافة واما بامر معنوي كزيادة انوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر • ولعله اخذه من كلام العارف ابن ابي جمرة حيث قال في بهجته التاسعة ان يكون سؤالهم له لما رأوا او احسوا بما عليهم من زيادة الانوار وغيرها من الملائكة الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر كانهم قالوا من الشخص الذي من اجله الزيادة التي نعهد فاخبرهم بما ارادوا وهو تعيين الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى • وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انه رأى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة • واما قولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء فيحتمل ان يكون قالوا لما تيقنوه من بركاته عليه الصلوة والسلام التي السماء مستبشرة لقدومه • وفيه تقديم وتأخير والتقدير جاء فنعم المجيء مجيئه • ولم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال بصيغة الغيبة لانه رحبه قبل ان يفتح الباب • وقيل انه سعد من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما لان هاء الغيبة ربما كانت افخم من الخطاب • واما قوله في الحديث فاذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح من هذا قال آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هي الاشخاص والنسم بفتح النون والسين المهملة المفتوحة جمع نسمة

وهي الروح • وقد قال القاضي عياض جاء ان ارواح الكفار في سجين وان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف يكون مجتمعة في سماء الدنيا واجيب بانه يحتمل انها تعرض على آدم اوقاتا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم • ويدل على ان كونهم في النار انما هو في اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا • واعترض بان ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السماء كما هو نص القرآن • والجواب ما ابداه هو احتمالا ان الجنة كانت في جهة يمين آدم وهو في السماء اذ تفتح لها ابواب السماء ولا تلجها • وفي حديث ابي هريرة عند البزار فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة واذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه اولى من جميع ما تقدم لكن سنده ضعيف قال الحافظ ابن حجر • اما قوله في الحديث ثم صعد حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فرد ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح الى قوله ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وقال بالنبي الصالح والابن الصالح • وهذه الرواية موافقة لرواية ثابت عن انس عند مسلم ان في السماء الدنيا آدم والثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم • وخالف ذلك ابن شهاب الزهري في روايته عن انس عن ابي ذر كما في اول الصلوة من البخاري انه لم يثبت كيف منازلهم وقال فيه وابراهيم في السماء السادسة • وفي رواية شريك عن انس ان ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله وسياقه يدل على انه لم يضبط منازلهم ايضا كما صرح به الزهري • ورواية من ضبط اولى ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابي مالك عن انس الا انه خالف في ادريس وهرون فقال هرون في الرابعة وادريس في الخامسة • ووافقهم ابو سعيد الا ان في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة والمشهور في الروايات ان الذي في السابعة هو ابراهيم واكد ذلك في حديث مالك ابن صعصعة بانه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور فمع التعدد فلا اشكال • ومع الاتحاد فقد جمع بان موسى كان في حالة العروج في السادسة وابراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى في السابعة لانه لم يذكر في القصة انه كلمه في شيء مما يتعلق بما فرض على امته من الصلوة كما كلمه موسى عليه السلام والسماء السابعة هو اول شيء انتهى اليه حالة الهبوط فناسب ان يكون موسى بها لانه هو الذي خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات • ويحتمل ان يكون لقي موسى في السادسة فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من اجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع نبينا صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بامته

امته

استمر في الصلوة قاله في فتح الباري • وقال ابن النووي اشار الى شيء من ذلك • وفي رواية شريك عن انس في قصة موسى لم اظن ان يرفع علي احد • قال ابن بطال فهم موسى عليه السلام من اختصاصه بكلام الله تعالى له في الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ان المراد بالناس هنا البشر كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه احد فلما فضل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بما اعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك • وفي حديث ابي سعيد قال موسى يزعم بنو اسرائيل اني اكرم على الله وهذا اكرم على الله مني • زاد الاموي في روايته ولو كان هذا وحده هان ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله • وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي ولم يكن بكى موسى حسدا معاذ الله وان الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجات بسبب ما وقع من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجره لان لكل نبي مثل اجر كل من اتبعه ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة • وقال العارف ابن ابي جمرة قد جعل الله تعالى في قلوب انبيائه عليهم السلام الرأفة والرحمة لاممهم وبكيهم على ذلك وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فسئل ما يبكيك قال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم السلام قد اخذوا من رحمة الله اوفر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله اكثر من غيرهم فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته لان هذا وقت افضال وجود وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله امته ببركة هذه الساعة • فان قال قائل كيف يكون هذا وامته لا تخلو من قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذي مات على الايمان لابد له من دخول الجنة والذي مات على الكفر لم يدخل الجنة ابدا فبكاؤه لاجل ما ذكره لا يسوغ لان الحكم فيهم قد تقرر ونفذ • قيل ان الله تعالى قدر وقدره على قسمين فقدر قدرا وقدره ينفذ على كل الاحوال وقدر وقدره لا ينفذ ويكون رفعه بسبب دعاء او صدقة او غير ذلك فلاجل ما ركب في موسى عليه السلام من اللطف والرحمة بالامة طمع لعل ان يكون مما تعلق لامته من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه بسبب التضرع اليه • وهذا وقت يرتجى فيه العطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت اسرى فيه بالحبيب الكريم وخلع عليه القرب بالفضل الجسيم فطمع الكليم لعل ان يحظى لامته بشيء من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله تعالى وهذه نفحة من النفحات تعرض لها موسى وكان امره قد قدر والاسباب لا تؤثر الا بما سبقت القدرة بانها فيه تؤثر وان كان قضاء نافذا لا يؤثر فيه الاسباب حتم وقد لزم • وفي بكائه عليه السلام وجه آخر وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه وذلك قول موسى عليه السلام الذي هو اكرم الاجناس ان غلاما الذي يدخلون الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي • واما قوله موسى عليه السلام لان غلاما لم يقل عن ذلك من الصبيغ فاشارة الى صغر سنه بالنسبة اليه • وفي القاموس والغلام

الطارد الثابت من المكان ضد. وقال الخطابي العرب تسمي الرجل المجتمع الذي بلغ أشده ما دامت فيه بقية من القوة. قال في فتح الباري ويظهر لي أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا من استمرار القوة في الكهولية إلى أن دخل في أول سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه في قوته نقص حتى أن الناس في قدومه المدينة لما رأوه مردفا أبا بكر أطلقوا عليه اسم الشاب وعلى أبي بكر اسم الشيخ مع كونه عليه السلام في العمر أسن من أبي بكر والله أعلم. وقد ذكرت ذلك في الهجرة من المقصد الأول وقد وقع في حديث أبي هريرة عند الطبراني في ذكر إبراهيم فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي. ووقع في رواية مسلم من حديث ثابت عن أنس ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. وفيه فإذا أنا بيوسف وإذا هو أعطي شطر الحسن. وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي وأبي هريرة عند الطبري فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وهذا ظاهره أن يوسف عليه السلام كان أحسن من جميع الناس. لكن روى الترمذي من حديث أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا فعلى هذا يحمل حديث المعراج على أن المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده قول من قال إن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه. وحمل ابن المنير حديث الباب على أن المراد أن يوسف أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم. وأما قولهم في الحديث عن إدريس ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فيحمل على أخوة النبوة والإسلام لا تجمع الوالد والولد وقال ابن المنير في طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح وهذه هي القياس لأنه جده الأعلى وقيل إن إدريس الذي لقيه ليس هو الجد المشهور ولكنه إلياس فإن كان كذلك ارتفع الإشكال

فإن قلت لم كان هؤلاء الأنبياء عليهم السلام في السموات دون غيرهم من الأنبياء وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء يخصه ولم كان في السماء الثانية بخصوصها اثنان أجيب عن الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الأنبياء لأنهم أمروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من أدركه في أول وهلة ومنهم من تأخر فلحقه ومنهم من فاته. وقيل إشارة إلى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم. فأما آدم عليه السلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهية فراق ما ألفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما أن يرجع إلى وطنه الذي خرج منه. وبعيسى ويحيى عليهما السلام على ما وقع له أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغي عليه وإرادتهم السوء به. وبيوسف على ما وقع له مع إخوته على ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من قريش في نصبهم الحرب له وإرادتهم إهلاكه وقد كانت العاقبة له وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش أقول كما يقول يوسف لا تثريب

عليكم

عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أي العتقاء. وبإدريس على رفيع منزلته عند الله تعالى. وبهرون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه. وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر. وبإبراهيم في استناده إلى البيت المعمور بما ختم له صلى الله عليه وسلم في آخر عمره من منسك الحاج وتعظيم البيت الحرام. وأجاب العارف ابن أبي جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء لأن الحكمة في كون آدم في السماء الدنيا لأنه أول الأنبياء وأول الآباء وهو أصل فكان أولا في الأولى ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة. وأما عيسى فإنما كان في السماء الثانية لأنه أقرب الأنبياء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تنسخ شريعته إلا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم أولأنه ينزل في آخر الزمان لأمة محمد عليه الصلاة والسلام على شريعته ويحكم بها ولهذا قال عليه السلام أنا أولى الناس بعيسى فكان في الثانية لأجل هذا المعنى. ولما كان يحيى عليه السلام معه هنالك لأنه ابن خالته وهما كالشيء الواحد فلأجل التزام أحدهما بالآخر كانا هنالك معا. وإنما كان يوسف عليه السلام في السماء الثالثة لأن على حسنه تدخل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة فأري له ذلك لكي يكون ذلك بشارة له عليه السلام فيسر بذلك. وإنما كان إدريس عليه السلام في السماء الرابعة لأن هنالك توفي ولم يكن له تربة في الأرض على ما ذكر. وإنما كان هرون في السماء الخامسة لأنه ملازم لموسى عليه السلام لأجل أنه أخوه وخليفته في قومه فكان هنالك لأجل هذا المعنى وإنما لم يكن مع موسى في السماء السادسة لأن لموسى مزية وحرمة وهي كونه كليما واختص بأشياء لم تكن لهرون فلأجل هذا المعنى بعد في السادسة. وإنما كان موسى عليه السلام في السماء السادسة لأجل ما خص به من الفضائل ولأنه الكليم وهو أكثر الأنبياء أتباعا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم. وإنما كان إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة لأنه الخليل والأب الأخير فناسب أن يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيه أنس لتوجهه بعده إلى عالم آخر وهو اختراق الحجب وأيضا لأنه الخليل ولا أحد أفضل من الخليل إلا الحبيب والحبيب قد علا ذلك المقام فكان الخليل فوق الكل لأجل خلته وفضله ورفع الحبيب فوق الكل لأجل ما اختص به مما أيد به عليهم قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفع بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة الإلهية ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمتروك. انتهى ملخصا. وقد اختلف في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الأنبياء عليهم السلام فحمله بعضهم على رؤية أرواحهم إلا عيسى لما ثبت أنه رفع بجسده وقيل في إدريس أيضا ذلك. وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الأرواح خاصة ويحتمل الأجساد بأرواحها. وقيل يحتمل أنه لم ير أن عليه السلام كان ابن كل واحد منهم في قبره في الأرض على الصورة التي أخبر بها من الموضع الذي ذكر أنه رآه فيه فيكون عز وجل قد أعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما أدرك به ذلك ويشهد له رؤيته عليه السلام الحشر

والنار في عرض الحائط. وهو يحتمل ان لا يكون عليه السلام رآهما في ذلك الموضع او مثل له صورتهما في
عرض الحائط والقدرة صالحة لكليهما. وقيل يحتمل ان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد الاسراء بنبينا
صلى الله عليه وسلم رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيما حتى يحصل
لهم من قبلهم ما اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن. وكل هذه الوجوه
محتملة ولا ترجيح لاحدها على الآخر اذ القدرة صالحة لكل ذلك. انتهى. واما قوله في الحديث
ثم رفعت الى سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل
قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات. وفي رواية عند البخاري ايضا
فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار. وعند مسلم يخرج من اصلها. وعنده ايضا من حديث ابي
هريرة اربعة انهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان فيحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة
في الجنة. ووقع في حديث شريك كما عند البخاري في التوحيد انه رأى في سماء الدنيا نهرين يطردان فقال
له جبريل هما النيل والفرات عنصرهما. والجمع بينهما انه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة
ورآهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصر انتشارهما بسماء الدنيا. كذا قاله ابن حجر
وروى ابن ابي حاتم عن انس انه صلى الله عليه وسلم بعدما رأى ابراهيم. قال ثم انطلق بي على ظهر السماء
السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير خضر انعم طير رأيت
قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت
والزمرد ماؤه اشد بياضا من اللبن قال فاخذت من آنيته فاغترفت من ذلك فشربت فاذا هو احلى من
العسل واشد رائحة من المسك. وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي فاذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل
فينشق منها نهران احدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة. وسيأتي مزيد لما ذكر هنا من الكوثر في المقصد
الآخر ان شاء الله تعالى. وقد وقع في حديث ثابت عن انس عند مسلم ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا
ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من
خلق الله ان ينعتها من حسنها. وقد جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم ايضا بيان سبب تسميتها بسدرة
المنتهى ولفظه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها وهو قول ابن ابي جمرة لان اليها ينتهي الاعمال ومن هناك ينزل
الامر والنهي وتتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها
ينتهي ما يصعد من العالم السفلي وما ينزل من العالم العلوي من امر العلي. وقال النووي لان
علم الملائكة ينتهي اليها ولا يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود
هذا انها في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه
يحمل على ان اصلها في السماء السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة الا اصل
ساقها. قال في فتح الباري وجاء في حديث ابي ذر عند البخاري في الصلاة فغشيها الوان لا ادري

قوله خيام اي قبب

الرضراض والرضرض الحصى الصغار في غاية الصغر

ما هي. وفي حديث ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش
من ذهب. وفي حديث يزيد بن ابي مالك عن انس جراد من ذهب. قال البيضاوي وذكر الفراش
وقع على سبيل التمثيل لان من شان الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب حقيقة
لان القدرة صالحة لذلك. وفي حديث ابي سعيد وابن عباس يغشاها الملائكة. وفي حديث علي
على كل ورقة منها ملك. وفي رواية ثابت عن انس عند مسلم فلما غشيها من امر الله ما غشي فما احد
من خلق الله يستطيع ان ينعتها. وفي رواية حميد عن انس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت
ياقوتا ونحو ذلك. قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف
ظل ممدود وطعم لذيذ ورائحة زكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل
بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول. وقال العارف ابن ابي جمرة وهل الشجرة بعينها
في شيء ام لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالى في هذه الدار الارض مقرا
للشجر كذلك يجعل الهواء لتلك مقرا وكما رجع صلى الله عليه وسلم يمشي في الارض ولا بالعدم استقرت
الارض مع انها على الماء فلا مانع من ان تكون الشجرة في الهواء. ولعل ان تكون محروسة بارض وان تكون
من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء. واما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ثم اتيت باناء
من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها فيدل على انه عرض عليه
الآنية مرتين مرة ببيت المقدس ومرة عند وصوله سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة. واما
الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ومجموعها اربعة آنية فيها
اربعة اشياء من الانهار الاربعة التي رآها تخرج من اصل سدرة المنتهى. ووقع في حديث ابي هريرة عند
الطبري فاذا بسدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين
ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء. وجاء عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان
ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان. ولنهر النيل فضايل ولطايف اودعها [illegible]
واحد من الآنية. ووقع في بعض الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء في السموات. واما قوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث ثم رفع لي البيت المعمور يعني ادني له. وقد يحتمل ان يكون المراد الرفع
والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين المعمور حواجز حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه والمدد في بصره
حتى رآه. وروى الطبري من حديث سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها يدخله سبعون الف ملك كل يوم اذا
خرجوا منه لم يعودوا. وفي دليل عظيم قدرة الله تعالى وانه لا يعجزها ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه
كل يوم هذا العدد العظيم منذ خلق الله تعالى الخلق الى الابد ثم طائفة هذا اليوم لا ترجع اليه ابدا
ومع انه قد روي انه ليس في السموات ولا في الارض موضع شبر الا وملك واضع جبهته هناك ساجدا
ثم البحار من ماء قطرة الا وبها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض والبحار هكذا فهؤلاء الذين يعودون

هذا في نسخة وصوابه الرفع

اين يذهبون هذا من عظيم القدرة التي لا يشتبهها شيء • وفي هذا دليل على ان الملائكة اكثر المخلوقات
لانه اذا كان سبعون الف ملك كل يوم يصلون في البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملائكة في
السموات والارض والبحار • وفي حديث ابي هريرة عند ابن مردويه وابن ابي حاتم ان في السماء نهرا يقال
له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج منه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا
فهم الذين يصلون فيه اي في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه واسناده ضعيف • وذكر الامام فخر الدين
الرازي عند تفسير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روي عن عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس
انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه
جبريل كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع
من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة •
وقد روي ان ثم ملائكة يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا هذا ما عدا الملائكة التي
وما عدا الملائكة الموكلين بالنبات والارزاق والحفظة والملك الموكل بتصوير ابن آدم والملائكة الذين ينزلون
في السحاب والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملائكة الذين يتعاقبون والذين
يؤمنون على قراءة المصلي والذين يقولون ربنا ولك الحمد والذين يدعون لمنتظر الصلوة والذين يلعنون
من هجرت فراش زوجها • وروي ان في السماء الدنيا وهي من ماء ودخان ملائكة خلقوا من ماء وريح عليهم
ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون سبحان ذي الملك والملكوت • واما
في السماء الثانية ملائكة على الوان شتى رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت وان فيها
ملكا نصف جسده من نار ونصف جسده من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يا من
الف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك • وان في الثالثة وهي من حديد ملكا ذا اجنحة شتى وصور
شتى رافعوا اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك انت الحي الذي لا تموت وبهم صعوق قيام كانهم بنيان
مرصوص لا يعرف احدهم لون صاحبه من خشية الله • وان في الرابعة وهي من نحاس ملائكة يضعفون على
ملائكة الثالثة وكذلك كل سماء اكثر عددا من السماء التي تليها • وان ملائكة السماء الرابعة قيام وركوع
وسجود على الوان شتى من العبادة يبعث الله الملك منهم الى امر من الامور فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف
صاحبه الذي الى جنبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو
وان في الخامسة وهي من فضة ملائكة يزيدون على ملائكة الاربع سموات وهم سجود وركوع لم يرفعوا
ابصارهم الى يوم القيمة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك • وان في السادسة وهي من ذهب جند الله
الاعظم الكروبيون لا يحصي عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك له سبعون الف ملك جنود وكل ملك
جنوده سبعون الف ملك وهم الذين يبعثهم في الامور الى اهل الدنيا رافعوا اصواتهم بالتسبيح والتهليل
وان في السابعة وهي من ياقوتة حمراء من الملائكة ما يزيدون على ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعمائة الف
ملك منهم جنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والرمل والنمل وعدد الحصا والورق وعدد كل خلق في السموات

والارض

والارض ويخلق الله تعالى في كل يوم ما يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو • وان حملة العرش ثمانية يتجاوبون بكلام
ملك منهم وجوه شتى وليس شيء من خلقه يشبه بعضها بعضا رافعة اصواتهم بالتهليل ينظرون
الى العرش لا يفترون ولو ان ملكا منهم [illegible] الدنيا [illegible] في جناحه لا يعلم عددهم الا الله و
حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رخيم يقول الاربعة منهم سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك
ويقول اربعة سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك • وقد روى الطبراني من حديث ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على اي شيء انت قال على الريح والجنود • قال وعلى اي شيء ميكائيل
على النبات والقطر قال وعلى اي شيء ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث • وفي اسناده محمد بن عبد الرحمن
بن ابي ليلى وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك • وروى الترمذي من حديث ابي سعيد مرفوعا وزيراي
من اهل السماء جبريل وميكائيل الحديث • وروي ان اسرافيل اول من سجد من الملائكة [illegible]
بولاية اللوح المحفوظ • وفي كتاب العظمة لابي الشيخ ابن حيان من ذلك العجب العجاب وعندي منه
الجزء الثاني وقد وقعت في غير رواية البخاري هنا زيادات • منها ما وقع في رواية ابي سعيد الخدري
عند البيهقي في دلائله ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا ابراهيم الخليل مسند ظهره الى البيت المعمور
كاحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي واذا انا بامتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض
كانهم القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب
[illegible] وحجب الاخرون الذين عليهم الثياب الرمد فصليت انا ومن معي في البيت المعمور • وفي رواية الطبراني
فاذا هو برجل اشمط جالس على باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس
وقوم في الوانهم شيء فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه وقد خلص الوانهم وصارت مثل الوان البيض الوجوه
فقال من هذا ومن هؤلاء الذين في الوانهم شيء وما هذه الانهار التي دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت الوانهم
قال هذا ابوك ابراهيم اول من شمط على الارض واما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هؤلاء
الذين في الوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم واما الانهار فاولها رحمة الله و
الثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم شرابا طهورا • وفي رواية البخاري في الصلاة ثم عرج بي حتى ظهرت
لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام • الحديث • والمستوى المصعد • وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها
حالة الكتابة والمراد ما تكتبه الملائكة من اقضية الله تعالى وتدبيره [illegible] • واما الكتابة حادثة وظاهر
الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجفت الاقلام بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه في صحف الملائكة
كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر في الاثر • وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنا عشر
قلما وانها متفاوتة في الرتب فاعلاها واجلها قدرا قلم القدر الذي كتب الله به مقادير كل شيء حتى تقوم
الساعة فهذا القلم قال له اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة • فهذا
القلم اول الاقلام واجلها • وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه القلم الذي اقسم الله به • والقلم الثاني
قلم الوحي • والقلم الثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله • والرابع قلم طب الابدان الذي يحفظ به صحتها

والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك. والسادس قلم الحساب وهو الذي يضبط به الأموال فيستخرجها ومصرفها ومقاديرها وهو قلم الأرزاق. والسابع قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا. والثامن قلم الشهادة الذي تحفظ به الحقوق. التاسع قلم التعبير وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره. والعاشر قلم تواريخ العالم ووقائعه. والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها. والثاني عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين. ودفع شبه المحرفين هذه الأقلام التي بها انتظام مصالح العالم. قال ويكفي في جلالة القلم أنه لم يكتب كتب الله إلا به وأنه تعالى أقسم به في كتابه. انتهى ملخصا من كتاب أقسام القرآن. وقد وقع في رواية أبي ذر عند مسلم وهو من الزيادة أيضا ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك. والجنابذ هي القباب بالجيم ثم النون المفتوحتين ثم ألف ثم موحدة ثم ذال معجمة. ويؤيده ما في التفسير من البخاري من حديث قتادة عن أنس لما عرج به صلى الله عليه وسلم قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ. وما في كتاب الصلاة من البخاري وإذا فيها حبايل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة وآخره لام قال القاضي عياض وغيره هو تصحيف. وفي حديث الإمام أحمد من رواية حذيفة فتحت لهم أبواب السماء قال فرأيت الجنة والنار. وفي حديث أبي سعيد أنه عرضت عليه الجنة وأن رمانها كأنه الدلاء وإذا طيرها كأنها البخت وأنه عرضت عليه النار فإذا هي لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها. ووقع عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن أنس بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف وإذا طينه مسك أذفر فقال جبريل هذا الكوثر. وفي رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن إبراهيم عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني إنك لاق ربك الليلة وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها فإن استطعت أن تكون حاجتك في أمتك فافعل. ووقع في حديث أبي سعيد الخدري عند البيهقي ثم صعد بي إلى السماء السابعة قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا كل ورقة منها تغطي هذه الأمة وإذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فيشق منها نهران أحدهما الكوثر ويقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ثم رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن أنت يا جارية قالت لزيد بن حارثة. وفيه وإذا رمانها كأنه الدلاء عظما ثم عرضت على النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتهما ثم أغلقت دوني. وفي الطبراني من حديث عائشة لما كانت ليلة أسري بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر في الجنة شجرة أحسن منها ولا أبيض منها ولا أطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة. وهو حديث ضعيف. وفيه التصريح بأن الإسراء كان قبل ولادة فاطمة وهي ولدت قبل النبوة بسبع سنين ولا ريب أن الإسراء كان بعد النبوة. وذكر أبو الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على أحاديث الحجب السبعين والسبعمائة وسبعين ألف حجاب. وعزاها لأبي الربيع بن سبع في شفاء

الصدور

الصدور من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعبأ أن ذكر مبدأ حديث الإسراء كما ورد في الأمهات أتاني جبريل وكان السفير لي إلى ربي إلى أن انتهى إلى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال إن تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة إلى ربك قال يا محمد سل الله أن يبسط جناحي على الصراط لأمتك حتى يجوزوا عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم زج بي في النور زجا فخرق بي إلى سبعين ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل ملك وإنسي فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك ناداني مناد بلغة أبي بكر قف إن ربك يصلي فبينا أنا أتفكر في ذلك فأقول هل سبقني أبو بكر فإذا النداء من العلي الأعلى أدن يا خير البرية أدن يا أحمد أدن يا محمد ليدن الحبيب فأدناني ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قال وسألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما. ثم قلت اللهم إنه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة أبي بكر فقال لي قف فإن ربك يصلي فتعجبت من هاتين هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام وإن ربي لغني عن أن يصلي فقال تعالى أنا الغني عن أن أصلي لأحد وإنما أقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرأ يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولأمتك وأما أمر صاحبك يا محمد فإن أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبي بكر وأنك خلقت وهو من طينة واحدة وهو أنيسك في الدنيا والآخرة خلقنا ملكا على صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك. ثم قال الله تعالى وأين حاجة جبريل فقلت اللهم إنك أعلم فقال يا محمد قد أجبت فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك. ثم تقدمت وجبريل على أثري حتى انتهى إلى الفراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال أنا جبريل ومعي محمد قال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه في أسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي الملك في أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال أنا فلان صاحب حجاب الذهب وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معي فقال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب حتى جاوزت سبعين حجابا غلظ كل حجاب خمسمائة عام ثم دلي لي رفرف أخضر يغلب ضوؤه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت

صلى الله عليه وسلم

ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما لا تنالہ الالسن
ثم دلى لي قطرة من العرش فوضعت على لسانی فما ذاق الذائقون شيئا قط احلى منها فانبأنى الله بها
نبأ الاولين والآخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فلم ار شيئا فجعلت ارى بقلبي ولا ارى بعيني
ورايت من خلفي ومن بين كتفي كما رايت امامي ۔ الحديث ۔ رواه والذي قبله في كتاب شفاء الصدور كما
ذكره ابن غالب والعهدة عليه في ذلك ۔ وتكثير الحجب لم يرد في طريق صحيح ۔ ولم يصح في رواية غير ما في
مسلم حجابه النور ۔ والرفرف البساط ۔ وقيل انه في الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيق حسن الصنعة
ثم اتسع فيه ۔ واعلم ان ما ذكر في هذا المحل الرفيع من الحجب وهو في حق المخلوق لا في حق الخالق
عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس فالخلق كلهم محجوبون
عنه تعالى بمعاني الاسماء والصفات والافعال وسائر المخلوقات من معاني الظلمات والانوار
ولكل مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم ۔ واقرب الخلق الى الله تعالى
الملائكة الحافون والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس والرحموتية
حجب الذات بالصفات وهي في الحجب عنه على طبقات مختلفة كل على مقام معلوم ودرجات وبالجملة
فالمخلوقات كلها ما كانت حجابا عن الخالق فقوم حجبوا برؤية النعم عن المنعم وبرؤية الآلاء
عن المولى وبرؤية الاسباب عن المسبب ۔ وقوم حجبوا بالعلم عن المعلم وبالفهم عن المفهم
وبالعقل عن المعقل ۔ وذلك كله من حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الوهاب ۔ وقوم حجبوا
بالشهوات المباحة ۔ وقوم بالشهوات المحرمة والمعاصي والسيئات ۔ وقوم حجبوا بالمال
والبنين وزينة الحياة الدنيا ۔ اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا ابصارنا في الآخرة
بالكرم ۔ وقد ورد في الصحيح عن انس قال عرج بجبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب
العزة جل جلاله فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى الى سدرة المنتهى او ادنى فاوحى
الى عبده ما اوحى ۔ الحديث ۔ وفي هذا الدنو والتدلي المذكور في هذا الحديث وغيره من احاديث المعراج
غير الدنو والتدلي المذكور في قوله تعالى في سورة النجم ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى
عبده ما اوحى ۔ الحديث ۔ وان اتفقا في اللفظ فان الصحيح ان المراد في الآية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من
اول السورة الى قوله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى ۔ هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح قالت عائشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية
فقال ذلك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين ۔ ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه
احدها انه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير ۔ الثاني
انه قال ذو مرة اي حسن الخلق وهو الكريم الذي وصفه في سورة التكوير ۔ الثالث قال فاستوى وهو
بالافق الاعلى وهي ناحية السماء العليا وهذا استواء جبريل عليه السلام واما استواء الرب جل جلاله
فعلى عرشه ۔ الرابع انه قال ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فهذا نزول جبريل نزل الى الارض

حتى

حتى كان دنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم ۔ واما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله
صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنى الجبار جل جلاله منه وتدلى ۔ الخامس انه قال
ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قطعا هو جبريل ۔ وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ذاك جبريل ۔ السادس ان مفسر الضمير في قوله تعالى ولقد رآه وقوله تعالى دنا فتدلى وقوله تعالى
فاستوى وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى واحد فلا يجوز ان يخالف بين المفسر من غير دليل ۔
السابع انه سبحانه اخبر ان هذا الذي دنا فتدلى كان بالافق الاعلى وهو فوق السماء بل تحتها فدنا
من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ۔ ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما في حديث
شريك كان فوق العرش لا الى الارض ۔ ثم نفى سبحانه وتعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه و
تعالى ما زاغ البصر وما طغى ما يعرض للرائي الذي لا ادب له بين يدي الملوك والعظماء من التفاته
يمينا وشمالا ومجاوزة بصره الى غير ما ارى من الآيات وما هنالك من العجائب بل قام مقام العبد الذي
اوجب ادبه اطراقه واقباله على ما اريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك
من ثبات الجاش وسكون القلب وطمانينته ۔ وهذا غاية الكمال ۔ قلت فهذا المرج الساكن فيه ولانه
اسرار عجيبة هي من غوامض الآداب اللائقة باكمل البشر صلوات الله وسلامه عليه تواطأ هناك بصره وبصيرته
وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره والبصيرة مواطئة له وما شاهدته بصيرته فهو ايضا حق مشهود بالبصر
فتواطأ في حقه اي ما كذب الفؤاد ما رآه ببصره ۔ ولهذا قرأها هشام وجعفر ما كذب الفؤاد ما راى بتشديد
الذال اي لم يكذب القلب البصر بل صدقه وواطأه بصحة الفؤاد والبصر وكون المرئي الشاهد بالبصر
والبصيرة حقا ۔ وقرأ الجمهور ما كذب الفؤاد بالتخفيف وهو متعد وما راى مفعوله اي ما كذب قلبه ما
راى بصره اي عينا بل واطأه ووافقه فلموافاة قلبه لقالبه وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته
لم يكذب الفؤاد البصر فيطغى ولم يمل عن المرئي فيزيغ بل اعتدل البصر نحو المرئي ما جاوزه ولا مال عنه
كما اعتدل القلب في الاقبال على الله تعالى والاعراض عما سواه فانه اقبل على الله تعالى بكليته واعرض
عما سواه ۔ وللقلب زيغ وطغيان كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه
التفاتا عن الله تعالى الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي اقيم فيه ۔ وهذا غاية الكمال والادب مع الله تعالى
الذي لا يلحقه فيه سواه ۔ فان عادة النفوس اذا اقيمت في مقام عال رفيع ان تتطلع الى ما هو اعلى منه و
فوقه الا ترى الى موسى عليه السلام لما اقيم مقام التكليم والمناجاة طلبت نفسه الرؤية ونبينا صلى الله عليه وسلم
لما اقيم في ذلك المقام وفاه حقه فلم يلتفت بصره ولا قلبه الى غير ما اقيم فيه البتة ولاجل هذا ما عاقه عائق
ولا وقف به مراد حتى جاز السموات السبع فلم تعقه ارادة ولم يقف به دون كمال العبودية همة ۔ وهذا
كانت مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع قدمه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شأوه
الذي سبق به العالم اجمع في سيره فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله
عليه وسلم لا يتاخر عن محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم في خفارة كمال الادب مع الله سبحانه وتكميل مرتبة

مرتبة عبودية لم حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب
سبق به الاولين والاخرين فانصبت له هنالك اقسام القرب انصبابا وانقشعت سحائب الحجب ظاهرا
وباطنا حجابا حجابا واقيم مقاما غبطه به الانبياء والمرسلون فاذا كان في المعاد اقيم مقاما من القرب
ثانيا يغبطه الاولون والاخرون واستقام هنالك على صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى فاقامه في هذا العالم على اقوم صراط على الحق والهدى واقسم بكلامه القديم على ذكره في
الذكر الحكيم فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم المعاد اقامه
على الصراط فيسئل السلامة لاتباعه واهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم ان ما ذكرنا من القرب والدنو المراد به تاكيد المحبة
والقربة ورفع المنزلة والرتبة قال جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته
غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف لانه لا يحتمل بعد ذلك قوله جل جلاله فاوحى الى عبده ما اوحى اي كان
ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب لحبيبه ما يقول الحبيب للحبيب والطف بر الطاف الحبيب للحبيب
فخفي السر ولم يطلع عليه احد ولم يعلم احد ما اوحى الا الذي اوحى وقال غيره في قوله فاوحى
الى عبده ما اوحى ابهمه للتعظيم فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا يطلع عليه بل يتعبد بالايمان به
وقيل بل هو مفسر بالاخبار الواردة قال سعيد بن جبير اوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الم اجدك
يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله تعالى اليه ان الجنة حرام على الانبياء
حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك ذكره الثعلبي والقشيري وقيل اوحى الله تعالى
خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري
وذكر ايضا انه اوحى اليه ما اوحى الى الرسل كقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل اوحى اليه
الصلوات الخمس ذكره النقاش وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي ان الله تعالى قال له صلى
الله عليه سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت
داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس
والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل و
جعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة بشيرا و
نذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا ذكرت معي وجعلت
امتك خير امة اخرجت للناس وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون والاخرون وجعلت امتك لا تجوز
لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك
اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واولهم يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك

خواتيم

خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم
الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر و
جعلتك فاتحا وخاتما وفي اسناده ابو جعفر الرازي ضعفه بعضهم وقال ابو زرعة متهم
وقال ابن كثير الاظهر انه سيء الحفظ وذكر الفخر الرازي عن والده قال سمعت ابا القاسم سليمان
الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج اوحى الله
تعالى اليه يا محمد بم اشرفك قال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
فسماه الله تعالى بهذا الاسم لحقيقته صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا
الاسم بالحقيقة الا له عليه السلام وللاقطاب بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان اطلق على غيره مجازا
ورحم الله الاديب برهان الدين القيراطي فلقد اجاد حيث قال ودعيتني العبد يوما فقالوا
تدعيته باشرف الاسماء ولبعض اهل الاشارات كان الله تعالى قال له يا محمد قد اعطيتك
نورا تنظر به جمالي وسمعا تسمع به كلامي يا محمد اني عرفتك بلسان الحال معنى عز وجل الى يا محمد
شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد يطالب بحقيقة ما يشهد به فاريتك جنتي لتشاهد ما اعددت
فيها لاوليائي واريتك ناري لتشاهد ما اعددت فيها لاعدائي ثم اشهدتك جلالي واكشف لك
عن جمالي لتعلم اني منزه في كمالي عن التشبيه والنظير والوزير والكثير فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور
الذي قواه من غير ادراك ولا احاطة فردا صمدا لا في شيء ولا من شيء ولا قائما بشيء ولا على شيء
ولا مفتقرا الى شيء ليس كمثله شيء فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا قيل له يا محمد لا بد لهذه الخلوة
من سر لا يذاع ورمز لا يشاع فاوحى الى عبده ما اوحى فكان سرا من سر لم يقف عليه ملك مقرب و
لا نبي مرسل وانشد لسان الحال بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم في الكون يحكيه سر
يمازجه انس يقابله نور تحير في بحر من التيه ولما انتهى الى العرش تمسك العرش
باذياله وناداه بلسان حاله يا محمد انت في صفاء وقتك امنا من مقتك اشهدك جمال احديته
واطلعت على جلال صمديته وانا اشكو اليك اللهفان عليه المتحير فيه لا ادري من اي جهة
اتيه حملني اعظم خلقه فكنت اعظمهم منه هيبة واكثرهم منه حيرة واشدهم منه خوفا يا محمد
خلقني فكنت ارعد لهيبة جلاله فكتب على قائمتي لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا
فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدأ روعي فكان اسمك امانا لقلبي وطمانينة لسري
فهذه بركة اسمك علي فكيف اذا وقع جميل نظرك الي يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب
من هذه الرحمة ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراءة مما نسبه اهل الزور الي وتقوله اهل الغرور
علي زعموا اني اسع من لا مثل له واحيط بما لا كيفية له يا محمد لا حد لذاته ولا عدد لصفاته
كيف يكون مفتقرا الي او محمولا علي اذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته وصفته متصلة بذاته فكيف
يتصل بي او ينفصل عني يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلا ولا بالبعيد منه فصلا ولا بالمطيق

لحظةً او وجدني منه رحمةً وفضلاً ولو تحققني لكان حقاً منه وعدلاً يا محمد انا محمول قدرته ومحمول
حكمته فاجابت لسان حال سيدي زاده الله تشوفاً وفضلاً وشرفاً لديه وتوالى صلواته وسلامه
عليه ايها العرش الغني انا مشغول عنك فلا تكدّر على صفوتي ولا تشوّش على خلوتي فما اعار
صلى الله عليه وسلم منه طرفاً ولا لوّى عليه مما اوحى اليه حرفاً ما زاغ البصر وما طغى • وقد ورد في بعض
اخبار الاسراء ما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح انه صلى الله عليه وسلم لما كان
من ربه تعالى قاب قوسين او ادنى قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالمسخ وبعضهم
بالخسف فما انت فاعل بامتي قال انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم
لبيته ومن سالني اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا استر على العصاة وفي الاخرة اشفعك
فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك • ولما اراد صلى الله عليه وسلم
الانصراف قال يا رب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة امتي قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا
ماتوا وانا لهم في القبور وانا لهم في النشور • واعلم انه قد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في رؤيته
صلى الله عليه وسلم لربه تعالى ليلة الاسراء فروى البخاري من حديث مسروق قال قلت لعائشة
يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثك بهن فقد
كذب من حدثك ان محمداً راى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم
ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ومن حدثك انه كتم شيئاً فقد كذب
ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية ولكنه راى جبريل في صورته مرتين
وفي رواية لمسلم من حدثك ان محمداً راى ربه فقد اعظم الفرية • وقولها قف شعري اي قام
من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك • قال الشيخ
النووي تبعاً لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما
اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الاية وقد خالفها غيرها من الصحابة • والصحابي اذا قال
قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك حجة باتفاق الائمة انتهى • قال الحافظ ابو الفضل ا
جزمه بان عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها في صحيح
مسلم الذي شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكورة
قال مسروق وكنت متكئاً فجلست فقلت الم يقل الله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
فقالت انا اول هذه الامة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رايت
ربك فقال لا انما رايت جبريل منهبطاً • نعم احتجاج عائشة رضي الله عنها بالاية خالفها فيه ابن
عباس فاخرج الترمذي من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت اليس
يقول الله لا تدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى محمد ربه

مرتين

مرتين • وقال القرطبي الابصار في الاية جمع محلى بالالف واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل
ذلك سمعاً في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في
الاية الاخرى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساوي
الوقتين بالنسبة الى المرئي انتهى • وهو استدلال جيد • وقال القاضي عياض رؤيته تعالى
جائزة عقلاً وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها سؤال موسى عليه السلام لها وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة • ولا حجة لمن استدل
على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الاية انتهى • وقد روى ابن
ابي حاتم بسنده عن اسمعيل بن علية في تأويل هذه الاية قال هذا في الدنيا • وقال الاخرون
لا تدركه الابصار اي جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الاخرة وقال اخرون
من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الاية انه لا يرى في الدنيا ولا في الاخرة فخالفوا اهل السنة
والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
اما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون • قال الامام الشافعي رحمه الله فدل هذا على ان المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك
وتعالى • واما السنة فقد تواترت الاخبار عن ابي سعيد وابي هريرة وانس وجرير وصهيب
وبلال وغير واحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين
يرون الله تبارك وتعالى في الدار الاخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم
وقيل المنفي في الاية ادراك العقول • قال الحافظ ابن كثير وهو غريب جداً وخلاف ظاهر الاية
وقال اخرون لا منافاة بين اثبات الرؤية ونفي الادراك فان الادراك اخص من الرؤية ولا
يلزم من نفي الاخص من الرؤية انتفاء الاعم • ثم اختلف هؤلاء في الادراك المنفي ما هو فقيل
معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان رآه المؤمنون كما ان من رأى القمر فانه لا يدرك
حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم اولى بذلك وله المثل الاعلى • وقال اخرون المراد
بالادراك الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم احاطة
العلم عدم العلم • وفي صحيح مسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولا يلزم منه
عدم الثناء فكذلك هذا • وروى ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى لا تدركه الابصار قال لو ان الانس والجن والشياطين والملائكة منذ خلقوا
الى ان فنوا صفوا صفاً واحداً ما احاطوا بالله ابداً • قال ابن كثير هذا غريب لا يعرف الا من هذا الوجه
ولم يروه احد من اصحاب الكتب الستة والله اعلم • وقال امام الحرمين في لمع الادلة
من اصحابنا من قال ان الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبئ عن الاحاطة ودرك
الغاية والرب جل وعلا متقدس عن الغاية والنهاية • ثم قال ولو عارضوا بقوله تعالى [illegible]

عليه السلام لن تراني ومن عموان لن تفيد التأبيد تحليا هنيئا الاثر وافضح الادلة على جواز
الرؤية فانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز الرؤية ضالا او كافرا وكيف يعتقد ما لا
يجوز على الله من اصطفاه الله لرسالته واختاره لنبوته وخصه بكرامته وشرفه بتكليمه
وجعله افضل اهل زمانه وايده ببرهانه وكيف يجوز على الانبياء الريب في امر
يتعلق بعلم الغيب فيجب حمل الاثر على انه انما اعتقد عليه السلام جوازه جائزا ناجزا ورجع
في الجواب الى الايجاز وما سأل موسى عليه السلام ربه في المآل فصرفنا النفي اليه والجواب
يدل على قصة الخطاب انتهى • وقال البيضاوي في هذه الاية دليل على ان رؤيته
تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال • وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعالى
ورده بقوله لن تراني دون لن ارى انتهى • ونقل القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في الاية
ان المراد ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وان من نظر الي مات • قال وقد رأيت لبعض السلف
والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا و
قواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم يكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة
وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية
قال وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رأى الباقي بالباقي • وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل
على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على اعباء
الرسالة لم يمتنع في حقه انتهى • والاستثناء في قوله الا من حيث ضعف القوة ينبغي ان يكون
منقطعا على معنى لكن من حيث ضعف القوة والا فضعف القوة غاية ما يكون مانعا اي من جهة
ضعف القوة لا من جهة كونه مستحيلا • ويدل على هذا قوله فاذا قواه الله تعالى من يشاء من عباده
واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه • وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة
في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا • واخرجه ابن خزيمة ايضا من حديث ابي امامة و
من حديث عبادة بن الصامت • فان جازت الرؤية عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من اثبتها للنبي عليه السلام
له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه • وفي تفسير ابن كثير ان في بعض كتب الله المقدسة ان الله تعالى
قال لموسى لما سأله الرؤية يا موسى انه لن يراني حي الا مات • وقد جزم القشيري في الرسالة بانها لا تجوز
في الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الاجماع عليه • وحكى القاضي عياض امتناعها في الدنيا عن جماعة
من المحدثين والفقهاء والمتكلمين • وقال القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر بن فورك يحكي عن ابي الحسن الاشعري
في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير انتهى • وقد ذهبت عائشة وابن مسعود الى انه عليه السلام
لم ير ربه ليلة الاسراء • واختلف عن ابي ذر وذهب جماعة الى اثباتها • وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن
انه حلف ان محمدا رأى ربه • واخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها • وبه قال سائر اصحاب

فانها

ابن عباس • وجزم به كعب الاحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه
ثم اختلفوا هل رآه بعينه او بقلبه • وجاءت عن ابن عباس اخبار مطلقة واخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها
على مقيدها • فمن ذلك ما اخرجه النسائي باسناد صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة عن ابن عباس
قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد • ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي
العالية عن ابن عباس في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة اخرى قال رأى ربه بفؤاده
مرتين • وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال رآه بقلبه • واصرح من ذلك ما اخرجه ابن مردويه من طريق
عطاء عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه انما رآه بقلبه • وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات
ابن عباس ونفي عائشة بان يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب • لكن روى الطبراني في
الاوسط باسناد رجاله رجال الصحيح خلا جمهور بن منصور الكوفي وجمهور بن منصور قد ذكره ابن حبان
في الثقات عن ابن عباس انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده
ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام
بل مراد من اثبت له انه رآه بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين
لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين • وروى ابن خزيمة
باسناد قوي عن انس قال رأى محمد ربه • وفي مسلم من حديث ابي ذر انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال نور انى اراه اي حجابه نور فكيف اراه • ومعناه ان النور حجبني من الرؤية • وعند احمد قال رأيت
نورا ومن المستحيل ان تكون ذات الله سبحانه نورا اذ النور من جملة الاعراض والله سبحانه وتعالى يتعالى
عن ذلك • وعند ابن خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه • وبهذا يتبين مراده في حديث ابي ذر بذكر
النور اي ان النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره • ورجح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الاثبات
واطنب في الاستدلال بما يطول ذكره • وحمل ما ورد عن ابن عباس على ان الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه
ومرة بعينه • ومما يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسراء
اخبر العوالم من حيث فلكهم ومراتبهم وسقى كل واحد من كأسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار وهم اخر العوالم
بما رأى في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان وما يعرفون لانهم في فلك الاجسام حتى صدقوا بالآية
ثم اوحى حتى عن فلك السماء وكذلك في كل سماء يخبر بما شاهد ورأى كل ملك وما يليق ان يحدث به انتهى
الصحابة كل على قدر مرتبته بلا ضيق ولا تزاحم الى السماء السابعة • ولما وصل مقام جبريل يحدث
عن الافق المبين وعما فوق الى ان دنا فتدلى الى موضع الايحاء عند حضرة اسقاط الصور والخلق كاد
بذلك الصحابة فمنهم من قال انه رأى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق • ومنهم من قال رؤية
الفؤاد والبصيرة وصدق كعائشة ومن تبعها • ومنهم من قال بعيني رأسه ورأى وصدق بكل
الخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم من مقامه ومقامه على قدر كأسه ما يليق به فاذا صح هذا المعرج عرفت الاسرار
ومقامات الرؤية والقائلين بذلك واختلافهم وقولهم الجميع الحق انتهى • ومن اثبت الرؤية لنبينا عليه السلام

الامام احمد • وروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون ان عائشة قالت
من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية • فباي معنى تدفع قولها قال بقول النبي صلى الله
عليه وسلم رأيت ربي • قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها • وقد انكر صاحب الهدى على من زعم ان احمد
قال رأى ربه بعيني رأسه • وهذا من تصرف الحاكي فان نصوصه موجودة • انتهى • وقد رجح القرطبي في
المفهم قول الوقف في هذه المسئلة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع و
غاية ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل • قال وليست المسئلة من العمليات
فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها بالادلة الظنية • وانما هي من المعتقدات
فلا يكتفى الا بالدليل القطعي • والله اعلم • واما قوله ثم فرضت علي الصلوة خمسين صلاة
كل يوم ففي رواية ثابت البناني عن انس عند مسلم ففرض الله علي خمسين صلوة كل يوم وليلة ونحوه في
رواية مالك بن صعصعة عند البخاري ايضا • ويحتمل ان يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض
على الامة وبالعكس الا ما استثني من خصائصه • وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم فنزلت الى موسى
فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي
فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله
التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى حتى قال يا محمد هن خمس صلوات في اليوم والليلة لكل صلوة
عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عشرا ومن هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة • قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه • وفي رواية
عن ابن حنبل اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها
انت وامتك وذكر مراجعته مع موسى • وفيه انه فرض على بني اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما • وفي اخره
خمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها عزمة من الله تعالى فرجعت فقال ارجع اليه فلم ارجع
فان قلت لم قال موسى عليه السلم لنبينا صلى الله عليه وسلم ان امتك لا يطيقون ذلك ولم يقل
انت وامتك لا تطيقون اجيب بان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فهو لما رزقه الله تعالى من الكمال يطيق ذلك واكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عينه الصلوة • قال
العارف ابن ابي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلوة ليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به رأى في تلك
الليلة تعبد الملائكة وان منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له ولامته
تلك العبادات كلها في ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص • وقد وقع من موسى عليه السلم
من العناية بهذه الامة في امر الصلوة ما لم يقع لغيره • ووقعت الاشارة لذلك في حديث ابي هريرة عند
الطبراني والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى اشدهم علي حين مررت به وخيرهم لي حين رجعت

وفي حديث ابي سعيد فاقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم فسألني كم فرض عليك ربك الحديث
قال القرطبي واما اعتناء موسى عليه السلم بهذه الامة والحاحه على نبينا ان يشفع لها ويسأل التخفيف
عنها فلقوله تعالى والله اعلم حين قضى اليه الامر بجانب الغربي ورأى صفات محمد صلى الله عليه وسلم في الالواح
وجعل يقول اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا اللهم اجعلهم امتي فيقال له تلك امة احمد • وهو حديث
مشهور تقدم ذكره في خصائص هذه الامة • قال وكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتني بالقوم
من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم • انتهى • وقال القرطبي الحكمة في امر موسى بمراجعة النبي صلى
الله عليه وسلم في امر الصلوات يحتمل ان يكون ان يكون لكون امة موسى عليه السلم كلفت من الصلوات ما لم تكلف
به غيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم فاشفق موسى عليه السلم على امة محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك
ويشير اليه قوله اني قد جربت الناس قبلك • انتهى • ووقع في كلام بعض اهل الاشارات لما كانت
نار المحبة من قلب موسى اضاءت له انوار نور الطور فاسرع اليها ليقتبس فاقتبس فلما نودي
من النادي اشتاق الى المنادي فكان يطوف في بني اسرائيل من يحملني رسالة الى ربي ومراده ان تطول
المناجاة مع الحبيب فلما رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ردده في امر الصلوات وليحصل
له الغبطة برؤية من رأى الحبيب • وقال آخر لما سأل موسى عليه السلم الرؤية ولم يحصل له
البغية بقي الشوق يقلقه والامل يعلله فلما تحقق سيدنا محمد الحبيب منح الرؤية وفتح له باب
المزية اكثر السؤال ليسعد برؤية من قد رأى • كما قيل • واستنشق الارواح من نحو ارضكم
لعلي اراكم او ارى من يراكم • وانشد من لاقيت منكم عساكم • يجودون لي بالعطف منكم عساكم
فانجحا لي ان حييت وان امت • فيا حبذا ان مت عند هواكم • وقال آخر • وانما
اكثر موسى تردده • ليجتلي حسن ليلى حين يشهده • يبدو سناها على وجه الرسول فيا • لله در
رسولي حين اشهده • وقال آخر • لما اطل الحبيب في مقام القرب • ودارت عليهم كؤس الحب
ثم جاد وصال لما كذب الفؤاد ما رأى بين عينيه • وسر فاوحى الى عبده ما اوحى بين قلبه واذنيه
فلما اجتاز بموسى عليه السلم قال لسان حاله • يا واردا من اهل الحي يخبرني • عن جيرتي شنف الاسماع
بالخبر • ناشدتك الله يا راوي حديثهم • حدث فقد ناب عني اليوم من خبري • فاجاب لسان
الحال من نبينا صلى الله عليه وسلم يقول • ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا • سر ارق من النسيم
اذا سرى • واباح طرفي نظرة املتها • فغدوت معروفا وكنت منكرا • فكل قوم يحظون منه بهيم
وقد علم كل اناس مشربهم • والله تعالى بفضله واحسانه يوالي انسجام سحائب عفوه ورضوانه على العارف
الرباني ابي عبد الرحمن السلمي ولقد اجاد اذ افاد بما افرده من لطائف المعراج حسبما جمعه من كلام اهل
الاشارات باقوم منهاج • وقد استدل العلماء بقوله في الحديث هن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة
عشر فتلك خمسون على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر وعلى جواز النسخ قبل الفعل • قال ابن
بطال وغيره الا ترى انه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل ان تصلى ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب

وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف من الأصوليين والشراح وغيرهم • وهو مشكل على من أثبت النسخ قبل الفعل كالأشاعرة ومنعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا جميعاً على أن النسخ لا يتصور قبل البلاغ وحديث الإسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل عليهم جميعاً انتهى • فإن أراد قبل البلاغ لكل أحد فممنوع وإن أراد قبل البلاغ إلى بعض الأمة فمسلم لكن قد يقال ليس هو بالنسبة إليهم نسخاً لكن هو نسخ بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كلف بذلك قطعاً ثم نسخ بعد أن بلغه • وقيل أن يفعله فالمسألة صحيحة التصوير في حقه صلى الله عليه وسلم •

ولما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الإسراء مر في طريقه بعير من قريش تحمل طعاماً أمامها جمل يحمل غرارتين غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير • وفي رواية أضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان قال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتى محمد مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأى وقال لهم إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعيركم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فجمعه فلان وإن مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان فلما كان كذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى إذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه عليه السلام • وفي رواية سألوه آية فأخبرهم بقدوم العير يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف • وعن عائشة رضي الله عنها لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق • رواه الحاكم في المستدرك وابن إسحاق وزاد ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أحدثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبي الله صفه لي فإني قد جئته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى نظرت إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبي بكر فيقول أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله كلما وصف له شيئاً منه وقول أبي بكر صفه لي لم يكن على شك فإنه صدقه من غير وقفة • ولكنه أراد إظهار صدقه لهم لأنهم كانوا يثقون بأبي بكر فإذا طابق خبره علم أنه ما كان يعلم أبو بكر وصدق فكان حجة ظاهرة عليهم • وفي رواية البخاري فجلى الله لي بيت المقدس الحجب حينئذ • وفي رواية مسلم فسألوني عن أشياء لم أثبتها فكربت كرباً شديداً لم أكرب مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به فيحتمل أن يكون حمل إليه ووضع بحيث يراه ثم أعيد • وفي حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وأنا أنظر إليه وهذا أبلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين • ولما وقع

في حديث

في حديث أم هانئ عند ابن سعد فجلى لي بيت المقدس وطفقت أخبرهم فإن ثبت احتمل أن يكون المراد مثل قريباً منه كما قيل في حديث أريت الجنة والنار • ويؤول قوله جيء بالمسجد حتى مثاله • وفي حديث أم هانئ المذكور أنهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم أكن عددتها فجعلت أنظر إليه وأعدها باباً باباً وعند أبي يعلى أن الذي سأله عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير بن مطعم • وأشار ابن أبي جمرة إلى أن الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس إظهار الحق للمعاند لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح حيث سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقيق أنه أسري به إلى بيت المقدس • ولذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سبباً لقوة إيمان المؤمنين وزيادة في شقاء من عاند وجحد من الكافرين

المقصد السادس

فيما ورد من آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلاً ومنة ليؤمنن به إن أدركوه ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل

اعلم أطلعني الله وإياك على أسرار التنزيل ومنحنا بلطفه تيسير هدينا إلى سواء السبيل أنه لا سبيل لنا أن نستوعب الآيات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والإشارة إلى علو محله الرفيع ووجوب المبالغة في حفظ الأدب معه ولذلك الآيات التي فيها ثناؤه تعالى عليه وإظهار تعظيم شأنه لديه وقسمه تعالى بحياته ونداؤه بالرسول والنبي ولم يناده باسمه بخلاف غيره من الأنبياء فناداهم بأسمائهم إلى غير ذلك مما يشير إلى ما أنافت قدره العالي عنده وأنه لا يجد يساوي مجده • ومن تأمل القرآن العظيم وجده طافحاً بتعظيمه تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم • ورحم الله ابن الخطيب الأندلسي حيث قال •

مدحتك آيات الكتاب فما عسى • يثني على علياك نظم مديحي • وإذا كتاب الله أثنى مفصحاً كان القصور قصار كل فصيح •

وهذا المقصد أكرمك الله تعالى يشتمل على عشرة أنواع

النوع الأول في آيات تتضمن تعظيم قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته وعلو درجته على الأنبياء وتشريف منزلته • قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله قال المفسرون يعني موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة • وليس بخاف اختصاص موسى بالكلام وقد ثبت أنه تعالى كلم نبينا صلى الله عليه وسلم أيضاً كما مر • فإن قلت إذا ثبت أنه عليه السلام كلمه ربه وقام به هذا الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم كما اشتق منه لموسى أجيب بأن اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الإشارة كاسم الفاعل فيطرد بمعنى أن كل من قام به ذلك الوصف يشتق له منه اسم وجوباً وقد يكون للترجيح فقط كالحكيم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف أن يشتق له منه اسم كما حققه العلامة عضد الدين • في مختصره وحرره كما قال المولى سعد الدين التفتازاني • قوله تعالى ورفع بعضهم درجات يعني محمداً صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة

أوحي بالذات في المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه السلم أوتي من المعجزات ما لم
يؤت نبي قبله • قال الزمخشري وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من
الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والتميز الذي لا يلتبس • انتهى • وقد تمسك بهذه الآية
وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ان مراتب الرسل والانبياء متفاوتة خلافا للمعتزلة
القائلين بان لا فضل لبعضهم على بعض وفي هاتين الآيتين دليلهم • وقال قوم آدم افضل الرسل
لحق الابوة وتوقف بعضهم فقال السكوت افضل • والمعتمد الذي عليه جماهير السلف والخلف ان الرسل
افضل من الانبياء • وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض بشهادة هاتين الآيتين وغيرهما • قال
بعض اهل العلم فيما حكاه القاضي عياض • والتفضيل المراد هنا في الدنيا وذلك بثلثة احوال ان تكون آياته
ومعجزاته اظهر واشهر او يكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع
الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطاف و
تحف ولايته واختصاصه • انتهى • فلا مرية ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر واشهر
واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى ودولته اعظم واوفر وذاته افضل واطهر وخصوصيته على جميع
الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من سائر المخلوقين
وتأمل حديث الشفاعة في المحشر وانتهائها اليه صلى الله عليه وسلم وانفراده هناك بالسؤدد كما قال
انا سيد ولد آدم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة • رواه ابن ماجه • وفي حديث انس عند الترمذي
انا اكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه افضل من آدم بل من اولاده
فالاستدلال بذلك على مطلق افضليته عليه الصلوة والسلام على الانبياء كلهم ضعيف • واستدل الشيخ
سعد الدين التفتازاني لمطلق افضليته عليه السلام بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال لانه
لا شك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين • وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه • واستدل له
الفخر الرازي في المعالم بانه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم اولئك
الذين هدى الله فبهديهم اقتده فامره ان يقتدي بامرهم فكون امتثاله به واجبا والا فيكون تاركا للامر
واذا اتى بجميع ما اتوا من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون افضل منهم وبان دعوته
صلى الله عليه وسلم في التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم بخلاف سائر الانبياء فظهر ان انتفاع
اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم اكمل من انتفاع سائر الامم بدعوة سائر الانبياء فوجب ان يكون
افضل من سائر الانبياء • انتهى • وقد روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائه
وفي حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا سيد الناس يوم القيمة • وهذا يدل على انه افضل من
آدم عليه السلم ومن كل اولاده • وروى البيهقي في فضائل الصحابة انه ظهر علي ابن ابي طالب من البعد
فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة الست بسيد العرب فقال انا سيد العالمين

وهو

وهو سيد العرب • وهذا يدل على انه افضل الانبياء بل افضل خلق الله كلهم • وقد روى هذا الحديث
ايضا الحاكم في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب • وقال انه صحيح ولم
يخرجاه • وله شاهد من حديث عروة عن عائشة وساقه من طريق احمد بن عبيد بن ناصح ثنا الحسين
ابن علوان وهما ضعيفان عن هشام بن عروة عن ابيه به بلفظ ادعوا لي سيد العرب قالت فقلت
يا رسول الله الست سيد العرب وذكره قال شيخنا وكلها ضعيفة • بل جنح الذهبي الحاكم
على ذلك بالوضع • انتهى • ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس تبجحا وافتخارا على من دونه
حاشاه الله سبحانه من ذلك • وانما قاله اظهارا للنعمة الله تعالى عليه واعلاما للامة بقدر
امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه لتعرف نعمة الله عليهم وعليه • وكذلك العبد
اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره
اليه في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين نشأ له ذلك في قلبه سحايب السرور
فاذا انبسطت هذه السحايب في سماء قلبه وامتلأ افقه بها امطرت عليه وابل الطرب
بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل • وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من
غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار في باطنه • ولا تنافي احدهما الاخر • والى هذا
المعنى يشير قول العارف الرباني سيدي علي الوفوي في قصيدته التي اولها
من انت مولاه حاشا • نداه ان يتلاشى • وانه يا روح قلبي • لا مات من يك عاشا • قوم لهم
انت تاشى • لا يرجعون عطاشا • لا تعروا دهم جناح لروفا ولك راشا • بل النعيم مقيم لمن
تحب انتعاشا • ومن بحولك يقوى • لن يضعف الدهر حاشا • نعد له مثل نعز • فكيف لا يتحاشا
حاشا وفاولن يرمى • من انت مولاه حاشا • فان قلت كيف الجمع بين هاتين الآيتين وبين
قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون •
والحديث الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي
في قسمه والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم اليهودي وقال اي خبيث وعلى
محمد فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال صلى الله عليه وسلم
لا تفضلوني على الانبياء • وفي رواية لا تفضلوا بين الانبياء • وحديث ابي سعيد الخدري عند
البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبياء • وحديث ابن عباس عند البخاري
ومسلم مرفوعا لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى • وحديث ابي هريرة عند الشيخين
ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب • اجاب العلماء بان قوله تعالى لا نفرق بين احد
منهم يعني في الايمان بما انزل اليهم والتصديق بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياؤه • والتسوية

بينهم في هذا لا يمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض • واجابوا عن الاحاديث باجوبة فقال بعضهم انه قبل
ان اعلمه الله تعالى بفضل بعضهم على بعض على الجملة • ونكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بآرائنا • وقال ابن ظفر
فان اراد هذا القائل انا نكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بآرائنا فصحيح وان اراد انا لا نذكر
في ذلك ما فهمناه من كتاب الله تعالى وروي من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فغير مسلم • وقال
اخر تفضيل من رفع الله درجته بخصائص الخلوة والزلفى ولا نخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سياسة
المنذرين والصبر على الدين والنهضة في اداء الرسالة والحرص على هدى الضلال فان كلا منهم
قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكلف الله تعالى الا كرمنه • وقال اخر مما ذكره القاضي عياض
ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم • فنهى عن التفضيل اذ يحتاج
الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب • قال الحافظ عماد الدين ابن كثير • وفي هذا نظر انتهى
ولعل وجه النظر معرفة المتقدم تاريخا من ذلك • ثم رأيت في تلويح لمن كثير ان وجه النظر ان
هذا من رواية ابي سعيد وابي هريرة وما هاجر ابو هريرة الا عام خيبر متأخرا فيبعد انه لم يعلمه
الا بعد هذا • وقال اخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب
قال القاضي عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض • وقيل لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقيص بعضهم
او انتقاص منه • وقيل منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء عليهم السلام فيها على حد واحد لا
يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة في نفسها فلا
تتفاضل وانما التفاضل بامر اخر زائد عليها ولذلك منهم رسل واولو العزم • وهذا قريب
من القول الثالث • وقال ابن ابي جمرة في حديث يونس يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما
قاله ابن خطيب الري لانه قد وجدت الفضيلة بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم اسري
به الى فوق السبع الطباق ويونس نزل به الى قعر البحر وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم
القيمة • وقال صلى الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت لوائي • وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة
الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبياء عليهم السلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله
عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب من الله سبحانه وتعالى والبعد منه سبحانه
وتعالى فمحمد صلوات الله عليه وسلامه وان اسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس
عليه الصلوة والسلام وان نزل لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله تعالى على حد واحد
انتهى • وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن انس وعزي نحوه لامام الحرمين • وقال ابن المنير
ان قلت ان لم يفضل على يونس باعتبار استواء الجهتين بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضله
باعتبار تفاوت الجهتين وتفضيل الحق فانه تعالى فضل الملأ الاعلى على الحضيض الادنى قيل
لا يفضله عليه الصلوة والسلام على يونس عليه السلام وان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة
فلا اشكال • ثم ما ذكرت قرينة على مطلق التفضيل وانما نهي عن تفضيل مقيد بالمكان

يفهم

يفهم منه القرب المكاني فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد • واختلف هل البشر افضل من الملائكة
فقال جمهور اهل السنة والجماعة خواص بني ادم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة
افضل من عوام بني ادم • قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة وعوام بني ادم افضل من عوام
الملائكة فالمسجود له افضل من الساجد • فاذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام
على العوام فعوام الملائكة خدم عمال الخير والمخدوم له فضل على الخادم ولان المؤمنين ركب
فيهم الهوى والعقل مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته والملائكة ركب فيهم العقل دون
الهوى ولا سبيل للشيطان عليهم فالانسان كما قاله في شرح العقائد يحصل الفضايل والكمالات
العلمية والعملية مع وجود العوائق والموانع والشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية
الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف
اشق وادخل في الاخلاص فتكون افضل • والمراد بعموم بني ادم الصلحاء لا الفسقة كما نبه
عليه العلامة كمال الدين ابن ابي شريف المقدسي • قال ونقل البيهقي عنه في الشعب وعبارته
قد تكلم الناس قديما وحديثا في الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل
من الملائكة وان الاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة • انتهى • وذهب المعتزلة
والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملائكة وهو اختيار القاضي ابي بكر الباقلاني وابي
عبد الله الحليمي • وتمسكوا بوجوه • الاول ان الملائكة ارواح مجردة كاملة بالفعل مبرأة
عن مبادي الشرور والافات كالشهوة والغضب وعن ظلمات الهيولى والصورة قوية على الافعال
العجيبة عالمة بالكوائن ماضيها وآتيها من غير غلط • والجواب ان مبنى ذلك على الاصول الفلسفية
دون الاصول الاسلامية • الثاني ان الانبياء مع كونهم افضل البشر يتعلمون ويستفيدون
منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى • وقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ولا
ان المعلم افضل من المتعلم • والجواب ان التعليم من الله تعالى والملائكة انما هم مبلغون
• الثالث انه اطرد في الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبياء وما ذلك الا لتقدمهم
في الشرف والرتبة عليهم • والجواب ان ذلك لتقدمهم في الوجود • او لان وجودهم اخفى
فالايمان بهم اقوى وبالتقديم اولى • والرابع قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملائكة من عيسى اذ القياس
الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا الوزير ولا السلطان ولا يقال ولا السلطان
ولا الوزير ثم لا قائل بالفصل بين عيسى عليه السلام وغيره من الانبياء عليهم السلام • والجواب
ان النصارى استعظموا المسيح بحيث يترفع من ان يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي ان يكون ابنا له لانه مجرد لا
اب له • وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف سائر العباد من بني ادم فرد عليهم بانه لا يستنكف

من ذلك المسيح ولا من هو أعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة لا أب لهم ولا أم ويقدرون بإذن الله تعالى
على أفعال أقوى وأعجب من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى فالترقي والعلو
إنما هو في أمر التجرد وإظهار الآثار العلوية لا في مطلق الشرف والكمال فلا دلالة للآية على أفضلية الملائكة انتهى
ثم إن الملائكة بعضهم أفضل من بعض وأفضلهم الروح الأمين جبريل المزكى من رب العالمين المرسول
فيه من ذي العزة إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فوصفه بسبع صفات
فهو أفضل من الثلاثة الذين هم أفضل الملائكة على الإطلاق وهم ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل • وكذا الرسل
أفضل الأنبياء آدم وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأما نبوة آدم فبالكتاب الدال على أنه
قد أمر ونهي مع القطع بأنه لم يكن في زمنه نبي آخر فهو بالوحي لا غير • وكذا السنة والإجماع وإنكار
نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا • وقد اختلف في عدد الأنبياء والمرسلين والمشهور
في ذلك ما في حديث أبي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال
مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير
قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح
وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر وأول
نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك • وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ
أبو حاتم ابن حبان في كتابه الأنواع والتقاسيم • وقد وسمه بالصحة وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات
واتهم به إبراهيم بن هشام • قال الحافظ ابن كثير ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من
أجل هذا الحديث • والله أعلم • وروى أبو يعلى عن أنس مرفوعا كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف
نبي ثم كان عيسى ابن مريم ثم كنت أنا • والذين نص الله سبحانه وتعالى على أسمائهم في القرآن آدم وإدريس
ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون
ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين والله أعلم
وقال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك • روى ابن جرير بحديث أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أتاني جبريل فقال إن ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله أعلم قال إذا ذكرت
ذكرت معي • وذكره الطبري • وصححه ابن حبان • ورويناه عن الإمام الشافعي قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن
أبي نجيح معناه لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله • قال الإمام الشافعي
يعني والله أعلم ذكره عند الإيمان بالله والأذان • قال مجاهد ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة
والوقوف عن المعصية • انتهى • وقيل رفعه بالنبوة • قاله يحيى بن آدم • وعن عطاء جعلتك
ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني • وعنه أيضا جعلت تمام الإيمان بذكري معك • وعن جعفر بن محمد الصادق
لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية • قال البيضاوي وأي رفع مثل أن قرن
اسمه باسمه في كلمتي الشهادة والتشهد وجعل طاعته طاعته • انتهى • يشير إلى قوله تعالى

من يطع الرسول فقد أطاع الله • والله ورسوله أحق أن يرضوه • ومن يطع الله ورسوله • أطيعوا الله
ورسوله • وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول • وقول قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله • انتهى • فهذا مذكور مع الشهادة
والتشهد • ويقرنون ذكره بذكره في الخطب والقرآن والأذان • ويؤذن باسمه في موقف القيامة • وأخرج
أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رفعه لما نزل آدم عليه السلام بالهند استوحش فنزل جبريل فنادى بالأذان
الله أكبر الله أكبر مرتين أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن محمدا رسول الله مرتين • كتب اسمه الشريف
على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها • رواه ابن عساكر • وأخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا
لما عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله • وفي الحلية عن ابن عباس
رفعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله • وأخرج الطبراني
من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود لا إله إلا الله محمد رسول الله • وزاد الحافظ ابن حجر
ذكره بأحكام الخواتيم له جزء أبو علي الخالدي وقال إنه باطل موضوع • وشق اسمه الكريم من اسمه
تعالى كما قال حسان • وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد • وسماه من
أسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في أسمائه صلوات الله وسلامه عليه • وصلى عليه في
ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه فقال تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما فأخبر عباده بمنزلته عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة
المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر العالم السفلي بالصلاة عليه والتسليم فيجتمع الثناء عليه من
العالمين العلوي والسفلي • وكتبه نبيا وآدم بين الروح والجسد • وختم به النبوة والرسالة
وأعلى بذكره الكريم في الأولين والآخرين • ونوه بقدره الرفيع حين أخذ الميثاق على جميع النبيين • وجعل ذكره
في فواتح الرسائل وخواتمها • وشرف به الصنائع على المنابر • وزين بذكره أرباب الأقلام والمحابر • و
نشر ذكره في الآفاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى في السموات السبع وعند المستوى وصريف الأقلام والعرش
والكرسي وسائر الملائكة المقربين من الكروبيين والروحانيين والعلويين والسفليين وجعله في قلوب المؤمنين
بحيث يستطيبون ذكره فترتاح أرواحهم • وربما يميل من طرب سماع اسمه أشباحهم •
إذا ذكرتكم أميل كأنني • من طيب ذكركم سقيت الراحا • كأنه تعالى يقول أملأ الوجود كله من أتباعك
كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرائض الصلاة إلا ومعها
سنة فهم يمتثلون في الفريضة أمري وفي السنة أمرك وجعلت طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك فالقراء
ألفاظ منشورات والمفسرين يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون بليغ وعظك والملوك والسلاطين
يقفون في خدمتك ويسلمون من وراء الباب عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك
فذكرك باق إلى أبد الآبدين • والحمد لله رب العالمين • وقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى
• اعلم أن للمفسرين في طه قولين أحدهما أنها من حروف التهجي • والثاني أنها كلمة مفيدة • وعلى الأول

الاول قيل معناها يا طامع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة • وقيل الطاء في الحساب تسعة
والهاء خمسة فالجملة اربعة عشر ومعناها يا ايها البدر • وهذه الاقوال لا يجب ان يعتمد
عليها اذ هي كما قال المحققون من بدع المفسرين ومثلها قول الواسطي فيما حكاه القاضي عياض في
الشفاء اراد يا طاهر يا هادي • واما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيها وجهان احدهما ان معناه
يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة وعكرمة قال سعيد بن جبير
بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية • وقال عكرمة بلسان الحبشة • وقال البيضاوي
ان صح ذلك فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار • انتهى • قال الكلبي لو قلت
في عك يا رجل لم يجب حتى تقول طه • وقال السدي معنى طه يا فلان وقال الزمخشري لعل عكا
تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قلبوا الياء طاء فقالوا طا واختصروا هذا على ها واثر الصنعة ظاهر
لا يخفى في البيت المستشهد به • ان السفاهة طه في خلائقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين
انتهى • قال في البحر وكان قد تقدم ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تحرص وتحرى على عك
ما لا يقوله نحوي وهو انهم قلبوا الياء طاء وهذا لا يوجد في لسان العرب قلب يا التي للنداء طاء وكذلك
حذف اسم الاشارة في النداء واقرت ها التي للتنبيه • انتهى • وقيل معناه يا انسان • وقرئ طه
باسكان الهاء على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه • وقد روي انه صلى الله عليه وسلم
يقوم في التهجد على احدى رجليه فامر ان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزتها هاء
كما قالوا هياك في اياك وهرقت في ارقت • ويجوز ان يكون الاصل من وطئ على ترك الهمزة فيكون
اصله طا يا رجل ثم اثبت الهاء فيها للوقف • وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة
من الهمزة والهاء كناية عن الارض لكن يرد هذا كتبهما على صورة الحرف • واما قوله تعالى ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا • احدها ان ابا جهل والوليد بن المغيرة و
مطعم بن عدي قالوا يا رسول الله انك لتشقى حيث تركت دين ابائك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت
رحمة للعالمين فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام و
القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها •
وثانيها انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها
عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة وما
بعثت الا بالحنيفية السمحاء • وروي انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام
وقال بعضهم كان يسهر طول الليل • وتعقب بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيئا من
ذلك فلا يبعد ان يكون قد فعله بامر الله تعالى فاذا فعله عن امره فهو من باب السعادة لا من باب
الشقاء • ثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك وتعذبها بالاسف على كفر هؤلاء
او لا فانما انزلنا عليك القرآن لتذكر به من امن فمن امن واصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره

يا ايها النبي

ما عليك

ما عليك الا البلاغ وهذا المعنى كقوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين • ولا يحزنك كفرهم • رابعها
ان هذه السورة من اوائل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مع صناديد قريش فكانه
تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه الحالة ابدا بل يعلو امرك ويظهر قدرك فانا ما انزلناه
لتبقى شقيا بل تصير معظما مكرما زاده الله تعالى تعظيما وتكريما وتشريفا • قال تعالى
انا اعطيناك الكوثر السورة • قال الامام فخر الدين بن الخطيب في هذه السورة كثير من الفوائد منها
انها كالمتممة لما قبلها من السورة وذلك لان الله تعالى جعل سورة الضحى في مدح نبينا صلى الله عليه
وسلم وتفصيل احواله فذكر في اولها ثلاثة اشياء تتعلق بنبوته وهي قوله ما ودعك ربك وما قلى و
للاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختمها كذلك باحوال ثلاثة تتعلق
بالدنيا وهي قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا اي عن علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك
عائلا فاغنى • ثم ذكر في سورة الم نشرح انه تعالى شرفه صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشياء وهي
الم نشرح لك صدرك اي الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك وزرك
اي حططنا عنك الثقل الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك • وهكذا سورة سورة حتى قال انا اعطيناك
الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها د
اذا انعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم • ثم ان الاشتغال بالعبادة
اما ان يكون بالنفس وهو قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر • وتامل قوله انا اعطيناك
كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطاء حصل في الزمان الماضي قال
صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد • ولا شك ان من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعي الجانب
اشرف ممن سيصير كذلك كانه تعالى يقول يا محمد انا اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود
فكيف امرك بعد دخولك واشتغالك بعبوديتنا يا ايها العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العظيم لاجل
طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب • واختلف المفسرون في تفسير الكوثر
على وجوه • منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف • وروى انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما
هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك واذا طينه مسك اذفر • رواه البخاري
وقيل الكوثر اولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعدم الاولاد
وعلى هذا فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم
ولم يبق من بني امية في الدنيا احد يعبا به • وقيل الكوثر الخير الكثير وقيل العلماء ورثة الانبياء كما رواه احمد وابو
داود والترمذي • واما علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري و
الزركشي انه لا اصل له • نعم روى ابو نعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب
الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد • وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع ومن

واجتنابنا

بعضهم المراد بالكوثر العلم ، وحمله عليه أولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير والثاني
إنا اما ان نحمل الكوثر على نعم الآخرة او على نعم الدنيا والاول غير جائز لانه قال انا اعطيناك والجنة
سيعطيها لا انه اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة اليه في الدنيا
هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث انه لما قال انا اعطيناك الكوثر قال عقيبه فصل لربك
وانحر والشيء الذي يتقدم على العبادة هو المعرفة ولان الفاء في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب
للعبادة ليس الا العلم • وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعم الله تعالى على نبيه صلى
الله عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الآية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل • ولما
روي ان سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة
فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه • قال الامام فخر الدين بن الخطيب
قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان
يكون محمله على ما اتاه من النبوة والقرآن والذكر العظيم والنصر على الاعداء واما الحوض وساير ما اعد
له فلا يصح ان يقال على الحقيقة انه اعطاه الكوثر في حال نزول هذه السورة بمكة • ويمكن ان يجاب عنه
بان من اقر لولده الصغير بشيء يصح ان يقال اعطاه ذلك الشيء مع ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتصرف
انتهى • وقد روينا في صحيح مسلم من حديث انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفا
اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آنفا سورة اغفاءة
فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر • ثم قال
أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه
امتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول يا رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث
بعدك • وهذا تفسير صحيح منه صلى الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر هنا الحوض فالمصير اليه اولى
وهذا هو المشهور كما تقدم فسبحان من اعطاه هذه الفضائل العظيمة وشرفه بهذه الخصال الجميلة
وقد جرت عادة الله مع الانبياء عليهم السلام ان يناديهم باسمائهم الاعلام نحو يا آدم اسكن يا نوح اهبط
يا موسى اني انا الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك • واما نبينا صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف
الشريف من الانباء والارسال فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول • وهذه دلايل […] فقد دعا جميع الرسل
كلا باسمه • ودعاه وحده بالرسول وبالنبي • قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى
على احد ان السيد اذا دعا عبيده بافضل ما وجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية و
دعا الآخرين باسمائهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق ان منزلة من دعاه
بافضل الاسماء والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم • وهذا معلوم بالعرف
ان من دعي بافضل اوصافه واخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه • انتهى • وانظر ما في قوله
[…] في الارض خليفة […] من ذكر الرب تعالى واضافته اليه صلى الله عليه وسلم

وما قلنا

وما في ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما في ذلك من الاشارة اللطيفة وهي ان المقبل
عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها اذ هو في الحقيقة اعظم خلفائه
الا ترى عموم رسالته ودعائه وجعله افضل انبيائه امر للانبياء ائتمه وجعل آدم فمن دونه تحت
لوائه فهو المقدم في ارضه وسمائه وفي دار تكليفه وجزائه • وبالجملة فقد نص الكتاب العزيز من
التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره ما يقتضي بانه استولى على اقصى درجات
التكريم • ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم • وتقديم ذكره على الانبياء تعظيما له مع تأخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم • واخباره بتمني اهل النار وتعاستهم في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا • وهذا بحر لا ينفد وقطر لا يعد • بحر لا ينفد وقطر لا يعد
النوع الثاني في اخذ الله الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه قال الله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه الآية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم
ان يصدق بعضهم بعضا • قاله الحسن وطاوس وقتادة • وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من
النبيين وامتهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم • وعن علي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما بعث
الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه • وما قاله قتادة
والحسن وطاوس لا ينافي ما قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه
وقيل معناه ان الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم
ان يؤمنوا به وان ينصروه • واحتج لهذا بان الذين اخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
عند مبعثه وكان الانبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا فتعين ان يكون
الميثاق مأخوذا على الامم • ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين
وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم • واجاب الفخر الرازي بان يكون المراد من الآية انهم لو
كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم • ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد
علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض • وقال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين • وقال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وبانهم يخافون ربهم من فوقهم
فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير • واذا عرفت هذه الآية دلت على ان الله تعالى اوجب على جميع الانبياء ان
يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا في الحياة وانهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلما وجب الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء اقوى في تحصيل المقصود
قال السبكي في هذه انه عليه السلام على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة

لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيمة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله عليه السلام وبعثت إلى الناس كافة لا يختص به الناس في زمانه إلى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم أيضا وإنما الأخذ للمواثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وفي أخذ المواثيق وهي في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه وهي كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل أيمان الخلفاء أخذت من هنا • فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فإذا عرفت هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الأنبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته • وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك لأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافهم بما يقتضيه • وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل فههنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة وإنما هو من جهة العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتي عيسى عليه السلام في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحدا من هذه الأمة نعم هو واحد من الأمة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من أمر أو نهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء • وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول إلى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم وتتفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع • إما على سبيل التخصيص • وإما على سبيل النسخ • أو لا نسخ ولا تخصيص • بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم ما جاءت به أنبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة الشريعة • والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم وبعثت إلى الناس كافة كنا نظن أنه من زمانه إلى يوم القيمة فبان أنه لجميع الناس أولهم وآخرهم والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كنا نظن أنه بالعلم فبان أنه زائد على ذلك • وإنما يفترق الحال ما بعد وجود جسده صلى الله عليه وسلم وبلوغه الأربعين • وما قبل ذلك بالنسبة إلى المبعوث إليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة إليه ولا إليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل وهو المبعوث إليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الأب رجلا في تزويج ابنته إذا وجدت كفؤا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل الموكل له ووكالته ثابتة • وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفؤ ولا يوجد إلا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة وأهلية الوكيل • انتهى •

ورد عيسى عليه السلام من النبوة والرسالة كما كان قبل رفعه إلى السماء

[illegible]

النوع الثالث في وصفه تعالى له صلى الله عليه وسلم بالشهادة وشهادته له بالرسالة

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسمعيل عليهما السلام عند بناء البيت الحرام ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاءهما وبعث في أهل مكة منهم رسولا بهذه الصفة من ولد إسمعيل الذي دعا مع أبيه إبراهيم عليهما السلام بهذا الدعا **فإن قلت** من أين علم أن هذا الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم **فالجواب** من وجوه أحدها إجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قالوا وأراد بالدعوة هذه الآية وبشارة عيسى هي ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد الثالث أن إبراهيم إنما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا بها وبما حولها ولم يبعث الله تعالى إلى من بمكة إلا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد من الله تعالى على المؤمنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الآية فليس لله منة أعظم من إرساله محمدا صلى الله عليه وسلم هديا إلى الحق وإلى طريق مستقيم • وإنما كانت النعمة على هذه الأمة بإرساله أعظم النعم لأن النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذي رضي لعباده • وقوله من أنفسهم يعني أنه بشر مثلهم وإنما امتاز عليهم بالوحي وقرئ في الشواذ من أنفسهم بفتح الفاء يعني أشرفهم لأنه من بني هاشم أفضل قريش وقريش أفضل العرب والعرب أفضل من غيرهم ثم قيل لفظ المؤمنين عام ومعناه خاص في العرب لأنه ليس حي من أحياء العرب إلا قد ولده وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به أكثر فالمنة عليهم أغلظ **فإن قلت** هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الإيمان أو هو من فروض الكفاية **أجاب** الشيخ ولي الدين ابن العراقي بأنه شرط في صحة الإيمان فلو قال أؤمن برسالة محمد إلى جميع الخلق لكن لا أدري هل هو من البشر أو الملائكة أو من الجن ولا أدري هو من العرب أو العجم فلا شك في كفره لتكذيبه بالقرآن وجحده ما تلقته قرون الإسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا أعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه إياه فإن جحد بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى **فإن قلت** هل هو عليه السلام باق على رسالته إلى الآن **أجاب** أبو المعين النسفي بأنه عليه السلام الآن في حكم الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام أصل الشيء ألا ترى أن العدة تدل على ما كان من أحكام النكاح انتهى • وقال غيره إن النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه الصلاة والسلام حقيقة كما يبقى وصف الإيمان للمؤمن بعد موته لأن المتصف بالنبوة والرسالة هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى وتعقب بأن الأنبياء أحياء في قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا • وقال القشيري كلام الله تعالى لمن اصطفاه أرسلتك أن تبلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو صلى الله عليه وسلم قبل أن يوجد كان رسولا لبقاء الكلام وقدمه

قد ولده ولده بنو إبراهيم ولدته

واستحالة المطلقين وفي حال يؤثر والى الابد رسول لبقاء الكلام وقدمه واستحالة المطلقين على
الارسال الذي هو كلام الله تعالى • ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه عليه السلام حي
في قبره رسول الله الى الابد على الحقيقة لا المجاز انتهى • وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين • والمراد
بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا كتاب لهم وليس عندهم
شيء من اثار النبوة كما عند اهل الكتاب فمن الله عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل
الامم واعلمهم وعرفوا ضلال من ضل قبلهم من الامم • وفي كونه صلى الله عليه وسلم منهم فائدتان
احدهما ان هذا الرسول كان ايضا اميا كامة المبعوث اليهم لم يقرأ كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا خرج عن ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم
بل لم يزل اميا بين الاميين لا يكتب ولا يقرأ حتى بلغ الاربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب
المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه
لم يقرع العالم ناموس اعظم منه • وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه السلام • الفائدة الثانية
التنبيه على ان المبعوث منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته
وعفته انه نشأ بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على
الله عز وجل هذا هو الباطل • ولذلك سأل هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما
ادعاه من النبوة والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك • ويروى ان رجلا قال
والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية
رواه ابو صالح عن ابن عباس وعن مقاتل كان الحارث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية
واذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب • ويروى ان المشركين كانوا اذا راوه عليه السلام
قالوا انه لنبي • وعن علي رضي الله عنه قال قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب
ما جئت به فانزل الله تعالى الاية • والمعنى انهم ينكرونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة الانكار مع العلم
فان قلت فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك اجيب بانه على طريق الجحد
وهو يختلف باختلاف احوالهم في الجهل • فمنهم من وقع منه ذلك لجهله فخفي عليه الحق ومنهم من علم و
انكر كبرا وعنادا كابي جهل • فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم لا كلهم وحينئذ
لا تعارض • ويروى ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه فقيل له اتصافحه فقال والله اني
لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الاية • رواه ابن ابي حاتم • والقران كله مملوء
بالايات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته • وكيف يليق بكمال الله تعالى ان يقر
من يكذب عليه اعظم الكذب ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي كلمته
ويرفع شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه ويظهر على يديه من الايات والبراهين والادلة

ما ينبعث عن شدة قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر وساع في الارض بالفساد • ومعلوم ان
شهادته سبحانه على كل شيء وقدرته على كل شيء وحكمته وعزته وكماله المقدس يابى ذلك كل الاباء و
من ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته انه عرف منه بعض صفاته كصفة القدرة
وصفة المشيئة والقران كله مملوء من هذه الطريق • وهذه الطريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين
يستدلون به على افعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله • واذا تدبرت القران رايته ينادي على ذلك
ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى • قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين اما تراه سبحانه وتعالى يخبر ان كماله وحكمته و
قدرته تابى ان يقر من تقول عليه بعض الاقاويل بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته في
المتقولين عليه • وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك هنا انتهى جواب
الشرط ثم اخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحو الباطل ويحق الحق • وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء فاخبر ان من نفى عنه الارسال والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما
ينبغي فكيف من ظن انه ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده ويظهر على يديه الايات والادلة • وهذا في القران
كثير يستدل تعالى بكماله المقدس واوصافه وجلاله على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعو
عباده الى ذلك • وقال تعالى لمن طلب اية على صدق رسوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين
امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون • فاخبر سبحانه ان الكتاب الذي انزله يكفي من كل اية ففيه
الحجة والدلالة على انه من الله وان الله سبحانه ارسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه
من العذاب • ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه وتعالى عالما بجميع الاشياء
كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر
علمه عند شهادته وقدرته وملكه عند مجازاته وحكمته عند خلقه وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله
وحلمه عند ذنوب عباده • فتامل ورود اسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب
انتهى • وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اي شاهدا في الدنيا
باحوال الاخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا في الاخرة باحوال الدنيا من الطاعة والمعصية و
الصلاح والفساد وشاهدا على الخلق يوم القيامة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كانه تعالى يقول
يا ايها المكرم من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا مشاهدا كمال عزتنا مبشرا عبادنا بثوابنا ومحذرهم
مخالفة امرنا ومعلمهم موضع الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا منيرا يستضاء بك ومتشابعا
شعاعك على جميع من صدقك وامن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك • فذلك فضله بفضلنا
ونوالنا عليهم واحساننا اليهم • ولما كان الله تعالى قد جعله صلى الله عليه وسلم شاهدا على الوحدانية و
الشاهد لا يكون مدعيا فانه تعالى لم يجعل النبي في مسالة الوحدانية مدعيا لها لان المدعي من يقول

على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة فجعل الله تعالى نفسه
شاهدا له في مجازاة كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله يشهد انك لرسوله ومن هذا قوله تعالى
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاستشهد على
رسالته بشهادة الله له • وكذلك قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقوله
لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا • وقوله تعالى والله يعلم انك
لرسوله • وقوله تعالى محمد رسول الله فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها
غاية البيان بحيث قطع العذر بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله وقال تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا فيظهره ظهورين ظهورا بالحجة
والبيان وظهورا بالنصر والغلبة والتأييد حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصورا • ومن شهادته
ايضا ما اودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمأنينة بكلامه ووحيه فانه
الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة والسكون اليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب
والباطل والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطرة على حالها لما آثرت على الحق سواه ولما سكنت
الا اليه ولا اطمأنت الا به ولا احنت الى غيره ولهذا ندب الحق سبحانه الى تدبر القرآن فان كل من تدبره
اوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل احق كل حق واصدق كل صدق قال تعالى افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح
الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه
رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم • فهذا الشاهد في القلب من اعظم الشواهد • انتهى ملخصا
وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ففي هذه الآية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث
الى كافة الثقلين • وقالت العيسوية من اليهود وهم اتباع عيسى الاصفهاني ان محمدا صادق مبعوث الى العرب
غير مبعوث الى بني اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الآية لان قوله يا ايها الناس خطاب يتناول كل
الناس ثم قال اني رسول الله اليكم جميعا فانه ان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا في كل
ما يدعيه • فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الآية انه كان يدعي كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا
وذلك قول من يقول انه كان مبعوثا الى العرب لا لبني اسرائيل • واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا • من الناس من يقول انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر
ذلك • اما الاولون فقالوا دخله التخصيص من وجهين • الاول انه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة
المكلفين فاذا لم يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم عن ثلث
عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق • والثاني انه رسول الى الكل بشرط وصول
خبر وجوده وخبر معجزاته وشرائعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته • اما لو قدر ان اهل قوم في طرف من
اطراف الارض لم يبلغهم خبره وخبر معجزاته وشرائعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونوا مكلفين

بالاقرار

بالاقرار بنبوته • وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد
من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم مات ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم
ومفهومه ان من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور على ما تقرر في الاصول
انه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح • وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال
الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الآية خاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود
والنصارى بانه قد ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم
ولهذا قال على فترة من الرسل اي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وبين عيسى بن مريم • وقد اختلفوا في مقدار
هذه الفترة كم هي • فقال النهدي وقتادة في رواية عنه ستمائة سنة • ورواه البخاري عن سلمان الفارسي
وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال الضحاك اربعمائة وبضع وثلثون سنة • قال الحافظ عماد
الدين ابن كثير والمشهور انها ستمائة سنة • قال وكانت هذه الفترة بين عيسى بن مريم آخر انبياء بني اسرائيل
وبين محمد آخر النبيين من بني آدم على الاطلاق كما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعا انا اولى الناس
بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي • وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان
كما حكاه القضاعي وغيره • والمقصود ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وطموس من السبل
وتغير من الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم • وفي حديث
عند الامام احمد مرفوعا ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل • وفي لفظ مسلم
من اهل الكتاب • فكان الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
فهدى به الخلائق واخرجهم به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء صلوات الله
وسلامه عليه • وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي عزيز عليه ما اعنتكم
اي آثمكم بالشرك والمعاصي حريص عليكم قال الحسن عزيز عليه ان تدخلوا النار حريص عليكم ان تدخلوا
الجنة • ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا انه لم يخاطبنا بما يريد بل افهمه الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته
بل على قدر منزلتنا • والى هذا اشار صاحب البردة بقوله • لم يمتحنا بما تعيى العقول به • حرصا
علينا فلم نرتب ولم نهم • اي لم نتحير فيما القاه الينا • وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم • ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا كان يكثر ما يضرب المثل بالمحسوس
ليحصل الفهم • وهذه سنة القرآن • ومن تتبع الكتاب والسنة ترى من ذلك العجب العجاب
ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله على ابلاغهم خص المؤمنين برافته ورحمته لهم
قال تعالى من انفسكم ولم يقل من ارواحكم تقبيل الحمل الاكوني مراده بما يحمله المنفس لا بروحه المقدس
ورحم الله القائل • اذا رمت مدح المصطفى شغفا به • تلذذ ذهني هيبة لمقامه • فاقطع
ببلى انا مر الجفن مطرقا • هو اوفيه احلى من لذيذ منامه • اذا قال فيه الله جل جلاله • رؤف رحيم
في سباق كلامه • فرد البخاري الوحي والوحي معجز • المختلفيه نثره ونظامه

تنبيه

وأما قول القاضي عياض بعد ذكره الآية ثم وصفه بعدُ بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه فهو
بعد أن كان المقصد منه صحيحًا ففي ظاهره شيء لأنه يوهم أن قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق
المصدر الذي هو الحرص فيكون مخفوضًا به • ومما يقوي هذا الوهم قوة إعطاء الكلام أن الضمير
الأول في وعزته عليه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عائد على الله عز وجل فلا وجه للشدة
إلا أن تكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في هذا • وقد تأوله بعض العلماء على حذف مضاف
كراهة شدة ما يعنتهم ونحو ذلك من المضافات • والأولى والأصوب إن شاء الله تعالى أن تكون الشدة معطوفة
على رشدهم والضمير فيه يرجع إلى الموصوف وهو ما في قوله ما عنتم والهاء الثانية في عليه عائدة على
النبي صلى الله عليه وسلم • انتهى • قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين يجوز أن يكون رحمة
مفعولًا له أي لأجل الرحمة • ويجوز أن ينتصب على الحال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة وإما
على حذف مضاف أي ذا رحمة أو بمعنى راحم قاله السمين • وقال أبو بكر بن طاهر فيما ذكره القاضي
عياض زين الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته
رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل
محبوب • انتهى • وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لأن كل نبي إذا كُذّب أهلك الله من كذبه ومحمد
صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه إلى الموت أو القيامة • وأما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والآخرة و
قال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن والإنس • وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة
للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب فذاته عليه السلام كما قيل رحمة تعم المؤمن والكافر
قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم • وقال صلى الله عليه وسلم إنما أنا رحمة مهداة رواه الدارمي
والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة • وقال بعض العارفين الأنبياء خلقوا كلهم من الرحمة
ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة • ولقد أحسن القائل • غنيمة عمر الكون بهجة عيشه
سرور حياة الروح فائدة الدهر • هو النعمة العظمى هو الرحمة التي • تجلى بها الرحمن في البر والبحر
فحياته عليه الصلاة والسلام ونصحه ودعاؤه واستغفاره رحمة فرزق ذلك من قبله وحرم من
رده • فإن قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الأموال • فالجواب من وجهين
أحدهما إنما جاء بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن أوصاف الله سبحانه تعالى الرحمن
الرحيم فهو منتقم من العصاة وقد قال تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركًا ثم قد يكون سببًا
للفساد • وثانيهما أن كل نبي من الأنبياء قبل نبينا إذا كذبه قومه أهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ
والغرق وقد أخر الله تعالى عذاب من كذب نبينا إلى الموت أو إلى القيامة لا يقال إنه تعالى قال قاتلوهم
يعذبهم الله بأيديكم وقال الله تعالى ليعذب المنافقين لأنا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه • وفي
الشفا للقاضي عياض وحكي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة

شيء

شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى علي بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم أمين • انتهى • وهذا يقتضي أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أفضل من جبريل و
هو الذي عليه الجمهور خلافًا لمن زعم أن جبريل أفضل واستدل بأن الله تعالى وصف جبريل بسبعة
أوصاف من صفات الكمال في قوله إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
أمين • ووصف محمدًا صلى الله عليه وسلم وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم
مساويًا لجبريل في صفات الفضل أو مقاربًا له لكان وصف محمد صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك
وأجيب بأنا نقول على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى سوى ما ذكر فعدم الذكر وعدم ذكر الله تعالى
لتلك الفضائل ههنا لا يدل على عدمها بالإجماع • وإذا ثبت أن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخر زائدة فيكون
أفضل من جبريل وبالجملة فإفراد أحد الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفاء تلك الأوصاف عن الثاني وإذا ثبت
بالدليل الدال أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين وجب أن يكون أفضل منهم والعلم
وقال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين هذه الآية نص في أنه لا
نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول
نبي ولا ينعكس كما قدمنا ذلك في أسمائه الشريفة من المقصد الثاني • وبذلك وردت الأحاديث عنه صلى
الله عليه وسلم • فروى أحمد من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا
فأحسنها فأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون
لو تم موضع هذه اللبنة فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة • ورواه الترمذي عن بندار عن ابن عامر العقدي
وقال هذا حديث حسن صحيح • وفي حديث أنس بن مالك مرفوعًا إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول
بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره • وفي حديث جابر مرفوعًا مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى
دارًا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه
اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء • رواه أبو داود الطيالسي • وكذا البخاري ومسلم • وفي حديث
أبي سعيد الخدري فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة • رواه مسلم • وفي حديث أبي هريرة عند مسلم وأرسلت
إلى الخلق كافة وختم بي النبيون • فمن تشريف الله له صلى الله عليه وسلم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين
الحنيفي له • وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن
كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر
والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب • ولا يقدح في هذا نزول عيسى
ابن مريم عليهما السلام بعده لأنه إذا نزل كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم ومنهاجه مع أن المراد
أنه آخر من نبئ • قال أبو حيان ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لا تنقطع أو إلى أن الولي أفضل
من النبي فهو زنديق يجب قتله •

النوع الرابع في التنويه به صلى الله عليه وسلم في الكتب

السالفة كالتوراة والإنجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي

والامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل • وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان
ذكر هذا الكلام من اعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب
والبهتان من اعظم المنفرات • والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال
لهم ذلك دل على ان ذلك النعت كان مذكورا فى التورية والانجيل وذلك من اعظم الدلائل على صحة نبوته
اهل الكتاب كما قال الله تعالى ليكتمون الحق وهم يعلمون • ويحرفون الكلم عن مواضعه • والا فانهم قد عرفوا
محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا ابناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل لكنهم حرفوهما
وبدلوهما ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون • فدلائل نبوة نبينا
فى كتابيهم بعد تحريفهما طافحة واعلام شرايعه ورسالته فيهما لائحة وكيف يخفى عنهم انكارهم
وهذا اسم النبى صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفح فمشفح محمد بغير شك واعتبارهم بانهم يقولون شفحا
لاها اذا ارادوا ان يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد لله شفحا فمحمد مشفح لان الصفات التى اقروا بها هى
وفاق لاحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه الصفات
له ومن خرجت له الامم من بين يديه وانقادت له واستجابت لدعوته ومن صاحب الجمل الذى هلكت
بابل واصنامها به على انا لو لم نات بهذه الانباء والقصص من كتبهم المرتبة فيما اودع الله محكم القرآن
دليل على ذلك • وفى تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له بانه بقوله الذين
يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل • ويقول حكاية
عن المسيح انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد
ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون • ويقول الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم • وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبى قد اظل مولده ويذكرون
من صفته ما يجدونه فى كتابهم • فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة • وتحملهم انهم كانوا
يظنون انه من بنى اسرائيل فلما بعثه الله تعالى من العرب من نسل اسمعيل عظم ذلك عليهم واظهروا التكذيب
فلعنة الله على الكافرين • وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه فلا يجوز ان يحتج بباطل
من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما فى ايديهم • ويقول من علامة نبوتى وصدقى انكم تجدونى
عندكم مكتوبا وهم لا يجدون كما ذكر وليس ذلك مما يزيدهم عنه بعدا وقد كان غنيا ان يدعوهم بما ينفرهم
ويستميلهم بما يوحشهم وكم اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب وقد وقفوا
منه على مثل هذه الدعاوى • وقد روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق من طريق بن حمزة بن عبد الله بن سلام
عن جده عبد الله بن سلام انه لما سمع بمخرج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالله الذى انزل التورية هل تجد صفتى فى كتاب الله
قال انسب ربك يا محمد فارتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان

وانى

فشفح محمد

ومن خرجت له الامم

صفته

وانى لاجد صفاتك فى كتاب الله يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدى
ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى السيئة بمثلها
ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتح
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا • وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك • ولا يعارض قوله واغلظ عليهم
لان النفى محمول على طبعه الكريم الذى جبل عليه والامر عليه المعالجة • او النفى بالنسبة الى
المؤمنين والامر بالنسبة للكافرين والمنافقين كما هو مصرح به فى نفس الاية • قلوبا غلفا معناه
مغطاة واحدها اغلف ومنه غلاف السيف وغيره • واخرج البيهقى وابو نعيم عن ام الدرداء امرأة
ابى الدرداء قالت قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التورية قال كنا نجده
موصوفا فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق واعطى المفاتيح ليبصر
الله به اعينا عورا ويسمع آذانا صما ويقيم به السنة معوجة حتى تشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف • وفى البخارى عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله
ابن عمرو بن العاص قلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف فى التورية
ببعض صفته فى القرآن يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى
ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو
ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا و
آذانا صما وقلوبا غلفا • وعند ابن اسحق ولا صخب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته
والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد
الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمى به بعد النكرة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة
واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
• واخرج البيهقى عن ابن عباس قال قدم الجارود فاسلم فقال والذى بعثك بالحق لقد وجدت
وصفك فى الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول • واخرج ابن سعد قال لما امر ابراهيم باخراج هاجر
حمل على البراق فكان لا يمر بارض عذبة سهلة الا قال انزل ههنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى
مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبى الذى من ذرية ابنك الذى
تتم به الكلمة العليا • وفى التورية مما اختاروه بعد الحذف والتحريف والتبديل مما ذكره ابن
ظفر فى البشر وابن قتيبة فى اعلام النبوة تجلى الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال
فاران فسيناء هو الجبل الذى كلم الله فيه موسى وساعير هو الجبل الذى كلم الله فيه عيسى وظهرت

ابى الدرداء

فيه نبوته • وجبال فاران وهو اسم عبراني وليست لفظة الاولى مفردة جبال بني هاشم الذي كان يتحنث رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها • وفيه فاتحة الوحي وهو حدثه جبال احدها ابو قبيس والمقابل
له قعيقعان الى بطن الوادي وهو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على احد الاقوال
قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض لان مجيء الله من سيناء انزاله التورية على موسى عليه السلام بطور سيناء و
يجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير ارض الخليل
بقرية تدعى ناصرة وباسمها تسمى من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله
على المسيح الانجيل فلذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران بانزاله القران على محمد صلى الله عليه وسلم
وهي جبال مكة وليس بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك خلاف في ان فاران هي مكة وان ادعي انها
غير مكة قلنا اليس في التورية ان الله اسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي
استعلن منه واسمه فاران والنبي الذي انزل عليه كتابا بعد المسيح اوليس استعلن وعلن بمعنى واحد
وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه
وفي التورية ايضا ما ذكره ابن ظفر مخاطبا لموسى والمراد به اختارهم موسى لميقات ربه الذين اخذتهم
الرجفة خصوصا وفي بني اسرائيل عموما والله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له كما سالت ربك
في حوريث يوم الاجتماع قلت لا اعود اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله لي نعم ما قالوا
وساقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل شيء امرته وايما رجل لم يطع
من تكلم باسمي فانا انتقم منه • قال وفي هذا الكلام ادل دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله
نبيا من اخوتهم لموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم اسمعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني
اسحق لكان من انفسهم لا من اخوتهم • واما قوله نبيا مثلك وقد قال في التورية لا يقوم في
بني اسرائيل احد مثل موسى • وفي ترجمة اخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل ابدا فذهبت اليهود
الى ان هذا النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسى عليه السلام بل كان
خادما له في حياته ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين ان يكون المراد به محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفو
موسى لانه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجراء النسخ على الشرايع السالفة
وقوله تعالى اجعل كلامي في فيه فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه اوحي اليه
بكلامي فينطق به على نحو ما يسمعه ولا انزل صحفا ولا الواحا لانه امي لا يحسن ان يقرأ المكتوب
وفي الانجيل مما ذكره ابن ظغربك في الدر المنظم قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم من الاب
ان يعطيكم فارقليط اخر يثبت لكم معكم الى الابد روح الحق الذي لا يطيق العالم ان يقبلوه وهو عند
ابن ظفر بلفظ ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب لابي فيعطيكم فارقليط اخر يكون معكم
الدهر كله قال فهذا تصريح بان الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه
وسياسة خلقه منابه ويكون شريعته باقية مخلدة ابدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم ا

حوريث اسم جبل

ولم يذكر

ولم يذكر فصول فارقليط كما افاده ابن ظغربك سوى يوحنا دون غيره من نقلة الاناجيل
وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد • وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص فيفضي
بنا الامر الى ان المخلص رسول ياتي بخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد
له قول المسيح في الانجيل اني جئت لخلاص العالم • فان ثبت ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم
وهو الذي سأل الاب ان يعطيهم فارقليطا اخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط اول حتى
اتى فارقليط اخر وان تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاي لفظ اقرب الى احمد ومحمد من هذا • قال ابن
ظغربك وفي الانجيل مما ترجموه ما يدل على ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي تسمعونه
ليس هو لي بل الاب الذي ارسلني بهذا الكلام لكم فاما الفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي فهو يعلمكم
كل شيء وهو يذكركم كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا صريح في ان الفارقليط رسول يرسله الله وهو
روح القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شيء ويذكرهم
كلما قاله المسيح عليه السلام وكلما امرهم به من توحيد الله • واما قوله ابي فهذه اللفظة مبدلة محرفة وليست
منكرة عند اهل الكتابين اشارة الى الرب سبحانه وتعالى لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم
معلمه الذي يستمد منه العلم • ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالاباء الروحانية ولم يزل
بنو اسرائيل وبنو عيصو يقولون نحن ابناء الله لسوء فهمهم عن الله تعالى • واما قوله يرسله ابي باسمي
فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة وما تضمنته القران من مدحه وما
افتري في امره • وفي ترجمة اخرى للانجيل انه قال الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطية ولا
يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وهو عند ابن ظغربك بلفظ
فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ
مما هو لي ويخبركم فقوله ليس ينطق من عنده • وفي الرواية الاخرى ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم
بكل ما يسمع من الله الذي ارسله • وهذا كما قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى • وقوله وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بانه
رسول الله وبرأه وبرأ امه عليهما السلام مما نسب اليهما وامر امته بذلك • قال ابن ظغربك فمن ذا الذي
وبخ العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن الذي انذر بالحوادث
واخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم • ولله در ابي محمد عبد الله الشقراطسي حيث قال في قصيدته
المشهورة • توراة موسى اتت عنه فصدقها • انجيل عيسى بحق غير مفتعل • اخبار احبار اهل
الكتب قد وردت عما راوا ورووا في الاعصر الاول • ويعجبني قول العارف الرباني ابي عبد الله بن النعمان
هذا النبي محمد جاءت به • توراة موسى للانام مبشرة • وكذاك انجيل المسيح موافق • ذكر الاحمد معرب
ومذكر • ورحم الله ابن جابر حيث قال • لبعثته في كل جيل علامة • علينا جلتها الكتب من امره الجلي
فجاء به انجيل عيسى باخر • كما قد مضت توراة موسى باول • وفي الدلايل للبيهقي عن الحاكم بسنده لانه

اهل الكتابين

عن ابي امامة الباهلي عن ابن هشام بن العاص الاموي قال بعثت انا ورجل آخر الى هرقل صاحب
الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما قال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة
العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فاذا صورة حمراء
واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان احسن ما خلق الله تعالى قال
اتعرفون قلنا لا قال هذا آدم عليه السلم ثم فتح بابا آخر واخرج حريرة سوداء واذا فيها صورة بيضاء احمر العينين
ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلم قال ثم فتح بابا آخر واخرج حريرة
فيها صورة بيضاء فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا قلنا نعم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونبينا قال والله انه لهو ثم نهض قائما ثم جلس وقال آلله انه لهو قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه
فامسك ساعة ثم ينظر اليها ثم قال اما والله انه لآخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث
وفيه ذكر صورة الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له من اين لك هذه الصور
فقال ان آدم عليه السلم سأل ربه ان يريه الانبياء من ولده فانزل عليه صورهم فكان في خزانة آدم
عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال وفي زبور داود عليه السلم
في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا بارك الله الى الابد تقلد ايها الجبار
بالسيف فان شرائعك وسننك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون
تحتك • فهذا المرموز نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة فاضت من شفتيه هو القول الذي يقوله
وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها • وفي قوله تقلد ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي
اذ ليس يتقلد السيوف من الامم سوى العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم • وفي قوله فان شرائعك وسننك
نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه • والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق
ويصرفهم عن الكفر جبرا • وعن وهب بن منبه قال قرأت في بعض الكتب القديمة قال الله تعالى وعزتي
وجلالي لانزلن على جبال العرب نورا املأ به ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسمعيل نبيا
اميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يؤمن بي ربا وبه رسولا يكفرون بملل
ابائهم ويفرون منها [illegible] سبحانك وتقدست اسماؤك لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله
يا موسى اني انتقم من عدوه في الدنيا والآخرة واظهر دعوته على كل دعوة واذل من خالف شريعته
وبالعدل زينته وبالقسط اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت الدنيا بابراهيم
واختمها بمحمد فمن ادركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء • ذكره ابو نعيم وغيره
• النوع الخامس في آيات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما اوحى اليه من
آياته وعلو مرتبته الرفيعة ومكانته وهذا النوع افرزته من كتاب اقسام القرآن
للعلامة ابن القيم مع زيادات من فرائد الفوائد • فاعلم ان الله تعالى اقسم باموره على اموره
وانما اقسم بنفسه الموصوفة بصفاته او آياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض

مخلوقاته

مخلوقاته دليل على انه من عظيم آياته ثم انه تعالى يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة
يقسم على ان القرآن حق وتارة على ان الرسول حق وتارة على ان الجزاء حق والوعد والوعيد
فالاول كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم • والثاني
كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين • والثالث كقوله تعالى والذاريات ذروا
الى قوله وان الدين لواقع • وهذه الامور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت ان الرسول حق ثبت المعاد ومتى
ثبت ان القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به • وفي هذا النوع خمسة فصول
الفصل الاول في قسمه تعالى على ما خصه به من الخلق العظيم وحباه من الفضل العميم قال تعالى
ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم
ن من اسماء الحروف كالم والمص وق • واختلف فيها فقيل هي اسماء للقرآن • وقيل اسماء للسور
وقيل اسماء الله عز وجل ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق كما قيل
لعله اراد يا منزلهما • وقيل انه سر استأثر الله بعلمه • وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من
الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها سر بين الله ورسوله لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد
الخطاب بما لا يفيد • وهل المراد بقوله تعالى هنا نون اسم الحوت وهل المراد به الجنس او البهموت
وهو الذي عليه الارض وقيل المراد به الدواة وهو مروي عن ابن عباس ويكون هنا قسما بالدواة
والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة
قيل ان نون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يأمرهم به • رواه معاوية بن قرة مرفوعا اقسم تعالى
بالكتاب وآلته وهو القلم الذي احدى آياته واول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به
الوحي وقيد به الدين واثبتت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش
والمعاد واقام في الناس ابلغ خطيب وافصحه وانفعهم وانصحه واعظم شيء مواعظ للقلوب
من السقم وطبيبا يبرئ باذن ربه من انواع الالم على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود في كل افعاله
واقواله مما تمضضه اعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون
وكيف يرمى بالجنون من اتى بما عجزت العقلاء عن معارضته وكلت عن مماثلته وعرفهم
من الحق ما لا يهتدي اليه عقولهم بحيث دهشت له عقول العقلاء وخضعت له الباب الالباب
وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها الا التسليم والانقياد والاذعان طائعة مختارة
فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي • ثم اخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى الله
عليه وسلم في دنياه وآخرته فقال وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا غير منقطع بل هو دائم مستمر
ونكر الاجر للتعظيم اي اجرا عظيما لا يدرك بالوصف ولا ينال بالتعبير ثم اثنى عليه الامام بما
منحه فقال وانك لعلى خلق عظيم • وهذا من اعظم آيات نبوته ورسالته ولقد سئلت عائشة
رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن • وعن ابن عباس

وعزة اى على دين عظيم وسمى الدين خلقا لان الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وارادات زاكية و
اعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال
والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكتسب النفس بها اخلاقا هي ازكى الاخلاق واشرفها وافضلها
وهذه كانت اخلاقه صلى الله عليه وسلم المقتبسة من القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا
وتبيينا وعلومه علوم القرآن وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القرآن واعراضه وتركه لما منع
منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما احبه و
سعيه في تنفيذ اوامره فترجمت ام المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها
عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن وفهم السائل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى
ولما وصفه تعالى بانه على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اى ستري يا محمد
وسيرى المشركون كيف عاقبة امرك فانك تصير معظما في القلوب ويصيرون اذلاء مغلوبين
وتستولي عليهم بالقتل والنهب

الفصل الثاني في قسمه تعالى على ما انعم به عليه

واظهر من قدره العلي لديه قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى السورة
اقسم تعالى على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطائه ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه
له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد واقسم تعالى بآيتين عظيمتين من
آياته دالتين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه
الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد فيه • وتأمل
مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحي الذي
وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال اعداؤه ودع محمدا ربه فاقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل
على ضوء الوحي ونوره بعد احتباسه واحتجابه • وايضا فان الذي اقتضت رحمته ان لا يترك
عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل
والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم وآخرتهم فتأمل حسن ارتباط المقسم به
بالمقسم عليه • وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الالفاظ والجلالة التي على معانيها ونفى
سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه والتوديع الترك والقلى البغض اى ما تركك منذ اعتنى بك
ولا ابغضك منذ احبك • وحذف الكاف في قلى اكتفاء بكاف ودعك • ولان رؤوس الآيات بالالف
فاوجب اتفاق الفواصل حذفها • وهذا يعم كل احواله • وان كل حالة يرقيه اليها هي خير له من
ما قبله كما ان الدار الآخرة هي خير له مما قبلها • ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به نفسه
وينشرح به صدره وهو ان يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى
والنصر والظفر باعدائه يوم بدر وفتح مكة ودخول الناس في دين الله افواجا والغلبة على
بني قريظة والنضير وبث سراياه وعساكره في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين

في اقطار الارض من المدائن وما قذف في قلوب اعدائه من الرعب ونشر الدعوة ورفع ذكره واعلاء
كلمته وما اعطاه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة
والدرجة الرفيعة والكوثر • وقال ابن عباس يعطيه الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابها المسك
وفيها ما يليق بها • وبالجملة فقد دلت هذه الآية على انه تعالى يعطيه عليه الصلاة والسلام
كلما يرضيه • واما ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى وواحد من امته في النار او لا يرضى ان يدخل
احد من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلوات الله عليه يرضى بما يرضى به
تبارك وتعالى • وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم • كما سيأتي في المقصد الاخير ان شاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
اعرف به وبحقه من ان يقول لا ارضى ان يدخل احد من امتي النار او يدعه فيها بل ربه تعالى
وتبارك يأذن له فيشفع فيمن شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه
ثم ذكره سبحانه بنعمه عليه من ايوائه بعد يتمه فقال الم يجدك يتيما فآوى • وذهب بعضهم الى انه
يعني اليتيم من قولهم درة يتيمة المراد الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك اليه واغناك بعد
الفقر • ثم امره سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان
ينهر السائل وان يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة الحديث بها • فقيل المراد بالنعمة
النبوة والتحدث بها تبليغها

الفصل الثالث في قسمه تعالى على تصديقه

عليه السلام فيما اتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه قال الله تعالى والنجم
اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى بالنجم على تنزيه رسوله
وبراءته مما نسب اليه اعداؤه من الضلال والغي واختلف المفسرون في المراد بالنجم
باقوال معروفة • منها النجم على ظاهره وتكون ال للتعريف العهد في قول وللتعريف الجنس في آخر
وهي النجوم التي يهتدى بها • فقيل الثريا اذا سقطت وغابت • وهو مروي عن ابن عباس في رواية
علي بن ابي طلحة وعطية • والعرب اذا اطلقت النجم تريد به الثريا اذا سقطت وغابت و
عن ابن عباس في رواية عكرمة النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في آثارها عند استراق
السمع • وهذا قول الحسن وعن السدي والزهري • وعن الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيامة
وقيل المراد به النبت الذي لا ساق له • وهوى اي سقط على الارض • وقيل القرآن • ورواه الكلبي
عن ابن عباس لانه نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم • وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك
وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى نزل من السماء
ليلة المعراج • والاظهر الاول كما قاله ابن القيم انها النجوم التي ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه
قد اقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله تعالى آية وحفظا للوحي من استراق السمع
للشياطين على ان ما اتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد حرس

بالنجم إذا هوى وصدق بين يدي الوحي ومرساله • وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه
في غاية الظهور • وفي المقسم به دليل على المقسم عليه • وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى
ولا تسمية نزوله هويا ولا عهد في القرآن بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا
القسم بالثريا وحدها إذا غابت • وليس بالبين أيضا القسم بالنجوم عند انتثارها يوم القيامة
بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه بآياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا
سيما منكري البعث فإنه سبحانه إنما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه
ثم إنه بين المقسم به والمقسم عليه ما لا يخفى • فإن قلنا إن المراد النجوم التي هي للاهتداء فالمناسبة ظاهرة
وإن قلنا إن المراد الثريا فذكر أظهر النجوم عند الرائي لأنه لا يشتبه بغيره في السماء بل هو ظاهر
لكل أحد • والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الآيات البينات ولأن الثريا إذا ظهرت من
الشرق كان أوان إدراك الثمار وإذا ظهرت من الغرب قرب أواخر الخريف فقلت الأمراض والنبي
صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل لما ظهر قلت الريب والأمراض القلبية • وإن قلنا إن المراد بها
القرآن فهو أشد لأنه معجزة صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وأنه ما ضل وما غوى • وإن قلنا
إن المراد النبات فالنبات به ثبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوى العقلية بالصلاح
وذلك بالرسل وإيضاح السبل • وتأمل كيف قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى ولم
يقل ما ضل محمد تأكيدا لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله
وأعماله وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه أمرا واحدا قط • وقد نبه تعالى على
هذا المعنى بقوله عز وجل أم لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدر عن هوى
فقال تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى • ولم يقل وما ينطق بالهوى لأن نفي نطقه عن
الهوى أبلغ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فتضمن
نفي الأمرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى
والرشاد لا الغي والضلال • ثم قال تعالى إن هو إلا وحي يوحى فأعاد الضمير على المصدر المفهوم
من الفعل أي ما نطقه إلا وحي يوحى • وهذا أحسن من جعل الضمير عائدا إلى القرآن والسنة كليهما
وحي يوحى • قال الله تعالى وأنزل عليك الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة • وذكر الأوزاعي عن
حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن
يعلمه إياه • ثم أخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقرآن بما يعلم أنه مضاد لأوصاف
الشيطان معلم الضلال والغواية فقال علمه شديد القوى وهو جبريل أي قواه العلمية والعملية
كلها شديدة • ولا شك أن مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل
للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة ظاهرة • وهذا نظير قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين
وسيأتي البحث فيه إن شاء الله تعالى • ثم أخبر سبحانه وتعالى عن صدق فؤاده

مطلب: كان جبريل ينزل على الرسول بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن

فيه

لما رآه عيانا وأن القلب صدق العين وليس كمن رأى شيئا على خلاف ما هو عليه فكذب
فؤاده بصره بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم أنه كذلك • وفي قصة الإسراء مزيد
مزيد بيان لما ذكرته هنا والله الموفق والمعين • وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار
الكنس إلى قوله وما هو بقول شيطان رجيم إلى قوله وما هو بقول شيطان رجيم أي لا أقسم
إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أو أقسم ولا مزيدة للتأكيد • وهذا قول أكثر المفسرين بدليل
قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم • قال الزمخشري والوجه أن يقال هي للنفي أي إنه
لا يقسم بالشيء إلا إعظاما له فكأنه بإدخال حرف النفي يقول إن إعظامي بإقسامي به كلا
إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك • أقسم سبحانه وتعالى بالنجوم في أحوالها الثلاثة من
طلوعها وجريانها وغروبها • وبانصرام الليل وإقبال النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه
حال ضعف هذا وإدباره وحال قوة هذا وتنفسه وإقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه
فكلما تنفس هرب الليل وأدبر بين يديه وذلك من آياته ودلائل ربوبيته إنه لقول
رسول كريم وهو هنا جبريل لأنه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه به • وأما الرسول الكريم
المذكور في الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم فأضافه إلى الرسول الملكي تارة وإلى البشري أخرى
وإضافته إليهما إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء من عندهما • ولفظ الرسول يدل على ذلك فإن
الرسول يبلغ كلام من أرسله فهذا صريح في أنه كلام من أرسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم
فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل • وقد وصف الله رسوله الملكي في هذه
السورة بأنه كريم يعطي أفضل العطايا وهي العلم والمعرفة والهداية والبر والإرشاد • وهذا
غاية الكرم ذو قوة كما قال في النجم علمه شديد القوى فيمنع بقوته الشياطين أن يدنوا منه وأن يزيدوا
فيه أو ينقصوا منه • فروي أنه رفع قريات قوم لوط على قوادم جناحه حتى سمع أهل السماء نباح
كلابها وأصوات نهيقها • عند ذي العرش مكين أي متمكن المنزلة • وهذه العندية تشير إلى الإكرام
والتشريف والتعظيم • مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه
أمين على وحي الله ورسالته قد عصمه الله من الخيانة والزلل • فهذه خمس خصال تتضمن تزكية
سند القرآن وأنه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا
السند علوا وجلالة فقد تولى الله سبحانه تزكيته بنفسه • ثم نزه رسوله البشري و
زكاه عما يقول فيه أعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا أمر تعلمونه ولا تشكون فيه وإن قالوا
بألسنتهم خلافه فهم يعلمون أنهم كاذبون • ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل وهذا يتضمن
أنه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر خلافا للقوم فحقيقته عندهم أنه خيال
موجود في الأذهان لا في الأعيان • وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل وأتباعهم وخرجوا به عن جميع
الملل • ولهذا كان تقرير رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تبارك وتعالى

لا في العيان

وان رؤيته عليه السلم هي اصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن انكرها كفر قطعا • واما رؤيته
لربه تعالى فغايتها ان تكون مسئلة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق • وقد صرح جماعة من الصحابة
بانه لم يره فنحن الى تقرير رؤيته لجبريل احوج منا الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية
الرب سبحانه اعظم من رؤيته جبريل فان النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة ثم نزه تعالى رسوليه
كليهما صلى الله عليهما وسلم احدهما بطريق النطق والثاني بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة من
الكتمان الذي هو الضنة والبخل والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب
بضنين • فان الرسالة لا يتم مقصودها الا بامرين اداؤها من غير كتمان واداؤها على وجهها من غير زيادة
ولا نقصان والقرآءتان كالآيتين فتضمنت احديهما وهي قراءة الضاد تنزيهه عن البخل فان الضنين
البخيل يقال ضننت به اضن بوزن بخلت ابخل ومعناه • وقال ابن عباس ليس ببخيل بما انزل الله
وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم • واجمع المفسرون على ان الغيب ههنا القرآن والوحي •
قال الفراء يقول تعالى يأتيه غيب من السماء وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا معنى حسن
جدا فان عادة النفوس الشح بالشيء النفيس ولا سيما عمن لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى الله
عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو انفس شيء واجله • وقال ابو علي الفارسي المعنى يأتيه الغيب
فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا
واما قراءة من قرأ بظنين بالظاء فمعناه بمتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته • وليس هو من الظن
الذي هو الشعور والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين • والمعنى وما هذا الرسول على القرآن
بمتهم بل هو امين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه • وهذا يدل على ان الضمير فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم
لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي بالامانة • ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اي وما صاحبكم
بمتهم ولا بخيل فنفى سبحانه عن رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند القرآن اعظم تزكية و
انه يقول الحق وهو يهدي السبيل • وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه
لقول رسول كريم • الآية اقسم تعالى بالاشياء كلها ما يبصرون منها وما لا يبصرون • وهذا اعم قسم
وقع في القرآن فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والآخرة وما يرى وما لا يرى ويدخل في ذلك
كله من آيات قدرته وربوبيته فتضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى آية ودليل على صدق رسوله
صلى الله عليه وسلم وان ما جاء به هو من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا
كاهن وانه حق ثابت كما ان سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السماء و
الارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون • فكأنه سبحانه وتعالى يقول ان ما اتى القرآن حق كما ان ما تشاهده
من الخلق وما لا تشاهدونه موجود • ويكفي الانسان من جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه ومبدأ
خلقه ونشأته وما يشاهده من احواله ظاهرا وباطنا ففي ذلك ابين دلالة على وحدانية الرب وثبوت
صفاته وصدق ما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم • ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم يخالط

بشاشة

بشاشة الايمان قلبه • ثم اقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وانه لم يتقول عليه فيما
قاله وانه لو تقول عليه وافترى عليه واضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم واموالهم
فكيف يليق باحكم الحاكمين واقدر القادرين ان يقر على ذلك بل كيف يليق به ان يؤيده وينصره ويعليه
ويظهره ويظفره بهم ويسفك دماءهم ويبيح اموالهم واولادهم ونساءهم قائلا ان الله
امرني بذلك واباحه لي بل كيف يليق به ان يصدقه بانواع التصديق كلها فيصدقه باقراره وبالآيات
المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها على اختلافها فكل آية على انفرادها مصدقة له
ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره وفعله وقوله فمن اعظم
المحال وابطل الباطل وابين البهتان ان يجوز على احكم الحاكمين ان يفعل ذلك • والمراد
بالرسول الكريم ههنا محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم لانه لما قال انه لقول رسول كريم نفى بعده انه
ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلم بالشعر والكهانة •
ومن ذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم
في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون • قيل المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ • قال ابن القيم
والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملائكة وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مطهرة بايدي
سفرة كرام بررة • قال مالك احسن ما سمعت في هذه انها مثل التي في عبس • قال ومن
المفسرين من قال ان المراد به المصحف لا يمسه الا الطاهر • والاول ارجح لان الآية سيقت تنزيها
للقرآن ان تنزل به الشياطين وان محله لا يصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين
وما ينبغي لهم وما يستطيعون • وايضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان
نهيا لكان مفتوحا • ومن حمل الآية على النهي احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل
في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته وليس ههنا موجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي انتهى
ملخصا • وهذا الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه يجوز مس المصحف للمحدث
وقد اجاب ابن الرفعة في الكفاية عن دليلهم المزخرفة فقال ما نصه القرآن لا يصح مسه فعلم ان المراد
به الكتاب الذي هو اقرب المذكور ولا يتوجه النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن
ان يكون المراد بالمطهرين الملائكة لانه قد نفى واثبت فكأنه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين
والسماء ليس فيها غير مطهر بالاجماع • فعلم ان المراد المطهرون من الآدميين • ويبين ذلك ما روي
انه عليه السلام قال في كتاب عمرو بن حزم المروي في الدارقطني وغيره لا يمس القرآن الا وانت
على طهر ثم قال • فان قيل قد قال الواحدي ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح المحفوظ وان
المطهرين الملائكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله لا يمسه بضم السين ليس نهيا عن المراد ولو
كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر • قلنا اما قول اكثر المفسرين هو معارض بقول
المنافقين والمرجع الى الدليل • واما كون المراد بالآية الخبر فجوابه ما تقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه

النهي وهو كثير في القرآن قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها والمطلقات يتربصن
واجاب العلامة البناني في شرحه لمختصر الشيخ خليل بان يمسه مجزوم وضم السين لاجل
الضمير كما صرح به جماعة • وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى
وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين احمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي المشهور بالسمين من
زيادة ايضاح وتوليد فقال في لا يمسه وجهان الثالث انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه
لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه لقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره
بالضمة لاجل هاء ضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم • وفي حديث انا لم
نرده عليك الا انا حرم وان كان القياس جواز فتحه تخفيفا قال وهذا الذي ذكره يظهر
فساده وردّ من ردّ بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء
في هذا النحو لا سيما على رأي سيبويه فانه لا يجيز غيره •

الفصل الرابع

في قسمه تعالى على تحقيق رسالته قال الله سبحانه وتعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين
الآية • اعلم ان كل سورة بدأ الله تعالى فيها بحروف التهجي كان في اوائلها الذكر او الكتاب او
القرآن الا نون • فان قد ذكر هذه الحروف في اوائل السور امورا تدل على انها خالية
عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا ان كشف الله له سر ذلك • واختلف المفسرون
في معنى يس على اقوال احدها ان معناه يا انسان بلغة طي • هذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة
والضحاك وسعيد بن جبير • وقيل بلغة الحبشة • وقيل بلغة كلب • وحكى الكلبي انها بالسريانية
قال الامام فخر الدين وتقريره ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف الصدر منه واخذ العجز
وقال يس وعلى هذا فيكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى انك لمن
المرسلين وتعقبه ابو حيان بان الذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بياء
بعدها الف على ان اصله انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها ولا نعلم انهم قالوا في
تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم لانه منادى
مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهى • وقال السمين وهذا
الاعتراض الاخير صحيح فقد نصوا ان التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا • وكذلك يحكى
ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا
يقرب من الكفر فليتق الله قائله انتهى • وقيل معنى يس يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك • وقيل
يا رجل قاله ابو العالية • وقيل هو اسم من اسماء القرآن قاله قتادة • وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر
وعن جعفر الصادق رضي الله عنه انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده
ما لا يخفى • وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم اقسم الله به وهو من اسمائه عز وجل • وعن كعب اقسم الله
به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين • ثم قال والقرآن الحكيم انك

على انها ليست خالية

لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فاقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه
لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول
عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له صلى الله عليه
وسلم

الفصل الخامس

في قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده
قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون العمر والعمر واحد ولكنه في القسم يفتح لكثرة الاستعمال
فاذا اقسموا قالوا لعمرك القسم • قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر محذوف
والمعنى قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف فيه الفعل نحو تالله لافعلن
والمعنى احلف بالله فيحذف احلف لعلم المخاطب بانه حالف • قال الزجاج من قال لعمر الله
كانه حلف ببقاء الله عز وجل • ومن ثم قال المالكية والحنفية تنعقد بها اليمين لان بقاء الله من
صفات ذاته • وعن مالك لا يعجبني الحلف بذلك • وقال الامام الشافعي واسحق لا يكون يمينا الا
بالنية وعن احمد كالمذهبين والراجح عنه كالشافعي • واختلف فيمن المخاطب في الآية على
قولين احدهما ان الملائكة قالت للوط عليه السلام لما وعظ قومه وقال هؤلاء بناتي لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون اي يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك • والثاني ان الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وانه تعالى اقسم بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض قال ابن
عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة
احد غيره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا
انهم لفي سكرتهم يعمهون • رواه ابن جرير وابن مردويه بقوله وما سمعت الله المتلو في الكتب المنزلة و
رواه البغوي في تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا بحياته وما اقسم بحياة احد غيره وذلك يدل
على انه اكرم خلق الله على الله • وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في
قصة لوط • قال القرطبي واذا اقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز
لنا ان نحلف بحياته وقد قال الامام احمد فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم تنعقد به يمينه وتجب
الكفارة بالحنث واحتج بكونه صلى الله عليه وسلم احد ركني الشهادة • وقال ابن خويز منداد واستدل
من جوز الحلف به عليه الصلاة والسلام بان ايمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا
به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا اذا حاكموا وقال الحليف لا وحق ما حواه
صاحب هذا القبر وحق ساكن هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم • وقال تعالى لا اقسم
بهذا البلد وانت حل بهذا البلد الآية • اقسم تعالى بالبلد الامين وهو مكة ام القرى وهو بلده
عليه الصلاة والسلام وقيده بحلوله عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله واظهارا بان الله شرف المكان لشرف
اهله قاله البيضاوي • ثم اقسم بالوالد وما ولد وهو فيما قيل ابراهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه
وسلم • وعلى هذا فتتضمن السورة القسم به في موضعين • وقيل المراد به آدم وذريته وهو قول الجمهور

من المفترين • وانما اقسم تعالى بهم لانهم اعجب خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق
واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض
من مخلوق خلق لاجلهم • وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فمرجع البلاد
الى مكة ومرجع العباد الى آدم • وقوله وانت حل هو من الحلول ضد الظعن فيتضمن اقسامه
تعالى المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى
بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا لهم • وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه
وقيل المعنى وانت مستحل قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يأمن فيه الطير و
الوحش وقد استحل فيه قومك حرمتك • وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد • وعن قتادة
وانت حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت • وذلك ان الله تعالى فتح عليه
واهلها ما فتحت لاحد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار
الكعبة وغيره وحرم دار ابي سفيان **فان قلت** هذه السورة مكية وانت حل بهذا البلد
اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرت في آخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين
اجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله انك ميت وانهم ميتون وعلى كل حال
فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عليه السلام ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روي عن عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عند الله ان اقسم بحياتك دون سائر الانبياء ولكن بلغ من فضيلتك عنده ان
اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد • وقوله تعالى
والعصر ان الانسان لفي خسر اختلف في تفسير العصر على اقوال فقيل هو الدهر لانه
مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم وغير ذلك وذكر العصر
الذي بمضيه ينقضي عمر الانسان فما لم يكن في تعاقبه كسب صار ذلك عين الخسران • ولقد در القائل
انا لنفرح بالايام نقطعها • وكل يوم مضى نقص من الاجل • وفي تفسير الامام فخر الدين و
البيضاوي وغيرهما انه اقسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم • قال الامام الرازي واحتجوا بقوله صلى الله
عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استأجر اجراء فقال من يعمل لي من الفجر الى الظهر بقيراط
فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى
المغرب بقيراطين فعملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله
وهل نقصت من اجركم شيئا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا
رواه البخاري قال فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره الذي هو فيه • فيكون على هذا اقسم تعالى
بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك فكانه قال
وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف • قال

على أحد

وجه

ووجه الشبه كانه تعالى قال ربما اعظم خسرانهم اذ اعرضوا عنك انتهى • **النوع السادس**
في وصفه تعالى له عليه الصلوة والسلام بالنور والسراج المنير • اعلم ان الله تعالى قد وصف
رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • وقيل المراد القرآن ووصفه
عليه السلام بالسراج المنير في قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا والمراد كونه هاديا ومبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الهدى والرشاد فبانه اوفى وانفع
واتم من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه القدسية اعلى في النورانية من الشمس فكما
ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم
تفيد الانوار العقلية لسائر الانفس البشرية • وكذلك وصف الله الشمس بانها سراج حيث قال وجعل
فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله
نور السموات والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال وهو
الذي اشرق على العالم فاشرق على العوالم الروحانية وهم الملائكة فكانت سرجا منيرة فيستمد منها
من دونها بجود الله ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس الى صفحات الجسوم فليس
في الوجود الا نوره السارى الى الشيء منه بقدر قبوله ووسع استعداده ورحب تلقيه •
والنور في الاصل كيفية يدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين
الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما • وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير
مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم • او بمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورهما
بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار والملائكة والانبياء من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور
القوم لانهم يهتدون به في الامور • ويؤيد هذا القول قراءة علي بن ابي طالب وزيد بن علي رضي الله
عنهما ونحوهما نور فعلا ماضيا والارض بالنصب • وقوله مثل نوره اي مثل هداه سبحانه وتعالى
واضاف النور الى السموات والارض لما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات
والارض ولعل المراد اهل السماء والارض وانهم يستضيئون به • وعن ابن عمر اي مثل الايمان في
قلب محمد كمشكوة فيها مصباح فالمشكوة نظير صدر عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله عليه
والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد صلوات الله وسلامه عليه • وعن غيره المشكوة نظير ابراهيم
والزجاجة نظير اسماعيل عليهما السلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة
وعن ابي سعيد الخراز المشكوة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله
في قلب محمد صلى الله عليه وسلم • وعن كعب الاحبار النور الثاني هذا محمد صلى الله عليه وسلم فيها صفته
وعن سهل بن عبد الله مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكوة صفتها
كذا وكذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري يوقد لما فيه من الايمان
والحكمة يوقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة • وقوله تعالى

يكاد زيتها يضيء اي يكاد نبوة محمد تبين للناس قبل كلامه • حكى هذا القول الاخير القاضي ابو الفضل
اليحصبي والفخر الرازي لكنه عن كعب الاحبار • وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي
قال عبد الله بن رواحة • لو لم تكن فيه آيات مبينة • كانت بديهته تنبيك بالخبر • لكن
التفسير الاول في هذه الآية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الآية ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات
فاذا كان المراد بقوله مثل نوره اي مثل هداه كان قبل ذلك مطابقا لما قبله

النوع السابع في آيات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته • قال الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله • وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين • قال القاضي عياض
فجعل طاعته طاعة رسوله • وقرن طاعته بطاعته • ووعد على ذلك بجزيل الثواب • واوعد على مخالفته
بسوء العقاب • وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يعني من اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا
الى الخلق احكام الله فهو في الحقيقة ما اطاع الا الله • وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله تعالى
ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا فان من اعماه الله عن الرشد واضله عن الطريق فان احدا من الخلق
لا يقدر على ارشاده • وهذه الآية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي
وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله • وايضا وجب ان يكون معصوما
في جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته واتبعوه • والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير
فثبت ان الانقياد له في جميع اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة لله وانقياد لحكم الله تعالى
قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين الآية • وهذا عام في المطيعين من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في
المعية في هذه الدار وان فاتت فيها معية الابدان • وقد ذكروا في سبب نزول الآية ان ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما
وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال
يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت
الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين واني ان لم ادخل
الجنة فحينئذ لا اراك ابدا • فنزلت هذه الآية • وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال اصحاب
محمد يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قد مت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله الآية
وذكر عن عكرمة مرسلا قال اتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لنا منك نظرة في الدنيا
ويوم القيامة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات العلى فانزل الله هذه الآية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انت معي في الجنة • وذكر ايضا فيها روايات اخر تأتي ان شاء الله تعالى في مقصد محبته
صلى الله عليه وسلم • لكن قال المحققون لا ينكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الآية

يجب

يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص السبب
لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الآية عامة في حق جميع المكلفين وهو ان كل من اطاع الله واطاع
الرسول فقد فاز بالدرجات العلية والمراتب الشريفة عنده تعالى • ثم ظاهر قوله تعالى
ومن يطع الله والرسول انه يكفي الاكتفاء بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي
في جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره وان يحمل الطاعة
على فعل المأمورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الفساق
والكفار لانهم قد يأتون بالطاعة الواحدة • قال الرازي قد ثبت في اصول الفقه ان الحكم
المذكور عقيب الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف • واذا ثبت هذا فنقول قوله
من يطع الله اي في كونه الها وطاعة الله في كونه الها هي معرفته والاقرار بجلالته وعزته وكبريائه و
صمديته فصارت هذه الآية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد • فالاول منشأ جميع السعادات
يوم القيامة عند اشراق الروح بانوار معرفة الله فكلما كانت هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها
اقوى كان الى السعادة اقرب والى الفوز بالنجاة اوصل • والثاني ان الله تعالى ذكر في الآية
السابقة وعد اهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجزيل ثم ذكر في هذه الآية وعدهم بكونهم
مع النبيين • وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون
الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز
فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا
زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد
من هذه المعية • وقد ثبت وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المرء مع من احب
وثبت ايضا انه قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم
العذر • والمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب
لا بالقالب • ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن اقرب الناس وهو بين النصارى
بارض الحبشة • وعبد الله بن ابي من ابعد الخلق عنه وهو معه في المسجد • وذلك ان العبد اذا
غلب عليه امر من طاعة او معصية او شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه • و
الارواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة
الزمانية والمكانية بعد عظيم • وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و
يغفر لكم ذنوبكم وهذه الآية الشريفة تسمى آية المحبة • وقال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله
آية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها
فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فلا
محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله الرسول عليه السلام مشروطا

بالبر

بمحبتهم لله وشرط المحبة الله لهم وجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فلا محبة لكم حاصلة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المحبة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودل على ان متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فلا يكون شيء احب اليه من الله ورسوله ومتى كان عنده شيء احب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله • قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين • فكل من قدم طاعة هؤلاء على طاعة الله ورسوله او قول احد منهم ورجاء او التوكل عليه على قول الله ورسوله او مرضاة احد منهم على مرضاة الله ورسوله او خوف احد منهم او رجاءه او التوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه او معاملة احد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان قال بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه • انتهى ملخصا من كتاب المدارج • وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله في مقصد محبته عليه الصلوة والسلام • وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الى الصراط المستقيم فجعل رجاء الاهتداء اثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلال فكلما اتى به الرسول يجب علينا الا ما خصه الدليل • قال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه • قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا • قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين • ولا مزيدة للتاكيد لمعنى القسم كما في لئلا يعلم ولا يؤمنون جوابه • اقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انهم لا يؤمنون حقيقة حتى يحكموا الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم يوافق او يخالف كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا يدل على ان من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا على انه لا بد من حصول الرضى في القلب وذلك بان يحصل الجزم واليقين في القلب بان الذي يحكم به عليه السلام هو الحق والصدق فلا بد من الانقياد باطنا وظاهرا • وسياتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه السلام • ثم ان ظاهر هذه الاية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه وانه لا يجوز العدول الى غيره • وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم

حرجا

حرجا مما قضيت مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد ان لا يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قاله الامام فخر الدين وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس • وبه صرح العلامة التاج ابن السبكي في جمع الجوامع

النوع الثامن فيما يتضمن الادب معه صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فمن الادب ان لا يتقدم بين يديه بامر ونهي ولا اذن ولا تصرف حتى يامر هو وينهى وياذن كما امر الله تعالى بذلك في هذه الاية • وهذا باق الى يوم القيمة لم ينسخ فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم • قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضيه الله على لسانه • وقال الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره لا تامروا حتى يامر ولا تنهوا حتى ينهى • وانظر ادب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلوة والسلام في الصلوة ان يتقدم بين يديه كيف تاخر وقال ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اورثه مقامه والامامة بعده فكان ذلك التاخر الى خلفه وقد اوحى اليه ان اثبت مكانك سعيا الى قدام بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق المطي • ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض • قال الرازي افاد انه ينبغي ان لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل في قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم فلا ينبغي ان يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض • قال ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كانا في مخمصة ووجد العبد ما لو لم ياكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه في التهلكة لانجاء سيده ويجب لانجاء النبي صلى الله عليه وسلم • وكما ان الرجل العضو اولى بالرعاية من غيره لان عند الخلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا بخلاف العبد والسيد • انتهى • واعلم ان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة • وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي السرار وان عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه • وقد روي ان ابا جعفر امير المؤمنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية • ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية • وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء

الحجرات الاية • وان حرمته وفاته كحرمته حياة فاستحيا لها ابو جعفر واذا كان رفع الصوت
فوق صوته موجب لحبوط الاعمال فما الظن برفع الاراء ونتائج الافكار على سنته وما جاء به
ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضا قال تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا • وفيه قولان للمفسرين احدهما ان لا يكون تدعونه
باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع فعلى هذا المصدر
مضاف الى المفعول اي ودعاؤكم الرسول • والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء
بعضكم بعضا ان شاء اجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم
التخلف عنها البتة فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر
مضاف الى الفاعل اي دعاؤه اياكم • وقد تقدم في الخصائص من المقصد الرابع ان مذهب الشافعي
ان الصلوة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم فيها • ومن الادب معه عليه الصلوة والسلام
انهم اذا كانوا معه على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب احد مذهبا في حاجته
حتى يستاذنه كما قال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع
لم يذهبوا حتى يستاذنوه • فاذا كان هذا مذهبا مقيدا لحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف
بمذهب مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه ودقيقه وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون استيذانه
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون • ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله
بل تستشكل الاراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه
عن حقيقته لخيال المخالف يسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول • ولا يوقف قبول
ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من قلة الادب وهو عين الجراءة • ومن الادب معه صلى الله عليه
وسلم كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمله معارضة خيال
باطل يسميه معقولا او يسميه شبهة او شكا او يقدم عليه اراء الرجال وزبالات اذهانهم
فيوحد بالتحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة و
التوكل فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم
الى غيره ولا يرضى بحكم غيره • انتهى ملخصا من المدارج • والقران مملوء بالايات المرشدة الى الادب معه
صلى الله عليه وسلم فلتراجع • النوع التاسع في ايات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة
على عدوه صلى الله عليه وسلم ترفيعا لشانه قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك
بمجنون لما قال المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اجاب سبحانه وتعالى عنه عدوه بنفسه
من غير واسطة • وهكذا شان الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه جوابه فمن صبر
له فهنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه منتصرا له لان نصرته تعالى اتم من نصرته وارفع لمنزلته ورده
ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده فاقسم تعالى بما اقسم به من عظيم اياته على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله

مبالغة

مما عنته

مما عنته اعداؤه الكفرة وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون • وسيعلم اعداؤه المكذبون
له انهم المفتونون هم وهو وقد علموا هم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ وينكشف
ويظهر كل الظهور في الاخرة بحيث تتساوى اقدامهم في العلم به • وقال تعالى وما صاحبكم بمجنون
ولما راى العاصي بن وائل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند
باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من ذا
الذي كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك
هو الابتر اي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير • ولما قالوا افترى على الله كذبا قال الله تعالى
بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد • ولما قالوا لست مرسلا اجاب الله
عنه يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين • ولما قالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون
رد الله تعالى عليهم فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم
لذائقوا العذاب الاليم • ولما قالوا ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون رد الله عليهم بقوله
وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين • ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا
افك افتريه واعانه عليه قوم اخرون سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاءوا ظلما وزورا
وقال قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض • ولما قالوا يلقيه اليه شيطان قال تعالى
وما تنزلت به الشياطين الاية • ولما تلي عليهم نبأ الاولين قال النضر بن الحارث لو نشاء
لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين قال الله تعالى مكذبا لهم قل لئن اجتمعت الانس و
الجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله • ولما قال الوليد بن المغيرة ان
هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر قال الله سبحانه وتعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون تسلية له صلى الله عليه وسلم • ولما قالوا محمد قلاه ربه فرد الله تعالى
عليهم بقوله ما ودعك ربك وما قلى • ولما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
قال سبحانه وتعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
ولما حسدته اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا ما همته الا النكاح رد الله
عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم
الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما • ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذي
حكاه الله تعالى عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
وجهلوا ان التجانس يورث التوانس وان التخالف يورث التباين قال الله تعالى قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون
رسولهم من الملائكة لكن لما كان اهل الارض من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر • ولما اجل

هذه الكرامة وقد كانت الانبياء انما يدفعون عن انفسهم ويردون على خصمائهم • كقول نوح
يا قوم ليس بي ضلالة وقول هود ليس بي سفاهة واشباه ذلك

النوع العاشر

في ازالة الشبهات قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى • اعلم انه قد اتفق على انه
صلى الله عليه وسلم ما ضل الخطة واحدة قط • وهل هو جائز عقلا على الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه
قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز لما فيه من التنفير • وعند اصحابنا انه جائز في العقول
ثم يكرم الله تعالى من اراد بالنبوة الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجائز لم يقع قال الله تعالى
ما ضل صاحبكم وما غوى • قاله الامام فخر الدين • وقال ابو الفضل اليحصبي في الشفا والصواب انهم
معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار و
الآثار على الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان على اشراق
اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة • ولم ينقل احد من اصحاب اهل الاخبار ان احدا
نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك • ومستند هذا الباب النقل • ثم قال وقد استبان
لك بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة
تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا • ولا بشيء مما
قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا وعقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول
منذ نبأه وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا و
تنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا • وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضا و
غضب وجد ومزح مما يجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين فان من يجهل ما
يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد
في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل صاحبه دار
البوار • وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم و
اتباع آثارهم وسيرهم مطلقا • وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة
في غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم الصغائر
لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة والاباحة و
الحظر والمعصية • انتهى • واختلف في تفسير هذه الآية بوجوه كثيرة احدها
ووجدك ضالا عن معالم النبوة • وهو مروي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب و
نحوه قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان
تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان • قاله السمرقندي وانه لا استدلال له لقوله
ما الكتاب ولا الايمان

وقال

وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام فقد كان عليه السلام قبل مؤمنا
بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسيأتي آخر
هذا النوع مزيد لذلك ان شاء الله تعالى • الثاني من معنى قوله تعالى ضالا ما روي ونحوه
ما ذكر الامام فخر الدين انه قال عليه السلام ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع
يقتلني فهداني الله • الثالث يقال ضل الماء في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الآية كنت مغمورا
بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت دينه • الرابع ان العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة
ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمرة الايمان بالله تعالى
ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في مفازة الجهل • الخامس قد يخاطب السيد والمراد قومه
اي وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك • السادس اي محبا للمعرفة • وهو مروي عن ابن عطا
والضحاك والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا
ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا • السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة
المعراج نسي ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه تعالى الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي ثناء عليك
الثامن اي وجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه كقوله تعالى وانزلنا اليك
الذكر وهذا مروي عن الجنيد • العاشر عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت
بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبينه ثم ما هممت
بعدهما بشيء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى بأعلى مكة لو حفظت لي
غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى اتيت اول دار من دور مكة فسمعت عزفا بالدفوف
والمزامير فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ثم قلت ليلة اخرى
مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله
برسالته • واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقد احتج جماعة
من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغائر على الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وبظواهر
كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم كما قال القاضي عياض الى تجويز الكبائر وخرق
الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكلما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات
في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا
وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير
الى ما صح انتهى • وقد اختلف في هذه الآية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل
سمع له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرحال • وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اعبائه • وقيل المراد به تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر القيام بامرها وحفظ
موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه حتى تيسرت له • وقيل الوزر

ما كان بحرمة من تخييرهم لسنة للخليل عليه السلم وكان لا يعدد على نعمهم الى ان قوّاه الله تعالى
وقال اتبع ملة ابراهيم حنيفا • وقيل معناه عصمك من الوزر الذى انقض ظهرك لو كان ذلك
الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا • ومن ذلك ما فى الحديث انه عليه السلم حضر وليمة
فيها دفٌ ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه فما ايقظه الا حر الشمس من الغد • وقيل ثقل شغل
سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا لك ذلك • وقيل معناه خففنا عليك ما حملت
بحفظنا لما استحفظت حفظه عليك • ومعنى انقض اى كاد ينقضه • قال القاضى فيكون المعنى
على من جعل ذلك قبل النبوة اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه
بعد النبوة نعدها اوزارا ثقلت عليه واشفق منها • وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه
فامّنه الله تعالى من عذابهم فى العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة فى الآجل
واما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر • فقال ابن عباس اى انك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب ان لو كان • وقال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك
وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبرى واختاره القشيرى • وقيل ما تقدم
لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك • حكاه السمرقندى والسلمى عن ابن عطا • وقيل المراد امته
وقيل المراد بالذنب ترك الاولى كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين • وترك الاولى ليس
بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان فى اباحة الفعل • وقال السبكى قد تأملتها يعنى الآية
مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبى صلى الله عليه وسلم من غير ان
يكون هناك ذنب ولكنه اريد ان يستوعب فى الآية جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية
وجميع النعم الاخروية شيئان سلبية وهو غفران الذنوب وثبوتية وهى لا تتناهى اشار اليها
بقوله ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان دينية اشار اليها بقوله ويتم نعمته عليك
ويهديك صراطا مستقيما ودنيوية وهى قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم قدر النبى عليه السلم
باتمام انواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة فى غيره • ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذى عظمه و
فخمه باسناده اليه بنون العظمة وجعله خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم بقوله لك وقد سبق
الى نحو هذا ابن عطية فقال انما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة • ثم قال وعلى تقدير
الجواز لا شك ولا ارتياب انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحى يوحى • واما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتأسى به فى كل ما يفعله
من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم فى ذلك توقف ولا بحث حتى اعماله فى السر و
الخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم • ومن تأمل احوال الصحابة معه
صلى الله عليه وسلم استحيى من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك • انتهى • واما قوله تعالى يا
ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا مرية انه صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق و

الامر

والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به اذ لا يصح ان يقال للجالس اجلس ولا
للساكت اسكت • ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين
ولا المنافقين حاشاه الله من ذلك وانما امره الله تعالى بتقوى توجب استدامة الحضور
واجاب بعضهم عن هذا ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه السلم
فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه تركا للافضل وكان له فى كل ساعة تقوى تجدد • وقيل المراد دم على
التقوى فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان آتيك وللساكت قد اصبت فاسكت تسلم اى دم
على ما انت عليه • وقيل الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته • ويدل عليه قوله تعالى ان الله
كان بما تعملون خبيرا اذ لم يقل بما تعمل • واما قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل
الذين يقرؤون الكتاب من قبلك • الآية • فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن خاطب بهذا • فقال قوم
المخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم • وقال آخرون المخاطب به غيره • واما من قال بالاول
فاختلفوا على وجوه الاول ان الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الظاهر والمراد غيره كقوله
فاذا طلقتم النساء • وكقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك • وكقوله تعالى يا عيسى بن مريم أأنت
قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله • ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير
وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاذا اراد ان يأمر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه
اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك اقوى تأثيرا فى قلوبهم • الثانى قال الفراء علم
الله تعالى انه رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك • ولكن هذا كما يقول الرجل لولده ان كنت ابنى فبرنى ويقول لعبده
ان كنت عبدى فاطعنى • الثالث انه يقال لضيق الصدر شاك يقول اذ ضقت ذرعا بما
من تعنتهم واذاهم فاصبر واسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم
وكيف كان عاقبة امرهم من النصر • فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد فى الكتب المتقدمة وان القرآن
مصدق لما فيه • او تهييج الرسول عليه السلم وزيادة تثبيته او يكون على سبيل الفرض والتقدير لا امكان
وقوع الشك له • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية والله لا اشك ولا اسأل
• واما الوجه الثانى وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقريره ان الناس كانوا فى زمانه عليه السلم
فرقا ثلثة المصدقون به والمكذبون له والمتوقفون فى امره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا
الخطاب فقال فان كنت فى شك ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى على لسان نبينا فاسأل
اهل الكتاب ليدلك على صحة نبوته • وهذا مثل قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم يا ايها
الانسان انك كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه فكذا هنا
ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان يلحقوا بالقسم الثانى وهم المكذبون فقال
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين • واما قوله فلا تطع المكذبين فاعلم
انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار فى امره صلى الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما انعم الله به

عليه من الكمال في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي قلبه ويدعوه الى التشدد مع قومه ويقوي
قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل فقال ولا تطع المكذبين
والمراد رؤساء الكفار من اهل مكة • وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله تعالى ان يطيعهم و
هذا من الله تهييج للتشديد في مخالفتهم • وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم لا يعلمون ذلك • او يكون المراد قل لمن امترى يا محمد
لا تكونن من الممترين • والنبي صلى الله عليه وسلم يخاطب به غيره • وقيل غير ذلك • واما قوله
ولو شاء لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين فقال القاضي عياض لا يلتفت الى قول من
قال لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من
صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء • والمقصود وعظهم لئلا يتشبهوا في امورهم
بسمات الجاهلين • وليس في الاية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه عن الكون عليها فامره
صلى الله عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض القوم ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة
التحسر حكاه ابو بكر بن فورك • وقيل معنى الخطاب لامته عليه السلام اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد
المكي قال ومثله في القرآن كثير • وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال
ان تطيعوا الذين كفروا • وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه
ذلك فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا • والله سبحانه
ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما طردهم
عليه السلام وما كان من الظالمين • واما قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله
والذين هم عن آياتنا غافلون وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف فلم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك
قط فلم تعلمها الا بوحينا • واما قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية
فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم • والنزغ ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج
فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه
ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط
عليه باكثر من التعرض له • ولم يجعل له قدرة عليه • وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في
صورة الملك ويلبس عليه حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه كما قدمنا
في المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته • واما قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته • الاية فاحسن ما قيل
فيها ما عليه جمهور المفسرين ان التمني المراد به هنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله
بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك
على افهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله تعالى وينسخه ويكشف لبسه و

يحكم

يحكم آياته • قال القاضي عياض • وقد تقدم في المقصد الاول مزيد لذلك • قال في الشفاء واما قوله
عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه
ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان
اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما
كان على بلال الموكل بصلاة الفجر • هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب
النوم عن الصلاة • واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة
به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله
قال واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات فليس فيها اثبات ذنب له عليه السلام
بل اعلام الله تعالى ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى • وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال
الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى • وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله لا معصية ولا مخالفة له • وما قصه
الله تعالى من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه
بقوله وما عليك الا يزكى اذ ليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام اي لا يبلغن بك الحرص
على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوته ان عليك الا البلاغ • وقد كان ابن ام مكتوم
يستحق التأديب والزجر لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم
لاولئك الكفار • وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه السلام
بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه السلام ايذاء له وذلك معصية عظيمة فثبت ان
ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان
هو الواجب المتعين وقد كان عليه السلام ماذونا له في تأديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه
يستحق مزيد الرفق • واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية • فروى ابن ابي حاتم عن مسعر
عن عون قال اسمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدأ بالعفو قبل المعاتبة • وكذا قال مورق
العجلي وغيره • وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التي في سورة النور فرخص له في ان يأذن
لمن شاء فقال تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رأيه
وقال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين
واخذه الفداء من الاسرى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون • واما قول بعضهم ان هذه الاية تدل على
انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة ذنب • وقوله
لم اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار • فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا
ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما
عنده عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله لا عرفت

حقّ فلا يكون غرضه في هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا بمعنى غفر
بل كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم يجب عليهم قط اي لم يلزمهم
ذلك ونحوه للقشيري كما قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا • واما الجواب عن الثاني فيقال اما ان يكون
صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله
لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك فقوله
عفا الله يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه
على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب
شاف كاف قاطع • وعند هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل • بل لم يعد هذا
اهل العلم معاتبة • قال وغلط من ذهب الى ذلك قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه
وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله سبحانه انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم • واما قوله تعالى في اسارى بدر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة الاية الى عظيم ففي
مسلم من افراده من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون
واسر سبعون واستشار النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم
والعشيرة والاخوان واني ارى ان تاخذ منهم الفدية فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار
وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب
قال قلت والله ما ارى ما راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه و
تمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان يضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين
هؤلاء صناديدهم فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فاخذ منهم الفدا فلما كان من الغد غدوت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر الصديق قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك
انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي
للذي عرض على اصحابك من الفدا لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله
ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى قوله عظيم • وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى
يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه
صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل به من بين سائر الانبياء عليهم السلام فكانه قال
ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي واما قوله تعالى
تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده
والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك

انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر رضي الله عنه
ان يعطف عليهم العدو • ثم قال لولا كتاب من الله سبق • واختلف المفسرون في معنى هذه الاية فقيل
معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية
وقيل لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم • وقيل انه
لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل
له لم يعص • قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا • وقيل بل كان مخيرا عليه السلام في ذلك
وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك
في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم العام المقبل مثلهم فقالوا الفداء
ويقتل منا وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان
الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم
وكلهم غير عصاة ولا مذنبين • قال القاضي وكون العلا خير الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله
ابن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عاتب الله ذلك عليهم وذلك قبل
بدر بازيد من عام • فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان على تاويل
وبصيرة على ما تقدم قبل ذلك مثله فلم ينكره الله تعالى عليه • لكن الله سبحانه اراد تعظيم بدر
وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل
ذلك لا على وجه عتاب او انكار او تذنيب • قال القاضي عياض واما قوله تعالى
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية
فالمعنى لولا ان ثبتناك لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب
فضلا عن ان تركن اليهم • وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الدواعي اليها للعصمة
بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف ما يعذب به غيرك
في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير خطير • وقد عاذه الله تعالى من الركون الى عدوه
بذرة من قلبه ومما يعزى للحريري ما يؤيد ذلك • قوله • الجوى هذا العصر ماهي لفظة
جرت في لساني جرهم وثمود • اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت • وان اثبتت قامت مقام
جحود • وهذا الاول وهو النفي المثبت نحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني
وهو الثبوت المنفي نحو قوله تعالى لقد كدت تركن فالواو هو صلى الله عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن
واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين • فالمعنى لو
افترى علينا بشيء من عند نفسه لاخذنا بيمينه وقطعنا نياط قلبه واهلكناه • وقد اعاذه الله تعالى
من التقول عليه • فان قلت لا مرية انه يعظم المحب ولصاحب المحاسن والاحسان ما لا يعظم

لغيره ويسامح ما لا يسامح به غيره • كما قال الشاعر • واذا الحبيب اتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع • ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن
والاحسان الاكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الوارد ان وقع منه ما يكره
وكم من ركن الى اعدائه ومتقول عليه من قبل نفسه لم يتبعه كارباب البدع ونحوهم فالجواب
ان لا تنافي بين الامرين فان من كملت عليه نعمة احد وخصه منها بما لم يخص به غيره واعطاه
منها ما لم يعط غيره فحباه بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام اقتضت حاله من حفظ مرتبة
القرب والولاية والاختصاص ان ترعى مرتبته من ادنى مشوش وقاطع فلشدة الاعتناء به
ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه اتم ونعمه
عليه اكمل • فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا اغفل او اخل بمقتضى مرتبته نبه
بالمرتبة عليه البعيد مع كونه يسامح به ذلك ايضا فيجتمع في حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما
وعدم مناقضتهما فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح خاصته واولياءه بما لا يسامح به من ليس
في منزلتهم ويؤاخذهم بما لم يؤاخذ به غيرهم • وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب
من الآخر واقرب الى قلبك واعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع فيه المعاملتان بحسب قربه
منك وحبك له وعزته فاذا نظرت الى كمال احسانك اليه واتمام نعمتك عليه اقتضت معاملته
بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته
وكمال عبوديته ونصحه وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملة بحسب
ما بينه وبينك • وقد ظهر اعتبار هذا في الشرع حيث جعل حد من انعم عليه بالتزويج اذا تعدى الى الزنا
الرجم وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد • وكذا ضاعف الحد على الحر الذي قد ملك نفسه و
اتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم يحصل له هذه النعمة نصف
ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خلقه • فلله سر تحت كل لطيفة • فاخو البصائر غائص متغلغل
انتهى ملخصا ... واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقيل معناه ما كنت
تدري الايمان على التفصيل الذي شرع لك في القرآن • وقال ابو العالية هو بمعنى الدعوة الى الايمان
لانه كان قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الى الايمان بالله تعالى • وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين
كان في المهد وقبل البلوغ حكاه الماوردي والواحدي والقشيري • وقيل انه من حذف المضاف اي
ما كنت تدري اهل الايمان اي من الذي يؤمن ابو طالب او العباس او غيرهما • وقيل المراد به شرائع الايمان
ومعالمه وهي كلها ايمان • وقد سمى الصلوة ايمانا بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الى البيت
المقدس • فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص • قاله ابن قتيبة وابن خزيمة • وقد اشتهر في الحديث
انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر • وروى ابو نعيم وابن عساكر عن علي
رضي الله تعالى عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط

قال

قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان • وقد ورد
ان العرب لم تزل على بقايا من دين اسمعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة • وكان
عليه السلم لا يقرب الاوثان ويعيبها ولا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه فذلك
قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان الذي هو الاقرار بالله لان اباءه
الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون مع شركهم • انتهى ملخصا

المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته ومحبة آله واصحابه
وقرابته وعترته وحكم الصلوة والتسليم عليه زاده الله شرفا وفضلا لديه • وفيه ثلثة فصول

الفصل الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم •
اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون • واليها شخص العاملون
والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون • وبروح نسيمها تروح العابدون • فهي قوت القلوب
وغذاء الارواح وقرة العيون • وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات • والنور الذي من
فقده ففي بحار الظلمات • والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام • واللذة التي من لم يظفر بها
فعيشه كله هموم وآلام • وهي روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت منها
فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل اثقال السائرين الى بلاد لم يكونوا الا بشق الانفس
بالغيه • وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها ابدا واصليها • وتبوؤهم من مقاعد الصدق
الى مقامات لم يكونوا لولاها داخليها • وهي مطايا القوم التي سراهم على ظهورها دائما الى الحبيب
وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم منازلهم الاولى من قريب • تالله لقد ذهب اهلها بشرف الدنيا و
الآخرة اذ لهم من معية محبوبهم اوفر نصيب • وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته
وحكمته البالغة ان المرء مع من احب • فيالها من نعمة على المحبين سابغة • لقد سبق القوم السعاة وهم
على ظهور الفرش نائمون • ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون • من لي بمثل سيرك المدلل
تمشي رويدا وتجي في الاول • اجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح • وواصلوا اليه المسير
بالادلاج والغدو والرواح • وبذلوا انفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح
ولقد حمدوا عند وصولهم سراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح

وقد اختلفوا في المحبة وعباراتهم وان كثرت فليست في الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هي
اختلاف احوال واكثرها ترجع الى ثمرتها دون حقيقتها • وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة
عند اهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه
وهذا قول صاحب منازل السائرين المعاندة المحبة لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها
الا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة باوضح من المحبة • وانما يتكلم الناس في
اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على

المحبة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا
لمعناها حرفين متناسبين للمسمى غاية المناسبة الحاء التي هي من اقصى الحلق والباء الشفهية
التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا لان شان المحبة وتعلقها بالمحبوب كذلك
فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها مطابقة
لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها دون الضمة وخفة المحبوب
وذكره على قلوبهم والسنتهم فتامل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعاني
يطلعك على قدر هذه اللغة وان لها شانا ليس لسائر اللغات وحد بعضهم رسوم وحدود قيلت
في المحبة بحسب اثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام منها فمنها موافقة الحبيب في المشهد
والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته واثبات المحبوب لذاته وهذا من احكام الفنا
في المحبة وهي ان تمحى صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا اتم من هذا لا
يدركه الا من افناه وارد المحبة عنه واخذه منه ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل
من حبيبك وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق
لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ولو ناله من محبوبه ايسر شيء لاستكثره
واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول
لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله ايضا وهو
حكم المحبة وموجبها ومنها هبتك كلك لمن احببته فلا يبقى لك منك شيء وهو لسيدنا ابي عبد الله
القرشي وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزماتك وافعالك
ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها في مرضاته ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه
فتاخذه منه له ومنها ان تمحو من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب
بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وهو
للشبلي ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها ان يكون مثلك محبه ومنها غض طرف
المحب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر
واما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل لكن عند استيلاء سلطان
المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشيء
بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك
في حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه
الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل بالمشاهدة لا يوصف وانشد بعضهم فاسكر
القوم دور الكاس بينهم لكن سكري نشا من رؤية الساقي ومنها سفر القلب في طلب
المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام واما السفر القلب فهو الشوق الى لقائه واما

لهج اللسان فلا ريب ان من احب شيئا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة ونحو ذلك من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم من الميل اليها لموافقتها او لاستلذاذه
بادراكه بحاسته او يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب
على حب من احسن اليها كما رواه ابو نعيم في الحلية وابو الشيخ وغيرهما فاذا كان الانسان يحب من منحه
في دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه
منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره
على ما فيه صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن
الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم وقد اخرجنا الله به من ظلمات الكفر
الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب لبقاء مهجنا
الابدي في النعيم السرمدي فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة وحياته
لاحد بعد الله كما له علينا ولا افضال لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره او نقوم من
واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والاخرة واسبغ علينا نعمه ظاهرة
وباطنة فاستحق ان يكون حظه من محبتنا لانفسنا واولادنا واهلينا واموالنا والناس اجمعين
بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا
وقد روى انس انه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس
اجمعين رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفي رواية النسائي
تقديم الولد وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب عن انس والناس اجمعين وفي
صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد ادخل في المعنى لانهما اعز
على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسه ولهذا لم يذكر النفس في حديث ابي هريرة
وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال الخطابي والمراد بالمحبة هنا
حب الاختيار لا حب الطبع وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة والمطمئنة
فان من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان
حكمه بالعكس وفي كلام القاضي عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم
والاجلال وتعقبه صاحب المفهم بان ذلك ليس مرادا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة
اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل
ايمانه والى هذا يومي قول عمر رضي الله تعالى عنه في الحديث الذي رواه البخاري في الايمان والنذور من حديث
عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت يا رسول الله احب الي
من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

الآن يا عمر هذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا
وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك • قال بعض
الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضائي على هواك وإن كان فيه الهلاك • وكما وقف
عمر رضي الله عنه في أول أمره واستثناؤه نفسه فلأن حب الإنسان نفسه طبع وحب غيره اختيار
بتوسط الأسباب • وإنما أراد عليه الصلاة والسلام منه حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع
وتغييرها عما جبلت عليه • وعلى هذا فجواب عمر أولا كان بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن
النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة فأخبر
بما اقتضاه الاختيار • فلذلك حصل الجواب بقوله الآن يا عمر أي الآن عرفت فنطقت بما يجب • وإذا كان
هذا شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على محبة أنفسنا
وأولادنا ووالدينا والناس أجمعين فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه • ومحبة الله
تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وإفراده سبحانه بها فإن الواجب له من ذلك أن يكون أحب
إلى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون إلهه الحق ومعبوده أحب
إليه من ذلك كله • والشيء قد يحب من وجه دون وجه • وقد يحب لغيره • وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله
وحده • ولا تصلح الألوهية إلا له تعالى والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع ومن علامات الحب المذكور
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض الإنسان على نفسه أنه لو خير بين فقد غرض من أغراضه أو فقد رؤية
النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كانت ممكنة فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد شيء من
أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا • قال القرطبي كل من آمن
بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانا صحيحا لا يخلو من وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير أنهم متفاوتون
فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى • ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقا في الشهوات محجوبا
في الغفلات في أكثر الأوقات • لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على
أهله وماله وولده ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد
شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته
غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات • انتهى • فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل في الإسلام
إلا بها والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته عليه السلام
من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم
لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم • وقد روى ابن إسحق مما حكاه في الشفا أن امرأة من الأنصار
قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل
يعني صغيرة • ورواه البيهقي في الدلائل • وذكره صاحب اللباب بلفظ لما قتل يوم أحد قتل محمد صلى الله عليه

وسلم • وكثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى
لا أدري بأيهم استقبلت فكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت ما فعل النبي
صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت
تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذ سلمت من عطب • وكذا رواه ابن أبي الدنيا بنحوه مختصرا • وقال
عمرو بن العاص ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال علي بن أبي طالب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ • ولما أخرج أهل مكة
زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن
حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد
والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال أبو سفيان
ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم • وروي مما رواه القاضي عياض أن رجلا أتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء
فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها
لا أراك فأنزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه • قال وفي حديث آخر كان رجل عند
النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بأبي أنت وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا
كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية • وذكره البغوي في تفسيره بلفظ نزلت أي الآية في ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه
ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك
ثم ذكرت الآخرة فأخاف أني لا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من
منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية • وقد ذكره الواحدي في أسباب النزول وعزاه
إلى الكلبي عن ثوبان • وقال قتادة قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة
وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله تعالى الآية • وذكره ابن ظفر في ينبوع
الحياة بلفظ إن عامرا الشعبي قال إن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله لأنت يا
رسول الله أحب إلي من نفسي ومالي وولدي وأهلي ولولا أني آتيك فأراك لرأيت أني أموت أو
قال أني سوف أموت وبكى الأنصاري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبكاك قال
بكيت أني ذكرت أنك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن إن دخلنا الجنة دونك فلم
يخبره النبي صلى الله عليه وسلم يعني لم يرجع إليه بقول فأنزل الله تعالى الآية • قال وذكر
مقاتل بن سليمان مثل هذا • وقال هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الذي أري

الأذان . وذكر ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبي صلى الله
عليه وسلم توفي فقال اللهم اذهب بصري حتى لا ارى بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره . واعلم
انه لا يمكن ان يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب فليختر المرء لنفسه
احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب . وكالأثنا عند محبوبه كاينا ما كان كما قيل .
انت القتيل باي من احببته . فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي . ولبعض الحكماء كما ان الغمد
لا يتسع لعضبين فكذلك القلب لا يتسع لحبين . وكذلك لا يرم اقبالك على من تهواه اعراضك
عن كل شيء سواه فمن داهن في المحبة او داجى . خرج لمدعى الغيرة او داجا . فمحبة الرسول صلى الله عليه
وسلم لم تعتبر في الحب على الانفس والآباء والأبناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله . وقد حكي
عن ابي سعيد الخراز مما ذكره القشيري في رسالته انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت
يا رسول الله اعذرني فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي يا مبارك من احب الله فقد احبني
وقيل ان ذلك توقع لامرأة من الانصار معه صلى الله عليه وسلم بعلطة . ولابن ابي المجد . الا يا محب
المصطفى زد صبابة . وضمخ لسان الذكر منك بطيبه . ولا تعبأن بالمبطلين فانما علامة حب الله
حب حبيبه . وكذلك كل محب لله وقد كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار . فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا
وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشياء الى العبد
هو ورسوله فمن رضي بالله ربا رضيه الله له عبدا . ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل
المشقات في الدين وايثار ذلك على اغراض الدنيا . ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته
وكذلك الرسول . قاله النووي . وقال غيره معناه ان من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله آكد عليه
من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من الضلالة والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله
وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانما شبه رغبة المؤمن في
الايمان بشيء حلو واثبت له لازم ذلك الشيء واضافه اليه . وفيه تلميح الى قصة المريض والصحيح
لان المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه وكلما نقصت
الصحة شيئا ما نقص ذوقه بقدر ذلك . وقال العارف ابن ابي جمرة واختلف في الحلاوة
المذكورة هل هي محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء . وحملها قوم على محسوس
اللفظ على ظاهره من غير ان يتأولوه وهم اهل الصفة . او قال الصوفية . قال والصواب معهم
في ذلك والله سبحانه اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل
قال ويشهد الى ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملة . فانه حكي
انهم وجدوا الحلاوة محسوسة . فمن ذلك حديث بلال حين صنع به ما صنع في الرمضاء اكراها على الكفر

وهو يقول

وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان . وكذلك ايضا عند موته اهله يقولون واكرباه
وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا وهي حلاوة الايمان
ومنها حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فرأى السارق حين اخذه فلم يقطع
لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه الذ من ذلك ولا ذاك الا لحلاوة الايمان
التي وجدها محسوسة في وقته ذلك . ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما صلى الله عليه
وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو وقد قال لهما فجاء الجاسوس للعدو فرمى الصحابي
فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة
فاصابه فعند ذلك ايقظه صاحبه وقال لولا اني خشيت على المسلمين ما قطعت صلوتي وذلك
الا لذة ما وجد فيها من الحلاوة حتى اذهبت عنه ما يجده من الم السلاح . قال ومثل هذا حكي عن كثير
من اهل المعاملة . انتهى . وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب من يرى الوضوء
الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة ذات الرقاع فرمي
رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في صلاته . وقد وصله ابن اسحق في المغازي قال حدثني صدقة
ابن يسار عن عقيل عن جابر عن ابيه مطولا . واخرجه احمد وابو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن
حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحق قال في فتح الباري وشيخه صدقة ثقة . وعقيل بفتح العين
لا اعرف راويا عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخاري او لكونه اختصره او للخلاف في ابن اسحق . و
اخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر . وسمى احدهما عباد بن بشر الانصاري وعمار بن ياسر من المهاجرين
والسورة الكهف . وانما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل . وفي قوله ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا بأس بهذه التثنية . واما قوله للذي خطب
فقال ومن يعصهما بئس الخطيب انت فليس من هذا . لان المراد في الخطب الايضاح . واما
هنا فالمراد الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال في موضع آخر قال ومن
يعصهما فلا يضر الا نفسه . وقيل انه من الخصائص فيمتنع من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع
لان غيره اذا جمع اوهم اطلاقه التسوية بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك . والى هذا
مال ابن عبد السلام . ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير
هنا للايماء الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية
اذا لم ترتبط بالاخرى . فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك . ويشير اليه قوله
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته مكتنفة بين قطري محبة العباد
ومحبة الله للعباد . واما امر الخطيب بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام
الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم . ويشير اليه قوله
واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في الرسول ولم يعده في اولي

الأمر منكم لأنهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول . انتهى ملخصا من كلام البيضاوي
والطيبي كما حكاه في فتح الباري . وفي الصحيح ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا
وبمحمد رسولا . قال في المدارج فأخبر أن للإيمان طعما وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم
طعم الطعام والشراب . وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن إدراك حقيقة الإيمان والإحسان
وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة وبالطعام والشراب أخرى وبوجد
الحلاوة تارة كما قال ذاق . وقوله ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان . ولما نهاهم
عن الوصال قالوا إنك تواصل فقال إني لست كهيئتكم وإني أطعم وأسقى . وقد غلظ
حجاب من ظن أن هذا طعام وشراب حسي للفم . وسيأتي الكلام على هذا إن شاء
الله تعالى في الصوم من مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم . والمقصود أن ذوق حلاوة
الإيمان أمر يجده القلب تكون نسبته إليه كذوق حلاوة الطعام إلى الفم وذوق حلاوة
الجماع إلى اللذة كما قال عليه الصلاة والسلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فللإيمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد ولا تزول الشبه والشكوك إلا إذا وصل
العبد إلى هذه الحال فباشر الإيمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته
وقال العارف الكبير تاج الدين بن عطاء الله فيه يعني في هذا الحديث إشارة إلى أن القلوب
السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات
الأطعمة وإنما ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا لأنه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد
لحكمه وألقى قياده إليه فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له
الرضا من الله وإذا كان له الرضا من الله أوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من عليه
ليعرف إحسان الله إليه . ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن
فلما واصلته أمداد الله تعالى وأنواره عوفي قلبه من الأمراض والأسقام فكان سليم الإدراك
فأدرك لذاذة الإيمان وحلاوته لصحة إدراكه وسلامة ذوقه . وقوله صلى الله عليه وسلم
وبالإسلام دينا لأنه إذا رضي بالإسلام دينا فقد رضي بما رضي المولى وبالإيمان من رضي بمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا أن يكون له وليا وأن يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهدا في الدنيا
وخروجا عنها وصفحا عن الجناة وعفوا عمن أساء إليه إلى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا
وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله ربا استسلم له ومن رضي بالإسلام عمل له
ومن رضي بمحمد تابعه ولا يكمل واحد منها إلا بكلها إذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى
بالإسلام دينا ولا يرضى بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وتلازم بين لا خفاء به انتهى
ملخصا . واعلم أن المحبة لله على قسمين فرض وندب . فالفرض المحبة التي تبعث
على امتثال أداء ما فرضه عليه الله من الأوامر والانتهاء عن المعاصي والرضى بما يقدره

لمن وقع

لمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه
والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع
في الرجاء فيقدم على المعصية . والندب أن يواظب على النوافل ويتجنب الوقوع في الشبهات
والمتصف بذلك في عموم الأوقات والأحوال نادر . وفي البخاري من حديث أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه سبحانه وتعالى أنه قال ما تقرب إلي عبدي بمثل
أداء ما افترضته عليه . وفي رواية أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ولا يزال العبد
يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن
سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي
عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته . ويستفاد من قوله وما تقرب
إلي عبدي بشيء أحب إلي أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى . وعلى هذا فقد
استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرائض . وأجيب بأن المراد بالنوافل إذا كانت مع
الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها . ويؤيده أن في رواية أبي أمامة ابن آدم إنك لن تدرك ما عندي
إلا بأداء ما افترضته عليك . أو يجاب بأن الإتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب
على الترك بخلاف الفرائض . وقال الفاكهاني معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض و
دام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى . وقد
استشكل أيضا كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الخ . وأجيب بأجوبة
منها أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي
ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح . ومنها أن المعنى أن كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا
ما يرضيني ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به . ومنها أن المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره و
يده ورجله في المعاونة على عدوه . ومنها أنه على حذف مضاف أي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا
يسمع إلا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الخ . قال الفاكهاني قال ويحتمل معنى آخر أدق من الذي
قبله وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى
أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي
ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك . وقال غيره اتفق العلماء ممن يعتد بقوله
على أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه منزلة
الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي . قال والاتحادية
زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون الجاحدون علوا كبيرا . وقال
الخطابي قد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب . وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما

بهذه الجوارح المذكورة • وعن ابي عثمان الحيري احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع
الى قضاء حوايجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده
عنه البيهقي في الزهد • وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة
الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وانه
يفني عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه والموحد لنفسه وان هذه الاسباب
والرسوم تصير عدما صرفا • وعلى الاوجه كلها لا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة
المطلقة لقوله في بقية ولئن سألني ولئن استعاذني زاد في رواية عبد الواحد عبدي انتهى ملخصا • وقال
العلامة ابن القيم بعد هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرم على غليظ الطبع كثيف القلب فهم
معناه • والمراد به حصر اسباب محبته في امرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان
المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا فاذا صار محبوبا اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه
فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه من الفكر والاهتمام بغير محبوبه وملكت
عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا لزمام
قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه
كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى
به فهو في قلبه ومعه وانيسه وصاحبه • والباء هنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك
بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة • قال ولما حصلت الموافقة من العبد
لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه
ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال الاوامر والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه
في رغبته ورهبته فيما يسألني ان افعله به ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من
الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما
يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته
الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة
في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله • فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه • انتهى •
وقال العلماء التردد في حق الله تعالى غير جائز والبداء عليه في الامور غير سائغ • ولكن له تاويلان
احدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله
فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله سبحانه كتردد من يريد امرا ثم يبدو له
فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفناء
على خلقه واستاثر بالبقاء لنفسه • والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شيء انا فاعله
كترديدي اياهم في نفس المؤمن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت

وترددوا اليه مرة بعد اخرى • وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله تعالى على العبد ولطفه
به وشفقته عليه • وقال الكرماني ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات
يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال العبد
من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك كما اوقد
يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه الى
الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه • انتهى • وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة
رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمانت قلوبهم
به واستانسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن
لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم والام وحسرات • قال صاحب المدارج ولن يصل
العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويحرق
ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب اليها بكليته
ويزهد في التعلقات الفانية ويداب في تصحيح التوبة والقيام بالمامورات الظاهرة والباطنة و
ترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله
تعالى ولا بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج
من بيوت نفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره • كما قال • واخرج من بين البيوت لعلني
احدث عنك النفس بالسر خاليا • فحينئذ يجمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه
وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه
فجعله امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع
سيرته ومبادي امره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته واخلاقه وادابه وحركاته وسكونه
ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما منحه الله تعالى حتى يصير كانه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح الله عليه بفهم المنزل عليه
من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا انزلت فيه وماذا اريد به وحظه المختص به منها
من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف
ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات اعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك
طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف عند ما حد لنا من شريعته • قال الله تعالى ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل متابعة الرسول آية المحبة وثمرتها • وجعل جزاء العبد على
متابعة الرسول محبة الله تعالى اياه • وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما افاده المحاسبي
في كتاب القصد والرجوع • تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع •

لوكان حبك صادقا لأطعته • ان المحب لمن يحب مطيع • وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك يكون قوة المحبة • ومن أعظم مطالعة منة الله على عبده منة تأهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم • وأصل هذا النور يقذفه الله تعالى في قلب العبد • فإذا دار ذلك النور أشرقت له ذات ربه فرأى في نفسه وما أهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لأن النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويطرد أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والأنس للحبيب الأول • نقل فؤادك حيث شئت من الهوى • ما الحب إلا للحبيب الأول • كم منزل في الأرض يألفه الفتى • وحنينه أبدا لأول منزل • وبحسب هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا وأطعته أمرا وأجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته وإن لم يكن كذلك فلا تتعن فلست على شيء • وتأمل قوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله أي الشأن في أن الله يحبكم لا في أنكم تحبونه • وهذا لا ينال إلا باتباع الحبيب • وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع • وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضاته والتمسك بسنن رسوله صلى الله عليه وسلم • فإذا ذاق حلاوة الإيمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله وما والاه وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الإيمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في أوراد العبادة كلفة • وفي الترمذي عن أنس مرفوعا ومن أحيى سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة • وعن ابن عطاء من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه وقال أبو إسحاق الرقي من أقران الجنيد علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه عليه السلام وعن غيره لا يظهر على أحد شيء من نور الإيمان إلا باتباع السنة ومجانبة البدعة • فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام بدعوى علما لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان • وإنما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا بموافقته لما جاء الرسول به عن ربه تعالى • فالعلم اللدني نوعان • لدني رحماني • ولدني شيطاني فالمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم • وأما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز

الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد وكفر مخرج عن الإسلام موجب لإراقة الدم • والفرق أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه ولهذا قال له أنت موسى نبي إسرائيل قال نعم • ومحمد مبعوث إلى جميع الثقلين صلى الله عليه وسلم فرسالته عامة للإنس والجن في كل زمان • ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه فمن ادعى أنه مع محمد كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليشهد شهادة الحق فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله تعالى • وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه • والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلوة وأتم التسليم • وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه • كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال لا إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه • فهذا هو العلم الحقيقي • فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته أن يرضى مدعيها بما شرعه ولا يجد في نفسه حرجا مما قضى • قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما • فسلب اسم الإيمان عمن يجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له • قال الشيخ العارف وإمام العارفين تاج الدين ابن عطاء الله الشاذلي أذاقنا الله من حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا • ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما • فأحكام التكليف الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد وأحكام التعريف والتسليم هو ما أورده عليك من قهر المراد فتبين من هذا أنه لا يحصل حقيقة الإيمان إلا بأمرين الامتثال لأمره والاستسلام لقهره • ثم إنه سبحانه لم يكتف بنفي الإيمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية ولأنه لم يقل فلا والرب إنما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففيه تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم به علما منه سبحانه وتعالى بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أو لها • وفي ذلك إظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم إذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لأمره ولم يقبل منهم الإيمان بالمية حتى يذعنوا لأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وأكد ذلك بقوله يد الله فوق أيديهم • وفي الآية إشارة أخرى إلى تعظيم قدره وتفخيم

بينهم وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب • انتهى • فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات • وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت إلى معادن الذخائر وبغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب فهاج الحنين وباح الأنين وتحركت المواجيد وتغير اللون واستشعرت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما شهق وربما وله وربما سقط • ولسيدي محمد وفا

إن أباح دمع المحب هاجره • باح المحب بما تخفي ضمائره • الكتم أحسن بالمحب باح معه • لما جرى بالذي تخفي سرائره • كأنما قلبه أجفان مقلته • ودمعه في أماقيه خواطره • يا جيرة الجزع هل من جيرة لفتى • عليه في حكمه قد جار جائره • آه وكم لي على خطب الهوى خطب • من الغرام به تتلو منابره • مهفهف تنجلي بدر على غصن • تخفى البدور إذا لاحت بوادره • مطرز الخد بالريحان في صرج • مورد أسه تزهو أزاهره • مكمل الخلق ما تحصى محاسنه • منفرد الحسن قد تمت نظائره •

وربما زاد على المحب الوجد فقتله • أو لم تشهد منامات المحبة بذل الروح والنفس فما للجبان وسومها بدم المحبة يباع وصلهم فاشهدوا ما هزلت فتساومها المفلسون ولا كسدت فينفقها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين •

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم تعظيمه عند ذكره وإظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من أحب شيئا خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا • وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا أو هيبة وتوقيرا • قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به • وكان أيوب السختياني إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه • وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه • وكان عبد الرحمن إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم • وكان عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع • وكان الزهري من أهنأ الناس وأقربهم وإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنك ما عرفته ولا عرفك • وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه • وكان قتادة إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل • أشار إلى ذلك القاضي عياض •

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق إلى لقائه إذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه • ولبعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب • ومن معروف الكرخي المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات أو مشاهدتها فترى ولوع السؤل ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم إذا اشتد بهم الشوق

أمره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى فلا وربك فأضاف نفسه سبحانه وتعالى إليه كما في الآية الأخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فأضاف الحق سبحانه عز وجل نفسه إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف زكريا إليه ليعلم العباد فرق ما بين المرتبتين ثم إنه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق في نفوسهم من أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها • وإنما يضيق النفوس لفقدان الأنوار ووجود الأغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وإبرامه • انتهى •

وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لأنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه • وروينا عن سيدنا العارف الكبير أبي عبد الله القرشي أنه قال حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منك شيء • انتهى • فمن آثر هدى النبي على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه • ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا حقائق أسراره •

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بخلقه في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها مما ذكر في ترجمة أخلاقه العظيمة • وتقدم في كلام العارف ابن عطاء الله مزيد لذلك فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان • ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وآثر ذلك على أعراض الدنيا •

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي عن المصائب فإن المحب يجد لذة المحبة ما ينسيه المصائب ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ كثير من المحبين بالمصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فحرارة المحبة موجود ممزوج بالحلاوة فإذا افتقد تلك الحلاوة اشتاق إلى ذلك الكرب • كما قيل:

تشكي المحب الصبابة ليتني • تحملت ما يلقون من بينهم وحدي • فكانت لنفسي لذة الحب كلها • فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي •

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره فمن أحب شيئا أكثر من ذكره • ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب • ولآخر ذكر المحبوب على عدد الأنفاس • ولغيره للمحب ثلاث علامات • أن يكون كلامه ذكر المحبوب • وصمته فكره فيه • وعمله طاعة له • وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون • وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيئا أكثر من ذكره • فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا • ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد

نعيم

وان غلبهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفعوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس
معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم • وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان
خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من المهاجرين والانصار
يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم
ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فيقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه • اذا
ذاق طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب في قلبه ويجد صبره عن محبوبه من اعظم كما ورد
كما قيل • والصبر يحمد في المواطن كلها • الا عليك فانه لا يحمد • وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا العجوز تنفش صوفا وتقول • على محمد صلاة الابرار
صلى عليه الطيبون الاخيار • قد كنت قواما بكا بالاسحار • يا ليت شعري والمنايا اطوار • هل تجمعني وحبيبي
الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات
فقال لها اعيدي علي قولك فاعادته بصوت حزين فبكا وقال لها وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر
فاغفر له يا غفار • ويحكى ان رؤيت امرأة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر
لي قيل بماذا قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى
حبيبنا نستحي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحب • ومن علامات محبته صلى الله
عليه وسلم حب القرآن الذي اتى به واهتدى به وتخلق به واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند
غيرك من محبة الله ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب
الملاهي والغنا المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شيء اليه
كما قيل • ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي • اما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي • ويروى عن
عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله • وكيف يشبع المحب من كلام
محبوبه وهو غاية مطلوبه • قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرأ علي قال اقرأ عليك
وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكاء • رواه البخاري • وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز باذن قلبه
قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق • قال
صاحب عوارف المعارف اذا قام حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من
اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع يرد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه
تارة يثير حزنا والحزن حار • وتارة يثير شوقا والشوق حار • وتارة يثير ندما والندم حار
فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملو ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة
اذا اصطدمتا عصرتا ماء • فاذا اثر السماع بالقلب تارة يخف الماء فيظهر اثره في الجسد ويقشعر
منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم • وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره
اى يتصعد نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب اثره الى الروح فتموج منه الروح

الى الروح فتموج منه الروح تموجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون منه الصياح والتوشوش
والاضطراب وهذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب الاحوال • وقد كان ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما ربما مر باية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسبه مريضا وكان
اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فلمحبي السماع القرآني من الوجد و
الذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني فاذا رأيت الرجل ذوقه ووجده
وطربه وتأثره في سماع الابيات دون سماع الايات وفي سماع الالحان دون سماع القرآن كما قيل تقرأ عليك
الختمة وانت جامد كالحجر وبيت من الشعر ينشد تميل كالنشوان • فاعلم ان هذا من اقوى الادلة على فراغ
قلبه من محبة الله ورسوله اذاقنا الله تعالى لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا في غير سبيل سنته بمنه و
رحمته • ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراءة حديثه فان من
دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله او من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تشربتها
روحه وقلبه ونفسه ويقول • اشم منك نسيما لست اعرفه • اظن لميا جرت فيك اردانا • فتنعم بالك
وتشمله فيصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول
احبيب خياله نصب عيني • سره في ضماير مدفون • ان تذكرته فكلي قلوب • او تأملته فكلي عيون •
فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور البراهين ويروى بري عطش
محبوبه الذي لا شيء اروى للقلب من عطفه عليه • ولا شيء اشد للهيبة وحرقته من اعراضه عنه • ولهذا
كان عذاب اهل النار باحتجابهم عنهم اشد عليهم من العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته سبحانه
تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني • لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا
المشرب • ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف و
يطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجد له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسببه
السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب صلى الله عليه وسلم فاذا كانت المحبة قوية
وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فان كان العقل قويا
مستحكما لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له عن حكمه • وقد يحدث السكر باسباب غير
التمالك في الطرب كما يبقى في السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها ولا يقدر ان
يسمعها وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه • وتتغير افعاله
بحيث يزول عقله ويعربد اعظم من عربدة شارب الخمر • وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي
وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا غير معتاد • والدم هو حامل الحار الغريزي فيبرد القلب
بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت • ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة بعد
ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة فرحه • وسكرة الفرح فوق
سكرة الشراب فتصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا اشد العشق ظفر بكنز
عظيم فاستولى عليه انما هطشتا كيف يكون سكره • او من فاته عنده غلام من مال

عظيم مدة سنين حتى مر به العدم فقدم عليه من غير انتظار لكرنما له كله وقد كتب اضعافه ومن اقوى اسباب ما نحن فيه سماع الاصوات المطربة بالالات ذات الصفات البنوية المغربة المغرية اذا صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وهذا السكر عندها من جهتين احدهما انها في نفسها توجب لذة قوية يتغمر منها العقل الثانية انها تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس وادناء صورته في القلب واستيلائها على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فيجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا اطيب وابلغ من سكر الشراب ويحصل به نشأة الذ من نشأة الشراب • وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالى يقول لداود عليه السلام مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا اردده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده واذا سمع اهل الجنة صوته استوفى نعيم اهل الجنة • واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم التي تغنيهم عن لذة نعيم الجنة ونعيمها فامر لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة • وهذه صفة لا تلج كل اذن وصيب لا تحيى به كل ارض وتبن لا تشرب منها كل ورقة وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها طفيلي اشار اليه في المدارج فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها هو كامل المحبة لله ورسوله • ومن خالف في بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه الصلوة والسلام للذي حده في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه • وفيه الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له • وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب المنهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله • ويحتمل ان يكون الاستمرار لثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية اذا اقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشى بتكرار الذنب ان يطبع على قلبه حتى يسلب منه ذلك نسأل الله العفو والثبات على محبته وسلوك سنته من فضله ورحمته • تنبيه وقد اختلف العلماء ايما ارفع درجة المحبة او درجة الخلة • فحكى القاضي عياض ان بعضهم جعلهما سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا خليل الا حبيبا لكن خص ابراهيم بالخلة ومحمد صلى الله عليه وسلم بالمحبة قال وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي لم اتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها رضي الله تعالى عنهم واسامة رضي الله عنه انتهى • وهذا هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة مأخوذة من معنى الخلة لكن يرد ما روي في قصة الاسرا في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى حيث قال الله تعالى يا محمد

سل فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال الله تعالى الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا او ما في معناه • رواه البيهقي بنحوه • وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع • وقد احتج من قال بتفضيل مقام المحبة على الخلة بفروق كثيرة ذكرها القاضي عياض في الشفا منها نقلا وقد نقله عن الامام ابي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين ثم منها ان الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى • ومنها ان الخليل لا والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي • ومنها ان الخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله • ومنها هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر • وتركنا بقية الفروق تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري وغيره كما حكاه القاضي عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا • وذلك ان مقتضى الفرق بين الشيئين ان يكون في حد ذاتيهما يعني باعتبار مدلولي خليل وحبيب • وما حكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابراهيم عليه الصلاة والسلام • لا باعتبار ثبوت الخلة له فليلزم لانا نقول كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه السلام وصف المحبة لا سيما والخلة اخص من المحبة • ولا يسلب عن نبينا صلوات الله عليه وصف الخلة لا سيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة ان الله تعالى قال له اني اتخذتك خليلا • وقد قام الاجماع على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبياء مطلقا بل هو افضل خلق الله على الاطلاق • واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يعني الغرض من هذا المقام الذي نحن بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الحسي ممتنع على الله سبحانه وتعالى • واما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول الى الله تعالى لا يكون الا بحبيبا كان او خليلا • واما قوله الخليل هو الذي يكون مغفرته في حد الطمع الخ فانه لا يصح ان يكون فرقا في حقيقة الخليل ولا تعلق له بمعناه • وقصارا ما ذكره انه لا يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلوة والسلام في حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة • والحق ان الخلة اعلا واكمل وافضل من المحبة • قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة • قال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة رضي الله عنها ولابيها رضي الله عنه ولعمر بن الخطاب وغيرهم رضوان الله تعالى اجمعين • وايضا ان الله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين • وخلته خاصة بالخليلين • قال وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله تعالى ورسوله انتهى • وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة الابوصيري

وزعم بعضهم أن المحبة أفضل من الخلة، وقال محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله. وضعّف بأن الخلة خاصة وهي توحيد المحبة والمحبة عامة، قال الله تعالى إن الله يحب التوابين. وقد صح أن الله تعالى اتخذ نبينا خليلاً فقال إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً. انتهى.

الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم فرضية وفضيلة وصفة ومحلاً. قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً. قال أبو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء. قال في فتح الباري وهذا أولى الأقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى. والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة. وعن ابن عباس أن معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة. وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار. وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء. أخرجهما إسمعيل القاضي عنه وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها. وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة. وتعقب بأن الله تعالى غاير بين الصلاة والرحمة في قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة. وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليماً حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام. وجوز الحليمي أن تكون الصلاة بمعنى السلام عليه. وفيه نظر. وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء. وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري أنه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة. وبهذا التقرير يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى في سورة الأحزاب إن الله وملائكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي يصلي عليكم وملائكته ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها. وقال الحليمي في الشعب معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظم محمداً والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود. وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليماً ادعوا ربكم بالصلاة عليه. انتهى. ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه فإنه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به. وما تقدم عن أبي العالية أظهر فإنه يحصل به استعمال لفظ الصلاة

بالنسبة إلى الله تعالى وإلى ملائكته وإلى المؤمنين المأمورين بذلك بمعنى واحد. ويؤيده أنه لا خلاف في جواز الترحم على غير الأنبياء. واختلف في جواز الصلاة على غير الأنبياء، ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم محمداً أو ترحم على محمد لجاز لغير الأنبياء. وكذا لو كانت بمعنى البركة وكذلك الرحمة لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. ويمكن الانفصال عنه بأن ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الإتيان به ولو سبق الإتيان بما يدل عليه.

فإن قلت في أي وقت وقع الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

أجيب كما قاله أبو ذر الهروي أنه وقع في السنة الثانية من الهجرة. وقيل في ليلة الإسراء. وقيل إن شهر شعبان شهر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لأن آية الصلاة يعني إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً نزلت فيه. والله أعلم. قال الحليمي والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره تعالى وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا. وتبعه ابن عبد السلام في الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله تعالى لما علم من عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه. وذكر نحوه الشيخ أبو محمد المرجاني. وقال ابن العربي فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم.

واختلف في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على أقوال: أحدها أنها تجب في الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة. الثاني يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، قاله القاضي أبو بكر بن بكير من المالكية. وعبارته كما قاله القاضي عياض افترض الله تعالى على خلقه أن يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليماً ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها. الثالث تجب كلما ذكر، قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية. وقال ابن العربي من المالكية إنه الأحوط، وكذا قاله الزمخشري. واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فأبعده الله. أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم. وحديث رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل علي. رواه الترمذي عن حديث أبي هريرة وصححه الحاكم. وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي. أخرجه الطبراني من حديث جابر. لأن الدعاء بالرغم والإبعاد والشقاء يقتضي الوعيد والوعيد على الترك من علامات الوجوب. ومن حيث المعنى أن فائدة الأمر بالصلاة عليه مكافأته على إحسانه وإحسانه مستمر فيتأكد إذا ذكر. وتمسكوا أيضاً بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً فلو كان إذا ذكر لا يصلى عليه كان كآحاد الناس. وأجاب من لم يوجب ذلك بأجوبة منها أنه قول لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه للزم المؤذن

اذا اذّن وكذا سامعه ولزم القارئ اذا مرّ باية فيها ذكره عليه السلام في القرآن ولزم الداخل
في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة
السمحة بخلافه ولكان الثناء كلما ذكر احق بالوجوب ولم يقولوا به • وقد اطلق القدوري
وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلوة كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قائله لانه لا يحفظ
عن احد من الصحابة انه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم
ولانه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة اخرى • واجابوا عن الاحاديث بانها خرجت مخرج المبالغة
في تاكيد ذلك وطلبه وفي حق من اعتاد ترك الصلوة عليه ديدنا وبالجملة فلا دلالة
على وجوب تكرر ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد انتهى ملخصا • والله اعلم
الرابع في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري • الخامس في كل دعاء
حكاه ايضا السادس انها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري • وادعى الاجماع على ذلك واحتج
على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة
على ان ذلك غير لازم فرضا حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل على ان الامر فيه للندب
ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلوة • قلت في فتح الباري وما ادعاه من
الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة اما بطريق الوجوب واما بطريق
الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما اخرجه ابن ابي شيبة والطبري عن ابراهيم النخعي انه
كان يرى في قول المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته يجزي عن الصلاة
ومع ذلك انما ادعى اجزاء السلام عن الصلوة • السابع يجب في العمر مرة في الصلوة او غيرها
ككلمة التوحيد • قاله ابو بكر الرازي من الحنفية • الثامن يجب في الصلوة من غير تعيين المحل
ونقل ذلك عن ابي جعفر الباقر • التاسع يجب في التشهد وهو قول الشعبي واسحق بن راهويه •
العاشر يجب في القعود آخر الصلوة بين قول التشهد وسلام التحلل • قاله الشافعي ومن تبعه و
استدل لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابي مسعود البدري
انهم قالوا يا رسول الله اما السلام فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد الحديث • ومعنى قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي
كان يعلمهم اياه كما يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته • و
رواه الشافعي في مسنده عن ابي هريرة بمثله • وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم
ابن خزيمة والبيهقي في الام فرض الله الصلوة على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا • ولم يكن فرض الصلوة عليه في موضع اولى
منه في الصلاة • ووجدنا الدلالة على النبي صلى الله عليه وسلم بذلك • اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثنا

صفوان

صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك
يعني في الصلوة قال تقولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
الحديث • اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثني سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى
عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم الحديث • قال الشافعي فلما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلاة • وروي انه علمهم كيف يصلون عليه في
الصلوة لم يجز ان نقول التشهد في الصلوة واجب والصلوة عليه فيه غير واجبة
وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من اوجه • احدها ضعف ابراهيم بن محمد بن ابي
يحيى • والكلام فيه مشهور • والثاني على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلوة
لم يصرح بالقائل يعني • الثالث قوله في الثاني انه كان يقول في الصلوة وان كان ظاهره ان
المراد الصلوة المكتوبة لكن يحتمل ان يكون المراد بقوله في الصلوة اي في صفة الصلوة عليه
وهو احتمال قوي لان اكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السؤال وقع عن صفة الصلوة
لا عن محلها • الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعين ذلك في التشهد خصوصا بينه وبين السلام
وقد اطنب قوم من متاخري المالكية وغيرهم في التشنيع على الشافعي في اشتراطه ذلك في
الصلاة • وزعم انه قد تفرد بذلك وحكى القاضي عياض في الشفا مقالاتهم وقد عاب عليه غير واحد
وما كان ينبغي سكوته عنها لان تصنيفه كتاب الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه و
سلم واداء حقوقه والقول بوجوب الصلوة عليه في الصلوة من غرض المبالغة في تعظيمه
وقد استحسن القول بطهارة فضلاته مع ان الاكثر على خلافه لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه
وكيف ينكر القول بوجوب الصلوة عليه وهي من جنس الصلوة ومقتضياتها واذا شرع السلام فيها على
نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا تجب الصلوة عليه وهو سيد المرسلين • وقد انتصر
جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للشافعي كالحافظ عماد الدين ابن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام
الحافظ ابي الفضل ابن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم ممن يطول تعدادهم واستدلوا لذلك
بادلة نقلية وعقلية ودفعوا دعوى الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم
ابن مسعود وابو مسعود البدري وجابر بن عبد الله ونقله الشافعي عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي
ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما سياتي وكذا ابو جعفر الباقر ومقاتل • واخرج الحاكم بسند
قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه • قال الحافظ ابن
حجر وهذا اقوى شيء يحتج به للشافعي • فان ابن مسعود ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد
في الصلوة وانه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلوة عليه قبل الدعاء
دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود

فى دفع ما ذهب اليه الشافعى مثل ما ذكره القاضى عياض • قال وهذا تشهد ابن مسعود الذى
علمه له النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلوة عليه • وفى جزء الحسن بن عرفة مرفوعا
واخرجه المعمرى فى عمل يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون صلوة الا بقراءة وتشهد
وصلوة على • واخرج البيهقى فى الخلافيات بسند قوى عن الشعبى وهو من كبار التابعين
قال كنا نعلم التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثنى عليه ثم يصلى
على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته • وفى حديث ابى جعفر عن ابن مسعود مرفوعا من صلى
صلوة لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل منه • قال الدارقطنى الصواب انه من قول ابى جعفر
محمد الباقر بن على بن الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ولا على اهل
بيته لرايت انها لا تتم لكن رواه عن ابى جعفر جابر الجعفى وهو ضعيف • كذا فى الشفا • وقد
وافق الشافعى فقهاء الامصار احمد فى احدى الروايتين عنه وعمل به اخيرا كما حكاه عنه ابو
زرعة الدمشقى فيما ذكره الحافظ ابن كثير واوجب ابو اسحق بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها
دون النسيان • والمشهور عن احمد انها تبطل بتركها عمدا او سهوا وعليه اكثر اصحابه حتى ان
بعض ائمة الحنابلة اوجب ان يقال فى الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سألوه •
كما ذكره ابن كثير • ووافق الخرقى اسحق فى التقييد بالعمد دون السهو والخلاف ايضا عند المالكية
كما ذكره ابن الحاجب فى سنن الصلوة ثم قال الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام يريد ان فى
وجوبها قولين وهو ظاهر كلام الامام ابن المواز • وممن صرح عنه ابن القصار وعبد الوهاب
كما فى الشفا بلفظ انه يراها فريضة فى الصلوة كقول الشافعى • قال وحكى ابو يعلى العبدى المالكى
عن المذهب فيها ثلثة اقوال فى الصلوة الوجوب والسنة والندب ورايت مما عزى للقاضى ابى بكر
ابن العربى فى سراج المريدين قال ابن المواز والشافعى الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلوة
وهو الصحيح انتهى • وقد التزم القائلين من الحنفية بوجوب الصلوة عليه كلما ذكر كالطحاوى ونقل
السروجى فى شرح الهداية عن اصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم انه يقول بوجوبها فى التشهد
لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم فى آخر التشهد فى قوله اشهد ان محمدا عبده ورسوله لكن لهم ان يلتزموا
ذلك ولا يجعلونه شرطا فى صحة الصلوة • ولم يخالف الشافعى احد من اصحابه فى ذلك بل قال
بعض اصحابنا بوجوب الصلوة على الآل كما حكاه البندنيجى والدارمى • ونقله امام الحرمين والغزالى
قولا عن الشافعى • قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه وللقول
بوجوبه ظهور الحديث • واما المخالفة للخطابى من اصحاب الشافعى فلم يعتد به لمقتضى الاثر المحمول
على الوجوب اجماعا واولى احواله الصلوة ولا مانع من احتماله كونه مرادا • واما قوله ولا اعلم
له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعى قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار
فيه الى قدوة • واما قوله فى الشفا والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل

الشافعى واجماعهم عليه ففيه نظر لانه ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى نقل صحيح صريح بان ذلك
ليس بواجب وانى يوجد ذلك • واما قوله فقد شنع الناس عليه بهذه المسئلة
جدا فقد شنعه واى شناعة فى ذلك ولم يخالف فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة
راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه • ولا ريب ان القائل بجواز ترك الصلوة على افضل خلق الله
فى الصلوة التى هى ام العبادة المطلوب فيها الخشوع واستحضار شارعها والثناء عليه اولى
بالتشنيع • واما ما نقله من الاجماع فقد تقدم ما فيه • واما قوله ان الشافعى اختار تشهد ابن مسعود
فلم يقل به احد • والشافعى انما اختار تشهد ابن عباس كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى مقصد عباداته
صلى الله عليه وسلم • وقد استدل للوجوب بما اخرجه ابو داود والنسائى والترمذى وصححه وكذا ابن
خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
فى صلوته لم يحمد الله ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى
احدكم فليبدأ بالحمد والثناء عليه ثم ليصل على النبى ثم ليدع بما شاء • قلت • وما يعد
من كلمات امامنا الشافعى وسيرته السابق ان القاضى عياضا ساق هذا الحديث بسنده من
طريق الترمذى من غير ان يطعن فى سنده بعد قوله فصل فى المواطن التى يستحب فيها الصلوة على
النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك فى تشهد الصلوة وذلك بعد التشهد وقبل الدعا وهذا
الحديث كما ترى من الادلة لنا انتهى • فان قال قائل ليس لكم فيه دلالة لانه قال فيه سمع رجلا
يدعو فى صلاته ولم يقل فى تشهده • يجاب بانه يلزم على هذا ان القاضى عياضا ذكره
فى غير محله لانه عقد الفصل كما تقدم لبيان مواطن استحباب الصلوة ثم قال ومن ذلك فى تشهد
الصلوة • وفى مصابيح البغوى من حديث فضالة بن عبيد هذا ما يدل على انه كان فى التشهد
ولفظه معه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لى وارحمنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلى
اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل على ثم ادعه • وفى قوله عجلت اشارة الى فوات
الكمال لا الحقيقة المجزئة اذ لو كانت مجزئة لما احتاج اللوم والتعليم بصيغة الامر • فان قيل
انه مقام تعليم المستحبات اذ لو كان فى الواجبات لامره بالاعادة كما امر المسئ صلاته • يجاب
بان فى قوله هذا اشبه من الامر بالاعادة لانه حيث علمه ما هو الواجب علم قطعا انه لم يأت به
اولا فلم يكن آتيا به فوجب اعادته وهم اهل العلم والعرفان • فان قيل ان قوله فقعدت يحتمل ان
يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت وفرغت فقعدت للدعاء فاحمد الله • يجاب بان
الاصل عدمه وانما عطف على المذكور اى كنت فى الصلوة فقعدت للتشهد فاحمد الله اى اثن عليه
بقوله التحيات لله الخ والله اعلم • وقال الجرجانى من الحنفية وغيره لو كانت فرضا
للزم تأخير البيان وقت الحاجة لانه علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعاء ما شاء
ولم يذكر الصلوة عليه • واجيب باحتمال ان لا تكون فرضت حينئذ • وقال الحافظ زين الدين

العراقي في شرح الترمذي قد ورد هذا في الصحيح بلفظ ثم ليتخير وثم للتراخي فدل على انه كان هناك شيء بين التشهد والدعاء انتهى • وقد اطنب الشيخ ابو امامة بن النقاش في تفسيره من الانتصار للشافعي في هذه المسألة مما يطول ذكره واهتبنه على قصده الجميل

واما صفة الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد • رواه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي **فان قلت** كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت على ابراهيم **اجاب** القاضي عياض بان آل ابراهيم كان فيه قوله عليه السلم في ابي موسى لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود ولم يكن لداود مزمار يعني حسن الصوت • وقد روى هذا الحديث ابن ابي حاتم بلفظ لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قلنا يا رسول الله فكيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وقال عبد الرحمن ابن ابي ليلى يقول وعلينا معهم • وعن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد • رواه الامام احمد • وعن ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله ونحن في مجلس سعد ابن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم • رواه مالك ومسلم وغيرهما **فان قلت** ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على ابراهيم مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به والواقع عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده افضل من آل ابراهيم وابراهيم ولاسيما وقد اضيف اليه آل محمد وقضية كونه افضل ان تكون الصلوة المطلوبة افضل من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره • فقد اجاب العلماء باجوبة كثيرة • منها انه عليه السلم قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من ابراهيم وقد اخرج مسلم من حديث انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال ذاك ابراهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير صفة الصلوة عليه بعد ان علم انه افضل ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بها الفضيلة • ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلوة باصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وهو كقول القائل احسن الى ولدك كما احسنت الى فلان ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره ومنه قوله تعالى واحسن

كما احسن الله اليك • ورجح هذا القول القرطبي في المفهم • ومنها ان قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى آل محمد • وتعقب بان غير الانبياء لا يمكن ان يساووا الانبياء فكيف يطلب لهم صلاة مثل الصلاة التي وقعت لابراهيم والانبياء من آله ويمكن الجواب عنه بان المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب • وقد نقل العمراني في البيان عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي واستبعده ابن القيم لصحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام الذي يستلزم هذا التركيب الركيك البعيد من كلام العرب كذا قال • وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال ليس التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية • ومنها رفع المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل بل وبالدون كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكوة وان يقع نور المشكوة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به ان يكون ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكوة فيها مصباح وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم وآل ابراهيم بالصلوة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وآل ابراهيم ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله في العالمين اي كما اظهرت الصلوة على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين ولهذا لم يقع في العالمين الا في ذكر آل ابراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه وهو حديث ابي مسعود الانصاري الذي ذكرته وعبر عن هذا المعنى الطيبي بقوله ليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر • وقال النووي احسن الاجوبة ما نسب الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلوة باصل الصلوة او للمجموع بالمجموع وقال ابن القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع واحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم من آل ابراهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال محمد من آل ابراهيم فكانه امرنا ان نصلي على محمد وعلى آل محمد خصوصا بقدر ما صلينا عليه مع ابراهيم وآل ابراهيم عموما فيحصل لآله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر ازيد مما لغيره من آل ابراهيم وتظهر حينئذ فائدة التشبيه ان المطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره من الالفاظ • وقال الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملائكة قالت في بيت ابراهيم رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وآل محمد من اهل بيت ابراهيم فكانه قال اجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد وآل محمد كما اجبتها عندما قالوها في آل ابراهيم الموجودين حينئذ • ولذلك ختم بما ختم به الآية • وحكى ابو اليمن وما نعزيه للعارف بالله ابي محمد الجرجاني انه قال في سر قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وكما باركت على ابراهيم ولم يقل كما صليت على موسى لان موسى عليه السلم كان التجلي له

بالجلال فخر موسى صعقا والخليل ابراهيم كان التجلي له بالجمال لان المحبة والخلة بالجمال فلهذا
امرهم صلوات الله وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما صلى على ابراهيم ليسألوا له التجلي بالجمال
وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما امرهم ان يسألوا
له التجلي بالوصف الذي تجلى به للخليل عليه السلام فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف
الذي هو التجلي بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى
بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا في وصف التجلي بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب
رتبته ومكانته فيتجلى للخليل عليه بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى فان قلت ما المراد بآل محمد في هذا الحديث
فالجواب ان الراجح انهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعي واختاره الجمهور
ويؤيده قوله عليه السلام للحسن بن علي انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بآل محمد ازواجه
وذريته وقيل المراد بهم جميع الامة امة الاجابة حكاه ابو الطيب الطبري عن بعض الشافعية
ورجحه النووي في شرح مسلم وقيده القاضي حسين بالاتقياء منهم وعليه يحمل كلام من اطلق
ويؤيده ما رواه تمام في فوائده والديلمي عن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد
فقال كل تقي من امة محمد زاد الديلمي ثم قرأ ان اولياؤه الا المتقون واسنادهما ضعيف لكن ورد
يشهد لذلك في الصحيح لحديث ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين
انتهى ملخصا وقد استدل العلماء بتعليمه لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بانها افضل
كيفيات الصلوة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لو حلف
ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة فطريق البر ان ياتي بذلك هكذا صوبه
النووي في الروضة بعد ذكر حكاية الرافعي يعني ابراهيم المروزي انه قال يبرأ اذا قال
كلما ذكره الذاكرون وكلما سها عن ذكره الغافلون قال النووي وكان الشافعي
ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة ولكن بلفظ غفل بدل سها وقال الاذرعي ابراهيم
المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البر ان يقول اللهم صل
على محمد كما هو اهله ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه ولو جمع بينها فقال ما في الحديث و
اضاف اليه اثر الشافعي وما قاله القاضي لكان اشمل ولو قيل انه يعمد الى جميع ما اشتملت عليه
الروايات الثابتة فيستعمل منها ذكرا يحصل به البر لكان حسنا وعن ابن مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلوة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
رواه الحاكم وقد استدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم
كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي انه قال اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا

فقال

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية
منعه قال واجازه ابو محمد ابن ابي زيد انتهى وسيأتي ما في ذلك من البحث ان شاء الله تعالى
في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد وعن سلامة الكندي ان عليا رضي الله تعالى عنه كان
يعلم الناس هذا الدعاء وفي لفظ يعلم الناس الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم
داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة
تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ
لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك لطاعتك مستوفزا واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو
امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق
رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم
مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة
ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم حديث موقوف رواه الطبراني لكن قال
الحافظ ابن كثير في سنده نظر قال وقال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي سلامة الكندي
هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقوله داحي المدحوات اي باسط الارضين و
كل شيء بسطته ووسعته فقد دحوته وبارئ المسموكات اي خالق السموات وكل شيء رفعته
فقد سمكته والدامغ لجيشات الاباطيل اي المهلك لما نجم وارتفع منها وقال وجعل
الدمغ من الدماغ دمغته اصاب دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع واضطلع افتعل
من الضلاعة وهي القوة واورى قبسا لقابس اي اظهر نورا من الحق لطالبه والآء الله نعمه
تصل باهله اي اهل ذلك القبس وهو الاسلام والحق اسبابه واهله المؤمنون وبه هديت
القلوب بعد خوضات الفتن والاثم اي هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام ونائرات
ومنيرات الواضحات يقال نار الشيء وانار اذا وضح وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد
على امته يوم القيمة وبعيثك نعمة اي مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وافسح له اي وسع
له وفي عدنك اي في جنتك جنة عدن والمعلول من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان
عطاءه مضاعف له كانه يعل به عباده اي يعطيهم عطاء بعد عطاء واعل على بناء الناس وفي
رواية البانين اي ارفع فوق اعمال العاملين عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله رزقه والخطة
بضم الخاء المعجمة الامر والقصة والفصل والقطع وعن عبد الله بن مسعود قال اذا صليتم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه

قال فقالوا قد علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين و
امام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم حديث موقوف
رواه ابن ماجه وعن رويفع بن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى
على محمد وقال اللهم انزله المقعد المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي رواه
الطبراني قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكتال له بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على
محمد النبي الامي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك
حميد مجيد رواه ابو داود وعن طاوس سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى
وارفع درجته العليا واعطه سؤله في الاخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى رواه
اسمعيل القاضي قال ابن كثير واسناده جيد قوي صحيح
واما المواطن التي تشرع فيها الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فمنها التشهد الاخير وهو واجب
فيه كما قدمنا وفي وجوبها في التشهد الاول قولان اظهرهما المنع بناء على التخفيف
وفي استحباب الصلوة على الآل في التشهد الاول قولان وفي وجوبها في الاخير وجهان اصحهما المنع
بل سنة تابعة واقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد واكملها على الآل وآله
قال في الكفاية باعادة على ومنها خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب فلا تصح خطبتا الجمعة
الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان والصلوة وهذا مذهب
الشافعي واحمد ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي
واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد
من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة واخرجه
مسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة وذكره بلفظ الرجاء وان كان محقق
الوقوع ادبا وارشادا وتعليما لامته وتذكيرا بالخوف وتفويضا الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيته
وليكون الطالب للشيء بين الرجاء والخوف وقوله حلت عليه الشفاعة اي وجبت وقيل غشيته
ونزلت به قال شيخنا في المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما
يقال بعد الاذان لم اره في شيء من الروايات واصل الحديث عند احمد والبخاري والاربعة عن جابر
مرفوعا من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة وكان من زادها

اختير ما وقع في بعض نسخ الشفا في حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادة فيها في هذه النسخة المعتمدة
علم عليها كانها مما يشير الى الشك فيها ولم ارها في سائر نسخ الشفا بل في الشفاء نقلها فصلا فيه كما
آخر ولم يذكر فيه حديثا من نحوها وهو دليل لغلطها انتهى والله اعلم ومنها اول الدعاء واوسطه
وآخره لما روى احمد من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان
الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فاذا احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه
ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره ومنها وهو من آكدها عقب دعاء القنوت
لما رواه احمد واصحاب السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث ابي الحوراء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما
قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت
وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك انه
لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائي في سننه وصلى الله على النبي وسيأتي في
المقصد التاسع البحث في ذلك ان شاء الله تعالى ومنها اثناء تكبيرات العيدين لما روى اسمعيل
القاضي ان ابن مسعود وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال ان هذا العيد قد دنا
فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلوة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ ثم تكبر و
تركع فقال حذيفة وابو موسى صدق ابو عبد الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح ومنها عند دخول
المسجد والخروج منه لما رواه احمد عن فاطمة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
المسجد صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد ثم قال
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ومنها في صلاة الجنازة فان السنة ان يقرأ بفاتحة الكتاب
بعد احدى التكبيرات وبعد الاولى اولى وان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت
بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه
الشافعي والنسائي ومنها عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق
قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ومنها عند
الصفا والمروة لما روى اسمعيل القاضي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال اذا قدمتم فطوفوا
بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه حيث ترون البيت
فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا بين حمد وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك
وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها عند الاجتماع
والتفرق لما روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم
يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وروى
اسمعيل القاضي عن ابي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه

عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب • ومنها عند الصباح والمساء لما روى الطبراني من حديث ابي الدرداء مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيمة • ومنها عند الوضوء لحديث ابن ماجة عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم • ومنها عند طنين الاذن لحديث ابي رافع عند ابن السني مرفوعا اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير • ومنها عند نسيان الشيء لحديث ابي موسى المديني بسند فيه ضعف عن انس يرفعه اذا نسيتم شيئا فصلوا علي تذكروه ان شاء الله تعالى • ومنها بعد العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة ونازعهم في ذلك اخرون وقالوا هذا موطن تفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب والوقاع ونحو ذلك • ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله روحي حتى ارد عليه السلام • وروى ابن عساكر من صلى علي عند قبري سمعته • وورد الامر بالاكثار منها يوم الجمعة وليلتها • فعند اوس بن اوس الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلوة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني وقد بليت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء • رواه احمد وابو داود والنسائي • وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني • قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في اسناده ضعف فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اجاب ابن القيم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا والاخرة فانما نالته على يده صلى الله عليه وسلم فجمع الله سبحانه وتعالى لامته به بين خيري الدنيا والاخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانما تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم ان نكثر الصلوة عليه في هذا اليوم وليلته • واما فضيلة الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها في احاديث قوية لم يخرج البخاري شيئا منها • امثلها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا • وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

لحاجة

لحاجة فلم يجد احدا يتبعه ففزع عمر فاتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال احسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني • قال ابن كثير وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين • وعن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قلت بلى • رواه الدارمي واحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له • وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك او ليكثر • رواه احمد وابن ماجة من حديث شعبة • وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل عبد من ذلك او ليكثر • رواه احمد والنجيبي وبعد الاعلام بما فيه الخيرة في المخير فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد • وروى الترمذي عن ابي بن كعب قال يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلوتي كلها قال اذا يكفى همك ويغفر ذنبك • ثم قال هذا حديث حسن • هذا ما يتعلق بالصلوة واما السلام فقال النووي يكره افراد الصلوة عن السلام واستدل بورود الامر بهما معا في الاية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما • وتعقبوه بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل تعليم الصلوة كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله عليه الصلوة والسلام بعد ان علمهم الصلوة كما علمتم فافرد التسليم مدة قبل الصلوة عليه • لكن قال في فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلوة ولا يسلم اصلا • اما لو صلى في وقت وسلم في وقت اخر فانه يكون ممتثلا • وقال ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام بمعنى الصلوة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام وسواء في هذا الاحياء والاموات • واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك او عليكم او السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه • انتهى • وقد جرت عادة بعض النساخ ان يفردوا عليا وفاطمة رضي الله عنهما بالسلام فيقولوا عليه وعليها السلام من دون سائر الصحابة في ذلك وهذا وان كان معنا صحيحا لكن ينبغي ان يساوى بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار اليه ابن كثير • واما الصلوة على غير النبي صلى

عليه وسلم فاخلفوني فيهما • واخرج البيهقي بسند واه من حديث بريدة رفعه لا تتركن في التشهد الصلوة علي وعلى الانبياء اسرى • واخرج اسمعيل القاضي بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبياء الله • واخرج الطبراني من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبياء الله فان الله بعثهم كما بعثني • وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم • اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان بن حكيم عن عكرمة عنه قال ما اعلم الصلوة تنبغي على احد من احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم • وسنده صحيح ويحكى القول به عن مالك • وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز • وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي • وعن بعض شيوخ مذهب مالك لا يجوز ان يصلى الا على محمد صلى الله عليه وسلم • وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به • وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا بأس به • واحتج بان الصلوة دعاء بالرحمة فلا يمنع الا بنص او اجماع • واما الصلوة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآل محمد ونحوه فهذا جائز بالاجماع • وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلوة عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته • وبقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة • وبقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم • وبحديث عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتى ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى • اخرجه الشيخان • وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلوة لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل • وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل ابي اوفى وهذا مسلك حسن • وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلوة على غير الانبياء قد صار من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك • ثم اختلف المانعون في ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولى على ثلثة اقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

فذكر محبة اصحابه صلى الله عليه وسلم وآله وقرابته واهل بيته وذريته • قال الطبري علم الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه ببركته من انتمى اليه نسبا او نسبة ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبة والزم مودة قرباه بريته وفرض محبة جملة اهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى • ويروى انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما • وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • وقد اختلف في المراد باهل البيت في الآية • فروى ابن ابي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم • وروى

ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس انه كان ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم • قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ان الآية نص في دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول او مع غيره على الصحيح • وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم وحده قال من شاء باهلته انها نزلت في شان النبي صلى الله عليه وسلم • وان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن • ففي هذا نظر فقد ورد في ذلك احاديث تدل على ان المراد اعم من ذلك • وروى الامام احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساء ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي احق • زاد في رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها من ارجى ما ارتجي • وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلون من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال هؤلاء اهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا • قالت فادخلت راسي من البيت فقلت وانا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير • رواه احمد وفي اسناده من لم يسم وبقية اسناده ثقات • قوله وحامتي بالتشديد اي خاصتي • وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • رواه ابن جرير • ورواه احمد في المناقب • والطبراني • وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي عز وجل فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به • وحث فيه • ورغب فيه • ثم قال واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلث مرات فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم • اخرجه مسلم • والثقل محركة كل شيء نفيس مصون • قال ومنه الحديث اي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي • وهي كبر الجملة د المثاة العوفية • ولا اخذ بهذا الحديث اخرى • والمراد بالاهل الازواج فقط بل هن مع اهله ولا يشك من تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الآية الكريمة • فان سياق الكلام معهن

ولهذا قال واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية بعد أن نقل أن الجمهور
على أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنساء
خاصة لكن عنكن ويطهركن • وأجيب بأن الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب فإن قلنا
بأن المراد بالآل في كيفية الصلاة السابق ذكره على قول من فسره به كما قدمته مع غيره وثم في
الفصل السابق والله أعلم ولقد در القائل • يا أهل بيت رسول الله حبكم • فرض من الله
في القرآن أنزله • يكفيكم من عظيم الفخر أنكم • من لم يصل عليكم لا صلاة له • وأخرج أحمد عن أبي سعيد
معنى حديث زيد بن أرقم السابق مرفوعا بلفظ إني أوشك أن أدعى فأجيب إني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير
أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما • وعترة الرجل كما قاله الجوهري
أهله ونسله ورهطه الأدنون أي الأقارب • وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال يا
أيها الناس ارقبوا محمدا في أهل بيته • رواه البخاري • والمراقبة للشيء المحافظة عليه يقول احفظوهم
فلا تؤذوهم وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كما في البخاري أيضا لقرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أحب إلي من أن أصل من قرابتي • وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة رضي الله تعالى عنها عن
منعه إياها ما طلبته منه من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرى منه على موجب الإيمان لأنه
عليه السلام شرط الإجابة فيه على النفس والمال والولد كما ذكرته في الفصل الأول من هذا المقصد
ثم إنه صلى الله عليه وسلم أثبت لأقاربه ما أثبت لنفسه من ذلك فقال من أحبهم فبحبي أحبهم وحثنا
على ذلك شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم • ولقد أحسن القائل •
رأيت ولائي آل طه فريضة • على رغم أهل البعد يورثني القربى • فما طلب المبعوث أجرا على
الهدى • بتبليغه إلا المودة في القربى • • وفي الترمذي وقال حسن غريب أحبوا الله لما يغذوكم
به وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي • وفي المناقب لأحمد من أبغض أهل البيت فهو منافق
وروى ابن سعد من صنع إلى أحد من أهل بيتي معروفا فعجز عن مكافأته في الدنيا فأنا المكافئ له في
القيامة • والمراد بالقرابة من ينسب لجده الأقرب • وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم
منهم أو رآه من ذكر وأنثى وهم علي وأولاده الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم من فاطمة رضي الله
عنها • وجعفر وأولاده عبد الله وعون ومحمد • ويقال إنه كان لجعفر ابن أبي طالب ابن اسمه أحمد • وعقيل
ابن أبي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب وأولاده يعلى وعمارة وأمامة والعباس
ابن عبد المطلب وأولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن
وكثير وعون وتمام • وفيه يقول العباس رضي الله عنه • تموا بتمام فصاروا عشرة • يا رب فاجعلهم
كراما بررة • وقالوا لكل منهم رؤية • وكان له من الإناث أم حبيبة وآمنة وصفية • وأكثرهم من لبابة
أم الفضل • ومعتب ابن أبي لهب والعباس بن أبي لهب وكان زوج آمنة بنت العباس وعبد الله بن الزبير

بن عبد المطلب وأخته ضباعة وكانت زوج المقداد بن الأسود وأبو سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب وأبناؤه المغيرة والحرث وعبد الله بن الحارث هذا أدرك وكان يلقب ببه
الثابته نفيلة وأميمة وأروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب أسلمت صفية و
صحبت وفي الباقيات خلاف • والله أعلم • وفي البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي و
في لفظ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى أي فإنك مني بمنزلة هارون من موسى و
تشبيه به من جهته بقوله إلا أنه لا نبي بعدي فعرف أن الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة
بل من جهة ما دونها وهو الخلافة ولما كان هارون المشبه به إنما كان خليفة في حياة موسى
دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته • والله تعالى أعلم • وأما ما استدل
به من هذا الحديث على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة فإن هارون كان خليفة موسى
فأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته لأنه مات قبل موسى عليهما الصلاة و
السلام باتفاق أشار إلى ذلك الخطابي • وأما حديث الترمذي والنسائي من كنت مولاه
فعلي مولاه فقال الشافعي رضي الله عنه يعني بذلك ولاء الإسلام لقوله تعالى ذلك بأن الله مولى
الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وقول عمر أصبحت مولى كل مؤمن أي ولي كل مؤمن وطرق
هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان
وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من آذى عليا فقد آذاني • أخرجه أحمد • وأخرج المخلص الذهبي
من أحب عليا فقد أحبني • وقد ذكر النقاش أن قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا نزلت في علي • وقال محمد ابن الحنفية لا تجد مؤمنا إلا وهو يحب عليا
وأهل بيته وقال أبو حيان في البحر من الغرر ما أنشدنا الإمام اللغوي رضي الدين أبو
عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لزينا ابن إسحق المضرفي الرسعني
عدي وتيم لا أحاول ذكرهم • بسوء ولكني محب لهاشم • وما يعتريني في علي ورهطه
إذا ذكروا في الله لومة لائم • يقولون ما بال النصارى تحبهم • وأهل النهى من أعرب و
أعاجم • فقلت لهم إني لأحسب حبهم • سرى في قلوب الخلق حتى البهائم • وقالت عائشة رضي الله
تعالى عنها كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها علي أحب الرجال إليه
رواه الترمذي • وفي البخاري إن فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني • والبضعة بفتح
الموحدة وحكي ضمها وكسرها أيضا وسكون المعجمة أي قطعة لحم • واستدل به السهيلي على أن من
سبها فإنه يكفر • وفي الترمذي من حديث أسامة بن زيد • وقال حسن غريب أنه صلى الله عليه وسلم
قال في حسن وحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما • وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة
في الحسن خاصة • زاد أبو حاتم فما كان أحد أحب إلي من الحسن بعد ما قال النبي صلى الله عليه وسلم

ما قال. وفي حديث ابي هريرة ايضا عند الحافظ السلفي قال ما رأيت الحسن بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا في المسجد فاخذ بيدي واتكأ علي حتى جئنا سوق بني قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادعوا ابني قال فاتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات. وروى الترمذي من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يشمهما ويضمهما اليه وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة. رواه احمد ولفظ الترمذي كان معي في الجنة وقال حديث غريب. وليس المراد بالمعية المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب. وتقدم نحوه في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين في المقصد السادس. وفي حديث ابي زهير بن الاقمر رجل من الازد انه قال في الحسن من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الحاضر. وفي البخاري هما ريحانتاي من الدنيا. وكان عليه الصلاة والسلام يمص لسان الحسن او شفتيه رواه احمد. وعن عقبة بن الحارث قال رأيت ابا بكر حمل الحسن وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك. وعن محمد بن سيرين عن انس كان الحسين اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم. رواهما البخاري. وعنده من رواية الزهري عن انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي. وهذا قد يعارضه قول علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمائل كما تقدم في المقصد الثالث. واجيب بان يحمل النفي على عموم الشبه والاثبات على معظمه. وقول انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض رواية ابن سيرين عنه السابقة كان الحسين يعني بالياء اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم. ويمكن الجمع بان يكون انس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لانه يومئذ كان اشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين. واما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك او المراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من سوى الحسن. ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد شبها به في بعض اعضائه. فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانئ بن هانئ عن علي رضي الله عنه قال الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس الى الصدر والحسين اشبه النبي ما كان اسفل من ذلك. وقد عدوا ممن كان له شبه بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن ابي طالب وقد قال عليه السلام لجعفر اشبهت خلقي وخلقي. قال الترمذي حسن صحيح. وابنه عبد الله بن جعفر. وقثم بن العباس بن عبد المطلب. وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. ومسلم بن عقيل بن ابي طالب ومن غير بني هاشم السائب بن يزيد المطلبي الجد الاعلى للامام الشافعي وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس بن ربيعة رجل من اهل البصرة وجدته معاوية وقبل بين عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا رآه بكى فهؤلاء عشرة. ونظمهم شيخ الاسلام الحافظ ابو الفضل بن حجر فقال

شبه النبي لعشر سائب وابي . سفيان والحسنين الخال امهما . وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم . ومسلم كابس يتلوه مع قثم. وبعضهم عدهم سبعة وعشرين. وممن كان يشبهه ايضا فاطمة ابنته وابراهيم ولده وولد جعفر عبد الله السابق ذكره واخوه عون وكان يشبهه ايضا من اهل البيت من هؤلاء ابراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي وكان يقال له الشبيه. قال الشريف محمد بن اسعد النسابة في الزورة الانيسة لمشهد السيدة النفيسة انه كان ليحيى هذا موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة الحمام يشبه خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام ورآه الناس صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا. وكذا وصف بالشبه القاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب وعلي بن علي بن نجاد بن رفاعة الرفاعي شيخ بصري من اتباع التابعين. والمراد بالشبه هنا الشبه في البعض والا فتمام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك. كما قال الابوصيري. منزه عن شريك في محاسنه. فجوهر الحسن فيه غير منقسم. كما اشرت اليه في اول المقصد الثالث. وقد اطلت المقال. وانما جرني الى ذلك ذكر حمل الصديق للحسن على عاتقه المشعر بالاكرام من افضل البشر بعد النبيين صلى الله عليه وسلم لاهل البيت المحمدي وحملهم على الاعناق لاستماع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي. فلما تضمن الحديث ذكر الشبه الكريم جرني الكلام اليه. وهذا وقع لي كثيرا في هذا المجموع لكنه لا يخلو عن فوائد الزوائد. وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وانا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني. اخرجه البغوي في معجمه. وقال صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله. ثم قال ايها الناس من اذى عمي فقد آذاني فانما عم الرجل صنو ابيه. رواه الترمذي وقال حسن صحيح. وفي قوله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الاشارة الى الايمان الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي وبين المحبة والايمان ارتباط من جهة ان المحبة ميل القلب الى المحبوب والايمان التصديق القلبي فيجتمعان في القلب وبينهما تلازم بين فيلزم من نفي احدهما نفي الاخر. ثم علل هذه المحبة بكونها لله ورسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك. ثم جعل اذاه كاذى نفسه لانه عضوه وعصبه ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الاب فكما انه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه. فقال وانما عم الرجل صنو ابيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي مثل ابيه. قال ابن الاثير واصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد يريد ان اصل العباس واصل ابي واحد. انتهى. وجلله النبي صلى الله عليه وسلم وبنيه كساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده. رواه الترمذي حسن غريب. وفي رواية ابن السري في روايته ان بنيه الذين جللوا بالكساء ستة الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة له سوداء مخططة بحمرة وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كستري هذه الشملة. قال فما بقي في البيت مدرة ولا باب

الا امتي • وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن ابي طالب اني احبك حبين حبا لقرابتك مني
وحبا لما اعلم من حب عمي لك • قال الطبري خرجه ابو عمر البغوي • وروى الدارقطني انه صلى الله
عليه وسلم قال يوم حنين ابو سفيان بن الحرث خير اهلي او من خير اهلي • واخرج الحاكم وصححه
عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار
واعلم انه قد اشتهر استعمال الاربعة الفاظ يوصفون بها • الاولى آله عليه السلم • والثانية اهل
بيته • والثالثة ذووا القربى • والرابعة ذريته • فاما الاولى فذهب قوم الى انهم هم اهل بيته
وقال اخرون هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس • وقال قوم من كان على دينه
وتبعه فيه • واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقال ابن ناشية الى جده الادنى • وقيل من
اجتمع معه في رحم • وقيل من اتصل به بنسب او سبب • واما اللفظة الثالثة وهي ذووا القربى فروى
الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة
في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما
واما اللفظة الرابعة وهي ذريته فقيل العترة وقيل الذرية • فاما العترة فهي الاهل الادنون
واما الذرية فنسل الرجل • فالاولاد ذرية الرجل • ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى
قوله وعيسى • ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم • فهذه الذرية الطاهرة خصوا بمزايا
التشريف وميزوا بمزيد الاكرام والحق قد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين
والجعافرة بالشطفة الخضراء لمزيد شرفهم والسبب في ذلك كما قيل ان المأمون اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة
فاتخذ لهم شعارا اخضر والبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر
المسلمين في جمعهم ونحوها والحمرة مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود باخرة • ثم انثنى عزمه
ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعار الاشراف العلويين من الزهراء لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة
من ثوب اخضر يوضع على عمائمهم شعارا لهم • ثم انقطع ذلك الى اواخر القرن الثامن قال في
حوادث ثلاث وسبعين وسبعمائة انباء الغمر بابناء العمر وفيها امر السلطان الاشرف ان يمتازوا عن
الناس بعصائب خضر على العمائم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما • وفي ذلك يقول الاديب ابو
عبد الله بن جابر الاندلسي • جعلوا لابناء الرسول علامة • ان العلامة شان من لم يشهر • نور
النبوة في كريم وجوههم • يغني الشريف عن الطراز الاخضر • وللاديب شمس الدين المزين الدمشقي
اطراف تيجان اتت من سندس • خضر باعلام على الاشراف • والاشرف السلطان خصهم بها شرفا
ليعرفهم من الاطراف • والاشرف هو شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون
واما الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فقال الله سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة لما اخبر الله تعالى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا
من غير شك ولا ريب قال محمد رسول الله • وهذا مبتدأ وخبر • وقال البيضاوي وغيره جملة مبينة

للمشهود

للمشهود به يعني قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الى قوله وكفى بالله شهيدا
قال ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف انتهى • وهذه الاية مشتملة على كل وصف
جميل • ثم ثنى بالثناء على اصحابه فقال والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى
فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة
على الكفار والرحمة والبر بالاخيار • ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص التام • فمن نظر اليهم
اعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم قال مالك بلغني ان النصارى كانوا اذا راوا الصحابة
الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية
خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى هنا ذلك مثلهم في التورية
في الانجيل كزرع اخرج شطأه اي افراخه فآزره اي شده وقواه فاستغلظ شب وطال فاستوى
على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه و
ايدوه ونصروه فهم معه كالشطأ مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الاية انتزع الامام مالك
رحمه الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة • قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو
كافر • وقد وافقه على ذلك جماعة من العلماء • والاحاديث في فضائل الصحابة ويكفينا ثناء الله تعالى
عليهم ورضاؤه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما • ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا مبدل
لكلمات الله وهو السميع العليم • ومن في قوله منهم لبيان الجنس • واختلف في تعريف الصحابة
فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او رآه من المسلمين • واليه ذهب البخاري • وسبقه اليه شيخه
ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او رآه ولو ساعة من نهار فهو
من اصحابه انتهى • وهذا هو الراجح • والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه او رآه من الكفار ولو
اتفق اسلامه بعد وفاته • لكن يرد على التعريف من صحبه او رآه مؤمنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد
الى الاسلام كعبيد الله بن جحش فانه ليس بصحابي • وهو ممن اسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي
بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر رضي الله عنه فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء اغضبه
وقد اخرج له الامام احمد في مسنده • واخراجه له مشكل • ولعله لم يقف على قصة ارتداده فينبغي
ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام لكنه لم ير النبي ثانيا بعد عوده فالصحيح
انه معدود في الصحابة لاطباق المحدثين على عد الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم احاديثهم
في المسانيد • لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا فان الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة
ونص عليه الشافعي في الام • وان كان الرافعي قد حكى عنه انها انما تحبط بشرط اتصالها بالموت وحينئذ
انما تحبط الصحبة المتقدمة اما من رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح
فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام • وهل يشترط في الرائي ان يكون بحيث يميز
ما رآه او يكتفى بمجرد حصول الرؤية قال الحافظ ابن حجر محل نظر • وعمل من صنف في الصحابة يدل على

الثاني فانهم ذكروا مثل محمد بن ابي بكر فانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسماء بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل ان تدخل مكة • وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة • ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروي عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة الا من اقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا • والعمل على خلاف هذا القول • ومنهم من اشترط في ذلك ان يكون حين اجتماعه به بالغا • وهو مردود ايضا لانه يخرج الحسن بن علي ونحوه من احداث الصحابة • واما التقييد بالرؤية فالمراد به عند عدم المانع منها فان كان ابن ام مكتوم الاعمى هو صحابي جزما • فالاحسن ان يعبر باللقي بدل الرؤية • قال الحافظ زين الدين العراقي وقولهم من رأى النبي هل المراد في حال النبوة او اعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة على دين الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده وقد ذكره من الصحابة ابو عبد الله بن منده • وكذلك لو رآه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زمن البعثة واسلم ثم مات ولم يره • ولم ار من تعرض لذلك • ويدل على ان المراد من رآه بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم كابراهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم • انتهى وهل يختص جميع ذلك ببني آدم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر • اما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون • فيهم العصاة والطائعون • فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة • وان كان ابن الاثير عاب على ابي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة • واما الملائكة فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته • وعكس بعضهم • وهذا كله فيمن رآه في قيد الحيوة الدنيوية • اما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا والا لعد من اتفق ان يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك على طريق الكرامة كما مرت مباحثة في خصوصياته عليه السلام من المقصد الرابع اذ حجة من اثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه انه مستمر الحيوة وهذه الحيوة ليست دنيوية وانما هي اخروية لا يتعلق بها احكام الدنيا • واما من رآه في المنام وان كان قد رآه حقا فذلك مما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا • ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به في تلك الحالة • وقد اجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على انهم خير خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين لما روى البخاري من حديث عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم • وله من حديث عمران بن حصين خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم • قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا • قال في فتح الباري والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة • ويطلق على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين • لكن لم ار من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرين • وما عدا ذلك فقد قال به قائل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من اعمار اهل كل زمن • وهذا اعدل الاقوال • وقد

بعض

بعثت فيهم

يعني القرن الذي بعثت فيهم • وقد تقدم في اول المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون بني آدم • وفي رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن الذي بعثت فيهم • وقد ضبط من الحفاظ آخر من مات من الصحابة على الاطلاق وهو ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه • وكانت وفاته سنة مائة على الصحيح • وقيل سنة سبع ومائة • وقيل سنة عشر ومائة وهو الذي صححه الذهبي • وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على راس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم احد • وفي رواية مسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة • واما ما ذكره ابن عكراش بن ذؤيب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة فذلك غير صحيح • والذي صح مقتضاه انه استكمل المائة بعد الجمل لا انه بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الائمة واما ما ذكر بعضهم من امر بابا رتن ونحوه فان ذلك لا يروج على من له ادنى مسكة من العقل كما قاله الائمة واما آخر الصحابة موتا بالاضافة الى النواحي فقد افردهم ابن منده • واما قوله ثم الذين يلونهم فهم اهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين • واقتضى هذا الحديث ان تكون الصحابة افضل من التابعين والتابعون افضل من اتباع التابعين • لكن هل هذه الافضلية بالنسبة الى المجموع او الافراد • والذي ذهب اليه ابن عبد البر هو الاول كما مرت ذلك في خصايص هذه الامة من المقصد الرابع • واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره قال الحافظ ابن حجر وهو حديث له طرق وقد يرتقي بها الى درجة الصحة • وقد روى ابن ابي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير احد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا ولن يخزي الله امة انا اولها والمسيح آخرها • وقد روى ابو داود والترمذي من حديث ابي ثعلبة رفعه تأتي ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا يا رسول الله قال بل منكم • وهو شاهد لحديث مثل امتي مثل المطر • لكن حديث العامل منهم اجر خمسين منكم لا يدل على الافضلية المطلقة • وايضا الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل • فاما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة المشاهدة فلا يعدله احد فيها • ولا ريب ان من قاتل معه او في زمانه بامره او انفق شيئا من ماله بسببه لا يعدله احد في الفضل بعده كائنا من كان • قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا • وكذلك من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده فانه لا يعدله احد ممن ياتي بعده لانه ما من خصلة من الخصال الا وللذي بلغها الى من بعده مثل اجر من عمل بها • فظهر فضلهم وتحقق تقدمهم • وتحصل النزاع تمحض فيمن لم يحصل له الا مجرد المشاهدة • وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من لم يحصل وبهذا يمكن تاويل الاحاديث المتقدمة • ثم ان الصحابة على ثلاثة اصناف • الاول المهاجرون والثاني الانصار وهم الاوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم • الثالث من اسلم يوم الفتح • قال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون افضل من الانصار • وهذا على سبيل الاجمال • واما على التفصيل فان جماعة من سباق الانصار افضل من جماعة من متاخري المهاجرين • واما سباق المهاجرين

أفضل من سباق الأنصار، ثم هم بعد ذلك متفاوتون. • فرب متأخر في الإسلام أفضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح. • وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبا على طبقات وممن قسمهم كذلك الحاكم في علوم الحديث. • الطبقة الأولى قوم أسلموا بمكة أول المبعث وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت خويلد وعلي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف في أول من أسلم في المقصد الأول. • الطبقة الثانية أصحاب دار الندوة بعد إسلام عمر بن الخطاب حمل النبي صلى الله ومن معه من المسلمين إلى دار الندوة فأسلم لذلك جماعة من المسلمين من أهل مكة. • الطبقة الثالثة الذين هاجروا إلى الحبشة فرارا بدينهم من أذى المشركين أهل مكة منهم جعفر بن أبي طالب وأبو سلمة بن عبد الأسد. • الطبقة الرابعة أصحاب العقبة الأولى وهم سباق الأنصار إلى الإسلام وكانوا ستة. • وهم سعد بن زراة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر بن أبي نابي وجابر بن عبد الله بن رئاب وليس بجابر ابن عبد الله بن حرام وأصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر. وقد قدمت أسماء أهل العقبتين في المقصد الأول. • الطبقة الخامسة أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الأنصار منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة. • الطبقة السادسة المهاجرون الذين وصلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقباء قبل أن يبنى المسجد ويتنقل المدينة. • الطبقة السابعة أهل بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم في قصة حاطب بن أبي بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. رواه مسلم. • الطبقة الثامنة الذين هاجروا بين بدر والحديبية. • الطبقة التاسعة أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة. • قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد رواه مسلم. • الطبقة العاشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومثل بعضهم بأبي هريرة. • لكن قال الحافظ العراقي ولا يصح التمثيل به فإنه هاجر قبل الحديبية عقيب خيبر بل في أوائلها. • الطبقة الحادي عشر الذين أسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير فمنهم من أسلم طائعا ومنهم من أسلم كارها. • ثم حسن إسلام بعضهم والله أعلم بهم. • الطبقة الثانية عشر صبيان أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه يوم الفتح وهذه في حجة الوداع وغيرهما كالسائب بن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الأقوال

وأما عدة أصحابه صلى الله عليه وسلم فمن رام أن يحصر ذلك رام أمرا بعيدا ولا يعلم ذلك حقيقة إلا الله تعالى لكثرة من أسلم من أول المبعث إلى أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي. • وقد روى البخاري أن كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان. • لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك

وقد

وقد ورد أنه سار عام الفتح مع عشرة آلاف من المقاتلة وإلى حنين في اثني عشر ألفا وإلى حجة الوداع في تسعين ألفا وإلى تبوك في سبعين ألفا. • وقد روي أنه قبض عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا والله سبحانه أعلم بحقيقة ذلك. • ثم إن أفضلهم على الإطلاق عند أهل السنة إجماعا أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما. • عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ابن عفان. رواه البخاري. • وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم. رواه البخاري أيضا. • وقوله لا نعدل بأبي بكر أي لا نجعل له مثلا. • ولأبي داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. • زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولا ينكره. • وروى خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن ابن عمر كنا نقول إذا ذهب أبو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره. • وفي ذلك تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر وأهل السنة على أن عليا بعد عثمان وذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان وممن قال به سفيان الثوري. • وقيل لا يفضل أحدهما على الآخر. • ونقل ذلك عن مالك في المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى بن القطان. • وقال ابن معين من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة. • ولا شك أن من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم. • وقد ادعى ابن عبد البر أن حديث الاقتصار على الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان خلاف قول أهل السنة إن عليا أفضل الناس بعد الثلاثة. • وتعقب بأنه لا يلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله. • فالمقطوع به من أهل السنة بأفضلية أبو بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان. • وعن مالك الوقف والمسألة اجتهادية ومستندها أن هؤلاء الأربعة اختارهم الله تعالى لخلافة نبيه وإقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة. • وقال الإمام أبو منصور البغدادي أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة تمام العشرة يعني طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله من العاشر قال نشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة يعني نفسه. • وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه خرج إلى المسجد فسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا توجه ههنا فخرجت في أثره حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها فجلست عند الباب لأكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال أبو بكر فقلت على رسلك ثم

ابو منصور البغدادي

ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البير كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه • ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضأ ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يأت به فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت ادخل ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البير • ثم رجعت فجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يأت به فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك وجئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فقلت ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر • قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد وابو حاتم ومسلم واخرجه البخاري • واخرج ابو داود نحوه عن ابي سلمة عن نافع عن عبد الحارث الخزاعي قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط المدينة فقال لبلال امسك علي الباب فجاء ابو بكر يستأذن فذكر نحوه • اخرجه الطبراني وفي حديث ان نافع بن الحارث هو الذي كان يستأذن وهذا يدل على تكرر القصة • لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عدم التعدد وانها عن ابي موسى ووهم القول بغيره • وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن ابن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة • رواه الترمذي • وانشد لنفسه • لقد بشر الهادي من الصحب زمرة • بجنات عدن كلهم فضله اشهر • سعيد زبير سعد طلحة عامر • ابو بكر عثمان بن عوف علي عمر • ولابي الوليد ابن شحنة اسماء عشر رسول الله بشرهم • بجنة الخلد عثمان زانها وعمر • سعد سعيد علي عثمان طلحة ابو بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر • فان قلت من يعتقد في الخلفاء الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته لبعضهم اكثر هل يكون آثما به ام لا • اجاب شيخ الاسلام الولي العراقي ان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان افضل كانت محبتنا الدينية له اكثر • فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه افضل ثم احببنا غيره من جهة الدين اكثر كان تناقضا • نعم ان احببنا غير الافضل اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر من ابي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى

فالمحبة الدينية

لذلك

لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه • وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه احبه محبة دينية زائدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي او لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله اعلم انتهى • وقد روى الطبري في الرياض وعزاه للملا في سيرته عن انس مرفوعا ان الله فرض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلوة والزكاة والصوم والحج • فمن انكر فضلهم فلا يقبل منه الصلوة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج • واخرج الحافظ السلفي في مشيخته من حديث انس مرفوعا حب ابي بكر واجب على امتي • واخرج الانصاري عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت اني لقيت اخواني فقال ابو بكر يا رسول الله نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي اخواني الذين لم يروني وصدقوا واحبوني حتى اني لاحب الى احدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي الا تحب يا ابا بكر قوما احبوك بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي اياك فمحبة من احبه الرسول صلى الله عليه وسلم كآل بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان محبته عليه السلام علامة محبة الله تعالى عز وجل • وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وابغض من يبغض • قال الله سبحانه وتعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فحب آل بيته عليه السلام واصحابه واولاده وازواجه من الواجبات المتعينات وبغضهم من المهلكات الموبقات • ومن محبتهم وجوب توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بان يمشي على سننهم وآدابهم واخلاقهم والعمل باقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثناء عليهم بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد اثنى عليهم الله تعالى في كتابه المجيد ومن اثنى الله عليه فهو واجب الثناء والاستغفار لهم قالت عائشة رضي الله عنها امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم • رواه مسلم وغيره • وفائدة المستغفر لهم عائدة عليه • قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره • ومما يجب ايضا الامساك عما شجر بينهم او وقع منهم من الاختلاف • والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة المبتدعين القادحة في احد منهم • قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا • وان يلتمس لهم مما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود في مآثرهم مما يطول ايراده بعينه • وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات • فسبهم والطعن فيهم اذا كان مما يخالف الادلة القطعية كفر كقذف عائشة رضي الله عنها والا فبدعة وفسق • قال عليه الصلوة والسلام يا ايها الناس احفظوني في اختاني واصهاري واصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه المخلص • وقال عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي

ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، فيوشك أن يأخذه. رواه المخلص الذهبي. وهذا الحديث كما قاله بعضهم خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبهم والترهيب من بغضهم. وفيه إشارة إلى أن حبهم من الإيمان وبغضهم كفر، لأنه إذا كان بغضهم بغضًا له كان كفرًا بلا نزاع، للحديث السابق لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه. وهذا يدل على كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان أذاهم واقع عليه وواصل إليه صلى الله عليه وسلم. والغرض الهدف الذي يرمى فيه. فهو نهي عن رميهم مؤكد، إذ لذلك بتحذيرهم الله منه. وما ذلك إلا لشدة الحرمة. وروي مرفوعًا من سب أحدًا من أصحابي فاجلدوه، خرجه تمام في فوائده. وقال مالك بن أنس وغيره مما ذكره القاضي عياض: من أبغض الصحابة فليس له في فيء المسلمين حق. قال: ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم.

المقصد الثامن

في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وإنبائه بالأنباء المغيبات. اعلم أنه لا سبيل لأحد إلى الإحاطة بنقطة من بحار معارفه أو قطرة مما أفاضه الله عليه من سحائب عوارفه. وأنت إذا تأملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه من بدائع الحكم وحسن سيره وحكم حديثه وإنبائه بأنباء القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع إخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين وأشباه ذلك وبدء الخلق وأخبار الدار الآخرة وما في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى وإظهار أحوال الأنبياء وأممهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه بمكنونات شرائعهم ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل أذعنوا لذلك، فضلًا مما أفاضه من العلم ومحاسن الآداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين الأدلة الواضحات إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة، وإشارات حجة كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين الأحكام الشرعية والسياسات النقلية ومعارف عوارف الحقائق العلمية، إلى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة لمصالح أمته كالطب والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد، قضيت بأن مجال هذا الباب في حقه عليه السلام ممتنع ينفد دونه نفاد الأدلة، وأن بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدلاء. وهذا المقصد الغراء يشتمل على ثلاثة فصول.

الفصل الأول في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض والعاهات. اعلم أنه قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من أصحابه حتى لقد عاد غلامًا كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الإسلام، فأسلم الأول، وكان يهوديًا كما روى البخاري وأبو داود من حديث أنس أن غلامًا من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال:

أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار. وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأل عن حاله ويقول: كيف تجدك. وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود قال: مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي علي، فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم. وعند أبي داود: فنفخ في وجهي فأفقت. وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال: يا جابر لا أراك ميتًا من وجعك هذا. وفي حديث أبي موسى عند البخاري مرفوعًا: أطعموا الجائع وعودوا المرضى وفكوا العاني. وعنده من رواية البراء: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع، وذكر منها عيادة المريض. وعند مسلم: خمس تجب للمسلم على المسلم، فذكرها منها. قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية كإطعام الجائع وفك الأسير، ويحتمل أن يكون للندب على التواصل والألفة. وعن الطبري: تتأكد في حق من ترجى بركته، ويسن فيمن يراعى حاله، ويباح فيما عدا ذلك. واستدل بعموم قوله عودوا المريض على مشروعية العيادة في كل مرض، لكن استثنى بعضهم الأرمد، ورد بأنه قد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان بعيني. رواه أبو داود وصححه الحاكم. وأما ما أخرجه البيهقي والطبراني مرفوعًا: ثلاثة ليس لهم عيادة: الرمد والدمل والضرس، فصحح البيهقي أنه موقوف على يحيى بن أبي كثير. ويؤخذ من إطلاقه أيضًا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه، وهو قول الجمهور. وجزم الغزالي في الإحياء بأنه لا يعاد إلا بعد ثلاث. واستند إلى حديث أخرجه ابن ماجه عن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضًا إلا بعد ثلاث. هذا حديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك. وقال أبو حاتم: هو حديث باطل. ولأتحفك بإيراد ما ورد في فضل العيادة. وفي حديث أبي هريرة مما حسنه الترمذي مرفوعًا: من عاد مريضًا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا. وهذا لفظ ابن ماجه. وفي سنن أبي داود عن أنس مرفوعًا: من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبًا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفًا. وفي حديث أبي سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعًا: خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضًا، وشهد جنازة، وصام يومًا، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة. وعند أحمد عن كعب مرفوعًا: من عاد مريضًا خاض في الرحمة، فإذا جلس عنده استنقع فيها. زاد الطبراني: إذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج. ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يومًا من الأيام بعيادة المريض ولا وقتًا من الأوقات. وترك العيادة يوم السبت مما لفق للملة بعد يهودي طبيب للملك فمرض والزمه ملازمته فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه فقال له: المريض لا يدخل عليه يوم السبت، فتركه الملك، ثم أشيع ذلك وصار كثير من الناس يعتمده. ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي أن العيادة تستحب

في الشتاء ويقدم الصيف نهارا ولعل الحكمة في ذلك ان المريض يتضرر بطول الليل وبطول النهار في الصيف فيحصل له بالعيادة انس وروح • وينبغي اجتناب الطبيب باعداء الدين من يهودي او نحوه فانه مطبوع بغشه سيما اذا كان المريض كبيرا في دينه او علمه خصوصا اذا كان هذا العدو يهوديا لان قاعدة دينهم ان من نصح منهم مسلما فقد خرج عن دينه وان من استحل السبت فهو مهدر الدم عندهم حلال سفك دمه • ولا ريب ان من خاطر بنفسه يخشى عليه عموم النهي فمن قتل نفسه بشيء وقد كثر الضرر في هذا الزمن باهل الذمة ولا حول ولا قوة الا بالله • والله تعالى يرحم القايل

لعن اليهود والنصارى فانهم • بلغوا بمكرهم بنا الاملا • خرجوا اطباء وحسابا لكي • يتقسموا الارواح والاموالا •

وما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويأمر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم فني حديث ابي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في اجله فان ذلك يطيب نفسه يريد مثل ان تقول لا بأس عليك طهور ان شاء الله تعالى ويجعل الاذن حسن وما اشبه ذلك • وقد يكون من هذا ان يذكر له الاجور الداخلة عليه في مرضه وان المرض كفارة فربما اصلح ذلك قلبه وامن من خوفه ذلك ونحوه • وقال بعضهم في هذا الحديث نوع شريف جدا من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد الى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار الغريزي ويساعد على دفع العلة او تخفيفها الذي هو غاية تاثير الطبيب وفي تفريح نفس المريض وتطييب قلبه وادخال السرور عليه تاثير عجيب في شفاء علته وخفتها فان الارواح والقوى تتقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي • وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم له ولطفهم بهم ومكالمتهم اياهم قال في الهدي وكان صلى الله عليه وسلم يسأل المريض عن شكواه وكيف يجده وعما يشتهيه فاذا اشتهى شيئا وعلم انه لا يضره امر له به ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته • وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتقدم • وربما كان يقول للمريض لا بأس عليك طهور ان شاء الله وربما كان يقول كفارة وطهور • وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول بسم الله • رواه ابو يعلى بسند حسن • واخرج الترمذي من حديث ابي امامة بسند لين رفعه تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته فيسأله كيف هو • وعند ابن السني بلفظ كيف اصبحت او كيف امسيت

واذا علمت هذا فاعلم ان المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان • فاما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وباسمائه وصفاته وافعاله واحكامه • وان تكون مؤثرة لرضاه ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه • ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك • ولا سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم • واما طب الاجساد فمنه ما جاء في

المنقول

المنقول عنه صلى الله عليه وسلم • ومنه ما جاء عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته ومعرفا بالله ومبينا لامته مواقع رضاه وآمرا لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبياء والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدأ والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها واسباب ذلك • واما طب الابدان فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره من حيث انه يستعمل للحاجة اليه • فاذا قدر على الاستغناء عنه كان صرف الهمم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع • وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زائلة يعقبها المنفعة الدائمة التامة • فاذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر وداء الا سببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي من الاثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله • فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور • وللامام الشافعي شكوت الى وكيع سوء حفظي فارشدني الى ترك المعاصي • وقال اعلم بان العلم نور • ونور الله لا يهدى لعاصي • ومنها حرمان الرزق وفي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه • ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا توازنها ولا تقاربها لذة اصلا • ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه او متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم • وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر • ثم تقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل احد • ومنها انها توهن القلب والبدن • ومنها حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة • ولا يمتنع زيادة العمر بالاسباب كما ينقص باسباب • وقيل تأثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة هي حياة القلب فليس عمر المرء الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره كالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة اذا اعرض عن الله سبحانه واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية ومنها ان المعصية تورث الذل • ومنها انها تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفئ نور العقل • ومنها تزيل النعم فانه ما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير • وقد احسن القايل

اذا كنت في نعمة فارعها • فان الذنوب تزيل النعم • وحطها بطاعة رب العباد • فرب العباد سريع النقم •

ومن عقوباتها انها تجلب مواد الهلاك للعبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي امراض متى استحكمت قتلت ولا بد • وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته • واستفراغ

يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها
من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا يتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال
الصالحة ويحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط
الردية وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد
والتقوى اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره واذا تبين هذا
فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تستجلب المواد المؤذية وتوجب التخليط والتخليط
المضادة للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظروا الى بدن عليل قد تراكمت عليه
الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه وقد
احسن القائل جسمك بالحمية حصنته مخافة من الم طارئ وكان اولى بك
ان تحتمي عن المعاصي خشية الله البارئ فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية
باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا للشر مهربا
وفي حديث انس الا ادلكم على دائكم ودوائكم الا ان داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار
فقد ظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا من جهة الرسول صلى
الله عليه وسلم بواسطة الوحي واما طب الاجساد فغالبه يرجع الى التجربة
ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل فطر الله عليه الحيوانات مثل ما يدفع
الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة طبيب ونوع يحتاج الى الفكر
والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة وكل منهما
اما الى رطوبة او يبوسة او الى ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع
يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرهما والطريق الى معرفته بتحقيق السبب والعلامة
فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه او عكسه وفي تنقيص ما يضر به
زيادته او عكسه ومدار ذلك على ثلاثة اشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذي واستفراغ
المادة الفاسدة وقد اشير الى الثلاثة في القرآن المجيد الاول في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او
على سفر فعدة من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه
الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول في المرض والثاني وهو الحمية ولا تقتلوا انفسكم فانه
استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد وفي آية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فاباح العدول للمريض عن الماء الى التراب
حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه وهو تنبيه على الحمية من كل مؤذ له من داخل او خارج والثالث
من قوله تعالى او به اذى من رأسه ففدية فانه اشير بذلك الى جواز حلق الرأس الذي منع منه المحرم
لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الرأس تحت الشعر لانه اذا حلق رأسه تفتحت المسام

فرجت تلك الابخرة منها هذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسه فقد ارشد
تعالى عباده الى اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين من حديث عطاء عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا انزل معه شفاء واخرجه النسائي وصححه
ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود بلفظ ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء فتداووا وعند احمد
من حديث انس ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا وعند البخاري في الادب المفرد واحمد
واصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله
فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء الا داء واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام وهو بمهملة
مخففا الموت يعني الا داء الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثناء الهرم
في الرواية الاولى اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او لقربه من الموت و
افضائه اليه ويحتمل ان يكون استثناء منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دواء له ولابي داود عن
الدرداء رفعه ان الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام وفي البخاري
ان الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوي بالحرام وروى مسلم
عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى فالشفاء متوقف
على اصابة الدواء الداء باذن الله تعالى وذلك ان الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية
او الكمية فلا ينجع بل ربما احدث داء آخر وفي رواية علي عند الحميدي في كتابه المسمى بطب اهل البيت
ما من داء الا وله دواء فاذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه سترة فجعل في الداء والدواء
فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فاذا اراد الله برأه امر الملك فرفع الستر ثم شرب المريض
الدواء فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه
من علمه وجهله من جهله رواه ابو نعيم وغيره وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما
لكل داء دواء فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التي لا يمكن الطبيب
معرفتها او يكون الله تعالى قد جعل لها ادوية تبرئها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم سبيلا
لانه لا علم للخلق الا ما علمهم الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء الداء
وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى بدواء فيبرأ ثم يعتريه بعد ذلك الداء فيتداوى بذلك الدواء بعينه فلا ينجع والسبب
في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع
في الذي ليس مركبا فيقع الخطأ من هناك وقد يكون متحدا لكن يريد الله ان لا ينجع وههنا تخضع رقاب الاطباء
وفي مجموع ما ذكرناه الاشارة الى اثبات الاسباب وان ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش
بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك وقد سئل
الحارث بن اسد المحاسبي في كتاب القصد من الفقه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال روي
ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق ولا سبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم

لابي الدرداء

قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى بريء من التوكل قال بريء من توكل المتوكلين الذين ذكرهم
في حديث آخر فقال لا يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب وما سواهم من المتوكلين فاباح لهم من الدواء
والاسترقاء فجعل الحاصل من التوكل بعضه افضل من بعض • وقال في التمهيد انما اراد بقوله بريء من التوكل
اذا استرقى بالرقى المكروهة في الشريعة او اكتوى وهو متعلق رغبته في الشفاء بوجود الكي وكذلك
قوله لا يسترقون الرقى المخالفة للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم متعلقة بمنافع الكي ومعرضة عن فضل الله تعالى
وان الشفاء عنده • واما اذا فعل ذلك على ما جاء في الشريعة وكان ناظرا الى رب الدواء ومتوقع الشفاء
من الله تعالى وقصد بذلك استعمال ما امر الله تعالى واتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق
على حاله لا ينقص منه الدواء شيئا اسد لا يتعطل سيد المتوكلين اذا عمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى
فقد سن ان التداوي لا ينافي التوكل بل تمام حقيقة التوحيد لا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى
مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الامر والحكمة • وحكي ان
التيم انه ورد في خبر اسرائيلي ان الخليل كان قال يا رب ممن الداء قال مني قال فممن الدواء قال مني قال فما
بال الطبيب قال رجل ارسل الدواء على يديه • قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض
والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه ان الداء لمرض دواء يزيله
تعلق قلبه بروح الرجا وبردت عنه حرارة الياس وانفتح له باب الرجا ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية
وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى
التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى **فان قلت** ما المراد بالانزال في قوله في الاحاديث السابقة
الا انزل له دواء • وفي رواية اخرى شفاء **فالجواب** انه يحتمل ان يكون عبر بالانزال عن التقدير • ويحتمل ان يكون
المراد انزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم وابن يتبع طب حذاق الاطباء الذي غايته ان يكون
ماخوذا من قياسات او حدس وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم
بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطباء من الطب الى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم
الى ما جاء به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من الادوية التي تشفي من الامراض ما لم يهتد اليها عقول اكابر الاطباء ولم تصل
اليها علومهم وتجربتهم واقيستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله تعالى
والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلاة والدعاء والاستغفار والاحسان الى الخلق والتفريج
عن المكروب فان هذه الادوية قد جربتها الامم على اختلاف اديانها ومللها فوجدوا لها من التاثير في الشفاء
ما لا يصل اليه علم اعلم الاطباء • وقد جربت ذلك واستمررت فوجدته يفعل ما لا يفعله الادوية الحسية •
ولا ريب ان طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة • وذلك ان
طب غيره اكثره حدس او تجربة وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل
من ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول • واظهر الامثلة في ذلك القرآن الذي هو الشفاء لما في
الصدور • ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره به لقصوره في الاعتقاد والتلقي

بالقبو

بالقبول • بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه ومرضا الى مرضه فطب النبوة لا يناسب الا الابدان الطيبة
كما ان شفاء القرآن لا يناسب الا الارواح الطيبة والقلوب الحية • فاعراض الناس عن طب النبوة
كاعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع وكان علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض على
ثلاثة انواع • احدها بالادوية الالهية الروحانية • والثاني بالادوية الطبيعية والثالث
بالمركب من الامرين • النوع الاول في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الالهية •
اعلم ان الله تعالى لم ينزل من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القرآن
فهو للداء شفاء ولصدا القلوب جلاء كما قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين • ولفظة من كما قال الامام فخر الدين ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس
الذي هو القرآن شفاء من الامراض الروحانية وشفاء ايضا من الامراض الجسمانية اما كونه شفاء من
الامراض الروحانية فظاهر وذلك لان المرض الروحاني نوعان الاعتقادات الباطلة واشدها
الاعتقادات الفاسدة في الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر • والقرآن مشتمل على دلائل
المذهب الحق في هذه المطالب وابطال المذاهب الباطلة • ولما كان اقوى الامراض الروحانية هو الخطأ
في هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب لا جرم
كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني • واما الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على
تفصيلها وتعريفها وما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال المحمودة فكان
القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت ان القرآن شفاء من جميع الامراض الروحانية
واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض واذا اعتبر
الجمهور من الفلاسفة واصحاب الطلسمات بان لقراءة الرقى المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء اثارا عظيمة
في تحصيل المنافع ودفع المفاسد افلا يكون قراءة القرآن المشتمل على ذكر جلال الله وكبريائه وتعظيم
الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين والدنيا ويتايد ما ذكرناه
بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله • ونقل عن الشيخ ابي
القاسم القشيري رحمه الله تعالى انه ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف منه على الموت واشتد عليه الامر قال
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت اليه ما بولدي فقال اين انت من ايات الشفاء فانتبهت
فافكرت فيها فاذا هي في ستة مواضع من كتاب الله تعالى وهي قوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين
وشفاء لما في الصدور • يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس • وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين • واذا مرضت فهو يشفين • قل هو للذين امنوا هدى وشفاء • قال
فكتبتها ثم حللتها بالماء وسقيته اياها فكانما نشط من عقال او كما قال • وانظر رقية اللديغ
بالفاتحة وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع وتامل في قوله عليه السلام في بعض ادعيته وان تجعل
القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني وشفاء صدري اي يكون له بمنزلة الدواء الذي يستاصل الداء ويعيد

البدن الى الصحة واعتداله . وفي حديث علي عند ابن ماجة مرفوعا خير الدواء القرآن . وههنا امر ينبغي
ان يتفطن له وهو ان الايات والاذكار والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في
نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان
لضعف تأثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت
الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول . وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ
بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة اثر في ازالة الداء . وكذلك الدعاء فانه من اقوى الاسباب
في دفع المكروه وحصول المطلوب . ولكن قد يتخلف اثره عنه اما لضعفه في نفسه بان يكون دعاء
لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء
واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والشهوة
واللهو . وقد روى الحاكم حديث واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه ومن انفع الادوية الدعاء
وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن
واذا جمع مع الدعاء حضور القلب والجمعية بالكلية على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة
كثلث الليل الاخير مع الخشوع والانكسار والذل والتضرع واستقبال القبلة والطهارة ورفع
اليدين والبداءة بالحمد والثناء على الله تعالى والصلوة والتسليم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
بعد التوبة والاستغفار والصدقة والح في المسألة واكثر التملق والدعاء والتوسل اليه باسمائه وصفاته
وتوحيده وبنبيه صلى الله عليه وسلم فان هذا الدعاء لا يكاد يرد ابدا لا سيما ان دعا بالادعية التي
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانها مظنة الاجابة وانها متضمنة للاسم الاعظم فلا احلا في شرعية
الفزع الى الله عز وجل والالتجاء اليه في كل ما ينوب الانسان . واما الرقى فاعلم
ان الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحاني . واذا كان على لسان الابرار من
الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني . وفي البخاري
من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق
والناس والاخلاص فيكون من باب التغليب والمراد الفلق والناس . ومن ذلك كلما ورد من التعويذ في القرآن
كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين . واما ما اخرجه احمد وابو داود والنسائي من حديث
ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها الرقى الا بالمعوذات ففي سنده
عبد الرحمن بن حرملة . قال البخاري لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته هو منسوخ بالاذن في الرقية
بالفاتحة . واما حديث ابي سعيد عند النسائي كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان
حتى نزلت المعوذات فاخذ بها وترك ما سواها . وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين
السورتين بل على الاولوية . ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما . وانما اجتزأ بهما لما اجتمعتا عليه من
جوامع الكلم في الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا . وقد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة

شروط ان يكون بكلام الله تعالى او باسمائه وصفاته وباللسان العربي او بما يعرف معناه من غيره
وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى . واختلفوا في كونها شرطا . والراجح انه لا بد
من اعتبارها . وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف
ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى اذا لم يكن فيه شرك . وله من حديث جابر نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية
نرقي بها من العقرب قال فعرضوا عليه فقال ما ارى بأسا من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه . وقد
تمسك قوم بهذا العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها لكن دل حديث عوف
انه مهما كان من الرقى يؤدي الى الشرك يمنع وما لا يعقل معناها لا يؤمن من ان يؤدي الى الشرك
فيمتنع احتياطا . والشرط الاخير لا بد منه . وقال قوم لا تجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث
عمران بن حصين لا رقية الا من عين او حمة . واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل ما يحتاج الى
الرقية فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل او مس او نحو ذلك لاشتراكهما في كونهما ينشآن عن
احوال شيطانية من انسي او جني ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية
وقد وقع عند ابي داود من حديث انس مثل حديث عمران وزاد او دم . وفي حديث مسلم من حديث انس ايضا
رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقى من العين والحمة والنملة . وفي حديث آخر والاذن
ولابي داود من حديث الشفاء بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها الا تعلمين هذه يعني حفصة
رقية النملة . والنملة قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد . وقيل المراد بالحصر معنى الافضل اي
لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار . وقال قوم المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء
والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه . ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما . وروى ابو داود وابن
ماجة وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقى والتمائم والتولة شرك . والتمائم جمع تميمة وهي
خرزة او قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع الآفات . والتولة
بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت المرأة تجلب فيه محبة زوجها وهو ضرب من السحر
وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان
باسماء الله وكلامه فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سيأتي ان شاء الله تعالى
والالحاح في مشروعيته للفزع الى الله سبحانه وتعالى والالتجاء اليه سبحانه في كل ما وقع وكل ما يتوقع
وقال بعضهم المنهي عنه من الرقى هو الذي يستعمله المعزم وغيرهم ممن يدعي تسخير الجن فيأتي بامور
مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين و
الاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم . ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين
لكونهم اعداء بني آدم فاذا عزم على الحية باسماء الشياطين اجابت وخرجت من مكانها . وكذا
اللديغ اذا رقي بتلك الاسماء سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله واسمائه

خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه فكونه بريئا من شوب الشرك ۔ وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله تعالى علماء الأمة ۔ وقال القرطبي الرقى ثلاثة اقسام ۔ احدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يؤدي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله او باسمائه فيجوز فان كان مأثورا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء الى الله تعالى به والتبرك باسمائه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقي به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله ۔ وقال الربيع سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس ان يرقى بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله تعالى قلت أيرقي اهل الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله تعالى وبذكر الله ۔ انتهى ۔ وفي الموطأ ان ابا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة ارقيها بكتاب الله ۔ وقال النووي قال القاضي عياض واختلف في قول مالك في رقية اليهودية والنصرانية المسلم ۔ وبالجواز قال الشافعي والله اعلم ۔ وروى ابن وهب عن مالك كراهة الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم ۔ رقية الذي يصاب بالعين روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اي الاصابة بالعين شيء ثابت موجود وهو من جملة ما تحقق كونه ۔ قال المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوائف من المبتدعة لغير معنى لان كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فهو من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الآخرة ۔ وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون ۔ واجيب بان طبائع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن في الهواء الى بدن المعيون ۔ وقد نقل عن بعض من كان معيانا انه قال اذا رأيت شيئا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني ۔ ويقرب ذلك من المرأة الحائض تضع يدها في اناء اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ۔ ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الى العين الرمداء فيرمد ۔ وقال المازري زعم بعض الطبائعيين ان العائن ينبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعى ۔ واشار الى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة اهل السنة ان العين انما تضر عند نظر العائن بعادة اجراها الله تعالى ان يحدث الضرر عند مقابلة شخص آخر ۔ وهل ثم جواهر خفية او لا هو امر محتمل لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى الاسلام من اصحاب الطبائع بان جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العائن فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد اخطأ بدعوى القطع ولكنه جائز ان يكون عادة ليست ضرورة ولا طبيعة ۔ انتهى وهو كلام سديد ۔ وليس المراد بالتأثير المعنى الذي تذهب اليه الفلاسفة بل ما اجرى الله به العادة من حصول الضرر

للمعيون

للمعيون ۔ وقد اخرج البزار بسند حسن عن جابر رفعه اكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس قال البزار يعني العين ۔ وقد اجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الاجسام والارواح كما يحدث لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه ۔ وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر اليه ويضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الارواح من التأثيرات ولشدة ارتباطها بالعين ۔ ولست هي المؤثرة وانما التأثير للروح والروح مختلفة في طبايعها وكيفياتها وخواصها فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة ۔ والحاصل ان التأثير بارادة الله سبحانه وتعالى وخلقه ليس مقصورا على الاتصال الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة واخرى بمجرد الرؤية واخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية والرقى والالتجاء الى الله عز وجل وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل كالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي ان صادف البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي سواء ۔ انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره ۔ قال ابن القيم والغرض من العلاج النبوي لهذه العلة في التعوذات والرقى الاكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة وآية الكرسي ۔ ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ۔ ونحو اعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن ۔ واذا كان يخشى ضرر عينه واصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف الا باركت عليه ومما يدفع به اصابة العين قوله ما شاء الله لا قوة الا بالله ۔ ومنها رقية جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل ذي نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك ۔ وعنده ايضا من حديث عائشة كان جبريل يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين ۔ واخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وظاهر الامر الوجوب ۔ وحكى المازري فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك وكان اغتسال العائن مما جرت العادة بالشفاء به فانه يتعين ۔ وقد تقرر انه يجبر على بذل الطعام للمضطر وهذا اولى ۔ انتهى ۔ ولم يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال قال ابن حجر وقد وقعت في حديث سهل بن حنيف عند احمد والنسائي ان اباه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ماء حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة

فلبط

قطني الدارق
وبينما هو صلى الله تعالى عليه وسلم ... على
راكبا ومعه صاحبه اذ رأى عفريتا ...
من الجن ... بشعلة من النار في يده ...
النبي ... الاجبريل ... كلمات ...
[illegible]

تمثل اي صرع وسقط الى الارض فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له هل تتهمون من احد قالوا عامر ابن ربيعة فتغيظ عليه ثم قال علام يقتل احدكم اخاه هلا اذا رايت ما يعجبك بركت ثم قال له اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على راسه وظهره ثم كفئ القدح ففعل فراح سهل مع الناس ليس به باس قال المازري المراد بداخلة ازاره الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الايمن وظن بعضهم انه كناية عن الفرج انتهى وزاد القاضي عياض ان المراد ما يلي جسده من الازار وقيل اراد موضع الازار من الجسد وقيل اراد وركه لانه معقد الازار ورايت ما عزي لخط شيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي قال ابن بكير واثر عن مالك انه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد وقال ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابته عين من احد جاء الى العائن بقدح فيه ماء فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على يده اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على يده اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الايسر ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه الايسر ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض ثم يصب ذلك الماء المستعمل على راس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرا باذن الله تعالى انتهى وقال المازري وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربي ان توقف فيه متشرع قلنا له الله ورسوله اعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة او متفلسف فالرد عليه اظهر لان عنده ان الادوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى لا يدرك ويسمون ما هذا سبيله الخواص قال ابن القيم ومن علاج ذلك والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكره البغوي في كتاب شرح السنة ان عثمان بن عفان رضي الله عنه راى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا نونته اي سودوا نونته والنونة النقرة التي تكون في ذقن الصغير وذكر عن عبد الله الساجي انه كان في بعض اسفاره للحج او الغزو على ناقة فارهة وكان في الرفقة رجل عائن قلما نظر الى شيء الا اتلفه فقيل لعبد الله احفظ ناقتك من العائن فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر العائن بقوله فتحين غيبة عبد الله فجاء الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت فجاء عبد الله فاخبر ان العائن قد عانها وهي كما ترى فقال دلوني عليه فوقف عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا باس بها انتهى وفي حديث هذا الباب من الفوائد ان العائن

اذا عرف يقضى عليه بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة وان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح وان الذي يعجبه الشيء يبادر الى الدعاء للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه وان الاصابة بالعين قد تقتل وقد اختلف في جريان القصاص بذلك فقال القرطبي لو اتلف العائن شيئا ضمنه ولو قتل فعليه القصاص او الدية اذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم يتعرض الشافعية في القصاص في ذلك بل منعوه وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال النووي في الروضة ولا دية فيه ولا كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس وبعض الاحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل اصلا وانما غايته حسد وتمني لزوال النعمة وايضا فالذي ينشا عن الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين ذلك المكروه في زوال الحياة فقد يحصل له مكروه من غير ذلك من اثر العين انتهى قال الحافظ ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناه والفرق بينهما عسر ونقل ابن بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العائن اذا عرف بذلك من مداخلة الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان ضرره اشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر رضي الله عنه من مخالطة الناس واشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع اكله من حضور الجماعة قال النووي وهذا القول صحيح متعين لا يعرف من غيره تصريح بخلافه

ذكر رقيته صلى الله عليه وسلم كان يرقي بها

عن عبد العزيز قال دخلت انا وثابت على انس بن مالك فقال ثابت يا ابا حمزة اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال قل اللهم رب الناس مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفاء لا يغادر سقما رواه البخاري وقوله اذهب الباس بغير همز للمؤاخاة واصله الهمز وفي قوله لا شافي الا انت اشارة الى ان كل ما يقع من الدواء والتداوي ان لم يصادف تقدير الله والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك وفي البخاري ايضا عن مسروق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض اهله يمسح بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه وانت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وقوله يمسح بيده اي على الوجع وقوله الا شفاؤك بالرفع بدل من موضع لا شفاء وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي يقول امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له الا انت رواه البخاري ايضا وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي تالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر وانما كرره ليكون انجع وابلغ كتكرار الدعاء لانه اهم المطالب

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الفزع والارق المانع من النوم

عن بريدة قال شكى خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما انام الليل من الارق فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب

وما أصلحت لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط علي أحد منهم أو يبغي علي عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك • رواه الترمذي

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حر المصيبة ببرد الرجوع إلى الله تعالى

في المسند مرفوعا ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها • قال في الهدي النبوي • وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته • أحدهما أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله الله تعالى عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ من المستعير • والثاني أن مصير العبد ومرجعه إلى الله تبارك وتعالى ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء قال ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وأنه لو فتش العالم لم ير فيه إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن سرور الدنيا أحلام نوم أو ظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما أساءت دهرا وإن متعت قليلا منعت طويلا • وما ملأت دار حبرة إلا ملأتها عبرة • ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور • وقال ابن مسعود لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا إلا ملئ ترحا •

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الهم والكرب بدواء التوحيد إلى الكرب

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش الكريم • رواه الشيخان • وقوله عند الكرب أي عند حلول الكرب • وعند مسلم كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب • وعنده أيضا كان إذا حزبه أمر وهي بفتح المهملة والزاي والباء الموحدة أي هجم عليه أو غلبه • قال الطبري معنى قول ابن عباس يدعو وإنما هو تهليل وتعظيم يحتمل أمرين • أحدهما أن المراد تقديم ذلك قبل الدعاء كما عند عبد ابن حميد كان إذا حزبه أمر قال فذكر الذكر المأثور وزاد ثم دعا • قال الطبري • ويؤيد هذا ما روي الأعمش عن إبراهيم قال كان يقال إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء استجيب له • وإذا بدأ بالدعاء قبل الدعاء كان على الرجاء • ثانيهما ما أجاب به ابن عيينة وقد سئل عن الحديث الذي فيه أكثر ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث فقال سفيان هو ذكر وليس فيه دعاء ولكن قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين • وقال أمية ابن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان • أأذكر حاجتي أم قد كفاني • حباؤك إن شيمتك الحباء • إذا أثنى عليك المرء يوما • كفاه من تعرضك الثناء • فهذا مخلوق نسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال فكيف بالخالق • قال في حديث ابن عباس رضي الله عنه كما قال ابن القيم قد اشتمل على توحيد الإلهية والربوبية • ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان

مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والإحسان والتجاوز ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة للعالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها والربوبية التامة تستلزم توحيده وأنه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة إلا له • وعظمته المطلقة تستلزم توحيده فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي فحصول هذا الشفاء للقلب أولى وأحرى • ثم إذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه إلى سعة البهجة والسرور وإنما يصدق هذه الأمور من أشرقت فيه أنوارها وباشر قلبه حقائقها • قال ابن بطال حدثني أبو بكر الرازي قال كنت بأصبهان عند أبي نعيم أكتب الحديث وهناك شيخ يقال له أبو بكر بن علي قد سعي به إلى السلطان فسجن فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه قال فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يمكث إلا قليلا حتى أخرج • وفي حديث علي عند النسائي وصححه الحاكم لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها لا إله إلا الله الكريم العظيم سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين • وفي لفظ الحليم الكريم في الأول • وفي لفظ لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم العلي العظيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم • وفي لفظ لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين • أخرجها كلها النسائي • وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أهمه الأمر رفع طرفه إلى السماء فقال سبحان الله العظيم • وإذا اجتهد في الدعاء قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث • قال العلامة ابن القيم وفي تأثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث في دفع هذا الداء مناسبة بديعة فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال • ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى هو اسم الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الآلام والأسقام • ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا حزن ولا شيء من الآفات فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة ويضر بالأفعال فلهذا الاسم الحي القيوم تأثير عظيم خاص في إجابة الدعوات وكشف الكربات ولهذا كان صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد في الدعاء قال يا حي يا قيوم • وروى أبو داود عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت • وفي هذا الدعاء كما قاله في زاد المعاد من تحقيق الرجاء لمن الخير كله بيده • والاعتماد عليه وحده • وتفويض الأمر إليه • والتضرع إليه أن يتولى إصلاح شأنه

ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده مما له تأثير في دفع هذا الداء • وكذا قوله في حديث اسماء بنت عميس عند ابي داود ايضا مرفوعا كلمات الكرب الله ربي لا اشرك به شيئا • وفي مسند الامام احمد من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه وهمه وابدله مكانه فرجا • وانما كان هذا الداء عند الله بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعي وعبودية ابائه وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف يشاء واثبات القدر وان احكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها وانه سبحانه وتعالى عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم توسله باسماء الرب تعالى التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا ومنها ما استأثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا فهذه الوسيلة اعظم الوسائل واحبها الى الله واقربها تحصيلا للمطلوب ثم سؤاله ان يجعل القرآن لقلبه ربيعا كالربيع الذي ترتع فيه الحيوانات وان يجعله لصدره كالنور الذي هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفاء همه وغمه فيكون بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الصدور والاصدية وغيرها فاذا صدق العليل في استعمال هذا الدواء عقبه شفاء تاما • وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدري قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا برجل من الانصار يقال له ابو امامة فقال يا ابا امامة ما لي اراك في المسجد في غير وقت الصلوة فقال هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاما اذا انت قلته اذهب الله عز وجل همك وقضى دينك قلت بلى يا رسول الله قال قل اذا اصبحت واذا امسيت اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فاذهب الله همي وقضى ديني • وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية اشياء كل اثنين منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الرجال اخوان فحصلت الاستعاذة من كل شر • وفي سنن ابي داود ايضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب • وانما كان الاستغفار له تأثير في دفع الهم والضيق لانه قد اتفق اهل الملل وعقلاء كل امة ان المعاصي والفساد توجب الهم والغم والحزن وضيق الصدر وامراض القلب هذا اذا كان تأثير الذنوب والآثام في القلوب فلا دواء لها الا التوبة والاستغفار • وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله

وثبت

وثبت في الصحيحين انها كنز من كنوز الجنة • وفي الترمذي انها باب من ابواب الجنة • وفي بعض الآثار انه ما ينزل ملك من السماء ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله • وروى الطبراني من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بامر من الامتثال الى جبرئيل فقال لي يا محمد توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا • وفي كتاب ابن السني من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب اغاثه الله عز وجل • وعنده ايضا من حديث سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين • وعند الترمذي لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجيب له • وروى الديلمي في مسند الفردوس عن جعفر بن محمد يعني الصادق رضي الله تعالى عنهما قال حدثني ابي عن جدي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا احزنه امر دعا بهذا الدعاء اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك وانت رجائي وكم من نعمة انعمت بها علي قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابدا ويا ذا النعم التي لا تحصى عددا اسألك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد وبك ادرأ في نحور الاعداء والجبارين اللهم اعني على ديني بالدنيا وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا ينقصه العفو هب لي ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك انك انت الوهاب اسألك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا واسعا والعافية من البلايا وشكر العافية • وفي رواية واسألك تمام العافية واسألك دوام العافية واسألك الشكر على العافية واسألك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الفقر عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ان الدنيا ادبرت عني وتولت قال له فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة تأتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد اقبلت علي الدنيا فما ادري اين اضعها • رواه الخطيب في رواية مالك

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الحريق • عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه • رواه الطبراني في الدعا وابن عساكر

فان قلت ما وجه الحكمة في اطفاء الحريق بالتكبير اجاب صاحب زاد المعاد بانه لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها وكان فيها من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله وكان للشيطان اعانة عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهما هدي الشيطان واليهما يدعو وبهما يهلك بني آدم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الارض والفساد

وكبرياء الله تعالى تقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله تعالى له أثر في إطفاء الحريق فإن كبرياء الله لا يقوم لها شيء فإذا كبر المسلم ربه أثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان. وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك انتهى. وقد جربت ذلك التجربة في سنة خمس وتسعين وثمانمائة فوجدت له أثرا عظيما لم أجده لغيره ولقد شاع وذاع رؤية طيور بحريق طيبة الواقع في ثالث عشر في سنة ست وثمانين وثمانمائة معلنة بالتكبير. وفيه يقول قاضي القضاة شمس الدين السخاوي: فقل لكل بأن النار زخرفة. فما ترى من نجا منها غير منهزم. فجاءت الطير ردتها بأجنحة عن البيوت رأيناها غير متهم. وقال أيضا في قصيدة أخرى. فكم تخص ترى عانا حذرا. فجاءت الطير للنيران تطردها عن البيوت ولا يخفى لمن نظرا. ومن حديث أدرك نبيك فقد احترقت معلنة بالتكبير

ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يطب به من داء الصرع

في الصحيحين أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي فقال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله لك فيعافيك فقالت أصبر قالت فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها. قال العلامة ابن القيم: الصرع صرعان صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية وصرع من الأخلاط الرديئة والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء. فأما علاج صرع الأرواح فيكون بأمرين أمر من جهة المصروع وأمر من جهة المعالج. فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر الأرواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان فإن هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين أن يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وأن يكون الساعد قويا. والثاني من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران أيضا حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه أو يقول بسم الله أو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله. قال وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله أنا رسول الله. وكان بعضهم يعالج ذلك بآية الكرسي ويأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين. قال ومن حدث له الصرع ولخمس وعشرين سنة خصوصا بسبب دماغي أيس من برئه. وكذلك إذا استمر به إلى هذا السن فهذه المرأة التي جاء الحديث أنها كانت تصرع وتتكشف يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع فوعدها النبي صلى الله عليه وسلم بصبرها على هذا المرض بالجنة. ولقد جربت الإقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه إلى آخر سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا. ومن أغرب قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف واستغاثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فجيء إلى صارعها في المنام بأمره صلى الله عليه وسلم فوبخته فأقسم أن لا يعود إليها فاستيقظت وما بها قلبة ومن ثم لم يعد إليها فلله الحمد.

ذكر دوائه صلى الله عليه وسلم من داء السحر

قال النووي: السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر وإلا فلا. وأما

تعلمه وتعليمه فحرام. وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا فإن تاب قبلت توبته. وقال مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله. والمسألة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لأن الساحر عنده كافر كما ذكرناه وعندنا ليس بكافر. وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق. قال القاضي عياض: وبقول مالك قال أحمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين. قال أصحابنا: فإذا قتل الساحر بسحره إنسانا واعترف أنه مات بسحره وأنه يقتل غالبا لزمه القصاص وإن قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص وتجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لأن العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني. قال أصحابنا: ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة وإنما يتصور باعتراف الساحر انتهى.

واختلف في السحر هل هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهو اختيار أبو جعفر الاستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وطائفة. قال النووي: والصحيح أن له حقيقة. وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء. ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة. قال شيخ الإسلام أبو الفضل العسقلاني: لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا. فمن قال إنه تخييل فقط منع ذلك. والقائلون بأن له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الأمراض أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الأول. وقال المازري: جمهور العلماء على إثبات السحر. ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها نافعا بمفرده فيصير بالتركيب نافعا. وقيل لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون بين المرء وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره الله تعالى. قال المازري: والصحيح من جهة العقل أنه يقع به أكثر من ذلك. قال والآية ليست نصا في منع الزيادة. ولو قلنا إنها ظاهرة في ذلك. ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج إلى ذلك إنما تقع غالبا اتفاقا وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي. ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يقع إلا من فاسق وأن الكرامة لا تظهر على فاسق. ونقل النووي في زيادة الروضة عن المتولي نحو ذلك وينبغي أن يعتبر حال من يقع منه الخارق فإن كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة وإلا فهو سحر. وقال القرطبي: السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس. ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها وأكثرها تخييلات بغير حقيقة وإيهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون وجاءوا بسحر عظيم مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا. وقال أبو بكر الرازي في الأحكام أخبر الله تعالى أن الذي ظنه موسى أنها تسعى

لم يكن سعيًا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة قد ملئت زيبقًا • وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا وجعلوا لها آزاجا ملؤها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها لان من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته كافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته فظن من رآها انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى • قال القرطبي والحق ان لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالم والسقم وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا او عكسه بسحر الساحر وقد ثبت في البخاري من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى ان كان ليخيل اليه انه يفعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا ثم قال يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والآخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال واين هو قال في بئر ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فجاء فقال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقلت يا رسول الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثور على الناس شرا فامر بها فدفنت وفي رواية البخاري ايضا فاتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التي اريتها قالت عائشة افلا تنشرت قال اما الله فقد شفاني واكره ان اثير على الناس شرا • وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلائل بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى عشرة عقدة وانزلت سورة الفلق والناس فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة • واخرج ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس ان عليا وعمارا رضي الله عنهما لما بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه • وفي رواية ذكرها في فتح الباري فنزل رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيه ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة • وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما اخرجه عنه ابن سعد بسند له الى عمر بن الحكم مرسل • قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع جاءت رؤساء اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا انت اسحرنا وقد سحرناه فلم نصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير • ووقع في رواية ابي ضمرة عند الاسماعيلي فاقام اربعين ليلة • وفي رواية وهيب عن هشام عند احمد ستة اشهر ويمكن الجمع بان تكون الستة اشهر من ابتداء تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه • وقال السهيلي لم اقف في شيء من الاحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري انه لبث سنة • قال الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا بالاسناد الصحيح فهو المعتمد • وقال المازري انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها

قالوا وكلما ادى الى ذلك فهو باطل وظنوا ان تجويزه هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع اذ يحتمل على هذا ان يخيل اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحى اليه بشيء ولم يوح بشيء • قال المازري وهذا كله مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل • واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث لاجلها ولا كانت الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في امور الدين انتهى وقال غيره لا يلزم من انه كان يظن انه فعل الشيء ولم يكن فعله ان يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحد حجة • وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بالتخيل المذكور انه يظهر له من نشاطه ما الفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء فاذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شان المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى حتى كاد ينكر بصره اي صار كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا رأى الشيء يخيل انه على غير صفته فاذا تامله عرف حقيقته • ويؤيد جميع ما تقدم انه لم ينقل عنه في خبر من الاخبار انه قال قولا فكان بخلاف ما اخبر به • قال بعضهم وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الاسباب ففي اول الامر فوض وسلم لامر ربه واحتسب الاجر في صبره على البلاء ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه ان يضعفه عن فنون عبادته جنح الى التداوي • فقد اخرج ابو عبيدة من مرسل عبد الرحمن بن ابي ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على راسه يعني حين طب ثم جنح الى الدعاء وكل من المقامين غاية في الكمال • وقال ابن القيم من انفع الادوية واقوى ما يوجد من النشرة مقاومة للسحر الذي هو من تاثيرات الارواح الخبيثة بالادوية الالهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب اذا كان ممتلئا من الله معمورا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من اعظم الاسباب المانعة من اصابة السحر له • قال ومن سلطان تاثير السحر في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال لان الارواح الخبيثة انما تسلط على ارواح تلقاها مستعدة لما يناسبها • انتهى ملخصا • ويعكر عليه حديث الباب • وجواز السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عنه بان الذي ذكره محمول على الغالب وانما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك عليه • واما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر ابن بطال ان في كتب وهب بن منبه ان ياخذ سبع ورقات من سدر اخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فانه يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا حبس عن اهله • وممن صرح بجواز النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري انتهى • وقال ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر تداويه بالنشرة يعملها لنفسه ولاولاده واصحابه فيجدون على ذلك الشفاء واخبر رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاها له في المنام وقال

انه مرة راى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما تعلم ما نعمل معاك ومع اصحابك في هذه النشرة نقله عنه خادمه وهي هذه لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى اخر السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا الى اخر السورة وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت المميت وانت الخالق وانت البارئ وانت المبلي وانت المعافي وانت الشافي خلقتنا من ماء مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اني اسالك باسمائك الحسنى وصفاتك العلى يا من بيده الابلاء والمعافاة والشفاء والدواء اسالك بمعجزات نبيك صلى الله عليه وسلم حبيبك وبركات خليلك ابراهيم وحرمة كليمك موسى اللهم اشفه

ذكر رقية تنفع لكل شكوى

عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ باذن الله • رواه ابو داود في سننه

ذكر رقيته من الصداع

روى الحميدي في الطب عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الصداع بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير واعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار • رواه ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما واصاب اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ورم في راسها فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله اذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم الله صنع ذلك ثلاث مرات وامرها ان تقول ذلك فقالت ثلاثة ايام فذهب الورم • رواه الشيخ ابن النعمان بسنده والبيهقي

رقيته صلى الله عليه وسلم من وجع الضرس • روى البيهقي ان عبد الله ابن رواحة شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فوضع صلى الله عليه وسلم يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات فشفاه الله قبل ان يبرح وروى الحميدي ان فاطمة رضي الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو ما تلقى من ضربان الضرس فادخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي يالم فقال بسم الله وبالله اسالك بعزتك وجلالك وقدرتك على كل شيء فان مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضر كله فسكن ما بها • ومن الغريب مما شاع وذاع عن شيخنا محب الدين الطبري امام مقام الخليل بمكة وراينه مرة مرة يضع يده على رأس الموجوع ضرسه ويسال اسمه واسم امه وعن المدة التي يريد المالوم ان لا يالمه فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين مثلا بالوزن كما قالوا فما يرفع يده الا وقد سكن المه ويمكث المدة المذكورة لا يالمه كما اشيع ذلك واشتهر واشهر مما جرب ان يكتب على الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشأكم وجعل

السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون • وان شاء كتب وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم

رقية لعسر البول • روى النسائي عن ابي الدرداء انه اتاه رجل يذكر ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب الطيبين فانزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرأ وامره ان يرقيه بها فرقاه بها فبرئ وقد تقدم هذا في رقية الشكوى العامة • من حديث ابي داود

رقية الحماء • عن انس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها فانها مامورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها اخر قال فقالتها فذهبت عنها • رواه البيهقي • وقد جرب ذلك كما رايته بخط شيخنا اللهم ارحم عظمي الدقيق وجلدي الرقيق واعوذ بك من فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله واليوم الاخر فلا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تفوري على الفم وانتقلي الى من يزعم ان مع الله الها اخر فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله •

ويكتب للحمى المثلثة مما ذكره صاحب الهدي على ثلث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت ويأخذ كل يوم ورقة ويجعلها في فمه ويبلعها بماء • وقد رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن وشربه وجعل ذلك من الشفاء الذي جعله الله فيه • قال ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني لازم الله الاوراد المكتوب للحماء وغيرها على باب الزاوية فمن كان به الم اخذ ورقة فاستعملها فيبرأ باذن الله عز وجل وكان فيها ازلي لم يزل ولا يزال لا يزيل الزوال وهو لا يزال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين • وقال المروزي بلغ ابا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحماء رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك اله الحق امين • ونقله صاحب زاد المعاد

ومما جرب للخراج ان يكتب عليه ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا •

ومما يكتب لعسر الولادة ما روى الخلال ان عبد الله بن الامام احمد بن حنبل قال رايت ابا بكر يكتب للمرءة اذا عسر عليها ولادها في جام ابيض او شيء نظيف حديث ابن عباس لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها • قال الخلال اخبرنا ابو بكر المروزي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله تكتب لامرءة قد عسر عليها ولدها منذ يومين فقال قل له يجيء بجام واسع وزعفران

قال وراشه يكتب لعسر ولحد • وفي المدخل يكتب في آنية جديدة اخرج ايها الولد من بطن ضيق الى سعة
هذه الدنيا اخرج بقدرة الذي جعلك في قرار مكين الى قدر معلوم لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا • الى اخر السورة • وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وتشربها
النفساء ويرش منه على وجهها • قال الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة فما كتبته لاحد
الا نجح في وقته • انتهى • وروى عن عكرمة عن ابن عباس ان عيسى عليه السلام مر على امرأة وقد اعترض ولدها
في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله ان يخلصني مما انا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص
النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها فاذا هي قائمة قال فاذا عسر
على المرأة ولدها فاكتبه لها • ومما يكتب ايضا كذلك ويكون في اناء نظيف اذا السماء انشقت
واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت وتشرب الحامل منه ويرش
على بطنها • ومما يكتب للرعاف على جبهة المرعوف وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض
الماء وقضي الامر • ولا يجوز كتابتها بدم الرعاف كما يفعله بعض الجهال فان الدم نجس فلا يجوز
ان يكتب به كلام الله • ومما يكتب لعرق النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شيء ومليك
كل شيء وخالق كل شيء انت خلقتني وخلقت النسا فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه
بقطع واشفني شفاء لا يغادر سقما لا شافي الا انت • واما حفيظة رمضان
لا آلاء الا آلاؤك يا الله انك سميع عليم محيط بعلمك كسعتطهون وبالحق انزلناه وبالحق نزل
الى اخرها فقال شيخنا اشتهر ببلاد مكة وغيرها ومصر والمغرب وحملة بلدانها انها حفيظة
رمضان تحفظ من الغرق والسرق والحرق وسائر الآفات ويكتب في آخر جمعة منه وجمهورهم
يكتبها والخطيب يخطب على المنبر • وبعضهم بعد صلاة العصر • وهذه بدعة لا اصل لها و
وقعت في كلام غير واحد من الاكابر • بل اشعر كلام بعضهم ورودها في حديث ضعيف وكان
الحافظ ابن حجر ينكرها جدا وهو قائم على المنبر في اثناء خطبته حين يرى من يكتبها انتهى
ذكر ما يقي من كل بلاء • عن ابان بن عثمان عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم
ثلث مرات حين يمسي فلا تصيبه فجاة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجاة
بلاء حتى يمسي قال فاصاب ابان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمع منه الحديث ينظر اليه
فقال ما لك تنظر الي فوالله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن اليوم الذي اصابني فيه ما اصابني غضبت فنسيت ان اقولها • رواه ابو داود وروى
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وغيره • وكان ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال
له ابان ما تنظر الي اما ان الحديث كما حدثتك ولكن لم اقله يومئذ ليمضي الله قدره •
ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلاء • ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد المالكي الافريقي

في كتاب اخبار افريقيه • عن انس بن مالك مرفوعا من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم عشر مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدته امه وعوفي من سبعين بلاء من بلايا الدنيا منها الجنون
والجذام والبرص والريح • ويشهد له ما رواه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانها من كنز الجنة • قال مكحول فمن قال لا حول ولا
قوة الا بالله ولا منجا من الله الا اليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر ادناها الفقر • وروى الطبراني
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كان دواء
من تسعة وتسعين داء ايسرها الهم • ومن ذلك في الامان من الفقر • عن ابي موسى قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر ابدا رواه ابن ابي
الدنيا • وروى الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله ومن ابطا عليه رزقه فليكثر من قول لا حول
ولا قوة الا بالله • وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب يرفعه من قال كل يوم وليلة
لا اله الا الله الملك الحق المبين مائة مرة كان له امانا من الفقر وانسا من وحشة القبر واستفتح له باب
الغنى واستقرع به باب الجنة قال بعض رواته لو رحلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان كثيرا ذكره
عبد الحق في كتاب الطب النبوي • ذكر دواء داء الطعام • روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود
من قال حين يوضع الطعام بسم الله خير الاسماء في الارض وفي السماء لا يضر مع اسمه داء اجعل فيه رحمة وشفاء
لم يضره ما كان • ذكر دواء ام الصبيان • عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى لم تضره ام الصبيان • رواه ابن السني وذكره عبد الحق
في الطب النبوي • وام الصبيان هي الريح التي تعرض لهم فربما يخشى عليهم منها وسر التاذين كما قاله صاحب
المودود باحكام المولود ان يكون اول ما يقرع سمع المولود كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته و
الشهادة التي اول ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله في الدنيا كما يلقن
كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك من فائدة اخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الاذان و
هو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه
اول اوقات تعلقه به • النوع الثاني في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الطبيعية
ذكر ما كان يعالج به الصداع والشقيقة • اعلم ان الصداع الم في بعض اجزاء الراس او كله فما
كان منه في احد جانبي الراس لازما سمي شقيقة بوزن عظيمه • وسببه ابخرة مرتفعة او اخلاط حارة او
باردة ترتفع الى الدماغ فان لم تجد منفذا احدثت الصداع • فان مال الى احد شقي الراس احدثت الشقيقة
وان ملك كل الراس احدثت داء البيضة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الراس كلها • واسباب الصداع
كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع والقيء والاستفراغ والسهر وكثرة الكلام
ويكون من ورم في المعدة او في عروقها او ريح غليظة فيها او لامتلائها • ومنها ما يحدث من الاعراض
النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى • ومنها ما يحدث عن حادث في الراس كضربة تصيبه او ورم في صفاق

الدماغ او حمل شيء ثقيل يضغط الرأس او سخنه بشيء خارج عن الاعتدال او تبريده بلا وقاية من هوي او الماء في البرد • واما الشقيقة فهي في شرايين الرأس وحدها وتختص بالموضع الاضعف من جانبيه وعلاجها بشد العصابة • وقد اخرج الامام احمد من حديث بريدة انه صلى الله عليه وسلم كان ربما اخذته الشقيقة وغيرها فيمكث اليوم واليومين لا يخرج • وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته وا رأساه • وانه خطب وقد عصب رأسه فعصب الرأس ينفع في الشقيقة وغيرها من اوجاع الرأس • وفي البخاري من حديث ابن عباس احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به • و قد جاءت مقيدة بما في بعض طرق ابن عباس نفسه • عند ابي الدرداء والطيالسي في مسنده بحديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه • وقد قال الاطباء انها نافعة جدا • وورد انه صلى الله عليه وسلم احتجم ايضا في الاخدعين والكاهل • اخرجه الترمذي وحسنه وابو داود وابن ماجة وصححه الحاكم • وقد قال الاطباء الحجامة على الاخدعين تنفع من امراض الرأس والاذنين والوجه والعينين والاسنان والانف • وقد ورد في حديث ضعيف جدا اخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رياح عن عبد الله بن طاوس عن ابيه عن ابن عباس رفعه الحجامة في الرأس تنفع من سبع من الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الضرس والعينين • وعمر متروك رماه الفلاس وغيره بالكذب • وروى ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع غلف رأسه بالحناء ويقول انه نافع باذن الله من الصداع • وفي صحته نظر • وهو علاج خاص بما اذا كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها • واذا كان كذلك نفع فيه الحناء نفعا ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع • وهذا لا يختص بوجع الرأس بل يعم الاعضاء • وفي تاريخ البخاري وسنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكا اليه احد وجعا في رأسه الا قال له احتجم ولا شكا وجعا في رجليه الا قال له اختضب بالحناء • وفي الترمذي عن علي بن عبيد الله عن جدته وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة او نكتة الا امرني ان اضع عليه الحناء •

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للرمد • وهو ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها • وسببه انصباب احد الاخلاط او ابخرة تصعد من المعدة الى الدماغ فان اندفع الى الخياشيم احدث الزكام او الى العين احدث الرمد او الى اللهاة والمنخرين احدث الخنان بالخاء المعجمة والنون او الى الصدر احدث النزلة او الى القلب احدث الشوصة احدث وان لم يجد ذلك وطلب نفاذا فلم يجد احدث الصداع كما تقدم • وروي انه عليه الصلوة كان يعالج الرمد بالسكون والدعة وترك الحركة • وفي سنن ابن ماجة عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت تمرا فاكلت فقال تأكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقد روي انه حمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد • وفي البخاري من حديث سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى

عليه

عليه وسلم يقول الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين • والكمأة نبات لا ورق لها ولا ساق توجد في الارض من غير ان تزرع • وروى الطبري من طريق ابن المنكدر عن جابر قال كثرت الكمأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع قوم من اكلها وقالوا هو جدري الارض فبلغه ذلك فقال ان الكمأة ليست من جدري الارض الا ان الكمأة من المن • واختلف في قوله من المن فقال الصحيح من المن الذي انزله على بني اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلوا ومنه الترنجبين فكأنه شبه الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج • وقال الخطابي ليس المراد انها نوع من المن الذي انزل الله على بني اسرائيل فان الذي انزل على بني اسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكمأة شيء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي وانما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة • ويستنبط منه ان استعمال الحلال المحض يجلو البصر • وقال ابن الجوزي في المراد بكونها شفاء للعين قولان احدهما ان ماءها حقيقة الا ان اصحاب هذا القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا كيف يصنع بها على رايين احدهما انه يخلط في الادوية التي يكتحل بها • حكاه ابو عبيد • ثانيهما ان تشق وتوضع على الجمر تغلي ماؤها ثم يؤخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها لان النار تلطفه وتذهب فضلاتها الردية ويبقى النافع منه ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع • وقال آخر تحمل الكمأة في قدر جديدة ويصب عليه الماء ولا يطرح فيها ملح ثم يؤخذ غطاء جديد نقي فيجعل على القدر فما جرى من الغطاء من بخار الكمأة فذلك الماء يكتحل به • وقال ابن وافد ان ماء الكمأة اذا عصر وربي به الاثمد كان من اصلح الاشياء للعين اذا اكتحل به يقوي اجفانها ويزيد الروح البصري قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل • وقال ايضا اذا اكتحل بماء الكمأة وحده بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة في البصر كثيرة • وقال ابن القيم اعترف فضلاء الاطباء ان ماء الكمأة يجلو العين منهم المسيحي وابن سينا وغيرهما • قال والذي يزيل الاشكالات عن هذه الاحاديث ان الكمأة وغيرها خلقت في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها الآفات بامور من مجاورة او امتزاج او غير ذلك من الاسباب التي ارادها الله سبحانه وتعالى فالكمأة في الاصل نافعة لا اختصت به ووصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضار بالمجاورة واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله تعالى عنه الضرر بنيته والعكس بالعكس • والله اعلم •

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذرة • وهي بضم المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق يعتري الصبيان غالبا • وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق او في الخرم الذي بين الانف والحلق و هو الذي يسمى سقوط اللهاة • وقيل هو اسم اللهاة والمراد وجعها سمي باسمها • وقيل هو موضع قريب من اللهاة • واللهاة بفتح اللام اللحمة في اقصى الحلق • وفي البخاري حديث ام قيس بنت محصن الاسدية اسد خزيمة وهي اخت عكاشة انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها قد اعلقت عليه من العذرة

فقال النبي صلى الله عليه وسلم علام تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب يريد القسط وهو العود الهندي. قوله تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر غمز الحلق. وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال ما هذا فقالوا به العذرة او وجع في رأسه فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امرأة اصاب ولدها عذرة او وجع في رأسه فلتأخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فأمرت عائشة فصنع ذلك بالصبي فبرئ الحديث. وفي القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها الى مكانها وكانوا يعالجون اولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق وهي شيء يعلقونه على الصبيان فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو انفع للاطفال واسهل عليهم. والسعوط ما يصب في الانف. وقد استشكل معالجتها مع كونه حارا والعذرة انما تعرض في زمن الحر بالصبيان وامزجتهم حارة لا سيما وقطر الحجاز حار واجيب بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية. وايضا فالادوية الحارة قد تنفع من الامراض الحارة بالعرض كثيرا بل وبالذات ايضا. وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب اليماني على انا لو لم نجد شيئا من هذه التوجيهات لكان المعجز خارجا عن القواعد الطبية.

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء استطلاق البطن.

في الصحيحين من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه. وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن اخيك. وفي رواية لمسلم فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وفي رواية احمد عن يزيد بن هرون فقال في الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه قال فسقاه فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك. قال الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ يقال كذب سمعك اي زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعنى كذب بطنه اي لم يصلح لقبول الشفاء بل زل. وقال الامام فخر الدين الرازي لعله صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع كونه عليه السلام كان عالما بانه سيظهر نفعه بعد ذلك كان هذا جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا اللفظ. وقد اعترض بعض الملاحدة بان العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال. واجيب بان ذلك جهل من قائله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. فقد اتفق الاطباء على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المألوف والتدبير وقوة الطبيعة على ان الاسهال يحدث من انواع. منها الهيضة التي تنشأ عن تخمة واتفقوا على ان علاجها بترك الطبيعة وفعلها. فان احتاجت الى مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة فكأن هذا الرجل كان استطلاق بطنه

من تخمة اصابته فوصف له صلى الله عليه وسلم العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط لزجة تمنع من استقرار الغذاء فيها. وللمعدة خمل كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذاء الواصل اليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الاخلاط ولا شيء في ذلك مثل العسل لا سيما ان مزج بالماء الحار وانما لم يفده في اول مرة لان الدواء يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب الداء ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية وان جاوزه اوهى القوة واحدث ضررا آخر فكانه شرب اولا مقدارا لا يفي بمقاومة الداء فأمره بمعاودة سقيه فلما كررت الشربات بحسب مادة الداء برئ باذن الله تعالى. وفي قوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن اخيك اشارة الى ان هذا الدواء نافع وان بقاء الداء ليس لقصور الدواء في الشفاء ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها. وقال بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ معه جل الغذاء ويدر البول فيكون قابضا وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعه لها حتى يدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر. وقال ابن الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المسهل اربعة اقوال احدها انه حمل الآية على عمومها في الشفاء والى ذلك اشار بقوله صدق الله وكذب بطن اخيك اي فيه شفاء للناس فلما نبهه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي باذن الله تعالى. الثاني ان الوصف المذكور على المألوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض كلها. الثالث ان الموصوف له ذلك كانت به هيضة كما تقدم تقريره. الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه اولا بغير طبخ. انتهى. والثاني والرابع ضعيفان. ويؤيد الاول حديث ابن مسعود عليكم بالشفاءين العسل والقرآن. اخرجه ابن ماجة والحاكم مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة والحاكم موقوفا ورجاله رجال الصحيح. واثر علي اذا اشتكى احدكم فليستوهب من امرأته من صداقها فليشتر به عسلا ثم يأخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا مباركا. اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند حسن وروينا عنه رضي الله تعالى عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه فانه شفاء قال الحافظ ابن كثير بعد ان ذكره اي من وجوه قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة وقال ونزلنا من السماء ماء مباركا وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال في العسل فيه شفاء للناس

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يلينه ويمشيه.

روى الترمذي وابن ماجة في سننه من حديث اسماء بنت عميس قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار ثم استمشيت بالسنا فقال لو كان شيء يشفي من الموت لكان السنا. قال ابو عيسى هذا حديث غريب. وقد ذكره البخاري في تاريخه الكبير من حديث اسماء بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي. وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب الطب له انه صلى الله عليه وسلم قال لو ان لكم

[illegible]

والشبرم فإنه حار جار، وعليكم بالسنا فتداووا به فلو دفع الموت شيء لدفعه السنا. وحكى عبد الحق الإشبيلي في كتاب الطب النبوي له أن المحاسبي ذكر في كتابه المسمى بالقصد إلى الله أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر. وفي سنن ابن ماجه من حديث إبراهيم بن أبي عبلة قال سمعت عبد الله بن أم حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام قيل يا رسول الله وما السام قال الموت. قالوا والشبرم قشر عرق شجر وهو حار يابس في الدرجة الرابعة. وهو من الأدوية التي منع الأطباء من استعمالها لخطرها وفرط إسهالها. وأما السنا فهو نبت حجازي أفضله المكي وهو دواء شريف مأمون الغائلة قريب من الاعتدال حار يابس في الدرجة الأولى يسهل الصفراء والسوداء ويقوي جرم القلب. وهذه فضيلة شريفة ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوي. قال الرازي السنا والشاهترج يسهلان الأخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة قال والشربة من كل واحد منهما من أربعة دراهم إلى سبعة دراهم. وأما السنوت فقيل هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سودا على السمن. وقيل حب يشبه الكمون وليس به. وقيل هو الكمون الكرماني. وقيل إنه الرازيانج. وقيل إنه الشبت. وقيل إنه العسل الذي يكون في زقاق السمن. قال بعض الأطباء هذا أجدر بالمعنى وأقرب إلى الصواب أي يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط بالسمن ثم يلعق فيكون أصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من إصلاح السنا وإعانته على الإسهال.

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود

وهو الذي أصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون. روى أبو داود عن سعد قال مرضت مرضا شديدا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي إنك رجل مفؤود فأت الحارث ابن كلدة من ثقيف فإنه رجل متطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم يلدهن المفؤود. وهذا الحديث من الخطاب العام الذي أريد به الخاص كأهل المدينة ومن جاورهم والتمر لأهل المدينة كالحنطة لغيرهم. واللدود ما يسقاه الإنسان من أحد جانبي الفم وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة. وفي كونها سبعا خاصية أخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر.

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لذات الجنب

في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب. وفي الترمذي من حديث زيد بن أرقم قال صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت. اعلم أن ذات الجنب هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع. وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والأضلاع فتحدث وجعا. فالأول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الأطباء قالوا ويحدث بسببه خمسة أعراض الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري ويقال

لذات

لذات الجنب أيضا وجع الخاصرة وهو من الأمراض المخوفة لأنها تحدث بين القلب والكبد وهو من سيء الأسقام. والمراد بذات الجنب هنا الثاني لأن القسط وهو العود الهندي هو الذي يريد الريح الغليظة. وقد حكى الإمام ابن القيم عن المسيحي أنه قال العود حار يابس قابض يحبس البطن ويقوي الأعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ. قال ويجوز أن ينفع من ذات الجنب الحقيقية أيضا إذا كانت ناشئة عن مادة بلغمية ولا سيما في وقت انحطاط العلة.

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء الاستسقاء

عن أنس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم إلى إبل الصدقة فشربتم من ألبانها وأبوالها ففعلوا فلما صحوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الإبل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وألقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان. واعلم أن الاستسقاء مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الأعضاء فتربو لها إما الأعضاء كلها وإما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط. وأقسامه ثلاثة لحمي وهو أصعبها وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الأعضاء. وزقي وهو الذي يجتمع منه في البطن الأسفل مادة مائية رديئة يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء في الزق. وهو أردى أنواعه عند أكثر الأطباء. وطبلي وهو الذي ينتفخ معه البطن بمادة ريحية بحيث إذا ضربت عليه سمعت له صوتا كصوت الطبل. وإنما أمرهم عليه السلام بشرب ذلك لأن في لبن اللقاح جلاء وتليينا وإدرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد إذ كان أكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والأقحوان والإذخر وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء خصوصا إذا استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فإن ذلك يزيد في ملوحته وتقطيعه الفضول وإطلاقه البطن. وأما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل أن بعض الناس مرض بمعدته فرأى الشيخ الجليل أبو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو أن يأخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربى ويكون ملتوتا بمصطكا بعد دقها ويجعل فيها سبع حبات من الشونيز يفعل ذلك سبعة أيام ففعله فبرئ. ومرض بعض الناس ببرد المعدة فرأى الشيخ المرجاني أيضا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء أوقية ونصف عسل نحل ودرهمين شونيز ومثلها أنيسون ونصف أوقية من الفستق الأخضر ومن الزنجبيل درهم ومن القرفة نصف درهم وشيء من قشر الليمون مع قليل من الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرئ. ومرض آخر بثقل الريح فرأى الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء شونيز ثلاثة دراهم ومن خزامى درهمين ونصف ومن الكمون الأبيض ثلاثة دراهم ومثله من السعتر البري ومثله القليا ووزن درهم من الكوط وهو قشر الفواد وأوقية من الزبيب المربى يجعل فيه من العسل ما يعقده وهو ربع رطل ويؤخذ منه غدوة النهار وزن درهم على الريق وعند النوم وزن درهم ونصف.

فاستعمله فبرئ • ثم انه عليه السلام بعد ذلك قال في النوم لذلك الشخص الذي اخبره بهذا الدواء انه ينفع لادواء وهن الربع وسلس الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفؤاد والم الحيض والم النفاس والتعقد الرياح • والزيت المرقى صفته ان يأخذ شيئا من الزيت الطيب ويجعله في اناء نظيف ويحركه بعود ويقرأ عليه الاخلاص والمعوذتين • ولقد جاءكم رسول من انفسكم • الى اخر السورة • وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين • ولو انزلنا هذا القرآن على جبل • الى اخر السورة • وحصل لاخر القولنج فرأى الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم فاشار بهذا الدواء وهو ان يأخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم ونصف من الزيت المرقى واحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم يقطر عليه ويفعل مثله عند النوم ففعل ذلك حتى برئ • ويعمل له التلبينة ويستعملها بعد ان يفطر على ذلك • والتلبينة ما يعمل من دقيق او نخالة • وربما جعل فيه عسل ويكون تلاوته مصلوقة الدجاج او لحم الضأن ففعله فبرئ بعد ان اعيى الاطباء • ومرض اخر بوضع الطحال فشكى ذلك للشيخ فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو عسل نحل وشونيز ودهن الالية والزيت المرقى ورقيق الحنطة ويخلط ذلك كله ويمده على الموضع ويذر عليه دقيق العدس بقشره مع المرسل بعدما يدق دقا ناعما حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرئ • وشكا بعض الناس الدوخة في رأسه فرأى الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فاشار لهذا الدواء قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزة طيب وسنبل من كل واحد درهم ونصف وشونيز درهمين يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل فاذا قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون فيكون عسل النحل غالبا عليه ففعله فبرئ • انتهى • وهذا وان كان مناما فقد عضدته التجربة مع ارشاد الشيخ المرجاني لذلك

ذكر طبه من داء عرق النسا

وهو بفتح النون والمهملة المرض الحال بالعرق • والاضافة فيه من باب اضافة الشيء لمحله • وقيل وسمي بذلك لانه ينسى ما سواه وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهي الى اخر القدم وراء الكعب • وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دواء عرق النسا الية شاة اعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة اجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء • رواه ابن ماجة • وهذا دواء خاص بالعرب واهل الحجاز ومن جاورهم وهو نافع لهم لان هذا المرض يحدث من يبس وقد يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصتان الانضاج والتليين وهذا المرض يحتاج علاجه الى هذين الامرين • وفي تعيين الشاة الاعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما • وهذه اذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان يلطفها تغذية ويكسبها مزاجا الطف منها ولا سيما الالية

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الاورام والخراجات بالابط والبدن

يذكر عن علي رضي الله عنه قال دخلت مع رسول الله على رجل يعوده بظهره ورم فقالوا يا رسول الله بهذه مدة قال بطوا عنه قال علي رضي الله تعالى عنه فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بقطع العروق والكي

روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا

كواه عليه • واخرج مسلم عن جابر لما رمي سعد بن معاذ في اكحله حسمه النبي صلى الله عليه وسلم • وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن انس قال كواني ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم • وعند الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة • وروى مسلم عن عمران بن حصين كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد • وفي رواية ان الذي كان انقطع عني رجع يعني تسليم الملائكة • وروى احمد وابو داود والترمذي عن عمران نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا الحديث • وانما استعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته الا به • ولهذا وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه • وانما كره لما فيه من الالم الشديد والخطر العظيم • ولهذا كانت العرب تقول في امثلتها اخر الدواء الكي • والنهي فيه محمول على الكراهة على خلاف الاولى لما يقتضيه مجموع الاحاديث • وقيل انه خاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح • وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع القدر والقدر لا يدافع • والثاني كي الجرح اذا فسد والعضو اذا قطع فهو الذي يشرع التداوي له فان كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لامر غير محقق وحاصل الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على ان تركه ارجح من فعله وكذا وقع الثناء على تاركه • واما النهي عنه فاما على سبيل الاختيار والتنزيه • واما عما لا يتعين طريقا الى الشفاء • وقال بعضهم انما نهى عنه مع اثباته الشفاء فيه اما لكونهم كانوا يرون انه يحسم الداء بطبعه فكرهه لذلك • ولذلك كانوا يبادرون اليه قبل حصول الداء لظنهم انه يحسم الداء فيتعجل الذي يكتوي التعذيب بالنار لامر مظنون قال في فتح الباري ولم ار في اثر صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى الا ان القرطبي نسب الى كتاب اداب النفوس للطبري ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى • وذكره الحليمي بلفظ روي انه اكتوى للجرح الذي اصابه باحد • قال الحافظ ابن حجر والثابت في الصحيح في غزوة احد ان فاطمة رضي الله عنها احرقت حصيرا فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود • انتهى

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الطاعون

قال الخليل الطاعون الوباء • وقال ابن الاثير الطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الامزجة والابدان • وقال القاضي ابو بكر ابن العربي الطاعون الوجع الغالب الذي يطفئ الروح سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله • وقال ابو الوليد الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من امراض الناس • وقال القاضي عياض اصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد والوباء عموم الامراض فسميت طاعونا لشبهها بها في الهلاك • وقال النووي في تهذيبه هو بثر وورم مؤلم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله ويخضر او يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان وقيء ويخرج غالبا في المراق والاباط • وقد يخرج في الايدي والاصابع وسائر الجسد • وقال ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن واغلب ما يكون تحت الابط او خلف الاذن او عند الارنبة وسببه دم رديء يستحيل الى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي الى القلب كيفية رديئة فيحدث

القوة والغثيان والغشي والخفقان وهو لرداءته لا يقبل من الاعضاء الا ما كان اضعف بالطبع واردأه
ما يقع في الاعضاء الرخوة والاسود قل من يسلم منه • واسلمه الاحمر ثم الاصفر • والطواعين تكثر
عند الوبا في البلاد الوبية • ومن ثم اطلق على الطاعون وباء وبالعكس • واما الوبا فهو فساد جوهر
الهواء الذي هو مادة الروح ومدده • والحاصل ان حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم او انصباب الدم
الى عضو فيفسده • وان غير ذلك من الامراض العامة الناشئة عن فساد الهوى يسمى طاعونا بطريق المجاز
لاشتراكهما في عموم المرض به او كثرة الموت • والدليل على ان الطاعون يغاير الوبا ان الطاعون لم يدخل
المدينة النبوية وقد قالت عائشة رضي الله عنها دخلنا المدينة وهي اوبأ ارض الله • وقال بلال اخرجونا
الى ارض الوبا • والطاعون من طعن الجن • ولهذا لم يتعرض له الاطباء لكونه من طعن الجن لانه امر لا يدرك
بالعقل وانما عرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم • ومما يؤيد ان الطاعون انما يكون
من طعن الجن وقوعه غالبا في اعدل الفصول وفي اصح البلاد هواء واطيبها ماء • ولانه لو كان بسبب فساد
الهواء لدام في الارض لان الهواء يفسد تارة ويصح اخرى ويذهب احيانا ويجيء احيانا على غير قياس ولا
تجربة فربما جاء سنة على سنة وربما ابطأ سنين وبانه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود
بالمشاهدة انه يصيب الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو في مثل مزاجهم • ولو كان كذلك لعم جميع البدن
وهذا يختص بموضع من الجسد لا يتجاوزه ولان فساد الهوى يقتضي تغير الاخلاط وكثرة الاسقام وهذا في
الغالب يقتل بلا مرض فدل على انه طعن الجن كما ثبت في الاحاديث الواردة في ذلك • منها حديث احمد والطبراني
عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري قال سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز اعدائكم من الجن
وهو لكم شهادة • قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وقع في الالسنة وهو في النهاية تبعا لغريبي الهروي
بلفظ وخز اخوانكم ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة لا في الكتب
المشهورة ولا في الاجزاء المنثورة • وقد عزاه بعضهم لمسند احمد والطبراني او في كتاب الطواعين لابن
ابي الدنيا ولا وجود لذلك في واحد منها • والله اعلم انتهى • وفي الصحيحين من حديث اسامة بن زيد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطاعون رجز ارسل على بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم
به بارض فلا تدخلوا عليه • واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه • وقد ذكر العلماء في النهي
عن الخروج حكما منها ان الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فاذا وقع فالظاهر مداخلة سببه
لمن هو بها فلا يفيده الفرار لان المفسدة اذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق
بالعاقل • ومنها ان الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور او بغيره ضائع المصلحة
لفقد من يتعهده حيا وميتا • وايضا لو شرع الخروج فخرج الاقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء وقد
قالوا ان حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وادخال الرعب عليه بخذلانه • وقد
جمع الغزالي بين الامرين فقال الهوى لا يضر من حيث ملاقاة ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق
فيصل الى القلب والرية فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر الا بعد التاثير في الباطن فالخارج من

البلد الذي يقع فيه لا يخلص غالبا الا مما استحكم به وينضاف الى ذلك انه لو رخص للاصحاء في الخروج لبقي المرضى
لا يجدون من يتعهدهم فتضيع مصالحهم • ومنها ما ذكره بعض الاطباء ان المكان الذي يقع به الوباء تتكيف
امزجة اهله بهواء تلك البقعة وتألفها وتصير لهم كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن
الصحيحة لم توافقهم بل ربما اذا استنشقوا هواها استصحب معه الى القلب من الابخرة الردية
التي حصل تكيف بدنها بها وافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة • ومنها ان الخارج يقول لو اقمت لاصبت
والمقيم يقول لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه • وقال العارف ابن ابي جمرة البلا انما تقصد به
اهل البقعة لا البقعة نفسها فمن اراد الله تعالى انزال البلاء به فهو واقع به لا محالة فاينما توجه يدركه
فارشدنا الشارع الى عدم النصب • وقال ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه الدخول الى الارض
اي صونها وفي نهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فان في الدخول في الارض التي هو فيها
تعرضا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه واعانة الانسان على نفسه • وهذا مخالف للشرع والعقل
بل تجنب الدخول الى ارضه من باب الحمية التي ارشدنا الله تعالى اليها وهي حمية عن الامكنة والاهوية المؤذية
واما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان احدهما حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه و
الصبر على قضائه والرضا • والثاني ما قاله ائمة الطب انه يجب على من كان يحترز من الوبا ان يخرج عن
بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من ارض الوبا و
السفر منها لا يكون الا بحركة شديدة وهي مضرة جدا • وهذا كلام افضل المتأخرين من الاطباء فظهر معنى
الطبي من الحديث النبوي وما فيها من علاج القلب والبدن وصلاحهما انتهى •
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السلعة • اخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله هذه السلعة قد اذتني تحول بيني
بين قائم السيف ان اقبض عليه وعنان الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها عنها وما ارى اثرها • ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه ابيض بن حمال وكان به القوبا فلم
يمس من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي وغيره • ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الحمى
روى البخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء • واختلف
في نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة واللهب الحاصل في جسد المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها
باسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح واللذة من نعيم الجنة اظهرها
في هذه الدار عبرة ودلالة • وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى ان حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها
للنفوس على شدة حر النار وان هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها
من حرها • قوله فاطفئوها بهمزة قطع امر من الاطفاء • وروى الطبراني الحمى حظ المؤمن من النار •
وفي رواية نافع عن ابن عمر عند الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى من فيح
جهنم فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور • وحكي كسرها • وفي رواية ابن ماجه

ابو جمرة نصر بن عمران الضبعي

بالماء البارد • وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت اجالس ابن عباس بمكة فاخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال ما حبسك قلت الحمى قال ابردوها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء او بماء زمزم شك • قال ابن القيم قوله بالماء فيه قولان احدهما انه كل ماء وهو الصحيح • والثاني انه ماء زمزم ثم قال بعد ان روى حديث ابي جمرة هذا وراوي هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة بماء زمزم اذ هو متيسر عندهم ولغيرهم بما عندهم من الماء انتهى • وتعقب بانه وقع في رواية احمد عن عفان عن همام فابردوها بماء زمزم ولم يشك • وكذا اخرجه النسائي وابن حبان والحاكم • قال ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه هل المراد به الصدقة بالماء انه اشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو ان الجزاء من جنس العمل فكما اخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد اخمد الله سبحانه لهيب الحمى عنه جزاء وفاقا • انتهى • وقال الخطابي وغيره اعترض بعض سخفاء الاطباء على هذا الحديث بان قال اغتسال المحموم بالماء خطر يقربه من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة الى داخل الجسم فيكون ذلك سببا للتلف • وقد غلط بعض من ينسب الى العلم فانغمس في الماء لما اصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فاصابته علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال قولا سيئا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث • والجواب ان هذا الاشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر فيقال له اولا من اين حملت الامر على الاغتسال وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل • وانما في الحديث الارشاد الى تبريد الحمى بالماء فان اظهر الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس كل محموم في الماء او صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصد صلى الله عليه وسلم استعمال الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به وهو كما وقع في امره العائن بالاغتسال واطلق وقد ظهر من الحديث الآخر انه لم يرد مطلق الاغتسال وانما اراد الاغتسال على كيفية مخصوصة • واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته اسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما فانها كانت ترش على بدن المحموم شيئا من الماء بين يديه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها • والصحابي ولا سيما مثل اسماء التي هي ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها • وقد ذكر ابو نعيم وغيره من حديث انس رفعه اذا حم احدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر • وقال المازري لا شك ان علم الطب من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشيء دواءه في ساعة ثم يصير داء له في الساعة التي تليها لعارض يعرض من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير علاجه • ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له او لغيره في سائر الاحوال والاطباء مجمعون على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتأثير المألوف وقوة الطباع • ويحتمل ان يكون هذا في وقت مخصوص فيكون من الخواص التي اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي • ويضمحل عند ذلك جميع كلام اهل الطب وحمل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خاصا لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات

التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس قال وقد ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنتشر منه بتوسط الروح والدم في العروق الى جميع البدن • وهي قسمان عرضية وهي الحادثة عن ورم او حركة او اصابة حرارة الشمس او القيظ الشديد ونحو ذلك • ومرضية وهي ثلاثة انواع وتكون عن مادة • ثم منها ما يسخن جميع البدن • فان كان مبدأ تعلقها بالروح فهي حمى يوم لانها تقلع غالبا في يوم ونهايتها الى ثلاث وان كان تعلقها بالاعضاء الاصلية فهي حمى دق وهي اخطرها • وان كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي بعدد الاخلاط الاربعة اعني صفراوية سوداوية بلغمية دموية • وتحت هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة بسبب الافراد والتركيب • انتهى • واذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول فانها تسكن بالانغماس في الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج وبغيره ولا يحتاج الى علاج آخر • وقد قال جالينوس لو ان شابا حسن اللحم خصب البدن ليس في احشائه ورم استحم بماء بارد او سبح فيه في وقت القيظ عند منتهى الحمى لانتفع بذلك • وقد تكرر في الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم الماء البارد في علته كما قال صبوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن • وفي المسند وغيره من حديث الحسن عن سمرة يرفعه الحمى قطعة من النار فابردوها عنكم بالماء البارد • وكان رسول الله اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على قرنه فاغتسل • وصححه الحاكم ولكن قال في اسناده راو ضعيف • وعن انس رفعه اذا حم احدكم فليشن عليه من الماء البارد من السحر ثلاث ليال • اخرجه الطحاوي وابو نعيم في الطب • واخرج البزار من حديث عبد الرحمن بن المرقع رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض فبردوا لها الماء في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشاء قال ففعلوا فذهب عنهم • واخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب احدكم الحمى وهي قطعة من النار فليطفئها عنه بالماء يستنقع في نهر جار ويستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة ايام فان لم يبرأ في خمس والا فسبع فانها لا تكاد تجاوز تسعا باذن الله • قال الترمذي غريب • وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حكة الجسم وما يولد القمل

لما كانت الحكة لا تكون الا من حرارة ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه وسلم للزبير ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في الصحيحين عن قتادة ان انسا حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما • وفي رواية ان عبد الرحمن بن عوف والزبير شكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فارخص لهما في الحرير فرأيته عليهما في غزاة • وفي رواية رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في حرير • وفي رواية رخص لحكة كانت بهما • ويحتمل ان يكون العلتان باحد الحديثين او ان الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة الى السبب وتارة الى المسبب • قال النووي هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه انه يجوز لبس الحرير

للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة • وكذا القمل وما في معنى ذلك • وقال مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه • وتعقب قوله لما فيه من البرودة بان الحرير حار • والصواب ان الحكمة فيه لخاصية فيه لدفع الحكة • وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه • وقال الرازي الابريسم اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة وملابس الاوبار والاصواف تسخن وتدفئ وملابس الكتان والحرير والقطن تدفئ ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير الين من القطن واقل حرارة منه • ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شيء من اليبس والخشونة كغيرها صارت نافعة من الحكة لان الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة فلذلك رخص عليه السلام لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة •

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السم

الذي اصابه بخيبر تقدم في غزوتها قصة اليهودية التي اهدت اليه الشاة المسمومة • وقد روى عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان امرأة يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال ما هذه قالت هدية وحذرت ان تقول من الصدقة فلا يأكل فاكل النبي صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه ثم قال امسكوا ثم قال للمرأة هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان يستريح منك الناس وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة على الكاهل • وقد ذكروا في علاج السم انه يكون بالاستفراغات وبالادوية التي تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها • فمن عدم الدواء فليبادر الى الدواء الكلي وانفعه الحجامة • ولا سيما اذا كان البلد حارا والزمان حارا فان القوة السمية تسري في الدم فتنبعث في العروق والمجاري حتى تصل الى القلب والاعضاء فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التي خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فيبطل فعله او يضعفه • ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله عز وجل من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا •

النوع الثالث في طبه عليه السلام بالادوية المركبة من الالهية والطبيعية

ذكر طبه من القرحة والجرح وكل شكوى

عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا • وفي رواية كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا • رواه البخاري • وفي رواية مسلم اذا اشتكى الانسان او كانت به قرحة او جرح قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض الحديث • وقوله تربة ارضنا خبر مبتدأ محذوف اي هذه تربة ارضنا وقوله يشفى سقيمنا ضبط بوجهين بضم اوله على البناء للمجهول وسقيمنا بالرفع • وبفتح اوله على ان الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية • قال النووي معنى الحديث انه اخذ من ريق نفسه على اصبعه

السبابة ثم وضعها على التراب فعلق بها منه شيء فمسح به الموضع العليل او الجريح قائلا الكلام المذكور في حالة المسح • وقال القرطبي زعم بعض علمائنا ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته ويبسه يبرئ الموضع الذي به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها • وقال في الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابراء الجرح والورم ولا سيما من الصائم الجائع • وتعقبه القرطبي بان ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في اوقاته والا فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يتعلق بها ما ليس له بال ولا اثر وانما هذا من باب التبرك باسماء الله تعالى وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم واما وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصية في ذلك او لحكمة اخفاء آثار القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة • وقال البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية على ان للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج ولتراب الوطن تأثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر ان يستصحب تراب ارضه ان عجز عن استصحاب مائها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيئا منه في سقائه ليأمن من مضرة ذلك • ثم ان الرقى والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول الى كنهها و قال التوربشتي كان المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كأنه تضرع بلسان الحال انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابدعته منه من ماء مهين فهين عليك ان تشفي من كان هذا شأنه • وقال النووي وقيل المراد بارضنا ارض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا • وفيه نظر • وفي حديث ثابت عند ابي داود والنسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم اخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه • قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به الشخص المرقي •

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من لدغة العقرب

عن عبد الله ابن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد فلدغته العقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره • ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت • رواه ابن ابي شيبة في مسنده • وقال ابن عبد البر رقى صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح • وهذا الطب مركب من الطبيعي والالهي • فان في سورة الاخلاص قد جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين استعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا اوصى صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر ان يقرأهما عقب كل صلاة • رواه الترمذي • وفيه سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة • وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما و اما الملح ففيه نفع الطبيعي فان في الملح نفعا من السموم ولا سيما لدغة العقرب • وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية يحتاج الى تبريد

وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح لذلك • ذكر الطب من النملة وهي
بفتح النون واسكان الميم قروح تخرج في الجنب • وسمي نملة لان صاحبها يحس مكانه كأن نملة
تدب عليه وتعضه • وفي حديث مسلم عن انس انه صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة
والعين والنملة • وروى الخلال ان الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما
الى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله اني كنت ارقي من النملة واريد
ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود من افواهها ولا تضر احدا اللهم اكشف
الباس رب الناس قال ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر
حاذق وتطليه على النملة • ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من البثرة • روى النسائي
عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قال عندك ذريرة فقلت نعم فدعا بها فوضعها على بثرة
بين اصبعين من اصابع رجليه قال اللهم مطفئ الكبير ومكبر الصغير اطفئها عني فطفئت
ذكر طبه من حرق النار • روى النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فاصاب
كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي امي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب الباس
رب الناس واحسبه قال واشف انت الشافي ويتفل • ذكر طبه صلى الله عليه وسلم
بالحمية • وهي قسمان حمية عما يجلب المرض وحمية عما يزيده فيقف على حاله الاولى حمية الاصحاء
والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد واخذت القوى في دفعه
والاصل في الحمية قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر او جاء الى قوله فتيمموا صعيدا طيبا فحمى المريض
من استعمال الماء لانه يضره كما وقعت الاشارة لذلك في اول هذا المقصد وقد قال بعض افاضل
الاطباء راس الطب الحمية • والحمية للصحيح عندهم في المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وانفع
ما يكون الحمية للناقه من المرض لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس اصعب من ابتداء المرض
والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة • وفي
سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت
تمرا فاكلت فقال اتاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ففيه الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وان الرمد يضره التمر • وعن ام المنذر
بنت قيس الانصارية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وهو ناقه من مرض و
لنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل منها وقام علي ياكل منها فطفق النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لعلي انك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به فقال صلى الله عليه وسلم لعلي من هذا
اصب فانه انفع لك • رواه ابن ماجه وانما منعه صلى الله عليه وسلم من اكلة الدوالي لان في الفاكهة نوع
ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لانه من انفع الاغذية للناقه • ففي ماء الشعير التغذية
والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من اكبر الادوية للناقه قبل الداء لكي يمتنع تزايد

وانتشاره

وانتشاره • قال ابن القيم ومما ينبغي ان يعلم ان كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه اذا اشتدت الشهوة
ومالت اليه الطبيعة فتناول منه الشيء اليسير الذي لا يعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره بل ربما انتفع
به قال فان الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى من ضرره • وقد ينتفع
به • وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدواء ولهذا اقر النبي صلى الله
عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمر اليسير وعلم انها لا تضره • وعلم انها لا تضر • ففي حديث
صهيب سر طبي لطيف فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما
كان انفع واقل ضررا مما لا يشتهيه وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته ومحبة الطبيعة
لم يدفع ضرره • وكذلك بالعكس • ذكر حمية المريض من الماء • عن قتادة بن النعمان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه
الماء • قال الترمذي حديث حسن غريب • وروى الحميدي مرفوعا لو ان الناس اقلوا من شرب الماء
لاستقامت ابدانهم • والطبراني في الاوسط عن ابي سعيد مرفوعا من شرب الماء على الريق انتقصت
قوته • وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف • ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الماء
المشمس خوف البرص • وروى الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس
فانه يورث البرص • وروى الدارقطني هذا المعنى مرفوعا من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ضعيف • وكذا اخرج العقيلي نحوه عن انس بن مالك • ورواه الشافعي عن عمر فعلى هذا يكره
استعمال الماء المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطا ان يكون في البلاد الحارة والاوقات
الحارة دون الباردة وفي الاواني المنطبعة على الاصح دون الحجر والخشب ونحوهما • واستثنى النقدان
لصفائهما • وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض والبرك قطعا
وان يكون الاستعمال في البدن لا في الثوب • وان يستعمله حال حرارته فلو برد زالت الكراهة
على الاصح في الروضة وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال • واشترط صاحب التهذيب كما قاله
الجيلي ان يكون راس الاناء منسدا لتحبس الحرارة • وفي شرح المهذب انها شرعية يثاب
تاركها • وقال في شرح التنبيه ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية • واذا قلنا بالكراهة
فكراهة تنزيه لا تمنع صحة الطهارة • وقال الطبري ان خاف الاذى حرم وقال غيره
لو لم يجد غيره وجب استعماله • واختار النووي في الروضة عدم الكراهة مطلقا • وحكاه
الروياني في البحر عن النص • ذكر الحمية من طعام البخلاء • عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام الاسخياء شفاء • رواه النسفي عن
مالك في غير الموطا كما ذكره عبد الحق في الاحكام • ذكر الحمية من داء الكسل • رواه ابو داود
في المراسيل عن يونس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن انه رآني مضطجعا في الشمس قال يونس فنهاني وقال
بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين

ذكر الحمية من داء البواسير • عن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجامعن احدكم وبه حقن خلاء فانه يكون منه البواسير • رواه ابو احمد والحاكم ذكر حماية الشراب من سم احد جناحي الذباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بانغماس الثاني • عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان احد جناحيه شفاء وفي الآخر داء • وفي رواية ابي داود فانه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء وفي قوله كله رفع توهم المجاز في الاكتفاء بالبعض • قال شيخنا لم يقع لي في شيء من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره لكن ذكر بعض العلماء انه تأمله فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان الايمن هو الذي فيه الشفاء • واخرج ابو يعلى عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب اربعون ليلة والذباب كله في النار الا النحل • وسنده لا بأس به • قال الحافظ كونه في النار ليس تعذيبا بل ليعذب اهل النار به • ويتولد من العفونة • ومن عظيم امره انه جعل رجيعه على الاسود ابيض وبالعكس واكثر ما يظهر في اماكن العفونة ومبدأ خلقه منها ثم من التوالد وهو اكثر الطيور سفادا • وربما بقي عامة اليوم على الانثى • ويحكى ان بعض الخلفاء سأل الشافعي لاي علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة • فقال الشافعي سألني ولم يكن عندي جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة الله عليه ورضوانه •

ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الوباء النازل في الاناء بالليل بتغطيته • عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غطوا الاناء واوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء غطاء او سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه ذلك الوباء • رواه مسلم في صحيحه • قيل وذلك في آخر شهور السنة الرومية

ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقاء • رواه ابو داود في المراسيل باسناد صحيح عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسترضع الحمقاء فان اللبن يشبه • وعند ابن حبيب يعدي • وعند القضاعي بسند حسن من حديث ابن عباس مرفوعا الرضاع يغير الطباع • وعند ابن حبيب بسند مرفوعا انه نهى عن استرضاع الفاجرة • وعن عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع لمن يسترضع • واما الحمية من البرد فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه قتل ابا الدرداء لكن قال الحافظ ابن حجر لا اعرفه فان كان ورد فيحتاج الى تأويل فان ابا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا • انتهى • واما ما اشتهر ايضا اصل كل داء البرودة فقال شيخنا رواه ابو نعيم والمستغفري معا في الطب النبوي والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام ابن نجيح عن الحسن البصري عن انس رفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين وغيره • ولابي نعيم ايضا من حديث ابن المبارك عن السائب بن عبد الله بن علي بن زحر عن ابن عباس مرفوعا مثله وحديث عمرو بن الحارث عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد رفعه اصل كل داء من البرودة • وقد قال الدارقطني عقب حديث انس من علله عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو اشبه بالصواب وجعله الزمخشري

في الفائق

في الفائق من كلام ابن مسعود قال الدارقطني في كتاب التصحيف قال اهل اللغة رواه المحدثون بفتح باسكان الراء والصواب البرودة بالفتح وهي التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة او لانها ثقيلة على المعدة بطيئة الذهاب من برد اذا ثبت وسكن • وقد اورد ابو نعيم مضمون هذه الاحاديث حديث الحارث ابن فضيل عن زياد بن ميناء عن ابي هريرة رفعه استدفئوا من الحر والبرد • وكذا اورده المستغفري مع ما عنده منها حديث اصل كل داء البرودة هما ضعيفان وذلك شاهد لما حكي عن اللغويين في كون المحدثين رووه بالسكون • انتهى •

الفصل الثاني في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا • يقال عبرت الرؤيا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك وبناء الرؤيا بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة فهو ما يراه الشخص في منامه • قال القاضي ابو بكر بن العربي الرؤيا ادراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك او شيطان • اما باسمائها اي حقيقتها واما بكناها اي بعبارتها واما تخليطا • وذهب القاضي ابو بكر ابن الطيب الى انها اعتقادات • واحتج بان الرائي قد يرى نفسه بهيمة او طائرا مثلا وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون اعتقادا لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربي والاول اولى • والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل فالادراك انما يتعلق به لا باصل الذات • وقال المازري كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا وقال غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الى الطب ينسب جميع الرؤيا الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم رأى انه يسبح في الماء ونحو ذلك لمناسبة الماء طبيعة البلغم • ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود في الجو وهكذا الى آخره • وهذا وان جوزه العقل وجاز ان يجري الله به العادة لكن لم يقم عليه برهان ولا اطردت به عادة • والقطع من موضع التجويز غلط • ومن ينتمي الى الفلسفة يقول ان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها • قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما لا برهان عليه والانتقاش من صفات الاجسام • واكثر ما يجري في العالم العلوي الاعراض والاعراض لا ينتقش فيها • قال والصحيح ما عليه اهل السنة ان الله تعالى يخلق في النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فاذا خلقها فكأنه جعلها علما على امور اخرى يخلقها في ثاني الحال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان • ونظيره ان الله تعالى خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله عز وجل • واخرج الحاكم والعقيلي من رواية محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لقي عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد ولا امة ينام فيمتلئ نوما الا يخرج روحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تكذب • قال الذهبي في تلخيصه هذا حديث منكر ولم يصححه المؤلف • وذكر ابن القيم

حدثنا مرفوعا غير معزو ان رويا المومن كلام يكلم به ربه في المنام • ووجد الحديث للترمذي في نوادر الاصول من حديث عبادة بن الصامت اخرجه في الاصل الثامن والسبعين وهو من روايته عن شيخه عمر بن عمرو وفي مسند جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة بن الصامت • قال الحكيم قال بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب قال او من وراء حجاب اي في المنام ورويا الانبياء وحي بخلاف غيرهم فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رويا غير الانبياء فانها قد يحضرها الشيطان • وقال الحكيم ايضا وكل الله بالرويا ملكا اطلع على احوال بني ادم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثلا فاذا نام مثل له تلك الاشياء على طريق الحكمة ليكون له بشرى او نذارة او معاتبة والادمي قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما وهو يكيده بكل وجه ويريد افساد اموره بكل طريق فيلبس عليه روياه اما بتغليطه فيها او بغفلته عنها • وفي البخاري من حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرويا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والمراد غالب رويا الصالحين والا فالصالح قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم • وقد استشكل كون الرويا جزءا من النبوة مع ان النبوة قد انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم • واجيب بان الرويا ان وقعت منه صلى الله عليه وسلم فهي جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غير النبي فهي جزء من اجزاء النبوة على سبيل المجاز وقيل معناه انها جزء من علم النبوة لان النبوة وان انقطعت فعلمها باق • وتعقب بقول مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سئل ايعبر الرويا كل احد فقال ابالنبوة يلعب ثم قال الرويا جزء من النبوة • واجيب بانه لم يرد انها نبوة باقية وانما اراد انها لما اشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي ان يتكلم فيها بغير علم فليس المراد ان الرويا الصالحة نبوة لان المراد تشبيه الرويا بالنبوة وجزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه كمن قال اشهد ان لا اله الا الله رافعا صوته لا يسمى موذنا • وفي حديث ام كرز الكعبية عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة وبقيت المبشرات • وعند احمد من حديث عائشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات الا الرويا • وفي حديث ابن عباس عند مسلم وابي داود انه عليه السلم كشف الستارة وراسه معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف ابي بكر فقال يا ايها الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب فان من الروية ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله المومن رفقا به ليستعد لما يقع قبل وقوعه • وقوله من الرجل لا مفهوم له فان المراة الصالحة كذلك • وحكى ابن بطال الاتفاق عليه • وقوله جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة • وكذا في اكثر الاحاديث • وروى مسلم من حديث ابي هريرة جزء من خمسة واربعين جزءا • وعنده ايضا من حديث ابن عمر جزء من سبعين جزءا • وعند الطبراني جزء من ستة وسبعين • وسنده ضعيف • وعند ابن عبد البر من

طرق

طريق عبد العزيز بن المختار عن ثابت عن انس مرفوعا جزء من ستة وعشرين جزءا ووقع في شرح مسلم للنووي وفي رواية عبادة اربعة وعشرين والذي تحصل من الروايات عشرة اقلها عند النووي واكثرها من ستة وسبعين واضربنا عن باقيها خوف الاطالة • قال القاضي ابو بكر ابن العربي اجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها الا ملك او نبي في الجملة لان فيها اطلاعا على الغيب من وجه ما • واما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة • وقال المازري لا يلزم العالم ان يعرف كل شيء جملة وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا من هذا القبيل • وقد تكلم بعضهم على الروايات المشهورة وابدى مناسبة فنقل ابن بطال عن ابي سعيد السفاقسي ان بعض اهل العلم ذكر ان الله تعالى اوحى الى نبيه في المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحي في المنام جزء من ستة واربعين جزءا لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح • قال ابن بطال هذا التاويل يبعد من وجهين احدهما قد اختلف في قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم • والثاني انه يبقى حديث السبعين جزءا بغير معنى • وهذا الذي قاله من الانكار في هذه المسالة سبقه اليه الخطابي فقال كان بعض العلم يقولون في تاويل هذا العدد قولا لا يكاد يتحقق • وذلك انه عليه السلم اقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان يوحى اليه في منامه ستة اشهر وهي نصف سنة فهو جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة • قال الخطابي وهذا وان كان وجها تحتمله قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب على من قاله ان يثبت ما ادعاه خبرا ولم نسمع فيه اثرا • ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا فكانه قاله على سبيل الظن والظن لا يغني من الحق شيئا وليس كل ما خفي علينا يلزمنا حجته كايام الصيام واعداد الركعات ورمي الجمار فانا لا نصل من علمها الى امر يوجب حصرها تحت اعدادها ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا للزومها وقد ذكروا في المناسبات غير ذلك مما يطول ذكره • وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اصدق الرويا في الاسحار • رواه الترمذي • وروى مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رويا العالم تكذب واصدقكم رويا اصدقكم حديثا • قال الخطابي في المعالم في قوله اذا اقترب الزمان قولان احدهما ان يكون معناه تقارب زمان الليل والنهار وهو وقت استوائهما ايام الربيع وذلك وقت اعتدال الطبايع الاربع غالبا قال والمعبرون يقولون اصدق الرويا ما كان عند اعتدال الليل والنهار وادراك الثمار و الثاني ان اقتراب الزمان انتهاء مدته اذا دنا قيام الساعة • وتعقب الاول بانه يبعده التقييد بالمومن فان الوقت الذي تعتدل فيه الطبايع لا يختص به • وجزم ابن بطال بان الثاني هو الصواب واستند الى ما اخرجه الترمذي من طريق معمر عن ايوب في هذا الحديث بلفظ في اخر الزمان لا تكذب رويا المومن • وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي عند بسط العدل

وكثرة الأمن وبسط الخير والرزق فإن ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه فتتقارب أطرافه . وقال القرطبي في المفهم المراد والله أعلم بآخر الزمان المذكور في هذا الحديث زمان الطائفة الباقية مع عيسى ابن مريم عليهما السلام بعد قتله الدجال . فأهل هذا الزمان أحسن هذه الأمة حالا بعد الصدر الأول وأصدقهم أقوالا فكانت رؤياهم لا تكذب . ومن ثم قال عقب هذا وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا وإنما كان كذلك لأن من كثر صدقه تنور قلبه وقوي إدراكه وانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة . وكذلك من كان غالب أحواله الصدق في يقظته استصحب ذلك في نومه فلا يرى إلا صدقا بخلاف الكاذب والمخلط فإنه يفسد قلبه ويظلم فلا يرى إلا تخليطا وأضغاثا . وقد يندر المنام أحيانا فيرى الصادق ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح . ولكن الأكثر الأغلب ما تقدم انتهى ملخصا . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره . رواه البخاري . وفي رواية مسلم ورؤيا السوء من الشيطان ومن رأى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها أحدا فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها إلا من يحب ويخبر بها . قوله فليبشر بفتح التحتانية وسكون الموحدة وضم المعجمة من البشرى . وفي حديث أبي رزين عند الترمذي ولا يقصها إلا على وادّ بتشديد الدال اسم فاعل من الود أو ذي رأي . وفي أخرى ولا يحدث إلا لبيبا أو حبيبا . وفي أخرى لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح . وفي حديث أبي سعيد عند مسلم فليحمد الله عليها وليحدث بها وحاصل ما ذكر من آداب الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء أن يحمد الله عليها وأن يستبشر بها وأن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره . وحاصل ما ذكر من آداب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء أن يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشياطين ويتفل حين يهب من نومه ولا يذكرها لأحد أصلا وفي البخاري من حديث أبي هريرة خامسة وهي الصلاة ولفظه فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل . لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم . وزاد مسلم سادسة وهي التحول من جنبه الذي كان عليه . فقال عن جابر رفعه إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه . قال النووي وينبغي أن يجمع هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها كما صرحت به الأحاديث . وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لم ير في شيء من الأحاديث الاقتصار على واحدة . نعم لكن أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية في دفع شرها . انتهى . ولا ريب أن الصلاة تجمع ذلك كله كما قاله القرطبي لأنه إذا قام يصلي تحول عن جنبه ويبصق وينفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه فيكفيه الله شرها . وذكر بعضهم سابعة وهي قراءة آية الكرسي ولم يذكر لذلك مستندا فإنه أخذه من عموم قوله في حديث أبي هريرة ولا يقربك شيطان

قال وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة . وحكمة التفل كما قاله القاضي عياض أمر به طردا للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا . وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها والتثليث للتأكيد . وقد ورد التفل والنفث والبصق . قال النووي في الكلام على النفث في الرقية تبعا للقاضي عياض . اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعنى واحد ولا يكونان إلا بريق . وقال أبو عبيدة يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث . وقيل عكسه . وسئلت عائشة عن النفث في الرقية فقالت كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه . قال ولا اعتبار بما يخرج معه من بلة بغير قصد . قال وقد جاء في حديث أبي سعيد في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه . قال القاضي عياض وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء . والنفث للمباشر للرقية المقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء . وقال النووي أيضا وأكثر الروايات في الرؤيا فينفث وهو النفخ اللطيف بلا ريق فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازا وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن المطلوب في الموضعين مختلف لأن المطلوب في الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان وإظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو عن عياض كما تقدم فالذي يجمع الثلاثة الحمل على التفل فإنه نفخ فيه ريق لطيف . فبالنظر إلى النفخ قيل له نفث وبالنظر إلى الريق قيل له بصق . وأما قوله فإنها لا تضره فمعناه كما قاله النووي أن الله تعالى جعل ما ذكر سببا للسلامة من المكروه المرتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال . وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها . والحكمة في قوله في الرؤيا الحسنة ولا يخبر بها إلا من يحب لأنه إذا حدث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضا وإما حسدا فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا فأمر بترك تحديث من لا يحب لسبب ذلك . وقد روي من حديث أبي رزين مرفوعا الرؤيا لأول عابر . وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن . وصححه الحاكم عن أبي رزين العقيلي رفعه الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت . وعند الدارمي بسند حسن عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف في التجارة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي غائب وتركني حاملا فرأيت في المنام أن سارية بيتي انكسرت وأني ولدت غلاما أعور فقال خير يرجع زوجك إن شاء الله تعالى صالحا وتلدين غلاما برا فذكرت ذلك ثلاثا فجاءت ورسول الله صلى الله عليه وسلم غائب فسألتها فأخبرتني بالمنام فقلت لها لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدين غلاما فاجرا فقعدت تبكي فجاء رسول الله فقال مه يا عائشة إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها . وعند سعيد بن منصور من طريق عطاء بن أبي رباح قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني رأيت كأن جائز بيتي انكسر وكان زوجها غائبا فقال رده الله عليك فرجع سالما . الحديث . قال أبو عبيد وغيره معنى قوله الرؤيا

لاول عابر اذا كان العابر عالما فعبر واصاب وجه التعبير والا فهو لمن اصاب بعده اذ ليس المدار
على اصابة الصواب في تعبير المنام ليتوصل بذلك الى مراد الله تعالى فيما ضربه من المثل فان اصاب
فلا ينبغي ان يسأل غيره وان لم يصب فليسأل الثاني وعليه ان يخبر بما عنده ويبين ما جهل الاول
هكذا قال • وفيه بحث يطول ذكره • ومن آداب المعبر ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر ابن كعب الى
ابى موسى قال اذا رأى احدكم رؤيا فقصها على اخيه فليقل خيرا لنا وشرا لاعدائنا • ورجاله ثقات
ولكن سنده منقطع • وفي حديث ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلائل لما قص على النبي صلى
الله عليه وسلم رؤيا فقال عليه السلام خيرا تلقاه وشرا توقاه • وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله
رب العالمين اقصص رؤياك • الحديث • وسنده ضعيف جدا • ويأتي ان شاء الله تعالى •
من آداب العابر ان لا يعبرها عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال ولا في الليل وان لا يقصها
على امرأة لكن ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة يقول هل رأى احد الليلة رؤيا فيقص
عليه ما شاء الله ان يقص ويعبر لهم ما يقصونه • وبوب عليه البخاري باب تعبير الرؤيا
بعد صلاة الصبح • قال وفيه اشارة الى ضعف ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن
عن بعض علمائهم قال لا تقصص رؤياك على امرأة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس • وفيه اشارة الى
على من قال من اهل التعبير ان المستحب ان يكون التعبير من بعد طلوع الشمس الى الرابعة ومن العصر
الى قبل الغروب فان الحديث دال على استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم
بكراهة تعبيرها في اوقات كراهة الصلاة • قال المهلب تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح اولى
من غيره من الاوقات لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها • وقل ما يعرض له نسيانها لحضور
ذهن العابر وقلة شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه
فليستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتأهب لذلك • فربما كان في الرؤيا تحذير من معصية
فيكف عنها • وربما كانت انذارا لامر فيكون له مترقبا • قال فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا
اول النهار • قاله في فتح الباري • وذكر ائمة التعبير ان من آداب الرائي ان يكون صادق اللهجة
وان ينام على وضوء على جنبه الايمن وان يقرأ عند نومه والشمس والليل والتين وسورة الاخلاص
والمعوذتين • ويقول اللهم اني اعوذ بك من سيئ الاحلام واستجير بك من تلاعب الشيطان في اليقظة
والمنام اللهم اني اسألك رؤيا صالحة صادقة نافعة حافظة غير منسية اللهم ارني في منامي
ما احب • وان لا يقصها على عدو ولا جاهل اذا علمت هذا فاعلم ان جميع المرائي تنحصر في قسمين
اضغاث احلام وهي لا تندرج وهي انواع الاول تحزين الشيطان ليحزن الرائي كأن يرى
انه قطع رأسه وهو يتبعه او رأى انه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك • وروى مسلم
عن جابر جاء اعرابي فقال يا رسول الله اني حلمت ان رأسي قطع فانا اتبعه فزجره صلى الله
عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام • الثاني ان يرى بعض الملائكة

بامره

بامره ان يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال عقلا • الثالث ما يحدث به نفسه في اليقظة او يتمناه
فيراه كما هو في المنام • وكذا رؤية ما جرت عادته في اليقظة • وما يغلب على مزاجه ويقع في المستقبل
غالبا وعن الحال كثيرا وعلى الماضي قليلا •

القسم الثاني الصادقة

وهي رؤيا الانبياء ومن تبعهم من الصالحين • وقد يقع لغيرهم بندور وهي التي تقع في اليقظة
على وفق ما وقعت في النوم • وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصادقة التي كفلق الصبح
ما لا يعد ولا يحد • قالت عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة
في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح • الحديث • رواه البخاري • وفي رواية الرؤيا
الصالحة وهما بمعنى واحد بالنسبة الى امور الآخرة في حق الانبياء • واما بالنسبة الى امور الدنيا
فالصالحة في الاصل اخص فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وقد تكون صالحة و
هو الاكثر وغير صالحة بالنسبة الى الدنيا كما وقع في الرؤيا يوم احد فانه صلى الله عليه وسلم رأى
بقرا تذبح ورأى في سيفه ثلما فأول البقر ما اصاب اصحابه يوم احد والثلم الذي في سيفه برجل
من اهل بيته يقتل فكانت العاقبة للمتقين • وكان بعد ذلك النصر والفتح على الخلق اجمعين
واما رؤيا غير الانبياء فبينهما عموم وخصوص ان فسرنا الصادقة بانها التي لا تحتاج الى التعبير
واما ان فسرناها بانها غير الاضغاث فالصالحة اخص مطلقا • وقال الامام نصر بن يعقوب
الدينوري في التعبير القادري الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه او ما يعبر في المنام او يخبر بما لا يكذب
والصالحة ما يبشر • واعلم ان الناس في الرؤيا على ثلاث درجات الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم ورؤياهم كلها صدق • وقد يقع فيها ما يحتاج الى التعبير والصالحون والاغلب على رؤياهم
الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج الى التعبير • ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والاضغاث
وهم على ثلاثة اقسام • مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم • وفسقة والغالب في
رؤياهم الاضغاث ويقل فيها الصدق • وكفار ويندر الصدق جدا ويشير الى ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم واصدقهم رؤيا اصدقهم حديثا • اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة • وقد
وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه الصلاة والسلام
ورؤيا ملكهما وغير ذلك • وقد روى الامام احمد مرفوعا وصححه ابن حبان من حديث ابي سعيد
اصدق الرؤيا بالاسحار • وذكر الامام نصر بن يعقوب الدينوري ان الرؤيا اول الليل يبطئ
تأويلها ومن النصف الثاني يسرع بتفاوت اجزاء الليل وان اسرعها تأويلا
السحر ولا سيما عند طلوع الفجر • وعن جعفر الصادق رضي الله عنه اسرعها تأويلا رؤيا القيلولة
وعن محمد بن سيرين رؤيا النهار مثل الليل • والنساء كالرجال • وعن القيرواني ان المرأة اذا رأت
ما ليس لها اهلا فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده كما ان رؤيا الطفل لابويه

ما ليست له اهلا

ومن مرتبته الكريمة عليه الصلاة والسلام شربه اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث ابن عمر عند

البخاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم أتيت بقدح فشربت منه حتى
اني لارى الري يخرج في اظفاري ثم اعطيت فضلي يعني عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم • و
في رواية الكشميهني من اظافري • وفي رواية صالح بن كيسان من اطرافي • وهذه الرؤية يحتمل ان
يكون بصرية وهو الظاهر • ويحتمل ان يكون علمية • ويؤيد الاول ما اخرجه الحاكم والطبراني من
طريق ابي بكر بن عبد الله ابن عمر عن ابيه عن جده في هذا الحديث فشربت حتى اني لاراه يجري في عروقي
بين الجلد واللحم على انه يحتمل ايضا • قال بعض العارفين الذي خلص اللبن من بين فرث ودم
قادر على ان يخلق المعرفة من بين شك وجهل • وهو كما قال لكن اطردت العادة بان العلم
بالتعلم والذي ذكره قد يكون خارقا للعادة فيكون من باب الكرامة • وقال العارف
ابن ابي جمرة تاول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن بالعلم اعتبارا بما بين له اول الامر حين اتي
بقدح خمر وقدح لبن فاخذ اللبن فقال له جبريل اخذت الفطرة • انتهى • وقد
جاء في بعض الاحاديث المرفوعة تاويله بالفطرة كما اخرجه البزار من حديث ابي هريرة رفعه اللبن
في المنام فطرة • وذكر الدينوري ان اللبن المذكور في هذا يختص بلبن الابل وانه لشاربه مال حلال
وعلم • قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة ايضا • ولبن الشاة مال وسرور و
صحة جسم • والبان الوحش شك في الدين • والبان السباع غير محمودة الا ان لبن اللبوة مال
مع عداوة لذي امر • وفي الحديث ان علم النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا يبلغ احد درجته
فيه لانه شرب حتى راى الري يخرج من اطرافه واما اعطاؤه فضله عمر ففيه اشارة الى
ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا ياخذه في الله لومة لائم • ووجه التعبير في الحديث بذلك
من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سببا للصلاح واللبن للغذاء البدني
والعلم للغذاء المعنوي • ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم القميص وتعبيره بالدين
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نائم رايت الناس
يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ومر علي عمر بن الخطاب
وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين • رواه البخاري • وفي رواية
الترمذي الحكيم من طريق اخرى في هذا الحديث فقال ابو بكر على ما تاولت هذا يا رسول الله • و
الثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء جمع ثدي بفتح ثم سكون والمعنى ان القميص قصير
جدا بحيث لا يصل من الحلق الى نحو السرة بل فوقها • قوله ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل ان
يريد دونه من جهة السفل وهو الظاهر فيكون اطول • ويحتمل ان يكون دونه من جهة العلو فيكون
اقصر • ويؤيد الاول ما في رواية الترمذي الحكيم المذكورة فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم
من كان قميصه الى ركبته ومنهم من كان قميصه الى انصاف ساقيه • ويجوز النصب في قوله
الدين والتقدير اولت ويجوز الرفع • وفي رواية الحكيم المذكورة على الايمان • وقد قيل في وجه

التعبير

تعبير القميص بالدين ان القميص يستر العورة في الدنيا والدين يسترها في الاخرة ويحجبها عن كل
مكروه • والاصل فيه قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير • واتفق اهل التعبير على ان
القميص يعبر بالدين وان طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده • وقال ابن العربي انما
اول النبي صلى الله عليه وسلم القميص بالدين لان الدين يستر عورة الجهل كما يستر القميص عورة
البدن • قال واما غير عمر فالذي كان يبلغ الثدي هو الذي يستر قلبه عن الكفر وان كان
يتعاطى المعاصي • والذي كان يبلغ اسفل من ذلك وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن المشي
الى المعصية والذي يستر رجله عن المشي الى المعصية هو الذي احتجب بالتقوى من جميع الوجوه
والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص • واشار العارف ابن ابي جمرة الى ان
المراد بالناس في هذا الحديث المؤمنون لتاويله القميص بالدين قال والذي يظهر خصوص هذه الامة المحمدية
بل بعضها والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص على امتثال الاوامر واجتناب المناهي وكان لعمر
في ذلك المقام العالي • قال ويؤخذ من هذا الحديث ان كل ما يرى في القميص من حسن او غيره فانه
يعبر بدين لابسه • قال والنكتة في القميص ان لابسه اذا اختار نزعه واذا اختار ابقاه
فلما البسه الله المؤمنين لباس الايمان واتصفوا كان الكامل في ذلك سابغ الثوب
ومن لا فلا • وقد يكون نقص الثوب بسبب نقص الايمان وقد يكون بسبب نقص العمل • وفي الحديث
ان اهل الدين يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من امثلة ما
يحمد في المنام ويذم في اليقظة شرعا اعني جر القميص لما ورد من الوعيد في تطويله
ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم السوارين الذهب في يديه الشريفة وتعبيرهما بالكذابين روى
البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سالت عبد الله بن عباس عن رؤيا النبي صلى الله عليه و
سلم التي ذكر فقال ابن عباس ذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم
رايت انه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما فاذن لي فنفختهما فطارا فاولتهما
كذابين يخرجان فقال عبيد الله احدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والاخر مسيلمة •
وفي رواية ابي هريرة عند الشيخين بينا انا نائم اذ اتيت خزائن الارض فوضع في يدي سواران
من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما
صاحب صنعاء وصاحب اليمامة • قال المهلب وهذه الرؤيا ليست على وجهها وانما هي من ضرب المثل
وانما اول النبي صلى الله عليه وسلم السوارين بالكذابين لان الكذب وضع الشيء في غير موضعه
فلما راى في ذراعيه سوارين من ذهب وليسا من لبسه لانهما من حلية النساء عرف انه سيظهر
من يدعي ما ليس له • وايضا ففي كونهما من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل على الكذب • وايضا
فالذهب مشتق من الذهاب فعلم انه شيء يذهب عنه • وتاكد ذلك بالاذن له في نفخهما فطارا
فعرف انه لا يثبت لهما امر وان كلامه بالوحي الذي جاء به يزيلهما عن موضعهما وقال

ابن العربي كما قد النبي صلى الله عليه وسلم بموقع امر مسيلمة والعنسي فما ولا الرؤيا عليهما ليكون ذلك اخراجا للمنام عليهما • فان الرؤيا اذا عبرت خرجت اي وقعت • ويحتمل ان يكون بوحي • والمراد بخزائن الارض التي ذكرها ما فتح على امته من الغنائم ومن ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما • ويحتمل معادن الارض التي فيها الذهب والفضة • وقال القرطبي انما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النساء ومما حرم على الرجال وفي طيرانهما اشارة الى اضمحلال امرهما • ومناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا ان اهل صنعاء واهل اليمامة كانوا اسلموا فكانوا كالساعدين للاسلام فلما ظهر فيهم الكذابان وبهرجا على اهلهما بزخرف اقوالهما ودعاويهما الباطلة انخدع اكثرهم بذلك • فكان اليدين بمنزلة البلدين والسوارين بمنزلة الكذابين وكونهما من ذهب اشارة الى ما زخرفا • والزخرف من اسماء الذهب • وقال اهل التعبير من رأى انه يطير فان كان الى جهة السماء بغير تعريج ناله ضرر • فان غاب في السماء ولم يرجع مات وان رجع افاق من مرضه وان كان يطير عرضا سافر ونال رفعة بقدر طيرانه • ومن ذلك رؤيته عليه السلام المرأة الثائرة الرأس السوداء وتعبيرها بنقل وباء المدينة الى الجحفة • روى البخاري من حديث [illegible] ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فأولت ان وباء المدينة نقل اليها • وهذا من قسم الرؤيا المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه التمثيل انه شق من اسم السوداء السوء والداء فتأول خروجها بما جمع اسمها وتأول من ثوران شعر رأسها ان الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة • وقال القيرواني من اهل التعبير كل شيء غلبت عليه السوداء في اكثر وجوهها فهو مكروه • وقال غيره ثوران الرأس يؤول بالحمى لانها تثير البدن بالاقشعرار وبارتفاع الرأس لا سيما من السوداء فانها اكثر استيحاشا • ومن ذلك رؤيته عليه الصلاة والسلام انه في درع حصينة وبقر تنحر • وتعبير ذلك عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورأيت فيها بقرا والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم احد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر • رواه البخاري ومسلم • وروى الامام احمد وصححه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأني في درع حصينة ورأيت بقرا تنحر فأولت الدرع الحصينة المدينة والبقر بقرا • ولهذا الحديث اللفظة الاخيرة وهي بقر بتشديد الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا ولهذا الحديث شاهد من حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنسائي والطبراني وصححه الحاكم من طريق ابي الزناد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في قصة احد • واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يخرجوا من المدينة واشارتهم بالخروج لطلب الشهادة ولبسه اللأمة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لأمته ان يضعها حتى يقاتل • وفيه فأولت اني في درع حصينة المد نحو حديث جابر وزاده • وقد تقدمت الاشارة اليه في غزوة احد من المقصد الاول • والمراد بقوله والله الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق المراد الذي اتانا الله به بعد يوم بدر من فتح خيبر ثم مكة اي ما جاء الله به

ومن خزائن

بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب المؤمنين • قال في فتح الباري وفي هذا السياق اشعار بان قوله في الخبر والله خير من جملة الرؤيا قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير لم يتحرر ايراده • وان رواية ابن اسحق هي المحررة وانه رأى بقرا ورأى خيرا فأول البقر على من قتل من الصحابة يوم احد وأول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر وبعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية لا تختص بما بين بدر واحد نبه عليه ابن بطال • ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم انه اتي برطب • روى مسلم عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت الليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولته ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة وان ديننا قد طاب • ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم سيفا هزه وتعبيره • ما روي في حديث ابي موسى المتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ورأيت في رؤياي هذه اني هززت سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما اصيب من المؤمنين يوم احد ثم هززته اخرى فعاد احسن مما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين • رواه الشيخان • ايضا انه عبر بالسيف لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم وفي الهزة الاخرى لما عاد الى حالته من الاستواء عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم • وقال اهل التعبير السيف يتصرف على اوجه • منها ان من نال سيفا فانه ينال سلطانا اما ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا • فان سله من غمده فانثلم سلمت زوجته واصيب ولده • فان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس وان سلما او عطبا فكذلك وقائم السيف يتعلق بالاب والعصبات ونصله بالام وذوي الرحم وان جرد السيف واراد قتل شخص فهو لسانه يجرده في خصومة وربما عبر بسلطان جائر • وقال بعض اهل التعبير ايضا من رأى انه يقلد سيفا فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف فانه يبسط لسانه فيه • ومن رأى انه يقاتل آخر وسيفه اطول من سيفه فانه يغلب • ومن رأى سيفا عظيما فهو فتنة • ومن قلد سيفا قلد امرا فان كان قصيرا لم يدم امره • ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم انه على قليب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رأيتني على قليب وعليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فأخذها عمر بن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن • وعبقري القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم • وفي رواية فلم ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر • وفي رواية فأتاني ابو بكر فأخذ الدلو من يدي ليريحني • وفي رواية موسى عن سالم عن ابيه رأيت الناس اجتمعوا فقام ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم قام ابن الخطاب فاستحالت غربا فما رأيت من الناس من يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن • رواه البخاري • وقال النووي قالوا هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك

ابن طاب نوع من الرطب

المؤمنين

من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به اكمل مقام وقرر قواعد الدين ثم خلفه
ابو بكر فقاتل اهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الاسلام في زمنه فشبه امر المسلمين
بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم واميرهم المستقي لهم منها • وفي قوله فاخذ الدلو من يدي
ليروحني اشارة الى خلافة ابي بكر بعده صلى الله عليه وسلم لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها
فقام ابو بكر بتدبير امر الامة ومعاناة احوالهم • واما قوله وفي نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله
في قصر مدة ولايته واما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة
الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وليس في قوله عليه السلم والله يغفر له
نقص ولا اشارة الى انه وقع ذنب وانما هي كلمة كانوا يقولونها • وقوله فاستحالت في يده غربا
اي تحولت الدلو غربا بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة اي دلوا عظيما • واخرج احمد
وابو داود عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يا رسول الله رايت كان دلوا دلي من السماء فجاء
ابو بكر فاخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان
فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فانتشطت فانتضح عليه منها شيء • والعراقي
جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعروضة على فم الدلو فيهما عرقوتان كالصليب وقد عرقيت
الدلو اذا ركبت العرقوة فيها • وانتشطت اي جذبت ورفعت هذا ابتداء منه لائمة الكرام
صلى الله عليه وسلم مع تعبيرها • واما ما كان يترجم فعنده صلى الله عليه وسلم لم
يخص ونعم من امور الدنيا والآخرة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من صلوة الصبح اقبل على
اصحابه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا فليقصها علي اعبرها له فيقص الناس عليه ما رأوا •
وفي البخاري والترمذي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول
لاصحابه هل رأى احد منكم رؤيا فيقص الناس عليه من شاء ان يقص وانه قال ذات غداة
هل رأى احد منكم رؤيا فقالوا ما منا احد رأى شيئا قال لكني اتاني الليلة آتيان
وانهما ابتعثاني فقالا لي انطلق فانطلقت فاتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة
واذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه • الحديث • واقام عليه السلام يسأل اصحابه هل
رأى منكم الليلة احد رؤيا ما شاء الله • ثم ترك السؤال فكان يعبر لمن قص متبرعا • واختلف
النقلة في سبب تركه السؤال فقيل سبب ذلك حديث ابي بكرة عند الترمذي وابي داود
انه صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم من رأى منكم رؤيا فقال رجل انا يا رسول الله رأيت كأن
ميزانا نزل من السماء فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر •
ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فرأينا الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتهى • قالوا فمن حينئذ لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم احدا عن رؤيا • قال بعضهم وسبب كرهه
عليه الصلوة والسلام اشارة لستر العواقب واخفاء المراتب فلما كانت هذه الرؤيا كاشفة لنا ثم

مبينة

مبينة لتفضيل بعضهم على بعض والتعيين فخشي ان تتواتر ويتوالى ما هو ابلغ في الكشف من ذلك ولله
سر خلقه حكمة بالغة ومشيئة نافذة • وقد روى البيهقي فيما ذكره ابن المنير سبب تركه السؤال حديث
ابن زمل قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال وهو ثان رجله سبحان الله
وبحمده واستغفر الله ان الله كان توابا سبعين مرة ثم يقول سبعون بسبعماية لا خير لمن كانت ذنوبه اكثر من
سبعماية ثم يستقبل الناس بوجهه فيقول هل رأى احد منكم شيئا قال ابن زمل فقلت ذات يوم انا
يا رسول الله قال خيرا تلقاه وشرا توقاه وخير لنا وشر لاعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك قال
رأيت جميع الناس على طريق رحب لاحب سهل والناس على الجادة منطلقون فبيناهم كذلك اشفى
ذلك الطريق بهم على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر نداه فيه من انواع الكلأ وكاني بالزمرة الاولى
حين اشرفوا على المرج كبروا ثم ركبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا ثم جاءت الزمرة
الثانية من بعدهم وهم اكثر منهم اضعافا فلما اشرفوا على المرج كبروا ثم ركبوا رواحلهم في الطريق فمنهم
المرتع ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما اشفوا على المرج كبروا وقالوا
هذا خير المنزل فمالوا في المرج يمينا وشمالا فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى اتيت اقصى المرج فاذا انا
بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة واذا عن يمينك رجل آدم اقنى
اذا هو تكلم يسمو يكاد يفرع الرجال طولا واذا عن يسارك رجل ربعة تار احمر كثير خيلان الوجه
اذا هو تكلم اصغيتم اليه اكراما له واذا امام ذلك شيخ كانكم تقتدون به واذا امام ذلك ناقة عجفاء
شارف واذا انت كانك تبعثها يا رسول الله قال فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة
ثم سري عنه فقال اما ما رأيت من الطريق الرحب اللاحب السهل فذلك ما حملتكم عليه من الهدى
فانتم عليه • واما المرج الذي رأيت فالدنيا وغضارة عيشها لم نتعلق بها ولم تردنا ولم
نردها • واما الزمرة الثانية والثالثة وقص كلامه فانا لله وانا اليه راجعون • واما انت
على طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني • واما المنبر فالدنيا سبعة آلاف سنة انا في آخرها
الفا • واما الرجل الطويل الادم فذلك موسى نكرمه بفضل كلام الله اياه • واما الرجل الربعة
التار الاحمر فذلك عيسى نكرمه بفضل منزلته من الله • واما الشيخ الذي رأيت كانا نقتدي به
فذلك ابراهيم • واما الناقة العجفاء الشارف التي رأيت اني ابعثها فهي الساعة علينا
تقوم لا نبي بعدي ولا امة بعد امتي • قال الراوي وما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذا احدا عن رؤيا الا ان يجيء الرجل متبرعا فيحدثه بها • رواه ابن قتيبة والطبراني والبيهقي
في الدلائل وسنده ضعيف جدا • ومن غرائب ما ينقل عنه صلى الله عليه وسلم من التعبير ان زرارة
ابن عمرو النخعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النخع فقال يا رسول الله اني رأيت في طريقي
هذا رؤيا رأيت اتانا تركتها في الحي ولدت جديا اسفع احوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل لك من امة تركتها مصرة حملا قال نعم تركت امة لي اظنها قد حملت قال فقد ولدت غلاما وهو ابنك

قال فما بال الاسفع الحوى قال ادن منى فدنا منه قال هل بك برص كتمته قال نعم والذى بعثك
بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به قال فهو ذاك • قال ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان
ودملجان ومسكتان قال ذاك ملك العرب عاد الى افضل زيه وبهجته قال ورأيت عجوزا
شمطاء تخرج من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى
وبين ابن لى يقال له عمرو ورأيتها تقول لظى لظى بصير واعمى اطعمونى اطعمكم اهلكم ومالكم فقال النبى
صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون فى آخر الزمان قال وما الفتنة يا رسول الله قال يقتل الناس
امامهم ثم يشتجرون اشتجار اطباق الرأس وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه
يحسب المسيء انه محسن ودم المؤمن عند المؤمن احلى من شرب الماء فانظر الى هذا التعبير البارز من
مشكاة النبوة محشوا حلاوة الحق مكسوا طلاوة الصدق مجلوا بانوار الوحى • والاسفع
الذى اصاب خده لون آخر • والاحوى الاسود ليس بالشديد والمسكتان السواران من ذهب
واطباق الرأس عظامه والاشتجار الاختلاف والاشتباك • فان قلت تعبيره عليه السلام بالسوارين
هنا يرجع الى البشرى وعبرهما بالكذابين فيما مر فالجواب بان النعمان بن المنذر كان ملك العرب
وكان عاملا من جهة الاكاسرة وكانوا يسورون الملوك ويحلونهم وكان السوار من زى
النعمان فليسا بمنكرين فى حقه ولا موضوعين فى غير موضعهما عرفا • واما النبى صلى الله عليه وسلم
فنهى عن لباس الذهب لآحاد امته فحذر ان يتهم ذلك لانه لبس من زينة فاستدل به على امر موضوع
فى غير موضعه ولكن حمدت العاقبة بذهابها ولله الحمد • ومن ذلك ما روى عن قيس بن
ابن عباد بضم العين وتخفيف الموحدة كنت فى حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر فمر عبد الله بن
سلام فقالوا هذا رجل من اهل الجنة فقلت له انهم قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما كان
ينبغى لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم انما رأيت كأنما عمود وضع فى روضة خضراء فنصب
فيها وفى رأسها عروة وفى اسفلها منصف والمنصف الوصيف فقال ارقه فرقيت حتى اخذت بالعروة
فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى •
رواه البخارى • وفى رواية خرشة بينما انا نائم اتانى رجل فقال لى قم فاخذ بيدى فانطلقت
معه فاذا انا بجواد بالجيم والدال المشددة جمع جادة وهى الطرق المسلوكة عن شمالى قال فاخذت
لآخذ فيها اى اسير فقال لا تأخذ فيها فانها طرق اصحاب الشمال • وفى رواية النسائى
من طريقه فبينا انا امشى اذ عرض لى طريق عن شمالى فاردت ان اسلكها فقال انك لست
من اهلها • وفى رواية مسلم فاذا جواد منهج عن يمينى فقال لى خذ ها هنا فاتى بى جبلا فقال لى اصعد
قال فجعلت اذا اردت ان اصعد خررت حتى فعلت ذلك مرارا • وفى رواية ابن عون قال
تلك الروضة روضة الاسلام وذلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة العروة الوثقى
لا تزال متمسكا بالاسلام حتى تموت • وفى رواية خرشة عند النسائى وابن ماجه قال

رأيت خيرا • اما المنهج فالمحشر • واما الجبل فهو منزل الشهداء • زاد مسلم ولن تناله وهذا علم
من اعلام النبوة لنبينا صلى الله عليه وسلم فان عبد الله بن سلام لم يمت شهيدا وانما مات على
فراشه فى اول خلافة معاوية بالمدينة • وقولهم انه من اهل الجنة اخذوه من قوله لما ذكر طريق الشمال
انك لست من اهلها وانما قال ما كان ينبغى لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم على سبيل التواضع وكراهة
ان يشار اليه بالاصابع خشية ان يدخله العجب عافانا الله من سائر المكاره • وقال القيروانى
الروضة التى لا يعرف نبتها تعبر بالاسلام لنضارتها وحسن بهجتها وتعبر ايضا بكل مكان فاضل
وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك انتهى • وقال غيره من المعبرين الحلقة والعروة
المجهولة تدل لمن تمسك بها على قوته فى دينه واخلاصه فيه • ومن ذلك ما رواه البخارى عن ام العلاء
وهى امرأة من نسائهم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت لعثمان بن مظعون بعد موته فى النوم
عينا تجرى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عمله يجرى له • وقد قيل يحتمل
ان كان لعثمان شئ من عمله بقى له ثوابه جاريا كالصدقة وانكره مغلطاى وقال لم يكن له شئ من الامور
التى ذكرها مسلم فى حديث ابى هريرة رفعه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث • وتعقبه شيخ
الحفاظ ابن حجر بانه كان له ولد صالح شهد بدرا وما بعدها وهو السائب مات فى خلافة ابى بكر رضى الله
عنه فهو احد الثلاث • قال وقد كان عثمان من الاغنياء ولا يبعد ان تكون له صدقة استمرت بعد
موته • وقال المهلب العين الجارية يحتمل وجوها فان كان ماؤها صافيا عبرت بالعمل الصالح والا
فلا • وقال غيره العين الجارية عمل جار من صدقة او معروف لحى او ميت • وقال آخرون العين الماء نعمة
وبركة وخير وبلوغ امنية ان كان صاحبها مستورا فان كان غير عفيف اصابته مصيبة يبكى
لها اهل داره • والله اعلم • فهذا طرف من تعبيره عليه السلام يهدى الى غيره مما يشابهه والا فالذى
نقل عنه صلى الله عليه وسلم من غرائب التأويل ولطائف التعبير كما قال ابن المنير لا تحصره المجلدات وانت
اذا تأملت ان كل كرامة اوتيها واحد من هذه الامة فى علم او عمل هى من آثار معجزة نبيه صلى الله عليه
وسلم وسر تصديقه وبركات طريقه وثمرات الاقتداء بهديه وتوفيقه • ولو استحضرت ما اوتيه
الامام محمد بن سيرين من لطائف التعبير مما شاع وذاع واستلذت به الاسماع طبق الارض صدقا وصوابا
وعجبا عجابا بل تراه عيانا قضيت بان ما منحه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف لا تحيط به العبارات
ولا تدرك حقيقة كنهه الاشارات • واذا كان هذا ابن سيرين واحد من امته عليه السلام نقل عنه فى
التعبير ما لا يعد فكيف به صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه • وافاض علينا من سحائب علومه
ومعارفه • وعطف علينا بعواطفه

الفصل الثالث فى انبائه بالانباء المغيبات صلى الله عليه وسلم

اعلم ان علم الغيب مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحى او بالهام • والشاهد لهذا قوله تعالى عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول لكون معجزة • واستدل به على ابطال الكرامات

واجيب بتخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير توسطه • وكرامات الاولياء على المغيبات انما هي
برؤيا الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء • وفي حديث من انه عليه السلام قال
والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي • فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الانباء المنبئة عن الغيوب
ليس الا من اعلام الله له به اعلاما على ثبوت نبوته ودلائل رسالته • وقد اشتهر وانتشر
امره عليه السلام بين اصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى اذ كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت
فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء • ويشهد لهذا قول ابن رواحة وفينا
رسول الله يتلو كتابه • اذا انشق معروف من الصبح ساطع • ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات ان ما قال واقع • وقول حسان بن ثابت • نبي يرى ما لا يرى الناس حوله • ويتلو
كتاب الله في كل مشهد • فان قال في يوم مقالة غائب • فتصديقها في ضحوة اليوم او غد •
وهذا الفصل ينقسم قسمان • الاول فيما اخبر عليه السلام مما نطق به القران العظيم من ذلك
قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله • الى قوله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا • فقوله ولن تفعلوا اخبار عن غيب يقتضي العادة بخلافه • ومن ذلك قوله تعالى واذ
يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الاية فانه قد كانت لقريش
قافلتان احديهما ذات غنيمة دون الاخرى فاخبر الله تعالى عما في ضمائرهم وانجز لهم ما وعد ولا
ان الوعد كان قبل اللقاء لان الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جائز ومن ذلك قوله تعالى سيهزم
الجمع ويولون الدبر • وهذا اخبار عن المستقبل لان السين بمعنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم بدر
وقد كان عددهم ما بين التسعمائة والالف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح • وكان عدد المسلمين
ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وليس معهم الا فرسان احدهما للزبير ابن العوام والاخرى للمقداد رضي الله عنهما
فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل ابطالهم واغتنام اموالهم • ومن ذلك قوله تعالى سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم
احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب • ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل
ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله • وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا
عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم ومن ذلك قوله تعالى الم غلبت الروم وهم من بعد
غلبهم سيغلبون في بضع سنين الى قوله لا يخلف الله وعده • وسبب نزول هذه الاية ان كسرى و
قيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك لان الروم اهل كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبي
صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى كتابه • وفرح المشركون به فاخبر الله تعالى بان الروم بعد ان غلبوا
سيغلبون في بضع سنين • والبضع ما بين الثلث الى العشرة فغلبت الروم اهل فارس يوم الحديبية
واخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين • ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين و
لا يتمنونه ابدا فاخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه ابدا

فاخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب فلو لم يعلموا ما يلحقهم من الموت لما دعوا الى تكذيبه بالتمني ولو
لم يعلم ذلك لخشي ان يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب • قال البيضاوي وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان
كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب فيخفى • وروي مرفوعا لو
تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ومن ذلك
قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
الاية • هذا وعد الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بانه سيجعل امته خلفاء الارض ائمة
الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد • وليبدلن بعد خوفهم من الناس امنا
وحكما فيهم وقد فعل تعالى ذلك ولله الحمد والمنة • فانه لم يقبض صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه
مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن
بعض اطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس و
ملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي ملك بعد اصحمة ثم لما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامات قام بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فلم شعث ما وهى عند موته عليه السلام واطد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية
الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا طرفا منها وجيشا اخر صحبة ابي عبيدة الى ارض الشام
وجيشا ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى بلاد مصر ففتح الله بالجيش الشامي في ايامه بصرى ودمشق
ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله سبحانه واختار له ما عنده من الكرامة والاسلام
واهله بان الهم الصديق ان استخلف عمر رضي الله تعالى عنه فقام في الامر بعده قياما تاما
لم يدر الفلك بعد الانبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله وتم في ايامه فتح البلاد
الشامية بكمالها وديار مصر الى اخرها واكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان
وتقهقر الى اقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية و
انفق اموالهما في سبيل الله كما اخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت
الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى اقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلاد
المغرب الى اقصى ما هنالك اندلس وقيروان وسبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى
اقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مداين العراق وخراسان
والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجيء بالخراج من المشارق والمغارب
الى حضرة امير المؤمنين عثمان بن عفان • وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الامة
على حفظ القران فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله • ومن ذلك
قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود اذل الكفار في كل مكان وزمان كما اخبر
ومن ذلك قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون • وهو ظاهر في العيان بأن دين الإسلام كما أخبر عال على سائر الأديان
ومن ذلك قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح • إلى آخرها • فكان كما أخبر دخل الناس في الإسلام
أفواجا • فما توفي صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام إلى
غير ذلك مما يطول استقصاؤه

القسم الثالث فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب سوى ما في القرآن العزيز

فكان كما أخبر في حياته وبعد مماته
أخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا
أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه • وعن حذيفة
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا في مقامه ذلك إلى قيام الساعة
إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون
منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه • ثم قال
حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه • والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا وقد سماه
لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته • رواه أبو داود • وروى مسلم من حديث ابن مسعود في
الدجال فيبعثون عشرة فوارس طليعة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف
أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ نصح من هذا الخبر وغيره
مما يأتي من الأخبار وصح من خواطر الأبرار الأخيار أنه صلى الله عليه وسلم عرفهم بما يقع في حياته و
بعد موته وما قد لحق وقوعه فلا سبيل إلى فوته • وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما ولا شك أن الله تعالى قد أطلعه على أزيد
من ذلك وألقى عليه علم الأولين والآخرين • وأما علم عوارف المعارف الإلهية فتلك لا يحصى
عددها وإليه صلى الله عليه وسلم ينتهي مددها • ومن ذلك ما رواه الشيخان عن
أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى
المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات • وفي حديث أنس عند أحمد والبخاري أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله
وقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان • فكان كما أخبر عليه السلام
ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا هلك كسرى فلا
كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله
قال النووي قال الشافعي وسائر العلماء معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام
كما كان في زمنه عليه السلام فأعلمنا صلى الله عليه وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الإقليمين وكان
كما قال • فأما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الأرض وتمزق ملكه كل ممزق

واضمحل

واضمحل بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم • وأما قيصر فانهزم من الشام ودخل أقصى بلاده
واستقرت للمسلمين بعد افتتاحهم بلاده • انتهى • وقد وقع ذلك في خلافة سيدنا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قدمته • وقال عليه السلام لسراقة كيف بك إذا لبست
سواري كسرى • فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما
سراقة • ومن ذلك إخباره عليه السلام بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل
بعد أن كتمه فقال لما علمه غيري وغيرها وأسلم كما تقدم ذلك في غزوة بدر من المقصد
الأول • وإخباره بشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة • وبموضع ناقته حين ضلت وكيف
تعلقت بخطامها في الشجرة • ولما رجع المشركون يوم الأحزاب قال النبي صلى الله عليه وسلم
الآن نغزوهم ولا يغزونا • فلم يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده • وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم جيشا إلى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب
فإن أصيب فعبد الله بن رواحة فلما التقى المسلمون بمؤتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم
على المنبر فكشف له حتى نظر إلى معتركهم فقال أخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد
فصلى عليه ثم قال استغفروا له ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب حتى استشهد فصلى عليه
ثم قال استغفروا لأخيكم جعفر ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد فصلى عليه
ثم قال استغفروا لأخيكم • فأخبر أصحابه بقتلهم الساعة التي قتلوا فيها • ومؤتة دون
دمشق بأرض البلقاء • وعن أسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة
اليوم الذي قتل فيه جعفر وأصحابه فقال يا أسماء ائتيني ببني جعفر فجئت بهم فضمهم وشمهم
ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى فقلت يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء قال نعم قتل
اليوم • رواه يعقوب الإسفرايني في كتابه دلائل الإعجاز • وخرجه ابن إسحق والبغوي
ومن ذلك قوله عليه السلام زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك أمتي ما زوي لي منها • وكان كذلك امتدت في المشارق والمغارب ما بين أقصى
أرض الهند إلى أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه • وذلك ما لم تملكه أمة
من الأمم • ومن ذلك إعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا
بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال عليه السلام
ومن ذلك ما رواه الطبراني في الكبير والبزار من حديث ابن عمر قال كنت جالسا مع النبي
صلى الله عليه وسلم في مسجد منى فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا
رسول الله جئنا نسألك فقال إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت وإن شئتما أن
أمسك وتسألاني فعلت فقالا أخبرنا يا رسول الله فقال الثقفي للأنصاري سل فقال أخبرني
يا رسول الله فقال جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه وعن ركعتك

بعد الطواف وما لك فيها وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه وعن رميك الجمار وما لك فيه وعن نحرك وما لك فيه مع الافاضة فقال والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك • ومن ذلك ما روى ابن عساكر عن واثلة بن الأسقع قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه بحجرة ثم فجلست وسط الحلقة فقال بعضهم يا واثلة قم من هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه وآياه فاني اعلم ما الذي أخرجه من منزله قلت يا رسول الله ما الذي أخرجني من منزلي قال أخرجك من منزلك لتسأل عن البر وعن الشك قال قلت والذي بعثك بالحق ما أخرجني غيره فقال صلى الله عليه وسلم البر ما استقر في الصدر واطمأن إليه القلب والشك ما لم يستقر في الصدر ولم يطمئن إليه القلب • فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون

ومن ذلك قوله لفاطمة رضي الله عنها في مرضه انك أول أهلي لحوقا بي فعاشت بعده ثمانية أشهر • وقيل ستة أشهر • وقوله عليه السلام لنسائه أسرعكن بي لحوقا أطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق • ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أتدري من أشقى الآخرين قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك • أخرجه أحمد في المناقب • وعند ابن أبي حاتم الذي يضربك على هذا وأشار إلى يافوخه • وعند المحاملي قال علي عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن هذه من هذه وأشار الى رأسه ولحيته • وعند الضحاك الذي يضربك على هذه فيبل منها هذه وأخذ بلحيته ضربة عبد الرحمن بن ملجم • وعند الطبراني وأبو نعيم من حديث جابر مرفوعا انك مؤمر مستخلف وانك مقتول وان هذه مخضوبة من هذه • وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية انك ستلي أمر أمتي بعدي فاذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم قال معاوية فما زلت أرجوها حتى قمت مقامي • هذا رواه ابن عساكر • وأخرج ابن عساكر أيضا من حديث عمرو بن رويم مرفوعا لن تغلب معاوية أبدا وان عليا رضي الله عنه قال يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معاوية • ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام يقتل هذا مظلوما وأشار الى عثمان رضي الله عنه • خرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن غريب • وخرجه أحمد فكان كما قال عليه السلام قتل شهيدا في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الآية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وفي الشفا أنه عليه السلام قال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وهو السميع العليم وان الله يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأن الله سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم • وقد خرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم • كذا قال الذهبي انه حديث موضوع • وقد روى مسلم عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال هل ترون ما أرى اني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت فتنة قتل عثمان رضي الله عنه ثم تتابعت الفتن الى فتنة الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلث وستين من الهجرة وجرت فيها وقائع كثيرة موجودة في كتب التواريخ • وأخرج البيهقي عن الحسن قال لما كان كان يوم الحرة قتل أهلي حتى لا يكاد ينفلت منهم أحد • وأخرج أيضا عن مالك بن أنس قال قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلثمائة من الصحابة وذلك في خلافة يزيد • وأخرج أيضا عن مغيرة قال أنهب أبو مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام وافتض فيها ألف عذراء • وقال عليه السلام لأبي موسى وهو قاعد على قف بئر أريس لما طرق عثمان الباب ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أشار بذلك الى ما تقدم من استشهاده يوم الدار بل أصرح من ذلك كله ما رواه أحمد عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ ظلما قال فنظرت فاذا هو عثمان • وإسناده صحيح • وأخبر عليه السلام بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير عليا كما أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن أم سلمة قالت ذكر النبي صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ثم التفت الى علي فقال ان وليت من أمرها شيئا فارفق بها • وعن ابن عباس مرفوعا أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب ويقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت • رواه البزار وأبو نعيم • وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن أبي الأسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له علي أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وأنت ظالم له فمضى الزبير منصرفا • وفي رواية أبي يعلى والبيهقي فقال الزبير بلى ولكن نسيت

ومن ذلك قوله عليه السلام في الحسن بن علي رضي الله عنهما ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين • رواه البخاري • فكان كما قال عليه السلام لأنه لما استشهد علي بن أبي طالب بايع الحسن رضي الله عنه أكثر من أربعين ألفا فبقي سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من أرض السواد فعلم أن لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى فكتب لمعاوية يخبره أنه يصير الأمر اليه دون غيره على أن يشترط عليه ان لا يطلب أحد من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه فأجابه معاوية الا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث اليه برق أبيض فقال اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك • فكان الأمر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين • وأخرج الدولابي أن الحسن قال كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين • ومن ذلك إعلامه صلى الله عليه وسلم بقتل الحسين رضي الله تعالى عنه بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه • رواه البغوي في معجمه من حديث أنس بن مالك بلفظ استأذن ملك القطر ربه أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له وكان في يوم أم سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم احفظي علينا الباب لا يدخل أحد فبينما هي على الباب اذ دخل الحسين

فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له
الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك المكان الذي يقتل به فاراه فجاء بسهلة او تراب
احمر فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلا • واخرج ابو حاتم في صحيحه ورواه
احمد نحوه والبغوي بالكبر ومنه حسين بالدقاق الناعم • وفي رواية الملا قال فقربها ولي كفا من تراب احمر
وقال ان هذا من تربة الارض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي انه قد قتل قالت ام سلمة فوضعته في
قارورة عندي وكنت اقول ان يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم • الحديث • واستشهد الحسين كما قال
عليه السلم بكربلا من ارض العراق بناحية الكوفة • ويعرف الموضع بالطف ايضا وقتله سنان بن انس
النخعي • وقيل غيره • ولما قتلوه بعثوا براسه الى يزيد فنزلوا اول مرحلة فجعلوا يشربون الراح فبينما هم
كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم • اترجو امة قتلت
حسينا • شفاعة جده يوم الحساب • فهربوا وتركوا الراس • خرجه منصور بن عمار • وذكر
ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن نضرة الازدية انها لما قتل الحسين بن علي امطرت السماء
دما فاصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوة دما • وكذا روي في احاديث غير هذه • وقال عليه السلم
لعمار تقتلك الفئة الباغية • رواه البخاري ومسلم • فكان كما قال عليه السلم • ومن ذلك
ما رواه ابو عمرو بن عبد البر ان عبد الله بن عمر راى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ارايته قال نعم قال ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك فعمي في آخر عمره
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس تعيش حميدا وتقتل شهيدا • رواه الحاكم
وصححه • والبيهقي وابو نعيم فقتل يوم مسيلمة الكذاب باليمامة • ومن ذلك قوله لعبد الله بن الزبير
ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان من امره مع الحجاج ما كان • ومن ذلك حديث
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا بدا نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون سلطانا او
جبرية • وقوله ملكا عضوضا اي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون فيه عضا • وفي
سفينة عند ابي داود والترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة في امتي ثلثون سنة
ثم ملك بعد ذلك • قال سعيد بن جمهان امسك خلافة ابي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي
فوجدناها ثلثين سنة فقيل ان بني امية يزعمون ان الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقا هم ملوك
من شر الملوك • واخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك
حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى
والباه من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بابي الخلفاء فاخبرت العباس فاتاه فذكر له
فقال هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون منهم من
يصلي بعيسى بن مريم • واخرج ابو يعلى عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ليظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم ومن ذلك اخباره عليه السلم

بعالم

بعالم المدينة • اخرج الحاكم وصححه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الناس
ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال سفيان بن عيينة يرى هذا العالم
مالك ابن انس • وقال ابن عبد الرزاق ولم يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت اكباد الابل الى احد مثل
ما ضربت اليه • وقال ابو مصعب كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني
لطلب العلم • وممن روى عنه من الائمة المشهورين محمد بن شهاب الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي
امام اهل الشام • والليث بن سعد امام اهل مصر • وابو حنيفة النعمان بن ثابت الامام وصاحباه ابو يوسف
ومحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن مهدي شيخ الامام احمد • ويحيى بن يحيى شيخ البخاري • وابو رجا قتيبة بن سعيد
شيخ البخاري • ومسلم وذا النون المصري • والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك • وابراهيم بن ادهم كما نقله العلامة
عيسى بن مسعود الزواوي في كتابه المنهج السالك الى معرفة قدر الامام مالك • واخباره بعالم قريش
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما • رواه
ابو داود الطيالسي في مسنده وفيه الجارود مجهول لكن له شواهد عن ابي هريرة من تاريخ بغداد للخطيب
وعن علي وابن عباس في المدخل للبيهقي قال الامام احمد وغيره هذا العالم هو الشافعي لانه لم ينتشر في
طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي • وما كان الامام احمد
ليذكر حديثا موضوعا يحتج به او يستانس به في امر شيخه الشافعي • واما قوله وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال عالم قريش الى اخره بصيغة التمريض احتياطا للشك في ضعفه فان اسناده لا يخلو
من ضعف • قاله العراقي ردا على الصاغاني في زعمه انه موضوع • وقد جمع الحافظ ابن حجر طرقه في كتاب
سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش كما افاده شيخنا والخبر عليه السلم بان طائفة من
امته لا يزالون ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله • رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وبان
الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها • رواه الحاكم من حديث ابي هريرة
وبذهاب الامثل فالامثل • رواه الحاكم وصححه بلفظ تذهبون الخير فالخير • وبالخوارج رواه
الشيخان من حديث ابي سعيد الخدري بلفظ بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما
اذ اتاه ذو الخويصرة فقال يا رسول الله اعدل قال ويلك ومن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال عليه السلم دعه فان له اصحابا
يحقر احدكم صلوته مع صلوتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون
من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ايتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل
البضعة تدردر يخرجون على خير فرقة من الناس • قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه • وامر بذلك الرجل
فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعته •
واخباره عليه السلم ايضا بالرافضة • اخرجه البيهقي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يكون في امتي قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام واخبر ايضا بالقدرية والمرجئة وقال هم
مجوس هذه الامة • رواه الطبراني في الاوسط عن انس • وقد اخبر عليه السلم اصحابه باشياء بين
موته والساعة • وحذر من مفاجاتها كما يحذر من حادث الطامة فان الساعة لا تقوم حتى تظهر
جملة من الامارات في العالم فاذا جاءت الطامة الكبرى يطيش منها الجاهل والعالم كما روى
من رفع الامانة والقرآن واشتهار الخيانة وحسد الاقران وقلة الرجال وكثرة النسوان الى
غير ذلك مما شهدت بصحة الاخبار وقضى بحقيقة وقوعه الاعتبار • وقد تعين ان نذكر
طرفا من الآثار الصحاح والحسان • فروى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه قال
لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة •
وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين يزعم انه رسول الله • وحتى يقبض العلم ويكثر الزلازل
ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم
الرجل من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي فيه • وحتى يتطاول
الناس في البنيان • وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه • وحتى تطلع الشمس من مغربها
فاذا طلعت ورآها الناس اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا • ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه
ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه • ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه
فلا يسقي فيه • ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها هذه ثلاثة عشر علامة
جمعها ابو هريرة في حديث واحد • ولم يبق بعد هذا ما ينظر من صحيح العلامات والاشراط وقد ظهر
اكثر هذه العلامات • فاما قوله حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة فيريد فتنة معاوية
وعلي بصفين • قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا اول خطب طرق الاسلام • وتعقبه القرطبي
بان اول امر دهم الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعده موت ابي بكر لان بموته صلى الله
عليه وسلم انقطع الوحي • وكان اول ظهور الشر ارتداد العرب وغير ذلك وبموت عمر سل سيف
الفتنة بقتل عثمان وكان من قضاء الله وقدره ما كان وما يكون • واما قوله دجالون
كذابون قريب من ثلاثين فقد جاء عددهم معينا من حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكون في امتي دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة وانا خاتم النبيين لا نبي
بعدي • اخرجه الحافظ ابو نعيم • وقال هذا حديث غريب • قال القاضي عياض هذا الحديث
قد ظهر فلو عد من تنبا من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الآن ممن اشتهر بذلك
لوجد هذا العدد ومن طالع كتب التواريخ عرف صحة هذا • وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض العلم
ولم يبق الا رسمه • واما الزلازل فوقع منها شيء كثير وقد شاهدنا بعضها • وقوله
حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته فهذا مما لم يقع • وقوله حتى يمر

الرجل

الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه لما يرى من عظيم البلاء ورياسة الجهلاء وخمول العلماء وغير
ذلك مما ظهر كثير منه • وفي حديث ابي هريرة عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى • وقد
خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة • وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعا
بعد العشاء ثالث جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وستماية • وفي يوم الثلاثا اشتدت
حركتها وعظمت رجفتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات
لبارئها ودامت الحركة الى ان ايقن اهل المدينة بوقوع الهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا من جملة
ثمانية عشر كرة في يوم واحد دون ليلته • قال القرطبي وكان لي المدينة ببركته صلى
الله عليه وسلم نسيم بارد وشوهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من
قرى اليمن فاحرقتها • قال وقال لي بعض اصحابنا ولقد رايتها صاعدة في الهوى من مسيرة
خمسة ايام • قال وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى • وقال الشيخ قطب الدين
القسطلاني اقامت اثنان وخمسون يوما قال وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر
رجب ليلة الاسرا والمعراج به صلى الله عليه وسلم • وبالجملة فاستيفاء الكلام على هذه النار
يخرج عن المقصود • وقد نبه عليه القرطبي في التذكرة وافردها في التاليف الشيخ قطب الدين
القسطلاني في كتاب سماه جمل الايجاز في الاعجاز بنار الحجاز ياتي فيه من دقائق الحقائق بالعجب
العجاب • والله الموفق للصواب

المقصد التاسع

في لطيفة من عبادته صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه مخاطبا له صلى الله عليه وسلم
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين فامره تعالى حتى ياتيه الموت وهو المراد باليقين • وانما سمي الموت باليقين لانه
امر متيقن • فان قلت ما الفائدة في قوله حتى ياتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك كافيا
في الامر بالعبادة • اجاب القرطبي تبعا للعبيدي انه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده
مرة واحدة كان مطيعا ولما قال حتى ياتيك اليقين اي اعبد ربك في جميع زمان حياتك و
لا تخل لحظة من لحظات الحياة من العبادات كما قال العبد الصالح واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت
حيا • وهذا مصير منه الى ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وهي مسئلة معروفة في كتب الاصول
اختلف فيها وهي هل الامر المطلق يفيد التكرار او المرة الواحدة او لا يفيد شيئا منها على مذاهب الاول
انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه بل انما يفيد طلب فعل المامور به من غير اشعار بالمرة او المرات لكن المرة
ضرورية لاجل تحقيق الامتثال اذ لا توجد الماهية باقل منها • وهذا اختيار الامام مع نقله له عن الاكثرين
ورجحه الامدي وابن الحاجب وغيرهما • الثاني انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاذ ابو اسحق
الاسفرائني وابو حاتم القزويني فان عين للتكرار امدا استوعبه والا استوعب زمان العمر لكن بحسب الامكان
فلا يستوعب زمان قضاء الحاجة والنوم وغير ذلك من الضروريات • الثالث انه يدل على المرة

الشيخ ابو اسحق في شرح اللمع عن اكثر اصحابنا وابي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار
بحسب تكرار المعلق به نحو وان كنتم جنبا فاطهروا والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة . انتهى ملخصا . في شرح العلامة ابي الحسن الاشموني لنظمه جمع الجوامع للعلامة السبكي
وقد روى جبير بن نفير مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من
التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
رواه البغوي في شرح السنة وابو نعيم في الحلية عن ابي مسلم الخولاني وقد امر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم في هذه الاية باربعة اشياء التسبيح والتحميد والسجود والعبادة . واختلف العلماء في انه
كيف صار الاقبال على مثل هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي
عن بعض المحققين انه قال اذا اشتغل الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت له اضواء عالم
الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة عنده واذا صارت حقيرة خف
على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها . وعند ذلك يزول
الحزن والغم . قال اهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى الطاعات كانه يقول يجب على
عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او ابتليتني بالمكروهات . وقال تعالى فاعبده واصطبر لعبادته
فامره تعالى بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ فان قلت لم لم يقل
واصطبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته فالجواب لان العبادة حصلت بمنزلة القرن في قولك
للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من مشاقه . والمعنى ان العبادة تورد عليك شدائد
ومشاق فاثبت لها . قاله الفخر الرازي وكذا البيضاوي وقال الله تعالى ولله غيب السموات والارض واليه
يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه . فاول درجات السير الى الله عبودية الله تعالى واخرها التوكل عليه
واذا كان العبد لا يزال المسافر الى الله لا ينقطع سيره اليه ما دام في قيد الحياة فهو محتاج الى زاد العبادة
لا يستغني عنه المسافر ولو ارتقى باعمال الثقلين جميعا وكلما كان العبد الى الله اقرب كان جهاده في الله اعظم
قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده . ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق اجتهادا وقياما
بوظائف العبادة ومحافظة عليها الى ان توفاه الله تعالى . وتامل اصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا ابدا
من القرب منه ما اعظم جهادهم واجتهادهم ولا يلتفت الى ما يظنه بعض المنتسبين الى التصوف حيث
قال القرب الحقيقي ينقل العبد من الاعمال الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من كد العمل
زاعما بذلك سقوط التكليف عنه . وهؤلاء اعظم كفرا والحادا حيث عطلوا العبودية وظنوا انهم
استغنوا عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي من اماني النفس وخدع الشيطان . ولو وصل
العبد من القرب الى اعلى مقام ينال العبد لما سقط عنه من التكاليف مثقال ذرة ما دام قادرا عليه
وقد اختلف العلماء هل كان عليه الصلاة والسلام قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله ام لا فقال
جماعة لم يكن متعبدا بشيء وهو قول الجمهور . واحتجوا بانه لو كان ذلك لنقل ولتشوف اهل تلك الشريعة والافتخار
به عليه . ولما كان امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره فاولى ما اهتبل به من سيرته

ولم يخرجه ولم يؤثر شيء من ذلك . وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا
من عرف تابعا والتعليل الاول المستند الى النقل اولى . وذهب اخرون الى الوقف في امره عليه السلام
وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل وهذا مذهب الامام ابي المعالي
هو امام الحرمين وكذلك الغزالي والامدي . وقال اخرون كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا
هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن التعيين واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم
اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى فهذه جملة المذاهب
في هذه المسألة . والاظهر منها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من
ذلك لنقل كما قدمناه . ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه السلام اخر الانبياء فلزمت شريعته من
جاء بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه
وسلم انتهى ملخصا من كلام القاضي عياض . وهو كلام حسن بديع لكن قوله فهذه جملة المذاهب
فيه نظر لانه بقي عليه منها شيء فقد قيل شريعة ادم ايضا وهو محكي عن ابن برهان . وقيل جميع الشرائع
حكاه صاحب المحصول عن المالكية . واما من قال انه عليه السلام كان على شريعة ابراهيم وليس له شرع
هو منفرد به وان المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم احياء شرع ابراهيم وعول في اثبات مذهبه على
قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهذا قول ساقط مردود لا يصدر مثله الا عن
سخيف العقل كثيف الطبع . وانما المراد بهذه الاية الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابراهيم في هذه
الاية بانه ما كان من المشركين فلما قال ان اتبع كان المراد ذلك . ومثله قوله تعالى اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده . وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب
على قول من يقول انه ليس برسول . وقد سمى الله جماعة منهم في هذه الاية وشرائعهم مختلفة لا يمكن
الجمع بينها . فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى . فان قلت النبي صلى الله
عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن تابعا
لاحد فيمتنع حمل قوله تعالى ان اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها
فالجواب ذكر الفخر الرازي بانه يحتمل ان يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية الدعوة الى التوحيد وهو
ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة على ما هو الطريقة المالوفة
في القران . وقد قال صاحب الكشاف في لفظة ثم في قوله ثم اوحينا اليك تدل على تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجلال محله فان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة واجل ما اوتي به من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ملته من قبل ان هذه اللفظة دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر المدائح التي مدحه الله بها
انتهى . ومراده بالمدائح المذكورة
في قوله ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه
في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين . وقال ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد وليت

شعري كيف تلك العبادة وأي انواعها هي وعلى أي وجه فعلها يحتاج ذلك لنقل ولا يحضر الآن. انتهى • وقال شيخ الاسلام البلقيني في شرح البخاري ولم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه السلام • لكن روى ابن اسحق وغيره انه عليه السلام كان يخرج الى حراء في كل عام شهرًا من السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة • وحمل بعضهم التعبد على التفكر قال وعندي ان هذا التعبد يشتمل على انواع • وهي الانعزال عن الناس كما صنع ابراهيم عليه السلام باعتزاله قومه والانقطاع الى الله تعالى فان انتظار الفرج عبادة كما رواه علي بن ابي طالب مرفوعًا وينضم الى ذلك الافكار • وعن بعضهم كانت عبادته عليه السلام في حراء التفكر. انتهى • وقد آن ان اشرع فيما قصدته على النحو الذي اردته • وقد اقتصرت من عباداته صلى الله عليه وسلم على سبعة انواع

النوع الاول

في الطهارة • وفيه فصول • الاول في ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم وسواكه ومقدار ما كان يتوضأ به • اعلم ان الوضوء بالضم الفعل وبالفتح الماء الذي يتوضأ به على المشهور فيهما وهو مشتق من الوضاءة وسمي به لان المصلي يتنظف به فيصير وضيئًا • وقد استدل بعض العلماء كما حكاه في فتح الباري على ايجاب النية في الوضوء من قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا الآية لان التقدير اذا اردتم القيام الى الصلوة فتوضؤوا لاجلها • ومثله قولهم اذا رأيت الامير فقم اي لاجله • وقال ابن القيم لم يرو انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في اول وضوئه نويت رفع الحدث ولا غيرها لا هو ولا اصحابه البتة • ولم يرو عنه لا بسند صحيح ولا ضعيف. انتهى • قلت اما التلفظ بالنية فلا نعلم انه روي عنه صلى الله عليه وسلم واما كونه اتى بها فقد قال الامام فخر الدين الرازي في المعالم • اعلم انا اذا اردنا في الامور انه هل فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فلنا الى اثباته طرق • الاول انا اذا اردنا ان نقول انه عليه السلام توضأ مع النية والترتيب قلنا لا شك ان الوضوء مع النية والترتيب افضل والعلم الضروري حاصل بان افضل الخلق لم يواظب على ترك الافضل طول عمره فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي ولم يثبت عندنا انه اتى بالوضوء العاري عن النية والترتيب • والشك لا يعارض اليقين • فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي فوجب ان يجب علينا مثله • والطريق الثاني انه نقول لو انه عليه السلام ترك النية والترتيب لوجب علينا تركه للدلائل الدالة على وجوب الاقتداء به ولما لم يجب علينا تركه ثبت انه ما تركه بل فعله • وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر مرفوعًا انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى • قال البخاري فدخل فيه الايمان والوضوء والصلوة والزكوة والحج والصوم والاحكام • واشار بذكر الوضوء الى خلاف من لم يشترط فيه النية كما نقل

عن الاوزاعي

عن الاوزاعي وابي حنيفة وغيرهما • وحجتهم انه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة الى عبادة كالصلوة • ونوقضوا بالتيمم فانه وسيلة • وقد اشترط الحنفية فيه النية • واستدل الجمهور على اشتراط النية في الوضوء بالادلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلا بد من قصد يميزه عن غيره ليحصل الثواب الموعود به • وقوله انما الاعمال بالنيات ليس المراد به نفي ذات العمل لانه قد يوجد بغير نية • بل المراد نفي احكامها كالصحة والكمال لكن الحمل على نفي الصحة اولى لانه اشبه بنفي الشيء نفسه • ولان اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات بالتبع فلما منع الدليل نفي الذات بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة • قال ابن دقيق العيد الذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال والذين لم يشترطوها قدروا كمال الاعمال • ورجح الاول لان الصحة اكثر لزومًا للحقيقة من الكمال فالحمل عليها اولى • وفي هذا الكلام ايهام ان بعض العلماء لا يرى باشتراط النية وليس الخلاف بينهم في ذلك الا في الوسائل • واما المقاصد فلا اختلاف بينهم في اشتراط النية لها • ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها للوضوء كما تقدم • وخالف الاوزاعي في اشتراطها للتيمم ايضًا • نعم بين العلماء اختلاف في اقتران النية باول العمل كما هو معروف في مبسوطات الفقه • واما في قوله اي البخاري يدخل فيه الايمان فوجه دخول النية في الايمان على طريقة البخاري ان الايمان عمل • واما الايمان بمعنى التصديق فلا يحتاج الى النية كسائر اعمال القلوب من خشية الله وتعظيمه ومحبته والتقرب اليه لانها متميزة لله فلا تحتاج الى نية تميزها لان النية انما تميز العمل لله من العمل لغيره رياء • وتميز مراتب الاعمال كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة كالصوم عن الحمية • وقوله ايضًا والاحكام والمعاملات التي يدخل فيها الاحتياج الى المحاكمات فيشمل البيوع والانكحة والاقارير وغيرها • وكل صورة لم يشترط فيها النية فذلك لدليل خاص • وقد ذكر ابن المنير ضابطًا لما يشترط فيه النية مما لا يشترط فقال كل عمل لا يظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشترطة • وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملائمة بينهما فلا تشترط النية فيه الا لمن قصد بفعله معنى آخر يترتب عليه الثواب • قال وانما اختلف العلماء في بعض الصور من جهة تحقيق مناط التفرقة • قال واما ما كان من المعاني المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية فيه لانه لا يمكن ان يقع الا منويًا ومتى فرضت النية مفقودة استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلي • واما الاقوال فتحتاج الى النية في ثلثة مواطن احدها التقرب الى الله تعالى فرارًا من الريا • والثاني التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود • والثالث قصد الانشاء ليخرج سبق اللسان • انتهى • ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري • وقد اختلف العلماء في الوقت الذي وجب فيه الوضوء فقال بعضهم اول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الآية • ونقل ابن عبد البر اتفاق اهل السير ان غسل الجنابة فرض عليه الصلوة والسلام وهو بمكة كما افترضت الصلوة وانه لم يصل قط الا بوضوء • وقال هذا مما لا يجهله عالم • وقال الحاكم في المستدرك اهل السنة لهم حاجة الى

الى دليل الرد على من زعم ان الوضوء لم يكن قبل نزول آية المائدة ثم سا فحديث ابن عباس دخلت
فاطمة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا ليقتلوك فقال
ائتوني بوضوء فتوضأ. قال الحافظ ابن حجر وهذا يصلح ان يكون ردا على من انكر وجود الوضوء قبل
الهجرة مندوبا وجزم المالكي بانه كان قبل الهجرة مندوبا. وجزم ابن حزم بانه لم يشرع الا بالمدينة
ورد عليه بما اخرجه ابن لهيعة في المغازي التي يرويها عن ابي الاسود عن عروة ان جبريل عليه السلام
علم النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء عند نزوله عليه بالوحي وهو مرسل. ووصله احمد من طريق
ابن لهيعة ايضا لكن قال الزهري عن عروة عن اسامة بن زيد عن ابيه. واخرجه ابن ماجه من رواية
رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ولكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند. واخرجه الطبراني في
الاوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان على شرط الصحيح لكن المعروف رواية ابن لهيعة
وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل لهم كيف كنتم تصنعون
قال يجزي احدنا الوضوء ما لم يحدث. رواه البخاري وابو داود والترمذي. وعن عثمان رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة. رواه الدارمي. وروى مسلم عن بريدة قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد
فقال له عمر فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر يعني لبيان الجواز. وفي رواية احمد
وابي داود من حديث عبد الله بن ابي عامر الغسيل انه صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا
كان او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء الا من حدث
واختلف العلماء في موجب الوضوء فقيل يجب بالحدث وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام الى الصلاة
معا. ورجحه جماعة من الشافعية. وقيل بالقيام الى الصلاة حسب. ويدل له ما رواه اصحاب
السنن عن ابن عباس مرفوعا انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة. وقد تمسك بحديث عبد الله
بن عامر هذا من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن في اسناده محمد بن اسحق وقد رواه بالعنعنة
وهو مدلس. والخصائص لا تثبت الا بدليل صحيح. واخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن عن
عائشة مرفوعا ثلاث هن علي فرائض وهن لكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل. وقد روى احمد
في مسنده باسناد حسن من حديث واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت
بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي. وقد حكى بعضهم الاجماع على انه ليس بواجب لكن حكي عن بعض
الشافعية انه اوجبه للصلاة ونوزع فيه واتفقوا على انه مستحب مطلقا. ويتاكد في
احوال. منها عند الوضوء وارادة الصلاة. ومنها عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين من حديث
حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك لكن قد يقال المراد قام من
الليل للصلاة فيكون المراد السواك للصلاة او عند الوضوء. ومنها قراءة القرآن كما جزم به الرافعي
ومنها تغير الفم سواء فيه تغير الرائحة او تغير اللون كصفرة الاسنان كما ذكره الرافعي. ومنها دخول المنزل

جزم به النووي في زوائد الروضة لما روى مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك. ومنها ارادة النوم كما ذكره الشيخ ابو حامد
في الرونق. وروي فيه ما رواه ابن عدي في الكامل من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يستاك اذا اخذ مضجعه. وفيه حرام بن عثمان متروك. ومنها الانصراف من صلاة الليل
لما روى ابن ماجه من حديث ابن عباس باسناد صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل ركعتين
ركعتين ثم ينصرف فيستاك. ويجزي بكل خشن ولو باصبع غيره الخشنة. وقد جزم النووي في شرح المهذب
ودقائق المنهاج انه يجزي بها قطعا. قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادري ما وجه التفرقة بين اصبعه
واصبع غيره وكونه جزءا منه لا يظهر منه ما يقتضي منعه بل كونها اصبعه ابلغ في الازالة لتمكنه
بها اكثر من تمكن غيره ان يسوكه باصبعه. لا جرم. قال النووي في شرح المهذب المختار اجزاؤه مطلقا
قال وبه قطع القاضي حسين والمحاملي في اللباب والبغوي واختاره في البحر انتهى. وقد اتفق اصحاب
الشافعي على استحباب الاراك. وروى الطبراني من حديث ابي خيرة الصنابحي وله صحبة حديثا قال فيه
ثم امر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باراك فقال استاكوا بهذا. وفي مستدرك الحاكم من حديث عائشة
في دخول اخيها عبد الرحمن بن ابي بكر في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك فاخذته عائشة فطيبته
ثم اعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به. والحديث في الصحيحين. وليس فيه ذكر الاراك. وفي
بعض طرقه عند البخاري ومعه سواك من جريد النخل. وقد روى ابو نعيم في كتاب السواك من حديث عائشة
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا. الحديث. قال اصحابنا والمراد بقوله عرضا عرض
الاسنان في طول الفم. وقيل الاولى ان يباشر المستاك بيمينه او بشماله. قال بعضهم بيمينه لحديث كان
يحب التيمن في ترجله وتنعله وطهوره وسواكه. او بشماله. بناه بعضهم على انه هل هو من باب التطهير والتطييب
او من باب ازالة القاذورات. فان قلنا بالاول استحب ان يكون باليمين وان قلنا بالثاني فبشماله
لحديث عائشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه واليسرى لخلائه وما كان
من اذى. رواه ابو داود باسناد صحيح. قال في شرح تقريب الاسانيد وما استدل به على انه يستحب
باليمين ليس فيه دلالة فان المراد منه بالشق الايمن في الترجل والبداءة بلبس النعل والبداءة بالاعضاء
اليمنى في التطهير والبداءة بالجانب الايمن في الاستياك. واما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى
دليل والظاهر انه من باب ازالة الاذى كالامتخاط ونحوه فيكون باليسرى. وقد صرح بذلك احمد ابو العباس
القرطبي. فقال في المفهم حكاية عن مالك انه لا يستاك في المساجد لانه من باب ازالة القذر. والله
سبحانه اعلم. ولما تقدم انما كان عليه السلام يتوضأ ويغتسل من الماء. فعن انس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع الى خمسة امداد ويتوضأ بالمد. وفي رواية
كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضأ بمكوك. رواه البخاري ومسلم وابو داود. وعنده يتوضأ
باناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع. ورواه الترمذي وعنده انه صلى الله عليه وسلم قال يجزي في

الوضوء رطلان من ماء • وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضأ
بالمد • رواه ابو داود • وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة يغتسلان من اناء واحد و
الصاع خمسة ارطال وثلث رطل بغداد وهو على ما قاله النووي مائة وثمانية وعشرون درهما واربعة
اسباع درهم • وحذر صلى الله عليه وسلم امته من الاسراف فيه • ومر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا
السرف يا سعد قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار • رواه احمد باسناد لين من حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص • وقال صلى الله عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا
وسواس الماء • رواه الترمذي من حديث ابي بن كعب

الفصل الثاني في وضوئه صلى الله عليه وسلم مرة مرة ومرتين مرتين وثلثا ثلثا

• عن ابن عباس قال توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرة مرة • رواه البخاري وابو داود وغيرهما • وهو بيان لمجمل قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
الآية • اذ الامر يفيد طلب ايجاد الحقيقة ولا يتعين بعدد فبين الشارع ان المرة الواحدة للايجاب
وما زاد عليها للاستحباب • واما حديث ابي بن كعب انه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فتوضأ مرة مرة
وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به ففيه بيان بالقول والفعل معا لكنه حديث ضعيف
اخرجه ابن ماجه وله طرق اخرى كلها ضعيفة كما قاله في فتح الباري • وعن عبد الله بن زيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين وقال هو نور على نور ذكره رزين • وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضأ ثلثا ثلثا • رواه احمد ومسلم • وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلثا ثلثا
وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء ابراهيم ذكره رزين • وضعفه النووي في شرح مسلم
كما حكاه في مشكوة المصابيح ولم ار في شيء من الاحاديث المرفوعة في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم
انه زاد على ثلث • بل روي عنه انه نهى عن الزيادة على الثلاث عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلثا ثلثا ثم قال من زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم • رواه ابو داود باسناد
جيد لكن عده مسلم في جملة ما انكر على عمرو بن شعيب لان ظاهره ذم النقص من الثلاث
واجيب بانه امر نسبي والاساءة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة • وقيل فيه حذف تقديره
من نقص من واحدة • ويؤيده ما رواه ابو نعيم بن حماد من طريق المطلب بن حنطب مرفوعا الوضوء مرة ومرتين
وثلثا فان نقص من واحدة او زاد على ثلث فقد اخطأ • وهو مرسل رجاله ثقات • واجيب عن الحديث
ايضا بان الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل اكثرهم يقتصر على قوله فمن زاد فقط • كذا اورده ابن خزيمة
في صحيحه • قال الشافعي لا احب ان يزيد المتوضي على ثلث فان زاد لم اكرهه اي لم احرمه لان
قوله لا احب يقتضي الكراهة وهذا هو الاصح عند الشافعية انه يكره كراهة تنزيه • وحكى الدارمي
من الشافعية عن قوم ان الزيادة على الثلث تبطل الوضوء كالزيادة في الصلوة وهو قياس فاسد
وقال احمد واسحق وغيرهما لا يجوز الزيادة على الثلاث • وقال ابن المبارك لا آمن ان يأثم
ويلزم من القول بتحريم الزيادة على الثلاث او كراهتها انه لا يندب تجديد الوضوء على الاطلاق

الفصل الثالث في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم

• عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه دعا باناء
فافرغ على يديه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه
ثلثا ويديه ثلثا الى المرفقين ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين
ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ نحو وضوئي ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه
غفر له ما تقدم من ذنبه • رواه البخاري • وقد استدل بعضهم بقوله ثم ادخل يمينه على عدم
اشتراط نية الاغتراف ولا دلالة فيه نفيا ولا اثباتا • واما اشتراط نية الاغتراف فليس في هذا الحديث
ما يثبتها ولا ما ينفيها • قال الغزالي مجرد الاغتراف لا يصير الماء مستعملا لان الاستعمال انما
يقع في المغترف منه • وبهذا قطع البغوي • وقد ذكروا في حكمة تأخير غسل الوجه انه لاعتبار اوصاف
الماء لان اللون يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم والريح بالانف فقدمت المضمضة والاستنشاق
قبل الوجه وهو مفروض احتياطا للعبادة • وقال النووي في قوله نحو وضوئي انما لم يقل مثله
لان حقيقة مماثلته لا يقدر عليها غيره • لكن تعقبه في فتح الباري بانه ثبت التعبير
في رواية البخاري في الرقاق من طريق معاذ بن عبد الرحمن عن حمران عن عثمان ولفظه من توضأ مثل
هذا الوضوء • وفي الصيام من رواية معمر من توضأ وضوئي هذا • ولمسلم من طريق زيد بن اسلم عن حمران
توضأ مثل وضوئي هذا قال وعلى هذا فالتعبير بنحو من تصرف الرواة لانها تطلق على المثلية مجازا ولان
مثل وان كانت تقتضي المساواة ظاهرا لكنها تطلق على الغالب • فبهذا تلتئم الروايات ويكون المتروك بحيث
لا يخل بالمقصود • انتهى • وعن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري انه قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفأ على يديه فغسلهما ثلثا • ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلثا
ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل
بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفي رواية
فاقبل بهما وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه • رواه
البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي • وفي رواية لابي داود ثم مسح برأسه واذنيه
ظاهرهما وباطنهما • وفي اخرى له ومسح باذنيه ظاهرهما وباطنهما وادخل اصابعه في صماخي اذنيه •
وفي رواية ابي داود والترمذي والنسائي عن عبد خير ابي عمارة بن يزيد بن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو و
تشديد الياء الهمداني من كبار اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه اتانا علي وقد صلى فدعا بطهور فقلنا
ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتى باناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على يمينه
فغسل يديه ثلثا فمضمض ونثر من الكف الذي يأخذ فيه ثم غسل وجهه ثلثا وغسل يده اليمنى ثلثا وغسل
يده اليسرى ثلثا ثم جعل يده في الاناء فمسح برأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلثا ورجله اليسرى
ثلثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا • قال ابن القيم والصحيح انه صلى الله عليه وسلم
لم يكرر مسح رأسه • انتهى • وقال النووي والاحاديث الصحيحة فيها المسح مرة واحدة وفي بعضها الاقتصار

على قوله مسح • واحتج الشافعي بحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وبالقياس على باقي الاعضاء • انتهى • واجيب بانه مجمل تبين في الروايات الصحيحة ان المسح لم يكرر فيحمل على الغالب • ويخص بالمغسول • وبان المسح مبني على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذي المراد منه المبالغة في الاسباغ • وبان العدد لو اعتبر في المسح لصار في صورة الغسل اذ حقيقة الغسل جريان الماء • واحتج الشافعي ايضا بما رواه ابو داود في سننه من حديث عثمان من وجهين صحح احدهما ابن خزيمة انه صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ثلاثا • وفي رواية ابي داود ايضا والترمذي من حديث الربيع بنت مسعود فغسل كفيه ثلاثا ووضأ وجهه ثلاثا وتمضمض واستنشق مرة ووضأ يديه ثلاثا ومسح برأسه مرتين بدأ بمؤخر رأسه ثم بمقدمه وباذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما ووضأ رجليه ثلاثا ثلاثا • وقد اجاب بعض العلماء عن احاديث المسح مرة واحدة بان ذلك لبيان الجواز • ويؤيده رواية مرتين هذه وقال ابن السمعاني كما حكاه في فتح الباري اختلاف الروايات يحمل على التعدد فيكون مسح تارة مرة وتارة ثلاثا فليس في رواية مسح مرة وتارة ثلاثا حجة على منع التعدد • ويحتج للتعدد بالقياس على المغسول لان الوضوء طهارة حكمية ولا فرق في الطهارة الحكمية بين الغسل والمسح • ثم ذكر من اقوى الادلة على عدم العدد الحديث المشهور الذي صححه ابن خزيمة وغيره من طريق عبد الله بن عمرو بن العاصي في صفة الوضوء بعد ان فرغ من زاد على هذا فقد اساء وظلم • فان في رواية سعيد بن منصور التصريح بانه مسح رأسه مرة واحدة فدل على ان الزيادة في مسح الرأس على المرة غير مستحبة • ويحمل ما ورد من الاحاديث في تثليث المسح ان صحت على الاستيعاب بالمسح لانها مسحات مستقلة لجميع الرأس جمعا بين الادلة انتهى وفي حديث عبد الله بن زيد المتقدم عند البخاري الذي ذكرته قبل ثم مسح رأسه بيديه فاقبل بهما وادبر • وفي رواية بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدأ منه وزاد ابن الصباغ بعد قوله ثم مسح رأسه كله كما هو في رواية ابن خزيمة • وفي رواية غيره كما قدمته برأسه بزيادة الباء موافقة لقوله تعالى وامسحوا برؤسكم • قال البيضاوي الباء في الاية مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل • ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم • وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم • انتهى • وقال الشافعي احتمل قوله تعالى وامسحوا برؤسكم جميع الرأس او بعضه فدلت السنة ان بعضه يجزئ • والفرق بينه وبين قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم في التيمم ان المسح فيه بدل عن الغسل ومسح الرأس اصل فافترقا ولا يرد كون مسح الخف بدلا عن غسل الرجلين لان الرخصة فيه ثبتت بالاجماع • وقد روي من حديث عطاء انه صلى الله عليه وسلم توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه وهو مرسل لكن اعتضد بمجيئه من وجه آخر موصولا اخرجه ابو داود من حديث انس • وفي اسناده ابو معقل لا يعرف حاله لكن اعتضد كل من المرسل والموصول بالآخر • وحصلت القوة من الصورة المجموعة • وهذا مثال لما ذكره الشافعي من ان المرسل

يعتضد بمرسل آخر او مسند • وفي الباب ايضا عن عثمان في صفة الوضوء قال ومسح مقدم رأسه اخرجه سعيد بن منصور • وفيه خالد بن يزيد بن ابي مالك مختلف فيه • وصح عن ابن عمر الاكتفاء بمسح بعض الرأس قاله ابن المنذر وغيره ولم يصح عن احد من الصحابة انكار ذلك قاله ابن حزم • قال الحافظ ابن حجر وهذا كله مما يقوى به المرسل المتقدم ذكره • انتهى • واختلف في المقدار الواجب في مسح الرأس فذهب الشافعي في جماعة الى ان الواجب ما يطلق عليه الاسم ولو شعرة واحدة اخذا باليقين • وذهب مالك واحمد وجماعة الى وجوب استيعابه اخذا بالاحتياط • وقال ابو حنيفة في رواية الواجب ربعه لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع والله اعلم • وعن طلحة بن مصرف عن ابيه عن جده قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ والماء يسيل من وجهه ولحيته على صدره فرأيته يفصل بين المضمضة والاستنشاق • رواه ابو داود • وعنه ايضا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف واحد • رواه ابن ماجه • وفي حديث مسلم ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات • وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري ثم مضمض واستنشق من كفة واحدة ثم قال هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال النووي فيه ان السنة في المضمضة والاستنشاق ان يأخذ الماء لهما بيمينه • وقال وفي الافضل في كيفية المضمضة والاستنشاق خمسة اوجه • الاصح ان يتمضمض ويستنشق بثلاث غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق • والثاني يجمع بينهما بغرفة واحدة يتمضمض منها ثلاثا ثم يستنشق منها ثلاثا • والثالث يجمع ايضا بغرفة ولكن يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق • والرابع يفصل بينهما بغرفتين فيتمضمض من احداهما ثلاثا ثم يستنشق من الاخرى ثلاثا • والخامس يفصل بست غرفات فيتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات قال والصحيح الاول • وبه جاءت الاحاديث الصحيحة • وقد ذهب الامام احمد وابو ثور الى وجوب الاستنشاق وهو ان يبلغ الماء الى خياشيمه مستدلين بقوله عليه السلام في حديث ابي هريرة اذا توضأ احدكم فليجعل في انفه ماء ثم لينتثر لظاهر الامر • وحمله الجمهور مالك والشافعي واهل الكوفة على الندب لقوله عليه السلام للاعرابي توضأ كما امرك الله وليس في الاية ذكر الاستنشاق والله اعلم • وعند ابي داود كان عليه الصلاة والسلام يمسح الماقين • وعن عثمان انه صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته • رواه الترمذي وابن ماجه • وعنده من حديث ابن عمر كان عليه الصلاة والسلام اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها • وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ اخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه فخلل به لحيته ويقول بهذا امرني ربي عز وجل • رواه ابو داود • وعن ابي رافع كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ حرك خاتمه • رواه ابن ماجه والدارقطني وضعفه • وعن المستورد بن شداد كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ يدلك اصابع رجليه بخنصره

رواه الترمذي وابو داود وابن ماجة • وعن عايشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى للطهور وطعامه وكانت اليسرى لخلائه وما كان من اذى • وعن المغيرة بن شعبة انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وانه ذهب لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضأ • رواه البخاري ومسلم • وعن صفوان بن عسال صببت على النبي صلى الله عليه وسلم الماء في السفر والحضر في الوضوء • رواه ابن ماجة • وفي ذلك جواز استعانة الرجل بغيره في صب الماء من غير كراهة وكذا احضار الماء من باب اولى • ولا دليل في هذين الحديثين لجواز الاعانة بالمباشرة وقد روى الحاكم في المستدرك من حديث الربيع بنت معوذ انها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فقال اسكبي فسكبت عليه وهذا اصرح في عدم الكراهة من الحديثين المذكورين لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب • والله اعلم • وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه • وعن عايشة كانت له عليه السلم خرقة ينشف بها بعد الوضوء • قال الترمذي هذا الحديث ليس بالقائم وابو معاذ الراوي ضعيف عند اهل الحديث • وقد احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه رواه الدارقطني • واكل كتف شاة وصلى ولم يتوضأ • رواه البخاري ومسلم • وللنسائي قال آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار • وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا فلم يمضمض ولم يتوضأ وصلى • رواه ابو داود • واتى بالسويق فامر به فثري فاكل ثم قام الى المغرب فمضمض رواه البخاري ومالك والنسائي • وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام من النوم ربما توضأ وربما لم يتوضأ لان عينه تنام ولا ينام قلبه • كما في البخاري وغيره • وفيه دليل على النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث • فلو احدث لعلم بذلك فتكون الخصوصية شعوره بالوقوع بخلاف غيره • قال الخطابي وانما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه •

الفصل الرابع في مسحه صلى الله عليه وسلم على الخفين • اعلم انه قد صرح جمع من الحفاظ بان المسح على الخفين متواتر • وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة • وقال ابن عبد البر لا اعلم انه قد روي عن احد من فقهاء السلف انكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة عنه مصرحة باثباته • وقد اشار الشافعي في الام الى انكار ذلك على المالكية والمعروف المستقر عندهم الآن قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا الثاني مقتضى ما في المدونة وبه جزم ابن الحاجب • وقال ابن المنذر اختلف العلماء ايهما افضل المسح على الخفين او نزعهما وغسل الرجلين والذي اختاره ان المسح افضل لاجل من طعن فيه من اهل البدع من الخوارج والروافض • وقال النووي مذهب اصحابنا ان الغسل افضل لكونه الاصل لكن بشرط ان لا يترك المسح • وقد تمسك من اكتفى بالمسح بقوله تعالى وارجلكم عطفا على وامسحوا برؤسكم فذهب الى ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين • وحكي عن ابن عباس في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه • وعن عكرمة والشعبي وقتادة الواجب الغسل والمسح

وعن جبي

هو من صب الماء للمتوضي او استعانة المتوضي بغيره في الوضوء اي في الصب ويجوز من غير كراهة

وعند بعض اهل الظاهر يجب الجمع بينهما • وحجة الجمهور الاحاديث الصحيحة من فعله صلى الله عليه وسلم كما سياتي ان شاء الله تعالى فانه بيان للمراد • واجابوا عن الاية باجوبة منها انه قرئ وارجلكم بالنصب عطفا على ايديكم • وقيل معطوف على محل برؤسكم كقوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير بالنصب • وقيل المسح في الاية محمول على مشروعية المسح على الخفين فحملوا قراءة الجر على مسح الخفين وقراءة النصب على غسل الرجلين • وجعل البيضاوي الجر على الجوار قال ونظيره كثير في القرآن كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب • وللنحاة باب في ذلك • وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما • واختلف في وجوب الدلك فلم يوجبه الاكثر • ونقل عن مالك والمزني في وجوبه • واحتج ابن بطال بالاجماع على وجوب امرار اليد على اعضاء الوضوء عند غسلها فيجب ذلك في الغسل قياسا لعدم الفرق بينهما وتعقبهما بان جميع من لم يوجب الدلك اجازوا انغماس الجنب في الماء للمتوضي من غير امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة • وفي قوله في هذا الحديث ثلاث غرفات استحباب التثليث في الغسل • قال النووي ولا نعلم فيه خلافا الا ما انفرد به الماوردي فانه قال لا يستحب التكرار في الغسل • قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وفيه نظر • قلت وكذا قاله الشيخ ابو علي السنجي • وكذا قال القرطبي وقالت ميمونة وضعت له صلى الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين او ثلاثا ثم افرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده بالارض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم افاض على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه • رواه البخاري • ولم يقيد في هذه الرواية بعدد فيحمل على اقل مسمى وهو المرة الواحدة لان الاصل عدم الزيادة عليها • وفيه مشروعية المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم مضمض واستنشق • وتمسك به الحنفية للقول بفرضيتهما • وتعقب بان الفعل المجرد لا يدل على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل تعلق به الوجوب وليس الامر هنا كذلك • ومنها توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وضوءه للصلوة غير رجليه وغسل فرجه وما اصابه من الاذى ثم افاض عليه الماء ثم نحى رجليه فغسلهما • رواه البخاري • وفيه التصريح بتاخير الرجلين في وضوء الغسل الى الاخر • وهو مخالف لظاهر رواية عايشة • ويمكن الجمع بينهما اما بحمل رواية عايشة على المجاز واما بحمله على حالة اخرى • وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء فذهب الجمهور الى استحباب تاخير غسل الرجلين • وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب تاخيرهما والا فالتقديم • وعند الشافعية في الافضل قولان • قال النووي اصحهما واشهرهما ومختارهما انه يكمل وضوءه • قال ولم يقع في شيء من طرق هذا الحديث التنصيص على مسح الرأس في هذا الوضوء وتمسك به المالكية ان وضوء الغسل لا يمسح فيه الرأس بل يكتفى عنه بغسله • وعن جبير بن مطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب فقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج الينا ورأسه يقطر فكبر فصلينا معه • وقوله ذكر اي تذكر

لا انه قال ذلك لفظا • ويكلم الراوى بذلك من قرائن او باعلام له بعد ذلك فظاهر قوله فكبر الا كتفا بالاقامة السابقة فيؤخذ منه جواز التخلل الكثير بين الاقامة والدخول فى الصلوة • وعنده ايضا من حديث ميمونة وضعت للنبى صلى الله عليه وسلم غسلا فسترته بثوب وصب على يديه فغسلهما ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها ثم غسلها فتمضمض واستنشق وغسل وجهه وذراعيه ثم صب على رأسه وافاض على جسده ثم تنحى فغسل قدميه فناولته ثوبا فلم يأخذه فانطلق وهو ينفض يديه • وقد استدل بعضهم بقولها فناولته ثوبا فلم يأخذه على كراهة التنشيف بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال يتطرق اليها الاحتمال فيجوز ان يكون عدم الاخذ لامر اخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل لامر يتعلق بالخرقة او غير ذلك • قال المهلب يحتمل تركه الثوب لابقاء بركة بلل الماء او للتواضع او لشئ رآه فى الثوب من حرير او وسخ • وقد وقع عند احمد فى هذا الحديث عن الاعمش قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعى فقال لا بأس بالمنديل وانما رده مخافة ان يصير عادة • وقال التيمى فى شرحه فى هذا الحديث دليل على انه كان يتنشف ولولا ذلك لم يأته بالمنديل • وقال ابن دقيق العيد نفضه الماء بيده يدل على انه لا كراهة فى التنشيف لان كلا منهما ازالة • وقال النووى اختلف اصحابنا فيه على خمسة اوجه اشهرها ان المستحب تركه • وقيل مكروه • وقيل مباح • وقيل مستحب • وقيل مكروه فى الصيف مباح فى الشتاء • وفى هذا الحديث جواز نفض اليدين من ماء الغسل • وكذا ماء الوضوء لكن فيه حديث ضعيف اورده الرافعى وغيره ولفظه لا تنفضوا ايديكم فى الوضوء فانها مراوح الشيطان • قال ابن الصلاح لم اجده وتبعه النووى • وقالت عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلوة • رواه البخارى • وفيه رد على من حمل الوضوء هنا على التنظيف • وقوله وتوضأ للصلوة اى توضأ كما للصلوة اى وضوء شرعيا لا لغويا • وليس المراد انه توضأ لاداء الصلوة • والحكمة فيه انه يخفف الحدث ولا سيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه فيرتفع الحدث عن تلك الاعضاء المخصوصة على الصحيح • ويؤيده ما رواه ابن ابى شيبة بسند رجاله ثقات عن شداد بن اوس الصحابى قال اذا اجنب احدكم من الليل ثم اراد ان ينام فليتوضأ فانه نصف غسل الجنابة • وقيل الحكمة فيه انه احد الطهارتين فعلى هذا يقوم التيمم مقامه • وقد روى البيهقى باسناد حسن عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اجنب فاراد ان ينام توضأ او تيمم • ويحتمل ان يكون التيمم هنا عند عسر وجود الماء • وقيل غير ذلك انتهى ملخصا فى فتح البارى

النوع الثانى فى ذكر صلوته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان بالصلوة يحصل تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل الى تحقيق سر الصلوة وقد جمع الله تعالى للمصلين فى كل ركعة ما فرق على اهل السموات فلله ملائكة فى الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع الى يوم القيمة • وهكذا السجود والقيام والقعود • واجتمع فيها ايضا من العبوديات ما لم يجتمع فى غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة والاستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والتسبيح فى الركوع والدعاء فى السجود الى غير ذلك فهى مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقر

بمجرده ذكر والقراءة بمجردها عبادة وكل فرد فرد وقد امر الله تعالى نبيه بالصلوة فى قوله سبحانه اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلوة • وقال تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وفى ذلك كما نبه عليه صاحب كتاب التنوير امده الله بمدده اشارة الى ان فى الصلوة تكليفا للنفوس شاقا عليها لانها تأتى فى اوقات ملاذ العباد واشغالهم فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يدى والفراغ مما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى واصطبر عليها • فلو مما يدل على ان فى القيام بالصلوة تكاليف العبودية وان القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية قوله تعالى بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين اشارة الى انه يحتاج فى الصلاة الى الصبر صبر على ملازمة اوقاتها وصبر على القيام بمسنوناتها وواجباتها وصبر بمنع القلوب فيها عن غفلاتها • قوله ولذلك قال تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا على الخاشعين فافرد الصلوة بالذكر ولم يفرد الصبر اذ لو كان كذلك لقال وانهما لكبيرة فذلك يدل على ما قلناه او لان الصبر والصلوة مقترنان متلازمان فكان احدهما هو عين الاخر كما قال تعالى فى الاية الاخرى والله ورسوله احق ان يرضوه • انتهى ملخصا

فان الكلام ينقسم الى خمسة • وفيه ابواب

القسم الاول فى الفرائض وما يتعلق بها

الاول فى الصلوات الخمس وفيه فصول

الاول فى فرضها

عن انس قال فرضت على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به خمسون صلوة ثم نقصت حتى جعلت خمسا ثم نادى يا محمد انه لا يبدل القول لدى وان لك بهذا الخمس خمسين • رواه الترمذى هكذا مختصرا • ورواه البخارى ومسلم فى حديث طويل تقدم فى مقاصد الاسراء مع ما فيه من المباحث • وعن ابن عباس قال فرض الله الصلوة حين فرضها على لسان نبيكم انها فى الحضر اربعا وفى السفر ركعتين وفى الخوف ركعة • رواه مسلم وابو داود والنسائى • وقوله فى الخوف ركعة محمول على ان ركعة مع الامام وينفرد بالاخرى • وعن عائشة فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ثم اتمها فى الحضر واقرت صلوة السفر على الفريضة الاولى • رواه البخارى • وعنده فى كتاب الهجرة من طريق معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلوة ركعتين ثم هاجر صلى الله عليه وسلم ففرضت اربعا فعين بهذه الرواية ان الزيادة فى قوله فى الحديث الذى قبله • وزيد فى صلوة الحضر وقعت بالمدينة وقد اخذ بظاهر هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه ان القصر فى السفر عزيمة لا رخصة • واحتج مخالفهم بقوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة لان نفى الجناح لا يدل على العزيمة والقصر انما يكون فى شئ اطول منه ويدل على انه رخصة ايضا قوله عليه الصلوة والسلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته • رواه مسلم • واما خبر فرضت الصلوة ركعتين اى فى السفر فمعناه لمن اراد الاقتصار عليها جمعا بين الاخبار • كما قاله فى المجموع

الفصل الثانى فى ذكر الاوقات التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس

عن جابر ان جبريل اتى النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه مواقيت الصلوة فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس واتاه حين كان الظل مثل طوله

ثم خصه صنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم اتاه حين غاب الشفق فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العشاء ثم اتاه حين انشق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الغداة • ثم اتاه في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالامس فصلى الظهر ثم اتاه حين كان ظل الرجل مثلي شخصه فصنع كما صنع بالامس فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالامس فصلى المغرب ثم اتاه حين غاب الشفق فصنع كما صنع بالامس فصلى العشاء ثم اتاه حين امتد الفجر واصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع كما صنع بالامس فصلى الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين وقت • رواه النسائي • وفي رواية قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وكان الفيء قدر الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثله ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشاء حين غاب الشفق حين طلع الفجر ثم صلى الغداة اي الظهر حين كان الظل طول الرجل ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشاء الى ثلث الليل او نصف الليل شك احد رواته ثم صلى الفجر فاسفر • وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم امني جبريل عند البيت مرتين فصلى الظهر في الاولى حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين صار ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وافطر الصائم ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم • وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله كوقت العصر بالامس ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى المغرب كوقت الاولى ثم صلى العشاء الاخرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين اسفرت الارض ثم التفت الي جبريل فقال يا محمد هذا وقت الانبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين • رواه الترمذي وصححه • وقوله صلى بي الظهر حين كان ظله مثله اي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول وحينئذ فلا اشتراك بينهما في وقت • ويدل له حديث مسلم وقت الظهر اذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر • وقوله في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس يقتضي جواز فعل الظهر اذا زالت الشمس ولا ينتظر بها وجوبا ولا ندبا مصير الفيء مثل الشراك كما اتفق عليه ائمتنا ودلت عليه الاخبار الصحيحة • واما حديث ابن عباس فالمراد به انه حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك لا انه اخر الى ان صار مثل الشراك ذكره في المجموع • وقد بين ابن اسحق في المغازي ان صلوة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلوة وهي ليلة الاسراء و لفظه قال نافع بن جبير وغيره لما اصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التي اسري به لم يرعه الا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الاولى اي صلوة الظهر فامر فصيح باصحابه الصلوة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فذكر الحديث • وفيه رد

على من زعم ان بيان الاوقات انما وقع بعد الهجرة • والحق ان ذلك وقع قبلها ببيان جبريل و بعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم • واعادهم بقوله الصلوة جامعة لان الاذان لم يكن شرع حينئذ • واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتم بغيره • ويجاب عنه بما يجاب عن قصة ابي بكر رضي الله عنه في صلوته خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلوة الناس خلفه فانه محمول على انه كان مبلغا فقط كما سيأتي تقريره ان شاء الله تعالى • وقد صلى صلى الله عليه وسلم العصر والشمس في حجرة عائشة لم يظهر الفيء من حجرتها • رواه البخاري ومسلم • وقال انس كان صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذاهب الى العوالي فيأتيهم والشمس مرتفعة • وبعض العوالي من المدينة على اربعة اميال • رواه البخاري ومسلم • وفي ذلك دليل على تعجيله صلى الله عليه وسلم بصلوة العصر لوصف الشمس بالارتفاع بعد ان يمضي مسافة اربعة اميال والمراد بالشمس ضوؤها • وعن سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب اذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب • رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن رافع بن خديج كنا نصلي المغرب مع النبي صلى الله عليه وسلم فينصرف احدنا وانه ليبصر مواقع نبله • رواه البخاري ومسلم • والنبل بفتح النون السهام العربية اي يبصر مواقع سهامه اذا رمى بها • ومقتضاه المبادرة بالمغرب في اول وقتها بحيث ان الفراغ منها يقع والضوء باق • وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان الحر ابرد بالصلوة واذا كان البرد عجل • رواه النسائي من حديث انس • ويؤخر العصر ما دامت الشمس بيضاء نقية • رواه ابو داود من رواية علي بن شيبان • وقال عليه الصلوة والسلام اذا قدم العشاء فابدؤا به قبل صلوة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم • رواه البخاري ومسلم • وعن ابي داود لا تؤخروا الصلوة لطعام ولا غيره واعتم صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء حتى ناداه عمر رضي الله عنه الصلاة نام النساء والصبيان فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها احد من اهل الارض غيركم وقال ولا يصلى يومئذ الا بالمدينة وكانوا يصلون فيما بين ان يغيب الشفق الى ثلث الليل الاول • زاد في رواية وذلك قبل ان يفشو الاسلام وفي رواية فخرج وراسه يقطر يقول لولا ان اشق على امتي او على الناس لامرتهم بالصلوة هذه الساعة رواه البخاري • وفي رواية ابي داود من حديث ابي سعيد فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر الليل فقال خذوا مقاعدكم فاخذنا مقاعدنا فقال ان الناس قد صلوا واخذوا مضاجعهم وانكم لن تزالوا في صلوة ما انتظرتم الصلوة ولولا ضعف الضعيف وسقم السقيم لاخرت هذه الصلوة الى شطر الليل • وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه لولا ان اشق على امتي لامرتهم ان يؤخروا العشاء الى ثلث الليل او نصفه صححه الترمذي • فعلى هذا من وجد به قوة على تاخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق على احد من المأمومين فالتاخير في حقه افضل • وقد قرر النووي ذلك في شرح مسلم وهو اختيار كثير من اهل الحديث من الشافعية وغيرهم • ونقل الطحاوي يستحب الى الثلث وبه قال احمد ومالك واكثر الصحابة والتابعين وهو قول الشافعي في الجديد • وقال في القديم التعجيل افضل • وكذا قال في الاملاء وصححه النووي وجماعة وقالوا انه مما يفتى به على القديم • وتعقب بانه ذكره في الاملاء وهو من كتبه الجديدة والمختار من حيث الدليل افضلية التاخير

قاله في فتح الباري

الفصل الثالث في ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه فروع

الأول في صفة افتتاحه صلى الله عليه وسلم • روى أبو داود أنه عليه الصلاة والسلام سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال أقامها الله وأدامها وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير • رواه من حديث عائشة • وروى البخاري عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم افتتح التكبير في الصلاة • واستدل بها على تعين لفظ التكبير دون غيره من ألفاظ التعظيم وهو قول الجمهور • ووافقهم أبو يوسف • وعن الحنفية ينعقد بكل لفظ يقصد به التعظيم • وقد روى البزار بإسناد صحيح على شرط مسلم عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام إلى الصلاة قال الله أكبر • ولأحمد والنسائي من طريق واسع بن حبان أنه سأل ابن عمر عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر كلما وضع ورفع • ولتعلم أن تكبيرة الافتتاح ركن عند الجمهور • وقيل شرط وهو مذهب الحنفية • ووجه عند الشافعية • وقيل سنة • قال ابن المنذر لم يقل به أحد غير الزهري • ولم يختلف أحد في إيجاب النية في الصلاة • قال البخاري في أواخر الإيمان باب ما جاء في قوله عليه السلام الأعمال بالنيات فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة • قال ابن القيم في الهدي النبوي كان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة قال الله أكبر ولم يقل شيئا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال أصلي صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات إماما أو مأموما ولا أداء ولا قضاء ولا فرض الوقت • قال وهذه عشر بدع لم ينقل عنه قط بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة منها البتة بل ولا عن أحد من الصحابة ولا استحسنه أحد من التابعين ولا الأئمة الأربعة • وقول الشافعي في الصلاة إنها ليست كالصيام ولا يدخل أحد فيها إلا بذكر أي تكبيرة الإحرام ليس إلا • وكيف يستحب الشافعي أمرا لم يفعله صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة ولا أحد من الصحابة انتهى • وعبارة الشافعي في كتاب المناسك ولو نوى الإحرام بقلبه ولم يلب أجزأه وليس كالصلاة لأن في أولها نطقا واجبا هذا نصه • وقد قال الشيخ أبو علي السنجي في شرح التلخيص وابن الرفعة في المطلب والزركشي في الديباج وغيرهم إنما أراد الشافعي بذلك تكبيرة الافتتاح فقط • انتهى • وبالجملة فلم ينقل أحد أنه صلى الله عليه وسلم تلفظ بالنية ولا علم أحدا من الصحابة التلفظ بها ولا أقره على ذلك بل المنقول عنه في السنن أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم • وفي الصحيحين لما علم المسيء صلاته قال له إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن فلم يأمره بالتلفظ بشيء قبل التكبير • نعم اختلف العلماء في التلفظ بها فقال قائلون هو بدعة لأنه لم ينقل فعله • وقال آخرون هو مستحب لأنها عون لاستحضار النية القلبية وعبادة اللسان كما أنه عبودية القلب والأفعال المنوية عبودية الجوارح ونحو ذلك • أجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين ابن كثير • وأطنب ابن القيم في زاد الهدي في رد الاستحباب وأكثر من الاستدلال بما ذكره ثم ذكر خروجا عن المقصود لا سيما الذي استقر عليه أصحابنا النطق بها وقال بعضهم

الاحرام

على ما في الصحيحين من حديث أنس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك عمرة وحجا • وفي البخاري من حديث عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق أتاني الليلة آت من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة • وهذا تصريح باللفظ والحكم كما ثبت بالنص فيثبت بالقياس • لكن تعقب هذا بأنه عليه السلام قال ذلك في ابتداء إحرامه تعليما للصحابة بما يهلون به ويقصدونه من النسك • وامتثالا للأمر الذي جاء من ربه تعالى في ذلك الوادي • ولقد صلى عليه الصلاة والسلام أكثر من ثلاثين ألف صلاة فلم ينقل عنه أنه قال نويت أصلي صلاة كذا وكذا • وتركه كما أن فعله سنة فليس لنا أن نسوي بين ما فعله وتركه فنأتي من القول في الموضع الذي تركه بنظير ما أتى به في الموضع الذي فعله • والفرق بين الحج والصلاة أظهر من أن يقاس أحدهما على الآخر • انتهى ما قاله هذا المتعقب • فليتأمل • وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر فإذا أراد أن يركع فعل مثل ذلك فإذا رفع رأسه من الركوع فعل مثل ذلك • وفي رواية وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضا وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد • وفي أخرى نحوه وقال لا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود • رواه البخاري ومسلم • وعند أبي داود من حديث علقمة كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من سجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح وهو قطعة من حديث رواه أيضا الترمذي وكان يكبر في كل خفض ورفع • رواه مالك • وقال النووي أجمعت الأمة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الافتتاح • واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة يستحب أيضا رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه • وهو رواية عن مالك • وللشافعي قول أنه يستحب رفعهما في موضع رابع وهو إذا قام من التشهد الأول • وهذا القول هو الصواب فقد صح فيه عن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعله • رواه البخاري • وكان صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على اليسرى رواه أبو داود وغيره • ومذهب الشافعي والأكثرين أن المصلي إذا وضع يديه يحطهما تحت صدره فوق سرته • وقال أبو حنيفة وبعض أصحاب الشافعي تحت سرته • وكان عليه السلام يسكت بين التكبير وبين القراءة • فقال أبو هريرة بأبي أنت وأمي ما تقول • قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد • رواه البخاري ومسلم • وعن علي كان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة • وفي رواية إذا افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك

الاحرام

الاستفتاح

والشر ليس اليك انا بك واليك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب اليك • الحديث • رواه مسلم • وعن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلوة قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك • رواه الترمذي وابو داود عن جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه • قال ابن عمر نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة وهي الكلز • رواه ابو داود • وعن محمد بن مسلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي تطوعا قال الله اكبر وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين • و ذكر الحديث مثل حديث جابر الا انه قال وانا من المسلمين ثم قال اللهم انت الملك لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ثم يقرأ • رواه النسائي

الفرع الثاني في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم البسملة في اول الفاتحة •

روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم • رواه ابو داود • وقال الترمذي ليس اسناده بذاك • ورواه الحاكم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قال صحيح • وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلوة وعدها اية • لكنه من رواية عمرو بن هرون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عنها • وروى الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم احداهن وهي السبع المثاني والقران العظيم وهي ام الكتاب • ورواه الدارقطني ايضا عن ابي هريرة مرفوعا نحوه او مثله • وقال كلهم ثقات • وروى البيهقي عن علي وابن عباس وابي هريرة انهم فسروا قوله سبعا من المثاني بالفاتحة وان البسملة هي الاية السابعة منها • وعن شعبة عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القرأة بالحمد لله رب العالمين • رواه البخاري اي كانوا يفتتحون بالفاتحة • وفي رواية مسلم فلم اسمع منهم احدا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم • اخرجه مسلم وغيره لكنه حديث معلول اعل الراوي لفظ كما هو في كتب علوم الحديث • وفي شرح الفية الحديث للعراقي لشيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي متع الله بوجوده في باب المعلل وعلة المتن القادحة فيه كحديث نفي قراءة البسملة في الصلوة المروي عن انس اذ ظن راو من رواته حين سمع قول انس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين نفي البسملة فنقله مصرحا بما ظنه وقال لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها • وفي لفظ فلم يكونوا يستفتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا • والراوي لذلك مخطئ في ظنه • قال الشافعي رحمه الله تعالى في الام ونقله عنه الترمذي في جامعه المعنى انهم يبدؤون بقراءة ام القرآن قبل ما يقرأ بعدها لا انهم يتركون البسملة اصلا • ويتايد بثبوت ام القرآن بجملة الحمد لله رب العالمين في صحيح البخاري • وكذا الحديث قتادة

قال

ثم سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم ويمد الرحمن ويمد الرحيم • اخرجه البخاري في صحيحه • وكذا صححه الدارقطني والحازمي وقال انه لا علة له لان الظاهر كما اشار اليه ابو شامة ان قتادة لما سئل انسا عن الاستفتاح في الصلوة باي سورة واجابه بالحمد لله سأله عن كيفية قراءته فيها وكانه لم ير ابهام السائل مانعا من تعيينه بقتادة خصوصا وهو السائل اولا • وقد اخرج ابن خزيمة في صحيحه وصححه الدارقطني ان ابا سلمة سعيد بن يزيد سئل انسا اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله او ببسم الله فقال لا احفظ فيه شيئا قال وهذا مما يتايد به خطأ النافي ولكن قد روى هذا الحديث عن انس جماعة منهم حميد وقتادة • والتحقيق ان المعلل رواية حميد خاصة اذ رفعها وهم من الوليد ابن مسلم عن مالك عنه بل بعض اصحاب حميد ايضا عنه انما هو في الوقف خاصة • وبه صرح ابن معين عن ابن القطان حيث قال ان حميدا كان اذا رواه عن انس لم يرفعه واذا قال فيه عن قتادة عن انس رفعه • واما رواية قتادة وهي من رواية الوليد بن مسلم وغيره عن الاوزاعي ان قتادة كتب اليه يخبره ان انسا حدثه قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها فلم يتفق اصحابه عنه على هذا اللفظ بل اكثرهم لا ذكر عندهم للنفي فيه وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم الله • وممن اختلف عليه فيه من اصحابه شعبة فجماعة منهم غندر لا ذكر عندهم فيه للنفي وابو داود الطيالسي فقط حسبما وقع من طريق غير واحد بلفظ فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله وهي موافقة للاوزاعي وابو عمرو الدوري وكذا الطيالسي بلفظ فلم اسمع احدا منهم يقرأ ببسم الله وكذا اختلف على قتادة من اصحاب انس فاسحق بن ابي طلحة وثابت البناني باختلاف عليهما ومالك بن دينار ثلاثتهم عن انس بدون نفي واسحق ايضا ومنصور بن زاذان وابو قلابة وابو نعامة كلهم عنه باللفظ النافي للجهر خاصة ولفظ اسحق منهم يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين فيما يجهر به وحينئذ فطريق الجمع بين هذه الروايات كما قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله ممكن بحمل نفي القراءة على نفي السماع ونفي السماع على نفي الجهر • ويؤيده ان لفظ رواية منصور ابن زاذان فلم يسمعنا قراءة بسم الله واصرح منه رواية الحسن عن انس كما عند ابن خزيمة كانوا يسرون ببسم الله وبهذا الجمع زالت دعوى الاضطراب كما انه ظهر ان الاوزاعي الذي روى عن قتادة مكاتبة مع كون قتادة ولد اكمه وكاتبه مجهول لعدم تسميته لم ينفرد به وحينئذ فيجاب عن قول انس لا احفظه لان المثبت مقدم على النافي خصوصا وقد تضمن النافي عدم استحضار انس رضي الله عنه لاهم شيء يستحضر وبامكان نسيانه حين سؤال ابي سلمة له وتذكره له بعد فانه ثبت ان قتادة سأله ايقرأ الرجل في الصلوة ببسم الله فقال صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يقرأ ببسم الله الرحيم اذا افتتح

مسئلة

مسئلة

[illegible]

محصّل حديث انس من نفى الجهر لا دليل له وان لم يكن من مباحثنا وقد ذكر لنا الشيخ
دليلا واوا رشد شيخنا يعني الحافظ ابن حجر لما يؤخذ منه ذلك بل قال اذ قول نعيم المجمر صليت
وراء ابي هريرة فقرء بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرء بام القرآن حتى بلغ ولا الضالين وقال
آمين وكان كلما سجد واذا قام من الجلوس في الاثنتين يقول الله اكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي
بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم اصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه
ابن خزيمة وابن حبان ورواه النسائي والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
ولكن تعقب الاستدلال به باحتمال ان يكون ابو هريرة اراد بقوله اشبهكم في معظم الصلوة
لا في جميع اجزائها لا سيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم بدون ذكر البسملة واجيب بان نعيما
ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الاجزاء فيحمل على عمومه حتى يثبت دليل تخصيصه ومع ذلك
فيطرقه احتمال ان يكون سماع نعيم لها من ابي هريرة حال مخافته لقربه منه وقد قال الامام فخر الدين
الرازي في تصنيفه في الفاتحة وروى الشافعي باسناده عن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم
يقرء بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار
يا معاوية اسرقت الصلوة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين التكبير عند الركوع والسجود فاعاد
الصلوة مع التسمية والتكبير ثم قال الشافعي وكان معاوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة
فلولا ان الجهر بالتسمية والتكبير كان كالامر المقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والانصار
لما قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب تركه انتهى وهو حديث حسن اخرجه الحاكم في صحيحه
والدارقطني وقال ان رجاله ثقات ثم قال الامام بعد وقد بينا ان هذا يعني الانكار المتقدم
يدل على ان الجهر بهذه الكلمة كالامر المتواتر فيما بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده
بعد ان ترجم بالجهر بالبسملة حدثنا معتمر بن سليمان عن اسمعيل بن حماد بن ابي سليمان
عن ابي خالد الوالبي الكوفي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلوة
ببسم الله الرحمن الرحيم وقد اتفقوا على تخريجه الدارقطني وابو داود وضعفه بل وقال الترمذي
ليس اسناده بذلك والبيهقي في المعرفة واستشهد له بحديث سالم الافطس عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم يمد بها صوته
الحديث وهو عند الحاكم في مستدركه ايضا ما نصه وقد قال بهذا عدة من اهل العلم
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين رأوا
الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي انتهى وقال الشيخ ابو شامة في التعارف
والذي يروم تحقيق هذه المسألة ينبغي ان يعرض انه هذه المسألة تعلم القراآت امس و
ولا ان من القراء الذين صحت قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان يقرء بها
اية من الفاتحة وهم عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وغيرهم من الصحابة والتابعين ومنهم

من لا يعدها

من لا يعدها اية من الفاتحة كابن عامر وابي عمرو ونافع فيروا بتركه وحكم قراءتها في الصلوة
حكم قراءتها خارجها فمن قرء على قراءة من جعلها من ام القرآن لزمه فرضا ان يقرء بها ومن قرء
على قراءة من لم يرها من حروف القرآن يعني من ام القرآن فهو مخير بين القراءة والترك فحينئذ الحذف
فيها كالحذف في حرف من حروف القرآن وكلا القولين صحيح ثابت لا مطعن على مثبته ولا على
منفيه ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم تارة قرأها وتارة لم يقرأها بما هذا هو الانصاف ثم
المستيقن الذي يجب المصير اليه ان كلا من العملين ثابت لانه لا يختلف اثنان من اهل الاسلام
ان هذه القراآت السبع كلها حق مقطوع بها من عند الله تعالى وليست هذه اول كلمة ولا اول
حرف اختلف في اثباته وحذفه وكل سورة من القرآن ليس فيها ذلك كلفظ هو في سورة الحديد
وهو الغني الحميد ولفظ من في سورة التوبة في قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار والف
تدبرة وواوات وهاآت كذلك وكل هذه نتيجة كون القرآن نزل على سبعة احرف وهذا هو الذي يدلك
على بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع اختلاف الناس فيها وقوله ان الاختلاف لا يثبت معه
قرآن فما ادري ما هذا الحق وهذا الذي ذكرناه هو الذي يرجحك من تلك التعرفات من الجانبين
ثم قال ولا ريب ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كلا الامرين من الجهر والاسرار فجهره وسره غير
ان اسراره كان اكثر من جهره وقد صح في الجهر احاديث لا مطعن فيها المنصف بخلاف
احاديث لا مطعن فيها كما انه قد صح في الاسرار بها احاديث لا مطعن فيها لعار من العصبية فلا ينبغي
لمن يقول ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كان الجهر فقط انتهى وقيل لبعض العارفين بماذا
ظهر اسم الامام الشافعي وغلب ذكره فقال الذي ذلك باظهار اسم الله في البسملة لكل صلوة انتهى

الفرع الثالث في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم الفاتحة وقوله آمين بعدها كان صلى الله
عليه وسلم اذا قرء غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين ومد بها صوته وفي رواية وخفض
بها صوته رواه الترمذي وفي رواية ابي داود ورفع بها صوته وفي رواية له جهر بامين
وقال ابن شهاب وكان صلى الله عليه وسلم اذا قال ولا الضالين جهر بامين اخرجه السراج
ولابن حبان من رواية الزبيدي عن ابن شهاب كان اذا فرغ من قراءة ام القرآن رفع صوته وقال
آمين وللحميدي من طريق سعيد المقبري عن ابي هريرة بنحوه بلفظ اذا قال ولا الضالين
ولابي داود وصححه ابن حبان من حديث وائل بن حجر نحو رواية الزبيدي وفيه رد على من قال
اومأ الى الشيخ فقال انما كان صلى الله عليه وسلم يجهر بامين في ابتداء الاسلام ليعلمهم
فان وائل بن حجر انما اسلم في اواخر الامر

الفرع الرابع في ذكر قراءته صلى الله عليه
وسلم بعد الفاتحة في صلوة الغداة عن ابي برزة كان صلى الله عليه وسلم يقرء في صلوة الغداة
ما بين الستين الى المائة رواه النسائي وعن عمرو بن حريث انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقرء في الفجر والليل اذا عسعس رواه مسلم وفي رواية النسائي انه صلى الله عليه وسلم قرء

في الفجر إذا الشمس كورت • وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر بق والقرآن
المجيد ونحوها • وكانت قراءته بعد تخفيفها • رواه مسلم • وعن عبد الله بن السائب قال صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنون حتى جاء ذكر موسى وهرون
أو ذكر عيسى شك الراوي أو اختلف عليه أخذت النبي صلى الله عليه وسلم سعلة فركع •
الحديث • رواه مسلم • قال النووي فيه جواز قطع القراءة وجواز القراءة ببعض السورة
وكرهه مالك • انتهى • وتعقب بأن الذي كرهه مالك على من يقتصر على بعض السورة مختارا
والمستدل به ظاهر في أنه كان للضرورة فلا يرد عليه • وكذا يرد على من استدل به على أنه
لا يكره قراءة بعض الآية أخذا من قوله حتى جاء ذكر موسى وهرون أو ذكر عيسى لأن كلا من الموضعين
يقع في وسط آية نعم الكراهة لا تثبت إلا بدليل وأدلة الجواز كثيرة • وفي حديث زيد بن ثابت أنه
صلى الله عليه وسلم قرأ الأعراف في الركعتين • وأم أبو بكر في الصحابة في صلاة الصبح بسورة البقرة
قرأها في الركعتين • وهذا إجماع منهم • وقرأ في الصبح إذا زلزلت في الركعتين كلتيهما • قال
الراوي فلا أدري أنسي أم قرأ ذلك عمدا • رواه أبو داود • وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في
صبح الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان حين من الدهر • رواه البخاري ومسلم وأبو داود و
الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة • وإنما كان يقرؤهما كاملتين • وقراءة بعضهما خلاف السنة
وإنما كان يقرؤهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار
وأحوال يوم القيامة لأن ذلك كان ويقع يوم الجمعة • ذكره ابن دحية في العلم المشهور وقرره
تقريرا حسنا كما أفاده ابن حجر • قال وقد ورد في حديث ابن مسعود التصريح بمداومته صلى الله
عليه وسلم على قراءتهما في صبح الجمعة • أخرجه الطبراني • ولفظه يديم ذلك • وأصله في ابن ماجه
بدون هذه الزيادة • ورجاله ثقات • لكن صوب أبو حاتم إرساله • قال وكان ابن دقيق العيد
لم يقف عليه فقال في الكلام على حديث الباب ليس في الحديث ما يقتضي فعل ذلك دائما اقتضاء
قويا • وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب لأن الصيغة ليست نصا في المداومة لكن الزيادة التي ذكرناها
نص • ولهذه الزيادة شاهد من حديث ابن عباس بلفظ كل جمعة • أخرجه الطبراني في الكبير •
وأما تعيين السورة للركعة فورد من حديث علي عند الطبراني بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ في الركعة الأولى من صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفي الركعة الثانية هل أتى على الإنسان
وقد اختلف تعليل المالكية لكراهة قراءة السجدة في الصلاة فقيل لكونها تشتمل على زيادة سجود
في الفرض • قال القرطبي وهو تعليل فاسد بشهادة هذا الحديث • وقيل لخشية التخليط على المصلين
ومن ثم فرق بعضهم بين الجهرية والسرية لأن الجهرية يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر
أنه قرأ صلى الله عليه وسلم سورة فيها سجدة في صلاة الظهر فسجد بهم • رواه أبو داود والحاكم فبطلت التفرقة
ومنهم من علل الكراهة بخشية اعتقاد العوام أنها فرض • قال ابن دقيق العيد أما القول بالكراهة مطلقا فيأباه

الحديث

الحديث • لكن إذا انتهى الحال إلى وقوع هذه المفسدة فينبغي أن تترك أحيانا لتندفع فإن المستحب
قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة • وهو يحصل في بعض الأوقات • انتهى • وقال صاحب المحيط من الحنفية
فيستحب قراءتهما في صبح يوم الجمعة بشرط أن يقرأ غير ذلك أحيانا لئلا يظن الجاهل أنه لا يجزئ غيره • قال
ولم أر في شيء من الطرق التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم سجد لما قرأ سورة الم تنزيل في هذا المحل إلا في كتاب
الشريعة لابن أبي داود من طريق أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غدوت على النبي صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة في صلاة الفجر فقرأ فيها سورة فيها سجدة فسجد • الحديث • وفي إسناده من ينظر في حاله أيضا
ومن حديث علي عند الطبراني في المعجم الأوسط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في الصبح يوم الجمعة في الم تنزيل
وهذه الزيادة حسنة تدفع احتمال أن يكون قرأ السورة ولم يسجد •
الفرع الخامس في قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة الظهر والعصر • عن أبي قتادة قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ في الظهر في الأوليين بأم الكتاب وسورتين وفي الركعتين الأخريين بأم الكتاب ويسمعنا
الآية أحيانا ويطول في الركعة الأولى ما لا يطيل في الركعة الثانية وهكذا في العصر وهكذا في
الصبح • رواه البخاري ومسلم • قال الشيخ تقي الدين السبكي كأن السبب في تطويله الأولى على الثانية
أن النشاط في الأولى يكون أكثر فناسب التخفيف في الثانية حذرا من الملل • انتهى • وروى عبد الرزاق
عن معمر عن يحيى آخر هذا الحديث فظننا أنه يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الأولى • وعن أبي سعيد الخدري
قال كنا نحزر أي نقدر قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الركعتين الأوليين
من الظهر قدر الم تنزيل السجدة • وفي رواية في كل ركعة قدر ثلاثين آية • وحزرنا قيامه في الأخريين قدر
النصف من ذلك وحزرناه في الركعتين الأوليين من العصر على قدر قيامه في الأخريين من الظهر وفي
الأخريين من العصر على النصف • رواه مسلم • وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر
بالليل إذا يغشى • وفي رواية بسبح اسم ربك الأعلى وفي العصر نحو ذلك • الحديث • رواه مسلم • وعنه كان
يقرأ في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق • رواه أبو داود والترمذي • وعن
البراء كنا نصلي خلفه صلى الله عليه وسلم الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من لقمان والذاريات • رواه
النسائي • قال ابن دقيق العيد فيه دليل على جواز الاكتفاء بظاهر الحال في الإخبار دون التوقف على اليقين
لأن الطريق إلى العلم بقراءة السورة لا يكون إلا بسماع كلها • وإنما يفيد يقين ذلك لو كان في الجهرية
وكأنه مأخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على قراءة باقيها • ويحتمل أن يكون الرسول صلى الله عليه
وسلم كان يخبرهم عقب الصلاة دائما أو غالبا بقراءة السورتين • وهو بعيد جدا • انتهى • وعن أبي
سعيد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب إلى البقيع فيقضي حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ ويدرك
النبي صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى • رواه مسلم •
الفرع السادس في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب • عن أم الفضل بنت الحارث قالت سمعته صلى الله عليه وسلم

يقرء في المغرب بالمرسلات عرفا • رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والنسائي • وفي رواية
انها لآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح عقيل في روايته عن ابن شهاب انها آخر
صلاة صلى الله عليه وسلم ولفظه ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله • اورده البخاري في باب الوفاة
وعنده في باب انما جعل الامام ليؤتم به من حديث عائشة ان الصلوة التي صلاها النبي صلى الله عليه
وسلم باصحابه في مرض موته كانت الظهر • وجمع بينهما بان الصلوة التي حكتها عائشة كانت في المسجد
والتي حكتها ام الفضل كانت في بيته كما رواه النسائي • لكن يعكر عليه رواية ابن اسحق عن ابن شهاب في هذا
الحديث بلفظ خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب رأسه في مرضه فصلى المغرب الحديث
رواه الترمذي • ويمكن حمل قولها خرج الينا من مكانه الذي كان راقدا فيه الى من في البيت فصلى بهم
فتلتئم الروايات • وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرء في المغرب
بالطور • رواه البخاري ومسلم • زاد البخاري في الجهاد • وكان جبير بن مطعم جاء في أسارى بدر
وزاد الاسماعيلي وهو يومئذ مشرك • وللبخاري في المغازي • وذلك اول ما وقر الايمان في
وللطبراني واخذني من قراءته الكرب • ولسعيد بن منصور فكانما صدع قلبي • وفي قوله
سمعته صلى الله عليه وسلم دليل على الجهر بها • والله اعلم • وعن مروان بن الحكم قال لي زيد بن ثابت
ما لك تقرء في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرء بطولى الطوليين •
رواه البخاري • زاد ابو داود قلت وما طولى الطوليين قال الاعراف • وفي رواية النسائي من حديث
عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة الاعراف فرقها في الركعتين • وعن عبد الله بن عتبة
قال قرء رسول الله صلى الله عليه وسلم بحم الدخان • رواه النسائي • وهذه الاحاديث في القراءة مختلفة المقادير
لان الاعراف من السبع الطوال والطور من طوال المفصل والمرسلات من اوساطه قال الحافظ ابن
حجر ولم ار حديثا مرفوعا فيه التنصيص على القراءة فيها بشيء من قصار المفصل الا حديثا في ابن ماجة عن ابن عمر
نص ظاهر اسناده الصحة الا انه معلول قال الدارقطني اخطأ بعض رواته فيه • واما حديث جابر بن
سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك والمحفوظ انه قرء بها في الركعتين بعد المغرب • واعتمد بعض اصحابنا
حديث سليمان بن يسار عن ابي هريرة قال ما رأيت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
من فلان قال سليمان فكان يقرء في الصبح بطوال المفصل وفي المغرب بقصار المفصل رواه النسائي
وصححه ابن خزيمة وغيره وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن في الاستدلال به نظر نعم حديث رافع انهم
كانوا ينتضلون بعد صلوة المغرب يدل على تخفيف القراءة فيها • وطريق الجمع بين هذه الاحاديث
انه صلى الله عليه وسلم كان احيانا يطيل القراءة في المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة
على المأمومين • وليس في حديث جبير دليل على ان ذلك تكرر منه • واما حديث زيد بن ثابت
ففيه اشعار بذلك لكونه انكر على مروان المواظبة على القراءة بقصار المفصل ولو كان مروان
يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على ذلك لاحتج به على زيد لكن لم يرد زيد فيما يظهر

المواظبة على القراءة بالطوال وانما اراد منه ان يتعاهد ذلك كما رآه منه صلى الله عليه
وسلم • وفي حديث ام الفضل اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرء في الصبح بالطوال
من والمرسلات لكونه كان في حال شدة مرضه وهو مظنة التخفيف • وهو يرد على ابي داود
ادعاء نسخ التطويل لانه روى عقب حديث زيد بن ثابت من طريق عروة انه كان يقرء في
المغرب بالقصار قال وهذا يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه الدلالة وكيف تصح دعوى
النسخ وام الفضل تقول ان آخر صلوة صلاها بهم قرء بالمرسلات • قال ابن خزيمة في صحيحه
هذا من الاختلاف المباح فجائز للمصلي ان يقرء في المغرب وفي الصلوات كلها بما احب الا اذا
كان اماما استحب له ان يخفف القراءة • انتهى • والراجح عند النووي ان المفصل من الحجرات الى
آخر القرآن • والله اعلم • الفرع السابع في ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يقرءه في العشاء
عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم يقرء في العشاء والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا
او قراءة منه صلى الله عليه وسلم • رواه البخاري ومسلم • وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتى على آية
عذاب وقف وتعوذ • رواه الترمذي من حديث حذيفة • وكان اذا قرء سبح اسم ربك الاعلى
قال سبحان ربي الاعلى • رواه احمد وابو داود من رواية ابن عباس • وقال صلى الله عليه وسلم
من قرء منكم والتين والزيتون فانتهى الى اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من
الشاهدين ومن قرء لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
فليقل بلى ومن قرء والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله • رواه ابو داود
والترمذي الى قوله وانا على ذلك من الشاهدين • وكان صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراءة
اسكاتة • وفيها سأله ابو هريرة • ويسكت بعد الفاتحة ويسكت ثالثة بعد قراءة السورة وهي
سكتة لطيفة جدا حتى يتراد اليه النفس ولم يكن يصل القراءة بالركوع واما السكتة الاولى
فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح • واما الثانية فلاجل قراءة المأموم الفاتحة فينبغي تطويلها
بقدرها ذكره في زاد المعاد • عن سمرة بن جندب سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
في صلاته واذا فرغ من القراءة ثم قال بعد ذلك واذا قال ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ
من القراءة ان يسكت حتى يتراد اليه نفسه • رواه الترمذي • الفرع الثامن
في ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم • عن ابي حميد الساعدي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قام الى الصلوة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه • فذكر الحديث الى ان قال ثم يكبر ويرفع يديه حتى
يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصوب ولا يقنع • رواه
ابو داود والدارمي • الفرع التاسع في ذكر مقدار ركوعه صلى الله عليه وسلم
عن ابي حميد قال سمعت انس بن مالك يقول ما صليت وراء احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه
صلوة بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز فحزرنا ركوعه عشر

تسبيحات • رواه ابو داود • وعن البراء كان ركوع النبي صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين واذا رفع من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السواء رواه البخاري ومسلم • قال النووي هذا الحديث محمول على بعض الاحوال والا فقد ثبتت في الحديث تطويل القيام • انه كان يقرأ في الصبح بالستين الى المائة وفي الظهر بالم السجدة وانه كان تقام الصلوة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يرجع الى اهله فيتوضأ ثم يأتي المسجد فيدرك الركعة الاولى وانه قرأ سورة المؤمنون حتى بلغ ذكر موسى وهرون وانه قرأ في المغرب والمرسلات • وفي البخاري بالاعراف وكل هذا يدل على انه كانت له في اطالة القيام احوال بحسب الاوقات وهذا الحديث الذي نحن فيه جرى في بعض الاوقات انتهى • وقال ابن القيم مراد البراء ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا اطال القيام اطال الركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود • وتارة يجعل الركوع والسجود بقدر القيام وهديه عليه الصلوة والسلام الغالب تعديل الصلوة وتناسبها • انتهى •

الفرع العاشر في ذكر ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في الركوع والرفع منه • عن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن • رواه البخاري ومسلم • ومعنى يتأول القرآن يعمل بما امر به في قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فكان صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما امر في الاية • وعنها كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح • رواه البخاري ومسلم • وعن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى • وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع ظهره من الركوع قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد • رواه مسلم • قال النووي يبتدئ يعني المصلي بقوله سمع الله لمن حمده حين الشروع في الرفع من الركوع ويمده حتى ينتصب قائما ثم يشرع في ذكر الاعتدال وهو ربنا لك الحمد الى اخره • قال وفي هذا الحديث دلالة للشافعي وطائفة انه يستحب لكل مصل من امام ومأموم ومنفرد ان يجمع بين سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد في حال استوائه وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعلهما جميعا وقد قال عليه السلام صلوا كما رأيتموني اصلي • رواه البخاري انتهى • وقال ابن القيم كان عليه السلام اذا استوى قال ربنا ولك الحمد • وربما قال ربنا ولك الحمد وربما قال اللهم ربنا لك الحمد صح عنه ذلك كله • واما الجمع بين اللهم والواو فلم يصح • انتهى • قلت وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة في رواية الاصيلي مرفوعا اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد بجمع بين اللهم والواو وهو يرد على ابن القيم كما ترى • وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة كان اثبات الواو دال على معنى زائد لانه يكون التقدير ربنا استجب او ما قارب ذلك ولك الحمد فيكون الكلام مشتملا على معنى الدعاء ومعنى الخبر واذا قيل باسقاط الواو دل على احدهما • انتهى • وقال ابن العراقي اسقاط الواو حكاه عن الشافعي ابن قدامة • وقال لان الواو للعطف وليس هنا شيء يعطف عليه • وعن مالك واحمد في

ذلك

ذلك خلاف • وقال النووي كلاهما جاءت به روايات كثيرة • والمختار انه على وجه الجواز وان الامرين جائزان ولا ترجيح لاحدهما على الاخر • انتهى • وعن ابي سعيد الخدري قال كان صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد • رواه مسلم • قوله ملء السموات وملء الارض اي حمدا لو كان اجساما لملأت السموات والارض • ومعنى سمع الله لمن حمده اي اجاب يعني ان من حمد الله تعالى متعرضا لثوابه استجاب الله له فاعطاه ما تعرض له • فانا اقول ربنا لك الحمد ليحصل ذلك • وقوله اهل منصوب على النداء وقوله وكلنا لك عبد بالواو احق ما قال العبد لا مانع لما اعطيت الى اخره • واعترض بينهما قوله وكلنا لك عبد • ومثل هذا الاعتراض قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى على قراءة من قرأ وضعت بفتح العين واسكان التاء • والجد بفتح الجيم الغنى اي لا ينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه الايمان والطاعة والله اعلم • وفي رواية ان ابي اوفى عند مسلم كان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى من ركوعه من الركوع يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه • وقد روي انه عليه السلام كان يرفع يديه ايضا وصححه بعض الحفاظ كابن حزم والذي غره ان الراوي غلط من قوله كان يكبر في كل خفض ورفع وهو ثقة ولم يفطن لسبب غلطه ووهم فصححه نبه عليه في زاد المعاد • وكان عليه السلام يضع ركبتيه قبل يديه • رواه ابو داود ثم جبهته وانفه • وقال امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين • رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس • قال النووي ينبغي للساجد ان يسجد على هذه الاعضاء كلها وان يسجد على الجبهة والانف جميعا • فاما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الارض ويكفي بعضها والانف مستحب فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجز هذا مذهب الشافعي ومالك والاكثرين • وقال ابو حنيفة عليهما معا الظاهر الحديث قال الاكثرون بل ظاهر الحديث انهما في حكم عضو واحد لانه قال فيه سبعة فلو جعلا عضوين صارت ثمانية • وكان عليه السلام اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه • رواه الشيخان • وقالت ميمونة جافى بين يديه حتى لو شاءت بهيمة ان تمر بين يديه لمرت • رواه مسلم • ولم يذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه سجد على كور عمامته • ولم يثبت عنه ذلك في حديث صحيح ولا حسن • ولكن روى عبد الرزاق في المصنف عن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم يسجد على كور عمامته • وهو من رواية عبد الله بن محرز وهو متروك • وذكر ابو داود في المراسيل انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي فسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر صلى الله عليه وسلم عن جبهته • وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله بكسر اولهما اي قليله وكثيره اوله وآخره وعلانيته وسره • رواه مسلم من حديث ابي هريرة • وقوله دقه وجله بكسر اولهما اي قليله وكثيره • وعن عائشة رضي الله عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه

وهو في السجود، وهما منصوبتان، وهو يقول: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك. رواه مسلم.
قال الخطابي: في هذا الحديث معنى لطيف، وذلك أنه عليه السلام استعاذ بالله وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضا والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والمعاقبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير. ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه. وقوله: لا أحصي ثناءً عليك، أي لا أطيقه ولا آتي عليه، وقيل: لا أحيط به. وقال مالك: لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك. وقوله: أنت كما أثنيت على نفسك، اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء، فإنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء والتعيين، فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا. وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه، لأن الثناء تابع للمثنى عليه، فكل شيء أثنى عليه وإن كثر وطال وبالغ فيه فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكبر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ. انتهى.
وهاهنا فائدة ذكرها بعض المحققين في نهيه صلى الله عليه وسلم عن القراءة في الركوع والسجود، وهي أن القرآن أشرف الكلام، وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد، فمن الأدب مع كلام الله تعالى أن لا يقرأ فيهما بين الحالتين، ويكون حالة القيام والانتصاب أولى به، والله أعلم.
وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم سجد على الماء والطين. وكان صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه من السجود مكبرًا غير رافع يديه، ويرفع منه رأسه قبل يديه، ثم يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى. وكان عليه السلام يجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه سكونًا بينًا، ثم يقوم إلى الركعة الثانية، كما في صحيح البخاري وغيره. قال النووي: ومذهبنا استحبابها عقب السجدة الثانية من كل ركعة يقوم منها، ولا تستحب لسجود التلاوة في الصلاة. وكان عليه السلام يقول بين السجدتين: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني. رواه أبو داود والدارمي من حديث ابن عباس.

الفرع الثاني عشر في ذكر صفة جلوسه صلى الله عليه وسلم للتشهد

وكان صلى الله عليه وسلم إذا جلس للتشهد يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى. رواه مسلم. قال النووي: معناه يجلس مفترشًا، وفيه حجة لأبي حنيفة ومن وافقه أن الجلوس في الصلاة يكون مفترشًا سواء في جميع الجلسات. وعند مالك يسن متوركًا بأن يخرج رجله اليسرى من تحته ويفضي بوركه إلى الأرض. وقال الشافعي رحمه الله: السنة أن يجلس كل الجلسات مفترشًا إلا الجلسة التي يعقبها السلام. والجلسات عند الشافعي أربع: الجلوس بين السجدتين، وجلسة الاستراحة عقب كل ركعة يعقبها القيام، والجلسة للتشهد الأول، والجلسة للتشهد الأخير، والجميع مفترشًا إلا الأخيرة. ولو كان على المصلي سجود سهو فالأصح أنه يجلس مفترشًا في تشهده، فإذا سجد سجدتي السهو تورك ثم سلم. هذا تقييد

مذهب الشافعي. واحتج أبو حنيفة بالمذكور في حديث عائشة هذا. واحتج الشافعي بحديث أبي حميد الساعدي في صحيح البخاري، وفيه التصريح بالافتراش في الجلوس الأول والتورك في آخر الصلاة، وحمل حديث عائشة على هذا الجلوس في غير التشهد الأخير ليجمع بين الأحاديث. انتهى. فليتأمل مع قول ابن القيم في الهدي: إنه لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم أن هذا كان صفة جلوس التشهد الأول، ولا أعلم أحدًا قال به. انتهى.
وقال أبو حميد الساعدي في عشرة من أصحابه صلى الله عليه وسلم: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: فاعرض، فذكر الحديث إلى أن قال: حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخرج رجله اليسرى وقعد متوركًا على شقه الأيسر، ثم قالوا: صدقت، هكذا كان يصلي. رواه أبو داود والدارمي. وفي رواية لأبي داود: فإذا قعد في الركعتين قعد على بطن قدمه اليسرى ونصب اليمنى، وإذا كان في الرابعة أفضى بوركه اليسرى إلى الأرض وأخرج قدميه من ناحية واحدة. الحديث.
وكان عليه السلام إذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى، ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى، وعقد ثلاثًا وخمسين، وأشار بالسبابة. وفي رواية مسلم: وضع يديه على ركبتيه، ورفع إصبعه اليمنى التي تلي الإبهام يدعو بها، ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها. وعند أبي داود من حديث وائل بن حجر: حد مرفقه الأيمن على فخذه اليمنى، وقبض ثنتين، وحلق حلقة، ثم رفع إصبعه، فرأيته يحركها ويدعو. وفي حديث ابن الزبير عنده أيضًا: كان يشير بها ولا يحركها. الحديث.
وكان صلى الله عليه وسلم يستقبل بأصابعه القبلة في رفع يديه وركوعه وفي سجوده وفي التشهد، ويستقبل بأصابع رجليه القبلة في سجوده.

الفرع الثالث عشر في ذكر تشهده صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يتشهد دائمًا في هذه الجلسة، ويعلم أصحابه أن يقولوا: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. رواه مسلم من رواية ابن عباس، وهو الذي اختاره الشافعي بزيادة المباركات. لا تشهد ابن مسعود. رواه قال الخطابي رحمه الله تعالى. وعبارة الشافعي فيما أخرجه البيهقي بسنده إلى الربيع: سئل أي الشافعي عن اختياره لتشهد ابن عباس، فقال: لما رأيته واسعًا وسمعته يعني حديث ابن عباس صحيحًا، وكان عندي أجمع وأكثر لفظًا من غيره، أخذت به غير معنف لمن أخذ بغيره. هذا آخر كلامه. وليس فيه تصريح بأفضليته. والله عند من فعل حقيقة الحال. وقال أبو حنيفة وأحمد وجمهور الفقهاء وأهل الحديث: تشهد ابن مسعود أفضل، لأنه عند المحدثين أشد صحة. وقال مالك رحمه الله: تشهد عمر بن الخطاب الموقوف عليه أفضل، لأنه علمه للناس على المنبر ولم ينازعه أحد، فدل على تفضيله. ومذهب
كذا أداه بياضا فاستعبه بعد...

الشافعي ان التشهد الاول والثاني واجب. وجمهور المحدثين انهما واجبان. وقال احمد الاول واجب
يجبر تركه بالسجود والثاني ركن تبطل الصلاة بتركه. وقال ابو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء هما
سنتان وعن مالك رواية بوجوب الاخير. وقد كان عليه السلام ياتي بالتشهدين وفي
الغيلانيات عن القاسم بن محمد قال علمتني عائشة قالت هذا تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم التحيات
لله والصلوات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وهو مثل حديث ابن مسعود سواء. رواه البيهقي
باسناد جيد. قال النووي وفي هذا فائدة حسنة وهي ان تشهده عليه السلام بلفظ تشهدنا
انتهى. قال الحافظ ابن حجر وكانه يشير الى رد ما وقع في الرافعي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في
التشهد واشهد اني رسول الله. وتعقبوه بانه لم يرو كذلك صريحا. نعم وقع في البخاري من حديث
سلمة بن الاكوع قال خفت ازواد القوم فذكر الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله
الا الله واني رسول الله. ومن لطائف التشهد ما قاله البيضاوي علمهم ان يفردوه صلى الله عليه وسلم
بالذكر لشرفه ومزيد حقه عليهم. فان قيل كيف شرع هذا اللفظ وهو خطاب بشر مع كونه منهيا عنه
في الصلاة. فالجواب ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم. فان قلت ما الحكمة
في العدول عن الغيبة الى الخطاب في قوله عليك ايها النبي مع ان لفظ الغيبة يقتضيه السياق كان يقول
السلام على النبي فينتقل من تحية الله الى تحية النبي ثم الى تحية النفس ثم الى الصالحين. قلت
اجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي كان علمه الصحابة. ويحتمل ان يقال على طريق
اهل العرفان ان المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات اذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت
فقرت اعينهم بالمناجاة فنبهوا على ان ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة متابعته فالتفتوا فاذا الحبيب في حرم
الحبيب حاضر فاقبلوا عليه قائلين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته. انتهى. وقال
الترمذي الحكيم في قوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من اراد ان يحظى بهذا السلام الذي
يسلمه الخلق في صلواتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا الفضل العظيم. وقال القفال في فتاويه
ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين لان المصلي يقول اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولا بد ان يقول في
التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيكون مقصرا بخدمة الله تعالى وفي حق رسوله وفي حق نفسه
وفي حق كافة المسلمين. ولذلك عظمت المعصية بتركها. واستنبط منه السبكي ان في الصلاة حقا
للعباد مع حق الله وان من تركها اخل بحق جميع المؤمنين من مضى ومن يجيء الى يوم القيامة لوجوب قوله
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. انتهى. وتقدم الكلام على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم في التشهد الاخير وما في ذلك من المباحث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. وعند

كذا رأيته بياضا فاتبعته لعله لغرض

الطبراني مرفوعا عن سهل بن سعد لا صلاة لمن لم يصل على نبيه. وكذا عند ابن ماجه والدارقطني
وعن ابي مسعود الانصاري عند الدارقطني من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه
وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وترحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
رواه الحاكم. واغتر قوم بتصحيحه فوهموا فانه من رواية يحيى بن السباق وهو مجهول عن رجل مبهم
وبالغ ابن العربي في انكار ذلك فقال حذار مما ذكره ابن ابي زيد من زيادة وترحم فانه قريب من
البدعة لانه صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة عليه بالوحي ففي الزيادة على ذلك استدراك
عليه. انتهى. قال الحافظ ابن حجر وابن ابي زيد ذكر ذلك في الرسالة في صفة التشهد لما ذكر
ما يستحب في التشهد. ومنه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فزاد وترحم على محمد وآل محمد وبارك
على محمد وآل محمد الى اخره. فان كان انكاره لكونه لم يصح فمسلم والا فدعوى من ادعى انه لا يقال
وارحم محمدا مردودة لثبوت ذلك في عدة احاديث اصحها في التشهد السلام عليك ايها النبي و
رحمة الله وبركاته. قال ثم وجدت لابن ابي زيد مستندا فاخرج الطبري في تهذيبه من طريق حنظلة
ابن علي عن ابي هريرة رفعه من قال اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم شهدت له يوم القيامة وشفعت له. ورجال سنده رجال الصحيح
الا سعيد بن سليمان مولى سعيد بن العاص الراوي له عن حنظلة بن علي فانه مجهول. وفي
هذا كله فيما يقال مضموما الى السلام او الصلاة. وقد وافق ابن العربي الصيدلاني من الشافعية
على المنع. ونقل القاضي عياض عن الجمهور الجواز مطلقا. وقال القرطبي في المفهم انه الصحيح لورود
الاحاديث فيه. وخالفه غيره. ففي الذخيرة من كتب الحنفية عن محمد يكره ذلك لايهامه النقص
لان الرحمة غالبا انما تكون لفعل ما يلام عليه. وجزم ابن عبد البر بمنعه في قوله حيث قال
لا يجوز لاحد اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رحمه الله لانه عليه السلام قال من صلى
علي ولم يقل من ترحم علي ولا من دعا لي وان كان معنى الصلاة الرحمة ولكنه خص بهذا
اللفظ تعظيما له فلا يعدل الى غيره. انتهى. واخرج ابو العباس السراج عن ابي هريرة انهم قالوا
يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل
محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد. وفي حديث بريدة رفعه
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم. ووقع في حديث ابن مسعود عند ابي داود والنسائي على محمد النبي الامي. وفي حديث ابي سعيد
على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم ولم يذكر آل محمد ولا آل ابراهيم. وعند ابي داود من حديث

ابي هريرة اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته • ووقع
في اخر حديث ابن مسعود في العالمين انك حميد مجيد • قال النووي في شرح المهذب ينبغي ان
ان يجمع ما في الاحاديث الصحيحة فيقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وبارك مثله • وزاد في اخره في العالمين • وقال في الاذكار
مثله وزاد عبدك ورسولك بعد قوله محمد في صل ولم يزدها في وبارك • وقال في التحقيق
والفتاوى مثله الا انه اسقط النبي الامي • وقد تعقبه الاسنوي فقال لم يستوعب ما
ثبت في الاحاديث مع اختلاف كلامه • وقال الاذرعي لم يسبق الى ما قاله والذي
يظهر ان الافضل لمن تشهد ان ياتي باكمل الروايات ويقول كلما ثبت هذا مرة وهذا مرة
واما التلفيق فانه يستلزم احداث صفة في التشهد لم ترد مجموعة في حديث واحد • وسبقه
الى معنى ذلك ابن القيم • وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلوة اني اعوذ بك من عذاب
القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم اني اعوذ بك من
المأثم والمغرم فقال له قائل ما اكثر ما تستعيذ من المغرم فقال ان الرجل اذا غرم حدث
فكذب ووعد فاخلف • رواه البخاري ومسلم من رواية عائشة • قال ابن دقيق العيد فتنة
المحيا ما يعرض للانسان مدة حياته من الافتتان في الدنيا والشهوات والجهالات واعظمها
والعياذ بالله امر الخاتمة عند الموت • وفتنة الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت اضيفت
لقربها منه • ويجوز ان يكون اراد به فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله عذاب
القبر لان العذاب مترتب على الفتنة والسبب غير المسبب • وروى الحكيم الترمذي في
نوادر الاصول عن سفيان الثوري ان الميت اذا سئل من ربك تراءى له الشيطان فيشير
الى نفسه اي انا ربك فلهذا ورد سؤال التثبيت له حين يسئل • وقد استشكل دعاؤه
دعاؤه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع انه مغفور له ما تقدم وما تاخر • واجيب باجوبة
منها انه قصد التعليم لامته • ومنها ان المراد السؤال منه لامته فيكون المعنى هنا اعوذ بك
لامتي • ومنها سلوك طريق التواضع واظهار العبودية والتزام خوف الله واعظامه والافتقار
اليه وامتثال امره في الرغبة اليه ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقق الاجابة لان في ذلك تحصيل
الحسنات ورفع الدرجات • وفيه تحريض لامته على ملازمة ذلك لانه اذا كان مع تحقق المغفرة
لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك احرى بالملازمة • واما الاستعاذة من فتنة الدجال
مع تحققه انه لا يدركه فلا اشكال فيه على الوجهين الاولين • وقيل على الاول يحتمل ان يكون ذلك
قبل ان يتحقق عدم ادراكه • ويدل عليه قوله في الحديث الاخر عند مسلم ان يخرج وانا
فيكم فانا حجيجه • والله اعلم • وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان

كان يقول بعد التشهد اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة الدجال
الاعور واعوذ بك من فتنة المحيا والممات • رواه ابو داود • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت • رواه مسلم وفي
رواية له واذا سلم قال اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت الى اخره • ويجمع بينهما بحمل الرواية الثانية على
ارادة السلام لان مخرج الطريقين واحد وورد في ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من الصلوة سلم وهذا
ظاهر في انه بعد السلام • ويحتمل انه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده • وسياتي الجواب عما
استشكل في دعائه عليه السلام هذا الدعاء في ادعيته صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى • وحاصل
ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من المواضع التي كان يدعو بها في داخل صلوته ستة مواطن الاول
عقب تكبيرة الاحرام كما في حديث ابي هريرة في الصحيحين اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث • الثاني
في الركوع كما في حديث عائشة عند الشيخين كان يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم
وبحمدك اللهم اغفر لي • الثالث في الاعتدال من الركوع كما في حديث ابن ابي اوفى عند مسلم انه كان يقول بعد
قوله من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد • والرابع في السجود وهو اكثر ما كان يدعو فيه
وامر به • الخامس بين السجدتين اللهم اغفر لي الى اخره • والسادس في التشهد وكان ايضا يدعو في التنوير
وفي حال القراءة كما اذا مر باية رحمة سال واذا مر باية عذاب استعاذ • وتقدم كل ذلك والله الموفق

الفرع الرابع عشر في ذكر تسليمه صلى الله عليه وسلم من الصلوة • وكان صلى الله
عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن شماله حتى يرى بياض خده • رواه مسلم والنسائي من حديث عامر بن
سعد عن ابيه • وفي حديث ابن مسعود كان يسلم عن يمينه وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله
رواه الترمذي • وزاد ابو داود حتى يرى بياض خده • وفي رواية النسائي حتى يرى بياض خده
من ههنا وبياض خده من ههنا • الحديث • وهذا كان فعله الراتب • رواه عنه خمسة عشر
صحابيا وهم عبد الله بن مسعود • وسعد بن ابي وقاص • وسهل بن سعد • ووائل بن حجر • وابو موسى
الاشعري • وحذيفة بن اليمان • وعمار بن ياسر • وعبد الله بن عمر • وجابر بن سمرة • والبراء بن عازب • وابو مالك
الاشعري • وطلق بن علي • واوس بن اوس • وابو رمثة • وعدي بن عميرة • وهذا مذهب الشافعي وابو حنيفة
واحمد والجمهور • ومذهب مالك في طائفة المشروع تسليمة • ودليل مذهبنا ما تقدم • واما ما روي
انه كان صلى الله عليه وسلم يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه فلم يثبت من وجه صحيح • واجود ما في ذلك حديث
حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا • وهو
معلول • وهو في السنن لكنه في قيام الليل والذين رووا عنه التسليمتين رووا ما شاهدوا في الفرض

كذا وجدته في الاصل فليعلم
لكاتبه فبعته وهو باطل

والنفل • وحديث عائشة ليس هو صريحا في الاقتصار على تسليمة واحدة بل اخبرت انه كان يسلم
تسليمة واحدة يوقظهم بها ولم تنف الاخرى بل سكتت عنها وليس سكوتها عنها مقدما على رواية
من حفظها وضبطها وهم اكثر عددا واحاديثهم اصح والله اعلم • واختلف في التسليم فقال
مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء انه فرض لا تصح الصلوة الا به • وقال ابو حنيفة و
الثوري والاوزاعي سنة لو تركه صحت صلوته • وقال ابو حنيفة لو فعل منافيا للصلوة
من حدث او غيره في آخرها صحت صلوته • واحتج بانه عليه السلام لم يعلمه الاعرابي حين علمه
واجبات الصلوة • واحتج الجمهور بحديث ابي داود مفتاح الصلوة الطهور وتحليلها التسليم
• وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة طأطأ رأسه • رواه احمد • وكان لا يجاوز بصره
اشارته • وكان قد جعل قرة عينه في الصلوة كما قال وجعلت قرة عيني في الصلوة • رواه
النسائي ولم يكن يشغله عليه السلام ما هو فيه من مراعاة احوال المأمومين مع كمال اقباله و
قربه من ربه وحضور قلبه بين يديه • وكان يدخل في الصلوة وهو يريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي
فيتجوز في صلوته مخافة ان يشق على امه • رواه البخاري وابو داود والنسائي • وكان يؤم بالناس
وهو حامل امامة بنت ابي العاص بن الربيع على عاتقه • رواه مسلم وغيره • قال النووي وهذا يدل لمذهب
الشافعي رحمه الله ومن وافقه انه يجوز حمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان في صلوة الفرض والنفل
وللامام والمأموم والمنفرد • وحمله اصحاب مالك رحمه الله على النافلة • ومنعوا جواز ذلك في الفريضة
وهذا التأويل فاسد لان قوله يؤم الناس صريح او كالصريح في انه كان في الفريضة • وادعى بعض المالكية انه
منسوخ وبعضهم انه خاص به صلى الله عليه وسلم • وبعضهم انه كان لضرورة وكلها مردودة ولا دليل
عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك • وليس فيه ما يخالف الشرع لان الآدمي طاهر
وما في جوفه من النجاسة معفو عنها لكونه في معدته وثياب الاطفال واجسادهم على الطهارة ودلائل
الشرع متظاهرة على هذا والافعال في الصلوة لا تبطلها اذا قلت او تفرقت • وفعله عليه السلام
للجواز تنبيها على هذه القواعد التي ذكرتها • وهذا يرد ما ادعاه ابو سليمان الخطابي ان هذا الفعل
يشبه ان يكون بغير تعمد لحملها في الصلوة لكنها تعلقت به عليه الصلوة والسلام فلم يدفعها فاذا قام
بقيت معه • قال ولا يتوهم انه حملها ووضعها مرة بعد اخرى لانه عمل كثير ويشغل القلب واذا
كان علم الخميصة يشغله فكيف لا يشغله هذا كلام الخطابي وهو باطل ودعوى مجردة • ومما يرده
قوله في صحيح مسلم فاذا قام حملها واذا رفع من السجود اعادها • وقوله في رواية غير مسلم خرج علينا حاملا
امامة فصلى وذكر الحديث • واما قضية الخميصة فلانها تشغل القلب بلا فائدة وحمل امامة لا نسلم انه
يشغل القلب وان شغله فيترتب عليه فوائد وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فاحتمل ذلك الشغل

هنا بين السطرين وجعلهما في اصل النسخة
بياضا فتبعته فلعله لحاجة تتبع بعد

لهذه الفوائد بخلاف الخميصة • والصواب الذي لا يعدل عنه ان الحديث كان للبيان والتنبيه
على هذه القواعد فهو جائز لنا وشرع مستمر الى يوم القيمة • والله اعلم • انتهى • وكان صلى الله
عليه وسلم يجيء الحسن او الحسين فيركب على ظهره • فيطيل السجدة كراهية ان يلقيه عن ظهره
وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو في الصلوة • وقال جابر بعثني رسول الله
لحاجة فادركته وهو يصلي فسلمت عليه فاشار الي • رواه مسلم • وقال عبد الله بن مسعود
لما قدمت من الحبشة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فاومأ برأسه
رواه البيهقي • وكان يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده
فقبضت رجليها واذا قام بسطتهما • رواه البخاري • وكان عليه السلام لا يلتفت في صلوته
وفي البخاري عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلوة فقال هو
اختلاس يختلسه الشيطان من صلوة العبد • وروى ابو داود من حديث سهل بن الحنظلية
انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من يحرسنا الليلة قال انس بن ابي مرثد الغنوي انا
يا رسول الله قال اركب فركب فرسا فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في اعلاه فلما اصبحنا
ثوب بالصلوة فجعل صلى الله عليه وسلم وهو يصلي يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى الصلوة قال
ابشروا فقد جاء فارسكم فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد في الصلوة وهو يدخل في مداخل
العبادات كصلوة الخوف • وقريب منه قول عمر رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وانا في الصلوة فهذا
جمع بين الصلوة والجهاد • ونظيره التفكر في معاني القرآن واستخراج كنوز العلم منه • وكان
صلى الله عليه وسلم يصلي فعرض له الشيطان ليقطع عليه صلوته فاخذه فخنقه حتى سال لعابه
على يده • رواه • وروى مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه و
سلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل يعني يبكي • وفي رواية ولصدره ازيز كازيز الرحا من البكاء
رواه احمد • ولم يكن صلى الله يغمض عينيه في الصلوة • وعن انس قال كان قرام لعائشة سترت به
جانب بيتها فقال عليه السلم اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي •
رواه البخاري • ولو كان يغمض لما عرضت له في صلاته • وقد اختلف الفقهاء
في كراهيته • والحق ان يقال ان كان فتح العين ادخل في الخشوع فهو افضل وان كان يحول بينه
وبين الخشوع لما يكون في قبلته من زخرفة او غيرها مما يشغل قلبه فلا يكره التغميض قطعا بل ينبغي
ان يكون مستحبا في هذه الحالة • وقد كانت صلاته صلى الله عليه وسلم متوسطة عارية عن الغلو
بالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا وتطويل ما السنة
تخفيفه كالتشهد الاول الى غير ذلك مما يفعله كثير ممن ابتلي بداء الوسوسة • فانا بالله منها
وهي نوع من الجنون وصاحبها بلا ريب مبتدع مسخط في افعاله واقواله شيئا لم يفعله النبي
صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه رضي الله عنهم • وقد قال عليه السلام انه خير الهدى

هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها • وعنه ايضا واياكم ومحدثات الامور فانه
كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار • ومما نسب الى امام الحرمين الوسوسة
تعرض في العقل او جهل باحكام الشرع • ومن غرائب ما يقع لهؤلاء الموسوسين
ان بعضهم يشتغل بتكرار الطهارة حتى تفوته الجماعة وربما فاته الوقت • ومنهم من يشتغل
بالنية حتى تفوته التكبيرة الاولى • وربما يفوته ركعة او اكثر • ومنهم من يحلف انه لا يزيد
على هذه التكبيرة ثم يكذب • ومن العجب ان بعضهم يتوسوس في حال قيامه حتى يركع
الامام فاذا خشي فوات الركوع كبر سريعا وادركه فمن لم يحصل له النية في القيام الطويل حال فراغ
باله فلم حصلت له في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات الركعة • ومنهم من يكرر لفظ التكبير
حتى يشوش على غيره من المأمومين ولا ريب ان ذلك مكروه • ومنهم من يزعج اعضاءه ويحني
جبهته ويقيم عروق عنقه ويصرخ بالتكبير كانه يكبر على العدو • ومنهم من يغسل عضوه
غسلا يشاهده ببصره ويكبر ويقرأ بلسانه ويسمع باذنه ويعلمه بقلبه ومع ذلك يصدق
الشيطان في انكاره ويكذب نفسه ويجحد ما رآه ببصره وسمعه باذنه • وقد سأل رجل ابا الوفا
ابن عقيل فقال اني اكبر واقول ما كبرت واغسل العضو في الوضوء واقول ما غسلته فقال
ابن عقيل دع الصلاة فانها لا تجب عليك فقال له كيف ذلك فقال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم
عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ثم يقول لم اكبر فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة
فمن اراد التخلص من هذه البلية فليتبع سنته صلى الله عليه وسلم السوية ويقتدي بملته الحنيفية
فان غلبه الامر وضاقت عليه المسالك فليتضرع الى الله ويبتهل اليه في كشف ذلك
الفرع الخامس عشر في ذكر قنوته صلى الله عليه وسلم • ليعلم ان القنوت يطلق على القيام
والسكوت ودوام العبادة والدعاء والتسبيح والخشوع كما قال تعالى وله من في السموات و
الارض كل له قانتون وقال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما الاية وقال تعالى
وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين • والمراد به هنا الدعاء في الصلاة في محل مخصوص
من القيام • وعن انس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال لهم القراء فعرض لهم
حيان من سليم رعل وذكوان عند بئر معونة فقتلوهم فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الغداة
في ذلك بدء القنوت وما كنا نقنت • قال عبد العزيز بن صهيب فسال رجل انسا عن القنوت
ابعد الركوع او عند فراغ القراءة قال لا بل عند فراغ القراءة • وفي اخرى قنت شهرا بعد
الركوع يدعو على احياء من العرب • وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع في صلاة الصبح يدعو
على رعل وذكوان ويقول عصية عصت الله ورسوله • وفي اخرى بعث صلى الله عليه وسلم
سرية يقال لهم القراء فاصيبوا فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على شيء ما وجد عليهم
فقنت شهرا في صلاة الفجر هذه روايات البخاري ومسلم • وللبخاري كان القنوت في المغرب

والفجر • ولمسلم وابي داود والنسائي قنت في صلاة الصبح بعد الركوع • وفي اخرى قنت
شهرا ثم تركه • وفي اخرى للنسائي قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان • وعن ابن عباس
قنت صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر
كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخيرة يدعو على احياء من بني سليم على رعل و
ذكوان وعصية ويؤمن من خلفه • رواه ابو داود • وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا
وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل الله عليه ليس لك من الامر
شيء الى قوله فانهم ظالمون • رواه البخاري • وعن ابي هريرة لما رفع صلى الله عليه وسلم
راسه من الركعة الاخيرة قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن
ابي ربيعة والمستضعفين من مكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف • وفي رواية في صلاة الفجر • وفي رواية ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله تعالى
ليس لك من الامر شيء الاية • رواه البخاري ومسلم • وعن البراء انه صلى الله عليه وسلم
يقنت في الصبح والمغرب • رواه مسلم والترمذي • ولابي داود في صلاة الصبح ولم يذكر المغرب
وعن ابي مالك الاشجعي قال قلت لابي يا ابة انك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب ههنا بالكوفة خمس سنين اكانوا يقنتون قال اي بني محدث
رواه الترمذي • وعن سعيد بن جبير قال اشهد اني سمعت ابن عباس يقول ان القنوت في
صلاة الفجر بدعة • رواه الدارقطني • وكذا بعض العلماء والصواب انه صلى الله عليه وسلم فعل
ذلك قنت وترك وكان تركه للقنوت اكثر من فعله فانه انما قنت عند النوازل للدعاء لقوم
وللدعاء على آخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وخلصوا من الاسر واسلم من دعا عليهم وجاؤا
تائبين وكان قنوته لعارض فلما زال العارض ترك القنوت ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت
في صلاة الفجر والمغرب • ذكره البخاري في صحيحه عن انس • وذكره مسلم عن البراء • وصح عن ابي
هريرة انه قال والله لانا اقربكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقنت في الركعة الاخيرة
من الصبح بعدما يقول سمع الله لمن حمده • قال ابن ابي فديك ولا ريب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه • هذا رد على القائل بكراهة القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل
وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة • واهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين
من استحبه ويقولون فعله سنة وتركه سنة ولا ينكرون على من داوم ولا يكرهون فعله
ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة من قنت ومن ترك فقد احسن انتهى •
ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان القنوت مشروع في صلاة الصبح دائما في اعتدال الثانية
من الصبح لما رواه انس ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يزل يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا

محدث

رواه احمد وغيره • قال ابن الصلاح قد حكم بصحته غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقي
وابو عبد الله محمد بن علي البلخي • وفي السهو العمل بمقتضاه عن الخلفاء الاربعة • وقال
بعضهم اجمعوا انه صلى الله عليه وسلم قنت في الصبح ثم اختلفوا هل ترك فيتمسك
بما اجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا فيه • انتهى • واما حديث ابن ابي فديك عن عبد الله
ابن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الثانية من صلاة الصبح يرفع يديه ويدعو بهذا الدعا
اللهم اهدني فيمن هديت الى آخره • فقال ابن القيم في زاد المعاد ما ابين الاحتجاج به لو
كان صحيحا او حسنا ولكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحح حديثه في القنوت
وهذا حديث رواه الحاكم وصححه • ورد عليه كما قاله ابن القيم وقد اتفقوا على ضعف عبد الله
ابن سعيد • وعن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقنت في صلوة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء
الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت • اخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل • والصحيح انه لا يتعين
فيه دعاء مخصوص بل يحصل بكل دعاء • وفيه وجه انه لا يحصل الا بالدعاء المشهور وهو اللهم
اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني
شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت •
رواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر فذكره واسنادهم صحيح قال البيهقي وقد
صح ان تعليم هذا الدعا وقع لقنوت صلاة الصبح كقنوت صلوة الوتر • انتهى • وقوله
فانك تقضي بالفاء والواو في قوله وانه لا يذل وربما قيل وتعاليت الا ان الفاء لم تقع في
رواية ابي داود • وزاد البيهقي بعد قوله ولا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وزاد ابن
ابي عاصم في كتاب التوبة نستغفرك اللهم ونتوب اليك • ويسن الصلوة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في آخره لان النسائي قد رواه من حديث الحسن رضي الله عنه بسند
صحيح او حسن كما قاله في شرح المهذب ولفظه اي النسائي وصلى الله على النبي و
جزم في الاذكار باستحباب الصلوة على الآل والسلام • وخالفه صاحب الاقليد
فقال اما ما وقع في كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما يعتاده الائمة الآن من ذكر الآل
والازواج والاصحاب فكل ذلك لا اصل له • قلت وعبارة النووي في الاذكار
يستحب ان يقول عقب هذا الدعا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم فقد جاء في رواية
النسائي باسناد حسن وصلى الله على النبي • انتهى • وتعقب بان لفظ الدعوى خلاف
الدليل • ويزيد عليه ذكر الآل والازواج والاصحاب والتسليم نعم وقعت الزيادة عند
الرافعي والروياني بعزوه لحسن بن علي رضي الله عنهما عند النسائي لكنها ليست عنده

روايته

روايته احد الرواة عنه على ان لفظ وصلى الله على النبي تابعة على رواية الترمذي وهي زيادة غريبة غير
ثابتة لاجل عبد الله بن علي احد رواته لانه غير معروف وعلى تقدير ان يكون هو عبد الله بن علي بن الحسين
علي بن ابي طالب فهو منقطع لانه لم يسمع من جده الحسن بن علي فقد تبين انه ليس من شرط الحسن لانقطاعه
او جهالة رواته ولم تنجبر الزيادة بمجيئها من وجه آخر وحينئذ فقد تبين شذوذها على ما لا يخفى نعم
اصل الحديث الى آخره وتعاليت حسن لاعتضاده برواية الترمذي ونحوه بخلاف الزيادة او لم يجيء في تفسيره
وحيث شرعنا الصلوة على الآل على ما جزم به النووي فينبغي عدها في القنوت بعضا • قال في المجموع
عن البغوي ويكره اطالة القنوت كالتشهد الاول • وهو ظاهر على ما صححه فيه وفي تحقيقه في باب سجود
السهو من ان الاعتدال ركن طويل اما على ما صححه فيهما وفي صلاة الجماعة من انه قصير وهو ما في المنهاج و
الروضة • قد يقال القياس البطلان لان تطويل الركن القصير عمدا مبطل • ويجاب بجواز ذلك في
محل القنوت اذ البغوي نفسه القائل بكراهة الاطالة قائل بان تطويل الركن القصير يبطل عمده ويسن
للمنفرد وللامام برضى المحصورين الجمع بين قنوت الوتر القنوت السابق وبين قنوت عمر رضي الله عنه وهو اللهم
انا نستعينك الى آخره • والاولى تاخير القنوت السابق • ويسن رفع يديه • رواه البيهقي
باسناد جيد • قال في المجموع في مسح وجهه بهما وجهان اشهرهما نعم • واصحهما لا • قال
البيهقي ولا احفظ في مسحه هنا عن احد من السلف شيئا • وان روي عن بعضهم في الدعاء خارج
الصلوة • ومسح غير الصدر كالصدر مكروه • وقال النووي في الاذكار اختلف اصحابنا في رفع
اليدين في القنوت ومسح الوجه بهما على ثلاثة اوجه اصحها يرفعهما ولا يمسح الوجه والثاني يرفع ويمسحه
والثالث لا يمسح ولا يرفع • واتفقوا على انه لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه بل قالوا ذلك مكروه
انتهى • ويجهر الامام دون المنفرد بالقنوت وان كانت الصلوة سرية للاتباع • رواه البخاري
قال الماوردي وجهره به دون جهره بالقراءة فان سمعه المأموم امن كما كانت الصحابة يؤمنون
خلفه صلى الله عليه وسلم في ذلك • رواه ابو داود باسناد حسن • ويوافقه في الثناء او يسكت
لانه ثناء وذكر لا يليق به التأمين والدعاء يشمل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمن
فيها • صرح به الطبري • وان لم يسمع المأموم قنوت الامام قنت معه سرا كبقية الاذكار والدعوات
ولا قنوت لغير وتر وصبح الا لنازلة من خوف او قحط او وباء او جراد او نحوها فيستحب ان يقنت
في مكتوبة غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة ونافلة • وفي البخاري من حديث ابي هريرة
انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقنوت في النازلة • انتهى ملخصا في شرح البهجة لشيخ الاسلام ابي يحيى زكريا
الانصاري مع زيادة من غيره • والله اعلم

الفصل الرابع في ذكر سجود النبي صلى الله عليه وسلم للسهو في الصلوة

اعلم ان السهو هو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب الى غيره • قاله
الازهري • وفرق بعضهم فيما حكاه القاضي عياض بين السهو والنسيان من حيث المعنى • وزعم ان
السهو جائز في الصلوة على الانبياء عليهم السلام بخلاف النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة

والسهو انما هو شغل . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلوة ولا يغفل عنها وكان
يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها . انتهى . قال ابن [illegible]
وهو ضعيف من جهة الحديث ومن جهة اللغة . اما من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيح
من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون . واما من جهة اللغة فقول
الازهري الماضي نحوه قول الجوهري وغيره . وقال في النهاية السهو في الشيء تركه عن غير
علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن دقيق . وبه يظهر الفرق بين السهو الذي
وقع من النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة . والسهو عن الصلوة الذي ذم الله فاعله
وقد كان سهوه صلى الله عليه وسلم من اتمام نعمة الله على امته واكمال دينهم ليقتدوا به
فيما يشرعه لهم عند السهو . وهذا معنى الحديث المنقطع الذي في الموطا الآتي في التنبيه عليه
ان شاء الله تعالى انما انسى او انسى لاسن فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه
احكام شرعية تجري على سهو امته الى يوم القيمة . واختلف في حكمه
فقال الشافعية مسنون كله . وعن المالكية قول السجود للنقص واجب ودون الزيادة
وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات فيجب لتركها سهوا وبين السنن القولية فلا يجب وكذا
يجب اذا سهى بزيادة فعل او قول يبطلها عمده . وعن الحنفية واجب كله . وحجتهم قوله عليه
السلام في حديث ابن مسعود عند البخاري ثم ليسجد سجدتين والامر للوجوب . وقد ثبت من
فعله عليه السلام وافعاله في الصلوة محمولة على البيان وبيان الواجب واجب لا سيما مع قوله عليه السلام
صلوا كما رايتموني اصلي . انتهى . وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم السجود على القسمين
القسم الاول السجود قبل السلام . فعن الاعرج عن عبد الله ابن بحينة انه قال صلى الله عليه وسلم انه
قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات ثم قام فلم يجلس فقام الناس معه
فلما قضى صلوته ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم . رواه البخاري
وفي رواية له عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن بحينة ايضا انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما فلما قضى صلوته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك . وفي
رواية ايضا عن الاعرج عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في صلوة الظهر وعليه جلوس
فلما اتم صلوته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم وسجدهما الناس معه
مكان ما نسي من الجلوس . ورواه مسلم ايضا . وزاد الضحاك عن الاعرج عند ابن خزيمة بعد قوله
ثم قام فلم يجلس فسبحوا به فمضى حتى فرغ من صلوته . وفي رواية الترمذي قام في الظهر وعليه جلوس
فلما اتم صلوته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم . وفي هذا مشروعية سجود السهو
وانه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة ساهيا لم يلزمه شيء او عامدا بطلت صلوته لانه تعمد
الاتيان بسجدة زائدة ليست مشروعة . وانه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود . واستدل

به على ان سجود السهو قبل السلام ولا حجة فيه لكون جميعه كذلك . نعم يرد على من زعم ان جميعه
بعد السلام كالحنفية . واستدل به ايضا على ان المأموم يسجد مع الامام اذا سهى الامام
وان لم يسه المأموم . وان سجود السهو لا تشهد بعده . وان محله آخر الصلوة . فلو سجد
للسهو قبل ان يتشهد ساهيا اعاد عند من يوجب التشهد الاخير وهم الجمهور . وفيه ان من
سهى عن التشهد الاول حتى قام الى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه وسلم كما في رواية
ابن خزيمة فلم يرجع . فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه بالركن بطلت صلوته عند الشافعي
القسم الثاني السجود بعد التسليم . عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال صلى بنا النبي صلى الله عليه
الظهر او العصر فسلم فقال له ذو اليدين الصلوة يا رسول الله انقصت فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه احق ما يقول هذا قالوا نعم فصلى ركعتين اخريين ثم سجد سجدتين قال
سعد ورايت عروة ابن الزبير صلى المغرب ركعتين فسلم وتكلم ثم صلى ما بقي وسجد سجدتين وقال
هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري . وقوله صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظاهر في ان ابا هريرة حضر القصة . وحمله الطحاوي على المجاز فقال ان المراد به صلى بالمسلمين
وسبب ذلك قول الزهري ان صاحب القصة استشهد ببدر فان مقتضاه ان تكون القصة
وقعت قبل بدر . وقيل قبل اسلام ابي هريرة باكثر من خمس سنين لكن اتفق اهل الحديث كما
نقله ابن عبد البر وغيره على ان الزهري وهم في ذلك . وسببه انه جعل القصة لذي الشمالين
وذو الشمالين هو الذي قتل ببدر وهو خزاعي واسمه عمير . واما ذو اليدين فتأخر بعد النبي صلى الله
عليه وسلم مدة لانه حدث بهذا الحديث بعد النبي صلى الله عليه وسلم كما اخرجه الطبراني وغيره وهو سلمي
واسمه الخرباق كما سيأتي . فلما وقع عند الزهري بلفظ فقام ذو الشمالين وهو يعرف انه قتل ببدر
لاجل ذلك ان القصة وقعت لكل من ذي الشمالين وذي اليدين وان ابا هريرة روى الحديثين
فارسل احدهما وهو قصة ذي اليدين وان ابا هريرة روى الحديثين فارسل احدهما وهو قصة ذي
الشمالين وشاهد الاخرى وهي قصة ذي اليدين وهذا محتمل من طريق الجمع . وروى البخاري
ايضا عن ابن سيرين عن ابي هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى صلوتي العشي . قال ابن
سيرين واكثر ظني انها العصر ركعتين ثم سلم ثم قام الى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها
وفيهم ابو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا اقصرت الصلوة ورجل يدعوه
النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين فقال انسيت ام قصرت فقال لم انس ولم تقصر قال بلى قد
نسيت فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع راسه وكبر ثم وضع راسه
فكبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع راسه وكبر . وعن عمران بن الحصين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلى العصر فسلم في ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال له الخرباق
وكان في يديه طول فقال يا رسول الله فذكر له صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى

حتى انتهى الى الناس فقال اصدق هذا قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم • رواه
مسلم وهو من افراده لم يروه البخاري • ورواه احمد وابو داود • والخرباق بكسر الخاء المعجمة
وسكون الراء بعدها موحدة وآخره قاف هو اسم ذي اليدين كما ذهب اليه الاكثر وطول يديه
يمكن ان يحمل على الحقيقة او كناية عن طولهما بالعمل والبذل • قال الحافظ ابن حجر الظاهر
في نظري توحيد حديث ابي هريرة وان كان قد جنح ابن خزيمة ومن تبعه الى تعدد هذه
القصة • والحامل لهم على ذلك الاختلاف الواقع في السياقين ففي حديث ابي هريرة ان السلام
وقع في اثنتين وانه صلى الله عليه وسلم قام الى خشبة في المسجد • وفي حديث عمران انه
سلم من ثلاث وانه دخل منزله لما فرغ من الصلوة • فاما الاول فقد حكى ابن كيكلدي العلائي
ان بعض شيوخه حمله على ان المراد به انه سلم في ابتداء الركعة الثالثة واستبعده • ولكن
طريق الجمع يكتفى فيها بادنى مناسبة وليس بابعد من دعوى تعدد القصة فانه يلزم منه كون ذي
اليدين في كل مرة استفهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك واستفهم النبي صلى الله عليه وسلم
الصحابة عن صحة قوله • واما الثاني فلعل الراوي لما رآه تقدم من مكانه الى جهة الخشبة
ظن انه دخل منزله لكون الخشبة كانت في جهة منزله فان كان كذلك والا فرواية ابي هريرة
ارجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما اخرجه الشافعي وابو داود وابن ماجه وابن خزيمة • انتهى •
وعن معاوية بن حديج بضم الحاء المهملة آخره جيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما فانصرف
وقد بقي من الصلوة ركعة فادركه رجل فقال نسيت من الصلوة ركعة فرجع فدخل المسجد
وامر بلالا فاقام الصلوة فصلى بالناس ركعة من الصلوة فاخبرت بذلك الناس فقالوا
اتعرف الرجل قلت لا الا ان اراه فمر بي فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة بن عبيد الله •
رواه ابو داود والبيهقي في سننهما وابن خزيمة في صحيحه وعين الصلوة المغرب •
وقال ابن خزيمة وهذه القصة غير قصة ذي اليدين لان المعلم للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه
القصة طلحة بن عبيد الله ومخبره في تلك القصة ذو اليدين والسهو منه عليه السلام
في قصة ذي اليدين انما كان في الظهر او العصر • وفي هذه القصة انما كان
السهو في المغرب لا في الظهر ولا في العصر • وعن محمد بن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
انصرف من اثنتين فقال له ذو اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق ذو اليدين فقال الناس نعم فقام صلى الله عليه وسلم فصلى
اثنتين اخريين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع • وفي رواية لسلمة بن علقمة
قال قلت لمحمد بن سيرين في سجدتي السهو تشهد فقال ليس في حديث ابي هريرة • رواه البخاري ومسلم و
مالك واحمد وابو داود والترمذي والنسائي • قال الحافظ ابن حجر لم يقع في غير هذه الرواية لفظ [illegible]
وقد استشكل لانه صلى الله عليه وسلم كان قائما • واجيب ان المراد بقوله فقام اي اعتدل

لانه كان مستندا الى الخشبة كما مر وقد يفهم من قول محمد بن سيرين عن التشهد ليس في حديث ابي
هريرة انه ورد في حديث غيره وهو كذلك فقد رواه ابو داود والترمذي وابن حبان والحاكم
من طريق اشعث بن عبد الملك عن محمد بن سيرين عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن ابي المهلب عن عمران
ابن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم فسها فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم • قال
الترمذي حسن غريب • وقال الحاكم صحيح على شرطهما • وقال ابن حبان ما روى ابن سيرين
عن خالد غير هذا الحديث • وضعفه البيهقي وابن عبد البر وغيرهما ووهموا رواية اشعث
لمخالفته غيره من الحفاظ عن ابن سيرين فزيادة اشعث شاذة • لكن قد ورد في التشهد في سجود
السهو عن ابن مسعود عند ابي داود والنسائي • وعن المغيرة عند البيهقي • وفي اسنادهما ضعف
فقد يقال ان الاحاديث الثلاثة في التشهد باجتماعها ترتقي الى درجة الحسن • قال العلائي وليس
ذلك ببعيد • وقد صح ذلك عن ابن مسعود من قوله • اخرجه ابن ابي شيبة • انتهى ملخصا من فتح الباري •
وفي رواية ابي سفيان عن ابي هريرة عند مسلم صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم من ركعتين
فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلوة يا رسول الله ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يا رسول الله • واخرج ابو داود من طريق حماد بن زيد
عن هشام بن حسان عن ابن سيرين في هذا الحديث قال فكبر ثم كبر وسجد للسهو • وهذا حجة لمن قال
لا بد من تكبيرة الاحرام في سجود السهو بعد السلام والجمهور على الاكتفاء بتكبيرة السجود • وهو ظاهر
غالب الاحاديث • وقال ابو داود لم يقل احد فكبر ثم كبر الا حماد بن زيد فاشار الى شذوذ هذه الزيادة
ويحتمل ان يكون للخشبة المذكورة في هذا الحديث الجذع الذي كان يستند اليه قبل
اتخاذ المنبر • وانما وقع الاستفهام هل قصرت لان الزمان كان زمان النسخ • وقوله فقال لم انس
ولم تقصر صريح في نفي النسيان ونفي القصر وفيه تفسير للمراد بقوله في رواية ابي سفيان المتقدمة
كل ذلك لم يكن وتأييد لما قاله اصحاب المعاني ان لفظ كل اذا تقدمت وعقبها النفي كان
نفيا لكل فرد لا للمجموع بخلاف ما اذا تأخرت كان يقول لم يكن كل ذلك • ولهذا اجاب ذو اليدين
في رواية ابي سفيان بقوله قد كان بعض ذلك • وفي هذه الرواية [illegible]
الاخر وكان مقررا عند الصحابة ان السهو غير جائز عليه في الامور البلاغية جزم بوقوع النسيان
لا القصر وهو حجة لمن قال ان السهو جائز على الانبياء فيما طريقه التشريع • قال ابن دقيق العيد وهو
قول عامة العلماء والنظار • وشذت طائفة فقالوا لا يجوز على النبي السهو • وهذا الحديث يرد عليهم
مع حديث ابن مسعود فانه فيه انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون • ولهذا كان القاضي عياض نقل الاجماع
على عدم جواز دخول السهو في الاقوال التبليغية • وخص الخلاف في الافعال لكنهم تعقبوه • نعم اتفق
من جوز ذلك على انه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل او بعده كما وقع في هذا
الحديث من قوله لم انس ولم تقصر ثم تبين انه نسي • ومعنى قوله لم انس اي في اعتقادي لا في نفس الامر

قد فتكلموا ظنًّا انهم ليسوا في صلوة كذا قيل • وهو فاسد لانهم تكلموا بعد قوله عليه السلم لم تقصر
واجيب بانهم لم ينطقوا وانما اومؤوا كما عند ابي داود في رواية ساق مسلم اسنادها وهذا
اعتمده الخطابي وقال تحمل القول على الاشارة مجاز سائغ بخلاف عكسه • فينبغي رد الروايات
التي فيها التصريح بالقول الى هذه • وهو قوي اقوى من قول غيره يحمل ان بعضهم قال بالنطق
وبعضهم بالاشارة • لكن يبقى قول ذي اليدين بل قد نسيت • ويجاب عنه وعن البقية
على تقدير ترجيح انهم نطقوا بانه كلام كان جوابا للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع الصلوة
وتعقب بانه لا يلزم من وجوب الاجابة عدم قطع الصلوة • واجيب بانه ثبت مخاطبته
في التشهد وهو حي بقولهم السلام عليك ايها النبي ولم تفسد الصلوة • والظاهر ان ذلك
من خصائصه • وعن عبد الله انه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له أزيد
في الصلوة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد سجدتين بعدما سلم • رواه البخاري
ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي هذا اللفظ الا ان مسلما لم يقل بعدما سلم • وعبد الله
هذا هو ابن مسعود • ففي هذه الاحاديث السجود بعد السلام • وقد اختلف في ذلك فقال مالك
والمزني وابو ثور من الشافعية بالتفرقة اذا كان السهو بالنقصان او بالزيادة ففي الاول يسجد
قبل السلام وفي الزيادة يسجد بعده • وزعم ابن عبد البر انه اولى من قول غيره للجمع بين الخبرين
قال وهو موافق للنظر لانه في النقص جبر فينبغي ان يكون من اصل الصلوة وفي الزيادة ترغيم
للشيطان فيكون خارجها • وقال ابن دقيق العيد لا شك ان الجمع اولى من الترجيح وادعاء النسخ
ويترجح الجمع المذكور بالمناسبة المذكورة واذا كانت المناسبة ظاهرة وكان الحكم على وفقها
فيتم الحكم جميع محالها فلا تخصص الا بنص • وتعقب بان كون السجود في الزيادة ترغيما للشيطان
فقط ممنوع بل جبر ايضا لما وقع من الخلل فانه وان كان زيادة فهو نقص في المعنى • وقال
الخطابي لم يرجع من فرق بين الزيادة والنقصان الى فرق صحيح • وايضا فقصة ذي اليدين
وقع فيها السجود بعد السلام وهي عن نقصان • واما قول النووي اقوى المذاهب قول مالك
ثم احمد فقد قال غيره بل طريق احمد اقوى لانه قال يستعمل كل حديث فيما يرد فيه وما لم يرد فيه شيء يسجد
قبل السلام ولولا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لرأيت كله قبل السلام
لانه من شأن الصلوة فيفعله قبل السلام • وعند امامنا الشافعي سجود السهو كله قبل السلام
وعند الحنفية محله بعد السلام • واعتمد الحنفية على حديث ابن مسعود هذا • وتعقب بانه لم يعلم
بزيادة الركعة الا بعد السلام حين سألوه هل زيد في الصلوة • وقد اتفق العلماء في هذه
الصورة على ان سجود السهو بعد السلام لتعذره قبله لعدم علمه بالسهو • وانما تابعه الصحابة
لتجويزهم الزيادة في الصلوة لانه كان زمان توقع النسخ • واجاب بعضهم بما وقع في
حديث ابن مسعود من الزيادة وهي اذا شك احدكم في صلوته فليتحر الصواب فليتم عليه

ويستفاد منه ان الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين • وفائدة السهو في مثل ذلك بيان
الحكم الشرعي اذا وقع مثله ولغيره • والمانع من السهو مطلقا فاجابوا عن هذا الحديث باجوبة
فقيل قوله لم انس نفي للنسيان ولا يلزم منه نفي السهو • وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم تضعيفه
ويكفي فيه قوله في هذه الرواية بلى قد نسيت واقره على ذلك • وقيل قوله لم انس على ظاهره و
حقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل لكونه ابلغ • وتعقب
بحديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم بلفظ صلى الله عليه وسلم فزاد او نقص شك بعض الرواة
والصحيح انه نقص فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلوة شيء قال وما ذاك قالوا صليت
كذا وكذا فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما اقبل علينا بوجهه قال
لو حدث شيء في الصلوة لنبأتكم ولكن انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
واذا شك احدكم في صلوته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين • فيه اثبات العلة
قبل الحكم بقوله انما انا بشر ولم يكتف باثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول
ليس نسيانه كنسياننا فقال كما تنسون • وبهذا الحديث ايضا يرد قول من قال معنى قوله لم انس انكار
للفظ الذي نفاه عن نفسه حيث قال اني لا انسى ولكن انسى لاسن وانكار اللفظ الذي انكره
على غيره حيث قال بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا او كذا • وقد تعقبوا هذا ايضا بان حديث اني
لا انسى لا اصل له فانه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد وهي اربعة قاله ابن
عبد البر • واما الاخير فلا يلزم من ذم اضافة نسيان الاية ذم اضافة نسيان كل شيء فان الفرق بينهما
واضح جدا • وقيل ان قوله لم انس راجع الى السلام اي سلمت قصدا بانيا على ما في اعتقادي اني صليت
اربعا وهذا جيد • وكان ذا اليدين فهم العموم فقال بلى قد نسيت • وكان هذا القول اوقع شكا
احتاج الى الاثبات الحاضرين • وبهذا التقدير يندفع ايراد من استشكل كون ذي اليدين عدلا ولم يقبل خبره
بمفرده فسبب التوقف فيه كونه اخبر عن امر يتعلق بفعل المسؤول مغايرا لما في اعتقاده • وبهذا يجاب
من قال ان من اخبر بامر حسي بحضرة جمع لا يخفى عليهم ولا يجوز التواطؤ عليهم ولا حامل لهم على السكوت عنه
ثم لم يكذبوه انه لا يقطع بصدقه فان سبب عدم القطع كون خبره معارضا باعتقاد المسؤول خلاف ما
اخبر به • وفيه ان الثقة اذا انفرد بزيادة خبر وكان المجلس متحدا وامتنع في العادة غفلتهم عن ذلك انه
لا يقبل خبره • وفيه جواز البناء على الصلوة لمن اتى بالمنافي سهوا • وقال سحنون انما يبني من سلم من
ركعتين كما في قصة ذي اليدين لان ذلك وقع على غير القياس فيقتصر به على مورد النص والزم بقصر ذلك
على احدى صلاتي العشاء فيمنعه مثلا في الصبح • والذين قالوا بجواز البناء مطلقا قيدوه بما اذا لم
يطل الفصل • وفيه ان الكلام سهوا لا يقطع الصلوة خلافا للحنفية • واستدل به على ان تعمد
الكلام لمصلحة الصلوة لا يبطلها • وتعقب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم الا ناسيا • واما قول ذي
اليدين له بلى قد نسيت وقول الصحابة له صدق ذو اليدين فانهم تكلموا معتقدين للنسخ في وقت يمكن وقوعه

ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين واجيب بانه معارض بحديث ابن سعيد عند مسلم ولفظه اذا
شك احدكم في صلوته فلم يدر كم صلى فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين
قبل ان يسلم • وبه تمسك الشافعية وجمع بينهما بحمل الصورتين على حالتين ورجح البيهقي
طريقة التخيير في سجود السهو قبل السلام او بعده • ونقل الماوردي الاجماع على الجواز
وانما الخلاف في الافضل وكذا اطلق النووي • وتعقب بان امام الحرمين نقل في
النهاية الخلاف في الاجزاء عن المذهب واستبعد القول بالجواز ويمكن ان يقال الاجماع
الذي نقله الماوردي والنووي قبل هذه الاراء في المذهب المذكورة والله اعلم قاله
الحافظ ابن حجر رحمه الله • ولو سهى سهوين فاكثر كفاه عند الشافعي ومالك وابي حنيفة
واحمد سجدتان للجميع والجمهور انه يسجد للسهو في التطوع كالفرض

الفصل الخامس فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من الصلوة وجلوسه بعدها
وسرعة انفتاله بعدها عن ثوبان كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انصرف
من الصلوة استغفر ثلثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال
والاكرام • رواه مسلم • ولم يمكث مستقبل القبلة الا مقدار ما يقول ذلك
وقد ثبت انه كان اذا صلى اقبل على اصحابه فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلوة على انه
كان يقوله بعد ان يقبل على اصحابه بوجهه الشريف فقد كان عليه السلام يسرع الالتفات
الى المأمومين • وكان ينفتل عن يمينه وعن شماله • وقال ابن مسعود رأيته صلى الله عليه وسلم
كثيرا ينصرف عن يساره • رواه الشيخان • وقال انس اكثر ما رأيته صلى الله عليه وسلم
ينصرف عن يمينه • رواه مسلم • وقالت ام سلمة كان اذا سلم مكث في مكانه يسيرا فنرى والله
اعلم لكي ينصرف النساء قبل ان يدركهن الرجال • رواه البخاري • وقالت عائشة كان لم يقعد الا
مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام • رواه مسلم • وفي
هذا الحديث يتمسك به من قال ان الدعاء قبل الصلوة لا يشرع • والجواب ان المراد بالنفي
المذكور نفي استمراره عليه السلام جالسا على هيئته قبل السلام الا بقدر ان يقول ما ذكر
وكان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد • رواه الشيخان
من حديث المغيرة بن شعبة • وكان يقول باعلى صوته لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه
له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن الجميل لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
رواه مسلم من حديث عبد الله بن الزبير • وعن سعد انه يعلم بنيه هؤلاء الكلمات ويقول ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر كل الصلوة اللهم اعوذ بك من الجبن و

واعوذ

واعوذ بك من البخل واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر • رواه البخاري
وعن زيد بن ارقم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلوة اللهم ربنا ورب كل شيء
انا شهيد انك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان محمدا عبدك ورسولك
اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصا لك
واهلي في كل ساعة من الدنيا والاخرة يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب الله اكبر الله الاكبر الله نور السموات
والارض الله الاكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله الاكبر الله الاكبر • رواه ابو داود واحمد • واما
ما اعتاده الناس اليوم من الدعاء بعد السلام من الصلوة مستقبل القبلة سواء المنفرد والامام
والمأموم فلم يكن ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم اصلا ولا روي عنه باسناد صحيح ولا حسن
وخصص بعضهم ذلك بصلوتي الفجر والعصر ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا
ارشد اليه امته وانما هو استحسان ممن رآه عوضا من السنة بعدها قال وعامة الادعية
المتعلقة بالصلوة انما فعلها فيها وامر بها فيها قال وهذا هو اللائق بحال المصلي فانه مقبل على
ربه يناجيه فاذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربه فكيف يترك سؤاله في حال المناجاة
والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل اذا انصرف عنه • ثم قال لكن الاذكار الواردة بعد المكتوبة
يستحب لمن اتى بها ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان يفرغ منها ويدعو بما شاء ويكون دعاؤه
عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة انتهى • وقد كان في خاطري من دعوى
النفي مطلقا شيء لما سيأتي ثم رأيت شيخنا امام الحفاظ ابا الفضل ابن حجر تعقبه فقال وما ادعاه
من النفي مطلقا مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ والله اني لاحبك فلا
تدع دبر كل صلوة ان تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك • اخرجه ابو داود والنسائي
وحديث زيد بن ارقم سمعته صلى الله عليه وسلم يدعو في دبر الصلوة اللهم ربنا ورب كل شيء • اخرجه
ابو داود والنسائي • وحديث صهيب رفعه كان يقول اذا انصرف من الصلوة اللهم اصلح لي ديني • اخرجه
النسائي وصححه ابن حبان وغير ذلك • ثم قال فان قيل المراد بدبر الصلوة قرب آخرها وهو التشهد
قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر الصلوة والمراد به بعد السلام اجماعا فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه و
قد اخرج الترمذي من حديث ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات
المكتوبة • وقال حسن • واخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعاء بعد المكتوبة افضل
من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة • قال وفهم كثير من الحنابلة ان مراد ابن القيم نفي الدعاء
بعد الصلوة مطلقا وليس كذلك فان حاصل كلامه انه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة
وايراده عقب السلام • واما اذا انفتل بوجهه او قدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان
بالدعاء حينئذ انتهى • وكان يقوم عليه الصلوة حين يتم الصلوة في المسجد اذا أم قليلا
جلس واذا ام جماعة صلى • رواه ابو داود • وقال ابو مسعود البدري كان صلى الله عليه وسلم

بسوي مناكبنا في الصلوة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. رواه مسلم. وقال ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فقمت عن يساره فاخذني بيدي من وراء ظهري فعدلني كذلك من وراء ظهري الى الشق الايمن رواه البخاري ومسلم. وقال انس سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الايمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلوة فصلى بنا قاعدا فصلينا وراءه قعودا فلما قضى الصلوة قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فاركعوا حتى قال واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا اجمعين زاد بعض الرواة واذا صلى قائما فصلوا قياما. رواه البخاري ومسلم. قال الحميدي ومعانيه في سائر الروايات متقاربة. وزاد البخاري قوله اذا صلى جالسا فصلوا جلوسا هو في مرضه القديم وقد صلى في مرضه الذي مات فيه جالسا والناس خلفه قياما ثم لم يأمرهم بالقعود وانما يؤخذ بالآخر فالآخر من امره صلى الله عليه وسلم. انتهى. وقال الشافعي وابو حنيفة وجمهور السلف لا يجوز للقادر على القيام ان يصلي خلف القاعد الا قائما. واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم صلى في مرض موته بعد هذا قاعدا وابو بكر والناس خلفه قياما وان كان بعض العلماء زعم ان ابا بكر رضي الله عنه كان هو الامام والنبي صلى الله عليه وسلم مقتديا به لكن الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان هو الامام.

الباب الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة

عن انس بن مالك قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقال ما هذه فقال هذه الجمعة فضلت بها انت وامتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد فقال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا افيح فيه كثب من مسك فاذا كان يوم الجمعة انزل الله ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله انا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني اعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وفيه استوى ربك على العرش. رواه الشافعي في مسنده. وروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة. وروى البيهقي في الدعوات من حديث انس كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان يقول ليلة الجمعة ليلة اغر ويوم الجمعة يوم ازهر وليوم الجمعة من الخصوص ما يبلغ ... ذكرها ابن القيم في الهدي النبوي لا يحتمل ذكرها هنا خشية من غرض. وهو افضل ايام الاسبوع كما ان عرفة افضل ايام العام. وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة. ولهذا كان لوقفة

الجمعة يوم عرفة مزية على سائر الايام. وقال ابو امامة بن النقاش يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم النحر افضل ايام العام. قال وغير هذا لا يتكلم فانه من اعتراض يعجز عن دفعه. انتهى. وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد. رواه البخاري. وفي رواية ابن عيينة عن ابي الزناد عند مسلم نحن الآخرون ونحن السابقون اي الآخرون زمانا والاولون منزلة والمراد باليوم يوم الجمعة. وقوله بيد بفتح الموحدة واسكان المثناة من تحت وفتح الدال المهملة اي غير. واذا عرف هذا فقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم لاجله فان قيل هل في العقل وجه يدل على ان يوم الجمعة افضل من السبت والاحد وذلك لان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدء الخلق والتكوين في يوم الاحد وتمام في يوم الجمعة فكان النزاع يوم السبت فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدء الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا عيدا لنا فهذان اليومان معقولان فما الوجه في جعل يوم الجمعة عيدا. فالجواب ان يوم الجمعة هو يوم الكمال والتمام وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة يوم العيد اولى من هذا الوجه. والله اعلم. قال ابن بطال وليس المراد في الحديث انه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ان يترك ما فرض الله تعالى عليه وهو مؤمن وانما يدل والله اعلم انه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا الى الجمعة كذا قال. لكن قد روى ابن ابي حاتم عن السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فابوا ولفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وهم القائلون سمعنا وعصينا. ويحتمل قوله فهدانا الله له بان نص لنا عليه وان يراد الهداية اليه بالاجتهاد. ويشهد له ما رواه عبد الرزاق باسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان تنزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وانزل الله تعالى بعد ذلك اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة. وهذا وان كان مرسلا فله شاهد باسناد حسن اخرجه احمد وابو داود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة من حديث كعب ابن مالك قال كان اول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسعد بن زرارة

فمرسل ابن سيرين يدل على ان اولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع من ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها ولذلك جمّع بهم اول ما قدم المدينة انتهى • وقال ابن اسحق لما قدم عليه السلام المدينة اقام بقبا في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة في بني سالم فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تاسيس مسجده • وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس • رواه البخاري من حديث انس وفي رواية اذا اشتد البرد بكّر بالصلوة واذا اشتد الحر ابرد بالصلوة يعني الجمعة وفي رواية سهل بن سعد عند البخاري ومسلم كنا نصلي معه صلى الله عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد الجمعة • ثم اعلم ان الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها • وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من صلوة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلوة الظهر ولم يكن يؤذن في زمانه صلى الله عليه وسلم على المنار وبين يديه وانما كان بلال يؤذن وحده بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر كما صرح به ائمة الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم وعبارة البرهان المرغيناني من ائمة الحنفية في هدايته واذا صعد الامام المنبر جلس واذّن المؤذن بين يدي المنبر بذلك جرى التوارث ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الاذان • وعبارة ابن الحاجب من المالكية ويحرم السعي عند اذان جلوس الخطبة وهو المعهود فلما كان عثمان وكثروا امر باذان قبله على الزوراء ثم نقله هشام الى المسجد وجعل الآخر بين يديه انتهى • ونحوه قال ابن الحق في تهذيب الطالب • واما قول ابن زيد في رسالته وهذا الاذان الثاني احدثه بنو امية فقال الشارحون الفاكهاني وغيره يعني الثاني في الاحداث وهو الاول في الفعل قال وكان بعض شيوخنا يقول الاول هو الثاني والثاني هو الاول ومشاوه ما تقدم انتهى • وعبارة الزركشي كغيره من الشافعية • ويجلس الامام على المستراح ليستريح من تعب الصعود ثم يؤذن المؤذن بعد جلوسه فان التاذين كان حين يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قبله اذان فلما كان زمن عثمان رضي الله عنه وكثر الناس امرهم بالتاذين ثانيا ثم يديم الجلوس الى فراغ المؤذن انتهى وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء • رواه البخاري • وقال الزوراء موضع بالسوق بالمدينة • وفي رواية له ايضا ان التاذين الثاني يوم الجمعة امر به عثمان حين كثر اهل المسجد وهو يفسر ما يشير به قول ابن زيد • وعند ابن خزيمة كان الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر اذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة قوله اذانين يريد الاذان والاقامة تغليبا او لاشتراكهما في الاعلام • وللنسائي كان بلال يؤذن اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فاذا نزل اقام • وفي رواية وكيع عن ابن ابي

فامر عثمان بالاذان الاول • ونحوه للامام الشافعي من هذا الوجه قال في فتح الباري ولا منافاة بينهما لانه باعتبار كونه مزيدا يسمى ثالثا وباعتبار كونه مقدما على الاذان والاقامة يسمى اولا واما قوله في رواية البخاري ان التاذين الثاني فمتوجه بالنظر الى الاذان الحقيقي لا الاقامة • وقال الشيخ خليل في التوضيح واختلف النقل هل كان يؤذن بين يديه عليه الصلوة والسلام او على المنار الذي نقله اصحابنا انه كان على المنار نقله ابن القاسم عن مالك في المجموعة ونقل ابن عبد البر في كافيه عن مالك ان الاذان بين يدي الامام ليس من الامر القديم • وقال غيره هو اصل الاذان في الجمعة وكذلك نقل صاحب تقريب الطالب والمازري • وفي الاستذكار انه هذا اشتبه على بعض اصحابنا وانكر ان يكون الاذان يوم الجمعة بين يدي الامام كان في زمنه عليه الصلوة والسلام وابي بكر وعمر وانه للنخعي في زمن هشام قال وهذا قول من قل علمهم استشهد بحديث السائب بن يزيد المروي في البخاري السابق • ثم قال وقد رفع الاشكال فيه ابن اسحق عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة وابو بكر وعمر • انتهى • والحكمة في جعل الاذان في هذا المحل ليعرف الناس بجلوس الامام على المنبر فينصتون له اذا خطب • قاله المهلب • قال في فتح الباري وفيه نظر فان في سياق محمد بن اسحق عند الطبراني وغيره في هذا الحديث ان بلالا كان يؤذن على باب المسجد فالظاهر انه كان لمطلق الاعلام لا لخصوص الانصات • والذي يظهر ان الناس اخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد اذ ذاك لكونه كان خليفة مطاع الامر • لكن ذكر الفاكهاني ان اول من احدث الاذان الاول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد • وفي تفسير جويبر عن الضحاك عن معاذ ان عمر رضي الله عنه امر مؤذنين ان يؤذنا للناس الجمعة خارجا عن المسجد حتى يسمع الناس وامر ان يؤذن بين يديه كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر ثم قال عمر انا ابتدعناه لكثرة المسلمين وهذا منقطع بين مكحول ومعاذ ولا يثبت • وقد تواترت الاخبار ان عثمان هو الذي زاده فهو المعتمد وقد روى عبد الرزاق ما يقوي هذا الاثر عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى اول من زاد الاذان بالمدينة عثمان فقال عطاء كلا انما كان يدعو الناس ولا يؤذن غير اذان واحد • انتهى • لكن عطاء لم يدرك عثمان بن عفان فرواية من اثبت ذلك عنه مقدمة على انكاره • ويمكن الجمع بان الذي كان في زمن عمر بن الخطاب استمر على عهد عثمان ثم رأى ان يجعله اذانا وان يكون على مكان عال ففعل ذلك فنسب اليه لكونه بالفاظ الاذان وترك ما كان يفعله عمر لكونه مجرد اعلام • وروى ابن ابي شيبة عن ابن عمر قال الاذان الاول يوم الجمعة بدعة فيحتمل ان يكون ذلك على سبيل الانكار ويحتمل ان يكون اراد انه لم يكن في زمنه عليه السلام يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون غير ذلك وتبين ان فعل عثمان رضي الله عنه كان اجماعا سكوتيا لانهم لم ينكروه عليه انتهى • واول جمعة جمّعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه كما قدمناه في حديث الهجرة في بني سالم في بطن واديهم فخطبهم

وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من الآخرة ومن يصل الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد وهو الذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وسخطه وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم • ذكر هذه القرطبي في تفسيره وغيره

وقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب متوكئا على قوس أو عصا • وفي سنن ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا • وعن أبي داود بإسناد حسن أنه صلى الله عليه وسلم قام متوكئا على قوس أو عصا • قالوا والحكمة في التوكؤ على نحو السيف الإشارة إلى أن هذا الدين قام بالسلاح • ولهذا قبضه باليسرى كعادة من يريد الجهاد • ونازع فيه العلامة ابن القيم في الهدي النبوي وقال إن الدين لم يقم إلا بالقرآن والوحي كذا قال • والله أعلم

وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما • رواه مسلم من رواية جابر بن سمرة • وفي رواية له كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس • وفي حديث ابن عمر عند أبي داود كان عليه السلام يخطب خطبتين كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم فيخطب • وقال ابن المنذر الذي عليه أهل العلم من علماء الأمصار الخطبة قائما • ونقل غيره عن أبي حنيفة أن القيام في الخطبة سنة وليس بواجب • وعن مالك رواية أنه

واجب فإن تركه أساء وصحت الخطبة • وعند الباقين أن القيام شرط يشترط للقادر كالصلاة • واستدل للجمهور بحديث جابر بن سمرة وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام وبمشروعية الجلوس بين الخطبتين فلو كان القعود مشروعا في الخطبتين ما احتيج إلى الفصل بالجلوس ولأن الذي نقل عنه القعود وهو معاوية كان معذورا • فعند ابن أبي شيبة من طريق الشعبي أن معاوية إنما خطب قاعدا لما كثر شحم بطنه • واستدل الشافعي بوجوب الجلوس بين الخطبتين بما تقدم وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك

وكان صلى الله عليه وسلم يقول بعد الثناء أما بعد كما في البخاري

وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي • رواه مسلم والنسائي من حديث جابر • وفي رواية له كانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته • وذكر نحوه • وفي رواية أخرى كان يخطب الناس يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله ثم ذكر نحو ما تقدم • وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت ما أخذت ق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس • رواه مسلم • وعن الحكم بن حزن الكلفي قال قدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سابع سبعة أو تاسع تسعة فلبثنا عنده أياما شهدنا فيها الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على قوس أو قال على عصا فحمد الله وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال يا أيها الناس إنكم لن تفعلوا ولن تطيقوا كل ما أمرتكم به ولكن سددوا وأبشروا • رواه أحمد وأبو داود • وعن يعلى بن أمية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك • رواه البخاري ومسلم • وعن أبي الدرداء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة فقال توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا وأكثروا الصدقة ترزقوا وأمروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن المنكر تنصروا أيها الناس إن أكيسكم أكثركم ذكرا للموت وأكرمكم أحسنكم استعدادا له ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور • رواه ورواه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله مختصرا بنحوه • وفي مراسيل أبي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسأل الله

ربنا الله يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فانما نحن به وله وعنه ايضا
قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب كل ما هو آت قريب لا بعد
لما هو آت يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شاء الله كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب الله
ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شيء الا باذن الله عز وجل • وقال جابر كان صلى الله عليه وسلم اذا
خطب يوم الجمعة يقول بعد ان يحمد الله ويصلي على انبيائه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى
معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ان العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا
يدري ما الله قاض فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه
ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذي نفسي بيده ما بعد الموت
من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم و
عن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال الا ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر
والفاجر الا وان الآخرة اجل صادق ويقضي فيها ملك قادر الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة
الا وان الشر كله بحذافيره في النار الا فاعملوا وانتم على حذر واعلموا انكم معروضون على اعمالكم
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه الشافعي وعند ابو نعيم
في الحلية نحوه • واختلف هل يجب الانصات ويمنع من جميع انواع الكلام حال الخطبة ام لا
وعن الشافعي في المسألة قولان مشهوران وبناهما بعض الاصحاب على الخلاف في ان الخطبتين
بدلا عن الركعتين ام لا فعلى الاول يحرم لا على الثاني والثاني هو الارجح عندهم فمن ثم اطلق من
اطلق منهم اباحة الكلام حتى شنع عليهم من شنع من المخالفين • وعن احمد ايضا روايتان وعنهما
ايضا التفرقة بين من يسمع الخطبة وبين من لم يسمعها • واغرب ابن عبد البر فنقل الاجماع
على وجوب الانصات على من سمعها الا عن قليل من التابعين • ودخل ابو سليك الغطفاني
وهو صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له صلى الله عليه وسلم صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين
رواه البخاري ومسلم وابو داود • واستدل به على ان الخطبة لا يمنع الداخل من صلوة تحية
المسجد • وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها فيحتمل اختصاص سليك به ويدل
عليه قوله في حديث ابي سعيد عند اهل السنن جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بهيئة بذة
فقال له اصليت قال لا قال صل ركعتين وحض الناس على الصدقة الحديث فامره ان يصلي ليراه
الناس وهو قائم يصلي فيتصدقوا عليه • وورد ايضا ما يؤيد الخصوصية وهو ما اخرجه ابن حبان
وهو قوله صلى الله عليه وسلم لسليك في آخر الحديث لا تعودن لمثلها ومما يضعف الاستدلال
به على جواز التحية في تلك الحالة انهم اطلقوا ان التحية تفوت بالجلوس هذا ما اعتقده
من طعن في الاستدلال بهذه القصة على جواز التحية وكله مردود لان الاصل عدم الخصوصية
والتعليل بانه عليه السلام قصد التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية فان المانعين منها

لا يجيزون التطوع لعلة التصدق • قال ابن المنير لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع
عند طلوع الشمس وسائر الاوقات المكروهات ولا قائل به • ومما يدل على ان امره بالصلوة
لم ينحصر في قصد التصدق معاودته عليه السلام بامره بالصلوة في الجمعة الثانية بعد ان
حصل له في الجمعة الاولى ثوبين فدخل بهما في الثانية فتصدق باحدهما فنهاه صلى الله عليه وسلم
عن ذلك • اخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث ابي سعيد ايضا ولاحمد وابن حبان انه كرر
امره بالصلوة ثلاث مرات في ثلاث جمع فدل على ان قصد التصدق عليه جزء علة لا علة
كاملة • واما اطلاق من اطلق ان التحية تفوت بالجلوس فقد حكى النووي في شرح
مسلم عن المحققين ان ذلك في حق العامد العالم اما الجاهل او الناسي فلا وحال هذا الداخل محمولة
في الاولى على احدهما وفي المرتين الاخيرتين على النسيان والحامل للمانعين على التأويل المذكور
انهم زعموا ان ظاهره معارض للامر بالانصات والاستماع للخطبة • وقد اجاب الحافظ
ابن حجر عن ذلك وغيره من ادلتهم بما ينبغي بما يطول ذكره ثم قال وهذه الاجوبة التي قدمناها
تندفع من اصلها بعموم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث قتادة اذا دخل احدكم المسجد فلا
يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه • قال وورد اخص منه في حال الخطبة ففي
رواية شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يخطب اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين متفق عليه
ولمسلم من طريق ابي سفيان عن جابر انه قال ذلك في قصة سليك فليركع ركعتين و
ليتجوز فيهما قال النووي هذا نص لا يتطرق اليه التأويل ولا اظن عالما يبلغه هذا
اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه • وقال العارف ابو محمد محمد بن ابي جمرة هذا الذي
اخرجه مسلم نص في الباب لا يحتمل التأويل • وقد غلط من قال انما امره صلى الله عليه وسلم
بسنة الجمعة التي قبلها ومستندهم قوله عليه السلام في قصة سليك عند ابن ماجه
أصليت ركعتين قبل ان تجيء لان ظاهره قبل ان تجيء من البيت • ولهذا قال الاوزاعي ان كان صلى في البيت
قبل ان يجيء فلا يصلي في المسجد اذا دخل المسجد • وتعقب بان المانع من صلوة التحية لا يجيز
التنفل حال الخطبة مطلقا • ويحتمل ان يكون معنى قوله قبل ان تجيء اي الى الموضع الذي انت به الآن
وفائدة الاستفهام احتمال ان يكون صلاهما في مؤخر المسجد ثم تقدم ليقرب من سماع الخطبة
ويؤيده ان في رواية مسلم اصليت الركعتين بالالف واللام وهي للعهد ولا عهد هناك اقرب
من تحية المسجد • واما سنة الجمعة التي قبلها فيأتي الكلام فيها ان شاء الله تعالى • ان
وكانت صلوته صلى الله عليه وسلم قصدا وخطبته قصدا • رواه مسلم والترمذي من رواية جابر بن
سمرة • زاد في رواية ابي داود يقرأ بآيات من القرآن ويذكر الناس • وله في اخرى كان لا يطيل
الموعظة يوم الجمعة انما هو كلمات يسيرات • وعن عمرو بن حريث انه صلى الله عليه وسلم خطب

او قد خرج

وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه. رواه مسلم. قال ابن القيم في الهدي: وكان عليه الصلوة والسلام إذا اجتمع الناس خرج إليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد، فإذا دخل المسجد سلم عليهم، فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم جلس ثم يأخذ بلال في الأذان، فإذا فرغ قام صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة لا بإيراد خبر ولا غيره. ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل أن يتخذ المنبر، وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالإنصات. انتهى. وينظر في قوله ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل أن يتخذ المنبر.

وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة الجمعة في الركعة الأولى وإذا جاءك المنافقون في الثانية. رواه مسلم والترمذي وأبو داود. والحكمة في قراءته صلى الله عليه وسلم بسورة الجمعة اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك، وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ المنافقين الحاضرين وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها. وفي حديث النعمان بن بشير عند مسلم: وكان يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية. وقد اختلف في العدد الذي تنعقد به الجمعة وللعلماء فيه خمسة عشر قولا: أحدها يصح من الواحد، نقله ابن حزم. الثاني اثنان كالجماعة وهو قول النخعي وأهل الظاهر. الثالث اثنان مع الإمام عند أبي يوسف ومحمد والليث. الرابع ثلاثة معه عند أبي حنيفة وسفيان الثوري. الخامس سبعة عند عكرمة. السادس تسعة عند ربيعة. السابع اثنا عشر عن ربيعة أيضا في رواية. الثامن مثله غير الإمام عند إسحاق. التاسع عشرون في رواية ابن حبيب عن مالك. العاشر ثلاثون كذلك. الحادي عشر أربعون بالإمام عند إمامنا الشافعي، واشترط كونهم أحرارا بالغين عقلاء مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء إلا لحاجة، وأن يكونوا حاضرين من أول الخطبة إلى أن تقام الجمعة. وحجة الشافعي ما رواه الدارقطني وابن ماجه والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره فإذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان صلى على أبي أمامة واستغفر له، قال فمكث كذلك حينا لا يسمع الأذان في الجمعة إلا فعل ذلك، فقلت له يا أبت استغفارك لأبي أمامة كلما سمعت أذان الجمعة ما هو؟ قال أي بني هو أول من جمع بالمدينة، قلت له كم كنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلا. وقال جابر بن عبد الله: مضت السنة أن في كل ثلاثة إماما وفي كل أربعين فما فوق ذلك جمعة. أخرجه الدارقطني. وروى البيهقي عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا أربعين رجلا. قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري تبعا للنووي في المجموع: قال أصحابنا: وجه الدلالة أن الأمة أجمعوا على اشتراط العدد والأصل الظهر فلا تصح الجمعة إلا بعدد ثبت فيه توقيف، وقد ثبت جوازها بأربعين، وثبت صلوا كما رأيتموني أصلي، ولم يثبت

صلوتهم لها بأقل من ذلك فلا يجوز بأقل منه. قال: وأما خبر انفضاضهم فلم يبق إلا اثنا عشر فليس فيه أنه ابتدأها باثني عشر بل يحتمل عودهم أو عود غيرهم مع سماعهم أركان الخطبة. وفي مسلم انفضوا في الصلوة، وهي محمولة على الخطبة جمعا بين الأخبار. انتهى. الثاني عشر أربعون غير الإمام عند الشافعي أيضا، وبه قال عمر بن عبد العزيز وطائفة. الثالث عشر خمسون عند أحمد في رواية، وحكيت عن عمر بن عبد العزيز. الرابع عشر ثمانون حكاه المازري. الخامس عشر جمع كثير بغير حصر. ولعل هذا الأخير أرجحها من حيث الدليل. قاله في فتح الباري.

الباب الثالث في ذكر تهجده صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ومن الليل فتهجد به نافلة لك، أي بالقرآن، والمراد منه الصلوة المشتملة على القرآن. والهجود في اللغة النوم. وعن أبي عبيدة: الهاجد النائم والهاجد المصلي بالليل. وعن الأزهري: الهاجد النائم. وقال المازري: التهجد الصلوة بعد الرقاد ثم صلوة أخرى بعد رقدة. قال: وهكذا كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: وقوله نافلة لك أي عبادة زائدة في فرائضك. ويمكن نصرة هذا القول بأن قوله فتهجد أمر، وصيغة الأمر للوجوب، فيجب كون هذا التهجد واجبا. وروى الطبري عن ابن عباس أن النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لأنه أمر بقيام الليل وكتب عليه دون أمته، وإسناده ضعيف. وقيل معناه زيادة لك خالصة لأن تطوع غيره يكفر ما على صاحبه من ذنب، وتطوعه هو صلى الله عليه وسلم يقع خالصا لكونه لا ذنب عليه، فكل طاعة يأتي بها صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة إنما تكون لزيادة الدرجات وكثرة الحسنات، ولهذا سمي نافلة بخلاف الأمة فإن لهم ذنوبا محتاجة إلى الكفارات، فهذه الطاعات يحتاجون إليها لتكفير الذنوب والسيئات. وروى مسلم من طريق سعد بن هشام عن عائشة قالت: إن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة يعني يا أيها المزمل، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة. وروى محمد بن نصر في قيام الليل من طريق سماك عن ابن عباس شاهدا لحديث عائشة في أن بين الإيجاب والنسخ سنة. وحكى الشافعي عن بعض أهل العلم أن آخر السورة نسخ افتراض قيام الليل إلا ما تيسر منه، ثم نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس. وروى محمد بن نصر من حديث جابر أن نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مع أبي عبيدة في جيش الخبط، وكان ذلك بعد الهجرة، لكن في إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. وقد نسخ وجوب قيام الليل في حقنا، وهل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم؟ أكثر الأصحاب: والصحيح نعم. ونقله الشيخ أبو حامد عن النص. وقالت عائشة: قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه، وفي رواية حتى تفطرت قدماه، فقلت له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا. قالت: فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع. رواه البخاري ومسلم. والفاء في قوله أفلا أكون عبدا شكورا للسببية، وهي عن محذوف تقديره أأترك تهجدي فلا أكون عبدا شكورا. والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف

قال ابن بطال في هذا الحديث أخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم ذلك فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار • انتهى • ومحل ذلك كما قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما لم يفض ذلك الى الملال لان حال النبي صلى الله عليه وسلم كانت اكمل الاحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وان اضر ذلك ببدنه بل صح انه عليه الصلوة قال وجعلت قرة عيني في الصلوة • كما اخرجه النسائي من حديث انس فاما غيره صلى الله عليه وسلم فاذا خشي الملل ينبغي له ان لا يكد نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا • انتهى • لكن ربما دست النفس او الشيطان على المجتهد في العبادة بمثل ما ذكر خصوصا اذا كبر فيقول قد ضعفت وكبرت فابق على نفسك لئلا ينقطع عملك بالكلية • وهذا وان كان ظاهره جميلا لكن فيه دسايس فانه اذا اطاعه فيكون استدراجا يؤول به الى ترك العمل شيئا فشيئا الى ان ينقطع بالكلية • وما ترك سيد المرسلين المغفور له شيئا من عمله بعد كبره نعم كان يصلي بعض ورده جالسا بعد ان كان يقوم حتى تفطرت قدماه فكيف بمن اثقلت ظهره الاوزار ولا يأمن عذاب النار ان يغفل حال شبيبته وتوانى عند ظهور شيبه فينبغي للانسان ان يستعد قبل حلول مشيبه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك فان من شاب فقد لاح صبح سواد ليل شعره • وقد قال تعالى منذرا لمن يدخل في الصباح ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فكيف يقرب من دخل في الصباح وظهر كوكب نهاره في افق رأسه ولاح • قال القرطبي ظن من سأله صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم ان هناك طريقا آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وايصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئا فيتعين كثرة الشكر على ذلك والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا ومن ثم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور • وفيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه تعالى • قال العلماء انما الزم الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد والله اعلم • انتهى •

ذكر سياق صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل • عن شريح بن هانئ قالت عائشة رضي الله عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل علي الا صلى اربع ركعات او ست ركعات • رواه ابو داود وكان يقوم اذا سمع الصارخ • رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وهو يصرخ في النصف الثاني من الليل • (الصارخ الديك)
وقالت كان عليه السلام ينام اول الليل ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج • رواه الشيخان • وقالت ايضا كان عليه السلام

ربما اغتسل في اول الليل وربما اغتسل في آخره وربما اوتر في اول الليل وربما اوتر في آخره وربما جهر بالقراءة وربما خفت • وقالت ام سلمة كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح • رواه ابو داود والترمذي والنسائي • وفي رواية للنسائي كان يصلي العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شاء الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الآخرة تكون الى الصبح • وعن انس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رأيناه • رواه النسائي وكان اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك لذنبي واسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب • رواه ابو داود من حديث عائشة • وعنها كان عليه السلام اذا هب من الليل كبر عشرا وحمد الله عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان الملك القدوس عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم اني اعوذ بك من ضيق الدنيا ومن ضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلوة • رواه ابو داود وقد روى حديث قيامه بالليل ووتره عائشة وابن عباس • قال ابن القيم واذا اختلف ابن عباس وعائشة في شيء من امر قيامه عليه السلام بالليل فالقول قول عائشة لكونها اعلم الخلق بقيامه بالليل • انتهى • فاما حديث ابن عباس فرواه البخاري ومسلم بلفظ بت عند خالتي ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها فتحدث صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر او بعضه قعد فنظر الى السماء فقرأ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى ختم السورة ثم قام الى القربة فاطلق شناقها ثم صب في الجفنة ثم توضأ وضوءا حسنا بين الوضوءين لم يكثر وقد ابلغ فقام فصلى فقمت فتوضأت فقمت عن يساره فاخذ باذني فادارني عن يمينه فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فآذنه بلال بالصلوة فصلى ولم يتوضأ وكان في دعائه اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وتحتي نورا وخلفي نورا وامامي نورا واجعل لي نورا • (وفوقي نورا) وزاد بعضهم وفي لساني نورا وذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري • وفي رواية فصلى ركعتين خفيفتين قلت قرأ فيهما بام الكتاب في كل ركعة ثم سلم ثم صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام فاتاه بلال فقال الصلوة يا رسول الله فقام فركع ركعتين ثم صلى للناس وفي رواية فقام فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل • وفي رواية فصلى ركعتين ركعتين حتى صلى ثمان ركعات ثم اوتر بخمس لم يجلس فيهن • وفي رواية النسائي انه صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام حتى استثقل فرأيته ينفخ فاتاه بلال الحديث • وفي اخرى لم فتوضأ واستاك ثم صلى ركعتين ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه ثم قام فتوضأ واستاك

[illegible]

ثم صلى ركعتين واوتر بثلاث • ولمسلم فاستيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ان في خلق السموات
والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين اطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف
فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ وهو
يقرأ هذه الآيات ثم اوتر بثلاث • واما حديث عائشة رضي الله عنها فعن سعد بن هشام قال
انطلقت الى عائشة فقلت يا ام المؤمنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست
تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلقه القرآن قلت يا ام المؤمنين انبئيني عن وتر رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله متى شاء ان يبعثه من الليل
فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده
ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليما
يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما
أسن واخذه اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول فتلك تسع يا بني
رواه مسلم • وللنسائي كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء ان يبعثه من
الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيهن الا عند الثامنة ويحمد الله تعالى ويصلي
على نبيه ويدعو بينهن ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ويقعد ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه
ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين وهو قاعد • زاد في اخرى فتلك احدى عشرة ركعة يا
بني فلما أسن صلى الله عليه وسلم واخذه اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول
ثم صلى ركعتين وهو جالس بعدما سلم قالت نعم يا بني • وفي رواية له فصلى ست ركعات يخيل
اليه انه سوى بينهن في القراءة والركوع والسجود ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم يضع
جنبه • وعن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلوته بركعتين خفيفتين
رواه مسلم واحمد • وعنها كان النبي عليه السلام يصلي فيما بين ان يفرغ من صلوة العشاء الى الفجر
احدى عشرة ركعات ويسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة قدر ما يقرأ احدكم خمسين
آية قبل ان يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلوة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين
ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة رواه ابو داود • وعنها رضي الله عنها قالت
كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء الا في آخرها • رواه البخاري ومسلم
وفي البخاري عن مسروق سألت عائشة عن صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبعا
وتسعا واحدى عشرة سوى ركعتي الفجر • وعنده ايضا عن القاسم بن محمد عنها كان النبي صلى الله عليه
وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر وركعتا الفجر • قال القرطبي اشكلت روايات
روايات عائشة على كثير من اهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها الى الاضطراب • وهذا انما يتم
لو كان الراوي عنها واحدا او اخبرت عن وقت واحد والصواب ان كل شيء ذكرته من ذلك

محمول على اوقات متعددة واحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز • انتهى • فاما ما اخرجه
بن مسروق فقد ذكر ان ذلك وقع منه في اوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعا وتارة تسعا وتارة
احدى عشرة • واما حديث القاسم فمحمول على ان ذلك كان غالب احواله • قيل والحكمة في عدم الزيادة على
احدى عشرة ان التهجد والوتر مختص بصلاة الليل وفرائض النهار الظهر وهي اربع والعصر وهي اربع
والمغرب وهي ثلاث وتر النهار فناسب ان تكون صلوة الليل كصلوة النهار في العدد جملة وتفصيلا
واما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلوة الصبح لكونها نهارية الى ما بعدها • انتهى • وعن زيد
بن خالد الجهني انه قال لارمقن صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة قال فصلى ركعتين خفيفتين
ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما
دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة • رواه مسلم • وقوله ثم صلى ركعتين وهما دون
اللتين قبلهما اربع مرات هكذا في صحيح مسلم وموطأ مالك وسنن ابي داود وجامع الاصول لابن
الاثير • فقد كان قيامه عليه السلام بالليل انواعا • احدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين
ثم يوتر بثلاث كما في حديث ابن عباس عند مسلم • ثانيها انه كان يفتتح صلوته بركعتين خفيفتين
ثم يتم ورده احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بركعة • رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة
ثالثها ثلاث عشرة كذلك • رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني • ورابعها ثماني ركعات يسلم
من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس الا في آخرهن رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس
خامسها تسع ركعات لا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعو ثم ينهض ولا يسلم فيصلي
التاسعة ثم يقعد ويحمده ويدعوه ثم يسلم ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم قاعدا • رواه مسلم من حديث
عائشة • سادسها يصلي سبعا كالتسع ثم يصلي بعدها ركعتين جالسا • رواه مسلم ايضا من حديثها
سابعها كان يصلي مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن • رواه احمد عنها • ثامنها ما رواه النسائي
عن حذيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فركع فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم
مثل ما كان قائما ثم جلس يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فما صلى الا اربع ركعات حتى جاءه بلال يدعوه الى
الصلوة • رواه ابو داود • ولفظه انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فكان يقول الله اكبر ثلاثا ذو
الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه
وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه يقول لربي الحمد
ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه فكان يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد
فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فصلى اربع ركعات قرأ فيهن البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة او الانعام شك شعبة • ورواه البخاري ومسلم بلفظ صليت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة
فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر بآية

فيها تسبيح سبّح واذا مرّ بسؤال سأل واذا مرّ بتعوّذ تعوّذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده زاد في رواية ربنا لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الاعلى فكان سجوده قريبا من قيامه • وزاد النسائي لا يمر باية تخويف او تعظيم لله عز وجل الا ذكره • وقد كانت هيئته عليه السلام ثلاثة احدها ان اكثر صلاته كان قائما • فعن حفصة قالت ما رأيته صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث • رواه احمد ومسلم والنسائي • وثانيها انه كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا • رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة بلفظ و اذا قرء وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد • الثالث كان يقرء قاعدا فاذا بقي يسير من قراءته قام فركع قائما • رواه مسلم من حديث عائشة ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا ويقرء وهو جالس فاذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين اية او اربعين اية قام وقرء وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك • وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي متربعا رواه الدارقطني • وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين بعد الوتر جالسا تارة ويقرء فيهما تارة وهو جالس فاذا اراد ان يركع قام فركع قالت عائشة كان يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين يقرء فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع قام فركع • رواه ابن ماجه • وعن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرء فيهما اذا زلزلت وقل يا ايها الكافرون • رواه احمد واختلف في هاتين الركعتين فانكرهما مالك • وكذا النووي في المجموع • وقال احمد لا افعله ولا امنعه • انتهى والصواب انه انما فعلهما ليبين جواز الصلاة بعد الوتر • ولفظ كان لا تفيد دواما ولا اكثرية هنا • وغلط من ظنهما سنة راتبة فانه صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشبه السنة بالفرض حتى يكون للوتر صلاة بعده • واما قيامه صلى الله عليه وسلم ليلة النصف من شعبان فعن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل يصلي فاطال السجود حتى ظننت انه قد قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عائشة او يا حميرا اظننت ان النبي قد خاس بك قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت انك قد قبضت لطول سجودك فقال اتدرين اي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم • قال هذه ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر اهل الحقد كما هم • رواه البيهقي من طريق العلاء بن الحارث عنها • وقال هذا مرسل جيد يعني ان العلاء لم يسمع من عائشة • وقد ورد في ليلة النصف من شعبان احاديث كثيرة لكن ضعفها الاكثر وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه • ومن امثلها كما نبه عليه الحافظ ابن رجب حديث عائشة قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع رأسه الى السماء فقال اكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله قلت يا رسول الله ظننت انك اتيت بعض نسائك فقال ان الله

تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب • رواه احمد • وقال الترمذي ان البخاري ضعفه • وفي سنن ابن ماجه باسناد ضعيف عن علي مرفوعا اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول الا من مستغفر فاغفر له الا مسترزق فارزقه الا مبتلى فاعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر • وقد كان التابعون من اهل الشام كخالد بن معدان ومكحول يجتهدون ليلة النصف من شعبان في العبادة وعنهم اخذ الناس تعظيمها ويقال انه بلغهم في ذلك اثار اسرائيلية • فلما اشتهر عنهم ذلك اختلف الناس فيه فمنهم من قبله ومنهم من انكره العلماء من اهل الحجاز منهم عطاء وابن ابي مليكة • ونقله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن فقهاء اهل المدينة وهو قول اصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة

واختلف علماء اهل الشام في صفة احيائها على قولين • احدهما انه يستحب احياؤها جماعة في المساجد وكان خالد بن معدان ولقمان بن عامر يلبسون فيها احسن ثيابهم ويتبخرون ويتكحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك • ووافقهم اسحق ابن راهويه على ذلك • وقال في قيامها في المساجد جماعة ليس ذلك ببدعة • نقله عنه حرب الكرماني في مسائله • والثاني انه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعا ولا يكره ان يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه • وهذا قول الاوزاعي امام اهل الشام وفقيههم وعالمهم • ولا يعرف للامام احمد كلام في ليلة النصف من شعبان • ويخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد فانه في رواية لم يستحب قيامها جماعة لانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه فعلها واستحبه في رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد الاسود لذلك وهو من التابعين • وكذلك قيام ليلة النصف لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه انما ثبت عن طائفة من التابعين من اعيان فقهاء الشام انتهى ملخصا من اللطائف • واما قوله تعالى في سورة الدخان انا انزلناه في ليلة مباركة فالمراد بها انزاله تعالى القران في ليلة القدر كما قال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران • قال الحافظ ابن كثير ومن قال انها ليلة النصف من شعبان • كما روي عن عكرمة فقد ابعد النجعة فان نص القران انها في رمضان

واما الحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري اخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة ابن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص انتهى

واما قيامه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان • وهو الذي يسمى بالتراويح جمع ترويحة وهي المرة الواحدة من الراحة • وسميت بذلك لانهم اول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين • فعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر

من رمضان احيى الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر • رواه البخاري ومسلم وابوداود والنسائي • ولمسلم قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الاخر ما لا يجتهد في غيره • وفي رواية الترمذي كان يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره • وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلوته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح قال قد رايت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت ان يفرض عليكم • وذلك في رمضان • رواه البخاري وابوداود • وفي رواية للبخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلوته فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع اكثر منهم فخرج عليه السلام في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فلما اصبح الناس يذكرون ذلك فكثر اهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلوته فلما كان الليلة الرابعة عجز المسجد عن اهله فلم يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون الصلوة فلا يخرج اليهم حتى خرج لصلوة الصبح فلما قضى الفجر اقبل على الناس ثم تشهد فقال اما بعد فانه لم يخف على شانكم الليلة ولكني خشيت ان يفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها • وفي رواية نحوه ومعناه مختصرا قال وذلك في رمضان • قال في فتح الباري ظاهر هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم توقع ترتب افتراض الصلوة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها • وفي ذلك اشكال • وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم في ان الشروع ملزم • وفيه نظر • واجاب المحب الطبري انه يحتمل ان يكون الله عز وجل اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلوة معهم افترضتها عليهم فاحب التخفيف عنهم • وقيل خشي ان يظن احد من الامة من مداومته عليها الوجوب • قال القرطبي اي يظنونه فرضا يجب على من ظن ذلك كما ان ظن المجتهد على حل شيء او تحريمه فانه يجب عليه العمل به • وقد استشكل الخطابي اصل هذه الخشية مع ثبت في حديث الاسراء من ان الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي فاذا امن التبديل فكيف يقع الخوف من الزيادة وهذا يدفع في صدر الاجوبة المتقدمة • واجاب عنه الخطابي بان صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وافعاله الشرعية يجب على الامة الاقتداء به فيها يعني عند المواظبة فترك الخروج اليهم لئلا يدخل ذلك في الواجب من طريق الامر بالاقتداء به لا من طريق انشاء فرض جديد زائد عن الخمس وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلاة نذر فتجب عليه ولا يلزم من ذلك زيادة فرض في اصل الشرع • ثم قال وفيه احتمال اخر وهو ان الله تعالى فرض الصلوة خمسين ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة فيما استوهب لها والتزمت ما استعفاهم نبيهم صلى الله عليه وسلم منه لم يستنكر ان يثبت ذلك فرضا عليهم

قال الحافظ ابن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن الخطابي جماعة كابن الجوزي وهو مبني على ان قيام الليل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء به وفي كل من الامرين نزاع • ثم اجاب بثلاثة اجوبة • احدها انه يحتمل ان يكون الخوف افتراض قيام الليل بمعنى جعل التهجد في المسجد جماعة شرطا في صحة التنفل بالليل قال ويومي اليه قوله في حديث زيد بن ثابت حتى خشيت ان يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا ايها الناس في بيوتكم فمنعهم من التجميع في المسجد اشفاقا عليهم من اشتراطه وامن مع اذنه في المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه عليهم • وثانيها ان يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الاعيان فلا يكون ذلك زائدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب اليه قوم في العيد ونحوها • ثالثها يحتمل ان يكون افتراض قيام رمضان خاصة فقد وقع في حديث الباب ان ذلك كان في رمضان • وفي حديث سفيان بن حسين خشيت ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر فعلى هذا يرتفع الاشكال لان قيام رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك زائدا على الخمس • واقوى هذه الاوجه الثلاثة في نظري الاول • وعن النعمان بن بشير قال قمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ليلة ثلث وعشرين الى ثلث الليل الاول ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين الى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننا ان لا ندرك الفلاح وكانوا يسمون السحور • رواه النسائي • واختلف العلماء هل الافضل في صلوة التراويح ان تصلى جماعة في المسجد او في البيت فرادى • فقال الشافعي وجمهور اصحابه وابوحنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلوتها جماعة كما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والصحابة واستمر عمل المسلمين عليه لانه من الشعائر الظاهرة فاشبه صلاة العيد • فان قلت قد ذكرت ان الحافظ ابن حجر حمل قوله عليه السلم اني خشيت ان يفرض عليكم على التجميع في المسجد وقال انه اقوى الاوجه • فالجواب انه صلى الله عليه وسلم لما مات حصل الامن من ذلك ورجح عمر رضي الله عنه التجميع لما في الاختلاف من افتراق الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط لكثير من المصلين • وقال مالك وابو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الافضل صلاتها فرادى في البيوت لقوله عليه السلام افضل صلوة المرء في بيته الا المكتوبة • قالوا وانما فعلها صلى الله عليه وسلم في المسجد لبيان الجواز اولانه كان معتكفا • واما عدد الركعات التي كان صلى الله عليه وسلم يصليها في رمضان فعن ابي سلمة انه سال عائشة كيف كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشر ركعة يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي • رواه البخاري ومسلم • واما رواه ابن ابي شيبة من حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر

فاسناده ضعيف • وقد عارضه حديث عائشة هذا وهي اعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها • وقد كان الامر زمنه صلى الله عليه وسلم استمر على ان كل احد يقوم في رمضان في بيته منفردا حتى انقضى صدر من خلافة عمر رضي الله عنه • وفي البخاري ان عمر خرج ليلة الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر اني لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان امثل ثم عزم فجمعهم على ابي بن كعب ثم خرج ليلة اخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال نعمت البدعة هذه • والتي ينامون عنها افضل من التي يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون اوله • وانما اختار ابيا لانه كان اقرأهم كما قال عمر • وروى سعيد بن منصور من طريق عروة ان عمر جمع الناس على ابي بن كعب فكان يصلي بالرجال وكان تميم الداري يصلي بالنساء • وفي الموطأ امر عمر ابي بن كعب وتميما الداري ان يقوما للناس في رمضان • وروى البيهقي باسناد صحيح ان الناس كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب في شهر رمضان بعشرين ركعة قال الحليمي والسر في كونها عشرين ركعة ان الرواتب في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت لانه وقت جد وتشمير • وفي الموطأ بثلاث وعشرين • وجمع البيهقي بينهما بانهم كانوا يوترون بثلاث وفي الموطأ عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد انها احدى عشرة • وعند عبد العزيز احدى وعشرين والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الاحوال • ويحتمل ان ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس • وقد روى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال ادركت الناس في امارة ابان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث • وقال مالك هو الامر القديم عندنا • وعند الزعفراني عن الشافعي رايت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق • وعنه قال ان اطالوا القيام واقلوا السجود فحسن وان اكثروا السجود واخفوا القراءة فحسن و الاول احب الي انتهى • وهل يجوز لغير اهل المدينة صلاتها ستا وثلاثين قال النووي قال الشافعي لا يجوز ذلك لغيرهم لان لاهلها شرفا بهجرته صلى الله عليه وسلم ومدفنه ويخالفه قول الحليمي ومن اقتدى باهل المدينة فقام بست وثلاثين فحسن ايضا • وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلى اربعا بتسليمة لم يصح وفاقا للقاضي حسين في فتاويه • ولو صلى سنة الظهر او العصر اربعا بتسليمة جاز و الفرق ان التراويح بمشروعية الجماعة اشبهت الفرائض • قاله النووي في فتاويه وصرح به في الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل اكثر من غيره • وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران لا يمر باية تخويف الا وقف وسأل قال فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فاذنه بالصلاة • اخرجه احمد واخرجه النسائي وعنده انه ما صلى الا اربع ركعات • وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرأها في غير الصلاة

الباب الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر • وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم

انه اوتر بخمس لم يجلس الا في آخرها • لكن احاديث الفصل اثبت واكثر طرقا • واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا اليه من تعيين الوصل والاقتصار على ثلاث بان الصحابة اجمعوا على ان الوتر بثلاث موصولة حسن جائز واختلفوا فيما زاد او نقص قال فاخذنا بما اجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه • وتعقبه محمد بن نصر المروزي بما رواه من طريق عراك بن مالك عن ابي هريرة مرفوعا وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا بصلاة المغرب • وقد صححه الحاكم • وعن سليمان بن يسار انه كره الثلاث في الوتر وقال لا يشبه التطوع بالفريضة انتهى • لكن قد روى الحاكم من حديث عائشة انه كان صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد الا في آخرهن وروى النسائي من حديث ابي بن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولا يسلم الا في آخرهن • وبين في عدة طرق انه بسور الثلاث بثلاث ركعات • والجمع بين هذا وبين ما تقدم من النهي عن التشبيه بصلاة المغرب ان يحمل النهي على صلاة الثلاث بتشهدين وقد فعله السلف ايضا • وروى محمد بن نصر من طريق الحسن ان عمر كان ينهض في الثالثة من الوتر بالتكبير • ومن طريق المسور بن مخرمة ان عمر اوتر بثلاث لم يسلم الا في آخرهن • ومن طريق ابن طاوس عن ابيه انه كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن • وكان ابن عمر يسلم من الركعة والركعتين في الوتر حتى يامر ببعض حاجته • وهذا ظاهره انه كان يصلي الوتر موصولا فان عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى • وفي هذا رد على من قال لا يصح الوتر الا مفصولا • واصرح من ذلك ما روى الطحاوي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه انه كان يفصل بين شفعه ووتره بتسليمة • واخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله واسناده قوي • وقد استدل بعضهم على فضل الفصل بانه صلى الله عليه وسلم امر به وفعله • واما الوصل فورد من فعله فقط وقد حمل المخالف من الحنفية كل ما ورد من الثلاث على الوصل مع ان كثيرا من الاحاديث ظاهر في الفصل كحديث عائشة رضي الله عنها يسلم من كل ركعتين فانه يدخل فيه الركعتان اللتان قبل الاخيرة فهو كالنص في موضع النزاع • وحمل الطحاوي هذا ومثله على ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولم يتمسك في دعوى ذلك الا بالنهي عن البتيراء مع احتمال ان يكون المراد بالبتيراء ان يوتر بواحدة فردة ليس قبلها شيء وهو اعم من ان يكون مع الفصل والوصل • وقد اختلف السلف في امرين احدهما في مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس • والثاني فيمن اوتر ثم اراد ان يتنفل في الليل هل يكتفي بوتره الاول وليتنفل ما شاء او يشفع وتره بركعة ثم يتنفل ثم اذا فعل هل يحتاج الى وتر آخر ام لا • واما الاول فوقع عند مسلم من طريق ابي سلمة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس وقد ذهب اليه بعض اهل العلم وجعلوا الامر في قوله اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا مختصا بمن اوتر آخر الليل • واجاب من لم يقل بذلك بان الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر • وحمله النووي على انه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان جواز النفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا • واما الثاني فذهب الاكثر الى انه يصلي شفعا ما اراد ولا ينقض وتره عملا بقوله عليه السلام لا وتران في ليلة وهو حديث حسن اخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث طلق بن علي • وانما يصح نقض الوتر عند من

يقول بمشروعية التنفل بركعة واحدة غير الوتر • ولا خلاف بين السلف أيضا في مشروعية
قضاء الوتر فقضاه الأكثر • وفي مسلم وغيره عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا نام من الليل
من وجع أو غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة • وقال محمد بن نصر لم نجد عن
النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الأخبار أنه قضى الوتر ولا أمر بقضائه • وعن عطاء والأوزاعي
يقضي ولو طلعت الشمس إلى الغروب • وهو وجه عند الشافعية • حكاه النووي في شرح مسلم
وعن سعيد بن جبير يقضي من القابلة • وعن الشافعية يقضي مطلقا • وقالت عائشة أوتر صلى
الله عليه وسلم من كل الليل أوله وأوسطه وآخره • انتهى وتره إلى السحر • رواه البخاري ومسلم وأبو
داود والترمذي والنسائي • والمراد بأوله بعد صلاة العشاء • ويحتمل أن يكون اختلاف الوتر
باختلاف الأحوال فحيث أوتر أوله لعله كان وجعا وحيث أوتر في وسطه لعله كان مسافرا
وأما وتره في آخره فكأنه غالب أحواله لما عرف من مواظبته على الصلاة آخر الليل والسحر قبيل الصبح
وحكى الماوردي أنه السدس الأخير • وقيل أول الفجر • وفي رواية طلحة بن نافع عن ابن عباس
عند ابن خزيمة فلما انفجر الفجر قام صلى الله عليه وسلم فأوتر بركعة • قال ابن خزيمة • والمراد به الفجر الأول
وروى أحمد من حديث معاذ مرفوعا زادني ربي صلاة وهي الوتر ووقتها من العشاء إلى طلوع الفجر
وفي إسناده ضعف • وكذا في حديث خارجة بن حذافة في السنن وهو الذي احتج به من قال
بوجوب الوتر وليس صريحا في الوجوب • وأما حديث بريدة رفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا
وأعاد ذلك ثلاثا ففي سنده أبو المنيب وفيه ضعف وعلى تقدير قبوله فيحتاج من احتج به أن يثبت
أن لفظ حق بمعنى واجب في عرف الشارع وأن لفظ واجب بمعنى ما ثبت من طريق الآحاد • والله أعلم

وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي وعائشة راقدة معترضة على فراشه فإذا أراد أن يوتر
أيقظها فأوترت • كما في البخاري • وهذا يدل على استحباب جعل الوتر آخر الليل سواء المتهجد وغيره و
محله إذا وثق أن يستيقظ بنفسه أو بإيقاظ غيره • واستدل به على وجوب الوتر لكونه عليه السلام
سلك به مسلك الواجب لم يدعها نائمة للوتر وأبقاها للتهجد • وتعقب بأنه لا يلزم
من ذلك الوجوب • نعم يدل على تأكيد أمر الوتر وأنه فوق غيره من النوافل الليلية • وفيه استحباب
إيقاظ النائم للصلاة • ولا يختص ذلك بالمفروضة ولا بخشية خروج الوقت • بل يشرع ذلك لإدراك
الجماعة وإدراك أول الوقت وغير ذلك من المندوبات • قال القرطبي ولا يبعد أن يقال إنه واجب
في الواجب مندوب في المندوب لأن النائم وإن لم يكن مكلفا لكن مانعه سريع الزوال فهو كالغافل
وتنبيه الغافل واجب • والله أعلم • وعن علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوتر بثلاث يقرأ فيهن بتسع سور من المفصل يقرأ في كل ركعة بثلاث سور آخرهن قل هو الله
أحد • رواه الترمذي • وعن ابن عباس كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها
الكافرون في ركعة ركعة • وعن عائشة رضي الله عنها كان يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى

وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين • رواه أبو داود
والترمذي • ولأبي داود وكان إذا سلم قال سبحان الملك القدوس • وعند النسائي ثلاثا يطيل
في آخرهن • وفي رواية ويرفع صوته بالثالثة • وعن علي رضي الله عنه كان عليه السلام يقول
في آخر وتره اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك
لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك • رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن
ماجه • قال ابن تيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته • وقد كان يقرأ
في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي الإخلاص والكافرون • وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل
وتوحيد المعرفة والإرادة وتوحيد الاعتقاد والقصد فسورة قل هو الله أحد متضمنة لتوحيد الاعتقاد
والمعرفة وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي
لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد والكفو المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير فتضمنت إثبات
كل كمال ونفي كل نقص عنه ونفي كل شبيه والمثيل والنظير وهذه هي مجامع التوحيد العلمي و
الاعتقادي فلذلك كانت تعدل ثلث القرآن فإن القرآن مداره على الخبر والإنشاء ثلاثة
أمر ونهي وإباحة • والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه • وخبر
عن خلقه فأخلصت سورة الإخلاص للخبر عنه وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن و
خلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمي كما خلصته سورة قل يا أيها الكافرون من الشرك
العملي • قاله ابن القيم • وأما القنوت في ركعة الأخيرة من الوتر في النصف الأخير
من رمضان • فقال النووي في الأذكار باستحبابه ولم يذكر لذلك دليلا • وقد أخرج أبو داود
بإسنادين رجالهما ثقات لكن أحدهما منقطع وفي الآخر راو لم يسم أن عمر رضي الله عنه لما جمع
الناس على أبي بن كعب كان لا يقنت إلا في النصف الأخير • وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال
علمني جدي كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن
توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل
من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت • وهذا اللفظ [illegible]
رواه الطبراني وبزيادة

الباب الخامس في ذكر صلاته

صلى الله عليه وسلم • الضحى وهي معدودة • اختلفت الرواة هل صلاها النبي
صلى الله عليه وسلم أم لا • فمنهم المثبت ومنهم النافي • فمن العلماء من رجح المثبت على النافي
جريا على القاعدة المعروفة لأنها تتضمن زيادة علم خفيت عن النافي • قالوا وقد يجوز أن
يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد عند الأقل • ومنهم من رجح رواية النافي
بترتيبه ولم يعتد برواية المثبت إما لضعفها أو صرفها كما سيأتي عن صلاة الضحى •
الحاكم وفي الباب عن أبي سعيد وأبي ذر الغفاري وزيد بن أرقم وأبي هريرة وبريدة الأسلمي

وابي الدرداء • وعبد الله بن ابي اوفا • وعتبان بن مالك • وعتبة بن عبد السلمي • ونعيم بن همام الغطفاني وابي امامة الباهلي • وعايشة بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة كلهم شهدوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى • انتهى • اما حديث ابي سعيد فاخرجه الحاكم والترمذي عن عطية العوفي عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها • وقال الترمذي حسن غريب • قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد • واما حديث ابي ذر فرواه البزار • واما حديث زيد بن ارقم فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى الحديث • واما حديث ابي هريرة فرواه البزار في مسنده بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك صلوة الضحى في سفر ولا غيره • واسناده ضعيف فيه يوسف ابن خالد السمتي ضعيف جدا • واما حديث بريدة الاسلمي فرواه • واما حديث ابي الدرداء فالطبراني • واما حديث ابن ابي اوفا فرواه ابن عدي والحاكم بلفظ قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين يوم بشر براس ابي جهل • قال بعض العلماء الشافعين لو اثبت هذا الحديث لكان صحيحا فهو صلوة شكر وقعت وقت الضحى كشكره يوم فتح مكة • واما حديث عتبان بن مالك فرواه احمد من رواية محمود بن الربيع عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيته سبحة الضحى • واما حديث عتبة بن عبد فرواه • واما حديث نعيم بن همام فرواه • واما حديث ابي امامة فرواه • واما حديث عايشة فرواه مسلم واحمد وابن ماجة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله • وعن عبد الله بن شقيق قال سالت عايشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا الا ان يجيء من مغيبه • واما حديث ام هاني فرواه البخاري ومسلم قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلوة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود • وفي رواية اخرى وذلك ضحى • ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها عام الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه • وللنسائي انها ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت فقال من هذه قلت انا ام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا بثوب واحد • ولابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح صلى سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين • وقد استدل بحديث البخاري ومسلم على استحباب تخفيف صلوة الضحى • وفيه نظر لاحتمال ان يكون السبب فيه التفرغ لمهمات الفتح لكثرة شغله به • وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم انه صلى الضحى فطول فيها • اخرجه ابن ابي شيبة من حديث حذيفة • واما حديث ام سلمة فرواه الحاكم من طريق اسحق بن بشر المحاربي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلوة الضحى ثنتي عشرة ركعة • قلت وروى عن ابن جبير بن مطعم عن ابيه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى • رواه الحاكم ايضا • وعن انس بن مالك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في السفر

سبحة ثماني ركعات • رواه احمد وصححه ابن خزيمة والحاكم • وعن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى • رواه النسائي في سننه الكبرى واحمد وابو يعلى واسناده جيد • وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي من الضحى الا يومين يوم يقدم مكة • وعن ابي بكرة عند ابن عدي في الكامل من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابي بكرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى فجاء الحسن وهو غلام فلما سجد ركب ظهره • الحديث • وعمرو بن عبيد متروك • وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ست ركعات • رواه الحاكم • قال الشيخ ولي الدين العراقي وقد ورد فيها احاديث كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبري انها بلغت حد التواتر • وقال ابن العربي وهي كانت صلوة الانبياء قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم قال الله تعالى مخبرا عن داود انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق فابقى الله تعالى من ذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم العصر وتسبيح صلوة الاشراق • واحتج القائلون بالنفي بحديث عايشة ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط واني لاسبحها رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود وبحديث مورق العجلي قال قلت لابن عمر اتصلي الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله رواه البخاري وقوله لا اخاله اي لا اظنه وهو بكسر الهمزة وبفتحها ايضا والخاء المعجمة • وبقول الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع المسلمون افضل من صلوة الضحى • وروي عن مجاهد قال دخلت انا وعروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عايشة فاذا الناس في المسجد يصلون صلوة الضحى فسالناه عن صلوتهم فقال بدعة • وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن الحكم بن الاعرج قال سالت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال بدعة ونعمت البدعة • وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن سالم عن ابيه قال لقد قتل عثمان وما احد يسبحها وما احدث الناس شيئا احب الي منها • وقد جمع العلماء بين هذه الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم على صلوة الضحى مخافة ان تفرض على امته فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما صح عنه عايشة كما تقدم وكما ذكرته ام هاني وغيرها • وبقول عايشة ما رايته صلاها لا يخالف قولها كان يصليها لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكون عندها في وقت الضحى الا في النادر من الاوقات لانه قد يكون مسافرا وقد يكون حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون في بيت من بيوت زوجاته وغيره وما رايته صلاها في تلك الاوقات النادرة فقالت ما رايته وعلمت بغيره انه كان يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم او باخبار غيره فروت ذلك • وقول ابن عمر لا اخاله فتوقف وكان سبب توقفه انه بلغه عن غيره انه صلاها ولم يثق بذلك عمن ذكره • واما قوله انها بدعة فمؤول على انه لم تبلغه الاحاديث المذكورة او اراد انه صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها او ان اظهارها في المساجد ونحوها بدعة • وانما هي سنة النافلة في البيوت • والله اعلم • وفي الجملة فليس في احاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية صلاة الضحى لان نفيه محمول على

عدم رؤيته لا على عدم الوقوع في نفس الامر • او الذي نفاه صفة مخصوصة كما قدمتها • وقد روى ابن ابي
شيبة عن ابن مسعود انه رأى قوما يصلونها فانكر عليهم وقال ان كان ولا بد ففي بيوتكم • وذهب اخرون
الى استحباب فعلها غبا فتصلى في بعض الايام دون بعض • وكان ابن عباس يصليها يوما ويدعها
عشرة ايام • وذهب اخرون الى انها انما تفعل بسبب من الاسباب وانه عليه السلام انما صلاها
يوم الفتح من اجل الفتح وكان الامراء يسمونها صلاة الفتح متمسكين بما قاله عياض وغيره ان حديث
ام هانئ ليس بظاهر في انه عليه السلام قصد سنة الضحى وانما فيه انها اخبرت عن وقت صلاته
فقط • قال وقد قيل انها كانت قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه • وتعقبه النووي بان
الصواب صحة الاستدلال به لما رواه ابو داود من طريق كريب عن ام هانئ انه صلى الله عليه وسلم
صلى سبحة الضحى • ولمسلم في كتاب الطهارة من طريق ابي مرة عن ام هانئ في قصة اغتساله صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى • وروى ابن عبد البر في التمهيد من طريق عكرمة
ابن خالد عن ام هانئ قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فصلى ثمان ركعات فقلت ما هذه
الصلوة قال هذه صلوة الضحى • واستدل به على ان اكثر الضحى ثمان ركعات واستبعده السبكي
ووجه بان الاصل في العبادة التوقف وهذا اكثر ما ورد من فعله عليه السلام وقد ورد من فعله
دون ذلك كحديث ابن ابي اوفى انه عليه السلام صلى الضحى ركعتين • اخرجه ابن عدي • واما ما ورد
من قوله عليه السلام ففيه زيادة على ذلك كحديث انس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله
له قصرا في الجنة • اخرجه الترمذي • واستغربه • وليس في اسناده من اطلق عليه الضعف • ومن
ثم قال الروياني اكثرها ثنتا عشرة • نقال النووي في شرح المهذب فيه حديث ضعيف كانه يشير
الى حديث انس لكن اذا ضم اليه حديث ابي الدرداء رفعه • وفيه من صلى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له
بيتا في الجنة • رواه الطبراني • وحديث ابي ذر عند البزار وفي اسناده ضعف ايضا قوي وصلح
للاحتجاج • ونقل الترمذي عن احمد ان اصح شيء ورد في الباب حديث ام هانئ وهو كما قال ولهذا
قال النووي في الروضة افضلها ثمان واكثرها ثنتا عشرة ففرق بين الاكثر والافضل • واجاب
القائلون بانها لا تفعل الا لسبب عن قول ابي هريرة المروي في البخاري اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم
بثلاث لا ادعهن حتى اموت بصوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى الحديث • بانه قد روي
ان ابا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلوة فامره بالضحى بدلا من قيام الليل ولهذا
امره ان لا ينام الا على وتر ولم يأمر بذلك ابا بكر ولا عمر ولا سائر الصحابة • انتهى • قال الحافظ ابن
حجر وهذه الوصية لابي هريرة قد ورد مثلها لابي الدرداء فيما رواه مسلم • ولابي ذر فيما رواه النسائي
قال والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلوة والصيام ليدخل في الواجب
منهما بانشراح ولينجبر ما لعله يقع من نقص • ومن فوائد صلوة الضحى انها تجزي عن الصدقة تصبح على
مفاصل الانسان ثلاث مائة وستون مفصلا • كما اخرجه مسلم من حديث ابي ذر قال فيه ويجزي من ذلك

ركعتا

ركعتا الضحى • وقد ذكر اصحابنا الشافعية انها افضل التطوع بعد الرواتب • لكن النووي في شرح
المهذب قدم عليها صلوة التراويح فجعلها في الفضل بين الرواتب والضحى • وحكى الحافظ ابو الفضل
العراقي في شرح الترمذي انه اشتهر بين العوام ان من صلى الضحى ثم قطعها يعمى فصار كثير من الناس يتركها
اصلا لذلك وليس لما قالوا اصل بل الظاهر انه مما القاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم الخير
الكثير لا سيما ما وقع في حديث ابي ذر • واقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاثة المذكورة في الحديث
لان الصلاة والصيام اشرف العبادات البدنية ولم يكن المذكورون من اصحاب الاموال فكان يجزيهم من
الصدقة عن السلامى كما في الحديث والله اعلم • وروى الحاكم من طريق ابي الخير عن عقبة بن عامر قال امرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصلي الضحى بسور منها والشمس وضحيها والضحى ومناسبة ذلك ظاهر جدا
والله اعلم • قال شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر قول عائشة في الصحيح ما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان صلوة الضحى واجبة عليه
وقد عدها جماعة من العلماء من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك في خبر صحيح • وقول
الماوردي في الحاوي انه صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الى ان مات يعكر عليه ما رواه
مسلم في حديث ام هانئ انه لم يصلها قبل ولا بعد • ولا يقال ان نفي ام هانئ لذلك يلزم منه العدم
لانا نقول يحتاج من اثبته الى دليل ولو وجد لم يكن حجة لان عائشة ذكرت انه كان اذا عمل عملا اثبته
فلا يستلزم المواظبة على هذا الوجوب عليه • انتهى • وقال ابن العربي في عارضة الاحوذي انا
ابو الحسن الازدي انا طاهر انا علي نا ابو العباس عبيد الله بن عبد الرحمن العسكري نا المثنى
نا ابو عتاب نا قيس عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب علي النحر
ولم يكتب عليكم وامرت بصلوة الضحى ولم تؤمروا بها • ورواه الدارقطني
القسم الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل واحكامها • وفيه بابان • الاول في النوافل
المقرونة بالاوقات • وفيه فصلان • الاول في رواتب الصلوات الخمس والجمعة • وفيه فروع
الاول في احاديث جامعة لرواتب مشتركة • عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلوة العشاء ركعتين
وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي في بيته ركعتين • قال واخبرتني حفصة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا سكت المؤذن من الاذان لصلوة الصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل ان تقام
الصلوة • رواه البخاري • هذه عشر ركعات لان الركعتين بعد الجمعة لا يجتمعان مع الركعتين بعد الظهر
الا لعارض بان يصلي الجمعة وسنتها التي بعدها ثم يتبين له فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها
كما نبه عليه الشيخ ولي الدين العراقي • واختلف في دلالة كان على التكرار وصحح ابن الحاجب انها لا
تقتضيه قال وهذا استفدناه من قولهم كان حاتم يقري الضيف • وصحح الامام فخر الدين في المحصول
انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا • وقال النووي في شرح مسلم انه المختار الذي عليه الاكثرون

والمحققون من الاصوليين • وذكر ابن دقيق العيد انها تقتضيه عرفا فعلى هذا ففي الحديث دلالة على
تكرر فعل هذه النوافل من النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان هذا دابه وعادته • وعن عائشة رض
يصلي في بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين • وكان يصلي المغرب
ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين • وفي آخره كان اذا
طلع الفجر صلى ركعتين الحديث • رواه مسلم • فهذه ثنتي عشرة ركعة • ومنها كان صلى الله عليه وسلم
لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة • وفي رواية لم يكن يتركهما سرا ولا علانية في سفر
ولا حضر ركعتان قبل الصبح وركعتان بعد العصر • رواه البخاري ومسلم • الثاني ركعتا الفجر قالت
عائشة لم يكن صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر • رواه البخاري
ومسلم وابو داود والترمذي • ولمسلم لهما احب الي من الدنيا جميعا • وكان يصليهما اذا سكت المؤذن
بعد ان يستبين الفجر ويخففهما • رواه الشيخان • وهذا لفظ النسائي • واختلف في تخفيفهما فقيل
ليبادر الى صلاة الصبح في اول الوقت • وبه جزم القرطبي • وقيل ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين
كما كان يصنع في صلاة الليل كما تقدم ليدخل في الفرض او ما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام
وقد ذهب بعضهم الى اطالة القراءة فيهما • وهو قول اكثر الحنفية • ونقل عن النخعي • واورد البيهقي
فيه حديثا مرفوعا من مرسل سعيد بن جبير وفي سنده راو لم يسم • وخص بعضهم ذلك بمن فاته شيء
من قراءته في صلاة الليل فيستدركها في ركعتي الفجر • واخرج ابن ابي شيبة بسند صحيح عن الحسن البصري
وكان كثيرا ما يقرأ في الاولى منهما قولوا آمنا بالله وما انزل الينا الاية التي في البقرة • وفي
الآخرة قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم • الى قوله واشهدوا بانا مسلمون •
رواه مسلم وابو داود والنسائي من رواية ابن عباس • وفي رواية ابي داود من حديث ابي هريرة قولوا
آمنا بالله وما انزل الينا في الركعة الاولى وبهذه الاية ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين او انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم • قال
ابو داود شك الراوي • وقال ابو هريرة قرأ في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله
احد • رواه مسلم وابو داود والترمذي • وقد روى ابن ماجه باسناد قوي من عبد الله بن شقيق
عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان
يقرأ بهما في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد • ولابن ابي شيبة من طريق ابن سيرين
عن عائشة كان يقرأ فيهما بهما • وللترمذي والنسائي من حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله
عليه وسلم شهرا فكان يقرأ بهما • وقد استدل بعضهم بهذا على الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر
ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ذلك عرف بقراءة بعض السورة ويدل على ذلك انه في رواية ابن سيرين المذكورة
يسر فيهما القراءة • وصححه ابن عبد البر • واستدل بعضهم ايضا بهذه الاحاديث المذكورة على انه لا
يتعين الفاتحة لانه لم يذكرها مع سورتي الاخلاص • واجيب بانه ترك ذكر الفاتحة

لوضوح الامر فيها • انتهى • وكان عليه السلام اذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الايمن
رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة انه عليه السلام كان يحب التيمن • وقد قيل الحكمة فيه ان
القلب من جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نوما لكونه ابلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون
القلب معلقا فلا يستغرق • وهذا انما يصح بالنسبة الى غيره عليه السلام كما لا يخفى •
واما ما روي ان ابن عمر رأى رجلا يصلي ركعتي الفجر ثم اضطجع فقال ما حملك على ما صنعت قال اردت
ان افصل بين صلاتي فقال له واي فصل افضل من السلام قال انها سنة قال بل بدعة رواه
ابن الاثير في جامعه عن رزين • وكذا ما روي من انكار ابن مسعود • ومن قول ابراهيم النخعي انها ضجعة
الشيطان كما اخرجهما ابن ابي شيبة فهو محمول على انه لم يبلغهم الامر بفعله • وارجح الاقوال مشروعيته
للفصل لكن لم يداوم عليه السلام عليه • وكذا احتج الائمة على عدم الوجوب • وحملوا الامر الوارد بذلك
عند ابي داود وغيره على الاستحباب • وفائدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح • وعلى هذا
فلا يستحب ذلك الا للمتهجد • وبه جزم ابن العربي • ويشهد لهذا ما اخرجه عبد الرزاق ان عائشة
كانت تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يضطجع لسنة • ولكنه كان يدأب ليلته فيستريح • وفي
اسناده راو لم يسم • وقيل ان فائدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص
ومن ثم قال الشافعي ان السنة تتأدى بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره حكاه البيهقي
وقال النووي المختار انها سنة لظاهر حديث ابي هريرة • وقد قال ابو هريرة راوي الحديث ان الفصل
بالمشي الى المسجد لا يكفي • وافرط ابن حزم فقال يجب على كل احد وجعله شرطا لصحة صلاة الصبح ورد عليه
العلماء بعده وطعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد بن زياد به • وفي حفظه مقال • والحق
انه يقوم به الحجة • وذهب بعض السلف الى استحبابها في البيت دون المسجد • وهو محكي عن ابن عمر وقواه بعض
شيوخنا بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعله في المسجد • اخرجه ابن ابي شيبة • وقال عليه السلام
من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعدما تطلع الشمس • رواه الترمذي من رواية ابي هريرة
الثالث وراتبة الظهر عن ابن عمر صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها
رواها البخاري ومسلم والترمذي • وعن عائشة كان عليه السلام لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل
صلاة الغداة • رواه البخاري ايضا • فاما ان يقال انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى في بيته صلى اربعا واذا
صلى في المسجد صلى ركعتين • وهذا اظهر • واما ان يقال كان يفعل هذا وهذا فحكى كل عن عائشة وابن عمر
ما شاهده والحديثان صحيحان لا مطعن في واحد منهما • وقال ابو جعفر الطبري الاربع كانت في كثير من
احواله والركعتان في قليلها • انتهى • وقد يقال ان الاربع التي قبل الظهر لم تكن سنة الظهر بل هي صلاة
مستقلة كان يصليها بعد الزوال • وروى البزار من حديث ثوبان انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلي
بعد نصف النهار فقالت عائشة يا رسول الله اراك تستحب الصلاة هذه الساعة قال تفتح فيها ابواب
السماء وينظر الله تعالى الى خلقه بالرحمة • وهي صلاة كان يحافظ عليها ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام

وعن عبد الله بن السائب كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اربعا بعد ان تزول الشمس قبل الظهر وقال انها ساعة تفتح لها ابواب السماء واحب ان يصعد لي فيها عمل صالح • رواه الترمذي • وروى الترمذي ايضا حديث اربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن في السحر وما من شيء الا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون فهذه والله اعلم هي الاربعة التي ارادت عائشة انه كان لا يدعهن • واما سنة الظهر فالركعتان التي قال ابن عمر ويوضح هذا ان سائر الصلوات سنتها ركعتان وعلى هذا فيكون هذه الاربعة وردا مستقلا سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وسر هذا والله اعلم ان انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وابواب السماء تفتح بعد زوال الشمس ويحصل النزول الالهي بعد انتصاف الليل فهما وقتا قرب ورحمة • هذا فيه تفتح ابواب السماء وهذا ينزل فيه الرب تبارك وتعالى عن حركة الاجسام

الرابع في سنة العصر عن علي رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر ركعتين • رواه ابو داود • وعن علي رضي الله عنه ايضا انه كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر اربع ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين • رواه الترمذي • وروى عمر مرفوعا ايضا حديث رحم الله امرأ صلى قبل العصر اربعا • وقالت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيني في يومي بعد العصر الا صلى ركعتين • وفي رواية ما ترك ركعتين بعد العصر عندي قط • رواه البخاري ومسلم • ولمسلم ان ابا سلمة سألها عن السجدتين اللتين كان يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر ثم انه شغل عنهما او نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم اثبتهما وكان اذا صلى صلاة اثبتها يعني داوم عليها ولابي داود قالت كان يصلي بعد العصر ركعتين وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال • وقال ابن عباس انما صلى عليه السلام ركعتين بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه عن الركعتين اللتين بعد الظهر قضاهما بعد العصر ثم لم يعد لهما • رواه الترمذي • وقالت ام سلمة سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر ثم سألته عنهما فقال انه اتاني اناس من عبد القيس بالاسلام فشغلوني عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان الحديث • وفيه ان ابن عباس قال كنت اضرب مع عمر بن الخطاب الناس عنهما • قال ابن القيم قضاء السنن الرواتب في اوقات النهي عام له ولامته • قال وقضاؤه هذا من خصائصه • انتهى • والدليل عليه رواية عائشة كان يصلي ركعتين بعد العصر وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال • لكن قال البيهقي الذي اختص به صلى الله عليه وسلم المداومة على ذلك لا اصل القضاء واما رواية ابن عباس عند الترمذي انه انما صلاهما بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه فهو من رواية جرير عن عطا وقد سمع منه بعد اختلاطه وان صح فهو شاهد لحديث ام سلمة • لكن ظاهر قوله تعالى لم يعد معارض لحديث عائشة المذكور في هذا الباب فيحمل النفي على علم الراوي فانه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على النافي • كذا اما روى النسائي من طريق ابي سلمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها بعد العصر ركعتين مرة واحدة • الحديث • وفي رواية عنها لم اره يصليهما قبل ولا بعد

بين الحديثين بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليهما الا في بيته فلذلك لم يره ابن عباس ولا ام سلمة ويشير الى ذلك قول عائشة في رواية وكان لا يصليهما في المسجد مخافة ان يثقل على امته • ومراد عائشة بقولها ما كان في يومي بعد العصر الا صلى ركعتين من الوقت الذي شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم ترد انه كان يصلي بعد العصر من اول ما فرضت الصلوات مثلا الى آخر عمره والله سبحانه اعلم

الخامس في راتبة المغرب • عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرء في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلوة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد • رواه الترمذي • وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في الركعتين بعد المغرب حتى يتفرق اهل المسجد • رواه ابو داود • وكان اصحابه صلى الله عليه وسلم يصلون ركعتين قبل المغرب قبل ان يخرج اليهم عليه السلام • رواه البخاري ومسلم وابو داود من حديث انس • وفي رواية ابي داود قال انس رآنا صلى الله عليه وسلم فلم يأمرنا ولم ينهنا • وقال انس كنا نفعله على عهده صلى الله عليه وسلم • رواه البخاري ومسلم • وظاهره ان الركعتين بعد الغروب وقبل صلوة المغرب كان امرا اقر اصحابه عليه وعملوا به وهذا يدل على الاستحباب واما كونه عليه السلام لم يصلهما فلا ينفي الاستحباب بل يدل على انهما ليسا من الرواتب والى استحبابها ذهب اسحق واحمد واصحاب الحديث • وعن ابن عمر ما رأيت احدا يصليهما على عهده صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الاربعة وجماعة من الصحابة انهم كانوا لا يصلونهما فادعى بعض المالكية نسخهما وتعقب بان دعوى النسخ لا دليل لها • ورواية المثبت وهو انس مقدمة على رواية النافي وهو ابن عمر • وعن سعيد بن المسيب انه كان يقول حق على كل مؤمن اذا اذن المؤذن ان يركع ركعتين وعن مالك قول آخر باستحبابهما وهو عند الشافعية وجه رجحه النووي ومن تبعه • وقال في شرح مسلم قول من قال ان فعلهما يؤدي الى تأخير المغرب عن اول وقتها خيال فاسد منابذ للسنة ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتأخر به الصلوة عن اول وقتها • ومجموع الادلة يرشد الى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه وسلم صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء خشية ان يتخذها الناس سنة • رواه ابو داود • قال المحب الطبري لم يرد نفي استحبابها لانه لا يمكن ان يأمر بما لا يستحب بل هذا الحديث من ادل الدليل على استحبابها • ومعنى قوله سنة اي شريعة وطريقة لازمة • وكان المراد انحطاط مرتبتهما عن رواتب الفرائض • ولهذا لم يعدهما اكثر الشافعية في الرواتب واستدركهما بعضهم وتعقب بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم واظب عليهما • وقال عليه السلام في الصلوة بعد المغرب هذه صلوة البيوت • رواه ابو داود والنسائي من حديث كعب بن عجرة • وعنه عليه السلام من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم رفعت صلوته في عليين • رواه رزين •

السادس في راتبة العشاء قالت عائشة رضي الله عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات او ست ركعات • رواه ابو داود • وفي مسلم قالت عائشة ثم يصلي بالناس

العشاء فيدخل بيتي فيصلي ركعتين • ذكرنا في حديث ابن عمر عند الشيخين وتقدم اول هذا الشرح • والله اعلم • الفرع السابع في راتبة الجمعة • عن نافع ابن عمر عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدهما ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيئا في الصلوة قبل صلوة الجمعة • قال ابن المنير كما حكاه في فتح الباري كانه يقول الاصل استواء الظهر والجمعة حتى يدل دليل على خلافه لان الجمعة بدل الظهر وقال ابن بطال انما اعاد ابن عمر ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من اجل انه كان صلى الله عليه وسلم يصلي سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر • قال والحكمة فيه ان الجمعة لما كانت بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك التنفل بعدها في المسجد خشية ان يظن انها التي حذفت • انتهى • وعلى هذا فينبغي ان لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها في هذا المعنى • وقد روى ابو داود وابن حبان من طريق ايوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلوة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وقد احتج به النووي في الخلاصة على اثبات سنة الجمعة التي قبلها • وتعقب بان قوله وكان يفعل ذلك عائد على قوله ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته • ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك • رواه مسلم • واما قوله كان يطيل الصلوة قبل الجمعة فان كان المراد بعد دخول الوقت فلا يصح ان يكون مرفوعا لانه عليه السلام كان يخرج اذا زالت الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلوة الجمعة • وان كان المراد قبل دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة فلا حجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد انكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها وبالغوا في الانكار • ومنهم الامام شهاب الدين ابو شامة لانه لم يكن يؤذن للجمعة الا بين يديه عليه السلام وهو على المنبر فلم يكن يصليها وكذلك الصحابة لانه اذا خرج الامام انقطعت الصلوة • قال ابن العربي ولم ار في كلام الفقهاء من الحنفية والمالكية استحباب سنة الجمعة قبلها انتهى • وقد ورد في سنة الجمعة التي قبلها احاديث اخرى ضعيفة • منها عن ابي هريرة رواه البزار ولفظه كان يصلي قبل الجمعة اربعا واقوى ما يتمسك به في مشروعية الركعتين قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا ما من صلوة مفروضة الا وبين يديها ركعتان قاله في فتح الباري • وعن عطاء قال كان ابن عمر اذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم يتقدم فيصلي اربعا • واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل في المسجد فقيل له فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله • رواه ابو داود وفي رواية الترمذي قال رايت ابن عمر صلى بعد الجمعة ركعتين ثم صلى بعد ذلك اربعا • وعن ابن عمر ايضا قال كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته • وفي اخرى ان ابن عمر كان يصلي بعد الجمعة

عن نافع مولى ابن عمر

نافلة

ركعتين

في بيته يطيل فيهما ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله • وتقدم حديث دخول سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب وقوله صلى الله عليه وسلم له صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من المباحث في صلوة الجمعة • الفصل الثاني في صلوة العيدين وفيه فروع • الاول في عدد الركعات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ثم اتى النساء ومعه بلال فامرهن بالصدقة فجعلت المرأة تصدق بخرصها وسخابها • وفي رواية خرج يوم اضحى او فطر وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين • الحديث • رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي • الفرع الثاني في عدد التكبير • عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والاضحى في الاولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات زاد في رواية سوى تكبيرتي الاحرام والركوع • رواه ابو داود • وعن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراءة وفي الاخرى خمسا قبل القراءة • رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي • الفرع الثالث في الوقت والمكان عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج في يوم الفطر والاضحى الى المصلى فاول شيء يبدأ به الصلوة • الحديث • رواه البخاري ومسلم وفي هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلوة العيد الى المصلى وانه افضل من صلاتها في المسجد لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع فضل مسجده • وعلى هذا عمل الناس في الامصار • واما اهل مكة فلا يصلونها الا في المسجد من الزمن الاول • ولاصحاب الشافعية وجهان احدهما الصحراء افضل لهذا الحديث والثاني وهو الاصح عند اكثرهم المسجد افضل الا ان يضيق • قالوا وانما صلى اهل مكة في المسجد لسعته وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل على ان المسجد افضل اذا اتسع والمراد بالمصلى المذكور الذي على باب المدينة الشرقي • قال ابن القيم ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ان ثبت الحديث وهو في سنن ابي داود وابن ماجة انتهى • ولفظ ابي داود عن ابي هريرة قال اصابنا مطر في يوم فطر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد • زاد رزين ولم يخرج بنا الى المصلى • الفرع الرابع في الاذان والاقامة • عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد غير مرة ولا مرتين بغير اذان ولا اقامة • رواه مسلم وابو داود والترمذي • وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا اذان ولا اقامة • رواه ابو داود • الفرع الخامس في قراءته صلى الله عليه وسلم في صلوة العيدين • عن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرء في الاضحى والفطر بق والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر • رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي • وعن النعمان بن بشير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم

فاول شيء

سورة في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد
فقرأهما • رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي

الفرع السادس في خطبته صلى الله عليه وسلم وتقدم به صلوة العيدين عليها

• عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة • رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي • وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فبدأ بالصلوة قبل الخطبة • وفي رواية ثم قام فبدأ بالصلوة ثم خطب الناس فلما فرغ نزل فاتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال وبلال باسط ثوبه تلقي فيه النساء صدقة • وفي اخرى شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فبدأ بالصلوة قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى اتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فان اكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من وسط النساء سفعاء الخدين فقالت لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال من اقرطهن وخواتيمهن رواه البخاري ومسلم • وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البخاري فاول شيء يبدأ به الصلوة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه او يأمر بشيء امر به ثم ينصرف فقال ابو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو امير المدينة في اضحى او فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت فاذا مروان يريد ان يرتقيه فقلت له غيرتم والله • الحديث • ولابن خزيمة خطب عليه السلام يوم عيد على رجليه وهذا يشعر بانه لم يكن في المصلى في زمانه صلى الله عليه وسلم منبر • ويدل على ذلك قول ابي سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان ومقتضاه ان اول من اتخذه مروان • ووقع في المدونة للامام مالك ان اول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت لكنه معضل • وما في الصحيحين اصح فقد رواه مسلم من طريق داود بن قيس نحو رواية البخاري ويحتمل ان يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى اعاده مروان ولم يطلع على ذلك ابو سعيد • قاله شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى •

الفرع السادس في اكله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر قبل خروجه الى صلوة العيد

• عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى ياكل تمرات • رواه البخاري وقال قال رجاء بن رجاء حدثني عبيد الله حدثني انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ويأكلهن وترا • رواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد عنه بلفظ ما خرج يوم فطر حتى يأكل تمرات ثلثا او خمسا او سبعا او اقل من ذلك او اكثر وترا • قال المهلب الحكمة في الاكل قبل الصلوة ان لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد فكانه اراد سد هذه الذريعة • وقال غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة الى امتثال امر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لاكل قدر الشبع اشار الى ذلك ابن ابي جمرة • وقيل لان الشيطان الذي

يحبس

يحبس في رمضان لا يطلق الا بعد صلوة العيد فاستحب تعجيل الفطر بدارا الى السلامة من وسوسته • والحكمة في استحباب التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم • ولان الحلو مما يوافق الايمان ويعبر به المنام ويرق القلب ومن ثم استحب بعض التابعين ان يفطر على الحلو مطلقا كالعسل • رواه ابن ابي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما • وفي الترمذي والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الاضحى حتى يصلي • ونحوه عند البزار عن جابر بن سمرة • وروى الطبراني والدارقطني من حديث ابن عباس قال من السنة ان لا يخرج يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم شيئا قبل ان يخرج • وفي كل من اسانيد الثلاثة مقال • وقد اخذ اكثر الفقهاء بما دلت عليه • قال ابن المنير وقع اكله صلى الله عليه وسلم في كل من العيدين في الوقت المشروع لاخراج صدقتهما الخاصة بهما فاخراج صدقة الفطر قبل الغدو الى المصلى واخراج صدقة الاضحية بعد ذبحها فاجتمعا من جهة وافترقا من اخرى • وقال الشافعي في الام بلغنا عن الزهري قال ما ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيد ولا جنازة قط • وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال من السنة ان يخرج الى العيد ماشيا • وفي ابن ماجة عن سعد القرظي انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى العيد ماشيا وفيه عن ابي رافع نحوه واسانيد الثلاثة ضعاف • وعن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره • رواه الترمذي • وقد اختلف في معنى ذلك على اقوال كثيرة • قال الحافظ ابن حجر اجتمع لي منها اكثر من عشرين وقد لخصتها وبينت الواهي منها • فمن ذلك انه فعل ذلك ليشهد له الطريقان وقيل سكانهما من الانس والجن • وقيل ليسوي بينهما في مزية الفضل بمروره او في التبرك به او ليشم رائحة المسك من الطريق التي يمر بها لانه كان معروفا بذلك • وقيل لان طريقه الى المصلى كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع على جهة الشمال فرجع من غيرها • وهذا يحتاج الى دليل • وقيل لاظهار شرائع الاسلام وقيل لاظهار ذكر الله • وقيل ليغيظ المنافقين واليهود • وقيل حذرا من كيد الطائفتين • وقيل ليعمهم بالسرور او التبرك بمروره والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء او التعلم او الاقتداء او الاسترشاد والسلام عليهم او غير ذلك • وقيل ليزور اقاربه الاحياء والاموات • وقيل ليصل رحمه • وقيل للتفاؤل بتغير الحال الى المغفرة والرضا • وقيل كان يتصدق في ذهابه فاذا رجع لم يبق معه شيء فيرجع في طريق اخرى لئلا يرد من سأله • وهذا ضعيف جدا مع احتياجه الى الدليل • وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام وهذا رجحه الشيخ ابو حامد • وقيل كان طريقه التي يتوجه منها ابعد من التي يرجع فيها فاراد تكثير الاجر بتكثير الخطا في الذهاب واما في الرجوع فيسرع الى منزله • وهذا اختيار الرافعي • وتعقب بانه يحتاج الى دليل وبان اجر الخطا في الرجوع ايضا كما في حديث ابي بن كعب عند الترمذي وغيره • وقيل لان الملائكة تقف في الطرقات فاراد ان يشهد له فريقان منهم • وقال ابن ابي جمرة هو في معنى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد فاشار الى انه فعل ذلك حذرا من اصابة العين • انتهى • وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الابكار والعواتق وذوات الخدور

والحيض في العيدين. فاما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت احداهن يا رسول الله
احدانا ان لم يكن لها جلباب قال لتلبسها اختها من جلبابها. رواه البخاري والترمذي واللفظ له
ولا دلالة فيه على وجوب صلاة العيدين لان من جملة من امر بذلك من ليس بمكلف. فظهر ان القصد منه
اظهار شعار الاسلام بالمبالغة في الاجتماع ولتعم الجميع البركة. وفيه استحباب خروج النساء الى شهود
العيد سواء كن شواب ام لا او ذوات هيئات ام لا. لكن نص الشافعي في الام يقتضي استثناء ذوات
الهيئات. قال واحب شهود العجائز وغير ذوات الهيئات الصلاة. واما شهودهن الاعياد
اشد استحبابا. وادعى بعضهم النسخ فيه. قال الطحاوي وامره عليه السلام بخروج الحيض وذوات الخدور
الى العيد يحتمل ان يكون في اول الاسلام والمسلمون قليل فاريد التكثير بحضورهن ارهابا للعدو و
اما اليوم فلا يحتاج الى ذلك. وتعقب بان النسخ لا يثبت بالاحتمال. وقد صرح في
حديث ام عطية بعلة الحكم وهو شهودهن الخير ودعوة المسلمين ورجاء بركة ذلك اليوم و
طهرته وقد افتت به ام عطية بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ولم يثبت عن احد من الصحابة مخالفتها في
ذلك. واما قول عائشة لو راى النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن المساجد فلا
يعارض ذلك لندوره ان سلمنا ان فيه دلالة على انها افتت بخلافه مع ان الدلالة منه بان عائشة
افتت بالمنع ليست صريحة. وفي قول الطحاوي ارهابا للعدو نظر لان الاستنصار بالنساء
والتكثر بهن في الحرب دال على الضعف. والاولى ان يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة فلا
يترتب على حضورها محذور. ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في المجامع قاله في فتح الباري
وكان عليه السلام يخرج العنزة يوم الفطر يركزها فيصلي اليها. رواه النسائي وغيره. واذا علمت
هذا فاعلم ان للمؤمنين في هذه الدنيا ثلاثة اعياد عيد يتكرر في كل اسبوع وعيدان ياتيان في كل عام
مرة مرة من غير تكرار في السنة. فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مترتب
على اكمال الصلوات المكتوبات فيه فشرع لهم عيدا. واما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما
ياتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على اكمال
صيام رمضان وهو الركن الثالث من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون صيام شهر رمضان المفروض
عليهم واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب وآخره
عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم عقب صيامهم عيدا يجتمعون
فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره على ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو
يوم الجوائز يستوفي فيه الصائمون اجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة. والعيد الثاني عيد النحر وهو اكبر العيدين
وافضلهما وهو مترتب على اكمال الحج وهو الركن الرابع من اركان الاسلام ومبانيه. فاذا اكمل المسلمون حجهم
غفر لهم وانما يكمل الحج بيوم عرفة فان الوقوف بعرفة ركن الحج الاعظم ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق
فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من اهل الامصار من المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدا

لجميع المسلمين في جميع امصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة
وشرع للجميع التقرب اليه تعالى بالنسك وهو اراقة دماء ضحاياهم فيكون ذلك اليوم شكرا منهم لهذه
النعم والصلاة والنحر الذي يجتمع في عيد النحر افضل من الصلاة والصدقة في عيد الفطر ولهذا امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل شكره لربه على اعطائه الكوثر ان يصلي لربه وينحر. وقد ضحى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر. رواه البخاري من حديث
انس قال ورايته واضعا قدمه على صفاحهما يقول بسم الله والله اكبر. وعن عائشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بكبش يطأ في سواد ويبرك في سواد فاتي به ليضحي به قال يا عائشة هلمي المدية ثم قال
اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد
وآل محمد ومن امة محمد ثم ضحى به. رواه مسلم. وعن جابر ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر كبشين
اقرنين املحين موجوئين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض على ملة
ابراهيم حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له و
بذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر ثم ذبح. رواه
البخاري وابو داود وابن ماجه والدارمي. وفي رواية لاحمد والترمذي ذبح بيده وقال بسم الله و
الله اكبر اللهم هذا عني وعمن لم يضح من امتي. هذه اعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند
اكمال الطاعات لمولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من جزيل الاجر والثواب فليس العيد لمن
لبس الجديد انما العيد لمن طاعته تزيد. وليس العيد لمن تجمل باللباس والمركوب انما العيد
لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد فمن ناله منها شيء فهو
له عيد والا فهو مطرود بعيد. واما المؤمنون في الجنة فهي ايام زيارتهم ربهم عز وجل و
يزورونه ويكرمهم غاية الكرامة ويتجلى لهم فينظرون اليه فما اعطاهم شيئا هو احب اليهم من ذلك
هو الزيادة فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه. ان يوما جامعا شملي بهم ذاك عيدي ليس لي
عيد سواه.

الباب الثاني في النوافل المقرونة بالاسباب

وفيه اربعة فصول

الفصل الاول في صلاته صلى الله عليه وسلم للكسوف

الكسوف لغة التغير
الى السواد يقال كسفت الشمس اذا اسودت وذهب شعاعها. عن قبيصة بن المخارق قال كسفت الشمس
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعا يجر ثوبه وانا معه يومئذ بالمدينة فصلى ركعتين
فاطال فيهما القيام ثم انصرف وانجلت ثم قال انما هذه الآيات يخوف الله بها عباده فاذا رايتموها
فصلوا. رواه ابو داود والنسائي. وفي قوله عليه السلام يخوف الله بها عباده رد على من يزعم من
اهل الهيئة ان الكسوف امر عادي لا يتاخر ولا يتقدم اذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك
تخويف. وقد رد عليهم ابن العربي وغيره بما في حديث ابي موسى عند البخاري حيث قال فيه
فقام فزعا يخشى ان تكون الساعة قالوا فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب

لم يكن الامر بالعتق والصدقة والصلاة معنى يعني كما في حديث اسماء عند البخاري لقد امر النبي
صلى الله عليه وسلم بالعتاقة في كسوف الشمس وكما عنده ايضا من حديث عائشة مرفوعا فاذا رايتم
ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا فان ظاهر الاحاديث ان ذلك يفيد التخويف وان
كل ما ذكر من انواع الطاعة يرجى ان يدفع به ما يخشى من اثر ذلك الكسوف ومما نقض به ابن العربي
وغيره ايضا انهم يزعمون ان الشمس لا تنكسف على الحقيقة وانما يحول القمر بينها وبين اهل الارض
عند اجتماعهما في العقدتين فقال هم يزعمون ان الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير
الكبير اذا قابله ام كيف يظلم الكثير بالقليل لا سيما وهو من جنسه وكيف تحجب الارض نور الشمس
وقد وقع في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب آخر غير ما يزعمه اهل الهيئة وهو ما اخرجه
احمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم بلفظ ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت
احد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله وان الله تعالى اذا تجلى لشيء من خلقه خشع له
وقد استشكل الغزالي هذه الزيادة قال انها لم تثبت فيجب تكذيب ناقلها قال ولو صحت
لكان تأويلها اهون من مكابرة امور قطعية لا تصادم اصلا من اصول الشريعة قال
ابن بزيزة وهذا عجب منه كيف يسلم دعوى الفلاسفة ويزعم انها لا تصادم الشريعة مع انها
مبنية على ان العالم كري الشكل وظاهر الشرع يعطي خلاف ذلك والثابت من قواعد الشرع
ان الكسوف اثر الارادة القديمة وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين النور متى شاء
والظلمة متى شاء من غير توقف على سبب او ربط باقتران والحديث الذي رده الغزالي
قد اثبته غير واحد من اهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى ايضا لان النورية والاضاءة من عالم
الجمال الحسي فاذا تجلت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ويؤيده قوله تعالى فلما تجلى ربه
للجبل جعله دكا انتهى ويؤيد هذا الحديث ما رويناه عن طاوس انه نظر الى الشمس وقد انكسفت
فبكى حتى كاد ان يموت وقال هي اخوف لله منا وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم ان الذي
يذكره اهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بهما عباده وليس بشيء لان لله تعالى افعالا على
حسب العادة وافعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على كل سبب فيقتطع ما يشاء من الاسباب
والمسببات بعضها عن بعض واذا ثبت هذا فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة
وانه يفعل ما يشاء اذا وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع
ان تكون اسباب تجري عليها العادة الى ان يشاء الله خرقها وحاصله ان الذي يذكره اهل الحساب
ان كان حقا في نفس الامر لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله تعالى قاله في فتح الباري
وعن ابن عباس قال انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا نحوا
من قراءة سورة البقرة ثم ركع ركوعا طويلا ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول
ثم رفع ثم سجد ثم قام دون القيام الاول فركع ركوعا دون الركوع الاول ثم رفع ثم سجد فقام قياما

طويلا

طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم سجد ثم انصرف وقد
تجلت الشمس فقال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك
فاذكروا الله قالوا يا رسول الله رايناك تناولت شيئا في مقامك هذا ثم رايناك تكعكعت قال
اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو اصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا ورايت النار فلم ار
منظرا كاليوم قط افظع ورايت اكثر اهلها النساء قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل يكفرن
بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم رات منك شيئا
قالت ما رايت منك خيرا قط رواه البخاري ومسلم وقوله ورايت الجنة والنار قال القاضي عياض
يحتمل انه راهما رؤية عين كشفه الله تعالى عنهما وازال الحجاب بينه وبينهما كما فرج له عن المسجد الاقصى
حين وصفه ويكون قوله عليه السلام في عرض هذا الحائط كما في رواية جهته وناحيته ويحتمل ان
يكون رؤية علم وعرض ووحي بالاطلاع وتعريفه من امورهما مفصلا لم يعرفه قبل ذلك قال القاضي
والاول اولى واشبه بالفاظ الحديث لما فيه من الامور الدالة على رؤية العين كتناوله العنقود
وتأخره مخافة ان يصيبه لفح النار انتهى ويستشكل قوله ولو اصبته مع قوله تناولت
واجيب بحمل التناول على تكلف الاخذ لا حقيقة الاخذ وقيل المراد تناولت لنفسي ولو اخذته
لكم حكاه الكرماني قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد وقيل المراد بقوله اخذت وضعت يدي عليه
بحيث كنت قادرا على تحويله لكن لم يقدر لي قطفه ولو اصبته اي لو تمكنت من قطفه ويدل عليه
قوله في حديث عقبة بن عامر عند ابن خزيمة اهوى بيده ليتناول شيئا وفي حديث اسماء عند البخاري
حتى لو اجترأت عليه وكأنه لم يؤذن له في ذلك فلم يجترئ عليه قال ابن بطال لم ياخذ العنقود لانه
من طعام الجنة وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز ان يؤكل فيها ما لا يفنى انتهى وفي حديث
اسماء بنت ابي بكر عند البخاري ومسلم والنسائي ما من شيء كنت لم اره الا رايته في مقامي هذا حتى
الجنة والنار ولقد اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريبا لا ادري اي ذلك قالت اسماء من فتنة
المسيح الدجال يقال ما علمك بهذا الرجل فاما المؤمن او الموقن لا ادري اي ذلك قالت اسماء فيقول
هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فاجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا
فيقال نم صالحا قد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق او المرتاب لا ادري اي ذلك قالت اسماء
فيقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته وفي رواية فرايت تخدشها هرة ربطتها حتى ماتت جوعا
وعطشا وفي رواية فرايت عمرو بن مالك يجر قصبه في النار وكان اول من غير دين ابراهيم
ورايت فيها سارق الحاج يعذب قوله قصبه بضم القاف وسكون الصاد اي امعاءه وفي رواية عائشة
ثم قال يا امة محمد والله ما من احد اغير من الله من ان يزني عبده او تزني امته والله لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الا هل بلغت لو تعلمون من عظم انتقام الله من اهل الجرائم وشدة
عقابه واهوال يوم القيامة ما اعلم وما بعده كما علمت وترون النار كما رايت في مقامي هذا وفي غيره

لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لغلبكم فيما تعلمونه • وفي حديث عائشة عند البخاري فخرج الى المسجد
فصف الناس وراءه فكبر فاقترأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعا طويلا
ثم قال سمع الله لمن حمده فقام ولم يسجد وقرأ قراءة طويلة وهي ادنى من القراءة الاولى • وزاد في
رواية ربنا ولك الحمد • واستدل به على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال في اول القيام الثاني
من الركعة الاولى • واستشكله بعض متأخري الشافعية من جهة كونه قيام قراءة لا قيام
اعتدال بدليل اتفاق العلماء ممن قال بزيادة الركوع في كل ركعة على قراءة الفاتحة فيه وان كان
محمد بن مسلمة المالكي خالف فيه • والجواب ان صلاة الكسوف جاءت على صفة مخصوصة
فلا مدخل للقياس بل كل ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعله كان مشروعا لانها اصل برأسها
وبهذا المعنى رد الجمهور على من قاسها على صلاة النافلة حتى منع من زيادة الركوع فيها •
فصلاة الكسوف اشبه شيء بصلاة العيد ونحوها مما يجمع فيه من مطلق النوافل فامتازت
صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود وصلاة العيد بزيادة التكبيرات وصلاة الخوف بزيادة
الافعال الكثيرة واستدبار القبلة وكذلك اختصت صلاة الكسوف بزيادة الركوع فالاخذ
به جامع بين العمل بالنص والقياس بخلاف من لم يعمل به • وقد تبين ان لصلاة الكسوف
هيئة تخصها من التطويل الزائد على العادة في القيام وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة
وقد وردت زيادة في ذلك من طرق اخرى فعند مسلم من وجه آخر عن عائشة وآخر عن جابر ان في كل
ركعة ثلاث ركوعات • وعنده من وجه آخر عن ابن عباس ان في كل ركعة اربع ركوعات ولابي داود
من حديث ابي بن كعب والبزار من حديث علي ان في كل ركعة خمس ركوعات ولا يخلو اسناد منها عن علة
ونقل ابن القيم في الهدي عن الشافعي واحمد والبخاري انهم كانوا يعدون الزيادة على الركوعين
في كل ركعة غلطا من بعض الرواة فان اكثر طرق الحديث يمكن رد بعضها الى بعض ويجمعها ان ذلك
كان يوم مات ابراهيم عليه السلام واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح • وجمع بعضهم
بين هذه الاحاديث بتعدد الواقعة وان الكسوف وقع مرارا فيكون كل من هذه الاوجه جائزا
وقال ابن خزيمة وابن المنذر والخطابي وغيرهم من الشافعية يجوز العمل بجميع ما ثبت من ذلك
وهو من الاختلاف المباح • وقواه النووي في شرح مسلم • وابدى بعضهم ان حكمة الزيادة في الركوع
والنقص كان بحسب سرعة الانجلاء وبطئه فحين وقع الانجلاء في اول ركوع اقتصر على مثله
وحين ابطأ زاد ركوعا وحين زاد في الابطاء زاد ثالثا وهكذا الى غاية ما ورد في ذلك وتعقبه
وغيره بان ابطاء الانجلاء وعدمه لا يعلم في اول الحال ولا في الركعة الاولى وقد اتفقت الروايات
على ان عدد الركوع في الركعتين سواء • وهذا يدل على انه مقصود في نفسه منوي من اول الحال
انتهى ملخصا من فتح الباري • وعند الامام احمد انه لما سلم حمد الله واثنى عليه وشهد
ان لا اله الا الله واشهد انه عبده ورسوله ثم قال ايها الناس انشدكم بالله ان كنتم تعلمون

اني

اني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما اخبرتموني ذلك فقام رجل فقالوا نشهد انك قد بلغت
رسالات ربك ونصحت لامتك وقضيت الذي عليك • ثم قال ايم الله لقد رايت منذ قمت
اصلي ما انتم لاقوه من امر دنياكم واخرتكم وانه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا
اخرهم الاعور الدجال من تبعه لم ينفعه صالح من عمله • وفي البخاري وقالت عائشة واسماء
خطب النبي صلى الله عليه وسلم • وقد اختلف في الخطبة فيه فاستحبها الشافعي واسحق واكثر
اهل الحديث • وقال ابن قدامة لم يبلغنا عن احمد ذلك • وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس
في الكسوف خطبة لانه لم ينقل • وتعقب بان الاحاديث ثبتت فيه وهي ذات كثرة والمشهور
عند المالكية ان لا خطبة لها مع ان مالكا روى الحديث وفيه ذكر الخطبة • واجاب بعضهم بانه
صلى الله عليه وسلم لم يقصد بها الخطبة بخصوصيتها وانما اراد ان يبين لهم الرد على من يعتقد
ان الكسوف لموت بعض الناس • وتعقب بما في الاحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة
وحكاية شرائطها من الحمد والثناء والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث فلم يقتصر على
الاعلام بسبب الكسوف والاصل مشروعية الاتباع والخصائص لا تثبت الا بدليل انتهى
وعن المغيرة بن شعبة عند البخاري كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
مات ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس
والقمر ايتان من ايات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتموها فصلوا وادعوا
الله • وابراهيم هو ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب جمهور اهل السير انه مات في السنة العاشرة
من الهجرة فقيل في ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في ذي الحجة والاكثر على انها وقعت في عاشر
الشهر • وقيل في رابعه وقيل في رابع عشره • ولا يصح شيء منها على قول ذي الحجة لان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذ ذاك بمكة في الحج • وقد ثبت انه شهد وفاته وكانت بالمدينة بلا خلاف نعم
قيل انه مات سنة تسع فان ثبت فيصح • وجزم النووي بانها كانت سنة الحديبية فلعل
ذلك كان في اخر ذي القعدة حين رجع منها • وفي هذا الحديث ابطال ما كان اهل الجاهلية
يعتقدونه من تأثير الكواكب في الارض قال الخطابي كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب
حدوث تغير في الارض من موت او ضرر فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان
الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة على الدفع عن انفسهما • وعن
عبد الله بن عمرو قال لما كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي ان الصلاة جامعة
رواه البخاري • وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة • وفي رواية لمسلم في حديث عائشة
بعث صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي الصلاة جامعة قال ابن دقيق العيد هذا الحديث حجة لمن استحب
ذلك وقد اجمعوا انه لا يؤذن لها ولا يقام • وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف
الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم • واخرجه الدارقطني ايضا • وفيه رد على من اطلق

كابن رشيد انه صلى الله عليه وسلم لم يصل في كسوف القمر • ومنهم من اول قوله صلى الله عليه وسلم
اى امر بالصلوة جمعا بين الروايتين • وقال ابن القيم في الهدى لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم
صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة له ان القمر خسف في السنة الخامسة
فصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلوة الكسوف فكانت اول صلوة كسوف في الاسلام
وهذا ان ثبت انتفى التاويل المذكور • وقد جزم به مغلطاي في سيرته المختصرة • وتبعه الحافظ
زين الدين العراقي في نظمها • وفي البخاري من حديث عائشة جهر النبي صلى الله عليه وسلم في صلوة
الخسوف بقراءته فاذا فرغ من قراءته كبر فركع فاذا رفع من الركعة قال سمع الله لمن حمده ربنا
ولك الحمد ثم يعاود القراءة في صلوة الكسوف اربع ركعات في ركعتين واربع سجدات
واستدل به على الجهر فيها بالنهار • وحمله جماعة ممن لم ير ذلك على كسوف القمر • قال الحافظ
ابن حجر وليس بجيد لان الاسمعيلي روى هذا الحديث من وجه اخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفي مسند ابي داود الطيالسي انه صلى الله عليه وسلم
جهر بالقراءة في صلوة الكسوف • وقد ورد الجهر فيها عن على رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا
اخرجه ابن خزيمة وغيره • وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحق وابن خزيمة وابن المنذر و
غيرهما من محدثي الشافعية وابن العربي من المالكية • وقال الطبري يخير بين الجهر والاسرار
وقال الائمة الثلاثة يسر في الشمس ويجهر في القمر • واحتج الشافعي بقول ابن عباس قرأ نحوا من
سورة البقرة لانه لو جهر لم يحتج الى التقدير • وقد روى الشافعي تعليقا عن ابن عباس انه صلى
بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفا ووصله البيهقي من ثلثة طرق
اسانيدها واهية • وعلى تقدير صحتها فمثبت الجهر معه قدر زائد فالاخذ به اولى • قال
ابن العراقي الجهر عندي اولى لانها صلوة جامعة ينادى لها ويخطب فاشبهت العيد والاستسقاء
انتهى ملخصا والله اعلم

الفصل الثاني في صلوته صلى الله عليه وسلم صلوة الاستسقاء

• اعلم ان الاستسقاء طلب السقيا من الله تعالى عند الحاجة اليها كما تقول
استعطى اى طلب العطاء • ولم يخالف احد من العلماء في سنة الصلوة في الاستسقاء الا ابو حنيفة
محتجا باحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلوة • واحتج الجمهور بالاحاديث الثابتة
في الصحيحين وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم صلى للاستسقاء ركعتين • واما الاحاديث التي
ليس فيها الصلوة فبعضها محمول على نسيان الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة ويعقبه
صلوة الجمعة فاكتفى بها ولو لم يصل اصلا كان بيانا لجواز الاستسقاء بالدعاء بلا صلوة
ولا خلاف في جوازه • وتكون الاحاديث المثبتة للصلوة مقدمة لان فيها زيادة علم ولا معارضة
بينهما • والاستسقاء انواع • الاول الاستسقاء بصلوة ركعتين وخطبتين و
يتاهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله

قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا
حتى اتى المصلى زاد في رواية فرقي المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعا والتضرع و
التكبير ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد • رواه الترمذي وغيره • وفي حديث عبد الله
ابن زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا المصلى يستسقي ثم استقبل القبلة
وقلب رداءه ثم صلى رواه البخاري ومسلم • وفي رواية خرج بالناس الى المصلى يستسقي فصلى
بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة واستقبل يدعو ورفع يديه وحول رداءه حين استقبل
القبلة • وفي رواية قال وحول رداءه وجعل عطافه الايمن على عاتقه الايسر وجعل عطافه
الايسر على عاتقه الايمن ثم دعا الله • قال الحافظ ابن حجر ولم اقف في شيء من طرق حديث
عبد الله بن زيد على سبب ذلك ولا على صفته صلى الله عليه وسلم حال الذهاب الى المصلى ولا
على وقت ذهابه • وقد وقع ذلك في حديث عائشة عند ابي داود وابن حبان قالت شكى الناس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فامر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس
يوما يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم
شكوتم جدب دياركم واستيخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد امركم الله ان تدعوه
ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا اله
الا هو يفعل ما يريد اللهم انت الله لا اله الا انت الغني ونحن الفقراء انزل علينا الغيث
واجعل ما انزلت لنا قوة وبلاغا الى حين ثم رفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه ثم حول الى
الناس ظهره وقلب او حول رداءه وهو رافع يديه ثم اقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين
فانشأ الله سحابا فرعدت وبرقت ثم امطرت باذن الله فلم يات مسجده حتى سالت
السيول فلما راى سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال اشهد ان الله على كل شيء
قدير واني عبد الله ورسوله • وقد حكى ابن المنذر الاختلاف في وقتها والراجح انه لا وقت
لها معين وان كان اكثر احكامها كالعيد لكنها تخالفه بانها لا تختص بيوم معين • وقيل
تصنع بالليل واستنبط بعضهم من كونه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة فيها بالنهار انها
نهارية كالعيد والا فلو كانت تصلى بالليل لاسر فيها بالنهار وجهر بالليل كمطلق النوافل
ونقل ابن قدامة الاجماع على انها لا تصلى في وقت الكراهة وافاد ابن حبان ان خروجه
صلى الله عليه وسلم الى المصلى للاستسقاء كان في شهر رمضان سنة ست من الهجرة
وذكر الواقدي ان طول ردائه صلى الله عليه وسلم كان ستة اذرع في ثلثة اذرع وطول ازاره
اربعة اذرع وشبرين في ذراعين وشبر كان يلبسهما في الجمعة والعيدين • وقد
روى ابو داود عن عبد الله بن زيد استسقى صلى الله عليه وسلم وعليه خميصة سوداء فاراد ان ياخذ
باسفلها فيجعلها اعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه • وقد استحب الشافعي في الجديد

فعل ما امر به صلى الله عليه وسلم من تنكيس الرداء مع التحويل الموصوف • وزعم القرطبي تبعا لغيره ان الشافعي اختار في الجديد تنكيس الرداء لا تحويله • والذي في الام ما ذكرته • والجمهور على استحباب التحويل فقط ولا ريب ان الذي استحبه الشافعي احوط • وعن ابي حنيفة وبعض المالكية لا يستحب شيء من ذلك • واستحب الجمهور ان يحول الناس بتحويل الامام • ويشهد له ما رواه احمد من طريق اخرى عن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول الناس معه • وقال الليث وابو يوسف يحول الامام وحده واستثنى ابن الماجشون النساء فقال لا يستحب في حقهن • واختلف في حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بانه للتفاؤل بتحويل الحال عما هي عليه • وتعقبه ابن العربي بان من شرط الفال ان لا يقصد اليه قال وانما التحويل امارة بينه وبين ربه قيل له حول رداءك ليتحول حالك • وتعقب بان الذي جزم به يحتاج الى نقل والذي رده ورد فيه حديث رجاله ثقات اخرجه الدارقطني والحاكم من طريق جعفر ابن محمد بن علي عن ابيه عن جابر • ورجح الدارقطني ارساله وعلى كل حال فهو اولى من القول بالظن • واستدل بقوله في حديث عائشة ثم صلى ركعتين بعد قوله فقعد على المنبر على ان الخطبة في الاستسقاء قبل الصلوة وهو مقتضى حديث ابن عباس لكن وقع عند احمد في حديث عبد الله بن زيد التصريح بدء بالصلوة قبل الخطبة • وكذا في حديث ابي هريرة عند ابن ماجه حيث قال فصلى بنا ركعتين بغير اذان ولا اقامة • والمرجح عند الشافعية والمالكية الثاني • ولم يقع في شيء من طرق حديث عبد الله ابن زيد صفة الصلوة المذكورة ولا ما يقرأ فيها • وقد اخرج الدارقطني من حديث ابن عباس انه يكبر فيهما سبعا وخمسا كالعيد وانه يقرأ فيهما بسبح وهل اتاك • وفي اسناده مقال • لكن اصله في السنن بلفظ ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيدين فاخذ بظاهره الشافعي فقال يكبر فيهما •

الثاني استسقاؤه صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة • عن انس ان رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم اغثنا اللهم اغثنا قال انس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم امطرت قال فلا والله ما رأينا الشمس سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر قال فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس • قال شريك فسألت انس بن مالك اهو الرجل الاول قال لا ادري • رواه مسلم • وفي رواية له فما يشير بيده الى ناحية الا انفرجت حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجيء احد من ناحية الا اخبر بجود • وقوله يغيثنا بفتح اوله يقال غاث الله البلاد يغيثها اذا ار

سل عليها المطر • وقوله من باب كان نحو دار القضاء هي دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه • وسميت بذلك لانها بيعت في قضاء دينه • وقوله هلكت الاموال • وفي رواية كريمة • وابي ذر عن الكشميهني المواشي وهو المراد بالاموال هنا • وفي رواية البخاري ايضا هلكت الماشية هلك العيال هلك الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص • وفي البخاري هلك الكراع بضم الكاف وهو يطلق على الخيل وغيرها والمراد بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس المطر • وانقطعت السبل لان الابل ضعفت لقلة القوت عن السفر او لكونها لا تجد في طريقها من الكلأ ما يقيم اودها • والآكام وقد تفتح وتمد جمع اكمة بفتحات التراب المجتمع • وقيل الجبل الصغير • وقيل ما ارتفع من الارض والظراب بكسر المعجمة جمع ظرب بكسر الراء الجبل المنبسط ليس بالعالي • وقوله مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الموحدة هي الحفرة المستديرة الواسعة • والمراد بها هنا الفرجة من السحاب والجود المطر الغزير وقوله وسال الوادي قناة شهرا اي جرى فيه المطر من الماء شهرا • وفي هذا دليل على عظم معجزة عليه السلام وهو ان سخرت السحاب له كلما اشار اليها امتثلت بالاشارة دون كلام لا بكلام عليه السلام لمناجاته للحق تعالى اما السحاب فبالاشارة فلولا الامر لها بالطاعة له عليه السلام لما كان ذلك لانها ايضا كما جاءت مأمورة حيث يشير وقدر ما يقيم واين يقيم • ويرحم الله العشري للشيخ حسن حيث قال

دعوت للحق غمام المحل مبتهلا • افديك بالخلق من داع ومبتهل •
صعدت كفيك اذ كف الغمام فما • صوبت الا بصوب الواكف الهطل •
اراق بالارض ثجا صوب ريقه • فحل بالارض نبع الرائق الحلل •
زهر من النور حلت روض ارضهم • زهر من النور ضاهى في النبت مكتمل •
من كل غصن نضير مورق خضر • وكل نور نضيد مونق خضل •
نعم اخت الاحياء من مضر • بعد المقحط ترو السبل بالسبل •
دامت على الارض سبعا غير مقلعة • لولا دعاؤك بالاقلاع لم تزل •

وقوله في الحديث سبتا اي من السبت الى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهر غير الاول لان النكرة اذا تكررت تعددت • وفي رواية ابن اسحق فقام ذلك الرجل او غيره • وفي رواية فتقشعت عن المدينة فجعلت تمطر حواليها وما تمطر بالمدينة قطرة وانها لفي مثل الاكليل وهو بكسر الهمزة وسكون الكاف كل شيء دار من جوانبه واشتهر لما يوضع على الرأس فيحيط بها وهو من ملابس الملوك كالتاج • وفي رواية له ايضا فالف الله بين السحاب ومكثنا حتى رأيت الرجل الشديد تهمه نفسه ان يأتي اهله • وفي رواية له ايضا فرأيت السحاب يتمزق كانه الملاء حين يطوى والملاء بضم الميم والقصر وقد يمد جمع ملاءة وهي ثوب معروف • واستدل بهذا الحديث على جواز الاستسقاء بغير صلوة مخصوصة • وعلى ان الاستسقاء ليس فيه صلوة • فاما الاول فقال به الشافعي • واما الثاني فقال به ابو حنيفة • وتعقب بان الذي وقع في هذه القصة مجرد دعاء لا ينافي مشروعية الصلوة لها • وقد ثبتت في واقعة اخرى كما تقدم والله اعلم •

الثالث استسقاؤه صلى الله عليه وسلم على منبر المدينة • روى البيهقي في الدلائل من طريق يزيد بن عبيد السلمي قال لما

رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا وفيهم خارجة
ابن حصن والحر بن قيس وهو اصغرهم فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الانصار وقدموا على
ابل عجاف وهم مسنتون فاتوا مقرين بالاسلام فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم
فقالوا يا رسول الله اسنتت بلادنا واجدبت جناتنا وعريت عيالنا وهلكت مواشينا فادع
ربك ان يغيثنا وتشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله
ويلك انا شفعت الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه فقال صلى الله عليه وسلم لا اله الا هو
العظيم وسع كرسيه السموات والارض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شغفكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي
او يضحك ربنا يا رسول الله قال نعم فقال الاعرابي لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك
خيرا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله فقام صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم
بكلمات ورفع يديه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من الدعاء الا في
الاستسقاء فرفع يديه حتى رئي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك
وبهيمتك وانشر رحمتك واحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا
واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق
ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام ابو لبابة بن عبد المنذر فقال
يا رسول الله ان التمر في المرابد فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا فقال ابو لبابة ان التمر في
المرابد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره
قال فلا والله ما في السماء قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء
سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت فوالله ما رأوا
الشمس سبتا وقام ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فقال الرجل يا
رسول الله يعني الذي سأله ان يستسقي لهم هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه
وسلم المنبر فدعا ورفع يديه مدا حتى رئي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم
على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب
والاطيط صوت الرحل يعني ان الكرسي ليعجز عن حمل عظمته وجلاله اذ كان معلوما ان اطيط الرحل
بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا مثل لعظمته تعالى وجلاله وان
لم يكن اطيط وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى وقوله طبقا بفتح والموحدة اي
مالئا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق اي عام واسع والمربد موضع يجفف فيه التمر
وثعلبه ثقبه الذي يسيل منه المطر وعن انس بن مالك قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لانه

لابد ان يئط وانشد اتيناك والعذراء تدمى لبانها وقد شغلت ام الصبي
عن الطفل والقى بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي ولا شيء مما
ياكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل وليس لنا الا اليك فرارنا
واين فرار الناس الا الى الرسل فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه
الى السماء ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا
غير رائث تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها قال فما رد صلى الله عليه وسلم
يديه الى نحره حتى التقت السماء بابراقها وجاء اهل البطانة يضجون الغرق فقال عليه السلام
حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالاكليل وضحك صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه فمن ينشدنا قوله فقال
علي رضي الله عنه يا رسول الله كانك تريد قوله وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال
اليتامى عصمة للارامل يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل كذبتم
وبيت الله نبزى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل
عن ابنائنا والحلائل فقال الجل وقوله تدمى لبانها اي يدمى صدرها لامتهانها نفسها
في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان واصل اللبان
موضع اللبب ثم استعير للناس وقوله ما يمر وما يحلي اي ما ينطق بخير ولا شر من الجوع
الضعف وقوله سوى الحنظل العامي نسبة الى العام لانه يتخذ في عام الجدب كما قالوا
للجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة
قاله الجوهري والفسل الرذل قال السهيلي فان قلت كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى
الغمام بوجهه ولم يره قط استسقى وانما كان ذلك منه بعد الهجرة واجاب بما حاصله
ان ابا طالب اشار الى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم
معه وهو غلام انتهى وقال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما رأى
من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى قلت وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة
ابن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب
العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء
وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام وما في السماء قزعة
فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي
ذلك يقول ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه انتهى
الرابع استسقاؤه صلى الله عليه وسلم بالدعاء من غير صلاة عن ابن مسعود ان قريشا ابطؤوا
عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا

غير آجل

المنبر والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بصلة الرحم فان قومك هلكوا فادع الله فقرأ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر • زاد اسباط عن منصور فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم • رواه البخاري • وافاد الدمياطي ان ابتداء الدعاء على قريش كان عقيب طرحهم على ظهره سلا الجزور • وكان ذلك بمكة قبل الهجرة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك بالمدينة في القنوت كما في حديث ابي هريرة عند البخاري • ولا يلزم من ذلك اتحاد هذه القصص اذ لا مانع ان يدعو بذلك عليهم مرارا والظاهر ان مجيء ابي سفيان كان قبل الهجرة لقول ابن مسعود ثم عادوا فذلك قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر • ولم ينقل ان ابا سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا فيحتمل ان يكون ابو طالب كان حاضرا في ذلك فلذا قال • وابيض يستسقى الغمام بوجهه • لكن ما ورد مما يدل على ان القصة وقعت بالمدينة • فان لم يحمل على التعدد والا فهو مشكل • وفي الدلائل للبيهقي عن كعب بن مرة او مرة بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتاه ابو سفيان فقال ادع الله لقومك فقد هلكوا • وقد رواه احمد وابن ماجه عن كعب بن مرة ولم يشك فابهم ابا سفيان • قال جاءه رجل فقال استسق الله لمضر قال يا رسول الله استنصرت الله فنصرك ودعوت الله فاجابك فرفع يديه فقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا • الحديث • فظهر ان هذا الرجل المبهم المقول له انك لجريء هو ابو سفيان لكن يظهر ان فاعل قال يا رسول الله استنصرت الله الى اخره هو كعب بن مرة راوي هذا الحديث لما اخرجه احمد والحاكم عن ابي بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتيته فقلت يا رسول الله ان الله قد نصرك واعطاك واستجاب لك وان قومك قد هلكوا • وعلى هذا فكان ابا سفيان وكعبا حضرا جميعا فكلمه ابو سفيان بشيء وكعب بشيء فدل ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت في هذه ما ثبت في تلك من قوله انك لجريء ومن قوله اللهم حوالينا ولا علينا • وسياق كعب بن مرة يشعر بان ذلك وقع بالمدينة لقوله استنصرت الله فنصرك ولا يلزم من هذا اتحاد هذه القصة مع قصة انس السابقة بل هي واقعة اخرى لان في رواية انس فلم ينزل عن المنبر حتى مطروا وفي هذه فما كان الا جمعة ونحوها حتى مطروا والسائل في هذه القصة غير السائل في تلك فهما قصتان وقع في كل منهما طلب الدعاء بالاستسقاء ثم طلب الدعاء بالاستصحاء وان ثبت كعب بن مرة اسلم قبل الهجرة حمل قوله استنصرت الله فنصرك على النص باجابة دعائه عليهم وزال الاشكال المتقدم • والله اعلم • انتهى ملخصا من فتح الباري • الخامس استسقاؤه صلى الله عليه وسلم عند احجار الزيت قريبا من الزوراء وهو خارج باب المسجد الذي يدعى باب السلام نحو

قدر قذف حجر ينعطف على يمين الخارج من المسجد عن عمير مولى ابي اللحم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي رافعا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما رأسه • رواه ابو داود والترمذي • السادس استسقاؤه عليه السلام في بعض غزواته لما سبقه المشركون الى الماء فاصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال بعض المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال او قد قالوها عسى ربكم ان يسقيكم ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعائه حتى اظله السحاب وامطروا الى ان سال الوادي فشرب الناس وارتووا •

فصل عن سالم بن عبد الله عن ابيه مرفوعا انه كان اذا استسقى قال اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم ان بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللاواء والجهد والضنك ما لا نشكوه الا اليك اللهم انبت لنا الزرع وادر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وانبت لنا من بركات الارض اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فارسل السماء علينا مدرارا • رواه الشافعي •

فصل روى ابو الجوزاء قال قحط اهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق • وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الدار قال اصاب الناس القحط في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فاتي الرجل في المنام فقيل له ائت عمر • وفي رواية عبد الرزاق ان عمر استسقى بالمصلى فقال للعباس قم فاستسق • وذكر الزبير بن بكار ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس عام الرمادة بفتح الراء وتخفيف الميم وسمي به لما حصل من شدة الجدب فاغبرت الارض جدا من عدم المطر • وذكر ابن عساكر في كتاب الاستسقاء ان العباس لما استسقى ذلك اليوم قال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم انزل منه الماء ثم انزله علينا واشدد به الاصل واطل به الفرع وادر به الضرع اللهم شفعنا اليك عمن لا منطق له من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعة بالغة طبقا اللهم لا نرغب الا اليك وحدك لا شريك لك اللهم نشكو اليك سغب كل ساغب وعدم كل عادم وجوع كل جائع وعري كل عار وخوف كل خائف • وفي رواية الزبير بن بكار ان العباس لما استسقى به عمر قال اللهم لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فارخت السماء مثل الجبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس • وعنده ايضا قحط الناس

فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا ايها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس فاتخذوه وسيلة الى الله وفيه فما برحوا حتى سقوا • وفي ذلك يقول العباس بن عتبة ابن ابي لهب •
بعمي سقى الله الحجاز واهله • عشية يستسقي بشيبته عمر • توجه بالعباس في الجدب راغبا • اليه فما ان دام حتى اتى المطر • ومنا رسول الله فينا تراثه • فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر •

القسم الثالث في ذكر صلوته صلى الله عليه وسلم في السفر

وفيه فصول • الاول في قصره صلى الله عليه وسلم الصلوة فيه من احكامه • وفيه فرعان • الاول في كونه صلى الله عليه وسلم يقصر الصلوة تقدم فضل القصر وانه رخصة ام عزيمة • ومما استدل به لكل من القولين في اول هذا المقصد • وعن انس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اربعا وخرج يريد مكة فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين • رواه البخاري ومسلم • وهذا الحديث مما احتج به اهل في جواز القصر في طويل السفر وقصيره فان بين المدينة وذي الحليفة ستة اميال وقيل سبعة • وقال الجمهور لا يجوز القصر الا في سفر يبلغ مرحلتين • وقال ابو حنيفة وطائفة شرطه ثلاث مراحل واعتمدوا في ذلك اثارا عن الصحابة • واما هذا الحديث فلا دلالة فيه لاهل الظاهر لان المراد انه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى مكة في حجة الوداع صلى الظهر بالمدينة اربعا ثم سافر فادركته العصر وهو مسافر بذي الحليفة فصلاها ركعتين وليس المراد ان ذا الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه قطعا • والاحاديث المطلقة مع ظاهر القران متعاضدة على جواز القصر من حين يخرج من البلد فانه حينئذ يسمى مسافرا وطويل السفر ثمانية واربعون ميلا هاشمية وهي ستة عشر فرسخا وهي اربعة برد • والميل من الارض منتهى مد البصر لان البصر يميل عنه على وجه الارض حتى يفنى ادراكه • وبذلك جزم الجوهري • وقيل حده ان ينظر الى الشخص في ارض مسطحة فلا يدري اهو رجل ام امرأة وهو ذاهب او آت • قال النووي الميل ستة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة • وقد حرره غيره بذراع الحديد المستعمل الان بمصر والحجاز في هذه الاعصار فوجد ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن فعلى هذا فالميل بذراع الحديد خمسة الاف ومائتان وخمسون ذراعا • وهذه فائدة جليلة قل من تنبه لها • وروى البيهقي عن عطاء ان ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين ويفطران في اربعة برد فما فوقها • وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم • ورواه بعضهم من صحيح ابن خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلوة ركعتين ركعتين فلما اتاها جبريل عليه السلام فرضت اربعا • رواه البخاري من حديث عائشة لكن يعارضه حديث ابن عباس فرضت الصلوة في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين • رواه مسلم • والجمع بينهما يطول ذكره • ثم بعد ان استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول قوله تعالى

فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة • ويؤيده ما ذكره ابن الاثير في شرح المسند ان قصر الصلوة كان في السنة الرابعة من الهجرة • وقيل كان قصر الصلوة في ربيع الاخر من السنة الثانية ذكره الدولابي وقيل بعد الهجرة باربعين يوما •

الفرع الثاني في القصر مع الاقامة

عن انس قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة وكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة قيل له اقمتم بمكة شيئا قال اقمنا بها عشرا • رواه البخاري ومسلم مختصرا قال اقام النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة يقصر الصلوة فنحن اذا سافرنا تسعة عشر قصرنا وان زدنا اتممنا • رواه البخاري • وفي رواية ابي داود انه صلى الله عليه وسلم اقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلوة قال ابن عباس فلو اقام اكثر اتم • والرواية الاولى بتقديم التاء على السين والثانية بتقديم السين على الموحدة • ولابي داود من حديث عمران بن حصين غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي الا ركعتين • وله من طريق ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس اقام صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمسة عشر يوما يقصر الصلوة • وجمع البيهقي بين هذا الاختلاف بان من قال تسع عشرة عد يوم الدخول والخروج ومن قال سبعة عشر حذفهما • واما رواية خمسة عشر فضعفها النووي في الخلاصة وليس بجيد لان رواتها ثقات • ولم ينفرد بها ابن اسحق فقد اخرجها النسائي من رواية عراك بن مالك عن عبيد الله كذلك • واذا ثبت انها صحيحة فلتحمل على ان الراوي ظن ان رواية الاصل سبع عشرة فحذف منها يومين يومي الدخول والخروج فذكر انها خمس عشرة واقتضى ذلك ان رواية تسع عشرة ارجح الروايات • واخذ الشافعي بحديث عمران بن الحصين لكن محله عنده فيمن لم يزمع الاقامة فانه اذا مضت عليه المدة المذكورة وجب عليه الاتمام فان ازمع الاقامة في اول الحال على اربعة ايام اتم على خلاف بين الصحابة في دخول يومي الدخول والخروج فيها ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث انس لان حديث ابن عباس كان في فتح مكة وكان حديث انس في حجة الوداع وفي حديث ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه يعني مكة لصبح رابعة • ولا شك انه خرج من مكة صبح الرابع عشر فتكون مدة الاقامة بمكة وضواحيها عشرة ايام بلياليها كما قال انس ويكون مدة اقامته اربعة ايام سوى لانه في اليوم الرابع وخرج منها في اليوم الثامن فصلى الظهر بمنى • ومن ثم قال الشافعي ان المسافر اذا اقام ببلده قصر اربعة فالمدة التي في حديث ابن عباس يسوغ الاستدلال بها على من لم ينو الاقامة بل كان مترددا متى تهيأ له فراغ حاجته يرحل • والمدة التي في حديث انس يستدل بها على من نوى الاقامة لانه صلى الله عليه وسلم في ايام الحج كان جازما بالاقامة تلك المدة ووجه الدلالة من حديث ابن عباس لما كان الاصل في المقيم الاتمام • فلما لم يجئ عنه صلى الله عليه وسلم انه اقام في حال السفر اكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر • والله اعلم •

الفصل الثاني

وفيه فرعان ايضا • الاول في جمعه صلى الله عليه وسلم • عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر الى العصر ثم نزل فجمع بينهما فان زاغت الشمس قبل

ان يرتحل ثم صلى الظهر ثم ركب • وفي رواية انه كان اذا اراد ان يجمع بين صلوتين في السفر اخر الظهر حتى يدخل اول وقت العصر • وفي اخرى كان اذا عجل عليه السير يؤخر الظهر الى اول وقت العصر فيجمع بينهما • ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء • رواه البخاري ومسلم وابو داود • وفي رواية للبخاري كان يجمع بين هاتين الصلوتين في السفر يعني المغرب والعشاء • وفي حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين صلوتي الظهر والعصر اذا كان على ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشاء رواه البخاري • ولمسلم جمع بين الصلوة في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء • وله ولمالك وابي داود والنسائي انهم خرجوا معه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فكان يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فاخر الصلوة يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا • وفي رواية ابي داود والترمذي من حديث معاذ بن جبل كان في غزوة تبوك اذا زاغت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين الظهر والعصر فان ارتحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر حتى ينزل للعصر وفي المغرب مثل ذلك ان غابت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس اخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم يجمع بينهما

الفرع الثاني في جمعه صلى الله عليه وسلم بجمع مزدلفة

عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعا • رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود • زاد البخاري في رواية كل واحدة منهما باقامة ولم يسبح بينهما • ولمسلم جمع بين المغرب والعشاء بجمع وصلى المغرب ثلث ركعات وصلى العشاء ركعتين • وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند البخاري ومسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشاء في المزدلفة • وفي رواية ابن عباس عند النسائي صلى المغرب والعشاء باقامة واحدة بعرفة ولم يسبح بينهما واقامتين ولم يسبح بينهما

الفصل الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل في السفر

عن ابن عمر قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم و ابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يصلون الظهر والعصر ركعتين ركعتين ولا يصلون قبلهما ولا بعدهما وقال ابن عمر لو كنت مصليا قبلها او بعدها لاتممتها • رواه الترمذي • وفي رواية صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلما اره يسبح في السفر اي يتنفل بالرواتب التي قبل الفرائض وبعدها • وهو مستفاد من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين • قال ابن دقيق العيد وهذا اللفظ يحتمل ان يريد لا يزيد على عدد ركعات الفرض فيكون كناية عن نفي الاتمام والمراد به الاخبار عن المداومة على القصر • ويحتمل ان يريد لا يزيد نفلا ويمكن ان يريد ما هو اعم من ذلك • وفي رواية مسلم صحبت ابن عمر في طريق مكة فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل واقبلنا معه حتى جاء رحله فجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة فرأى ناسا قياما فقال ما يصنع هؤلاء قلت يسبحون قال لو كنت مسبحا لاتممت قال النووي اجابوا عن قول ابن عمر هذا بان الفريضة محتمة فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما النافلة فهي لخيرة المصلي فطريق الرفق به ان تكون مشروعة ويتخير فيها • انتهى • وتعقب

بان مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعني انه لو كان مخيرا بين الاتمام وصلوة الراتبة لكان الاتمام احب اليه لكنه فهم من القصر التخفيف فلذلك كان لا يصلي الراتبة ولا يتم • وفي البخاري من حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يوتر على راحلته وبوب عليه باب الوتر في السفر و اشار به الى الرد على من قال انه لا يسن الوتر في السفر • وهو منقول عن الضحاك • واما قول ابن عمر لو كنت مسبحا في السفر لاتممت • كما اخرجه مسلم فانما اراد به راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة كالوتر وذلك ظاهر من سياق الحديث المذكور عند الترمذي من وجه اخر بلفظ لو كنت مصليا قبلها او بعدها لاتممت • اما حديث عائشة عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتان بعدها فليس بصريح في فعله ذلك في السفر ولعلها اخبرت عن اكثر احواله وهو الاقامة والرجال اعلم بسفره من النساء • واجاب النووي تبعا لغيره بانه لعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب في رحله • ولا يراه ابن عمر • ولعله تركها في بعض الاوقات لبيان الجواز • انتهى • وفي رواية الترمذي من حديث ابن عمر صليت معه الظهر في السفر ركعتين وبعدها ركعتين • وفي رواية صليت معه في الحضر والسفر فصليت معه في الحضر الظهر اربعا وبعدها ركعتين وصليت معه في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين والعصر ركعتين ولم يصل بعدها شيئا والمغرب في الحضر والسفر سواء ثلث ركعات لا تنقص في حضر ولا سفر وهي وتر النهار وبعدها ركعتين • وفي حديث ابي قتادة عند مسلم في قصة النوم عن صلوة الصبح انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى الصبح كما كان يصلي • وقول صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى سنة صلوة قبلها ولا بعدها في السفر الا ما كان من سنة الفجر يرده على الاطلاق ما قدمناه • وفي رواية الترمذي من حديث ابن عمر وما رواه ابو داود والترمذي من حديث البراء بن عازب قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفرا فلم اره ترك ركعتين اذا زاغت الشمس قبل الظهر وكانه لم يثبت عنده ذلك لكون الترمذي استغربه • ونقل عن البخاري انه رآه حسنا • وقد حمله بعض العلماء على سنة الزوال لا على الراتبة قبل الظهر •

الفصل الرابع في صلوته صلى الله عليه وسلم التطوع في السفر على الدابة

عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي سبحته حيثما توجهت به ناقته • وفي رواية يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث كان وجهه وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله • وفي رواية رأيته صلى الله عليه وسلم يصلي على حمار وهو متوجه الى خيبر • وفي رواية انه كان يوتر على البعير رواه مسلم • وقد اخذ بهذه الاحاديث فقهاء الامصار في جواز التنفل على الراحلة في السفر حيث توجهت الا ان احمد وابا ثور كانا يستحبان ان يستقبل القبلة بالتكبير حال ابتداء الصلوة • والحجة لذلك ما في حديث انس عند ابي داود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتطوع في السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث توجهت ركابه • وذهب الجمهور الى جواز التنفل على

الدائر سواء كان السفر قصيرا او طويلا وكره الامام مالك تخصيصه بالسفر الطويل وحجته ان هذه الاحاديث انما وردت في اسفاره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك انه سافر سفرا قصيرا فصنع ذلك • وحجة الجمهور مطلق الاخبار في ذلك وقوله يصلي على حمار قال النووي قال الدارقطني وغيره هذا غلط من عمرو بن يحيى المازني وانما المعروف في صلوته صلى الله عليه وسلم على راحلته او بعيره • والصواب ان الصلوة على الحمار من فعل انس كما ذكره مسلم • ثم قال وفي تغليطه نظر لانه ثقة نقل شيئا محتملا • فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال انه شاذ فانه مخالف رواية الجمهور والشاذ مردود • انتهى • وعن يعلى بن مرة عن ابيه عن جده انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فانتهوا الى مضيق فحضرت الصلوة فمطرت السماء من فوقهم والبلة من اسفل منهم فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فصلى بهم يومي ايماء يجعل السجود اخفض من الركوع • رواه البيهقي •

القسم الرابع في ذكر صلوته صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف

عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال فمن يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف وعلقه فاقيمت الصلوة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكان للنبي صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان • رواه البخاري ومسلم ولمسلم صففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الى الصف المؤخر ثم تأخر المقدم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا معه جميعا • ولمسلم والبخاري ايضا من حديث يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى معه صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلوة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم قال مالك احسن ما سمعت في صلوة الخوف • وما ذهب اليه مالك من ترجيح الكيفية وافقه الشافعي واحمد على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها احوط لامر الحرب • وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بل

قبل نجد فوازينا العدو فصاففنا لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فقامت طائفة معه واقبلت طائفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل فجاؤا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين • وفي حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلوة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طائفة اخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم • رواه البغوي في شرح السنة • وعنه انه صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون لهؤلاء صلوة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم وامهاتهم وهي العصر فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه شطرين فيصلي بهم وتقوم طائفة اخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فيكون لهم ركعة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان • رواه الترمذي والنسائي قال ابن حزم صح فيها يعني صلوة الخوف اربعة عشر وجها وبينها في جزء مفرد • وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات كثيرة اصحها ستة عشر رواية مختلفة ولم يبينها • وقال النووي نحوه في شرح مسلم ولم يبينها ايضا • وقد بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي وزاد وجها اخر فصارت سبعة عشر وجها لكن يمكن ان تتداخل • وقال صاحب الهدي اصولها ست صفات وبلغها بعضهم اكثر وهؤلاء كلما رأوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجها من فعله صلى الله عليه وسلم وانما هو من اختلاف الرواة • انتهى • وهذا هو المعتمد واليه اشار الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها • وقد حكى ابن القصار المالكي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات • وقال ابن العربي اربعا وعشرين • وقال الخطابي صلاها عليه الصلوة والسلام في ايام مختلفة باشكال متباينة يتحرى فيها ما هو الاحوط للصلوة والابلغ للحراسة فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى • انتهى • وفي كتب الفقه تفاصيل لها كثيرة وفروع يطول ذكرها حكاه في فتح الباري

القسم الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة • وفيه فروع اربعة • الاول في عدد التكبيرات

عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر عليه اربع تكبيرات • رواه البخاري ومسلم • وعند الترمذي من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كبر على جنازة فرفع يديه مع اول تكبيرة ووضع اليمنى على اليسرى •

الفرع الثاني في القراءة والدعاء

نقل ابن المنذر عن ابن مسعود والحسن بن علي رضي الله عنهما وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية قراءة الفاتحة في صلوة الجنازة • وبه قال الشافعي واحمد واسحق • ونقل عن ابن عمر وابي هريرة ليس فيها قراءة • وهو قول مالك والكوفيين • وروى عبد الرزاق والنسائي باسناد صحيح عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال السنة في الصلوة على الجنازة ان يكبر ثم يقرأ بام القرآن ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا في الاولى • وفي البخاري عن سعد عن طلحة

قال صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ فاتحة الكتاب وقال لتعلموا انها سنة وليس فيها بيان
محل قراءة الفاتحة وقد وقع التصريح بذلك في حديث جابر عند الشافعي بلفظ وقرأ بأم القرآن
بعد التكبيرة الأولى كما ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي • وعن ابن عباس قال صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب • رواه الترمذي • وقال لا يصح هذا
والصحيح عن ابن عباس قوله من السنة • وهذا مصير منه الى الفرق بين الصيغتين ولعله اراد
الفرق بالنسبة الى الصراحة والاحتمال • وعن عوف بن مالك صلى الله عليه وسلم على جنازة
فحفظنا من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء
والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله
وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى تمنيت ان اكون
ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم • رواه مسلم • وعن واثلة بن الاسقع قال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك
فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحق اللهم اغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم • رواه
ابو داود • وعن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على الجنازة قال اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا
وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته
منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده • رواه احمد وابو داود والترمذي وعنه
سمعته صلى الله عليه وسلم يقول انت ربها وانت خلقتها وهديتها الى الاسلام وقبضت روحها وانت اعلم
بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها • رواه ابو داود •

النوع الثالث في صلوته صلى الله عليه وسلم على القبر

عن ابي هريرة ان امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسأل عنها فقالوا ماتت قال افلا آذنتموني قال فكأنهم صغروا امرها فقال دلوني
على قبرها فدلوه فصلى على قبرها عليها • رواه البخاري ومسلم • زاد ابن حبان فقال في رواية حماد بن سلمة
عن ثابت ان هذه القبور مملوءة ظلمة على اهلها وان الله ينورها بصلاتي عليهم • واشار الى بعض المخالفين
احتج بهذه الزيادة على ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم ساق من طريق خارجة بن زيد
بن ثابت عن عمه يزيد ابن ثابت نحو هذه القصة وفيها فأتى القبر فصففنا خلفه وكبر عليه اربعا
قال ابن حبان في ترك انكاره عليه السلام على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وانه
ليس من خصائصه • وتعقب بان الذي يقع بالتبعية لا ينهض دليلا للاصالة • وعن عقبة
ابن عامر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف • وفي رواية صلى
على قتلى احد بعد ثماني سنين كالمودع للاحياء والاموات • رواه ابو داود والنسائي • ورواه البخاري
ايضا بلفظ خرج يوما فصلى على اهل احد كصلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم
الحديث • وفيه الصلاة على الشهداء في حرب الكفار • ومما اختلف العلماء في هذه المسألة فذهب مالك

والشافعي واحمد واسحق والجمهور الى انه لا يصلى عليهم • وذهب ابو حنيفة الى الصلاة عليهم كغيرهم
وبه قال المزني وهو رواية عن احمد اختارها الخلال • وحجة الجمهور انه عليه الصلاة والسلام لم يصل على
قتلى احد كما رواه البخاري في صحيحه عن جابر • واما هذه الصلاة فالمراد بها الدعاء وليس المراد بها
صلاة الجنازة المعهودة • قال النووي اي دعا لهم بدعاء صلاة الميت • وان هذه الصلاة مخصوصة
بشهداء احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود من صلاة الجنازة وانما صلى عليهم في القبور بعد ثمان
سنين • والحنفية يمنعون الصلاة على القبر مطلقا • ولو كانت الصلاة عليهم واجبة لما تركها في الاول
ثم ان الشافعية اختلفوا في معنى قولهم لا يصلى على الشهيد فقال الاكثر معناه تحرم الصلاة عليهم وهو الصحيح
عندهم وقال آخرون معناه لا تجب عليهم لكن تجوز • وذكر ابن قدامة ان كلام احمد في الرواية التي قال
فيها يصلى عليهم يشير الى انها مستحبة غير واجبة • قال ابن المنير صاحب مالك انما لا يصلى على الشهيد
فيما اذا كان المسلمون هم الذين غزوا الكفار فان كان الكفار هم الذين غزوا المسلمين فيصلى عليهم

النوع الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم على الغائب

عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال قد توفي
اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه قال فصففنا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن وراءه •
رواه البخاري ومسلم • وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج
بهم الى المصلى فصف بهم وكبر اربع تكبيرات • رواه الشيخان ايضا • وعند البخاري من طريق ابن عيينة
عن ابن جريج فقوموا فصلوا على اخيكم اصحمة • وبهذا الحديث استدل من منع الصلاة على الميت في
المسجد • وهو قول الحنفية والمالكية • لكن قال ابو يوسف ان اعد المسجد للصلاة على الموتى لم يكن في الصلاة
فيه عليهم بأس • قال النووي ولا حجة فيه لان الممتنع عند الحنفية ادخال الميت المسجد لا مجرد الصلاة
عليه حتى لو كان الميت خارج المسجد جازت الصلاة عليه لمن هو داخله وقال ابن بزيزة وغيره استدل به
بعض المالكية وهو باطل لانه ليس فيه صيغة نهي • ولاحتمال ان يكون خرج بهم الى المصلى لامر غير
المعنى المذكور • وقد ثبت انه عليه السلام صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد فكيف يترك هذا
الصريح لامر محتمل • بل الظاهر انه خرج بالمسلمين الى المصلى لتكثير الجمع الذين يصلون عليه ولاشاعة
كونه مات على الاسلام فقد كان بعض الناس لم يدر كونه اسلم • فقد روى ابن ابي حاتم في التفسير والدارقطني
في الافراد والبزار كلاهما عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي قال بعض اصحابه صلى على علج من الحبشة
فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الآية • وله شاهد من حديث ابي سعيد
عند الطبراني في معجمه الكبير وزاد فيه ان الذي طعن بذلك كان منافقا • وقد قال البخاري
باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد • وروى حديثا عن ابن عمر ان اليهود جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
برجل منهم وامرأة زنيا فامر بهما فرجما قريبا من موضع الجنائز عند المسجد • وحكى ابن بطال عن ابن
حبيب ان مصلى الجنائز بالمدينة كان لاصقا بالمسجد النبوي من ناحية المشرق انتهى • فان
ثبت ما قال والا فيحتمل ان يكون المراد بالمسجد هنا المصلى المتخذ للعيدين والاستسقاء لانه لم يكن عند

المسجد النبوي مكانا معينا للرجم • ودل حديث ابن عمر المذكور على انه كان للجنائز مكان معد للصلاة
عليها فقد يستفاد منه ان ما وقع من الصلاة على بعض الجنائز في المسجد لامر عارض او لبيان الجواز
واستدل به على مشروعية الصلاة على الجنائز في المسجد • ويقويه حديث عائشة ما صلى رسول الله صلى الله عليه و
سلم على سهيل ابن بيضاء الا في المسجد • اخرجه مسلم • وبه قال الجمهور • وحمل المانعون الصلاة
عليه سهيل بانه كان خارج المسجد والمصلون داخله • وذلك جائز اتفاقا • وفيه نظر لان عائشة
استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور بجنازة سعد على حجرتها لتصلي عليه • واقر
لها الصحابة ذلك فدل على انها حفظت ما نسوه • وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ان عمر صلى على
ابي بكر رضي الله عنهما في المسجد • وان صهيبا صلى على عمر في المسجد • زاد في رواية ووضعت الجنازة في
المسجد تجاه المنبر وهو يقتضي الاجماع على جواز ذلك • وقد استدل به ايضا بحديث قصة النجاشي على
مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد • وبذلك قال الشافعي واحمد وجمهور السلف حتى
قال ابن حزم لم يأت عن احد من الصحابة منعه • وعن الحنفية والمالكية لا يشرع ذلك وعن بعض اهل العلم
انما يجوز ذلك في اليوم الذي يموت فيه الميت او ما قرب لا ما اذا طالت المدة حكاه ابن عبد البر
وقال ابن حبان انما يجوز ذلك لمن في جهة القبلة فلو كان بلد الميت مستدبر القبلة مثلا لم يجز
قال المحب الطبري لم ار ذلك لغيره • وقد اعتذر من لم يقل بالصلاة على الغائب عن قصة النجاشي
بامور منها انه كان بارض لم يصل عليه بها احد فتعينت الصلاة عليه لذلك • ومن ثم قال الخطابي
لا يصلى على الغائب الا اذا وقع موته بارض ليس بها من يصلي عليه واستحسنه الروياني من الشافعية
ومنها قول بعضهم كشف له صلى الله عليه وسلم عنه حتى رآه • وقد عزاه القاضي عياض في الشفا بقوله
ورفع له النجاشي حتى صلى عليه فتكون صلاته عليه كصلاة الامام على الميت الذي يراه ولم يره
المأمومون ولا خلاف في جوازها قال ابن دقيق العيد وهذا يحتاج الى نقل ولا يثبت بالاحتمال
وتعقبه بعض الحنفية بان الاحتمال كاف في مثل هذا وكان مستند هذا القائل ما ذكره الواحدي
في اسبابه بغير اسناد عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه
وصلى عليه • ولابن حبان من حديث عمران بن حصين فقام وصفوا خلفه وهم لا يظنون الا ان جنازته بين
يديه • ومن الاعتذارات ايضا ان ذلك خاص بالنجاشي لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم
صلى على ميت غائب غيره • قال المهلب وكانه لم يثبت عنده قصة معاوية بن معاوية الليثي
واستدل لمن قال بتخصيص النجاشي بذلك الى ما تقدم من اشاعة انه مات مسلما او استيلاف
قلوب الملوك الذين اسلموا في حياته • قال النووي لو فتح هذا الباب لانسد كثير من ظواهر الشرع
مع انه لو كان كما ذكروه لتوفرت الدواعي على نقله • وقال ابن العربي قالت المالكية ليس ذلك
الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وما عمل به محمد صلى الله عليه وسلم تعمل به امته • يعني لان الاصل
عدم الخصوصية • قالوا طويت له الارض واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر

وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رويتم ولا تخترعوا حديثا من عند انفسكم و
لا تحدثوا الا بالثابتات ودعوا الضعاف فانها الى التلف ما ليس له تلاف • وقال الكرماني
توهم رفع الحجاب عنه ممنوع ولئن سلمنا فكان غائبا عن الصحابة الذين صلوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم • انتهى ملخصا من فتح الباري

النوع الرابع في ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم في الزكاة

• وهي لغة النماء والتطهير والمال ينمي بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها
من الذنوب • وقيل ينمي اجرها عند الله تعالى وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها
وقيل لانها تزكي صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهي قيد النعمة • وسميت الصدقة صدقة لانها دليل
على تصديق صاحبها وصحة ايمانه بظاهره وباطنه • وقد فهم من شرعه صلى الله عليه وسلم ان
الزكاة وجبت للمواساة وان المواساة لا تكون الا في مال له بال وهو النصاب ثم جعلها صلى الله
عليه وسلم في الاموال النامية وهي اربعة اصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم
والثاني الزرع والثمار والثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والرابع اموال التجارة
على اختلاف انواعها • وحدد صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل المواساة فنصاب الفضة
خمس اواق وهي مائتا درهم بنص الحديث والاجماع • واما الذهب فعشرون مثقالا • واما
الزروع والثمار فخمسة اوسق • واما الغنم فاربعون شاة والبقر ثلاثون بقرة والابل خمس
ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب بحسب المؤنة والتعب في المال فاعلاها واقلها تعبا
الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ولم يعتبر له حولا بل اوجب فيه الخمس متى ما ظفر به ويليه
الزرع والثمار فان سقي بماء السماء ونحوه ففيه العشر والا فنصفه • ويليه الذهب والفضة و
التجارة وفيها ربع العشر لانه لا يحتاج الى العمل فيه جميع السنة • ويليه الماشية فلا يدخلها
الاوقاص بخلاف الانواع السابقة • ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب
فيها شاة فاذا صارت الخمس خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم قدر
سن هذا الواجب في الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها • وفي كتابه صلى الله عليه وسلم
الذي كتبه في الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض في خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث
شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة
ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة
الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان
الى عشرين ومائة فان كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون
وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فان زادت واحدة فشاتان الى المائتين فان
زادت على المائتين فثلاث شياه الى ثلثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم
ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة • رواه ابو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم

وفرض صلى الله عليه وسلم في زكاة الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير على العبد والحر والذكر و
الانثى والصغير والكبير من المسلمين وامر بها ان تؤدى قبل خروج الناس الى المصلى رواه
البخاري ومسلم من حديث ابن عمر • وفي رواية ابي داود من حديث ابن عباس فرض صلى الله عليه وسلم
زكوة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها فجزاها ثمانية اجزاء رواه ابو داود
من حديث زياد بن الحارث الصدائي • وهذه الثمانية اجزاء يجمعها صنفان من الناس
احدهما من يأخذ لحاجته فيأخذ بحسب الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين
وفي الرقاب وابن السبيل • والثاني من يأخذ لمنفعته وهم العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم
والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة في سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين
فلا سهم له في الزكوة • واعلم ان الانبياء لا تجب الزكوة عليهم لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكوة
وانما تجب عليك زكوة ما انت له مالك انما كانوا يشهدون ما في ايديهم من ودائع الله لهم يبذلونه في اوان
بذله ويمنعونه في غير محله ولان الزكوة انما هي طهرة لما عسى ان يكون وجبت عليه لقوله تعالى
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤون من الدنس لوجود العصمة و
لهذا لم يوجب ابو حنيفة على الصبيان زكوة لعدم دنس المخالفة • والمخالفة لا تكون الا بعد جريان الحكم
وذلك بعد البلوغ واذا كان اهل المعرفة بالله والمشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع الله ملكا كما
هو مشهور من حكايتهم فما ظنك بالانبياء والرسل واهل التوحيد والمعرفة انما عرفوا من مجاريهم و
اقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا من كتاب التنوير للعارف الكبير ابي الفضل بن عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة
مشربه **تنبيه** ما يحكى ان الشافعي واحمد بن حنبل كانا جالسين اذ اقبل شيبان الراعي فقال احمد بن
حنبل للشافعي اريد ان اسئل هذا المشار اليه في هذا الزمن فقال الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك
فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسي اربع سجدات من اربع ركعات فقال يا احمد هذا قلب غفل عن الله تعالى يجب ان
يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك قال فخر احمد مغشيا عليه ثم افاق فقال ما تقول فيمن له اربعون شاة
ما زكوتها فقال على مذهبنا او على مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم اما على مذهبكم ففي الاربعين
شاة شاة واما على مذهبنا فالعبد ما يملك مع سيده شيئا فقد نقل شيخنا في المقاصد الحسنة عن
ابن تيمية ان ذلك باطل باتفاق اهل المعرفة لان الشافعي واحمد لم يدركا شيبان الراعي والله اعلم
انتهى • وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة فقال اللهم صل على فلان • واتاه ابو اوفى
بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى • رواه البخاري ومسلم • واختلف في اول وقت فرض
الزكاة فذهب الاكثرون الى انه وقع بعد الهجرة • وهل كان في السنة الثانية قبل فرض رمضان
اشار اليه النووي في باب السير من الروضة • وجزم ابن الاثير في التاريخ بان ذلك كان في التاسعة
وفيه نظر لما في حديث ضمام بن ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة ابي سفيان مع هرقل وكان

في اول السابعة وقال فيها ما يأمرنا بالزكوة • وقوى بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير ما وقع في قصة
ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها لما انزلت آية الصدقة بعث النبي صلى الله عليه وسلم غلاما فقال له ما هذه
الا جزية او اخت الجزية والجزية انما وجبت في التاسعة فتكون الزكاة في التاسعة لكنه حديث ضعيف
لا يحتج بمثله • وادعى ابن خزيمة في صحيحه ان فرضها كان قبل الهجرة • واحتج بما اخرجه من حديث ام سلمة
في قصة هجرتهم الى الحبشة وفيها ان جعفر بن ابي طالب قال للنجاشي في جملة ما اخبره به عن الرجل الذي يأمرنا
بالصلوة والزكوة والصيام انتهى • وفي الاستدلال بذلك نظر لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد
ولا صيام رمضان فيحتمل ان يكون مراجعة جعفر لم تكن في اول ما قدم على النجاشي وانما اخبره بذلك
بعد مدة قد وقع فيها ما ذكر من فرضية الصلوة والصيام وبلغ ذلك جعفرا فقال يأمرنا يعني يأمر
امته وهو بعيد جدا • واولى ما حمل عليه حديث ام سلمة هذا ان سلم من قدح في اسناده ان المراد
بقول جعفر بالصلوة والزكوة والصيام اي في الجملة • ولا يلزم من ذلك ان يكون المراد بالصلوة الصلوات
الخمس ولا بالصيام صيام شهر رمضان ولا بالزكوة هذه الزكوة المخصوصة ذات النصاب والحول
والله اعلم • ومما يدل على ان الزكوة قبل التاسعة حديث انس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله انشدك
الله آلله امرك ان تأخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا وكان قدوم ضمام سنة
خمس • وانما الذي وقع في التاسعة بعث العمال لاخذ الصدقات وذلك يستدعي تقدم فرضية
الزكوة قبل ذلك • ومما يدل على ان فرض الزكوة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على ان صيام رمضان انما فرض
بعد الهجرة لان الآية الدالة على الفرضية مدنية بلا خلاف • وثبت عند احمد وابن خزيمة والنسائي وابن
ماجه من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل ان
تنزل الزكوة ثم نزلت فريضة الزكوة فلم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله • اسناده صحيح ورجاله رجال
الصحيح الا ابا عمار الراوي عن قيس عن سعد وقد وثقه احمد وابن معين وهو دال على ان فرض صدقة
الفطر كان قبل الزكوة فيقتضي وقوعها بعد فرض رمضان • قاله الحافظ ابو الفضل ابن حجر رحمه الله تعالى
وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها • رواه البخاري من حديث عائشة • واذا اتي بطعام
سأل عنه اهدية ام صدقة فان قيل صدقة قال لاصحابه كلوا ولم يأكل وان قيل هدية ضرب بيده
واكل معهم رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة • وقال عليه السلام لعائشة عندكم فقالت لا
شيء بعثت به الينا نسيبة من الشاة التي بعثت اليها من الصدقة قال انها بلغت محلها • رواه البخاري
ومسلم • وقوله محلها بكسر الحاء اي زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالا لنا • واتي بلحم تصدق
به على بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية • رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي • وفي
حديث عائشة عند البخاري ومسلم دخل صلى الله عليه وسلم وعلى النار برمة تفور فدعا بالغداء
فاتي بادم وخبز من ادم البيت فقال الم ار البرمة على النار تفور قالوا بلى يا رسول الله لكن لحم
تصدق به على بريرة واهديت الينا منه وانت لا تأكل الصدقة فقال هو صدقة عليها وهدية

الفرع الرابع في ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم • اعلم أن المقصود من الصيام إمساك النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها وفطامها عن مألوفاتها فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر أعمال العاملين كما قال الله تعالى في الحديث الإلهي الذي رواه مسلم كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به فإضافته تعالى إليه إضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع أن العالم كله له سبحانه • وقيل لأنه لم يعبد غيره به فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبودا لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود وغيرهما قاله في شرح الأسانيد • واعترض بما يقع من عبادة النجوم وأصحاب الهياكل والاستخدامات فإنهم يتعبدون لها بالصيام • وأجيب بأنهم لا يعتقدون أنها فعالة بأنفسها • وقيل لأن الصوم بعيد من الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو وغير ذلك من العبادات الظاهرات • قال في فتح الباري معنى النفي في قوله لا رياء في الصوم لأنه لا يدخله الرياء بفعله وإن كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء يدخلها بمجرد فعلها انتهى • وعن شداد بن أوس مرفوعا من صام يرائي فقد أشرك رواه البيهقي • وقيل لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ • وقيل لأن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب تعالى فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه • قال القرطبي معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفة من صفات الحق كأنه تعالى يقول إن الصائم يتقرب إلي بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي أو لكون ذلك من صفات الملائكة أو لأنه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات فقد أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ولذا قال في بقية الحديث وأنا أجزي به • وقد علم بأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى ذلك سعة العطاء • وإنما جوزي الصائم هذا الجزاء لأنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده • والمراد بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب • ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص لكن وقع في رواية عند ابن خزيمة يدع لذته من أجلي ويدع زوجته من أجلي • وأصرح منه ما روي من الطعام والشراب والجماع من أجلي • وللصيام تأثير عجيب في حفظ الأعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها فهو من أكبر العون على التقوى كما أشار إليه تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • وقال عليه السلام كما في البخاري الصوم جنة وهي بضم الجيم الوقاية والستر أي ستر من النار • وبه جزم ابن عبد البر • وفي النهاية أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات • وقال القاضي عياض من الآثام • وقد اتفقوا على أن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعلا واختلف هل الصوم أفضل من الصلاة فقيل الصوم أفضل الأعمال البدنية لحديث النسائي عن أبي أمامة قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بأمر آخذه قال عليك بالصوم فإنه لا عدل

له • والمشهور تفضيل الصلاة وهو مذهب الشافعي وغيره لقوله عليه الصلاة والسلام واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة رواه أبو داود وغيره • ثم إن الكلام في صيامه صلى الله عليه وسلم على قسمين

القسم الأول في صيامه صلى الله عليه وسلم شهر رمضان • وفيه فصول • الأول في فضله رمضان من العبادات وتضاعف جوده عليه السلام فيه • اعلم أن رمضان مشتق من الرمض وهو شدة الحر لأن العرب لما أرادوا أن يضعوا أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور شديد الحر فسموه بذلك كما سمي الربيعان لموافقتهما زمن الربيع أو لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها وهو ضعيف لأن التسمية ثابتة قبل الشرع و رمضان أفضل الأشهر كما حكاه الإسنوي عن قواعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام • قال النووي وقولهم إنه من أسماء الله تعالى ليس بصحيح فإنه وإن كان قد جاء أثر ضعيف وأسماء الله تعالى توقيفية لا تطلق إلا بدليل صحيح انتهى • وقد اختلف السلف هل فرض صيام رمضان أولا فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية أنه لم يجب قط صوم قبل صوم رمضان • وفي وجه وهو قول الحنفية أول ما فرض عاشوراء فلما نزل رمضان نسخ • وسيأتي أدلة الفريقين في الكلام على صوم عاشوراء إن شاء الله تعالى • وقد كان فرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة كما تقدم فتوفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات ولما كان شهر رمضان موسم الخيرات لأن نعم الله تعالى على عباده فيه زائدة على غيره من الشهور كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فيه من العبادات وأنواع القربات الجامعة لوجوه السعادات من الصدقة والإحسان والصلاة والذكر والاعتكاف ويخص به من العبادات ما لا يخص به غيره من الشهور • وكان يجود صلى الله عليه وسلم بما يضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما أن جود ربه عز وجل يضاعف فيه أيضا فإن الله تعالى جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة • وفي حديث ابن عباس عند الشيخين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة بمجموع ما ذكر في هذا الحديث من الوقت وهو شهر رمضان والمنزول وهو القرآن والنازل به وهو جبريل والمذاكرة وهي مدارسة القرآن حصل له عليه الصلاة والسلام المزيد في الجود والمرسلة المطلقة يعني أنه في الإسراع بالجود أسرع من الريح وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة وإلى عموم النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه • ووقع عند الإمام أحمد في آخر هذا الحديث لا يسأل شيئا إلا أعطاه • وتقدم في ذكر سخائه صلى الله عليه وسلم مزيد لذلك

وقد كان ابتداء نزول القرآن في شهر رمضان وكذا نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت في حديث ابن عباس وكان جبريل عليه السلام يتعاهده صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان فلما كان العام الذي توفي صلى الله عليه وسلم عارضه به مرتين كما في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها • قال في فتح الباري • وفي معارضة جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن في شهر رمضان حكمتان أحدهما تعاهده والأخرى تبقية ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ فكان رمضان

ظرفا لانزاله جملة وتفصيلا وعرضا واحكاما. وفي المسند من حديث واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من شهر رمضان وانزل الانجيل لثلاث عشرة من شهر رمضان وانزلت التوراة لست من رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان. وقد دل الحديث على استحباب مدارسة القرآن في رمضان والاجتماع عليه وعرض القرآن على من هو احفظ منه. وفي حديث ابن عباس ان المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم وبين جبريل كانت ليلا وهو يدل على استحباب الاكثار من التلاوة في رمضان ليلا لان الليل تنقطع فيه الشواغل وتجتمع فيه الهمم ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر

وقد كان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان كما اخرجه الامام احمد والنسائي عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم. قال بعض العلماء هذا الحديث اصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان. وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان فكان اذا دخل شهر رجب وشعبان يقول اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان. رواه الطبراني وغيره من حديث انس. وكان عليه السلام اذا رأى هلال رمضان قال هلال رشد وخير هلال رشد وخير آمنت بالذي خلقك. رواه النسائي من حديث انس. وروي انه عليه السلام كان يقول اذا دخل شهر رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلم رمضان لي وسلمه مني اي سلمني منه حتى لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه من مرض او غيره وسلمه لي حتى لا يغم هلاله علي في اوله وآخره فيلتبس علي الصوم والفطر وسلمه مني اي يعصمني من المعاصي فيه. وهذا منه عليه السلام تشريع لامته

الفصل الثاني في صيامه عليه السلام برؤية الهلال. عن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام رواه ابو داود. وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا وان غم عليكم فاقدروا له. رواه مسلم قوله فان غم عليكم اي حال بينكم وبينه غيم فاقدروا من التقدير اي قدروا تمام العدد ثلاثين يوما. ويؤيده قوله في الرواية السابقة فان غم صلى الله عليه وسلم عد ثلاثين وهو مفسر لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في رواية ويؤكده رواية فاقدروا له ثلاثين. قال المازري حمل جمهور الفقهاء قوله عليه السلام اقدروا له على ان المراد اكمال العدة ثلاثين كما فسره في حديث آخر قالوا ولا يجوز ان يكون المراد حسابا بالمنجمين لان الناس لو كلفوا به لضاق عليهم لانه لا يعرفه الا الافراد والشرع انما يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم. انتهى. وهذا مذهبنا ومذهب مالك وابي حنيفة وجمهور السلف والخلف

وفيه دليل بانه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين من شعبان عن رمضان اذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم. وقال الامام احمد بن حنبل في طائفة اقدروا له تحت السحاب فجوزوا صوم ليلة الغيم عن رمضان بل قال احمد بوجوبه وقال ابن شريح وجماعة منهم مطرف ابن عبد الله وابن قتيبة وآخرون معناه قدروه بحساب المنازل

الفصل الثالث في صومه صلى الله عليه وسلم بشهادة العدل الواحد. عن ابن عمر قال تراءى الناس الهلال فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيته فصام وامر الناس بصيامه. رواه ابو داود وصححه ابن حبان. وعن ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت هلال رمضان فقال اتشهد ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن في الناس فليصوموا. رواه ابو داود والترمذي والنسائي. والمراد في قوله عليه السلام في الحديث السابق اذا رأيتموه رؤية بعض ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفي جميع الناس رؤية عدل على الاصح في مذهبنا وهذا في الصوم. واما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثور فانه جوزه بعدل. قال الاسنوي واذا قلنا بالواحد في الصوم فلا خلاف انه لا يتعدى الى غيره فلا يقع به الطلاق والعتق المعلقين بدخول رمضان ولا يحل به الدين المؤجل ولا يتم به حول الزكاة كذا اطلقه الرافعي هنا ناقلا عن البغوي واقره وتبعه عليه في الروضة. وصورته فيما اذا سبق التعليق على الشهادة فان وقعت الشهادة اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى التعليق فان الطلاق والعتق يقعان كذا نقله القاضي حسين في تعليقه عن ابن شريح. وقال الرافعي في الباب الثاني من كتاب الشهادات انه القياس. انتهى.

الفصل الرابع فيما كان يفعله صلى الله عليه وسلم وهو صائم. عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم. رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي. واعلم ان الجمهور على عدم الفطر بالحجامة مطلقا وعن علي وعطاء والاوزاعي واحمد واسحق وابي ثور يفطر الحاجم والمحجوم واوجبوا عليهما القضاء وشدد عطاء فاوجب الكفارة ايضا وقال بقول احمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان. ونقل الترمذي عن الزعفراني ان الشافعي علق القول به على صحة الحديث. قال الترمذي كان الشافعي يقول ذلك ببغداد واما بمصر فمال الى الرخصة. انتهى. وقال الشافعي في اختلاف الحديث بعد ان اخرج حديث شداد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان فقال وهو آخذ بيدي افطر الحاجم والمحجوم ثم ساق حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم قال وحديث ابن عباس امثلهما اسنادا فان توقى احد الحجامة كان احب الي احتياطا والقياس مع حديث ابن عباس والذي احفظ عن الصحابة والتابعين وعامة اهل العلم انه لا يفطر احد بالحجامة. وتأول بعضهم حديث افطر الحاجم والمحجوم انهما ارادا سيفطران كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا اي ما يؤول اليه

ولا يخفى بعد هذا التأويل. وقال البغوي في شرح السنة معناه اي تعرضا للافطار اما الحاجم فلانه لا يأمن من وصول شيء من الدم الى جوفه عند المص واما المحجوم فانه لا يأمن من ضعف قوته فيؤول امره الى ان يفطر. وقيل معنى افطر فعلا مكروها وهو الحجامة فصارا كانهما غير متلبسين بالعبادة. وقال ابن حزم حديث افطر الحاجم والمحجوم بلا ريب ولكن وجدنا من حديث ابي سعيد ارخص النبي صلى الله عليه وسلم في الحجامة للصائم واسناده صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة فدل على نسخ الفطر بالحجامة سواء كان حاجما او محجوما. انتهى. والحديث المذكور اخرجه النسائي وابن خزيمة والدارقطني ورجاله ثقات. ولكن اختلف في رفعه ووقفه وله شاهد من حديث انس عند الدارقطني. ولفظه اول ما كرهت الحجامة للصائم ان جعفر بن ابي طالب احتجم وهو صائم فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افطر هذان ثم ارخص صلى الله عليه وسلم بعد في الحجامة للصائم وكان انس يحتجم وهو صائم ورجاله كلهم من رجال البخاري الا ان في المتن ما ينكر لان فيه ان ذلك كان في الفتح وجعفر كان قتل قبل ذلك. ومن احسن ما ورد في ذلك ما رواه عبد الرزاق وابو داود عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصائم وعن المواصلة ولم يحرمهما ابقاء على اصحابه. واسناده صحيح. والجهالة بالصحابي لا تضر. ورواه ابن ابي شيبة عن وكيع عن الثوري بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصائم وكرهها للضعيف اي لئلا يضعف. انتهى ملخصا من فتح الباري. والله اعلم. وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صائم ثم ضحكت. رواه البخاري ومسلم وابو داود قالت وكان املككم لاربه اي لحاجته يعني انه كان غالبا لهواه. قال ابن الاثير اكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة والراء يعنون به الحاجة وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء وله تاويلان احدهما انه الحاجة يقال فيها الارب والإرب والاربة. والثاني اردت به العضو وعنت به من الاعضاء الذكر خاصة. انتهى. فمذهب الشافعي والاصحاب ان القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الاولى تركها. واما من حركت شهوته فهو حرام في حقه على الاصح. وقوله فضحكت قيل تعجبا ضحكها التعجب من خالف في هذا وقيل تعجبت من نفسها اذ حدثت بمثل هذا مما يستحيى من ذكر النساء مثله للرجال ولكنها الجاتها الضرورة في تبليغ العلم الى ذكر ذلك وقد يكون الضحك خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك او تنبيها على انها صاحبة القصة ليكون ذلك ابلغ في الثقة بها او سرورا بمكانها من النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته لها. وروى ابن ابي شيبة من طريق شريك عن هشام في هذا الحديث فضحكت فظننا انها هي. وروى النسائي عنها قالت اهوى الي النبي صلى الله عليه وسلم ليقبلني فقلت اني صائمة فقال وانا صائم فقبلني. وقد روى ابو داود عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ويمص لسانها يعني وهو صائم. واسناده ضعيف. ولو صح فهو محمول على انه لم يبتلع ريقه الذي خالطه ريقها. وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل بالاثمد وهو صائم. رواه البيهقي من رواية محمد بن عبيد الله بن ابي رافع عن

ابيه عن جده. ثم قال ان محمدا هذا ليس بالقوي وتبعه الحاكم واخرج له في مستدركه. وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا من حلم ثم لا يفطر ولا يقضي. رواه البخاري ومسلم. قال القرطبي في هذا فائدتان احداهما انه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل الى بعد طلوع الفجر بيانا للجواز. الثاني ان ذلك كان من جماع لا من احتلام لانه كان لا يحتلم اذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه. وقال غيره في قولها من غير احتلام اشارة الى جواز الاحتلام عليه والا لما كان للاستثناء معنى. ورد بان الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه. واجيب بان الاحتلام يطلق على الانزال وقد يقع الانزال بغير رؤية شيء في المنام. واراد بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد على من زعم ان فاعل ذلك عمدا مفطر. انتهى. وقال عامر بن ربيعة رايته صلى الله عليه وسلم يتسوك وهو صائم ما لا احصي ولا اعد. رواه ابو داود والترمذي.

الفصل الخامس في وقت افطاره عليه الصلاة والسلام

عن عبد الله ابن ابي اوفى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا فلان انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله ان عليك نهارا قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فاتاه به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده اذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد افطر الصائم. رواه البخاري ومسلم. والجدح بجيم ثم حاء مهملة خلط الشيء بغيره والمراد خلط السويق بالماء وتحريكه حتى يستوي. ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا صياما فلما غربت الشمس امره عليه السلام بالجدح ليفطروا وراى المخاطب آثار الضياء والحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس فظن ان الفطر لا يحل الا بعد ذهاب ذلك. واحتمل عنده انه صلى الله عليه وسلم لم يرها فاراد تذكيره واعلامه بذلك ويؤيد هذا قوله ان عليك نهارا لتوهمه ان ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه. ومعنى تكريره في الروايات الاخرى لو امسيت وتكريره المراجعة لغلبة اعتقاده على ان ذلك نهار يحرم معه الاكل مع تجويزه عليه السلام لم ينظر الى ذلك الضوء نظرا تاما فقصد زيادة الاعلام ببقاء الضوء. والله اعلم. قاله النووي.

الفصل السادس فيما كان صلى الله عليه وسلم يفطر عليه

عن انس كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل ان يصلي على رطبات فان لم يجد رطبات فتمرات فان لم يجد تمرات حسا حسوات من ماء. رواه ابو داود. وانما خص عليه السلام الفطر بما ذكر لان اعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة ادعى الى قبوله وانتفاع القوى به لا سيما قوة البصر. واما الماء فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فاذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده. ولهذا كان الاولى بالظمآن الجائع ان يبدا بشرب قليل من الماء ثم ياكل بعده. قاله ابن القيم.

الفصل السابع فيما كان يقول صلى الله عليه وسلم عند الافطار

عن معاذ بن زهرة بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت. وهو حديث مرسل. ومعاذ هذا ذكره البخاري في التابعين لكن قال معاذ ابو زهرة وتبعه ابن ابي حاتم وابن حبان في الثقات. وذكره يحيى بن يونس الشيرازي في الصحابة. وغلطه جعفر المستغفري. قال الحافظ ابن حجر. ويحتمل ان يكون الحديث موصولا ولو

كان معاذ تابعيا لاحتمال ان يكون الذي بلغه لصحابيا قاله وبهذا الاعتبار اورده ابو داود في السنن وبالاعتبار الاخر اورده في المراسيل • وخرج ابن السني والطبراني في المعجم الكبير بسند واهٍ جدا عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال اللهم لك صمنا وعلى رزقك افطرنا فتقبل منا انك انت السميع العليم • وعن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله تعالى • رواه ابو داود • زاد رزين الحمد لله • فاول الحديث في كتاب ابن السني عن معاذ بن زهرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال الحمد لله الذي اعانني فصمت ورزقني فافطرت •

الفصل الثامن في وصاله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى • رواه البخاري ومسلم • وللبخاري انه صلى الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كهيئتكم اني اظل اطعم واسقى • وفي رواية انس رضه واصل صلى الله عليه وسلم في اخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم انكم لستم مثلي او قال لست مثلكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني • وفي رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كاحد منكم اني اطعم واسقى • رواه البخاري • والمتعمقون هم المتشددون في الامر المجاوزون الحدود في قول او فعل • وفي رواية سعيد بن منصور وابن ابي شيبة من مرسل الحسن اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني • وعن عائشة قالت نهاهم صلى الله عليه وسلم رحمة لهم فقالوا انك تواصل فقال اني لست كهيئتكم اني يطعمني ربي ويسقيني • رواه البخاري ومسلم الا ان البخاري قال نهى ولم يقل نهاهم • وعن ابي هريرة قال نهى صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فلما ابوا ان ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال لو تأخر لزدتكم كالمنكل لهم حين ابوا ان ينتهوا • رواه البخاري • والوصال هو عبارة عن صوم يومين فصاعدا من غير اكل وشرب بينهما • قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر • وقد اختلف في معنى قوله يطعمني ربي ويسقيني فقيل هو على حقيقته وانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له في ليالي صيامه • وتعقب بانه لو كان كذلك لم يكن مواصلا وبان قوله اظل يدل على وقوع ذلك بالنهار فلو كان الاكل والشرب حقيقة لم يكن صائما • واجيب بان الراجح من الروايات لفظ ابيت دون اظل وعلى تقدير ثبوتها فهي محمولة على مطلق الكون لا على حقيقة اللفظ لان المحدث عنه هو الامساك ليلا لا نهارا واكثر الروايات انما هو ابيت • فكان بعض الرواة عبر عنها باظل نظرا الى اشتراكهما في مطلق الكون يقولون كثيرا اضحى فلان كذا ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الضحى • ومنه قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا فان المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل • وليس حمل الطعام والشراب على المجاز باولى من حمل لفظ

اظل

الحمل على المجاز وعلى التنزل فلا يضر شيء من ذلك لان ما يؤتى به الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الكرامة من طعام الجنة وشرابها لا يجري عليه احكام المكلفين فيه كما غسل صدره الشريف في طست الذهب مع ان استعمال اواني الذهب الدنيوية حرام • وقال ابن المنير الذي يفطر شرعا انما هو الطعام المعتاد واما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلى غير هذا المعنى • وليس تعاطيه من جنس الاعمال • وانما هو من جنس الثواب كاكل اهل الجنة في الجنة والكرامة لا تبطل العادة • وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب على حقيقتهما واكله وشربه في الليل لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك فكأنه قال لما قيل له انك تواصل لست في ذلك كهيئتكم اي على صفتكم في ان من اكل منكم او شرب انقطع وصاله بل انما يطعمني ربي ويسقيني ولا يقطع ذلك مواصلتي فطعامي وشرابي على غير طعامكم وشرابكم صورة ومعنى • وقال الجمهور هو مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة فكانه قال يعطيني قوة الاكل الشارب ويفيض علي ما يسد مسد الطعام والشراب ويقوي على انواع الطاعة من غير ضعف في القوة • او المعنى ان الله يخلق فيه من الشبع والري ما يغنيه عن الطعام والشراب ولا يحس بجوع ولا عطش والفرق بينه وبين الاول انه على الاول يعطي القوة من غير شبع ولا ري مع الجوع والظمأ وعلى الثاني يعطي القوة مع الشبع والري • ورجح الاول بان الثاني ينافي حال الصائم ويفوت المقصود من الصوم والوصال لان الجوع هو روح هذه العبادة بخصوصها • قال القرطبي ويبعده ايضا النظر الى حاله عليه السلام فانه كان يجوع اكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجر • انتهى • ويحتمل كما قاله ابن القيم في الهدي وابن رجب في اللطائف ان يكون المراد به ما يغذيه الله من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك من الاحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الارواح • وقرة العين وبهجة النفوس فللروح والقلب بها اعظم غذاء واجوده وانفعه • وقد يقوى هذا الغذاء عن غذاء الاجسام مدة من الزمان • كما قيل • لها احاديث من ذكراك تشغلها • عن الشراب وتلهيها عن الزاد • اذا اشتكت من كلال السير اوعدها • روح القدوم فتحيا عند ميعاد • ومن له ادنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني ولا سيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه والرضى عنه والطاف محبوبه مكرم له غاية الاكرام مع الحب التام • افليس هذا من اعظم غذاء لهذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شيء اعظم منه ولا اجل ولا اجمل ولا اعظم احسانا • افليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني انتهى • وحكى النووي في شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب الاسانيد ان معناه محبة الله تشغلني عن الطعام والشراب قال والحب البالغ يشغل عنهما • انتهى • فان قلت لم

آثر اسم الرب دون اسم الذات المقدسة في قوله يطعمني ربي دون ان يقول يطعمني الله لان التجلي باسم الربوبية اقرب الى العباد من الالهية لانه تجلي عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة وشفقة • وقد اختلف الناس في الوصال لنا هل هو حرام ام مكروه فقالت طائفة انه جائز ان قدر عليه • وهذا يروى عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف وكان عبد الله بن الزبير يواصل الايام • وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح انه كان يواصل خمسة عشر يوما • وذكر معه من الصحابة ايضا اخت ابي سعيد ومن التابعين عبد الرحمن بن ابي نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير وابراهيم بن يزيد التيمي وابا الجوزاء كما نقله ابو نعيم في الحلية • ومن حجتهم انه عليه السلام واصل باصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما اقرهم على فعله • فعلم ان المراد بالنهي الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عائشة في حديثها فمن لم يشق عليه ولم يقصد موافقة اهل الكتاب لا رغبة عن السنة وتعجيل الفطر لم يمنع من الوصال • ومن ادلة الجواز ايضا اقدام الصحابة عليه بعد النهي فدل على انهم فهموا ان النهي للتنزيه لا للتحريم والا لما اقدموا عليه • وقال الاكثرون لا يجوز الوصال وبه قال مالك وابو حنيفة • ونص الشافعي واصحابه على كراهته ولهم في هذه الكراهة وجهان اصحهما انها كراهة تحريم والثاني انها للتنزيه • واختار ابن وهب واحمد بن حنبل واسحق جواز الوصال الى السحر لحديث عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فايكم اراد ان يواصل فليواصل الى السحر • وهذا الوصال لا يترتب عليه شيء مما يترتب على غيره لانه بمنزلة عشائه الا انه يؤخره لان الصائم له في اليوم والليلة اكلة فاذا اكلها في السحر كان قد نقلها من اول الليل الى اخره وكان اخف لجسمه في قيام الليل • ولا يخفى ان محل ذلك ما لم يشق على الصائم والا فلا يكون قربة • وقد صرح في الحديث بان الوصال من خصائصه صلى الله عليه وسلم فقال اني لست كهيئتكم • وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب قال قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم قالوا جعله مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وان لم يفطر وذلك يبطل الوصال شرعا • واحتج الجمهور للتحريم بعموم النهي وقوله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا • واجابوا عن قوله رحمة بانه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم • وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم • واما الوصال بهم يوما ثم يوما فاحتمل للمصلحة في تاكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال من الملل في العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين من اتمام الصلوة بخشوعها واذكارها وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله • واجابوا ايضا بقوله عليه السلام اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم اذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه مخالف لوضعه • وروى الطبراني في الاوسط من حديث ابي ذر ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد قبل وصالك ولا يحل لاحد

بعدك ولكن اسناده ليس بصحيح ولا حجة فيه

الفصل التاسع في سحوره صلى الله عليه وسلم

عن ابي هريرة عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال انها بركة اعطاكم الله اياها فلا تدعوه • رواه النسائي • وعن العرباض بن سارية قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحور في رمضان قال هلم الى الغداء المبارك • رواه ابو داود والنسائي • وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند السحور يا انس اني اريد الصيام اطعمني شيئا فاتيته بتمر واناء فيه ماء • وذلك بعدما اذن بلال قال يا انس انظر رجلا يأكل معي فدعوت زيد بن ثابت فجاء فقال اني اريد شربة سويق وانا اريد الصيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اريد الصيام فتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلوة • رواه النسائي • وعن زر بن حبيش قلنا لحذيفة اي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع • رواه النسائي ايضا • وعن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلوة • قال انس بن مالك قلت كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين اية • رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي • والمراد اية متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ولا سريعة ولا بطيئة • قال ابن ابي جمرة كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما هو الارفق بامته فيفعله لانه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل لشق ايضا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي الى ترك الصبح او يحتاج الى المجاهدة بالسهر • وقال القرطبي فيه دلالة على ان الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض لقول حذيفة هو النهار الا ان الشمس لم تطلع • انتهى • واجاب في فتح الباري بان لا معارضة بل يحمل على اختلاف الحال • انتهى فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة

الفصل العاشر في افطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان في السفر وصومه • عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى رأى الناس ثم شرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام فقال اولئك العصاة اولئك العصاة • زاد في رواية فقيل له ان الناس قد شق عليهم الصيام وانما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر • رواه مسلم • وعن ابن عباس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا باناء من ماء فشرب نهارا ليراه الناس وافطر حتى قدم مكة • وكان ابن عباس يقول صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وافطر فمن شاء صام ومن شاء افطر • رواه البخاري ومسلم • ولمسلم ان ابن عباس كان لا يعيب على من صام ولا على من افطر قد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وافطر • قال النووي رحمه الله اختلف العلماء في صوم رمضان في السفر فقال بعض اهل الظاهر لا يصح صوم رمضان في السفر وان صامه لا ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الاية والحديث ليس من البر الصيام في السفر وفي الحديث الاخر اولئك العصاة • وقال جماهير اهل الفتوى يجوز صومه في السفر في السفر وينعقد ويجزيه • واختلفوا في ان الصوم افضل ام الفطر ام هما سواء فقال

مالك وأبو حنيفة والشافعي والأكثرون: الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر، فإن تضرر به فالفطر أفضل. واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم ولأنه تحصل به البراءة في الحال. قال سعيد بن المسيب والأوزاعي وأحمد وإسحق وغيرهم: الفطر أفضل مطلقا. وحكاه بعض أصحابنا قولا للشافعي وهو غريب. واحتجوا بما سبق لأهل الظاهر وبقوله صلى الله عليه وسلم: هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه. وظاهره ترجيح الفطر. وأجاب الأكثرون بأن هذا كله فيمن يخاف ضررا أو يجد مشقة كما هو صريح في الأحاديث، واعتمدوا حديث أبي سعيد الخدري قال: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم، يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فإن ذلك حسن. وهذا صريح في ترجيح مذهب الأكثرين وهو تفضيل الصوم لمن أطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة. وقال بعض العلماء: الفطر والصوم سواء لتعادل الأحاديث، والصحيح قول الأكثرين. والله أعلم.

القسم الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم غير شهر رمضان. وفيه فصول. الفصل الأول في سرده عليه السلام صوم أيام من الشهر وفطره إياها.

عن أبي أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم. رواه النسائي. وعن أنس: كان يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته. وفي رواية: ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائما إلا رأيته ولا مفطرا إلا رأيته ولا من الليل قائما إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته. رواه البخاري. ولمسلم: كان يصوم حتى يقال قد صام صام ويفطر حتى يقال أفطر أفطر. وعن ابن عباس قال: ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا غير رمضان، وكان يصوم حتى يقول القائل لا والله لا يفطر، ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم. رواه البخاري ومسلم والنسائي، وزاد: ما صام شهرا متتابعا غير رمضان منذ قدم المدينة. ففي هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصم الدهر ولا قام الليل كله، وكأنه ترك ذلك لئلا يقتدى به فيشق على الأمة، وإن كان قد أعطي من القوة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه، لكنه سلك من العبادة الطريقة الوسطى فصام وأفطر وقام ونام.

الفصل الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم عاشوراء وهي بالمد على المشهور. ومختلف في تعيينه، فعن الحكم بن الأعرج قال: انتهيت إلى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له: أخبرني عن صوم عاشوراء، فقال: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائما. قلت: هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه؟ قال: نعم. رواه مسلم. قال النووي: هذا تصريح من ابن عباس بأن مذهبه أن عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم، ويتأوله على أنه مأخوذ من إظماء الإبل، فإن العرب تسمي اليوم الخامس من أيام الورد ربعا، وكذا باقي الأيام على هذه النسبة فيكون التاسع عشرا. انتهى. لكن

قال ابن المنير: قوله إذا أصبحت من تاسعه فأصبح يشعر بأنه أراد العاشر لأنه لا يصبح صائما بعد أن أصبح صائما تاسعه إلا إذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة. انتهى. وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم، وممن قال ذلك سعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك وإسحق وأحمد وخلائق، وهذا ظاهر الأحاديث ومقتضى اللفظ. وأما تقدير أخذه من الإظماء فبعيد، ثم إن حديث ابن عباس يرد عليه، يعني قوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء فقالوا له: يا رسول الله، يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال صلى الله عليه وسلم: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله تعالى صمت اليوم التاسع. قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا تصريح بأن الذي كان يصومه ليس هو التاسع فتعين كونه العاشر. قاله النووي. وقال القرطبي: عاشوراء معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم، وهو في الأصل صفة الليلة العاشرة لأنه مأخوذ من العشر الذي هو اسم للعقد، واليوم يضاف إليها، فإذا قيل يوم عاشوراء فكأنه قيل يوم الليلة العاشرة، إلا أنهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة، ودل هذا فيوم عاشوراء هو العاشر، وهذا قول الخليل وغيره. وقال ابن المنير: الأكثر على أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية. وقال ابن القيم: من تأمل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الإشكال وسعة علم ابن عباس، فإنه لم يجعل يوم عاشوراء اليوم التاسع، بل قال للسائل: صم اليوم التاسع، واكتفى بمعرفة السائل أن يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده الناس يوم عاشوراء، فأرشد السائل إلى صيام التاسع معه، وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصومه كذلك، فإما أن يكون فعل ذلك وهو الأولى، وإما أن يكون حمل فعله على الأمر به وعزمه عليه في المستقبل، وهو الذي روى: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم عاشوراء يوم العاشر، وكل هذه الآثار عنه يصدق بعضها بعضا. انتهى. فليتأمل.

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: كان يوم عاشوراء يصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه. رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي. واستفيد من هذه الرواية تعيين الوقت الذي وقع الأمر فيه بصيام عاشوراء وهو أول قدومه المدينة، ولا شك أن قدومه عليه السلام كان في ربيع الأول، فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية، وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان، فعلى هذا لم يقع الأمر بصوم عاشوراء إلا في سنة واحدة، ثم فوض الأمر في صومه إلى رأي المتطوع، فعلى تقدير صحة قول من يدعي أنه كان قد فرض فقد نسخ بهذه الأحاديث الصحيحة. وأما صيام قريش لعاشوراء فلعلهم تلقوه من شرع سالف، وكذا كانوا

بعظمونه بكسوة الكعبة وقد روي عن عكرمة انه سئل عن ذلك فقال اذنبت قريش ذنبا
في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء يكفر ذلك • قاله في فتح الباري
وعن ابن عمر ان اهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان عاشوراء يوم من ايام الله فمن شاء صامه • رواه البخاري ومسلم وابو داود • وفي رواية وكان عبد الله
لا يصومه الا ان يوافق صومه • وعن سلمة بن الاكوع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
من اسلم يوم عاشوراء فامره ان يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم ومن كان اكل فليتم صيامه
الى الليل • رواه مسلم قال النووي اختلفوا في حكم صوم عاشوراء في اول الاسلام حين
شرع صومه قبل صوم رمضان فقال ابو حنيفة كان واجبا • واختلف اصحاب الشافعي
فيه على وجهين اشهرهما عندهم انه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبا قط في هذه
الامة ولكنه متأكد الاستحباب فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون ذلك الاستحباب
والثاني كان واجبا كقول ابي حنيفة • وتظهر فائدة الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب
من الليل فابو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين اول يوم عاشوراء ثم امروا بصيامه بنية
من النهار ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه • واصحاب الشافعي يقولون كان مستحبا فصح بنية
من النهار • ويتمسك ابو حنيفة بقوله امر بصيامه والامر للوجوب وبقوله فلما فرض
رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه • ويحتج بقوله هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله
عليكم صيامه • والشافعية يقولون ايضا معنى قوله في حديث ام سلمة فامره ان يؤذن
في الناس من كان لم يصم فليصم الى اخره ان من كان نوى الصوم فليتم صومه ومن كان لم ينو
الصوم ولم ياكل او اكل فليمسك بقية يومه لحرمة اليوم • واحتج ابو حنيفة بهذا الحديث
لمذهبه ان صوم الفرض يجب بنية في النهار ولا يشترط تبييتها • قال لانهم نووا في
النهار واجزاهم • واجاب الجمهور عن هذا الحديث بان المراد نية النهار لا
حقيقة الصوم والدليل على هذا انهم اكلوا ثم امروا بالاتمام • وقد وافق ابو حنيفة وغيره
على انه يشترط اجزاء النية في النهار في الفرض والنفل ان لا يتقدمها مفسد للصوم من اكل او غيره
انتهى • وقال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر يؤخذ من مجموع الاحاديث انه كان واجبا
لثبوت الامر بصومه ثم تأكد الامر بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء العام ثم زيادته بامر من
اكل بالامساك ثم زيادته بامر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال • وبقول ابن مسعود الثابت
في مسلم لما فرض رمضان ترك عاشوراء مع العلم بانه ما ترك استحبابه بل هو باق فدل على ان
المتروك وجوبه • واما قول بعضهم المتروك تأكد استحبابه والباقي مطلق استحبابه
فلا يخفى ضعفه بل تأكد استحبابه باق ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته صلى الله عليه
وسلم حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر ولترغيبه في صومه وانه يكفر السنة

ظ وانه يكفر السنة

فاي تاكيد ابلغ من هذا • انتهى • وعن ابن عباس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى
اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم
فصامه فقال انا احق بموسى منكم فصامه وامر بصيامه • وفي رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذي
تصومونه قالوا هذا يوم عظيم نجى الله فيه موسى واغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن
نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه و
سلم وامر بصيامه • وفي اخرى فنحن نصومه تعظيما له • رواه البخاري ومسلم وابو داود • وقد تعجب صاحب
زاد المعاد وغيره مما استشكله بعضهم في هذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قدم المدينة
في شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء وليس في
الحديث انه يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه قدم يوم الاثنين في ربيع الاول ثاني عشرة ولكن اول علمه بذلك
ووقوع القصة في اليوم كان بعد قدومه المدينة لم يكن وهو بمكة • وقال في الفتح غاية ما في الكلام حذفا
تقديره قدم عليه السلام المدينة فاقام الى يوم عاشوراء فوجد اليهود فيه صياما • ويحتمل ان يكون اولئك
اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذي
قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة • وهذا التاويل مما يترجح به اولوية المسلمين واحقيتهم بموسى لاضلا
لهم اليوم المذكور وهداية المسلمين له لكن سياق الحديث يدفع هذا التاويل والاعتماد على التاويل
الاول انتهى • وقد استشكل ايضا رجوعه عليه الصلاة والسلام الى خبر اليهود وهو غير مقبول
واجاب المازري بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه بصدقهم فيما قالوه او تواتر عنده النقل
بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضي عياض ردا على المازري قد روى مسلم ان قريشا كانت تصومه
فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث له بقول اليهود حكم يحتاج الى الكلام عليه وانما هي صفة حال
وجواب سؤال فقوله صامه ليس فيه ان ابتداء صومه حينئذ ولو كان هذا لحملناه على انه اخبره من اسلم
من علمائهم كابن سلام وغيره • قال وقد قال بعضهم يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم بمكة ثم ترك صيامه
حتى علم ما عند اهل الكتاب فيه فصامه قال وما ذكرناه اولى بلفظ الحديث • قال النووي المختار قول المازري
ومختصر ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه كما تصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه
فصامه ايضا بوحي او تواتر او اجتهاد لا بمجرد اخبار احادهم • انتهى • وقال القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون
في صومه الى شرع من مضى كابراهيم وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون بحكم الموافقة لهم كما في الحج
او اذن الله له في صيامه على انه فعل خير فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه وسألهم وصامه وامر بصيامه
احتمل ان يكون ذلك استيلافا لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم • ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال
فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك • وكان ذلك في الوقت الذي يحب فيه موافقة اهل الكتاب
فيما لم ينه عنه • ولا سيما اذا كان فيه ما يخالف اهل الاوثان فلما فتحت مكة واشتهر امر الاسلام احب
مخالفة اهل الكتاب ايضا كما في حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء

وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم
فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وفي رواية لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع رواه مسلم • وهذا دليل الشافعي
وأصحابه وأحمد وإسحق القائلين باستحباب صوم التاسع والعاشر جميعًا لأنه صلى الله عليه وسلم
صام العاشر ونوى التاسع • قال النووي قال بعض العلماء ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر
أن لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر • وفي الحديث إشارة إلى هذا وقيل للاحتياط في تحصيل
عاشوراء • والأول أولى انتهى • وفي رواية البزار من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ليوم عاشوراء صوموه وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يومًا وبعده يومًا • فمراتب صومه
ثلاثة أدناها أن يصام وحده وأكملها أن يصام يومًا قبله ويومًا بعده ويلي ذلك أن يصام التاسع
والعاشر وعليه أكثر الأحاديث • وقال بعضهم قد ظهر أن القصد مخالفة أهل الكتاب في هذه العبادة
وذلك يحصل بأحد أمرين إما بنقل العاشر إلى التاسع وإما بصيامهما معًا • والله أعلم • وفي
البخاري من حديث أبي موسى قال كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدًا • قال النبي صلى الله عليه وسلم
فصوموه أنتم • وهذا ظاهره أن الباعث على الأمر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرونه
لأن يوم العيد لا يصام • وحديث ابن عباس يدل على أن الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو
شكر الله تعالى على نجاة موسى لكن لا يلزم من تعظيمهم له في شرعهم أنهم يصومونه واعتقادهم بأنه عيد أنهم
كانوا يصومونه فلعله كان من جملة تعظيمهم في شرعهم أنهم يصومونه • وقد ورد ذلك صريحًا في حديث
مسلم كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدًا ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم
وهي بالشين المعجمة أي هيئتهم الحسنة • ومحصل ما ورد في صيامه صلى الله عليه وسلم عاشوراء أربعة أحوال
أحدها أنه كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بصيامه كما تقدم في حديث عائشة عند الشيخين وغيرهما
كان عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه
الحديث • الثانية أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ورأى صيام أهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان يحب
موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وأمر الناس بصيامه وحث عليه حتى كانوا يصومونه أطفالهم كما تقدم
في حديث ابن عباس عند الشيخين وغيرهما • الثالثة أنه لما فرض صيام شهر رمضان ترك صلى الله عليه
وسلم صيامه وقال إن عاشوراء يوم من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه • ويشهد له حديث عائشة
السابق • الحالة الرابعة أنه صلى الله عليه وسلم عزم في آخر عمره أن لا يصومه مفردًا بل يضم إليه
يومًا آخر مخالفة لأهل الكتاب في صيامه كما قدمناه • وقد روى مسلم من حديث أبي قتادة مرفوعًا أن
صوم عاشوراء يكفر سنة وأن صيام يوم عرفة يكفر سنتين • وظاهره أن صيام يوم عرفة أفضل
من صيام عاشوراء • وقد قيل الحكمة في ذلك أن يوم عاشوراء منسوب إلى موسى ويوم عرفة منسوب
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك كان أفضل • والله أعلم • وأما ما روي من وسع على عياله في يوم عاشوراء

وسع الله عليه السنة كلها • ورواه الطبراني والبيهقي في الشعب وفي فضائل الأوقات وأبو
الشيخ عن ابن مسعود • والأولان فقط عن أبي سعيد • والثاني فقط في الشعب عن جابر وأبي هريرة وقال
إن أسانيده كلها ضعيفة ولكن إذا ضم بعضها إلى بعض أفاد قوة • بل قال العراقي في أماليه لحديث
أبي هريرة طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق سليمان
ابن أبي عبد الله عنه • وقال سليمان مجهول وسليمان ذكره ابن حبان في الثقات والحديث حسن على رأيه
قال وله طريق عن جابر على شرط مسلم أخرجها ابن عبد البر في الاستذكار من رواية أبي الزبير عنه وهي
أصح طرقه • ورواه هو والدارقطني في الأفراد بسند جيد عن عمر موقوفًا عليه • والبيهقي في الشعب
من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال وذكره •

الفصل الثالث في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان

عن عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط
إلا شهر رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صيامًا في شعبان • رواه البخاري ومسلم • وفي أخرى
لهما لم يكن يصوم شهرًا أكثر من شعبان فإنه كان يصومه كله • وفي رواية الترمذي كان يصومه
إلا قليلًا بل كان يصومه كله • وفي رواية أبي داود كان أحب الشهور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان • وللنسائي كان يصوم شعبان وعامة شعبان • وفي أخرى
كان يصوم شعبان إلا قليلًا • وفي أخرى له أيضًا كان يصوم شعبان كله • قال الحافظ ابن حجر أي يصوم
معظمه • ونقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر
أن يقول صام الشهر كله • ويقال قام فلان ليلته أجمع • ولعله قد تعشى واشتغل ببعض
أمره • قال الترمذي كأن ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك • وحاصله أن الرواية الأولى
مفسرة للثانية ومخصصة لها وأن المراد بالكل الأكثر وهو مجاز قليل الاستعمال • واستبعده
الطيبي • وقال يحمل على أنه كان يصوم شعبان كله تارة ويصوم معظمه أخرى لئلا يتوهم
أنه واجب كله كرمضان • وقال ابن المنير إما أن يحمل قول عائشة على المبالغة والمراد الأكثر
وإما أن يجمع بأن قولها الثاني متأخر عن قولها الأول فأخبرت عن أول أمره أنه كان يصوم أكثر
شعبان وأخبرت ثانيًا عن آخر أمره أنه كان يصومه كله • انتهى • ولا يخفى تكلفه والأول هو الصواب
واختلف في الحكمة في إكثاره صلى الله عليه وسلم من صوم شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام الثلاثة أيام
من كل شهر لسفر وغيره فتجتمع فيقضيها في شعبان • أشار إلى ذلك ابن بطال • وفيه حديث ضعيف
أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فربما أخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان • وابن أبي
ليلى ضعيف • وقيل كان يصنع [illegible] • وقيل كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان • وورد فيه حديث
أخرجه الترمذي من طريق صدقة بن موسى عن ثابت عن أنس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم
أي الصوم أفضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان • قال الترمذي حديث غريب

وصدقة عندهم لتبين بذلك المزية لكن يعارضه ما روى مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا
افضل الصوم بعد رمضان صوم المحرم • والاولى في ذلك ما جاء في حديث اصح مما روى
اخرجه النسائي وابو داود • واخرجه ابن خزيمة عن اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله لم
ارك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه
بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملي
وانا صائم فبين صلى الله عليه وسلم وجه صيامه لشعبان دون غيره من الشهور دون غيره
بقوله انه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان يشير الى انه لما اكتنفه شهران عظيمان
الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل الناس بهما فصار مغفولا عنه • وكثير من الناس
يظن ان صيام رجب افضل من صيامه لانه شهر حرام وليس كذلك • وفي احياء الوقت
المغفول عنه بالطاعة فوائد • منها ان يكون اخفى واخفاء النوافل واسرارها افضل
لا سيما الصيام فانه سر بين العبد وربه • ومنها انه اشق على النفوس لان النفوس
تتاسى بما تشاهد من احوال بني الجنس واذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم سهلت
الطاعات واذا كثرت الغفلات واهلها تاسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المتيقظين
طاعاتهم لقلة من يقتدى بهم • وقد روي في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان معنى اخر وهو
انه ينسخ فيه الآجال فروي باسناد فيه ضعف عن عائشة قالت كان اكثر صيام النبي صلى الله
عليه وسلم في شعبان فقلت يا رسول الله اراك اكثر صيامك في شعبان قال ان هذا الشهر يكتب فيه لملك
الموت من يقبض فانا احب ان لا ينسخ اسمي الا وانا صائم • وقد روي مرسلا • وقيل انه اصح • وقد
قيل في صوم شعبان معنى اخر وهو ان صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صيامه
على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبل رمضان
حلاوة الصوم ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط • واعلم انه لا تعارض بين هذا
وبين النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم او يومين • وكذا ما جاء في النهي عن صوم نصف شعبان
الثاني فان الجمع بينهما ظاهر بان يحمل النهي على من لم يدخل تلك الايام في صيام اعتاده
واجاب النووي عن كونه صلى الله عليه وسلم لم يكثر الصوم في المحرم مع قوله ان افضل الصيام ما
يقع فيه بانه يحتمل انه لم يعلم ذلك الا في اخر عمره ولم يتمكن من كثرة الصوم في المحرم
او اتفق له من الاعذار كالسفر ما منعه من كثرة الصوم في المحرم • واما شهر رجب
بخصوصه وقد قال بعض الشافعية انه افضل من سائر الشهور • وضعفه النووي
وغيره قال لم نعلم انه صح ان النبي صلى الله عليه وسلم صامه بل روي عنه من حديث ابن عباس
ما صح وقفه انه نهى عن صيامه ذكره ابن ماجه • لكن في سنن ابي داود ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ندب الى الصوم من الاشهر الحرم ورجب احدها • وفي حديث مجيبة الباهلية عن ابيها

وعنها

وعنها انه صلى الله عليه وسلم قال صم من الحرم واترك قالها ثلاثا • وفي رواية مسلم عن عثمان بن حكيم الانصاري
قال سألت سعيد بن المسيب عن صوم رجب ونحن يومئذ في رجب فقال سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم • والظاهر ان مراد سعيد بهذا الاستدلال
على انه لا نهي عنه ولا ندب فيه بعينه بل له حكم باقي الشهور • وفي اللطائف روي عن الكتاني انا
تمام الرازي ثنا القاضي يوسف ثنا محمد بن اسحق السراج ثنا يوسف بن موسى ثنا حجاج بن منهال
ثنا حماد بن سلمة انا حبيب المعلم عن عطاء ان عروة قال لعبد الله بن عمر هل كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصوم في رجب قال نعم ويشرفه قالها ثلاثا • اخرجه ابو داود وغيره • وعن ابي قلابة قال
ان في الجنة قصرا لصوام رجب • قال البيهقي ابو قلابة من كبار التابعين لا يقوله الا عن بلاغ • والله اعلم

الفصل الرابع في صومه صلى الله عليه وسلم عشر ذي الحجة • والمراد بها الايام التسعة من
اول ذي الحجة عن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة • رواه ابو داود • وعن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم صائما في العشر قط • رواه مسلم والترمذي • وهذا يوهم كراهة صوم العشر وليس فيها كراهة بل هي
مستحبة استحبابا شديدا لا سيما يوم التاسع منها وهو يوم عرفة • وقد ثبت في صحيح البخاري انه
صلى الله عليه وسلم قال ما من العمل الصالح فيها افضل منه في هذه يعني العشر الاول من ذي الحجة • و
استدل به على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل • واستشكل تحريم الصوم يوم العيد
واجيب بانه محمول على الغالب • والله اعلم • وتاول قولها يعني عائشة لم يصم العشر انه لم يصمه لعارض
مرض او سفر او غيرهما او انها لم تره صائما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الامر ويدل
عليه حديث هنيدة بن خالد الذي ذكرته قال الحافظ ابن حجر وقد وقع في رواية القسم بن ابي ايوب
ما من عمل ازكى عند الله ولا اعظم اجرا من خير يعمله في عشر الاضحى • وفي حديث جابر في صحيحي ابي عوانة و
ابن حبان ما من ايام افضل عند الله من ايام عشر ذي الحجة فقد ثبتت الفضيلة لايام عشر ذي الحجة على غيرها
من ايام السنة • ويظهر فائدة ذلك فيمن نذر الصيام او علق عملا من الاعمال بافضل الايام فلو
افرد يوما منها تعين يوم عرفة لانه على الصحيح افضل ايام العشر المذكور فان اراد افضل ايام
الاسبوع تعين يوم الجمعة جمعا بين الحديث السابق وبين حديث ابي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت
فيه الشمس يوم الجمعة • رواه مسلم • اشار الى ذلك النووي في شرحه • وقال الداودي لم يرد عليه
ان هذه الايام خير من يوم الجمعة لانه قد يكون فيها يوم الجمعة يعني فيلزم تفضيل الشيء على نفسه •
وتعقب بان المراد كل يوم من ايام العشر افضل من غيره من ايام السنة سواء كان يوم الجمعة ام لا
ويوم الجمعة فيه افضل من يوم الجمعة في غيره لاجتماع الفضيلتين فيه • والذي يظهر ان السبب
في امتياز عشر ذي الحجة امكان اجتماع امهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج
ولا يتاتى ذلك في غيرها • وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج او يعم المقيم فيه احتمال • انتهى •

وقال ابو امامة بن النقاش فان قلت ايما افضل عشر ذي الحجة او العشر الاواخر من رمضان

فالجواب ان عشر ايام ذي الحجة افضل لاشتمالها على اليوم الذي ما رؤي الشيطان في يوم غير يوم بدر ادحر ولا اغيظ ولا احقر منه وهو يوم عرفة ولكونها يكفر صيام سنتين ولاشتمالها على اعظم الايام عند الله حرمة وهو يوم النحر الذي سماه الله تعالى يوم الحج الاكبر وليالي عشر رمضان الاخير افضل لاشتمالها على ليلة هي خير من الف شهر ومن تأمل هذا الجواب وجده كافيا شافيا اشار الفاضل في قوله ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من عشر ذي الحجة الحديث فتأمل قوله ما من ايام دون ان يقول ما من عشر ونحوه ومن اجاب بغير هذا التفصيل لم يدل بحجة صحيحة قط

الفصل الخامس في صومه صلى الله عليه وسلم ايام الاسبوع • عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام يوم الاثنين والخميس • رواه الترمذي والنسائي • وعن ابي قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي • رواه مسلم • وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس فاحب ان يعرض عملي وانا صائم • رواه الترمذي • وعن اسامة بن زيد قلت يا رسول الله انك تصوم حتى لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم الا يومين ان دخلا في صيامك والا صمتهما قال اي يومين قلت الاثنين قال ذلك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فاحب ان يعرض عملي وانا صائم رواه النسائي وروى علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد • قال يكتب كل ما تكلم به من خير او شر حتى انه ليكتب قوله اكلت وشربت وذهبت وجئت ورأيت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر ما كان فيه من خير او شر والقي سائره • وهذا عرض خاص في هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض دائم بكرة وعشيا • يدل على ذلك ما في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل • الحديث • وعن ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصوم في كل شهر ثلاثة ايام الاثنين والخميس من هذه الجمعة والاثنين من المقبلة • وفي لفظ اول اثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه • رواه النسائي • وعن عائشة كان يصوم من الشهر السبت والاحد ومن الشهر الاخر الثلاثاء والاربعاء والخميس • رواه الترمذي • وعن كريب مولى ابن عباس قال ارسلني ابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام سلمة اسألها اي الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت السبت والاحد ويقول انهما عيدا المشركين وانا احب ان اخالفهما • رواه احمد والنسائي • وفيه محمد بن عمر ولا يعرف حاله • ويروى عنه ابنه عبد الله بن محمد بن عمر ولا يعرف حاله ايضا • ويروى عن عبد الله بن بسر عن اخته الصماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا لحاء عنبة او عود شجرة فليمضغه • رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجة والدارمي • قال بعضهم لا تعارض

بينه وبين حديث ام سلمة فان النهي عن صومه انما هو عن افراده • على ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي ان يخص يوم السبت بالصوم • وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد • قالوا ونظير هذا انه نهي عن افراد يوم الجمعة بالصوم الا ان يصوم يوما قبله ويوما بعده • قال النووي وقول مالك في الموطأ لم اسمع احدا من اهل العلم والفقه ومن يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن وقد رأيت بعض اهل العلم يصومه واراه كان يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي رآه وقد رأى غيره خلاف ما رأى هو والسنة مقدمة على ما رآه وغيره وقد ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة فتعين القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه • قال الداودي من اصحاب مالك لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه • قالوا واستحباب الفطر يوم الجمعة ليكون اعون له على وظائف العبادات المشروعة في الجمعة واداءها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا سآمة كالحاج بعرفة

فان قلت لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم يوم قبله او بعده لبقاء المعنى

فالجواب انه يحصل بفضيلة الصوم الذي قبله او بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور او تقصير في وظائف الجمعة بسبب صومه والله اعلم

الفصل السادس في صومه صلى الله عليه وسلم الايام البيض • وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى آخره وهي ثالثة عشر ورابع عشر وخامسة عشر وليس في الشهر يوم ابيض كله الا هذه الايام لان ليلها ابيض ونهارها ابيض فصح قول من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل هو النهار بليلته • وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل هو النهار بليلته فجعل الصفة صفة الايام فقد اخطأ • واما عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر ايام البيض في حضر ولا سفر • رواه النسائي • وعن حفصة اربع لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشوراء والعشر وايام البيض من كل شهر وركعتي الفجر • رواه احمد • وعن معاذة العدوية انها سألت عائشة اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام قالت نعم فقلت لها من اي ايام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من اي ايام الشهر يصوم • رواه مسلم • قال بعضهم لعله صلى الله عليه وسلم لم يواظب على ثلاثة معينة لئلا يظن تعيينها • قال العلماء جعل الله تعالى صيام هذه الثلاثة ايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر امثالها • وقد روى اصحاب السنن • وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من غرة كل شهر • وقد تحصل ان صيامه صلى الله عليه وسلم في الشهر على اوجه • الاول انه كان يصوم اول اثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه • رواه النسائي • والثاني كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين • ومن الشهر الاخر الثلاثاء والاربعاء والخميس • رواه الترمذي • والثالث ايام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر • والرابع انه كان يصوم ثلاثة غير معينة كما رويته معاذة عن عائشة عند مسلم • والخامس كان يصوم ثلاثة من اول الشهر واختار جماعة منهم الخميس وهو

ما رواه اصحاب السنن من حديث ابن مسعود • قال القاضي عياض • واختاره النخعي ثلاثة من
اخر الشهر ليكون كفارة لما مضى • واختار اخرون اول يوم من الشهر والعاشر والعشرين وقيل
انه صام مالك بن انس • وقال ابن شعبان من المالكية اول يوم من الشهر والحادي عشر والحادي
والعشرون • ونقل ذلك عن ابي الدرداء وهو موافق لما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو
وصم من كل عشرة ايام يوما • وحكى الاسنوي عن الماوردي انه يستحب ايضا صوم الايام السود
وهي الثامن والعشرون وتالياه بعده • ويترجح البيض بكونها وسط الشهر • ووسط الشيء اعدله
ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد ورد الامر بمزيد العبادة اذا وقع فاذا اتفق الكسوف
صادف الذي يعتاد صيام البيض صائما فيتهيأ له ان يجمع بين انواع العبادات من الصيام
والصلوة والصدقة بخلاف من لم يصمها فانه لا يتهيأ له استدراك صيامها • ورجح بعضهم
الثلاثة في اول الشهر لان المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع والله اعلم

النوع الخامس في ذكر اعتكافه صلى الله عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه ليلة القدر

اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم • وفي الشرع المكث في المسجد من شخص
مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه و
الفكر في تحصيل مراضيه وما يقربه منه فيصير انسه بالله بدلا من انسه بالخلق ليكون ذلك انسه
يوم الوحشة في القبر حين لا انيس له • وليس بواجب اجماعا الا على من نذره • وكذا من شرع فيه فقطعه
عامدا عند قوم • واختلف في اشتراط الصوم له • ومذهب الشافعي انه ليس بشرط لصحة
الاعتكاف بل يصح اعتكاف المفطر • وقال مالك وابو حنيفة والاكثرون يشترط الصوم فلا يصح
اعتكاف المفطر • واحتج الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم في العشر الاول من شوال رواه
البخاري ومسلم • وبحديث عمر انه قال يا رسول الله اني نذرت ان اعتكف ليلة في الجاهلية فقال اوف
بنذرك رواه البخاري ومسلم والليل ليس محلا للصوم فدل على انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف
واتفق العلماء على اشتراط المسجد للاعتكاف الا محمد بن عمر بن لبابة المالكي فاجازه في كل
مكان • واجاز الحنفية للمرأة ان تعتكف في بيتها وهو المكان المعد للصلوة فيه وفيه
قول قديم للشافعي وذهب ابو حنيفة واحمد الى اختصاصه بالمسجد الذي تقام فيه الصلوات
وخصه ابو يوسف بالواجب • واما النفل ففي كل مسجد • وقال الجمهور بعمومه في كل مسجد
الا لمن تلزمه الجمعة فاستحبه له الشافعي في الجامع • وشرطه مالك لان الاعتكاف عنده
ينقطع بالجمعة • ويجب بالشروع عند مالك • وخصه طائفة من السلف كالزهري بالجامع
مطلقا واومى اليه الشافعي في القديم • وخصه حذيفة بن اليمان بالمساجد الثلاثة و
عطا بمسجدي مكة والمدينة • وابن المسيب بمسجد المدينة • واتفقوا على انه لا حد لاكثره
واختلفوا في اقله فمن شرط فيه الصيام قال اقله يوم ومنهم من قال يصح مع شرط الصيام

في دون اليوم حكاه ابن قدامة • وعن مالك يشترط عشرة ايام • وعنه يوم او يومان • ومن لم يشترط الصوم
قالوا اقله ما يطلق عليه اسم اللبث • ولا يشترط له القعود • واتفقوا على فساده بالجماع • وقد
كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان • رواه البخاري ومسلم
من حديث عائشة • وعن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف كل عام عشرا فاعتكف
عشرين في العام الذي قبض فيه • رواه البخاري • وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر
الاول من رمضان ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة تركية ثم اطلع راسه فقال اني اعتكفت العشر
الاول التمس هذه الليلة يعني ليلة القدر ثم اعتكفت العشر الاوسط ثم اتيت فقيل لي انها في العشر
الاواخر فمن اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر فقد رايت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رايتني
اسجد في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال فمطرت السماء
في تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
وجهه اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين • رواه البخاري • وفي حديث عبادة بن الصامت
انه صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون
خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة • رواه البخاري • ولمسلم من حديث
عبد الله بن انيس انه صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني في صبيحتها اسجد
في ماء وطين قال فمطرت ليلة ثلث وعشرين فصلى بنا وان اثر الماء والطين في جبهته وانفه • وفي
سنن ابي داود عن ابن مسعود مرفوعا اطلبوها ليلة سبع عشرة • وخرج الطبراني مرفوعا من حديث
ابي هريرة التمسوا ليلة القدر في سبع عشرة او تسع عشرة او احدى وعشرين او ثلث او خمس وعشرين او
سبع وعشرين او تسع وعشرين • وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافا كثيرا وافردها بعضهم
بالتاليف • وقد جمع الحافظ ابو الفضل بن حجر من كلام العلماء في ذلك اكثر من اربعين قولا كساعة
الجمعة • ومذهب الشافعي انحصارها في العشر الاخير كما نص عليه الشافعي فيما حكاه عنه الاسنوي
• وعن المحاملي انها تلتمس في جميع الشهر • وتبعه عليه الشيخ ابو اسحق في التنبيه فقال وتطلب ليلة القدر
في جميع شهر رمضان ثم الغزالي في كتبه • وتردد صاحب التقريب في جواز كونها في النصف الاخير
كذا نقله عنه الامام وضعفه • وحكاها ابن الملقن في شرح العمدة • وفي المفهم للقرطبي حكاية قول
انها ليلة النصف من شعبان • ودليل الاول حديث ابي سعيد الذي قدمناه • قال النووي وميل الشافعي
الى انها ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين • اما الحادي والعشرون فلقوله عليه السلام
في حديث ابي سعيد فقد رايت هذه الليلة وقد رايتني اسجد في ماء وطين من صبيحتها فبصرت
عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين • واما
الثالث والعشرون فلحديث عبد الله بن انيس المتقدم ايضا • وجزم جماعة من الشافعية بانها
ليلة الحادي والعشرين لكن قال السبكي انه ليس مجزوما به عندهم لاتفاقهم على عدم حنث من علق

يوم ... العشرين عتق عبده لليلة القدر انه لا يعتق تلك الليلة بل بانقضاء الشهر على الصحيح
بناء على انها في العشر الاخير • وعن ابن خزيمة من اصحابنا انها تنتقل في كل سنة الى ليلة من ليالي
العشر • وحاصله قولان ووجه واختار النووي في الفتاوى وشرح المهذب رأي ابن خزيمة وجزم
ابن حبيب من المالكية ونقله الجمهور وحكاه صاحب العدة من الشافعية • ودرجة بات
ليلة القدر خاصة بهذه الامة ولم يكن في الامم قبلهم • وهو معارض بحديث ابي ذر عند النسائي
حيث قال فيه قلت يا رسول الله اتكون مع الانبياء فاذا ماتوا رفعت قال لا بل هي باقية • وعمدتهم
قول مالك في الموطأ بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر
اعمار امته من اعمار الامم الماضية فاعطاه الله ليلة القدر • وهذا يحتمل التأويل فلا يدفع الصريح
في حديث ابي ذر كما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره وابن حجر في فتح الباري قال وقد ظهر لليلة القدر
علامات منها في صحيح مسلم عن ابي بن كعب ان الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها • ولابن خزيمة
من حديث ابن عباس مرفوعا ليلة القدر لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة • ولاحمد
من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا انها صافية كان فيها قمرا ساطعا ساكنة صاحية لا حر
فيها ولا برد ولا يحل لكوكب يرمى به فيها وان اماراتها ان الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها
شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان ان يخرج معها حينئذ • وروى البيهقي في فضائل
الاوقات ان المياه المالحة تعذب في تلك الليلة • وقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر
الاخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره • رواه مسلم من حديث عائشة • وفي البخاري عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله وايقظ اهله • وجزم عبد الرزاق
بان شد مئزره هو اعتزاله النساء • وحكي عن الثوري • وقال الخطابي يحتمل ان يراد به الجد في
العبادة كما يقال شددت لهذا الامر مئزري اي تشمرت له • ويحتمل ان يراد به التشمير والاعتزال
معا • ويحتمل ان يراد به الحقيقة والمجاز • فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله واعتزل النساء
وشمر للعبادة • وقوله واحيى ليله اي سهره فاحياه بالطاعة واحيى نفسه بسهره فيه لان النوم
اخو الموت واضافه الى الليل اتساعا لان النائم اذا حيي باليقظة حيي ليله بحياته وهو نحو قوله
لا تجعلوا بيوتكم قبورا اي لا تناموا فتكونوا كالاموات فتكون بيوتكم كالقبور • فقد كان عليه السلام
يخص العشر الاخير باعمال لا يعملها في بقية الشهر فمنها احياء الليل فيحتمل احياء الليل كله ويشهد له حديث
عائشة من وجه ضعيف واحيا الليل كله • وفي المسند عنها ايضا قالت كان صلى الله عليه وسلم
يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان العشر شمر وشد المئزر • وفي حديث ضعيف عن انس عند ابن ابي نعيم
كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان قام ونام فاذا كان اربعا وعشرين لم يذق غمضا
ويحتمل ان يريد باحياء الليل احياء غالبه • وقد قال الشافعي في القديم من شهد العشاء و
الصبح في جماعة ليلة القدر فقد اخذ بحظه منها • وروى في حديث مرفوع عن ابي هريرة من صلى

العشاء

العشاء الآخرة في جماعة في رمضان فقد ادرك ليلة القدر • رواه ابو الشيخ • ومنها ان يوقظ اهله
للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي • ومنها تأخير الفطور الى السحور • ففي حديث عائشة
انه صلى الله عليه وسلم كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحورا • ولفظ حديث عائشة كان صلى الله عليه
وسلم اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النساء واغتسل بين الاذانين
وجعل العشاء سحورا • اخرجه ابن ابي عاصم ولفظ حديث انس كان اذا دخل العشر الاخير من
رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاءه سحورا • واسناد الاول متقارب والثاني
فيه حفص بن غياث وقال فيه ابن عدي انه من انكر ما لقيت له • لكن يشهد له حديث الوصال
المخرج في الصحيح كما قدمته • ومنها اغتساله عليه السلام بين العشائين المغرب والعشاء
روي من حديث علي وفي اسناده ضعف

النوع السادس في ذكر حجه وعمرته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان الحج حلول بحضرة المعبود ووقوف بساحة الجود ومشاهدة لذلك المشهد العلي
الرحماني والمام بمعهد العهد الرباني • ولا يخفى ان نفس الكون بتلك الاماكن شرف وعلو •
وان التردد في تلك الاماكن فخار وسمو • فان المحال المحترمة لم تزل تتوزع على الحال
فيها من جمالها وصفها بفيض غامر وحسبك في هذا ما يحكى عن مجنون بني عامر •
رأى المجنون في البيداء كلبا • فجر عليه للاحسان ذيلا • فلاموه على ما كان منه • وقالوا
لم منحت الكلب نيلا • فقال دعوا الملام فان عيني • رأته مرة في حي ليلى • فينبغي للعبد
ان يهتم بامر الحج ويبادر اليه وينهض فاتر عزمه انها صالحة عليه ولا يتوانى في تحصيل الارب
سيئات العمر ليصاب بالمغفرة ولا يتكاسل عن البدار فيعرضه للفوات بركوب ثنيا المخاطرة •
روى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد الحج فليتعجل • رواه ابو داود • وفي حديث علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام
ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا • الحديث • رواه الترمذي • وخطب عليه السلام
فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا • رواه مسلم والنسائي من حديث ابي هريرة • وفي رواية
النسائي من حديث ابن عباس مرفوعا ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس التميمي كل عام يا رسول الله
فقال لو قلت نعم لوجبت • الحديث • فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة • وقد اجمعوا انه لا
يتكرر الا لعارض كالنذر • واختلفوا هل هو على الفور او التراخي • فقال الشافعي وابو يوسف
ومحمد هو على التراخي الى ان ينتهي الى حال يظن فواته لو اخره عنها • وقال مالك وابو حنيفة وآخرون
هو على الفور • واختلفوا ايضا في وقت ابتداء فرضه فقيل قبل الهجرة وهو شاذ • وقيل بعدها • ثم
اختلف في سنته فالجمهور على انها سنة ست لانه نزل فيها قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله • وهذا
ينبني على ان المراد بالاتمام ابتداء الفرض • ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وابراهيم النخعي بلفظ واقيموا
رواه الطبراني باسانيد صحيحة عنهم • وقيل المراد بالاتمام الاكمال بعد الشروع • وهذا يقتضي تقدم

فرضه قبل ذلك • وقد وقع في قصة ضمام ذكر الامر بالحج وكان قدومه على ما ذكر الواقدي سنة خمس وهذا يدل ان ثبت على تقدمه على سنة خمس او وقوعه فيها • قال الطائفة الثانية تأخر فرضه الى التاسعة والعاشرة • واحتجوا بان صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود وفيه قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحهم على اداء الجزية والجزية نزلت عام تبوك سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر اهل الكتاب ودعاهم الى التوحيد ويدل عليه ان اهل مكة وجدوا في انفسهم بما فاتهم من التجارة من المشركين الى ان انزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس الاية • فاعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول هذه الايات والمناداة بها انما كان في سنة تسع وبعث الصديق رضي الله عنه يؤذن بذلك في مكة في موسم الحج واردفه بعلي رضي الله عنه • وفي الترمذي من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل ان يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة ثم جاء علي من اليمن ببقيتها فيها جمل في انفه برة من فضة فنحرها الحديث • وعن ابن عباس حج صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر ثلاث حجج اخرجه ابن ماجة والحاكم وهو مبني على عدد وفود الانصار الى العقبة بمنى بعد الحج • وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك • وقد اخرج الحاكم بسند صحيح الى الثوري ان النبي صلى الله عليه وسلم حج قبل ان يهاجر حججا • وقال ابن الجوزي حج حججا لا يعلم عددها • وقال ابن الاثير كان عليه السلام يحج كل سنة قبل ان يهاجر • وقال جابر في حديثه الطويل كما في رواية مسلم مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج ثم اذن في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس ان يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا فاتينا ذا الحليفة فولدت اسماء بنت عميس محمد بن ابي بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصنع قال اغتسلي واستثفري بثوب واحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصواء حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به • وفي رواية عند النسائي عن جابر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذي القعدة وخرجنا معه حتى اذا اتى ذا الحليفة الحديث • وكان خروجه عليه السلام من المدينة بين الظهر والعصر فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والظهر وكان نساؤه كلهن معه فطاف عليهن كلهن تلك الليلة ثم اغتسل غسلا ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع الاول • وفي الترمذي عن خارجة بن زيد عن ابيه تجرد صلى الله عليه وسلم لاهلاله واغتسل • وفي الصحيحين ان عائشة طيبته بذريرة • وفي رواية قالت كاني انظر الى وبيص الطيب في مفارقه عليه السلام وهو محرم • وفي رواية قالت طيبته عند احرامه طيبا لا يشبه طيبكم يعني ليس بقاء • وهذا يدل على استحباب التطيب عند ارادة الاحرام وانه لا باس باستدامته بعد الاحرام ولا يضر بقاء لونه ورائحته وانما يحرم في الاحرام ابتداؤه • وهذا مذهب الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف واحمد بن حنبل

وحكاه الخطابي عن اكثر الصحابة وحكاه النووي عن جمهور العلماء من السلف والخلف • وذهب مالك الى منع التطيب قبل الاحرام بما تبقى رائحته بعده لكن قال ان فعل فقد اساء ولا فدية عليه • وعن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحرم غسل رأسه بخطمي واشنان • رواه الدارقطني • وفي حديث انس عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل البيداء اهل • وفي رواية ابن عمر عند البخاري ومسلم وغيرهما ما اهل الا من عند المسجد يعني مسجد ذي الحليفة • وفي رواية ما اهل الا من عند الشجرة حين قام به بعيره • وفي رواية حين وضع رجله في الغرز واستوت به راحلته قائما اهل من عند مسجد ذي الحليفة • وفي رواية جابر عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد الحج اذن في الناس فاجتمعوا له فلما اتى البيداء احرم • وفي حديث ابن جبير عند ابي داود قلت لابن عباس عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اوجب فقال اني لاعلم الناس بذلك انها انما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هناك اختلفوا خرج صلى الله عليه وسلم حاجا فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه اوجبه في مجلسه فاهل بالحج حين فرغ من ركعتيه فسمع ذلك منه اقوام فحفظته عنه ثم ركب فلما استقلت به ناقته اهل وادرك ذلك منه اقوام وذلك ان الناس انما كانوا يأتون ارسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل فقالوا انما اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علا على شرف البيداء اهل وايم الله لقد اوجب في مصلاه واهل حين استقلت به ناقته واهل حين علا على شرف البيداء • قال سعيد بن جبير فمن اخذ بقول عبد الله بن عباس اهل في مصلاه اذا فرغ من ركعتيه وهو مذهب ابي حنيفة • والصحيح من مذهب الشافعي ان الافضل ان يحرم اذا انبعثت به راحلته • قال ابن القيم ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر انتهى • قلت ثبت في الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين ثم اذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة اهل • قال النووي فيه استحباب صلاة ركعتين عند ارادة الاحرام ويصليهما قبل الاحرام ويكونان نافلة هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن البصري انه يستحب كونهما بعد صلاة فرض قال لانه روي ان هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح • والصواب ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث • وقد اختلفت روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع هل كانت مفردا او قارنا او متمتعا • وروي كل منها في البخاري ومسلم وغيرهما • واختلف الناس في ذلك على ستة اقوال • احدها انه حج مفردا لم يعتمر معه • الثاني حج متمتعا تمتعا حل منه ثم احرم بعده بالحج كما قال القاضي ابو يعلى وغيره • الثالث انه حج متمتعا تمتعا لم يحل منه لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا • الرابع انه حج قارنا طاف لهما طوافين وسعى لهما سعيين • الخامس انه حج حجا مفردا اعتمر بعده من التنعيم • السادس انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا بالحج والعمرة ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا وساق الهدي

واختلفوا ايضا في احرامه على ستة اقوال. احدها انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها. الثاني انه لبى بالحج وحده واستمر عليه. الثالث انه لبى بالحج مفردا ثم ادخل عليه العمرة. الرابع انه لبى بالعمرة وحدها ثم ادخل عليها الحج. الخامس انه احرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه. السادس انه لبى بالحج والعمرة معا. وقد اطنب ابو جعفر الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه زيادة على الف ورقة كما ذكره عنه جماعة من العلماء، وبينه ابن حزم في حجة الوداع بيانا شافيا، ومهده المحب الطبري تمهيدا بالغا، واشار اليه القاضي عياض والنووي في شرحهما لمسلم، ونقحه الحافظ ابن حجر مستوفيا لكثير من مباحثه استيفاء كافيا. والذي ذهب اليه الشافعي في جماعة انه صلى الله عليه وسلم حج حجا مفردا لم يعتمر معه، واحتج بما في الصحيحين عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج وحده واهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج. هذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده. ولمسلم عنها انه صلى الله عليه وسلم اهل بالحج وحده. ولمسلم ايضا عن ابن عباس اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج. ولابن ماجه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج. وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم افرد الحج. رواه البخاري. قالوا وهؤلاء لهم قرب في حجة الوداع على غيرهم. فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقا لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكره من حين خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من غيره. واما ابن عمر رضي الله عنه انه كان آخذا بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، وانكر على من رجح قول انس على قوله وقال كان انس يدخل على النساء وهن منكشفات الرؤوس واني كنت تحت ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني لعابها اسمعه يلبي بالحج. واما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره وفعله في خلوته وعلانيته مع كثرة فهمها وعظم فطنتها. واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في الدين والفهم الثاقب معروف مع كثرة بحثه وتحفظه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره واخذه اياها من كبار الصحابة. واحتجوا ايضا بان الخلفاء الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم الائمة الاعلام وقادة الاسلام والمقتدى بهم فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل، وبانه لم ينقل عن احد منهم كراهة الافراد، وقد نقل عنهم كراهة التمتع والجمع بينهما حتى فعله علي رضي الله عنه لبيان الجواز، وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف التمتع والقران. وذهب النووي الى ان الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا، قال ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج، ولا شك ان القران افضل من الافراد الذي لا يعتمر في سنته عندنا ولم ينقل احد ان الحج وحده افضل من القران. انتهى. وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو لم يعتمر في تلك السنة. قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر ويترجح رواية من روى القران بامور منها ان معه زيادة علم على من روى الافراد والتمتع، وبان من روى الافراد والتمتع اختلف عليه في ذلك، واشهر من روي عنه الافراد عائشة وقد

فمنها انه اعتمر مع حجته، وابن عمر قد ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم بدأ بالعمرة ثم اهل بالحج، وقد روي انه اعتمر مع حجته ايضا، وبان القران رواه عنه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة لم يختلف عليهم فيه، وبانه لم يقع في شيء من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال افردت ولا تمتعت بل صح عنه انه قال لولا ان معي الهدي لاحللت. وايضا فان من روى القران لا يحتمل حديثه التأويل الا بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه محمول على اول الحال وينتفي التعارض. ويؤيده ان من جاء عنه الافراد جاء عنه صورة القران، ومن روي عنه التمتع فانه محمول على سفر واحد للنسكين. ويؤيده ان من جاء عنه التمتع لما وصفه وصفه بصورة القران لانهم اتفقوا على انه لم يحل من عمرته حتى اتم عمل جميع الحج، وهذه احدى صور القران. وايضا فان رواية القران جاءت عن بضعة عشر صحابيا. انتهى. وقد عد منهم ابن القيم سبعة عشر صحابيا: عائشة ام المؤمنين وعبد الله ابن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان باقراره لعلي وعمران بن الحصين والبراء بن عازب وحفصة ام المؤمنين وابو قتادة وابن ابي اوفى وابو طلحة والهرماس بن زياد وام سلمة وانس بن مالك وسعد بن ابي وقاص وجابر وابن عمر. هؤلاء سبعة عشر صحابيا، منهم من روى فعله ومنهم من روى لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن نفسه ومنهم من روى امره به. فان قيل كيف يجعلون منهم ابن عمر وجابرا وعائشة وهم يقولون اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج، وفي لفظ افرد الحج، والاول في الصحيحين والثاني في مسلم، وهذا ابن عمر يقول لبى بالحج وحده ذكره البخاري، وهذا ابن عباس يقول اهل بالحج رواه مسلم، وهذا جابر يقول افرد الحج رواه ابن ماجه. قيل ان كانت احاديث هؤلاء تعارضت وتساقطت فاذا احاديث الباقين لم تتعارض، فهب ان احاديث من ذكرتم لا حجة فيها على القران ولا على الافراد فما الموجب للعدول عن احاديث الباقين مع صراحتها وصحتها، فكيف واحاديثهم يصدق بعضها بعضا ولا تعارض بينها. انتهى. وقد يقتضي رفع الشك عن ذلك والمصير الى انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا، ومقتضى ذلك ان يكون القران افضل من الافراد ومن التمتع، وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين، وبه قال ابو حنيفة واسحق بن راهويه، واختاره من الشافعية المزني وابن المنذر وابو اسحق المروزي، ومن المتأخرين الشيخ تقي الدين السبكي، وبحث مع النووي في اختياره انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا وان الافراد مع ذلك افضل، مستندا الى انه صلى الله عليه وسلم اختار الافراد اولا ثم ادخل عليه العمرة لبيان جواز الاعتمار في اشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه من افجر الفجور. وتعقب بان البيان قد سبق منه صلى الله عليه وسلم في عمره الثلاث فانه احرم بكل منها في ذي القعدة: عمرة الحديبية التي صد عن البيت فيها، وعمرة القضية، وعمرة الجعرانة، ولو كان اراد باعتماره مع حجته بيان الجواز فقط مع ان الافضل خلافه لاكتفى في ذلك بامره اصحابه ان يفسخوا حجهم الى العمرة. انتهى. ومذهب الشافعي ومالك وكثيرين ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران.

وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان التمتع افضل وهو مذهب احمد لكونه صلى الله عليه وسلم تمناه فقال لولا اني سقت الهدي لاحللت ولا يتمنى الا الافضل واجيب بانه انما تمناه تطييبا لقلوب اصحابه لحزنهم على فوات موافقته والا فالافضل ما اختاره الله تعالى له واستمر عليه صلى الله عليه وسلم • واما القائلون بانه صلى الله عليه وسلم لبى بالعمرة واستمر عليها فحجتهم حديث ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج • وقال ابن شهاب عن عروة ان عائشة اخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر • وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها • وقال سعد بن ابي وقاص في المتعة صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه • واجيب بان التمتع عندهم يتناول القران • ويدل له ما في الصحيحين عن سعيد بن المسيب اجتمع علي وعثمان بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة فقال علي ما تريد الى امر فعله النبي صلى الله عليه وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا استطيع ان ادعك فلما رأى ذلك اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم وان هذا هو الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان على ان النبي صلى الله عليه وسلم فعله لكن كان النزاع بينهما هل ذلك الافضل في حقنا ام لا فقد اتفق علي وعثمان على انه تمتع وان المراد بالتمتع عندهم القران • وايضا فانه عليه السلام قد تمتع تمتع قران لا باعتبار ترفهه بترك احد السفرين • انتهى • وفي فتح الباري عن احمد ان من ساق الهدي فالقران له افضل ليوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم • ومن لم يسق الهدي فالتمتع له افضل ليوافق ما تمناه وامر به اصحابه • واما من قال انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا ثم اعتمر عقبه من التنعيم او غيره فهو غلط لم يقله احد من الصحابة ولا التابعين ولا الائمة الاربعة ولا احد من اهل الحديث قاله ابن تيمية • واما من قال انه صلى الله عليه وسلم حج متمتعا حل فيه من احرامه ثم احرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدي فحجته حديث معاوية انه صلى الله عليه وسلم قصر عن رأسه بمشقص على المروة • وحديثه في الصحيحين ولا يمكن ان يكون هذا في غير حجة الوداع لان معاوية اسلم بعد الفتح والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن زمن الفتح محرما • ولا يمكن ان يكون في عمرة الجعرانة لوجهين احدهما ان في بعض الفاظ الصحيح وذلك في حجته • الثاني ان في رواية النسائي باسناد صحيح وذلك في ايام العشر • وهذا انما كان في حجته • وهذا مما انكره الناس على معاوية وغلطوه فيه واصابه فيه ما اصاب ابن عمر في قوله انه اعتمر في رجب كما سيأتي • وسائر الاحاديث الصحيحة كلها تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه الى يوم النحر وبذلك اخبر عن نفسه بقوله لولا ان معي الهدي لاحللت وقوله اني سقت الهدي وقلدت فلا احل حتى انحر • وهذا خبر عن نفسه لا يدخله الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره عنه • واما اختلاف الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في كيفية اهلاله هل هو بالحج او بالعمرة او القران والجمع بينها

فكل اضيف اليه بما يناسب مذهبه الذي قدمته • قال البغوي والذي ذكره الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان يأخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا ويريد انه امر ببنائها كما روي انه عليه الصلاة والسلام رجم ماعزا وانما امر برجمه • ثم احتج بانه عليه السلام كان افرد الحج • انتهى • وقال الخطابي نحوه • وقال النووي كان صلى الله عليه وسلم اولا مفردا ثم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى الافراد فهو الاصل يعني حمله على ما اهل به اول الحال • ومن روى القران اراد ما استقر عليه امره • ومن روى التمتع اراد به التمتع اللغوي وهو الارتفاق فقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد • وقال غيره اراد بالتمتع ما امر به غيره • قالوا وبهذا الجمع تنتظم الاحاديث كلها ويزول عنها الاضطراب والتناقض • وقالت طائفة انما احرم صلى الله عليه وسلم قارنا واحتجوا باحاديث صحيحة تزيد على عشرين منها حديث انس في صحيح مسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بهما لبيك عمرة وحجا • ورواه عن انس ستة عشر نفسا من الثقات كلهم متفقون عن انس ان لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كان اهلالا بحج وعمرة • ومن قال انه صلى الله عليه وسلم اهل بالعمرة وادخل عليها الحج فحجته ما في البخاري من حديث ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة • وبدأ صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج فقد تقدم في الاحاديث الكثيرة الصريحة انه صلى الله عليه وسلم بدأ بالاهلال بالحج ثم ادخل عليه العمرة وهذا عكسه والمشكل في هذا الحديث قوله بدأ فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج • واجيب عنه بان المراد به صورة الاهلال اي لما ادخل العمرة على الحج لبى بهما فقال لبيك بعمرة وحج معا • ومذهب الشافعي انه لو ادخل الحج على العمرة قبل الطواف صح وصار قارنا ولو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة ففيه قولان للشافعي اصحهما لا يصح احرامه بالعمرة لان الحج اقوى منها لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف لا يدخل على القوي • انتهى • وعن ابن عباس صلى صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين • رواه مسلم وابو داود • وفي رواية الترمذي وقلدها نعلين واشعر الهدي في الشق الايمن بذي الحليفة واماط عنها الدم • وفي رواية لابي داود بمعناه وقال سلت الدم بيده • وفي اخرى باصبعه • وعند النسائي اشعر بدنة من الجانب الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين • وكان حجه صلى الله عليه وسلم على رحل رث يساوي اربعة دراهم • رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث انس والطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس • وعن اسماء بنت ابي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى اذا كنا بالعرج نزل رسول الله

صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست عائشة الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست الى جنب
ابي بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة ابي بكر واحدة مع غلام لابي بكر فـ
فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره فقال له ابو بكر اين بعيرك قال
اضللته البارحة قال ابو بكر بعير واحد تضله فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبسم ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع وما يزيد على ذلك ويتبسم • رواه ابو داود
وخرج معه اصحابه لا يعرفون الا الحج كما قالت عائشة فبين لهم عليه السلام وجوه الاحرام
وجوز لهم الاعتمار في اشهر الحج فقال من احب ان يهل بعمرة فليهل ومن احب ان يهل
بحج فليهل • رواه البخاري • ولاحمد من شاء فليهل بعمرة • ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء
او ودان اهدى له الصعب بن جثامة حمارا وحشيا فرده عليه فلما رأى ما في وجهه
قال انا لم نرده عليك الا انا حرم • رواه البخاري ومسلم • وله في رواية حمار وحش • وفي
اخرى من لحم حمار وحش • وفي رواية عجز حمار وحش يقطر دما • وفي رواية شق حمار وحش
وفي رواية عضوا من لحم صيد • وروى ابو داود وابن حبان من طريق عطاء عن ابن عباس انه
قال يا زيد بن ارقم هل علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره • واتفقت الروايات
كلها انه رده عليه الا ما رواه ابن وهب والبيهقي من طريقه باسناد حسن من طريق عمرو بن امية
ان الصعب اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحش وهو بالجحفة فاكل منه واكل القوم
قال البيهقي ان كان هذا محفوظا فلعله رد الحي وقبل اللحم • قال في فتح الباري وفي هذا الجمع
نظر فان كانت الطرق محفوظة فلعله رده حيا لكونه صيد لاجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله
تارة اخرى حيث علم انه لم يصده لاجله • وقد قال الشافعي في الام ان كان الصعب اهدى
حيا فليس للمحرم ان يذبح حمار وحش • وان كان اهدى لحما فقد يحتمل ان يكون علم انه صيد له فرده
عليه • ونقل الترمذي عن الشافعي انه رده لظنه انه صيد لاجله فتركه على وجه التنزه • (من اجله)
ويحتمل ان يحمل القبول المذكور في حديث عمرو بن امية على وقت اخر وهو حال رجوعه صلى الله عليه وسلم
من مكة • ويؤيده انه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة وفي غيرها من الروايات بالابواء او بودان
قال القرطبي ويحتمل ان يكون الصعب احضر الحمار مذبوحا لا حيا ثم قطع منه عضوا
بحضرته صلى الله عليه وسلم فقدمه له • فمن قال اهدى حمارا اراد بتمامه مذبوحا لا حيا • ومن
قال لحم حمار اراد ما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من قال حمارا اطلق واراد بعضه
مجازا • قال ويحتمل انه اهدى له حيا فلما رده عليه ذكاه واتاه بعضو منه ظانا انه انما رده (اهداه)
عليه لمعنى يختص بجملته فاعلمه بامتناعه ان حكم الجزء حكم الكل قال والجمع مهما امكن اولى
من توهيم بعض الرواة • قال النووي قال الشافعي والاخرون يحرم تملك الصيد بالبيع والهبة
ونحوهما وفي ملكه اياه بالارث خلاف • واما لحم الصيد فان صاده او صيد له فهو حرام سواء

صيد له

صيد له باذنه او بغير اذنه وان صاده حلال لنفسه ولم يقصد المحرم ثم اهدى من لحمه للمحرم
او باعه لم يحرم عليه هذا مذهبنا • وبه قال مالك واحمد وابو داود • وقال ابو حنيفة لا يحرم
عليه ما صيد له بغير اعانة منه • وقالت طائفة لا يحل له لحم الصيد اصلا سواء صاده
او صاده غيره له قصده او لم يقصده فيحرم مطلقا حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر وابن
عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما • قالوا والمراد بالصيد المصيد ولظاهر
حديث الصعب بن جثامة فانه صلى الله عليه وسلم رده وعلل رده بانه محرم ولم يقل بانك
صدته لنا • واحتج الشافعي وموافقوه بحديث ابي قتادة المذكور في صحيح مسلم فانه صلى الله
عليه وسلم قال في الصيد الذي صاده ابو قتادة وهو حلال قال للمحرمين هو حلال فكلوه • وفي الرواية
الاخرى قال هل معكم منه شيء قالوا معنا رجله فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكلها • ولما مر صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان قال يا ابا بكر اي واد هذا قال وادي (واُزُرهما)
عسفان قال لقد مر به هود وصالح على بكرين احمرين خطمهما الليف وازرهم العباء وارديتهما
النمار يلبون يحجون البيت العتيق • رواه احمد • وفي رواية من حديث ابن عباس لما مر بوادي
بوادي الازرق قال كأني انظر الى موسى من الثنية واضعا اصبعيه في اذنيه مارا بهذا
الوادي وله جؤار الى الله بالتلبية • ووادي الازرق خلف امج بفتح الهمزة والميم والجيم قرية (جؤار: رفع الصوت)
ذات مزارع بينه وبين مكة ميل واحد • ولم يتعين في رواية البخاري الوادي ولفظه اما موسى
كأني انظر اليه اذا انحدر من الوادي يلبي • قال المهلب هذا وهم من بعض رواته لانه لم يأت في
اثر ولا خبر ان موسى حي وانه سيحج وانما اتى ذلك عن عيسى فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله
في الحديث الاخر ليهلن ابن مريم بفج الروحاء • انتهى • وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم • وقد
ذكر البخاري الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه فيقال ان الراوي قد غلط
فزاده • وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس فيقال ان الراوي الاخر قد غلط فزاد يونس
وتعقب ايضا بان توهيم المهلب للراوي وهم منه لانه لا فرق بين موسى وعيسى لانه لم يثبت ان
عيسى منذ رفع نزل الى الارض وانما يثبت انه سينزل • واجيب بان المهلب اراد ان عيسى
لما ثبت انه سينزل فكان كالمحقق فقال كأني انظر اليه • ولهذا استدل المهلب بحديث ابي هريرة
الذي فيه ليهلن ابن مريم بالحج • وقد اختلف في معنى قوله كأني انظر اليه فقيل ان ذلك رؤيا منام
تقدمت له فاخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك • ورؤيا الانبياء وحي • وقيل هو على الحقيقة
لان الانبياء احياء عند ربهم يرزقون فلا مانع ان يحجوا في هذه الحالة كما في صحيح مسلم
من انه رأى موسى عليه السلام قائما في قبره يصلي • قال القرطبي حببت اليهم العبادة فهم
يتعبدون بما يجدون من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر • ويؤيده
ان عمل الاخرة ذكر ودعاء لقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية لكن تمام هذا التوجيه

ان يقال المنظور اليه هو ارواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه وسلم في الدنيا كما مثلت ليلة
الاسراء واما اجسادهم فهي في القبور • قال ابن المنير وغيره يجعل الله لروحه مثالا
ويرى في اليقظة كما يرى في النوم • وقيل كانه مثلت احوالهم كانت في الحياة الدنيا كيف تعبدوا
وكيف حجوا وكيف لبوا • ولهذا قال كأني • وقيل كانه اخبر بالوحي عن ذلك فلشدة
قطعه به قال كأني انظر اليه • انتهى • وقد ذكرت في مقصد الاسراء من ذلك ما يكفي
ويشفي والله الموفق • ولما نزل صلى الله عليه وسلم بسرف خرج الى اصحابه فقال
من لم يكن معه هدي فاحب ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدي فلا •
وحاضت عائشة فدخل عليها صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال لها ما يبكيك يا فتاة
قالت سمعت قولك لاصحابك فمنعت العمرة قال وما شانك قالت لا اصلي قال فلا
يضرك انما انت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجك عسى
الله ان يرزقكيها • رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي • وفي رواية قالت خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج حتى جئنا سرف فطمثت فدخل علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا ابكي فقال لي ما يبكيك فقلت والله لوددت اني لم اكن خرجت العام فقال
ما لك لعلك نفست قلت نعم قال هذا شيء كتبه الله على بنات آدم افعلي ما يفعل الحاج
غير ان لا تطوفي بالبيت حتى تطهري • الحديث • وقد اختلف فيما احرمت به عائشة كما
اختلف هل كانت متمتعة ام مفردة واذا كانت متمتعة فقيل انها كانت اولا احرمت
بالحج وهو ظاهر هذا الحديث • وفي حجة الوداع من المغازي عند البخاري من طريق هشام
ابن عروة عن ابيه قال وكنت فيمن اهل بعمرة • وزاد احمد من وجه آخر عن الزهري ولم اسق هديا
وفي رواية الاسود عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلبي ولا نذكر حجا و
لا عمرة • ويحتمل في الجمع ان يقال اهلت عائشة بالحج مفردة كما صنع غيرها من الصحابة
ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يفسخوا الحج الى العمرة ففعلت عائشة ما صنعوا فصارت
متمتعة ثم لما دخلت مكة وهي حائض لم تقدر على الطواف لاجل الحيض امرها ان تحرم بالحج
وقال القاضي عياض وقد اختلف في الكلام على حديث عائشة فقال مالك ليس العمل على حديث
عروة عن عائشة عندنا قديما ولا حديثا قال ابن عبد البر يريد ليس العمل عليه في رفض العمرة وجعلها
حجا لا في جعل الحج عمرة فانه وقع للصحابة • واختلف في جوازه من بعدهم لكن اجاب جماعة من العلماء
عن ذلك باحتمال ان يكون معنى ارفضي عمرتك اي اتركي التحلل منها وادخلي عليها الحج فتصير قارنة •
ويؤيده قوله في رواية لمسلم وامسكي عن العمرة اي عن اعمالها • وانما قالت عائشة وارجع بحج لاعتقادها
ان افراد العمرة بالعمل افضل كما وقع لغيرها من امهات المؤمنين • واستبعد هذا التاويل لقولها في
رواية عطاء عنها وارجع انا بحجة ليس معها عمرة • اخرجه احمد وهو يقوي قول الكوفيين ان

عائشة

عائشة تركت العمرة وحجت مفردة تمسكوا في ذلك بقوله لها دعي عمرتك وفي رواية ارفضي عمرتك
ونحو ذلك واستدل به على ان المرأة اذا اهلت بالعمرة متمتعة فحاضت قبل ان تطوف
ان تترك العمرة وتهل بالحج مفردا كما صنعت عائشة لكن في رواية عطاء عنها ضعف والرافع
للاشكال في ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر ان عائشة اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف
حاضت فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اهلي بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال
قد حللت من حجك وعمرتك قالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت حين حججت قال
فاعمرها من التنعيم • ولمسلم من طريق طاوس عنها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم طوافك يسعك
لحجك وعمرتك • فهذا صريح في انها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما اعمرها
من التنعيم تطييبا لقلبها لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة • وقد وقع في رواية مسلم وكان
صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت الشيء تابعها عليه • ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من
كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا • وانما قال لهم هذا القول
بعد احرامهم بالحج في منتهى سفرهم ودنوهم من مكة بسرف كما جاء في رواية عائشة او بعد طوافه
بالبيت كما جاء في رواية جابر • ويحتمل تكرار الامر بذلك في الموضعين وان العزيمة كانت اخرا
حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة • وفي رواية قالت عائشة فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج حتى
قدمنا مكة فقال صلى الله عليه وسلم من احرم بعمرة ولم يهد فليحلل ومن احرم بعمرة واهدى
فلا يحل حتى ينحر هديه • ومن احرم بحج فليتم حجه • وهذا الحديث ظاهر في الدلالة لابي حنيفة
واحمد وموافقيهما في ان المعتمر المتمتع اذا كان معه الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر
ومذهب مالك والشافعي انه اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شيء في الحال سواء
كان ساق الهدي ام لا واحتجوا بالقياس على من لم يسق الهدي • وبانه تحلل من نسكه فوجب ان يحل له كل
شيء كما لو تحلل المحرم بالحج • واجابوا عن هذه الرواية بانها مختصرة من الرواية التي ذكرها مسلم
عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما
جميعا فهذه الرواية مفسرة للمحذوف من الرواية التي احتج بها ابو حنيفة وتقديرها ومن احرم
بعمرة فليحلل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه ولا بد من هذا التاويل لان القصة واحدة والراوي
واحد فيتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكر والله اعلم • ولما بلغ سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذا طوى بضم الطاء وفتحها وقيدها الاصيلي بالكسر عند ابار الزاهر بات بها
الثنتين فلما اصبح صلى الله عليه وسلم صلى الغداة ثم اغتسل رواه البخاري • وللنسائي كان
صلى الله عليه وسلم ينزل بذي طوى يبيت به يصلي صلاة الصبح حين يقدم الى مكة فمصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك على اكمة خشنة غليظة ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن من اسفل ذلك

نحر يوم النحر

على كمه خشية عليها • وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دخلها من اعلاها • وفي حديث ابن عمر في الصحيح كان صلى الله عليه وسلم يدخل من الثنية العليا يعني اعلى مكة من كداء بفتح الكاف والمد قال ابو عبيدة لا يصرف • وهذه الثنية التي ينزل منها الى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله عليه وسلم احرم من الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى امر العمرة ثم رجع ليلا فاصبح بالجعرانة كما رواه اصحاب السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي • وعن عطا قال ان شئتم فادخلوا ليلا انكم لستم كرسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اماما فاحب ان يدخلها نهارا ليراه الناس • رواه النسائي ثم دخل عليه الصلوة والسلام مكة لاربع خلون من ذي الحجة ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف وهو باب بني شيبة والمعنى فيه ان باب الكعبة في جهة ذلك الباب والبيوت تؤتى من ابوابها • وايضا فلان جهة باب الكعبة اشرف الجهات الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان عليه السلام اذا رأى البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا • رواه الثوري عن ابي سعيد الشامي عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة بن اسيد كان عليه السلام اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد من شرفه وعظمه ممن حجه واعتمره تعظيما وتشريفا وبرا ومهابة ولم يركع عليه السلام تحية المسجد انما بدا بالطواف لانه تحية البيت • كما صرح به كثير من اصحابنا • وليس تحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود • وفي رواية جابر عند البخاري استلم الركن • والاستلام افتعال من السلام اي التحية • قاله الازهري • وقيل من السلام بالكسر اي الحجارة • والمعنى انه يومي بعصاه الى الركن حتى يصيبه وكانت محنية الرأس وهي المراد بقوله في الحديث بالمحجن • واعلم ان للبيت اربعة اركان الاول له فضيلتان كون الحجر الاسود فيه وكونه على قواعد ابرهيم • وللثاني الثانية فقط • وليس للآخرين شيء منهما فلذلك يقبل الاول ويستلم الثاني ولا يقبل الآخران ولا يستلمان • وروى الشافعي عن ابن عمر قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا • وكان اذا استلم الركن قال بسم الله والله اكبر • رواه الطبراني • وهل كان صلى الله عليه وسلم طائفا على بعير ام على قدميه ففي مسلم عن عائشة طاف عليه السلام في حجة الوداع على بعير • وفيه عن ابي الطفيل رأيته عليه السلام يطوف بالبيت على بعيره • وقد اختلف في علة ذلك • فروى ابو داود من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته • وفي حديث جابر عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم طاف راكبا ليراه الناس ويسألوه • فيحتمل ان يكون لذلك للامرين • لكن ان يقال فيه جواز دخول الدواب التي يؤكل لحمها المسجد اذا احتيج لذلك لان بولها لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب • وتعقب بانه ليس في الحديث دلالة على الجواز لجواز

استلم

مع الحاجة بل ذلك لاندراس التلويث وعدمه بحيث يخشى التلويث يمنع الدخول • وقيل ان ناقته عليه كانت منوقة اي مدربة معلمة فيؤمن معها ما يحذر من التلويث • قال بعضهم وهذا كان والله اعلم في طواف الافاضة لا في طواف القدوم فان جابرا حكى عنه انه رمل في الثلاثة الاول وذلك لا يكون الا مع المشي • ولم ينقل احد رملت به راحلته وانما قال رمل اي بنفسه • وقال الشيخ اما سعيه الذي طاف لقدومه فعلى قدميه • انتهى • ولما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى اربعا وكان ابتداء الرمل في عمرة القضية لما قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة فجلسوا مما يلي الحجر وامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا ثلاثة اشواط ويمشوا بين الركنين ليرى المشركين جلدهم فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء اجلد من كذا وكذا • رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس • ولما كان في حجة الوداع رمل صلى الله عليه وسلم واصحابه كانت سنة مستقلة • قال الطبري قد ثبت انه عليه السلام رمل ولا مشرك يومئذ يعني في حجة الوداع فعلم انه من مناسك الحج الا ان تاركه ليس تاركا لعمل بل لهيئة مخصوصة فكان كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية بل لصفتها فلا شيء عليه • انتهى • والله اعلم

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه اتى المقام فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت فقرأ فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد • ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى اذا صعدتا مشى حتى اتى المروة • وفي حديث ابي الطفيل عند مسلم وابي داود قال قلت لابن عباس اخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا اسنة هو فان قومك يزعمون انه سنة قال صدقوا وكذبوا قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشي والسعي افضل • هذا لفظ رواية مسلم وفي اول ذكر الرمل في طواف البيت • وعند ابي داود ان قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا واصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على ان يحجوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة ايام فقدم عليه السلام فقال لاصحابه ارملوا بالبيت • وفيه طاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعير لان الناس كانوا لا يدفعون عنه صلى الله عليه وسلم ولا يضربون عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله ايديهم • الحديث • وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتى المروة رقي عليها واستقبل البيت

ثم دعا

وكبره وحده وفعل كما فعل بالصفا حتى اذا كان آخر طواف على المروة قال لو اني استقبلت من امري
ما استدبرت لم اسق الهدي وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة
فقام سراقة بن جعشم فقال يا رسول الله العامنا هذا ام لابد فشبك صلى الله عليه وسلم اصابعه
واحدة في اخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين لا بل لابد ابد وهذا معنى فسخ الحج الى
العمرة • قال النووي وقد اختلف في هذا الفسخ هل هو خاص للصحابة تلك السنة خاصة
ام باق لهم ولغيرهم الى يوم القيامة فقال احمد وطائفة من اهل الظاهر ليس خاصا بل هو
باق الى يوم القيامة فيجوز لكل من احرم بالحج وليس معه هدي ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل
باعمالها • وقال مالك والشافعي وابو حنيفة وجماهير العلماء من السلف والخلف هو مختص
في تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة في اشهر الحج ومما يستدل به للجماهير
حديث ابي ذر في مسلم كانت المتعة في الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يعني فسخ الحج الى
العمرة • وفي النسائي عن الحارث بن بلال عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارأيت فسخ الحج الى العمرة
لنا خاصة ام للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لنا خاصة قال واما الذي
في حديث سراقة ألعامنا هذا ام لابد فقال لابد ابد فمعناه جواز الاعتمار في اشهر الحج والقران كما سبق تقريره
فالحاصل من مجموع طرق الاحاديث ان العمرة جائزة الى يوم القيامة وكذلك القران وان فسخ الحج الى العمرة
مختص بتلك السنة والله اعلم انتهى • وفي رواية للنسائي ايضا لا تصلح المتعتان الا لنا خاصة يعني متعة النساء
ومتعة الحج • ومتعة النساء هي نكاح المرأة الى اجل كان ذلك مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم ابيح يوم فتح
مكة ثم نسخ في ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيامة • وقد كان فيه خلاف في العصر الاول ثم ارتفع واجمعوا على
تحريمه • وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة يقصر
الصلاة فيه وكانت مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منى اربعة ايام ملفقة لانه قدم في الرابع وخرج
في الثامن فصلى بها احدى وعشرين صلاة من اول ظهر الرابع الى آخر عصر الثامن ومن يوم دخوله
مكة الى خروجه يوم النفر الثاني من منى الى الابطح عشرة ايام سواء • وقدم علي من اليمن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له بما اهللت فقال بما اهل به رسول الله فقال لولا ان معي الهدي لاحللت • رواه
الشيخان من حديث انس • وفي حديث البراء عند الترمذي والنسائي دخل علي على فاطمة رضي الله عنهما
فوجدها قد نضحت البيت بنضوح فتخطاه فقالت ما لك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر اصحابه
فاحلوا قال قلت لها اني اهللت باهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف صنعت قال وقال له انحر من البدن سبعا وستين او ستا وستين وامسك لنفسك
ثلاثا وثلاثين او اربعا وثلاثين وامسك من كل بدنة منها بضعة • وفي رواية جابر عند مسلم فوجد
فاطمة ممن احل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت ابي امرني بهذا فقال صدقت صدقت
ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسولك قال فان معي الهدي فلا تحل قال

فكان الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي اتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة فحل الناس
كلهم وقصروا الا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي فلما كان يوم التروية وكان
يوم الخميس ضحى ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين الى منى وقد
احرم بالحج من كان احل منهم وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء و
الفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وامر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار على طريق ضب ولا
تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة كما كانت قريش تصنع في الجاهلية وكانت
الحمس وهم من قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن قطين الله اي جيران بيته فلا
نخرج من حرمه وكان الناس كلهم يبلغون عرفات وذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس
وعن جبير بن مطعم قال اضللت حمارا لي في الجاهلية فوجدته بعرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقفا بعرفات مع الناس فلما اسلمت عرفت ان الله وفقه لذلك • وفي رواية كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة ويدفع اذا دفعوا
الحديث • ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عرفة وجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس
امر بالقصوى فرحلت له فركب فاتى بطن الوادي فخطب الناس وقال ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة
واني اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا
الجاهلية موضوع واول ربا اضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله في النساء
فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه
فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم
ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسألون عني فما انتم قائلون قالوا نشهد انك
قد بلغت وأديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس اللهم اشهد
ثلاث مرات ثم اذن بلال ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا وهذا الجمع
مختص بالمسافرين عند الجمهور • وعند مالك والاوزاعي وهو وجه للشافعية ان الجمع بعرفة وجمع
للنسك فيجوز لكل احد • قال الاسنوي فلا يجوز الا للمسافر بلا خلاف • قال الشافعي والاصحاب
اذا خرج الحاج يوم التروية ونووا الذهاب الى وطنهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين خروجهم
ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته ركب حتى اتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى الى الصخرات
وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان اكثر دعائه يوم عرفة في الموقف اللهم لك الحمد
كالذي نقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي ولك رب تراثي اللهم
اني اعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر اللهم اني اعوذ بك من شر ما تجيء به الريح
رواه الترمذي من حديث علي • وفي رواية ذكرها رزين كان اكثر دعائه عليه السلام يوم عرفة بعد قوله

لا اله الا الله وحده لا شريك له اللهم لك الحمد كالذي نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي وعليك يا رب ثوابي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن شر كل ذي شر. وفي الترمذي افضل الدعاء يوم عرفة وافضل ما قلت انا والنبيون لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وكان من دعائه في عرفة ايضا كما في الطبراني الصغير من حديث ابن عباس اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبه اسألك مسألة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم انفه لك اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين ويا خير المعطين. واتاه صلى الله عليه وسلم ناس من اهل نجد وهو بعرفة فسألوه كيف الحج فامر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج ايام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه. رواه الترمذي. وفي رواية جابر عند ابي داود قال صلى الله عليه وسلم بعرفة وقفت ههنا وعرفة كلها موقف. وههنا انزل عليه اليوم اكملت لكم دينكم كما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهناك سقط رجل عن راحلته وهو محرم فمات فامر صلى الله عليه وسلم ان يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وان يغسل بماء وسدر ولا يغطى رأسه ووجهه واخبر ان الله يبعثه يوم القيامة يلبي. رواه البخاري ومسلم. اي يبعث على هيئته التي مات عليها. واستدل بذلك على بقاء احرامه خلافا للمالكية والحنفية. قال النووي يتأول هذا الحديث على ان تغطية وجهه ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية وجهه بل هو صيانة للرأس فانهم لو غطوا وجهه فلا يؤمن ان يغطوا رأسه. انتهى. قال الحافظ ابن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفة. والله اعلم.

ولما غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص افاض صلى الله عليه وسلم من عرفة واردف اسامة خلفه وقد شنق للقصواء الزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحلها ويقول بيده ايها الناس السكينة السكينة كلما اتى حبلا من الحبال ارخى لها قليلا حتى تصعد وافاض من طريق المأزمين. وفي رواية ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم سمع زجرا شديدا وضربا للابل وراءه فاشار بسوطه وقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع يعني الاسراع. وفي رواية ابي داود افاض من عرفة وعليه السكينة فان البر ليس بايجاف الخيل والابل فما رأيتها رافعة يديها عادية حتى اتى جمعا. وفي رواية اسامة بن زيد عند الشيخين كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص. قال هشام والنص فوق العنق. واخرج الطبراني في المعجم عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افاض من عرفات وهو يقول: اليك تعدو قلقا وضينها. مخالفا دين النصارى دينها. قال في النهاية والحديث مشهور بابن عمر من قوله. والقلق الانزعاج والوضين بالضاد المعجمة حزام الرحل

ولما كان في اثناء الطريق نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبال وتوضأ وضوءا خفيفا فقال له اسامة الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك فركب حتى اتى مزدلفة وهي المسمى بجمع بفتح الجيم وسكون الميم وسميت لان آدم اجتمع فيها مع حواء فازدلف اليها اي دنا منها. وعن قتادة انما سميت جمعا لانه يجمع فيها بين صلاتين. وقيل لان الناس يجتمعون فيها ويزدلفون الى الله تعالى اي يتقربون اليه بالوقوف فيها. انتهى. فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المغرب والعشاء كل واحدة منهما باقامة ولا صلى اثر كل واحدة منهما. وفي رواية فاقام المغرب ثم اناخ الناس في منازلهم ولم يحلوا حتى اقام العشاء الآخرة فصلى ثم حلوا. وترك عليه السلام قيام الليل تلك الليلة ونام حتى اصبح لما تقدم له من الاعمال بعرفة من الوقوف من الزوال الى بعد الغروب واجتهاده عليه السلام في الدعاء وسيره الى المزدلفة واقتصر فيها على صلاة المغرب والعشاء قصرا ورقد بقية ليلته مع كونه عليه السلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ولكنه اراح نفسه الشريفة لما تقدم في يوم عرفة من التعب ولما هو بصدده يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة ثلاثا وستين بدنة وذهب الى مكة لطواف الافاضة ورجع الى منى كما نبه عليه في شرح تقريب الاسانيد. وعن عباس بن مرداس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب اني قد غفرت لهم ما خلا المظالم فاني آخذ للمظلوم قال اي رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما اصبح بالمزدلفة اعاد الدعاء فاجيب الى ما سأل قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم او قال تبسم فقال له ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بابي انت وامي ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي اضحكك اضحك الله سنك قال ان عدو الله ابليس لما علم ان الله قد استجاب دعائي وغفر لامتي اخذ التراب فجعل يحثو على رأسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكني ما رأيت من جزعه. رواه ابن ماجه. ورواه ابو داود من الوجه الذي رواه ابن ماجه ولم يضعفه. وقد جاء في بعض الروايات عن ابن عباس ما يبين ان المراد من الامة من وقف بعرفة. وقال الطبري انه محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها. وقد رواه البيهقي بنحو رواية ابن ماجه ثم قال وله شواهد كثيرة فان صح بشواهده ففيه الحجة وان لم يصح فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وظلم بعضهم بعضا دون الشرك. انتهى. وقال الترمذي في الحديث الصحيح من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وهو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد ولا يسقط الحقوق انفسها فمن كان عليه صلاة او كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه لانها حقوق لا ذنوب انما الذنب تأخيرها فنفس التأخير يسقط بالحج لا هي نفسها فلو اخرها بعده تجدد اثم آخر فالحج المبرور يسقط اثم المخالفة لا الحقوق. وقال ابن تيمية من اعتقد ان الحج يسقط ما وجب عليه من الحقوق كالصلاة يستتاب والا قتل. ولا يسقط حق الآدمي بالحج اجماعا. والله اعلم. انتهى.

واستأذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع وكانت ثقيلة فأذن لها أن تدفع
قبل حطمة الناس فقالت عائشة فليتني كنت استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
استأذنته سودة • وفي رواية فاستأذنته أن تدفع قبل حطمة الناس وكانت امرأة
ثبطة فأذن لها أن تدفع قبل حطمة الناس قالت عائشة فلأن أكون استأذنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما استأذنت سودة أحب إلي من مفروح به • رواه البخاري • وفي
رواية والنسائي أرسل صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت
فأفاضت فكان ذلك اليوم اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عندها • و
عند مسلم بعث أم حبيبة من جمع بليل • وفي رواية البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس
قال أرسلني صلى الله عليه وسلم مع ضعفة أهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة
وفي الموطأ والصحيح عن أسماء أنها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة فقامت تصلي ساعة ثم
قالت يا بني هل غاب القمر قلت لا فصلت ساعة ثم قالت هل غاب القمر فقلت نعم قالت
فارتحلوا إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن للظعن بالضم النساء في الهوادج • وقد اختلف
السلف في ترك المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعي والشعبي من تركه فاته الحج وقال عطاء والزهري
وقتادة والشافعي والكوفيون وإسحاق عليه دم ومن بات بها لم يجز له الدفع قبل النصف وقال مالك
إن مر بها فلم ينزل فعليه دم وإن نزل فلا دم عليه متى دفع • انتهى • ولما طلع الفجر
صلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر حين تبين الصبح بأذان وإقامة • وفي سنن البيهقي والنسائي
بإسناد صحيح على شرط مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال للفضل بن عباس غداة يوم النحر التقط لي
حصى فلقطت له حصيات مثل حصى الخذف فلما وضعهن في يده قال بأمثال هؤلاء وإياكم
والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين • قال العلماء • وفي هذا الحديث دليل على
استحباب أخذ الحصيات بالنهار وهو رأي البغوي قال ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص
عليه الشافعي في الأم والإملاء لكن الجمهور كما قال الرافعي على استحباب الأخذ بالليل لكنهم
فيه • وهل يستحب أن يلتقط جميع ما يرمي به في الحج • وبه جزم في التنبيه وأقره عليه النووي
في تصحيحه ولكن الأكثرون كما قاله الرافعي على استحباب الأخذ ليوم النحر خاصة • ونص عليه
الشافعي أيضا • قال في شرح المهذب • والاحتياط أن يزيد فربما سقط منه شيء • انتهى •
ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم القصواء حتى أتى المشعر الحرام فرقي عليه فاستقبل القبلة فحمد الله
وكبره وهلله فلم يزل قائما حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس • وفي رواية غير
جابر وكان المشركون لا يفيضون حتى تطلع الشمس وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك
فنفر قبل طلوع الشمس • وفي حديث علي عند الطبري فلما أصبح صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة
غدا فوقف على قزح وأردف الفضل ثم قال هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى إذا أتى محسر

وقف • وفي رواية جابر وأردف صلى الله عليه وسلم الفضل بن العباس وكان حسن الشعر أبيض وسيما
فلما دفع صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول يده من الشق الآخر • وفي
رواية كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل
ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر قالت يا
رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج
عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع • رواه الشيخان وغيرهما • وقد روي أيضا من حديث عبد الله بن
عباس لكن رجح البخاري رواية الفضل لأنه كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وكان عبد الله بن
عباس تقدم إلى منى مع الضعفة فكان الفضل حدث أخاه بما شاهده في تلك الحالة • ويحتمل أن
يكون سؤال الخثعمية وقع بعد رمي جمرة العقبة فحضره عبد الله بن عباس فنقله تارة عن أخيه لكونه
صاحب القصة وتارة عما شاهده • ويؤيده ما في الترمذي أن السؤال المذكور وقع عند المنحر بعد الفراغ
من الرمي وأن العباس كان شاهدا • وفيه أنه عليه السلام لوى عنق الفضل فقال العباس يا رسول الله
لويت عنق ابن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان • وظاهر هذا أن العباس كان
حاضرا لذلك فلا مانع أن يكون ابنه عبد الله أيضا كان معه • وفي هذا الحديث دلالة على جواز النيابة
في الحج عمن لا يستطيع من الأحياء خلافا لمالك في ذلك • ولمن قال لا يحج عن أحد مطلقا كابن عمر • ونقل
ابن المنذر وغيره الإجماع على أنه لا يجوز أن يستنيب من يقدر على الحج بنفسه في الحج الواجب • وأما
النفل فيجوز عند أبي حنيفة خلافا للشافعي • وعن أحمد روايتان • انتهى • وفي رواية ابن عباس
أن أسامة قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى المزدلفة ثم أردف الفضل من المزدلفة
إلى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة • رواه الشيخان وغيرهما
وفي رواية جابر فلما أتى عليه السلام بطن محسر حرك ناقته وأسرع السير قليلا • قال الإسنوي
سببه أن النصارى كانت تقف فيه كما قاله الرافعي • أو العرب كما قاله في الوسيط فأمرنا بمخالفتهم قال
المحب الطبري فيه معنى آخر وهو أنه مكان نزل فيه العذاب على أصحاب الفيل القاصدين هدم البيت فاستحب فيه
الإسراع لما ثبت في الصحيح أمر المار على ديار ثمود ونحوهم بذلك • قال غيره • وهذه كانت عادته صلى الله عليه
وسلم في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه • وسمي وادي محسر لأن الفيل حسر فيه أي أعيي وانقطع عن الذهاب
انتهى • ثم سلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى التي تخرج إلى الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة
التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة رمى من بطن الوادي وجعل البيت عن يساره
ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه صلى الله عليه وسلم يوم النحر كما قاله جابر في رواية مسلم والترمذي
وأبو داود والنسائي • وفي رواية أم الحصين عند أبي داود رأيت أسامة وبلالا أحدهما آخذ بخطام ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة • وفي رواية النسائي

ثم خطب فحمد الله وأثنى عليه وذكر قولاً كثيراً. وعن أم جندب رأيته عليه السلام يرمي الجمرة من بطن الوادي وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره فسألت عن الرجل فقالوا الفضل ابن العباس وازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً وإذا رميتم فارموا بمثل حصى الخذف. وفيه هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه. وتقدم أنه عليه السلام ضربت له قبة من شعر بنمرة. وفي رواية جابر عند مسلم وأبي داود قال رأيته صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر وهو يقول خذوا عني مناسككم لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه. وفي رواية قدامة عند الترمذي رأيته يرمي الجمار على ناقة له صهباء ليس ضرب ولا طرد ولا إليك إليك انتهى.

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المنحر فنحر بيده ثلاثاً وستين بدنة ثم أعطى علياً فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. وفي رواية جابر عند مسلم نحر عليه السلام عن نسائه بقرة. وقالت عائشة نحر صلى الله عليه وسلم عن آل محمد في حجة الوداع بقرة واحدة. رواه أبو داود.

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله بمنى ثم قال للحلاق خذ وأشار بيده إلى الجانب الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس. وفي رواية أنه قال للحلاق ها وأشار بيده إلى الجانب الأيمن فقسم شعره بين من يليه ثم أشار إلى الحلاق إلى الجانب الأيسر فحلق فأعطاه أم سليم. وفي أخرى بدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر فصنع مثل ذلك ثم قال ههنا أبو طلحة فدفعه إليه. وفي أخرى رمى جمرة العقبة ثم انصرف إلى البدن فنحرها والحجام جالس وقال بيده عن رأسه فحلق الشق الأيمن فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق الآخر فقال أين أبو طلحة فأعطاه إليه. رواه الشيخان. وعند الإمام أحمد أنه استدعى الحلاق فقال له وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر أمكنك رسول الله من شحمة أذنه وفي يدك الموسى قال فقلت أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعم الله علي ومنه قال أجل. وقال البخاري وزعموا أن الذي حلق النبي صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن نضلة بن عوف. انتهى. وهو عند ابن خزيمة في صحيحه. وعند الإمام أحمد وقلم صلى الله عليه وسلم وقسمها بين الناس. وعنده أيضاً من حديث محمد بن زيد أن أباه حدثه أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم أضاحي فلم يصبه شيء ولا صاحبه فحلق رسول الله رأسه في ثوبه فأعطاه فقسم منه على رجال وقلم أظفاره فأعطاه صاحبه كان يخضب بالحناء والكتم. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين. رواه الشيخان. وليس فيه تعيين هل قاله صلى الله عليه وسلم في الحديبية أو في حجة الوداع قالوا ولم يقع في شيء من طرقه التصريح بسماعه لذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ولو وقع لقطعنا بأنه كان في حجة الوداع لأنه شهدها ولم يشهد الحديبية. وقد وقع تعيين الحديبية من حديث جابر عند أبي قرة في السنن ومن طريق الطبراني في الأوسط من حديث المسور

مخرمة عند ابن إسحاق في المغازي. وورد تعيين حجة الوداع من حديث أبي مريم السلولي عند أحمد وابن أبي شيبة ومن حديث أم الحصين عند مسلم ومن حديث قارب بن الأسود الثقفي عند أحمد وابن أبي شيبة. ومن حديث أم عمارة عند الحارث. فالأحاديث التي فيها تعيين حجة الوداع أكثر عدداً وأصح إسناداً ولهذا قال النووي عقب أحاديث ابن عمر وأبي هريرة وأم الحصين هذه الأحاديث تدل على أن هذه الواقعة كانت في حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهور. وقيل كان في الحديبية وجزم إمام الحرمين في النهاية أن ذلك كان في الحديبية ثم قال النووي ولا يبعد أن يكون وقع ذلك في الموضعين انتهى. وكذا قال ابن دقيق العيد إنه الأقرب. قال في فتح الباري بل هو المتعين لتظاهر الروايات بذلك في الموضعين إلا أن السبب في الموضعين مختلف فالذي في الحديبية كان بسبب توقف من توقف من الصحابة عن الإحلال لما دخل عليهم من الحزن لكونهم منعوا من الوصول إلى البيت مع اقتدارهم في أنفسهم على ذلك فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وصالح قريشاً على أن يرجع من العام المقبل فلما أمرهم بالإحلال توقفوا وأشارت أم سلمة أن يحل هو صلى الله عليه وسلم قبلهم ففعل فتبعوه فحلق بعض وقصر بعض فكان من بادر إلى الحلق أسرع إلى امتثال الأمر ممن اقتصر على التقصير. وقد وقع التصريح بهذا السبب في حديث ابن عباس فإن في آخره عند ابن ماجه وغيره أنهم قالوا يا رسول الله ما بال المحلقين ظاهرت لهم بالترحم قال لأنهم لم يشكوا. وأما السبب في تكرير الدعاء للمحلقين في حجة الوداع فقال ابن الأثير في النهاية كان أكثر من حج معه صلى الله عليه وسلم لم يسق الهدي فلما أمرهم أن يفسخوا الحج إلى العمرة ثم يتحللوا منها ويحلقوا رؤوسهم شق عليهم ثم لما لم يكن لهم بد من الطاعة كان التقصير في أنفسهم أخف من الحلق ففعله أكثرهم فرجح النبي صلى الله عليه وسلم فعل من حلق لكونه أبين في امتثال الأمر انتهى. قال الحافظ ابن حجر وفيما قاله نظر وإن تابعه عليه غير واحد لأن المتمتع يستحب في حقه أن يقصر في العمرة ويحلق في الحج إذا كان ما بين النسكين متقارباً وقد كان ذلك في حقهم كذلك. والأولى ما قاله الخطابي وغيره أن عادة العرب أنها كانت تحب توفير الشعور والتزين بها وكان الحلق فيهم قليلاً وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن زي الأعاجم فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا على التقصير انتهى. وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح قال اذبح ولا حرج قال ثم جاء رجل آخر فقال يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج. رواه مسلم. وفي رواية حلقت قبل أن أرمي. وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم على راحلته فطفق ناس يسألونه فيقول القائل منهم يا رسول الله إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي فقال صلى الله عليه وسلم فارم ولا حرج قال فما سمعته يسأل يومئذ عن أمر مما ينسى المرء أو يجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها إلا قال صلى الله عليه وسلم افعلوا ذلك ولا حرج. وفي رواية أنه عليه السلام بينا هو قائم

يخطب يوم النحر فقام اليه رجل فقال كنت احسب ان كذا وكذا قبل كذا وكذا • وفي رواية
حلقت قبل ان انحر نحرت قبل ان ارمي واشباه ذلك • وفي رواية حلقت قبل ان اذبح ذبحت قبل ان
ارمي • ومن المعروف ان الترتيب اولى • وذلك ان وظايف يوم النحر اربعة اشياء رمي جمرة
العقبة ثم نحر الهدي او ذبحه ثم الحلق او التقصير ثم طواف الافاضة ثم السعي بعده وقد
تقدم صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة ثم نحر ثم حلق • وقد اجمع العلماء على مطلوبية هذا
الترتيب واجمعوا ايضا على جواز تقديم بعضها على بعض الا انهم اختلفوا في وجوب الدم في
بعض المواضع • ومذهب الشافعي وجمهور السلف والعلماء وفقهاء الحديث الجواز وعدم
وجوب الدم لقوله عليه السلام للسائل لا حرج هو ظاهر في رفع الاثم والفدية معا لان اسم
الضيق يشملهما • وقال الطحاوي ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه
الاشياء على بعض الا انه يحتمل ان يكون قوله لا حرج اي لا اثم في ذلك الفعل وهو كذلك لمن
كان ناسيا او جاهلا واما من تعمد المخالفة فتجب الفدية • وتعقب بان وجوب الفدية
يحتاج الى دليل ولو كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم حينئذ لانه وقت الحاجة فلا يجوز
تاخيره • وتمسك الامام احمد بقوله في الحديث لم اشعر • وبما في رواية يونس عند مسلم وصالح
عند احمد فما سمعته يومئذ يسئل عن امر مما ينسى المرء او يجهل من تقديم بعض الامور قبل
بعضها الا قال افعل ولا حرج بانه ان كان ناسيا او جاهلا فلا شيء عليه وان كان عالما فلا
قال ابن دقيق العيد ما قاله احمد قوي من جهة ان الدليل دل على وجوب اتباع الرسول في الحج
لقوله خذوا عني مناسككم وهذه الاحاديث المرخصة في تقديم ما وقع عنه تاخيره قد قرنت بقول
السائل لم اشعر فيختص الحكم بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على اصل وجوب الاتباع في الحج • انتهى
وعن ابي بكرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وقال اي شهر هذا قلنا الله
ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس ذي الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا
قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلدة قلنا بلى
قال فاي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم
النحر قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم
هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسئلكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا ضلالا
يضرب بعضكم رقاب بعض الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد
الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع • رواه الشيخان • وفي رواية للبخاري فودع
الناس وروي في طرق ضعيفة عند البيهقي من حديث ابن عمر سبب ذلك ولفظه انزلت

اذا جا

اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط ايام التشريق وعرف صلى الله عليه
وسلم انه الوداع فامر براحلته القصوى فرحلت له فركب ووقف بالعقبة واجتمع اليه الناس
فقال يا ايها الناس فذكر الحديث • وفيه دلالة على مشروعية الخطبة بمنى يوم النحر • وبه اخذ الشافعي
ومن تبعه • وخالف في ذلك المالكية والحنفية قالوا خطب الحج ثلاثة سابع ذي الحجة ويوم عرفة
بها وثاني يوم النحر بمنى • ووافقهم الشافعي الا انه قال بدل ثاني النحر ثالثه لانه اول النفر
وزاد خطبة رابعة وهي يوم النحر قال وبالناس حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك من الرمي والذبح
والحلق والطواف • وتعقبه الطحاوي بان الخطبة المذكورة ليست من متعلقات الحج لانه
لم يذكر فيها شيئا من امور الحج الذي يتعلق بيوم النحر فعلمنا انها لم تقصد لاجل الحج • وقال
ابن بطال انما فعل ذلك من اجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذي اجتمع من اقاصي الدنيا فظن الذي
راه انه خطب قال واما ما ذكره الشافعي ان بالناس حاجة الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور فليس
بمتعين لان الامام يمكنه ان يعلمهم اياها يوم عرفة • انتهى • واجيب بانه صلى الله عليه وسلم
نبه في الخطبة المذكورة على تعظيم يوم عرفة وعلى تعظيم ذي الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام وقد
جزم الصحابي المذكورون بتسميتها خطبة فلا يلتفت لتاويل غيرهم • وما ذكره من امكان
تعليمها ذكر يوم عرفة يعكر عليه في كونه يرى مشروعية الخطبة ثاني يوم النحر وكان يمكن ان يعلموا ذلك
يوم عرفة بل يمكن ان يعلموا يوم التروية جميع ما ياتي به من اعمال الحج لكن لما كان في كل يوم اعمال
ليست في غيره شرع تجديد التعليم بحسب تجدد الاسباب • واما قول الطحاوي انه لم يذكر
فيها شيئا من اسباب التحلل فلا يستلزم نفي وقوع ذلك او شيء منه في نفس الامر بل قد ثبت في حديث عبد الله
ابن عمرو بن العاص انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم النحر وذكر فيه السؤال عن تقديم
بعض المناسك على بعض فكيف ساغ للطحاوي هذا النفي المطلق • انتهى • وقد روى ابو داود
والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت
اسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع
اصبعيه السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم امر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد وامر الانصار
ان ينزلوا من وراء المسجد قال ثم نزل الناس بعد • وفي رواية عن عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس بمنى ونزلهم منازلهم فقال
لينزل المهاجرون ههنا واشار الى ميمنة القبلة والانصار ههنا واشار الى ميسرة القبلة ثم
قال لينزل الناس حولهم • وعن ابي نجيح عن ابيه عن رجلين من بني بكر قالا راينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخطب بين اوسط ايام التشريق ونحن عند راحلته وهي خطبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التي خطب بمنى • رواه ابو داود • وعن رافع بن عمرو المزني قال رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس

بين قايم وقاعد رواه ابو داود ايضا • وعن ربيعة بن عبد الرحمن بن حصين قال حدثتني جدتي سرا بنت نبهان وكانت ربة في الجاهلية قالت خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الرؤس فقال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال أليس اوسط ايام التشريق وفي رواية انه خطب اوسط ايام التشريق • رواه ابو داود ايضا • ثم ركب صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فافاض الى البيت فطاف طواف الافاضة وهو طواف الزيارة والركن والصدر قال البخاري ويذكر عن ابن حسان عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت ايام منى واتى صلى الله عليه وسلم زمزم وبني عبد المطلب يسقون عليها فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا ان يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه • وفي رواية ابن عباس فشرب وهو قايم وفي رواية تخلف عكرمة ما كان يومئذ الا على بعير لكن لم يعين فيها حجة الوداع ولا غيرها اعني التعيين في رواية جابر عند مسلم • واختلف اين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ففي رواية جابر انه صلى بمكة • وكذلك قالت عائشة • وفي حديث ابن عمر في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم افاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى • ورجح ابن حزم في كتاب حجة الوداع له قول عائشة وجابر وتبعه على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما اولى من الواحد ولان عائشة اخص الناس به ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها ولان سياق جابر لحجة صلى الله عليه وسلم من اولها الى آخرها اتم سياق وأحفظ للقصة وضبطها حتى ضبط جزئياتها حتى امرا منها لا يتعلق بالمناسك وهو نزوله عليه السلم في الطريق فبال عند الشعب وتوضا وضوءا خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو لضبط مكان الصلوة يوم الظهر يوم النحر اولى • وايضا فان حجة الوداع كانت في آذار وهو تساوي الليل والنهار وقد دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس ونحر بدنه وقسمها وطبخ له من لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق رأسه وتطيب ثم افاض وطاف وشرب من ماء زمزم • ووقف عليهم وهم يسقون وهذه اعمال يظهر منها انها لا تنقضي في مقدار يمكن الرجوع الى منى بحيث يدرك الظهر في فصل آذار • ورجحت طائفة اخرى قول ابن عمر لا يحفظ عنه في حجه صلى الله عليه وسلم انه صلى الفرض بجوف مكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه • فان حديث ابن عمر متفق عليه • وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح منه فان رواته احفظ واشهر • وبان حديث عائشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها انه طاف نهارا • وفي رواية عنها انه اخر الطواف الى الليل • وفي رواية عنها انه افاض من آخر يومه فلم ينضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان الصلوة • وايضا فان حديث ابن عمر اصح بلا نزاع لان حديث عائشة من رواية محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن القاسم وابن اسحق مختلف في الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه • فلا يقدم على حديث عبد الله بن عمر • انتهى • ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فمكث بها ليالي ايام التشريق يرمي الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الاولى والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة فلا يقف عندها

رواه ابو داود من حديث عائشة • وعن ابن عمر عند الترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا رمى الجمار مشى اليها ذاهبا وراجعا • وفي رواية ابي داود وكان يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي • الحديث • واستاذنه صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل السقاية فاذن له • رواه البخاري من حديث ابن عمر • وفي رواية الاسمعيلي رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل سقايته • وفيه دليل على وجوب المبيت بمنى وانه من مناسك الحج لان التعبير بالرخصة يقتضي ان مقابلها العزيمة وان الاذن وقع للعلة المذكورة واذا لم توجد او ما في معناها لم يحصل الاذن وبالوجوب قال الجمهور • وفي قول للشافعي وهو رواية عن احمد وهو مذهب الحنفية انه سنة ووجوب الدم بتركه مبني على هذا الخلاف ولا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل يختص الاذن بالسقاية وبالعباس الصحيح العموم • والعلة في ذلك اعداد الماء للشاربين • وجزم الشافعي بالحاق من له مال يخاف ضياعه او امر يخاف فوته او مريض يتعهده باهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاء خاصة • وهو قول احمد قالوا ومن ترك المبيت بغير عذر وجب عليه دم عن كل ليلة • ثم افاض صلى الله عليه وسلم بعد الظهر يوم الثلاثاء بعد ان اكمل ايام التشريق ولم يتعجل في يومين الى المحصب وهو الابطح ومدة ما بين الجبلين الى المقبرة وهو خيف بني كنانة فوجد ابا رافع قد ضرب قبته هناك وكان على ثقله • قال ابو رافع لم يامرني صلى الله عليه وسلم ان انزل الابطح حين خرج من منى ولكن جئت فضربت فيه قبته فجاء فنزل • رواه مسلم • وفيه وفي البخاري عن انس انه عليه السلم صلى الظهر والعصر يوم النفر بالابطح • وفيهما من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال لنا الغد يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم • وعن ابن عباس ليس التحصيب بشيء انما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ليس التحصيب من امر المناسك الذي يلزم فعله لكن لما نزل صلى الله عليه وسلم به كان النزول به مستحبا اتباعا له لتقريره على ذلك • وقد فعله الخلفاء بعده كما في حديث مسلم • وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت فطاف به • رواه البخاري • وهذا هو طواف الوداع • ومذهب الشافعي انه واجب يلزم بتركه الدم على الصحيح وهو قول اكثر العلماء • وقال مالك وداود هو سنة لا شيء بتركه • واختلف في المراة اذا حاضت بعدما طافت طواف الزيارة عليها طواف الوداع ام لا وكان ابن عباس يرخص لها ان تنفر اذا حاضت • وكان ابن عمر يقول في اول الامر انها لا تنفر ثم قال في آخر امره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لهن • رواه البخاري • وعن عائشة ان صفية بنت حيي حاضت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحابستنا هي قالوا انها قد افاضت قال فلا اذن • ومعنى قوله أحابستنا اي مانعتنا من التوجه من مكة في الوقت الذي اردنا التوجه فيها

منه صلى الله عليه وسلم انها ما طافت طواف الافاضة • وانما قال ذلك لانه كان لا يتركها
ويتوجه ولا يأمرها بالتوجه معه وهي باقية على احرامها فيحتاج الى ان يقيم حتى تطهر وتطوف
وتحل الحل الثاني • وفي رواية فحاضت صفية فاراد النبي منها ما اراد الرجل من اهله فقلت
يا رسول الله انها حائض قال احابستنا هي • الحديث • وهو مشكل لانه صلى الله عليه وسلم ان كان علم
انها طافت طواف الافاضة فكيف يقول احابستنا هي • وان كان ما علم فكيف يريد وقاعها قبل
التحلل الثاني • ويجاب عنه بانه صلى الله عليه وسلم ما اراد ذلك منها الا بعد ان استاذنه
نساؤه في طواف الافاضة فاذن لهن فكان بانيا على انها قد تحللت فلما قيل له انها حائض جوز
ان يكون وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف الافاضة فاستفهم عن ذلك فاعلمته عائشة
انها طافت معهن فزال عنه ما خشيه من ذلك • انتهى • وقالت عائشة يا رسول الله
ينطلقون بحج وعمرة وانطلق بحج فامر عبد الرحمن بن ابي بكر ان يخرج معها الى التنعيم فاعتمرت
بعد الحج • رواه الشيخان • وفي رواية لمسلم انها وقفت المواقف كلها حتى اذا طهرت طافت
بالكعبة والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجك
وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت حين حججت قال
فاذهب بها يا عبد الرحمن فاعمرها من التنعيم • وذلك ليلة الحصبة • زاد في رواية وكان صلى الله
عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت شيئا تابعها عليه • وقد كانت عائشة قارنة لانها
كانت قد اهلت بالعمرة فحاضت فامرها فادخلت عليها الحج وصارت قارنة واخبرها
ان طوافها بالبيت وبين الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في نفسها ان ترجع
مع صواحبها بحج وعمرة مستقلتين فانهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن وترجع هي بعمرة
في ضمن حجتها فامر اخاها ان يعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها •
ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فخرج من كدا بضم الكاف مقصورا وهي عند باب
شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان • واختلف في المعنى الذي لاجله
خالف صلى الله عليه وسلم بين طريقيه • فقيل ليتبرك به كل من في طريقيه • وقيل الحكمة في ذلك
المناسبة لجهة العلو عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان وعكسه للاشارة الى فراقه
وقيل لان ابراهيم عليه السلام لما دخل مكة دخل منها • وقيل غير ذلك • وفي صحيح مسلم وغيره
من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم لقي ركبا بالروحاء فقال من القوم فقالوا المسلمون
فقالوا من انت قال رسول الله فرفعت امرأة صبيا لها من محفة فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم
ولك اجر • ولما وصل صلى الله عليه وسلم لذي الحليفة بات بها فالمعظم ان نزوله
لم يكن قصدا وانما كان اتفاقا • حكاه القاضي اسمعيل في احكامه عن محمد بن الحسن • وتعقبه
والصحيح انه كان قصدا لئلا يدخل المدينة ليلا • فلما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال لا اله الا الله وحده

صلى الله عليه وسلم

وقاعها

لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون
حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده • ثم دخل الى المدينة نهارا
من طريق المعرس بفتح الراء المشددة وبالمهملتين وهو مكان معروف • وكل من المعرس
والشجرة التي بات بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه الى مكة على ستة اميال من المدينة
انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره • والله سبحانه اعلم •
واما عمرته صلى الله عليه وسلم • العمرة في اللغة الزيارة • ومذهب الشافعي واحمد وغيرهما
انها واجبة كالحج • والمشهور عند المالكية انها تطوع • وهو قول الحنفية • وقد اعتمر
صلى الله عليه وسلم اربع عمر • ففي الصحيحين وسنن الترمذي وابي داود عن قتادة قال
سألت انسا كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حج حجة واحدة واعتمر اربع عمر في ذي
القعدة • وعمرة الحديبية • وعمرة مع حجته • وعمرة الجعرانة • اذ قسم غنيمة حنين •
وهذا لفظ رواية الترمذي وقال صحيح حسن • وفي رواية الصحيحين اعتمر اربع عمر كلها
في ذي القعدة الا التي مع حجته عمرة الحديبية او زمن الحديبية في ذي القعدة • وعمرة من العام
المقبل في ذي القعدة • وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة في حجته
وعن محرش الكعبي انه صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ثم
خرج من ليلته فاصبح بالجعرانة كبائت فلما زالت الشمس من الغد خرج في بطن سرف حتى جامع الطريق
طريق بطن سرف فمن اجل ذلك خفيت عمرته على الناس • رواه الترمذي وقال حديث غريب •
وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يحج • رواه ابو داود • وعن عروة بن الزبير
قال كنت انا وابن عمر مستندين الى حجرة عائشة وانا لنسمع ضربها بالسواك تستن قال
فقلت يا ابا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت لعائشة اي امتاه
الا تسمعين ما يقول ابو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في
رجب قالت يغفر الله لابي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر الا وانا معه وابن عمر يسمع
فما قال لا ولا نعم سكت • وفي رواية ابي داود عن عروة عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعتمر عمرتين في ذي القعدة وعمرة في شوال • وفي رواية عن مجاهد قال سئل ابن عمر كم
اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مرتين فبلغ عائشة فقالت لقد علم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع • وقد ذكرت الاختلاف فيما كان عليه الصلوة
والسلام محرما به في حجة الوداع والجمع فيما اختلف من ذلك • والمشهور عن عائشة انه عليه السلام
كان مفردا • وحديثها هذا يشعر بانه كان قارنا • وكذا ابن عمر قد انكر على انس لكونه قال انه عليه السلام
كان قارنا مع ان حديثه هذا المتقدم يدل على انه كان قارنا لانه لم ينقل انه عليه السلام
اعتمر مع حجته ولم يكن متمتعا لانه عليه السلام اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدي • واحتاج

يبعثهم الى تاويل ما وقع عن عائشة وابن عمر هنا فقال انما يجوز نسبة العمرة الرابعة الى النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار انه امر الناس بها وعملت بحضرته لا انه صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه • وانت اذا تاملت ما تقدم من اقوال الائمة في حجته صلى الله عليه وسلم من الجمع استغنيت عن هذا التاويل المتعسف • قال بعض العلماء المحققين وفي عدهم عمرة الحديبية التي صد عنها صلى الله عليه وسلم ما يدل على انها عمرة تامة وفيه اشارة الى صحة قول الجمهور انه لا يجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة وانما سميت عمرة القضية والقضاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا لانها وقعت قضاء عن العمرة التي صد عنها اذ لو كانت كذلك لكانت عمرة واحدة واما حديث ابي داود عن عائشة انه اعتمر في شوال فان كان محفوظا فلعله يريد عمرة الجعرانة انه حين خرج في شوال ولكن انما احرم بها في ذي القعدة • وذكر ابن القيم ان يكون صلى الله عليه وسلم اعتمر في رمضان نعم قد اخرج الدارقطني من طريق العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود بن يزيد عن ابيه عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في رمضان فافطر وصمت وقصر واتممت وقال ان اسناده حسن لكن يمكن حمله على ان قولها في رمضان متعلق بقولها خرجت ويكون المراد سفر فتح مكة فانه كان في رمضان واعتمر عليه السلام في تلك السنة من الجعرانة لكن في ذي القعدة كما تقدم • واما قول ابن القيم في الهدي ايضا ولم يكن في عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة وقد قام بمكة بعد الوحي بضع عشرة سنة لم ينقل عنه احد انه اعتمر خارجا من مكة في تلك المدة اصلا فالعمرة التي فعلها وشرعها هي عمرة الداخل الى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج الى الحل ليعتمر ولم يفعل على عهده قط الا عائشة وحدها انتهى فيقال عليه بعد ان فعلته عائشة بامره دل على مشروعيته • وروى الفاكهي وغيره من طريق محمد ابن سيرين قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لاهل مكة التنعيم • ومن طريق عطا قال من اراد العمرة ممن هو من اهل مكة او غيرها فليخرج الى التنعيم او الى الجعرانة فليحرم منها فثبت بذلك ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم وغيره في ذلك سواء

النوع السابع من عباداته صلى الله عليه وسلم في نبذة من ادعيته وذكره وقراءته

اختلف هل الدعاء افضل ام تركه او الاستسلام للقضاء افضل • فقال الجمهور الدعاء افضل وهو من اعظم العبادة • ويؤيده ما اخرجه الترمذي من حديث انس رفعه الدعاء مخ العبادة • وقد تواترت الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب في الدعاء والحث عليه • واخرج الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعاء فاذا الهمت الدعاء علمت ان الاجابة معه وفي هذا يقول القائل

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه • من جود كفك ما عودتني الطلبا •

فالله سبحانه وتعالى يحب

تذلل عبيده بين يديه وسؤالهم اياه وطلبهم حوائجهم منه وشكواهم منه اليه وعياذهم به منه وفرارهم منه اليه • كما قيل • قالوا اتشكو اليه • ما ليس يخفى عليه • فقلت ربي يرضى • ذل العبيد لديه

وقالت طائفة الافضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء • واجابوا عن قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم بان آخرها دل على ان المراد بالدعاء هو العبادة • قال الشيخ تقي الدين السبكي الاولى حمل الدعاء في الاية على ظاهره • واما قوله بعد ذلك عن عبادتي فوجه الربط ان الدعاء اخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء • وعلى هذا فالوعيد انما هو في حق من ترك الدعاء استكبارا ومن فعل ذلك كفر • واما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى ان ملازمة الدعاء والاستكثار منه ارجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه • وقال القشيري في الرسالة اختلف اي الامرين اولى الدعاء او السكوت والرضا فقيل الدعاء وهو الذي ينبغي ترجيحه لكثرة الادلة ولما فيه من اظهار الخضوع والافتقار • وقيل السكوت والرضا اولى لما في التسليم من الفضل • انتهى • وشبهتهم ان الداعي لا يعرف ما قدر له فدعاؤه ان كان على وفق المقدرة فهو تحصيل الحاصل وان كان على خلافه فهو معاند • والجواب انه اذا اعتقد انه لا يقع الا ما قدره الله تعالى كان اذعانا لا معاندة وفائدة الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الامر ولاحتمال ان يكون المدعو به موقوفا على الدعاء لان الله تعالى خلق الاسباب ومسبباتها • انتهى • وقد ارشد صلى الله عليه وسلم امته لكيفية الدعاء فقال صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه وليصل على النبي ثم ليدع بما شاء • رواه الترمذي من حديث فضالة ابن عبيد • وقال عليه السلام في رجل يدعو وجب ان ختم بامين • رواه ابو داود • وقال لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم على المسألة فان الله لا مكره له • رواه البخاري وغيره • ومعنى الامر بالعزم الجد فيه وان يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى • وقيل معنى العزم ان يحسن الظن بالله في الاجابة فانه يدعو كريما • وقد قال ابن عيينة لا يمنعن احدا الدعاء ما يعلم من نفسه يعني من التقصير فان الله تعالى قد اجاب دعاء شر خلقه وهو ابليس حين قال انظرني الى يوم يبعثون • وقال عليه السلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي • رواه الشيخان وغيرهما • وكان عليه السلام يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك • رواه ابو داود من حديث عائشة • والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة او تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر • رواه مسلم من حديث ابي هريرة • وكان يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما الحمد لله على كل حال واعوذ بالله من حال اهل النار • رواه الترمذي من حديث ابي هريرة • وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني

وخذ منه بثاري • رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ايضا • وكان اكثر دعائه ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار • رواه الشيخان من حديث انس • وكان يقول رب
أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني وانصرني على من بغى علي رب
اجعلني لك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا لك مطواعا لك مخبتا اليك اواها منيبا • رب تقبل توبتي و
اغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي واسلل سخيمة قلبي • رواه الترمذي
وكان يقول اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت اللهم اعوذ
بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي الذي لا يموت والجن والانس يموتون • رواه الشيخان عن ابن عباس
وكان يقول اللهم اني اسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى • رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود
وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي و
هزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير • رواه الشيخان من حديث ابي موسى
وكان اكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك • رواه الترمذي من حديث ام سلمة •
وكان يقول اللهم عافني في جسدي وعافني في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله رب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين • رواه الترمذي • وكان يقول اللهم اغسل
خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس • رواه النسائي
وكان يقول اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بقوم
فتنة فاقبضني اليك غير مفتون • رواه في الموطأ • وكان يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل
سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر ومتعني بسمعي وبصري وقوتي في
سبيلك • رواه في الموطأ • وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ فيقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل
والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات • رواه الشيخان من
حديث انس • وفي رواية ابي داود اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن وضلع الدين وغلبة الرجال •
وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الجذام والبرص والجنون ومن سيئ الاسقام • رواه ابو داود والنسائي
من حديث انس • وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعمل • رواه مسلم من حديث
عائشة • وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع ومن علم
لا ينفع اعوذ بك من هؤلاء الاربع • رواه الترمذي والنسائي من حديث ابن عمرو بن العاص • وكان يقول
اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك • رواه مسلم وابو داود
من حديث ابن عمرو بن العاص ايضا • وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الفقر والقلة والذلة واعوذ
بك من ان اظلم او اظلم • رواه ابو داود من حديث ابي هريرة ايضا • وكان يقول اللهم اني اعوذ بك
من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق • رواه ابو داود من حديث ابي هريرة ايضا • وكان يقول

اللهم

اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع واعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة • رواه ابو داود
والنسائي من حديث ابي هريرة ايضا • وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة
العدو وشماتة الاعداء • رواه النسائي • وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الهدم واعوذ بك
من التردي ومن الغرق والحرق والهرم واعوذ بك من ان يتخبطني الشيطان عند الموت واعوذ بك ان اموت
في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لديغا • رواه ابو داود والنسائي من حديث ابي اليسر •
وكان يتعوذ من عين الجن والانس فلما نزلت المعوذتان اخذهما وترك ما سوى ذلك • رواه النسائي
وكان اذا خاف قوما قال اللهم نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم • رواه ابو داود •
وكان يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول ان اباكما كان يعوذ بها اسمعيل واسحق اعوذ
بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة • رواه البخاري والترمذي •
وقد استشكل صدور هذه الادعية ونحوها منه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ووجوب عصمته • واجيب بانه امتثل ما امره الله به من
تسبيحه وسؤاله المغفرة في قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح • ويحتمل ان يكون قاله على سبيل
التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه تعالى لما علم انه قد غفر له • ويحتمل ان يكون سؤاله
لامته وللتشريع • والله سبحانه اعلم • وكان عليه السلام يقول عند الكرب وهو
ما يهم الانسان مما يأخذ بنفسه ويحزنه ويغمه يدعو لا اله الا الله العظيم لا اله الا الله رب
السموات والارضين ورب العرش العظيم • رواه البخاري • وفي رواية لا اله الا الله العظيم
لا اله الا الله رب العرش العظيم الحليم لا اله الا الله رب السموات والارضين رب العرش
الكريم • قال الطيبي صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لانه مقتضى التربية
ومنه التهليل المشتمل على التوحيد • وهذا اصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام
القدرة والحلم الذي يدل على العلم • اذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم • وهما اصل الاوصاف
الاكرامية • انتهى • وكان عليه السلام اذا اهمه امر رفع رأسه الى السماء وقال
سبحان الله العظيم • رواه الترمذي من حديث ابي هريرة • وكان عليه السلام اذا كربه امر
قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث • رواه ابو داود من حديث انس • وقال عليه السلام ما كربني امر
الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا • رواه الطبراني عن ابي هريرة • وتقدم في المقصد الثاني
مزيد لذلك • وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الضالة اللهم راد الضالة وهادي الضلالة انت
تهدي من الضلالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك • رواه الطبراني
في الصغير من حديث ابن عمر • وكان صلى الله عليه وسلم يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما
رواه ابو داود عن انس • وقال ابو موسى الاشعري كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم

رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه • وعنده ايضا من حديث ابن عمر رفع صلى الله عليه وسلم يديه
اللهم اني ابرء اليك مما صنع خالد • لكن في حديث انس لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع
يديه في شيء من دعائه الا في الاستسقاء وهو حديث صحيح • ويجمع بينه وبين ما تقدم بان
الرفع في الاستسقاء يخالف غيره اما بالمبالغة الى ان يصير اليدان في حذو الوجه مثلا
وفي الدعاء الى حذو المنكبين • ولا يعكر على ذلك انه ثبت في كل منهما حتى يرى بياض ابطيه بل
يجمع بان يكون رؤية البياض في الاستسقاء ابلغ منها في غيره • واما ان الكفين في الاستسقا
يليان الارض وفي الدعاء يليان السماء • قال الحافظ عبد العظيم المنذري وتقدير الجمع بجانب
الاثبات ارجح • انتهى • وروى الامام احمد والحاكم وابو داود انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع
يديه اذا دعا حذو منكبيه • وفي رواية ابن ماجة وبسطهما • وهذا يقتضي ان يكونا متفرقين
منبسطتين لا كهيئة الاغتراف • قال الحافظ ابن حجر غالب الاحاديث التي وردت في رفع
في الدعاء انما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعاء • وروى ابن عباس كان صلى الله
عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه • رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف
وهل يمسح بهما وجهه اما في القنوت في الصلوة فالاصح لا لعدم وروده فيه • قال البيهقي
لا احفظ فيه عن احد من السلف شيئا وان روي عن بعضهم في الدعا خارج الصلوة وقد روي فيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم خارجها فاما فيها لم يثبت فيه خبر و
لا اثر ولا قياس والاولى ان لا يفعله • وقد دعا صلى الله عليه وسلم لانس فقال اللهم اكثر ماله و
ولده وبارك له فيما اعطيته • رواه البخاري • وفي الادب المفرد له عن انس قال قالت ام سليم وهي
ام انس خويدمك الا تدعو له فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته واغفر له • وفي الصحيح ان انسا
كان في الهجرة ابن ثمان سنين • وكانت وفاته سنة احدى وستين فيما قيل • وقيل سنة ثلاث و[illegible]
وثلاث وتسعين • قال الخليفة وهو المعتمد واكثر ما قيل في سنه انه بلغ مائة سنة وسبع سنين واقل
ما قيل فيه بلغ تسعا وتسعين • واما كثرة ولده فروى مسلم عن انس قال والله ان مالي لكثير وان ولدي
وولد ولدي ليتعادون على نحو من المائة • وورد في حديث رواه البخاري قال ان ابنتي امينة اخبرتني
امينة بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها نون انه دفن من صلبي الى مقدم حجاج
البصرة مائة وعشرون • وقال ابن قتيبة في المعارف كان بالبصرة ثلاثة ما ماتوا حتى راى كل واحد منهم
من ولده مائة ذكر لصلبه • ابو بكرة وخليفة وبدر • وزاد غيره رابعا وهو المهلب بن ابي صفرة •
واخرج ابن سعد عن انس قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر له فقد دفنت
من صلبي مائة واثنين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وانا ارجو الرابعة •
واخرج الترمذي عن ابي العالية في ذكر انس وكان له بستان ياتي في كل الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان
يجيء منه ريح المسك • ودعا عليه السلام لعبد الله بن ربيعة السكوني ان يبارك له في ولده

احدى وتسعين

ولد له ثمانون ذكرا • رواه ابن عساكر • وارسل عليه السلام الى علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان ارمد
فتفل في عينيه وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد • قال فما وجدت حرا ولا بردا منذ ذلك اليوم
ولا رمدت عيناه • وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله لا علم لي بالقضا
فقال ادن مني فدنا منه فضرب بيده على صدره وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي والله
ما شككت في قضاء بين اثنين • رواه ابو داود وغيره • ودعا صلى الله عليه وسلم عليا من مرض
فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم قال علي فما عاد لي ذلك الوجع بعد • رواه الحاكم و
صححه والبيهقي وابو نعيم • ومرض ابو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي ادع ربك
الذي تعبد ان يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام ابو طالب كانما نشط من عقال قال يا ابن اخي ان ربك
الذي تعبده ليطيعك قال وانت يا عماه لئن اطعت الله ليطيعنك • رواه ابن عدي والبيهقي وابو نعيم
من حديث انس • وتفرد به الهيثم وهو ضعيف • ودعا عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين
اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التاويل • رواه البغوي وابن سعد • وفي رواية البخاري اللهم
علمه الكتاب • وكان عالما بالكتاب حبر الامة بحر العلم رئيس المفسرين ترجمان القرآن • وكونه في الدرجة
العليا والمحل الاقصى لا يخفى • وقال للنابغة الجعدي لما قال • ولا خير في حلم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه ان يكدرا • ولا خير في جهل اذا لم يكن له • حليم اذا ما اورد الامر اصدرا • لا يفضض الله فاك
اي لا يسقط الله اسنانك • وتقديره لا يسقط الله اسنان فيك بحذف المضاف • قال فاتى عليه
اكثر من مائة سنة وكان من احسن الناس ثغرا • رواه البيهقي وقال فيه فلقد رايته ولقد اتى عليه
نيف ومائة سنة وما ذهب له سن • وفي رواية ابن ابي اسامة وكان من احسن الناس ثغرا و
اذا سقطت له سن نبتت له اخرى • وعند ابن السكن فرايت اسنان النابغة ابيض من البرد لدعوة
صلى الله عليه وسلم • وسقاه عليه السلام عمرو بن اخطب ماء في قدح وفيه شعرة
بيضاء فاخذها فقال اللهم جمله فبلغ ثلاثا وتسعين سنة وما في لحيته وراسه شعرة بيضاء
رواه الامام احمد من طريق نهيك قال ابو نهيك فرايته ابن اربع وتسعين سنة ليس في لحيته شعرة بيضاء •
وصححه ابن حبان والحاكم • واخرج البيهقي عن انس ان يهوديا اخذ من لحية النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال
اللهم جمله فاسودت لحيته بعد ما كانت بيضاء • وقال عبد الرزاق انا معمر عن قتادة قال حلب
يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم جمله فاسود شعره حتى صار اسود سوادا من كذا وكذا
قال معمر وسمعت غير قتادة يذكر انه عاش تسعين سنة فلم يشب • اخرجه ابن ابي شيبة وابو داود في
المراسيل والبيهقي • وقال لرجل شاهد لما بانه • وقال عليه السلام لابن الاحمق الخزاعي وقد سقاه
عليه السلام متعه شبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء • رواه ابو نعيم وغيره •
وجاءته فاطمة رضي الله عنها وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر اليها صلى الله عليه وسلم ووضع يده على صدرها
ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد قال عمران بن الحصين فنظرت اليها وقد علاها الدم على صفرة

فوجهها ولقيتها بعد فقال لك ما جئت بعد يا اعرابي • ذكره يعقوب بن سفيان الاسفرائني
في دلائل الاعجاز • ودعا عليه السلام لعروة بن الجعد البارقي اللهم بارك له في صفقة يمينه
قال فما اشتريت قط شيئا الا ربحت فيه • وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل وضرب في صدره
اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرس بعد • وقال لسعد بن ابي وقاص اللهم
اجب دعوته فكان مجاب الدعوة • رواه البيهقي والطبراني في الاوسط • ودعا لعبد الرحمن بن
عوف بالبركة • رواه الشيخان عن انس • زاد البيهقي من وجه آخر قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت
ان اصيب تحته ذهبا او فضة • الحديث • قال القاضي عياض وقد فتح الله عليه ومات فحفر
الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا • وقيل
مائة الف • وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرض موته على ثمانين الفا • واوصى بخمسين الفا
بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا • وتصدق مرة بعير
فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وباقتابها واحلاسها • وذكر
الطبري مما عزاه للصفوة عن الزهري انه تصدق بشطر ماله اربعة الاف ثم تصدق باربعين الف دينار
ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على الف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة
ودعا على مضر فاقحطوا حتى اكلوا العلهز وهو الدم بالوبر حتى استعطفته قريش • ولما انزل
عليه والنجم اذا هوى قال عتبة بن ابي لهب كفرت برب النجم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فخرج عتبة مع اصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بالشام زأر اسد فارتعدت فرائصه فقيل له
من اي شيء ترعد فوالله ما نحن واياك في هذا الا سواء • فقال ان محمدا دعا علي ولا والله ما اظلت هذه السماء
من ذي لهجة اصدق من محمد • ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه حتى جاء النوم فاحاطوا به و
احاطوا انفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء الاسد يستنشق رؤوسهم رجلا رجلا حتى انتهى
اليه فضغمه ضغمة وهو يقول الم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس ومات • ذكره يعقوب الاسفرائني
وتقدم في ذكر اولاده عليه السلام قصة بنحو هذه • وعن مازن الطائي وكان بارض عمان قلت يا رسول الله
اني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء والحت علينا السنون فاذهبن الاموال واهزلن الذراري
والرجال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولدا فقال صلى الله
عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال واته بالحياء وهب له ولدا • قال مازن
فاذهب الله عني كل ما كنت اجد فاخصبت عمان وتزوجت اربع حرائر ووهب الله لي حيان بن مازن
رواه البيهقي • ولما نزل عليه السلام بتبوك صلى الى نخلة فمر رجل بينه وبينها فقال صلى الله عليه و
سلم قطع صلاتنا قطع الله اثره فاقعد لم يقم • رواه ابو داود والبيهقي لكن سنده ضعيف • واكل
عنده رجل بشماله فقال له كل بيمينك قال لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد
والرجل بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن عير بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية • وطلب

معاوية

معاوية فقيل له انه يأكل فقال في الثانية لا اشبع الله بطنك فما شبع بطنه ابدا • رواه
البيهقي من حديث ابن عباس وكان معاوية رديفه يوما فقال يا معاوية ما يليني منك قال بطني
قال اللهم املأه علما وحلما • رواه البخاري في تاريخه • وقال لابن ثوبان اللهم اطل شقاءه وبقاءه
فادركه شيخا كبيرا شقيا يتمنى الموت • وذكر له من دعوات مستجابات • وقد اورد القاضي عياض بابا
في الشفا ذكر فيه طرفا منها • وكذا الامام يوسف بن يعقوب الاسفرائني في كتابه دلائل الاعجاز فلم
اجابه الله تعالى الى سؤاله ونجاه من شجرة دعائه ثمرة سؤاله • واما حديث ابي هريرة عند البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان اختبئ دعوتي شفاعة
لامتي في الآخرة • فقد استشكل ظاهره بما ذكرته وبما وقع لنبينا ولكثير من الانبياء صلى الله عليهم وسلم من الدعوات
المجابة فان ظاهره ان لكل نبي دعوة مجابة فقط • واجيب بان المراد بالاجابة في الدعوة المذكورة
القطع بها وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الاجابة • وقيل معنى قوله لكل نبي دعوة اي افضل دعواته
ولهم دعوات اخرى • وقيل لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في امته اما باهلاكهم واما بنجاتهم
واما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب • وقيل لكل نبي منهم دعوة تخصه لدنياه
او لنفسه كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقول زكريا فهب لي وليا يرثني وقول
سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي • واما قول الكرماني في شرحه على البخاري
فان قلت هل جاز ان لا يستجاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم • قلت لكل نبي دعوة مستجابة
واجابة الباقي في مشيئة الله تعالى • فقال العيني هذا السؤال لا يعجبني فان فيه بشاعة وانا لا اشك
ان جميع دعوات النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة • وقوله لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لانه ليس
بمحصور • انتهى • ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم دعا بشيء فلم يستجب • وفي هذا الحديث بيان فضل
نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء حيث آثر امته على نفسه واهل بيته بدعوته المجابة
ولم يجعلها دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره صلوات الله وسلامه عليهم • وظاهر الحديث يقتضي انه
عليه الصلاة والسلام اخر الدعاء بالشفاعة ليوم القيامة فذلك اليوم يدعو ويشفع • ويحتمل
كون المؤخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة ونفعها • واما طلبها فحصل من النبي صلى الله عليه وسلم
في الدنيا • وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالترقي في مراتب التوحيد بقوله فاعلم انه لا اله الا الله
فان قيل ليس امر بتحصيل ذلك العلم لانه عالم بذلك ولا بالثبات لانه معصوم فتعين ان يكون للترقي في
مقاماته اشارة الى ان العلم به تعالى والتنزيه له لا نهاية له ابدا لجميع العلوم الحقيقية والمعارف
اليقينية والعالم مستطرف في سلك تحقيقها ومستنير من انوار طواياها • وكذا الترقي بعلمها الذي صلى الله عليه
في الامر فاشار الى ذلك كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله • ووعده الله تعالى بعلمه وانزل عليه
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة لانه لا بد في الوصول من الذكر باللسان ابتداء ثم يدخل الاسم في مسالك
السمع • فالدرجة الاولى هي المرادة بقوله واذكر اسم ربك • والمرتبة الثانية هي المرادة بقوله واذكر ربك في نفسك

في استيفاء مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض • وقد تقدم جملة من اذكاره عليه السلام مفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك • وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب اليه في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة كما رواه عنه ابو هريرة عند البخاري • وظاهره انه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة • ويحتمل ان يكون المراد انه صلى الله عليه وسلم يقول هذا اللفظ بعينه و يرجح الثاني ما اخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه في المجلس قبل ان يقوم مائة مرة وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ انا كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور مائة مرة • ويحتمل ان يريد بقوله في حديث ابي هريرة اكثر من سبعين مرة المبالغة ويحتمل ان يريد العدد بعينه ولفظ اكثر مبهم فيمكن ان يفسر بحديث ابن عمر المذكور وانه يبلغ المائة وقد وقع في طريق اخرى عن ابي هريرة من رواية معمر عن الزهري بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة لكن خالف اصحاب الزهري في ذلك • نعم اخرج النسائي ايضا من رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة بلفظ اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة مرة • واخرج النسائي من طريق عطاء عن ابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة • واستغفاره عليه السلام تشريع لامته او من ذنوبهم • وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك • فان قلت ما كيفية استغفاره عليه السلام • فالجواب انه ورد في حديث شداد ابن اوس عند البخاري وصححه سيد الاستغفار ان تقول اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة فينبغي ان هذه الكيفية هي الافضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك الافضل • واما قراءته عليه السلام وصفتها فكانت مدا يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم • رواه البخاري عن انس • ونعتتها ام سلمة قراءة مفسرة حرفا حرفا • رواه ابو داود والنسائي والترمذي • وقالت كان عليه السلام يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف • رواه الترمذي • وقالت حفصة كان يرتل السورة حتى تكون اطول من اطول منها • رواه مسلم • وقال البراء كان يقرأ في العشاء والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم • رواه الشيخان فقد كانت قراءته ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته اية اية وكان يمد عند حروف المد وكان يتغنى بقراءته ويرجع صوته بها احيانا كما رجع يوم الفتح في قراءة انا فتحنا لك فتحا مبينا • وحكى عبد الله بن مغفل ترجيعه اا ثلاث مرات • ذكره البخاري وهذا الحديث اذا جمعت الى قوله زينوا القرآن باصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقوله

ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن اي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن ان يتلوه ويجهر به يقال منه اذن ياذن اذنا بالتحريك علمت ان هذا الترجيع منه عليه السلام كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له فان هذا لو كان لاجل هز الناقة لما كان داخلا تحت الاختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتاسى به وهو يرى من هز الراحلة حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع في قراءته فنسب الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعا • وقد استمع عليه السلام ليلة لقراءة ابي موسى الاشعري فلما اخبره بذلك قال لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا اي حسنته وزينته بصوتي تزيينا • وهذا الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا القرآن باصواتكم من باب المقلوب اي زينوا اصواتكم بالقرآن فان القلب لا وجه له • قال ابن الاثير ويؤيد ذلك تأييدا لا شبهة فيه حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت • والله اعلم • وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك انه يقال التطريب والتغني على وجهين احدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل اذا خلي ذلك وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز وان اعانه طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع فيه فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغني الممدوح الذي يتأثر به التالي والسامع • والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ليس في الطبع السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم الغناء بانواع الالحان البسيطة والمركبة على ايقاعات مخصوصة لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وانكروا القراءة بها و بهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره • وكل من له علم باحوال السلف يعلم قطعا انهم براء من قراءة القرآن بالحان الموسيقى المتكلفة التي هي على ايقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وانهم اتقى لله من ان يقرؤوا بها ويسوغوها ويعلم قطعا انهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب ويحسنون اصواتهم بالقرآن ويقرؤونه بشجا تارة وتصوتا اخرى • وهذا امر في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل ارشد اليه وندب صلى الله عليه وسلم واخبر عن استماع الله سبحانه لمن قرأ به وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وليس المراد الاستغناء عن غيره كما ظنه بعضهم ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى • والمعروف في كلام العرب ان التغني انما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر • تغن بالشعر اما كنت قائله • ان الغناء لهذا الشعر مضمار • وروى ابن ابي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعا تعلموا القرآن وتغنوا به واكتبوه الحديث • والله اعلم • وقد صح انه صلى الله عليه وسلم

سمع ابو موسى الاشعرى يقرأ فقال لقد اوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود يعنى من مزامير داود
نفسه كما ذكره اهل المعانى وفى طريق اخرى كما تقدم ان ابا موسى قال يا رسول الله لو علمت انك
تسمع لحبرته لك تحبيرا • قال ابن المنير هذا يدل على انه كان يستطيع ان يتلو اشجى من المزامير
المبالغة فى التحبير لانه لم يبلغ اشدها وما بلغ الحد فكيف لو وجد استطاعة • وقد كان داود عليه السلم
اذا اراد ان يتكلم على بنى اسرائيل يجوع سبعة ايام لا يأكل ولا يشرب
ولا يأتى النساء ثم يأمر سليمان ان ينادى فى الفلوات والاكام والاودية والجبال ان داود يجلس يوم كذا
ثم يخرج له منبر الى الصحراء فيجلس عليه وسليمان قائم على رأسه فتأتى الانس والجن والطير والوحش
والهوام والعذارى والمخدرات يستمعون الذكر فيأخذ فى الثناء على الله بما هو اهله فتموت طائفة من
المستمعين ثم يأخذ فى النياحة على المذنبين فتموت طائفة فاذا اثخن الموت بالخلق قال له سليمان يا
نبى الله قد اثخن الموت بالناس وتفرقت المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل على سريره الى
بيته وينادى منادى سليمان من كان له مع داود قريب او حميم فليخرج لافتقاده فكانت المرأة تأتى بالسرير
فتعطف على زوجها او ابنها او اخيها فتحمله به المدينة فاذا افاق داود فى اليوم الثانى قال يا سليمان ما
فعل عباد بنى اسرائيل فيقول له سليمان مات فلان وفلان وهلم جرا فيضع داود على رأسه وينوح
ويقول يا رب داود اغضبان انت على داود حتى انك قربت فيموت خوفا منك وشوقا اليك فلا
يزال ذلك دأبه الى المجلس الاخر • واقام داود عليه السلم ما شاء الله تعالى ولا يخفى مما ذكرنا من حال
بنى اسرائيل انهم فى ذلك ابلغ من هذه الامة واما المزامير فحسبك ما ذكر من حال ابى موسى الاشعرى
رضى الله عنه • واما الموت من الموعظة شوقا او خوفا فلنا فيه طريقان احدهما ان نقول
ان القوة التى اوتيها بعض الامم تقاوم الاحوال الواردة عليها فتمسك الحياة ولا نعنى القوة الجسمانية
بل القوة الروحانية والثانى كانت الافئدة فى المرض قوة هذه الامة ان شاء الله تعالى تقارب سلطنتها الصالح
بين حال سماع الموعظة وحال عدم سماعها لتوالى الذكر وطول الغيبن • وقد قال بعضهم لو كشف الغطاء
ما ازددت يقينا فتماسك قوة السلف عند واردات الاحوال هو الذى فرق بينهم وبين من بعدهم • الا ترى
ان داود وسليمان عليهما السلام وهما اصحاب المزامير لم يتفق لهما الموت كما اتفق لمن مات وما ذلك
من تقصيرهما فى الخوف او الشوق ولكن من القوة الربانية التى امدهما بها • ولا خلاف بان داود عليه السلم
وان لم يمت من الذكر افضل ممن مات من امته • واما نواحه فهو كونه لم يمت فذلك من التواضع الذى
يزيده شوقا لانه لا يغتبط على الخاد الله بل لا تناله عنهم درجات وبذلك • والى هذه القوة الالهية
اشار ابو بكر الصديق رضى الله عنه وقد رأى انسانا يبكى من الموعظة فقال هكذا كنا حتى قست القلوب يعنى
عن القوة بالقسوة تواضعا ومرتبته بحمد الله محفوظة ومنزلته مرفوعة
والطريق الثانى ان نقول قد روى كثرة عن هذه الامة مثل ما اتفق فى مجلس داود عليه السلام من
موت المستمعين للذكر فى مجلس السماع قديما وحديثا ولابى اسحق الثعلبى جزء فى قتلى القرآن

دونها • وعندى من ذلك جملة ارخو ندونها بل قد روى عن كثير من المريدين انهم ماتوا
بمجرد النظر الى المشايخ كما حكى ان مريدا لابى تراب النخشبى كان يتجلى له الحق تعالى فى كل يوم
مرات • فقال له ابو تراب لو رأيت ابا يزيد لرأيت امرا عظيما فلما ارتحل المريد مع شيخه ابى تراب
النخشبى لابى يزيد ووقع نظر المريد عليه وقع ميتا فقال له ابو تراب يا ابا يزيد نظرة منك
قتلته • وقد كان يدعى رؤية الحق فقال له ابو يزيد قد كان صاحبك صادقا وكان
يتجلى له على قدر مقامه فلما رآنى تجلى له تعالى على قدرى فلم يطق فمات • واصطلاح اهل الطريق
فى التجلى معروف • وحاصله رتبة من المعرفة جليلة عليه ولم يكونوا يعنون بالتجلى رؤية البصر
التى قيل فيها لموسى عليه السلام على خصوصيته لن ترانى والتى قيل فيها على العموم لا تدركه الابصار
واذا فهمت ان مرادهم الذى اثبتوه غير المعنى الذى حصل منه اليأس على الناس فى الدنيا وعلى
الخواص فى الاخرى فلا حجر بعد ذلك عليه ولا طريق لسوء الظن بالقوم البتة والله
يتولى السرائر انتهى ملخصا • واذا علمت هذا فاعلم ان السماع فى طريق القوم معروف
وفى الجواذب الى الحضرة معدود موصوف • وقد نقل اباحته ابو طالب فى القوت عن جماعة
من الصحابة كعبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية • وكذا عند الجنيد و
السرى وذى النون واحتج له الغزالى فى الاحياء بما يطول ذكره خصوصا فى اوقات
السرور المباحة تأكيدا له وتهييجا كعرس وقدوم غائب ووليمة وعقيقة وحفظ قرآن وختم
او تأليف • وفى الصحيحين من حديث عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى ايام
منى تدففان وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف عليه السلم
عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد • وفى رواية دخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث بضم الموحدة والعين المهملة اخره مثلثة اسم حصن
للاوس وبالمعجمة تصحيف اى تنشدان الاشعار التى قيلت يوم بعاث وهو حرب كان بين الانصار
فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر فانتهرنى وقال مزمار الشيطان عند رسول الله
فاقبل عليه صلى الله عليه وسلم وقال دعهما • وتعقب بان الحديث الاخر عند البخارى عن
عائشة وليستا بمغنيتين فنفت عنهما من طريق المعنى ما اثبت لهما باللفظ لان الغناء يطلق على رفع
الصوت وعلى الترنم وعلى الحداء ولا يسمى فاعله مغنيا وانما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير
وتهييج وتشويق لما فيه تعريض بالفواحش وتصريح • قال القرطبى قولها يعنى عائشة ليستا بمغنيتين
اى ليستا ممن يعرف الغناء كما تعرف المغنيات المعروفات بذلك قال وهذا منها تحرز عن الغناء
المعتاد عند المشتهرين به وهو الذى يحرك الساكن ويبعث الكامن وهذا اذا فى شعر فيه وصف
محاسن النساء والخمر وغيرها من الامور المحرمة لا يختلف فى تحريمه • قال واما ما ابتدعه الصوفية
فى ذلك فمن قبيل ما لا يختلف فى تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب الى الخير

حتى لو ظهرت في كثير منهم فلانه المجانة والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متدفعة وانتهى التواجد بقوم منهم الى ان جعلوها من باب القرب وصالح الاعمال وان ذلك يثمر سنيّة الاحوال وعلى هذا التحقيق تمرات الزندقة • انتهى • والحق ان السماع اذا وقع بصوت حسن لشعر متضمن للصفات العلية والنعوت النبوة المحمدية عريا من الالات المحرمة والحظوظ الخسيسة الخبيثة والشبه واثارها من المحبة الشريفة العلية وضبط السامع نفسه ما امكنه مع العلم بما يحبه الله ورسوله بحيث لا يرفع صوته بالبكاء ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط نفسه ما امكنه مع العلم بما يحبه ورسوله ويستحيل لئلا ينزل ما يسمعه على ما لا يليق كان من الحسن في غاية وتمام تزكية النفس ببهاية ثم تركه والاشتغال بما هو اعلى منه انسب لخوف الشبهة والخروج من الخلاف الا نادرا • وقد نقل عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وجماعة من العلماء الفاظ تدل على التحريم • ولعل مرادهم ما كان فيه تهييج شبه لما تقدم اذا كان النظر في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا بتحريم بل يختلف ذلك بالاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب وهو لمن يرتقي برتبة ترقية مثير الكامن في النفوس من الازل حين ما خاطبنا الله تعالى بقوله الست بربكم فما كان في القلب من رقة ووجد وحقيقة فهو من حلاوة ذلك الخطاب والاعضاء كلها ناطقة بذكرهم مستطيبة لا سيما والسماع من اكبر مصايد النفوس واذا اقترن بالحان المناسبة وكان الشعر متضمنا لذكر المحبوب الحق برز الكامن وذاقت الاسرار سيما في ارباب البدايات وقد شوهد تاثير السماع حتى في الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهايم فقد شوهد تدلي الطيور من الاغصان على اولي النغمات الفايقة والالحان الرايقة وهذا الجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافة الطويلة وتنبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراه اذا طالت عليه البوادي واعياه الاعياء تحت الحمل اذا سمع منادي الحداء يمد عنقه ويصغي الى الحادي ويسرع في سيره وربما اتلف نفسه في شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه • وقد حكي ما ذكره في الاحياء عن ابي بكر الدينوري ان عبدا اسود قد حدا جمالا كثيرة بطيب نغمته اذا حدا وكانت محملة ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة واحدة وانه حدا على جمل من جمالها بحضرته فهام الجمل وقطع حباله وحصل له ما غيبه عن حسه حتى خر لوجهه فتاثير السماع محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد العلاج زايد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال واذا كانت هذه البهايم تتاثر بالنغمات تاثير النفوس الانسانية اولى •

نعم لولاك ما ذكر العقيق • ولا جابت لنا الفلوات نوق •
نعم اسعى اليك على جفوني • تدانى الحي او بعد الطريق •
اذا كانت تحن لك المطايا • فماذا يفعل الصب المشوق •

فريدة السماع تلطيف السر • ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفي حزبه المشهور

على الالحان

على الالحان والاوزان اللطيفة تبسطا لقلوب المريدين وترويحا لاسرار السالكين فان النفوس كما ان لها حظ من الالحان فاذا قبلت هذه الواردات السنية الفايضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه النغمات الفايقة والاوزان الرايقة تشربتها العروق واخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفي المحمدي فاذكرت خطاب الازل بما سبقته من موارد هذه اللطايف عودا لمعارف زعم بعضهم ان السماع ادعى للوجد من التلاوة واظهر تاثيرا والحجة عن ذلك ان جلال القران لا تحتمله القوى البشرية المحدثة ولا تحتمله صفاتها المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت والالحان مناسبة للطبايع بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق • والشعر نسبته بنسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات في الابيات من الاشارات واللطايف شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب بمشاكلة المخلوق قاله ابو نصر السراج

المقصد العاشر في اتمامه تعالى نعمته عليه صلى الله عليه وسلم بوفاته ونقلته الى حضرة قدسه لديه صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الاخرة بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم واعلى التنويهات وتشريفه بخصايص الزلفى في مشاهد الانبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسؤدد في مجمع جامع الاولين والاخرين وترقيه في جنة عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد اعلى معالي الحسنى وزيادة وفيه ثلثة فصول

الفصل الاول في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته الى حضرة قدسه لديه صلى الله وسلم عليه اوصلني الله تعالى واياك بحبل تاييده واوصلنا بلطيفه الى مقام توفيقه وتسديده ان هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجايع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الموجدة على اكباد ذوي الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبياء حتى يخير • واول ما اعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضاء عمره باقتراب اجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه افواجا فقد اقترب اجلك فتهيا للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما امرت به من اداء الرسالة والتبليغ وما عندنا خير لك من الدنيا فاستعد للنقلة الينا • وقد قيل ان هذه السورة اخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة الوداع • وقيل عاش بعدها احدى وثمانين يوما • وعند ابن ابي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال • وعن مقاتل سبعا • وعن بعضهم ثلثا ولابي يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في اوسط ايام التشريق في حجة الوداع فعرف صلى الله عليه وسلم انه الوداع • وفي حديث ابن عباس عند الدارمي لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي فضحكت • الحديث • وروى الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح نعيت الى رسول الله

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تغشه فاخذ باشد ما كان قط اجتهاداً في الآخرة • وللطبراني ايضا
من حديث جابر لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت لي نفسي فقال له
جبريل وللآخرة خير لك من الاولى • وروى في حديث ذكره ابن رجب في اللطايف انه تعبّد حتى صار
كالشن البالي وكان عليه السلام يعرض القرآن كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين
وكان يعتكف العشر الاواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام عشرين واكثر من الذكر والاستغفار
وعن ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم في اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله
وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقلت انك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم فقال ان ربي اخبرني
اني سارى علما في امتي واني اذا رايته ان اسبح بحمده واستغفره فقرأ هذه السورة • واخرج ابن مردويه
من طريق مسروق عن عائشة نحوه • وروى الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين
ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض واني لانظر اليه وانا في مقامي هذا واني قد اعطيت
مفاتيح خزائن الارض واني لست اخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخشى عليكم ان تنافسوا فيها وزاد بعضهم
فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم • وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر
فقال ان عبدا خيره الله ان يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر وقال
يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عبد خيره الله بين ان يؤتيه الله زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا
وامهاتنا قال فكان رسول الله هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان امن الناس
علي في صحبته وماله ابو بكر فلو كنت متخذا من الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر • رواه البخاري ومسلم • ولمسلم من حديث جندب سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يموت بخمس ليال • وكان ابا بكر فهم الرمز الذي اشار به النبي صلى الله عليه وسلم
من قرينة ذكره ذلك في مرض موته واستشعر منه انه اراد نفسه فلذلك بكى • وما زال صلى الله عليه وسلم
يعرض باقتراب اجله في آخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا عني مناسككم فلعلي لا القاكم
بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع صلى الله عليه وسلم من حجه الى المدينة
جمع الناس بماء يدعى خما في طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال يا ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك
ان ياتيني رسول ربي فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته • قال الحافظ ابن رجب وكان
ابتداء مرضه عليه السلام في اواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور • وكانت خطبته
التي خطبها المذكورة في حديث ابي سعيد الذي قدمته في ابتداء مرضه الذي مات فيه فانه خرج كما
رواه الدارمي وهو معصوب الراس بخرقة حتى اهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذي نفسي بيده
اني لانظر الى الحوض من مقامي هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا الخ • ثم هبط عنه فما رؤي عليه

حتى

الساعة • فلما عرض صلى الله عليه وسلم على المنبر باختياره اللقاء على البقاء ولم يصرح خفي المعنى على
كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه المخصوص به ثاني اثنين اذ هما في الغار وكان اعلم
الامة بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه من هذه الاشارة بكى و
قال بل نفديك باموالنا وانفسنا واولادنا فسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم جزعه واخذ في مدحه
والثناء عليه على المنبر ليعلم الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف في خلافته فقال ان
من امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من اهل الارض
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لما كان صلى الله عليه وسلم لا يصلح له ان يخالل
مخلوقا فان الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا للبشر • كما قيل
قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا • اثبت له اخوة الاسلام ثم قال صلى الله
عليه وسلم لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر اشارة الى ان ابا بكر هو الامام بعده
فان الامام يحتاج الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين المصلين
ثم اكد هذا المعنى بامره صريحا ان يصلي بالناس ابو بكر فروجع في ذلك وهو يقول مروا ابا بكر ان يصلي
بالناس فولاه امامة الصلاة • ولذا قال الصحابة عند بيعة ابي بكر رضي الله عنه رضيه صلى الله عليه
وسلم لديننا افلا نرضاه لدنيانا • وكان ابتداء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيت ميمونة كما ثبت في رواية معمر عن الزهري • وفي سيرة ابي معشر كان في بيت زينب بنت جحش و
في سيرة سليمان التيمي كان في بيت ريحانة • والاول هو المعتمد وذكر الخطابي انه ابتدأ به يوم الاثنين
وقيل يوم السبت وقال الحاكم يوم الاربعاء • واختلف في مدة مرضه فالاكثر انها ثلاثة
عشر يوما • وقيل اربعة عشر • وقيل اثنا عشر • وذكرهما في الروضة وصدر بالثاني • وقيل عشرة
ايام وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه • واخرجه البيهقي باسناد صحيح • وفي البخاري قالت عائشة
لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه استاذن ازواجه ان يمرض في بيتي فاذن له
فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الارض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل اخر قال عبيد الله
فاخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الاخر الذي لم
تسم عائشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي ابن ابي طالب • الحديث • وفي رواية مسلم عن عائشة فخرج
بين الفضل ابن عباس ورجل اخر • وفي اخرى رجلين احدهما اسامة • وعند الدارقطني اسامة و
الفضل • وعند ابن حبان في اخرى بريرة ونوبة بضم النون وسكون الواو فموحدة قيل وهو اسم
امة • وقيل عبد • وعند ابن سعد من وجه اخر الفضل وثوبان • وجمعوا بين هذه الروايات
على تقدير ثبوتها بان خروجه تعدد فيتعدد من اتكأ عليه • وعن عائشة رضي الله عنها انه صلى
الله عليه وسلم قال لنسائه اني لا استطيع ان ادور بيوتكن فان شئتن اذنتن لي • رواه
احمد • وفي رواية هشام ابن عروة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اين انا غدا اين

انا غدا يريد يوم عائشة • وذكر ابن سعد باسناد صحيح عن الزهري ان فاطمة هي التي خاطبت امهات المؤمنين بذلك فقالت لهن انه يشق عليه الاختلاف • وفي رواية ابن ابي مليكة عن عائشة ان دخوله بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين الذي يليه • وفي مرسل ابي جعفر عند ابن ابي شيبة انه صلى الله عليه وسلم قال اين اكون غدا كررها فعرفن ازواجه انه يريد عائشة فقلن يا رسول الله قد وهبنا ايامنا لاختنا عائشة • وفي رواية هشام بن عروة عن ابيه عند الاسمعيلي كان يقول اين انا غدا حرصا على بيت عائشة فلما كان يومي اذن له نساؤه ان يمرض في بيتي • وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالبقيع وانا اجد صداعا في رأسي وانا اقول وا رأساه قال بل انا وا رأساه ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت لكاني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتي فاعرست فيه ببعض نسائك فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم بدئ في وجعه الذي مات فيه • رواه احمد والنسائي • وفي البخاري قالت عائشة وا رأساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وانا حي فاستغفر لك وادعو لك فقالت عائشة واثكلياه والله اني لاظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض ازواجك فقال صلى الله عليه وسلم بل انا وا رأساه لقد هممت او اردت ان ارسل الى ابي بكر وابنه فاعهد ان يقول القائلون او يتمنى المتمنون ثم قلت يابى الله ويدفع المؤمنون او يدفع الله ويابى المؤمنون • وقوله بل انا وا رأساه اضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي قد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه • وروى احمد في الزهد عن طاوس انه قال انين المريض شكوى • وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية ان انين المريض مكروه وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف او باطل فان المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت فيه ذلك • ثم احتج بحديث عائشة هذا • ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر اولى • انتهى • قال في فتح الباري ولعلهم اخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى يدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الاعداء واما اخبار المريض صديقه او طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا فليس ذكر الوجع شكاية فكم من ساكت وهو ساخط وكم من شاك وهو راض فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان • وقد تبين كما نبه عليه في اللطائف ان اول مرضه كان صداع الرأس والظاهر انه كان مع حمى فان الحمى اشتدت به في مرضه قالت عائشة رضي الله عنها لما دخل بيتي واشتد وجعه كان يجلس في مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن يتبرد بذلك • وفي البخاري قالت عائشة لما دخل بيتي واشتد وجعه قال اهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن لعلي اعهد الى الناس فاجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن • الحديث • وقد قيل في الحكمة في هذا العدد

ان لنا

ان له خاصية في دفع ضرر السم والسحر كما سيأتي ان شاء الله تعالى انه عليه السلام قال اوان انقطاع الابهري من ذلك السم • وتمسك بعض من انكر نجاسة سؤر الكلب وزعم ان الامر بالغسل منه سبعا لدفع السمية التي في ريقه وكانت عليه صلوات الله وسلامه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر • رواه ابن ماجه وابن ابي الدنيا والحاكم وقال صحيح الاسناد كلهم من رواية ابي سعيد الخدري • قالت عائشة ما رأيت احدا كان اشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجرين قال اجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه اذى شوكة فما فوقها الا كفر الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري • والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى • وقيل الم الحمى وقيل ارعادها الموعوك وتحريكها اياه • وعن الاصمعي الوعك الحر فان كان محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها قال ابو هريرة ما من وجع يصيبني احب الي من الحمى انها تدخل في كل مفصل من ابن آدم وان الله يعطي كل مفصل قسطا من الاجر • واخرج النسائي وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان اخت حذيفة قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء نعوده فاذا سقاء يقطر عليه من شدة الحمى فقال ان من اشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم • وفي حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة او ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات • الحديث • رواه البخاري • وروى ايضا عن عروة انه صلى الله عليه وسلم قال ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم • وفي رواية ما زالت اكلة خيبر تعاودني • والاكلة بالضم اللقمة التي اكل من الشاة • وبعض الرواة يفتح الالف وهو خطأ لانه عليه السلام لم يأكل منها الا لقمة واحدة • قال ابن الاثير • ومعنى الحديث انه ينقض عليه سم الشاة التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك يثور عليه احيانا والابهر العرق المستبطن بالصلب يتصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه • وقد كان ابن مسعود وغيره يرون انه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا من السم • وعند البخاري ايضا قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح بيده فلما اشتكى وجعه الذي مات فيه طفقت انفث بالمعوذات الذي كان ينفث وامسح بيدي النبي صلى الله عليه وسلم • وفي رواية مالك وامسح بيده رجاء بركتها ولمسلم فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وامسح بيد نفسه لانها كانت اعظم بركة من يدي واطلقت على السور الثلاث المعوذات تغليبا • وفي البخاري عن عائشة دخل عبد الرحمن بن ابي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وانا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فامده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فاخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم

فاستن به فما رأيته استن استنانا قط أحسن منه الحديث • قوله فأمده بتشديد الدال المهملة
أي مد نظره إليه • وقولها فقضمته بكسر الضاد المعجمة أي طوله وإزالة المكان الذي تسوك
به عبد الرحمن ثم طيبته أي لينته بالماء • وفي رواية أيضا قالت إن من نعم الله تعالى علي أن الله
جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه أن نعم • وفي رواية
مر عبد الرحمن وفي يده جريدة رطبة فنظر إليه صلى الله عليه وسلم فظننت أن له بها حاجة فأخذتها
فنفضت رأسها ونفضتها ودفعتها إليه فاستن بها كأحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت يده
أو سقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة • وفي حديث خرجه
العقيلي أنه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ائتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ائتيني به أمضغه لكي
يختلط ريقي بريقك لكي يهون علي عند الموت • قال الحسن لما كرهت الأنبياء الموت هون الله عليهم بلقاء الله
وبكل ما أحبوا من تحفة أو كرامة حتى إن نفس أحدهم لتنزع من بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل
لهم • وفي المسند عن عائشة أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنه ليهون علي لأني رأيت بياض كف عائشة
في الجنة • وخرجه ابن سعد وغيره مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتها في الجنة حتى ليهون
علي بذلك موتي كأني أرى كفيها يعني عائشة فقد كان عليه السلام يحب عائشة حبا شديدا حتى لا يكاد يصبر
عنها فمثلت له بين يديه في الجنة ليهون عليه موته فإن العيش إنما يطيب باجتماع الأحبة • وقد سأله
صلى الله عليه وسلم رجل فقال أي الناس أحب إليك فقال عائشة فقال من الرجال قال أبوها ولهذا قال
لها في ابتداء مرضه لما قالت وارأساه وددت أن ذلك كان وأنا حي فأصلي عليك وأدفنك فعظم
ذلك عليها وظنت أنه يحب فراقها وإنما كان يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما • وروي
أنه كان عنده صلى الله عليه وسلم في مرضه سبعة دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يغشى عليه
فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه وقال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق
بها كلها رواه البيهقي • انظر إذا كان سيد المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر فكيف بمن لقي الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة وما ظنه بربه تعالى
وفي البخاري من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة في شكواه
الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارني النبي
صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت
وفي رواية مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا يا بنتي
ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها • ولأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق
عن عائشة قالت ما رأيت أحدا أشبه سمتا وهديا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها
من فاطمة وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان

إذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه فقبلته • واتفقت الروايتان
على أن الذي سارها به أولا فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميت من مرضه ذلك • واختلف
فيما سارها به فضحكت ففي رواية عروة أنه إخباره إياها أنها أول أهله لحوقا به • وفي رواية
مسروق أنه إخباره إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة • وجعل كونها أول أهله لحوقا به
مضموما إلى الأول وهو الراجح فإن حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة
وهو من الثقات الضابطين فمما زاده مسروق قول عائشة فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب
من حزن فسألتها عن ذلك فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي
النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت أسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة
وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحوقا بي • وفي رواية عائشة
بنت طلحة من الزيادة أن عائشة لما رأت بكاها وضحكها قالت إن كنت لأظن هذه المرأة من أعقل
النساء فإذا هي من النساء ويحتمل تعدد القصة • وفي رواية عروة الجزم أنه ميت من وجعه ذلك
بخلاف رواية مسروق ففيها أنه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القرآن • وقد
يقال لا منافاة بين الخبرين إلا بالزيادة • ولا يمتنع أن يكون إخباره بكونها أول أهله لحوقا به
سببا لبكائها وضحكها معا باعتبارين فذكر كل من الراويين ما لم يذكره الآخر • وقد روى
النسائي من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء أنه ميت وفي سبب الضحك الأمرين الأخيرين
ولابن سعد من رواية أبي سلمة عنها أن سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به • وعند
الطبراني من وجه آخر عن عائشة أنه قال لفاطمة إن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين
أعظم رزية منك فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبرا • وفي الحديث إخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع
فوقع كما قال صلى الله عليه وسلم فإنهم اتفقوا على أن فاطمة رضي الله عنها كانت أول من مات من أهل
بيت النبي صلى الله عليه وسلم حتى من أزواجه عليه السلام • وقد كان صلى الله عليه وسلم من شدة وجعه
يغمى عليه في مرضه ثم يفيق • وأغمي عليه مرة فظنوا أن وجعه ذات الجنب فلدوه فجعل يشير إليهم
أن لا تلدوه فقالوا كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال ألم أنهكم أن لا تلدوني قالوا كراهية للدواء
فقال لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم • رواه البخاري • واللدود
هو ما يجعل في جانب الفم من الدواء فأما ما يصب في الحلق فيقال له الوجور • وفي الصحيح من حديث
العباس أنهم أذابوا قسطا بزيت فلدوه به • وفي قوله لا يبقى أحد في البيت إلا لد مشروعية القصاص
فيما يصاب به الإنسان وفيه نظر لأن الجميع لم يتعاطوا ذلك وإنما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم
امتثال نهيه عما نهاهم عنه • قال ابن العربي أراد أن لا يأتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا في
خطيئة عظيمة • وتعقب بأنه يمكن أن يقع العفو ولأنه كان لا ينتقم لنفسه • والذي يظهر أنه أراد
بذلك تأديبهم لئلا يعودوا فكان ذلك تأديبا لا قصاصا ولا انتقاما • قيل وإنما كره اللدود

مع انه كان يتداوى لانه تحقق انه يموت في مرضه ومن تحقق ذلك كره له التداوي . قاله الحافظ
ابن حجر رحمه الله . وفيه نظر والذي يظهر ان ذلك قبل التخيير والتحقق . وانما انكر التداوي
لانه كان غير ملائم لدائه لانهم ظنوا ان به ذات الجنب فداووه بما يلائمها ولم يكن به ذلك
كما هو ظاهر في سياق الخبر . وعند ابن سعد قال كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة
فاشتدت به فاغمي عليه فلددناه فلما افاق قال كنتم ترون ان الله يسلط على ذات الجنب ما كان الله
ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى احد في البيت الا لد فما بقي في البيت احد الا لد ولددنا ميمونة
وهي صائمة . وروى ابو يعلى بسند فيه ابن لهيعة من وجه اخر عن عائشة انه صلى الله عليه
وسلم مات من ذات الجنب . وجمع بينهما بان ذات الجنب تطلق بإزاء مرضين احدهما
ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن . والاخر ريح محتقن بين الاضلاع فالاول هو المنفي هنا
وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك ذات الجنب من الشيطان . والثاني هو الذي اثبت هنا
وليس فيه محذور كالاول . وفي حديث ابن عباس عند البخاري لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده . فقال بعضهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف اهل
البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده . ومنهم من يقول غير ذلك
فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا . قال عبيد الله فكان ابن
عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك
الكتاب لاختلافهم ولغطهم . قال المازري انما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح
امره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب فكانه ظهر منه قرينة دلت على ان
الامر ليس على التحتم بل على الاختيار . فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن
بانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك من غير قصد جازم . وقال النووي اتفق العلماء على ان قول
عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه ودقيق نظره لانه خشي ان يكتب امورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا
العقوبة لكونها منصوصة . واراد ان لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء . وفي تركه صلى الله
عليه وسلم الانكار على عمر اشارة الى تصويبه . واشار بقوله حسبنا كتاب الله الى قوله ما فرطنا في
الكتاب من شيء . ولا يعارض ذلك قول ابن عباس ان الرزية الخ لان عمر كان افقه منه قطعا
ولا يقال ان ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع انه حبر القرآن واعلم الناس بتفسيره وتأويله ولكنه
اسف على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه لكونه اولى من الاستنباط . والله اعلم
ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم وجعه قال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت له عائشة يا رسول الله
ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا ابا بكر فليصل بالناس
فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس . رواه الشيخان

وابو حاتم

وابو حاتم واللفظ له . وفي رواية ان ابا بكر رجل اسيف . وفي حديث عروة عن عائشة عند البخاري
فمر عمر فليصل بالناس قالت فقلت لحفصة قولي له ان ابا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس من
البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال صلى الله عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب
يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة ما كنت لاصيب منك خيرا . و
الاسيف بوزن فعيل وهو بمعنى الفاعل من الاسف وهو شدة الحزن والمراد به رقيق القلب
ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث قال عاصم والاسيف
الرفيق الرحيم . وصواحب جمع صاحبة والمراد بهن مثل صواحب يوسف في اظهار خلاف ما في
الباطن . ثم ان هذا الخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة . ووجه المشابهة
بينهما في ذلك ان زليخا استدعت النسوة واظهرت لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على
ذلك وهو ان ينظرن الى حسن يوسف ويعذرنها في محبته . وان عائشة اظهرت ان سبب ارادتها
صرف الامامة عن ابيها لكونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه ومرادها زيادة على ذلك
وهو ان لا يتشاءم الناس وقد صرحت هي بذلك كما عند البخاري في باب وفاته عليه السلام
فقالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا قام
مقامه ابدا والا كنت ارى انه لن يقوم احد مقامه الا تشاءم الناس به . ونقل الدمياطي ان الصديق
صلى بالناس سبع عشرة صلاة . وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير مما عزاه لسيف بن عمر في كتاب الفتوح
ان الانصار لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا طافوا بالمسجد فدخل العباس فاعلمه
عليه السلام بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي ابن ابي طالب
لذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل والعباس امامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب
الرأس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال
ايها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا اني لاحق
بربي وانكم لاحقون بي فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى
يقول والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
وان الامور تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة احد
ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم
يشاطروكم في الثمار الم يوسعوا لكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي
ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني
فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف يده ولسانه
الا فيما ينبغي . يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم

واذا فجر الناس عفو بهم • وفي حديث انس عند البخاري قال مر ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس
الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل
احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد
المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا
الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم • وقوله كرشي وعيبتي اي
موضع سري اراد انهم بطانته وموضع امانته والذين يعتمد عليهم في اموره • واستعار الكرش
والعيبة لذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يجمع ثيابه في عيبته • وقيل اراد
بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي يقال عليه كرش من الناس اي جماعة • قاله في النهاية •
وذكر الواحدي بسند وصله بعبد الله بن مسعود • قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل
موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم
رفعكم الله اواكم الله اوصيكم بتقوى الله واستخلفه عليكم واحذركم الله اني لكم نذير مبين
ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا
يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا
يا رسول الله متى اجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك
قال رجال اهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال في ثيابي هذه وان شئتم
في ثياب مصرية او حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا انتم غسلتموني وكفنتموني
فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل
ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا علي افواجا فصلوا علي فوجا فوجا
فصلوا وسلموا تسليما وليبدأ بالصلاة علي رجال اهل بيتي ثم نساؤهم ثم انتم واقرؤوا السلام على
من غاب من اصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيمة قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك
قال اهلي مع ملائكة ربي • وكذا رواه الطبري في الدعاء وهو واه جدا • وقالت عائشة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى او
يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت
ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح
وفي رواية انها اصغت اليه قبل ان يموت وهو مستند الى ظهرها يقول اللهم اغفر لي وارحمني
والحقني بالرفيق الاعلى على رواية البخاري من طريق الزهري عن عروة • وما فهمته عائشة من
قوله عليه السلام اللهم الرفيق الاعلى انه خير بمثل ما فهمه ابو بكر رضي الله عنه من قوله عليه السلام ان عبدا
خيره الله ما بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ان العبد المراد هو النبي صلى الله عليه وسلم
حتى بكى كما تقدمه • ذكره الحافظ ابن حجر • وعند احمد من طريق المطلب بن عبد المطلب بن عبد الله عن

عائشة

عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما من نبي يقبض الا يرى الثواب ثم يخير • ولاحمد
ايضا من حديث مويهبة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح خزائن الارض
والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة • وعند عبد
الرزاق من مرسل طاوس رفعه خيرت بين ان ابقى حتى ارى ما يفتح على امتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل
وفي رواية ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه عند النسائي • وصححه ابن حبان فقال اسأل الله الرفيق
الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل • وظاهره ان الرفيق المكان الذي تحصل المرافقة
فيه مع المذكورين • وقال ابن الاثير في النهاية جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين • وقيل
المراد به الله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة • انتهى • وقيل المراد به حضرة القدس
وقال السهيلي الحكمة في اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر
بالقلب حتى يستفاد منها الرخصة لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر باللسان لان بعض الناس
قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر انتهى ملخصا • قال الحافظ
ابن رجب وقد روي ما يدل على انه قبض ثم رأى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير • ففي
المسند قال يعني عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم ما من نبي لا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد
اليه فيخير بين ان ترد اليه الى ان يلحق فكنت قد حفظت ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه
حين مالت عنقه فقلت قضى قالت فعرفت الذي قال فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت اذن والله
لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا • وفي البخاري من حديث عروة عن عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى او يخير
فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت
ثم قال اللهم في الرفيق الاعلى • ونبه السهيلي على ان النكتة في هذه الكلمة بالافراد الاشارة الى
ان اهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد • وفي صحيح ابن حبان عنها قالت اغمي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حجري فجعلت امسحه وادعو له بالشفاء فلما افاق قال اسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل
وميكائيل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عائشة ما رأيت الوجع
على احد اشد منه على النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح
وجهه ويقول اللهم اعني على سكرات الموت • وفي رواية فجعل يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات
قال بعض العلماء فيه ان ذلك من شدة الالم والاوجاع لرفعة منزلته • وقال الشيخ ابو محمد المرجاني
تلك السكرات سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال قبل رحلته وهو في السياق واكرباه فتح عينه و
قال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه فاذا كان هذا طربه في هذه الحال بلقاء محبوبه وهو النبي عليه السلام
وحزبه فما بالك بلقاء النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهذا

موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه • وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب انه عليه السلام
قال اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل فاعني عليه وهونه علي • وعند
الامام احمد والترمذي من طريق القسم عنها قالت رأيته وعنده قدح فيه ماء وهو يموت فيدخل
يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم اعني على سكرات الموت • ولما تغشاه الكرب قالت
فاطمة رضي الله عنها واكرب اباه فقال لها لا كرب على ابيك بعد اليوم • رواه البخاري • قال
الخطابي زعم من لا يعد من اهل العلم ان المراد بقوله عليه السلام لا كرب على ابيك بعد اليوم ان كربه
كان شفقته على امته لما علم من وقوع الاختلاف والفتن بعده • وهذا ليس بشيء لانه كان يلزم ان
تنقطع شفقته على امته بموته والواقع انها باقية الى يوم القيمة لانه مبعوث الى من جاء بعده و
اعمالهم تعرض عليه • وانما الكلام على ظاهره • وان المراد بالكرب ما كان يجده عليه السلام من شدة
الموت • وكان عليه السلام فيما يصيب جسده من الالام كالبشر ليتضاعف له الاجر • انتهى
وروى ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انه حضر من ابيك ما الله تعالى بتارك منه
احدا لموافاة يوم القيمة • وفي البخاري من حديث انس بن مالك ان المسلمين بينما هم في صلوة الفجر
من يوم الاثنين وابو بكر يصلي بهم لم يفجأهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة
عائشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلوة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ليصل الصف
وظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يخرج الى الصلوة قال انس وهم المسلمون ان يفتتنوا
في صلوتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم ان اتموا صلوتكم
ثم دخل الحجرة وارخى الستر • وفي رواية ابي اليمان عن شعيب عند البخاري في الصلوة فتوفي من يومه
وفي رواية ابي معمر عنده ايضا وكلاهما في حديث انس لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلثا فاقيمت الصلوة
فذهب ابو بكر يتقدم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما نظرنا منظرا قط كان اعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا قال فاوما رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر ان يتقدم وارخى الحجاب الحديث • رواه الشيخان • وعنه ان ابا بكر كان
يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلوة
كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قائم كان وجهه ورقة مصحف ثم
تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث • رواه مسلم • وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بانه
صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس • وكذا لابي الاسود عن عروة • وعن جعفر بن محمد عن ابيه
رضي الله عنهما قال لما بقي من اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث نزل جبريل عليه فقال يا محمد ان الله
قد ارسلني اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسئلك عما هو اعلم به منك يقول كيف تجدك فقال
اجدني يا جبريل مغموما واجدني يا جبريل مكروبا فاتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم استأذن
فيه ملك الموت فقال جبريل يا محمد هذا ملك الموت يستأذن ولم يستأذن على ادمي بعدك قال ائذن له

فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان اطيعك
في كل ما تأمر ان امرتني ان اقبض نفسك قبضتها وان امرتني ان اتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله قد
اشتاق الى لقائك فقال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت لما امرت به فقال جبريل يا رسول الله
هذا اخر موطئي من الارض انما كنت حاجتي من الدنيا فقبض وتوفي صلى الله عليه وسلم وجاءت
التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة
الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة ان في الله عز وجل عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا
من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقال علي اتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام • رواه البيهقي في دلايل النبوة • وفي تخريج
احاديث الاحياء للحافظ العراقي وذكر التعزية المذكورة عن ابن عمر مما ذكره في الاحياء • وان النووي
انكر وجود الحديث المذكور في كتب الحديث وقال انما ذكره الاصحاب • ثم قال العراقي قد رواه الحاكم
في المستدرك من حديث انس ولم يصححه ولا يصح • وروى ابن ابي الدنيا عن انس ايضا قال لما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطى
اصحاب رسول الله صلى الله عليه حتى اخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اقبل على اصحابه فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث • وفيه ثم ذهب
الرجل فقال ابو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا احدا فقال ابو بكر لعل هذا الخضر جاء يعزينا
رواه ابن ابي الدنيا ايضا من حديث علي بن ابي طالب • وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه • وفيه
انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمعروف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي • كما
رواه الشافعي في الام وليس فيه ذكر الخضر عليه السلام قاله البيهقي قوله ان الله اشتاق الى لقائك معناه قد
اراد لقائك بان يردك من دنياك الى معادك زيادة في قربك وكرامتك • انتهى • واخرج الطبراني
من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه ورأسه في حجر علي
فاستأذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له علي ارجع فانا مشاغيل عنك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان ملك الموت لم يسلم على اهل بيت قبله ولا يسلم على احد بعده • وقالت
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي بين سحري ونحري • وفي رواية بين حاقنتي و
ذاقنتي • رواه البخاري • والحاقنة بالحاء المهملة والقاف والنون اسفل من الذقن • والذاقنة
طرف الحلقوم • والسحر بفتح السين وسكون الحاء المهملة هو الصدر والنحر بفتح النون وسكون الحاء المهملة
والمراد انه صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه بين حنكها وصدرها • وهذا لا يعارضه ما اخرجه
الحاكم من طرق انه صلى الله عليه وسلم مات ورأسه في حجر علي لان كل طريق منها كما قاله الحافظ ابن حجر لا
تخلو من شيعي فلا يلتفت الى ذلك • والله اعلم • قال السهيلي وجدت في بعض كتب الواقدي ان اول كلمة
تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله اكبر واخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى • وروى

الحاكم من حديث انس اخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال ربي الرفيع

ولما توفي صلى الله عليه وسلم كان ابو بكر غائبا بالسنح يعني العالية عند زوجته خارجة وكان قد اذن له في الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وكان يقول انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى فلبث عن قومه اربعين ليلة والله اني لارجوا ان يقطع ايدي رجال وارجلهم • فاقبل ابو بكر من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عايشة فدخل فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما اطيبك حيا وميتا • ذكره الطبري في الرياض فقالت عايشة اقبل ابو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عايشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببرده فكشف عن وجهه واكب عليه فقبله ثم بكى وقال بابي انت وامي لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها • رواه البخاري • واختلف في قول ابي بكر رضي الله عنه لا يجمع الله عليك موتتين فقيل هو على حقيقته واشار بذلك الى الرد على من زعم انه سيحيى فيقطع ايدي لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة اخرى فاخبر انه اكرم على الله من ان يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف • وكالذي مر على قرية وهذا اوضح الاجوبة واسلمها • وقيل اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره اذ يحيى ليسئل ثم يموت • وهذا جواب الداودي • وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك • وقيل كنى بالموت الثاني عن الكرب اي لا تلقى بعد كرب هذا الموت كربا اخر • قاله في فتح الباري • وعنها ان عمر كان يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ابو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بابي انت وامي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها الحالف على رسلك فلما تكلم ابو بكر جلس عمر فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية قال فنشج الناس يبكون • رواه البخاري • قال النشج الباكي اذا اغتص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب • وعن سالم بن عبيد الاشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاخذ بقائم سيفه وقال لا اسمع احدا يقول مات رسول الله الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله قال فخرجت الى المسجد فاذا انا بابي بكر فلما رايته اجهشت بالبكاء فقال يا سالم امات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول لا اسمع احدا يقول مات رسول الله الا ضربته بسيفي قال فاقبل ابو بكر حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشا الريح ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل • الاية • وقال انك ميت وانهم ميتون • يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا

قال

قال عمر فوالله لكأني لم اقرأ هذه الاية قط • خرجه الحافظ ابو احمد حمزة بن الحرث كما ذكره الطبري في الرياض له وقال اخرج الترمذي معناه بتمامه • واستنشا الريح شمها اي شم ريح الموت • وعند احمد عن عايشة قالت سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستاذنا فاذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين • ثم جاء ابو بكر فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفي حديث ابن عباس عند البخاري ان ابا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فابى عمر ان يجلس فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال ابو بكر اما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت • قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال والله لكان الناس لم يعلموا ان الله انزل الاية حتى تلاها ابو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فلم اسمع بشرا من الناس الا يتلوها • وفي حديث ابن عمر عند ابن ابي شيبة ان ابا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا اظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال ايها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون • وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم اتى المنبر • الحديث • قال القرطبي ابو عبد الله المفسر وهذا ادل دليل على شجاعة الصديق فان الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصايب ولا مصيبة اعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعته وعلمه قال الناس لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطرب الامر فكشفه الصديق بهذه الاية فرجع عمر عن مقالته التي قالها • كما ذكر الوايلي ابو نصر عبيد الله في كتاب الابانة عن انس بن مالك انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بويع ابو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه السلام تشهد ثم قال اما بعد فاني قلت لكم امس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت ارجوا ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا اي يكون اخرنا موتا او كما قال فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو نصر المقالة التي قالها ثم رجع عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع ايدي وارجل • وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه وخشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كانها لم تنزل قط الا ذلك اليوم • انتهى • • وحكى ابن المنير لما مات صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اخرس فلم يطق الكلام ومنهم من اضني • وكان عمر ممن خبل

وكان عثمان ممن اخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما وكان علي ممن اقعد فلم يستطع حراكا
واضنى عبد الله بن انيس فمات كمدا وكان اثبتهم ابو بكر رضي الله عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف
الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء فعظمت
عن الصفة وجللت عن البكاء ولو ان موتك اختيار لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك
ولنكن من بالك • ووقع من حديث ابن عباس وعائشة عند البخاري ان ابا بكر قبل النبي صلى الله عليه
وسلم بعدما مات كما قدمناه وكذا في رواية يزيد بن بابنوس عنها عن احمد انه اتاه من قبل راسه فحدر
فاه فقبل وجهه ثم قال وانبياه ثم رفع راسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه ثم
رفع راسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال يا خليلاه • وعند ابن ابي شيبة عن ابن عمر فوضع
فاه على جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي ويقول بابي انت وامي طبت حيا
وميتا • وعن عائشة ان ابا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه
ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه اخرجه ابن عرفة العبدي كما
ذكره الطبري • قال ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما تضمن بيانه بانه
ندة لذلك من غير انزعاج ولا قلق خافتا به صوته ثم كنعت اليهم وقال لهم ما قال و
اخرج البيهقي وابو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه انهم شكوا في موته صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم
قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت اسماء بنت عميس يدها بين كتفيه فكان هذا الذي عرف به
موته • واخرج ابن سعد عن انس وقد ايضا لما توفي عليه السلام قالت فاطمة يا ابتاه اجاب ربا
دعاه يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه يا ابتاه الى جبريل ننعاه • رواه البخاري • قال الحافظ
ابن حجر رحمه الله • وقد قيل الصواب الى جبريل نعاه • جزم بذلك سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان
قال والاول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن وزاد الطبراني باسناد من ربه ما ادناه
وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة اشهر فما ضحكت تلك المدة و
حق لها ذلك • على مثل ليلى يقتل المرء نفسه • وان كان من ليلى على الهجر طاويا •
واخرج ابو نعيم عن علي رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا
الى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادي واحمداه • الحديث • كل المصائب
تهون عند هذه المصيبة • وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايها الناس ان احد
من الناس او من المؤمنين بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان احد
من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي اشد عليه من مصيبتي وقال ابو الجوزاء كان الرجل من اهل المدينة
اذا اصابته مصيبة جاءه اخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله اسوة حسنة
ويعجبني قول القائل • اصبر لكل مصيبة وتجلد • واعلم بان المرء غير مخلد •

واصبر كما صبر الكرام فانها • نوب تنوب اليوم تكشف في غد • واذا اتتك مصيبة
تشجى لها • فاذكر مصابك بالنبي محمد • تذكرت لما فرق الدهر بيننا • فعزيت نفسي بالنبي
محمد • وقلت لها ان المنايا سبيلنا • فمن لم يمت في يومه مات في غد •
كادت الجمادات تتصدع من الم فراقه صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين • ولما فقده
الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح • كان الحسن اذا حدث بهذا
الحديث بكى وقال هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم احق ان تشتاقوا اليه
وروي ان بلالا لما كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال اشهد
ان محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ترك بلال الاذان • ما امر عيش
من فارق الاحباب • خصوصا من كانت رؤيته حياة الابرار •
لو ذاق طعم الفراق رضوى • لكاد من وجده يميد • قد حملوني عذاب شوق • يعجز عن حمله الحديد •
وقد كان وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف في وقت دخوله المدينة في هجرته حين
اشتد الضحى ودفن يوم الثلاثاء • وقيل ليلة الاربعاء • فعند ابن سعد في الطبقات عن علي توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء • وعنده ايضا عن عكرمة توفي
يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل • وعنده ايضا عن عثمان
ابن محمد الاخنسي توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الاربعاء • وروي ايضا
عن ابن عباس بن سهل عن ابيه عن جده توفي يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلاثاء حتى
دفن يوم الاربعاء • ورثته عمته صفية بمراثي كثيرة منها قولها
الا يا رسول الله كنت رجاءنا • وكنت بنا برا ولم تك جافيا • وكنت رحيما هاديا
معلما • ليبك عليك اليوم من كان باكيا • كان على قلبي لذكر محمد • على حبيبه مني بثريه
ثاويا • فداء لرسول الله امي وخالتي • وعمي وخالي ثم نفسي وماليا • فلو ان رب الناس ابقى نبينا
سعدنا ولكن امره كان ماضيا • عليك من الله السلام تحية • وادخلت جنات من العدن
راضيا • ارى حسنا ايتمته وتركته • يبكي ويدعو جده اليوم نائيا •
ورثاه ابو سفيان بن الحارث فقال
ارقت فبت ليلي لا يزول • وليل اخي المصيبة فيه طول • واسعدني البكاء وذاك فيما
اصيب المسلمون به قليل • لقد عظمت مصيبتنا وجلت • عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها • تكاد بنا جوانبها تميل • فقدنا الوحي والتنزيل فينا • يروح به ويغدو
جبريل • نبي كان يجلو الشك عنا • بما يوحى اليه وما يقول • ويهدينا فلا نخشى ضلالا
علينا والرسول لنا دليل • افاطم ان جزعت فذاك عذر • وان لم تجزعي ذاك السبيل • فقبر
ابيك سيد كل قبر • وفيه سيد الناس الرسول •
ورثاه الصديق رضي الله عنه

لما رأيت نبينا متجدلا • ضاقت علي بعرضهن الدور • فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه • والعظم
مني ما حييت كسير • أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى • فالصبر عنك لما لقيت يسير • يا
ليتني من قبل مهلك صاحبي • غيبت في جدث علي صخور • فلتحدثن بدائع من بعده •
تعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق رضي الله عنه أيضا بقوله

ودعنا الوحي إذ وليت عنا • فودعنا من الله الكلام • سوى ما قد تركت لنا رهينا •
تضمنه القراطيس الكرام

ولقد أحسن حسان بقوله يرثيه عليه السلام

كنت السواد لناظري • فعمي عليك الناظر • من شاء بعدك فليمت • فعليك كنت أحاذر •

ولما تحقق عمر بن الخطاب موته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر الصديق رجع إلى قوله فطفق وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول • الخبر ذكره أبو العباس القصار في شرحه لبردة الأبوصيري ونقله عن الرشاطي في كتابه اقتباس الأنوار والتماس الأزهار • وذكر ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في شفائه لكنه ذكر بعضه ووقع في كثير من نسخ الشفاء وبكى عمر رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكى والصواب فيها التخفيف لأن هذا الكلام إنما سمع من عمر رضي الله عنه بعد موته صلى الله عليه وسلم كما تقدم • وقد نبهت عليه في حاشية الشفاء • والله أعلم ويؤيد هذا قوله في الخبر نفسه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى إذا كان قرب السحر نمت فهتف هاتف وهو يقول •

خطب أجل أناخ بالإسلام • بين النخيل ومقعد الأطام • قبض النبي محمد فعيوننا • تذري الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض أو هو ميت فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومن عجيب ما اتفق ما روي عن عائشة أنهم لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه

فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص • رواه البيهقي في دلائل النبوة • وروى ابن ماجه بسند جيد يرفعه إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس في النهاية بفتح الغين المعجمة وسكون الراء والسين المهملة • وقد روى ابن النجار أنه عليه السلام قال رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبزق فيها وغسل صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الأولى بالماء القراح والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور • وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم وأسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني إلا أنت فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه • رواه البزار والبيهقي • وأخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وأخرج أبو داود وصححه الحاكم عن علي قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئا وكان طيبا حيا وميتا • وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط قيل وجعل علي على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضئ منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا وندا • وذكر ابن الجوزي أنه روي عن جعفر بن محمد قال كان الماء يستنقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي يحسوه • وأما ما روي أن عليا لما غسله عليه السلام امتص ماء محاجر عينيه فشربه وأنه قد ورث بذلك علم الأولين والآخرين فقال النووي ليس بصحيح • وفي حديث عروة عن عائشة قالت كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية أخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه الأئمة الستة من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي • ولابن ماجه • زاد مسلم • أما الحلة فإنما شبه على الناس فيها أنها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية فأخذها عبد الله بن أبي بكر فقال لأحبسنها حتى أكفن فيها نفسي • ثم قال لو رضيه الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها • وفي رواية له أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة يمنية كانت لعبد الله بن أبي بكر ثم نزعت عنه وذكر الحديث • وفي رواية أصحاب السنن الأربعة فذكر لعائشة قولهم في ثوبين وبرد حبرة فقالت قد أتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه • وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلاثة أثواب سحولية جدد • والسحولية بضم السين وفتحها قال النووي والفتح أشهر وهو رواية الأكثرين • وفي النهاية تبعا للهروي فالفتح منسوب إلى السحول وهو القصار لأنه يسحلها أي يغسلها أو إلى سحول وهي قرية باليمن • وأما الضم فهو جمع سحل وهو

الثوب الابيض النقي ولا يكون الا من قطن وفيه شذوذ لانه نسب الى الجمع • وقيل اسم القرية بالضم ايضا والكرسف بضم الكاف واسكان الراء وضم السين المهملتين والفاء القطن • وقال الترمذي روي في كفن النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة وحديث عائشة اصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه عند اكثر اهل العلم من الصحابة وغيرهم • وقال البيهقي في الخلافيات قال ابو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي بن ابي طالب وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن المغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وعن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة اثواب • وقد روى هذا الحديث احمد في مسنده • وذكر ابن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل او ممن بعده • وقد اختلف في معنى قوله ليس فيها قميص ولا عمامة • فالصحيح ان معناه انه ليس في الكفن قميص ولا عمامة اصلا • والثاني ان معناه انه كفن في ثلثة اثواب خارج عن القميص والعمامة • قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والاول الظهر في المراد وذكر النووي في شرح مسلم ان الاول تفسير الشافعي وجمهور العلماء قال وهو الصواب الذي يقتضيه الحديث ثم قال ان الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة انتهى • وترتب على هذا اختلافهم في انه هل يستحب ان يكون في الكفن قميص وعمامة ام لا فقال مالك والشافعي واحمد يستحب ان يكون الثلاث اللفايف ليس فيها قميص ولا عمامة • واختلفوا في زيادة القميص والعمامة او غيرهما على اللفايف الثلاث لتصير خمسة • فذكر الحنابلة انه مكروه • وقال الشافعية انه جائز غير مستحب • وقال المالكية انه يستحب للرجال والنساء • وهو في حق النساء اكد • قالوا والزيادة الى السبعة غير مكروهة وما زاد عليها سرف • وقال الحنفية ان الاثواب الثلاثة ازار وقميص ولفافة • وقد اجمع المسلمون على وجوبه وهو فرض كفاية فيجب في ماله فان لم يكن له مال فعلى من يلزمه نفقته • واختلف اصحابنا في المزوجة اذا كان لها مال هل يجب كفنها من مالها او على زوجها فذهب الى الاول الرافعي في الشرح الصغير والمحرر والنووي في المنهاج وذهب الى الثاني الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة وشرح المهذب وقال فيه قيد الغزالي وجوب الكفن على الزوج بشرط اعسار المرأة والمذكور عليه انتهى • ومتى كانت معسرة فتكفينها على زوجها قطعا • ثم ان الواجب ثوب واحد وهو حق الله تعالى لا ينفذ وصية الميت باسقاطه بخلاف الثاني والثالث • فانه حق للميت تنفذ وصيته باسقاطها • دل هذا الحديث ايضا دلالة على ان القميص الذي غسل فيه النبي صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قال النووي في شرح مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو ابقي مع رطوبته لافسد الاكفان • واما الحديث الذي في سنن ابي داود عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب الحلة ثوبان وقميصه الذي توفي فيه فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد

احمد

مطلب لم يؤم الناس احد عند الصلاة على جنازته

احمد وانه مجمع على ضعفه لاسيما وقد خالف بروايته الثقات • وفي حديث ابن عباس عند ابن ماجة لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلثاء وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يصلون حتى اذا فرغوا دخل النساء حتى اذا فرغوا دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد • وفي رواية ان اول من صلى عليه الملائكة افواجا ثم اهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه اخرا • وروي انه صلى الله عليه وسلم لما صلى عليه اهل بيته لم يدر الناس ما يقولون فسألوا ابن مسعود فامرهم ان يسألوا عليا فقال لهم قولوا ان الله وملائكته يصلون عليه الاية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد المبشر الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام • وذكر الشيخ زين الدين ابو الحسن المراغي في كتابه تحقيق النصرة انهم لما اختلفوا اين يدفن فقال ابو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هلك نبي قط الا يدفن حيث يقبض روحه وقال علي رضي الله عنه وانا ايضا سمعته • وحفر ابو طلحة لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع فراشه حيث قبض • وقد اختلف فيمن ادخله قبره واصح ما روي انه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم ابن العباس والفضل بن العباس وكان اخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس • وروي انه جعل في قبره تبع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر وقال والله لا يلبسها احد بعدك قال النووي وقد نص الشافعي وجميع اصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة او مضربة او مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر • وشذ البغوي من اصحابنا فقال في كتابه التهذيب لا باس بذلك لهذا الحديث • والصواب كراهة ذلك • كما قاله الجمهور • واجابوا عن هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهيته ان يلبسها احد بعد النبي صلى الله عليه وسلم • انتهى • وفي كتاب تحقيق النصرة قال ابن عبد البر ثم اخرجت تلك القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة • ولما دفن صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب واخذت من تراب القبر الشريف فوضعته على عينيها وانشأت تقول

ماذا على من شم تربة احمد • ان لا يشم مدى الزمان غواليا •
صبت علي مصايب لو انها • صبت على الايام صرن لياليا

قال رزين ورش قبره صلى الله عليه وسلم رشه بلال بن رباح بقربة بدا من قبل رأسه • حكاه ابن عساكر • وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء • ورفع قبره صلى الله عليه وسلم من الارض قدر شبر • وفي حديث عائشة عند البخاري قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد لولا ذلك

ابرز قبره غير انه خَشِيَ او خُشِيَ ان يتخذ مسجدا • كذا في رواية ابي عوانة عن هلال خشي او خُشي
على الشك وفي رواية الصحيح بهذه يمكن ان تفسر بانها هي التي منعت من ابرازه لهاء ضمير الشان
وكانها ارادت نفسها ومن وافقها على ذلك • وهذا يقتضي انهم فعلوا باجتهاد بخلاف
رواية الفتح فانها تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امرهم بذلك وقوله لابرز قبره
اي لكشف قبره صلى الله عليه وسلم ولم يتخذ عليه الحايل والمراد الدفن خارج بيته • وهذا قالت
عايشة قبل ان يوسع المسجد • ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محدودة لا يتاتى
لاحد ان يصلي الى جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة • وفي البخاري ايضا من حديث ابي
بكر بن عياش عن سفيان التمار انه حدثه انه راى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما اي مرتفعا
زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر ابي بكر وعمر رضي الله عنهما كذلك واستدل به على ان المستحب تسنيم
القبور وهو قول ابي حنيفة ومالك واحمد والمزني وكثير من الشافعية وادعى القاضي حسين
اتفاق الاصحاب عليه • ونقض جماعة من علماء الشافعية استحبوا التسطيح كما نص عليه
الشافعي وبه جزم الماوردي وآخرون • وقول سفيان التمار لا حجة فيها • كذا قال • وروى ابو داود
والحاكم من طريق القسم بن محمد بن ابي بكر قال دخلت على عايشة فقلت يا امه اكشفي لي عن قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكشفت لي عن ثلثة قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء
زاد الحاكم فرايت رسول الله مقدما وابا بكر راسه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمر راسه عند
رجلي النبي صلى الله عليه وسلم • وهذا كان في خلافة معاوية فكانها كانت في الاول مسطحة ثم لما بني
جدار القبر في امارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة
وقد روى ابو بكر الآجري في كتاب صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من طريق اسحق بن عيسى بن بنت
داود بن ابي هند عن غنيم بن بسطام المديني قال رايت قبر النبي صلى الله عليه وسلم في امارة عمر بن
عبد العزيز فرايته مرتفعا نحوا من اربع اصابع ورايت قبر ابي بكر وراء قبره ورايت قبر عمر وراء قبر
ابي بكر اسفل منه • ثم الاختلاف في ذلك في ايهما افضل لا في اصل الجواز • ورجح المزني التسنيم من
حيث المعنى بان السطح يشبه ما يصنع للجلوس عليه بخلاف المسنم • ورجح التسطيح ما رواه مسلم
من حديث فضالة بن عبيد انه امر بقبر فسوي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها
وعن هشام بن عروة عن ابيه لما سقط عليهم الحايط يعني حايط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم في زمان الوليد بن عبد الملك
اخذوا في بنايه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انها قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا احدا يعلم ذلك حتى
قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم ما هي الا قدم عمر • رواه البخاري ايضا • والسبب في ذلك
ما رواه الآجري من طريق شعيب بن اسحق عن هشام بن عروة قال اخبرني ابي قال كان الناس يصلون
الى القبر الشريف فامر عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي اليه احد فلما هدم بدت قدم بساق وركبة
ففزع عمر بن عبد العزيز فاتاه عروة فقال هذا ساق عمر وركبته فسري عن عمر بن عبد العزيز وروى
الآجري • قال رجاء بن حيوة قبر ابي بكر عند وسط النبي صلى الله عليه وسلم وعمر خلف ابي بكر راسه عند

حجرتها

صلى الله عليه وسلم

وسطه

وسطه • وهذا ظاهره يخالف حديث القاسم فان امكن الجمع والا فحديث القاسم اصح واما
ما اخرجه ابو يعلى من وجه اخر عن عايشة ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف
انتهى ملخصا من فتح الباري • وقد اختلف اهل السير وغيرهم في صفة القبور المقدسة
على سبع روايات اوردها ابن عساكر في تحفة الزاير • ونقل اهل السير عن سعيد بن المسيب
انه بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيها عيسى بن مريم عليهما السلام ويكون
قبره الرابع • وفي المنتظم لابن الجوزي عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل
عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في
قبري فاقوم انا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين ابي بكر وعمر كذا ذكره في تحقيق النصرة والله اعلم
فان قلت قد تقدم انه عليه السلام توفي يوم الاثنين ودفن يوم الاربعاء فلم اخر دفنه عليه السلام
وقد قال عليه السلام لاهل بيت اخروا دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه فالجواب
لما ذكر من عدم اتفاقهم على موته او لانهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن • قال قوم في البقيع وقال
اخرون في المسجد • وقال قوم يحمل الى ابيه ابراهيم حتى يدفن عنده • حتى قال العالم الاكبر صديق
الامة سمعته يقول ما دفن نبي الا حيث يموت ذكره ابن ماجة والموطا كما تقدم • وفي رواية
الترمذي ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يجب ان يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه • او
لانهم اشتغلوا في الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والانصار في البيعة فنظروا فيها حتى استقر
الامر في الخلافة ونظمها فبايعوا ابا بكر ثم بايعوه بالغد بيعة اخرى عن ملاء منهم وكشف
الله الكربة من اهل الردة ثم رجعوا بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في دفنه فغسلوه
وكفنوه • ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة لا كزينة المدينة
بيوم قدوم الملك اذا كان عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا واستبشارا لقدوم
روحه فكيف بقدوم روحه صلى الله عليه وسلم كما رواه ابو داود من حديث انس • وفي رواية الدارمي
قال انس ما رايت يوما كان احسن ولا اضوا من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما رايت يوما كان اقبح ولا اظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفي رواية
الترمذي لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء
فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء وما نفضنا ايدينا عن التراب وانا لفي دفنه
حتى انكرنا قلوبنا • ومن اياته عليه السلام بعد موته ما خرج حماره عليه حتى تردى في بير
وكذا ناقته فانها لا تاكل ولا تشرب حتى ماتت من ذلك وظهور ما اخبر انه كاين بعد موته مما
لا نهاية ولا تحصى مما ذكرت بعضه في المقصد الثامن • وفي حديث ابي موسى عند مسلم
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين

يعني ابا بكر رضي الله عنه

جين كذبوه وعصوا امره • وانما كان قبض النبي قبل امته خيرا لامته اذا مضوا انقطعت
اعمالهم واذا اراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظين على ما امر واجتنبوا العبادة و
حسن المعاملة لئلا يبعد نسل وعقبا بعد عقب

الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف • اعلم ان زيارة قبره صلى الله عليه وسلم
من اعظم القربات وارجا الطاعات والسبيل الى اعلا الدرجات • ومن اعتقد غير هذا فقد
انخلع من ربقة الاسلام وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الاعلام • وقد اطلق بعض
المالكية وهو ابو عمران الفاسي كما ذكره في المدخل من تهذيب الطالب لعبد الحق انها واجبة
قال ولعله اراد وجوب السنن المؤكدة • وقال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها
وفضيلة مرغب فيها • وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي • ورواه عبد الحق في احكامه الوسطى وفي الصغرى
وسكت عنه وسكوته عن الحديث فيهما دليل على صحته • وفي المعجم الكبير للطبراني ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون شفيعا له يوم القيمة
وصححه ابن السكن • وروى عنه صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يغد الي فقد جفاني
ذكره ابن فرحون في مناسكه والغزالي في الاحياء • ولم يخرجه العراقي بل اشار الى ما اخرجه ابن
النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن انس بلفظ ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني الا
وليس له عذر • ولابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفا والدارقطني في العلل وغرائب مالك
واخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعا من حج ولم يزرني فقد جفاني • ولا يصح وعلى تقدير ثبوته فليتامل
فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفا اذى والاذى حرام بالاجماع فيجب الزيارة
اذ ازالة الجفا واجبة وهي بالزيارة • فالزيارة واجبة حينئذ • وبالجملة فمن تمكن من زيارته ولم يزره
فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك • وعن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي
فكانما زارني في حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من الامنين • رواه البيهقي عن رجل من ال حاطب
لم يسمه عن حاطب • وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري او
قال من زارني كنت له شفيعا او شهيدا • رواه البيهقي وغيره عن رجل من ال عمر لم يسمه عن عمر رضي الله عنه
وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري
يوم القيمة • رواه البيهقي ايضا • قال العلامة زين الدين بن الحسين المراغي وينبغي لكل مسلم اعتقاد
كون زيارته صلى الله عليه وسلم قربة للاحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول • الاية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم
لا ينقطع بموته • ولا يقال ان استغفار الرسول لهم انما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك
لما اجاب به بعض ائمة المحققين ان الاية دلت على تعليق وجدان الله تعالى توابا رحيما بثلاثة

امور

امور المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول لهم وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين
والمؤمنات لانه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين و
المؤمنات فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الامور الثلثة الموجبة لتوبة الله تعالى و
رحمته • وقد اجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي واوجبها الظاهرية
فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق • ولان زيارة القبور تعظيم وتعظيمه
صلى الله عليه وسلم واجب • ولهذا قال بعض العلماء لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال
والنساء وان كان محل الاجماع على استحباب زيارة القبور للرجال وفي النساء خلاف
الاشهر في مذهب الشافعية الكراهة • قال ابن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه
وسلم والصلوة في مسجده فان فيه من الرغبة ما لا غناء بك ولا باحد عنه • وينبغي لمن
نوى الزيارة ان ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلوة فيه لانه احد المساجد
الثلثة التي لا تشد الرحال الا اليها وهو افضلها عند مالك • وليس لشد الرحال الى غير المساجد
فضل لان الشرع لم يجئ به وهذا الامر لا يدخله قياس لان شرف البقعة انما يعرف بالنص الصريح
وقد ورد النص في هذه دون غيرها • وقد صح ان عمر بن عبد العزيز يبرد البريد بالسلام على النبي صلى
الله عليه وسلم فالسفر اليه قربة لعموم الادلة • ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج
من اصحابنا وعبارته اذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفا وجها واحدا انتهى
ولو نذر اتيان المسجد الاقصى للصلوة لزمه على الاصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه
يخرج عنه بالصلوة في المسجد الحرام • وصحح النووي ايضا انه يخرج عنه بالصلوة في مسجد
المدينة • قال ونص عليه الشافعي في البويطي وبه قال الحنفية والحنابلة • وللشيخ تقي الدين
ابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية وانه ليس من القرب
بل بضد ذلك • ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام فشفا صدور المؤمنين
وحكى الشيخ ولي الدين العراقي ان والده كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الدمشقي
في التوجه الى بلد الخليل عليه السلام فلما دنا من البلد قال نويت الصلوة في مسجد الخليل ليحترز
عن شد الرحل لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام
ثم قلت له اما انت فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد
وقد شددت الرحل الى مسجد رابع • واما انا فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال زوروا
القبور افقال الا قبور الانبياء قال فبهت • وينبغي لمن اراد الزيارة ان يكثر من الصلوة والتسليم
عليه في طريقه فاذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما يعرف بها فليزد من الصلوة عليه
والتسليم وليسأل الله تعالى ان ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين وليغتسل وليلبس النظيف
من ثيابه وليترجل ماشيا باكيا • لما رأى وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم القوا انفسهم

عن رواحلهم ولم ينيخوها وتسارعوا اليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه •
ورويناما ذكره القاضي عياض في الشفا ان ابا الفضل الجوهري لما ورد الى المدينة زائرا وقرب
من بيوتها ترجل ماشيا باكيا منشدا •

ولما راينا رسم من لم يدع لنا • فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا • نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن بان
عنه ان نلم به ركبا •

واثبت ان العلامة ابا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة
سنة اربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير ابو عبد الله بن ابي القاسم بن الحكيم وكان ارمد
فلما دخلنا ذا الحليفة او نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فاحتسى فنزل وبادر الى المشي
على قدميه احتسابا لتلك الاثار واعظاما لمحل تلك الديار فاحس بالشفا فانشد لنفسه
في وصف الحال

ولما راينا من ربوع حبيبنا • بيثرب اعلاما اثرن لنا الحبا • وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا
وحين تبدى للعيون جمالها • ومن بعدها عنا ادلت لنا قربا • نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة •
لمن حل فيها ان نلم به ركبا • نسح سجال الدمع في عرصاته • ونلثم من حب لواطئه الترابا
وان بقائي دونه لخسارة • ولو انني كفي تملا الشرق والغربا • فيا عجبا ممن يحب بزعمه •
يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا • وزلات مثلي لا تعدد كثرة • وبعدي عن المختار اعظمها ذنبا

ولما كنت سايرا لقصد الزيارة في ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين وثمانماية ولاح لنا الصباح
جبريل مفرح الارواح المبشر بقرب المزار من اشرف الديار فبرقت لوامع الانوار النبوية تسابق
الزوار اليه وتعالوا بالصعود عليه استعجالا لمشاهدة تلك الاثار وهبت عرف نسمات
المعارف المحمدية فطبنا وغنينا اذ شهدنا اعلام ديار اشرف البرية

الا يا برق يغتدي ويروح • امن النور من ارض الحجاز يلوح • وريح الصبا بعثت بطيب عرفهم
ام الروض في وجه الصباح يفوح • اذا اريح ذاك الحي هبت فانها • حياة لمن يغدو لها ويروح
ترفق بنا يا حادي العيس التفت • فللنور بين الواديين وضوح • فما هذه الا ديار محمد
وذاك سناها يغتدي ويروح • والا فما للركب هاج اشتياقهم • فكل من الشوق الشديد يصيح
واثت مطايا الركب حتى كانها • حمام على قضب الاراك تنوح • وقد مدت الاعناق شوقا
وطرفها • الى النور من تلك الديار يلوح • رات دار من تهوى فزاد اشتياقها • ومدمعها
في الوجنتين سفوح • اذا العيس باحت بالغرام ولم تطق • خفاء فما للصب ليس يبوح •

ولما قربنا من المدينة واعلامها وتدانينا من معاينة رباها الكريمة واكامها وانتشقنا عرف لطائف
ازهارها • وبدت لنواظرنا بوارق انوارها • وترادفت واردات المنح والعطايا • ونزل القوم
عن المطايا فانشدت متمثلا • اتيتك زائرا ووددت اني • جعلت سواد عيني امتطيه •
ومالي لا اسير على الماقي • الى قبر رسول الله فيه • ولما وقع بصري على القبر الشريف

والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى اصابت بعض الثرى والجدرات
ايها المغرم المشوق هنيئا • ما انالوك من لذيذ التلاقي • قل لعينيك تهملان سرورا
طالما اسعدتك يوم الفراق • واجمع الوجد والسرور ابتهاجا • وجميع الاشجان والاشواق
وامر العين ان تفيض انهمالا • وتوالي بدمعها المهراق • هذه دارهم وانت محب •
ما بقاء الدموع في الاماق • وكان مما كان لست اذكره • فظن خيرا ولا تسال عن الخبر •
ويستحب صلوة ركعتين قبل الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف
عليه الصلوة والسلام فان كان استحب الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة وهو
استدراك حسن قاله بعض شيوخنا • وفي منسك ابن فرحون فان قلت المسجد انما
باضافته اليه صلى الله عليه وسلم فينبغي البداءة بالوقوف عنده صلى الله عليه وسلم
قلت قال ابن حبيب في اول كتاب الصلوة حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه قال قدمت من سفر فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم عليه وهو
بفناء المسجد فقال ادخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل
فيه ثم ائت فسلم علي • ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلوة وقال ابن الحاج وكل ذلك
واسع • ولعل هذا الحديث لم يبلغهم • والله اعلم انتهى • وينبغي للزاير ان يستحضر من الخشوع
ما امكنه • وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار • وفي البخاري ان عمر رضي الله عنه
قال للرجلين من اهل الطايف لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لا ينبغي رفع
الصوت على نبي حيا ولا ميتا • وروي عن عايشة رضي الله عنها انها كانت تسمع صوت
الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم
لا توذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم • قالوا وما عمل علي بن ابي طالب رضي الله عنه مصراعي داره
الا بالمناصع توقيا لذلك نقله ابن زبالة فيجب الادب معه كما في حياته • وينبغي للزاير ان
يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو ابلغ في الادب
من الاتيان من جهة راسه المكرم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم بان
يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم
لان هناك عدة قناديل • وقد روي ان مالكا لما سأله ابو جعفر المنصور العباسي يا ابا عبد
الله استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعو ام استقبل القبلة وادعو فقال له مالك ولم تصرف
وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله عز وجل يوم القيمة •
وينبغي ان يقف عند محاذاة اربعة اذرع ويلازم الادب والخشوع والتواضع غاض البصر في مقام

الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته اذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفاء به فان قلت هذه الصفات مختصة بالله تعالى قلت ان من انتقل الى عالم البرزخ من المؤمنين يعلم احوال العباد من الاحياء غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب • وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم • ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه السلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته وان اكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه الا كاخي السرار تعظيما لما عظم الله من شانه • وقد روى ابن النجار ان امرأة سالت عائشة رضي الله عنها ان اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته فبكت حتى ماتت • وحكي عن ابي الفضائل الحموي احد خدام الحجرة المقدسة انه شاهد شخصا من الزوار الشيوخ اتى باب مقصورة الحجرة الشريفة فطاطا راسه نحو العتبة فحركوه فاذا هو ميت وكان ممن شهد جنازته • ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح واطراق السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا حبيب الله • السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين السلام عليك وعلى ازواجك الطاهرات امهات المؤمنين السلام عليك وعلى اصحابك اجمعين السلام عليك وعلى سائر الانبياء وسائر عباد الله الصالحين جزاك الله يا رسول الله افضل ما جزى نبيا ورسولا عن امته وصلى الله عليك كما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون • اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك عبده ورسوله وامينه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت في الله حق جهاده • ومن ضاق وقته في ذلك او عن حفظه فليقل ما تيسر منه او مما يحصل به الغرض • وفي التحفة ان ابن عمر وغيره من السلف كانوا يقتصرون ويوجزون في هذا جدا • فعن مالك بن انس امام دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشان من رواية ابن وهب عنه يقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته • وعن نافع عن ابن عمر كان اذا قدم من سفر دخل المسجد ثم اتى القبر المقدس فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه • وينبغي ان يدعو ولا يتكلف السجع فانه قد يؤدي الى الاخلال بالخشوع • وقد حكى جماعة منهم الامام ابو نصر بن الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن ابي سفيان صخر بن حرب

عن

توفي في سنة ثمان وعشرين ومائتين وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن عن محمد بن حرب الهلالي قال اتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذائه فجاء اعرابي فزاره ثم قال يا خيرة الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وانشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه • فطاب من طيبهن القاع والاكم • نفسي الفداء لقبر انت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم •

ووقف اعرابي على القبر الشريف وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت لجميع الخلق اذهب فقد اعتقناك من النار •

ان الملوك اذا شابت عبيدهم • في رقهم عتقوهم عتق ابرار • وانت يا سيدي اولى بذا كرما • قد شبت في الرق فاعتقني من النار •

وعن الحسن البصري وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا ما اذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت من الزوار مغفورا لكم • وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره والاولى ان ينادي يا رسول الله وان كان الرواية يا محمد • انتهى • وقد نبهت على ذلك مع مزيد بيان في كتاب لوامع الابرار في الادعية والاذكار فان اوصاه احد بابلاغ السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يا رسول الله من فلان • ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي بكر رضي الله عنه لان راسه بحذاء منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جزم به رزين وغيره وعليه فيقول السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين السلام عليك يا من ايد الله به يوم الردة الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به • ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول السلام عليك يا امير المؤمنين السلام عليك يا من ايد الله به الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به • ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام على سيدنا ابي بكر وعمر فيحمد الله تعالى ويمجده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعاء والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة ويسأل الله تعالى بجاهه ان يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه • وقد روى ابو داود من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وعند ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة مرفوعا من صلى علي

عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته • وعن سليمان بن سحيم مما ذكره القاضي عياض في
الشفاء قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك
فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم • ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم السلام
ثابتة معلومة مستمرة ثابتة لما أن لرد روحه معنى ونبينا صلى الله عليه وسلم أفضلهم وإذا
وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته أكمل وأتم من حياة سائرهم فإذا قال [illegible] ردّ
العلم لو كانت حياته صلى الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى إلا رد الله علي
روحي يجاب عن ذلك من وجوه أحدها أن هذا الكلام بثبوت وصف الحياة دائما
لثبوت رد السلام دائما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند وجود
الملزوم ملزومه فوصف الحياة ثابت دائما لأن ملزومه ثابت دائما وهذا من نفائس
سحر البيان في إثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة وأكمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار
العظمى • ومنها أن ذلك عبارة عن إقبال خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبوية إلى
عالم الدنيا وقوالب الأجساد الترابية وتنزل إلى دائرة البشرية حتى يحصل عند ذلك رد السلام • و
هذا الإقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون في كل لحظة أكثر من ألف ألف لوسعهم ذلك
الإقبال النبوي والالتفات الروحاني ولقد رأيت من ذلك ما لا أستطيع أن أعبر عنه • ولقد أحسن
من مثل كيف يرد النبي صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه في مشارق الأرض ومغاربها في آن واحد
أنشد قول أبي الطيب • كالشمس في وسط السماء ونورها • يغشى البلاد مشارقا ومغاربا •
ولا ريب أن حالة صلى الله عليه وسلم في البرزخ أفضل وأكمل من حال الملائكة هذا سيدنا عزرائيل
يقبض مائة ألف روح في وقت واحد ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله
مقبل على التسبيح والتقديس فنبينا صلى الله عليه وسلم حي يصلي ويعبد ربه ويشاهده لا يزال
في حضرة اقترابه متلذذا بسماع خطابه وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون
في أواخر الخصائص من المقصد الرابع • وقد روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كانت
أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف
وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكره ابن النجار وابن زبالة
بلفظ قال سعيد يعني ابن المسيب فلما حضرت سمعت الأذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت
الإقامة فصليت الظهر ثم مضى ذلك الأذان والإقامة في القبر المقدس لكل صلوة حتى مضت الثلاث
ليال يعني ليالي أيام الحرة • وقد روى البيهقي من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الأنبياء
أحياء في قبورهم يصلون • وفي رواية لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله
حتى ينفخ في الصور • وله شواهد في الصحيح منها قوله صلى الله عليه وسلم مررت بموسى وهو قائم يصلي في
قبره • وفي حديث أبي ذر في قصة المعراج أنه لقي الأنبياء في السموات وكلموه • وقد ذكرت مزيد بيان

في حجة

في حجة الوداع من مقصد عبادته وفي ذكر الخصائص الكريمة في مقصد معجزاته وفي مقصد الإسراء
والمعراج وهذه الصلوات والحج الصادر من الأنبياء ليس على سبيل التكليف إنما هو على سبيل التلذذ
ويحتمل أن يكونوا في البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور
من غير خطاب بتكليف والله الموفق • وإذا ثبت بشهادة قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حياة الشهيد ثبت للنبي صلى الله عليه وسلم بطريق
الأولى والذي عليه جمهور العلماء أن الشهداء أحياء حقيقة • وهل ذلك للروح فقط أو للجسد
معها بمعنى عدم البلاء فيه قولان • وقد صح عن جابر أن أباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهد
بأحد ودفنا في قبر واحد حتى حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا وكان أحدهما قد جرح فوضع يده
على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك و
بين أحد ست وأربعون سنة • وروي عنه عليه السلام أنه قال في شهداء أحد والذي نفسي بيده
لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه • رواه البيهقي عن أبي هريرة • وقد قال ابن شهاب
بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا علي من الصلوة في الليلة الزاهرة واليوم الأزهر فإنهما
يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء • رواه أبو داود وابن ماجه •
ونقل ابن زبالة عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلمه روح القدس لم يؤذن للأرض
أن تأكل من لحمه وقد ثبت أن نبينا صلى الله عليه وسلم مات شهيدا لأكله يوم خيبر من شاة مسمومة
سما قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر بن البراء وصار بقاؤه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان
به ألم السم يتعاهده إلى أن مات به • ولذا قال في مرضه الذي مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعاودني
حتى كان الآن فقطعت أبهري • والأبهران عرقان يخرجان من القلب يتشعب منهما الشرايين كما ذكره
في الصحاح • قال العلماء فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة • انتهى • وقد اختلف في
محل الوقوف للدعاء فعند الشافعية أنه قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم كما ذكرته • وقال ابن
فرحون من المالكية اختلف أصحابنا في محل الوقوف للدعاء ففي الشفا قال مالك في رواية ابن وهب
إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف للدعاء ووجهه إلى القبر الشريف لا إلى القبلة أو
أدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة • وقال مالك في المبسوط لا أرى أن يقف
عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضي • قال ابن فرحون ولعل ذلك اختلاف قول والأمر المنصور
لأنه يعلم ما يدعو ويعلم آداب الدعاء بين يديه صلى الله عليه وسلم فأمن عليه من سوء الأدب فأفتى
بذلك وأفتى العامة بأن يسلموا ويمضوا لئلا يديموا [illegible] وجهه الكريم ويتوسلوا به في حضرته إلى
الله العظيم فيما لا ينبغي الدعاء به أو فيما يكره أو يحرم فمقاصد الناس وسرائرهم مختلفة و
أكثرهم لا يقوم بآداب الدعاء ولا يعرفها فلذلك أمرهم بالسلام والانصراف • انتهى •

ورأيت مما نسبت للشيخ تقي الدين ابن تيمية في منسكه ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة ولا يلصق بها
ولا يقبلها فان هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك
والحكاية المروية عنه أنه أمر المنصور أن يستقبل القبر وقت الدعاء كذب على مالك كذا قال
فالله أعلم • انتهى • وأما قول الأبوصيري في بردة المديح • لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه • طوبى
لمنتشق منه وملتثم • فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره كأنه إشارة إلى النوعين المستعملين
في الطيب لأنه إما أن يستعمل بالشم وإليه أشار بقوله لمنتشق وإما بالتضمخ وإليه أشار بملتثم قال
وأقل ذلك يتضمخ بوجهه وأنفه بتربته حال السجود في مسجده عليه السلام فليس المراد به تقبيل
القبر الشريف فإنه مكروه • ونقل الزركشي والسبكي أن طوبى الطيب • وكذا قال ابن مرزوق
طوبى فعلى من الطيب وهذا مبني على أن المراد أن تربته أفضل أنواع الطيب باعتبار الحقيقة
وذلك إما لأنه كذلك في نفس الأمر أدركه من أدركه أم لا وإما باعتقاد المؤمن في ذلك فإن المؤمن
لا يستلذ رائحة تربته عليه الصلاة والسلام شيئا من الطيب **فإن قلت** لو كان المراد الحقيقة
الحسية لأدرك ذلك كل أحد **فالجواب** لا يلزم من قيام المعنى بمحل إدراكه لكل أحد بل حتى
يوجد الشرط وتنتفي الموانع وعدم الإدراك لا يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على
انتفاء المدلول • فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك مع أن الرائحة قائمة بالمسك ولم ينكشف أحوال القبر من الأمور
الأخروية لا يدركها من الأحياء إلا من كشف له الغطاء من الأولياء المقربين لأن متاع الآخرة باق ومتاع
الدنيا فان والفاني لا يجتمع بالباقي للتضاد ولا ريب عند من له أدنى تعلق بشريعة الإسلام
أن قبره روضة من رياض الجنة بل أفضلها وإذا كان القبر كذلك كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف
الذي هو أطيب الطيب فلا مرية أنه لا طيب يعدل ترابا قبره المقدس • ويرحم الله أبا العباس أحمد بن محمد
العريف حيث يقول في قصيدته التي أولها

إذا ما حدى الحادي بأجمال يثرب • تلت المطايا فوق خدي تعبق • فما عبق الريحان إلا ذر تربها • أجل
من الريحان طيبا وأعبق •

وله أيضا

راحت ركابهم تشكو روائحها • طيبا فما طيبة إلا الوفد إذ جاءوا • بيتهم قبر النبي المصطفى هم
روض إذا نشروا من ذكره فاحوا • **ولله در القائل** فاح العبير بجسمه فكأنه • روض نسيم بعرفه المتأرج
ما جسمه مما يغيّر الثرى • والروح منه كالصباح الأبلج •

وقال ابن بطال في قوله عليه السلام المدينة تنصع طيبها هو مثل ضربه للمؤمن المخلص الساكن
الصابر على لأوائها مع فراق الأهل والتزام المخافة من العدو فلما باع نفسه من الله والتزم هذا
الأمر فإن صدقه وتنصيع إيمانه وقوى اغتباطه بسكنى المدينة وبقربه من رسوله كما تنصع ريح
ريح الطيب فيها ويصير عبقا على سائر البلاد خصوصية خص الله بها بلدة رسوله عليه الصلاة والسلام
الذي اختار تربتها لمباشرة جسده الطيب الطاهر المطهر • وقد جاء في الحديث أن المؤمن

يقبر

يقبر في التربة التي خلق منها فكانت هذه تربة المدينة أفضل الترب كما أنه عليه الصلاة والسلام
أفضل البشر • فلهذا والله أعلم تتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان • انتهى • وينبغي
للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغفار والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فجدير
بمن استشفع به أن يشفعه الله • واعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث
يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو
التوسل أو التشفع أو التجوه أو التوجه لأنهما من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة
وقد يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه • ثم إن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع و
التجوه والتوجه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال
قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات
القيامة • فأما الحالة الأولى فحسبك ما قدمته في المقصد الأول من استشفاع آدم عليه السلام
به لما أخرج من الجنة وقول الله تعالى له يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض
لشفعناك • وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند الحاكم والبيهقي وغيرهما وإن شئت
بحقه غفرت لك • ويرحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم إذ دعى • ونجى في بطن السفينة نوح • وما ضرت النار الخليل لنوره •
ومن أجله نال الفداء ذبيح •

وأما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك
الاستغاثة به عليه السلام عند القحط وعدم الأمطار وكذلك الاستغاثة من الجوع ونحو ذلك
مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء • ومن ذلك استغاثة ذوي
العاهات به • وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء
اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي
لتقضى اللهم شفعه في • وصححه البيهقي وزاد فقام وقد أبصر • وأما التوسل به صلى الله عليه
وسلم بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء • وفي كتاب مصباح الظلام
في المستغيثين بخير الأنام للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك • ولقد كان حصل لي داء أعيا
دواؤه الأطباء وأقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى
الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفا ومن علي بالعود إليها في عافية بلا محنة
فبينا أنا نائم إذا رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء أحمد القسطلاني من الحضرة الشريفة
بعد الإذن الشريف النبوي ثم استيقظت فلم أجد بي والله شيئا مما كنت أجده وحصل الشفاء
ببركة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم • ووقع لي أيضا في سنة خمس وثمانين وثمانمائة في
طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر إذ صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر

بها ايام فاستشفعت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فاتاني آت في منامي ومعبر الحق الصادع
فقال لقد ارسله لك النبي صلى الله عليه وسلم فعاينته وحلفته ان لا يعود اليها ثم استيقظت و
ليس بها قلبه كانما نشطت من عقال ولا ازال الى الآن في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة
اربع وتسعين وثمانماية والحمد لله رب العالمين • واما التوسل به صلى الله عليه وسلم
في عرصات القيمة فمما قام اليه الاجماع وتواترت به الاخبار في حديث الشفاعة فعليك
ايها الطالب ادراك السعادة المؤمل لحسن الحال في حضرة الغيب والشهادة بالتعلق
باذيال لطفه وكرمه والتطفل على موائد نعمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره
المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع لكافة الرسل الكرام
واجعله امامك فيما نزل من النوازل وامامك فيما تحاول من القرب والمنازل فانك بطيبة
تظفر من المراد باقصاه وتدرك رضا من احاط بكل شيء علما واحصاه واجتهد مادمت
بالطيبة حسب طاقتك في تحصيل انواع القربات ولازم قرع ابواب السعادات بالظافر الطلبات
وارتق في معارج ولج في سرادقات المرادات •
تمتع ان ظفرت بنيل قرب • وحصل ما استطعت من ادخار • فها انا قد اتيتكم عطائي
وها قد صرت عندي في جواري • فخذ ما شئت من كرم وجود • ونل ما شئت من نعم غزار
فقد وسعت ابواب التداني • وقد قربت للزوار داري • فمتع ناظريك بها جمالي • تجلي
للتاوب بلا استتار • ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا بالروضة
التي ثبت انها روضة من رياض الجنة كما رواه البخاري • قال ابن ابي جمرة معناه تنقل تلك
البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة • ويحتمل ان يكون المراد العمل فيها يوجب لصاحبه
روضة في الجنة قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا لعنى احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل
فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة • قال والكل وجه منها دليل يعضده ويقويه من جهة
النظر والقياس • اما الدليل على ان العمل فيها يوجب روضة في الجنة فلانه اذا كانت الصلوة
في مسجده عليه السلام بالف فيما سواه من المساجد فلهذه البقعة زيادة على غيرها • واما على
كونها بعينها في الجنة وكون المنبر ايضا على الحوض كما اخبر عليه السلام فان الجذع في الجنة و
الجذع في البقعة نفسها فالعلة التي اوجبت للجذع الجنة هي في البقعة سواء على ما نذكره بعد
ان شاء الله تعالى • والذي خير بهذا اخبر بهذا • فينبغي الحمل على اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه
قد تقرر من قواعد الشرع ان البقع المباركة ما فايدة بركتها لنا والاخبار بها لنا الا لتعميرها بالطاعات
فان الثواب فيها اكثر ولذلك الايام المباركة ايضا فعلى هذا يكون الوضع روضة من رياض
الجنة وهو الاظهر لوجهين احدهما لعلو منزلته عليه السلام ولما خص الخليل عليه السلام بالحجر من
الجنة خص الحبيب عليه الصلوة والسلام بالروضة من الجنة • وههنا بحث

لم جعلت

لم جعلت هذه البقعة من بين ساير البقع روضة من رياض الجنة فان قلنا تعبدا فلا بحث
وان قلنا لحكمة فحينئذ يحتاج الى البحث • والاظهر انها لحكمة • وهي انه قد سبق في العلم الرباني
بما ظهر ان الله عز وجل فضله على جميع خلقه وان كل من كان منه بنسبة ما من جميع المخلوقات
يكون له التفضيل على جنسه كما استقرئ في كل اموره من بدء ظهوره عليه السلم الى حين وفاته
صلى الله عليه وسلم في الجاهلية والاسلام • فمنها ما كان من شان امه وما نالها من بركته مع
الجهلا حسب ما هو مذكور معلوم مثل ذلك حليمة السعدية وحتى الاتان وحتى البقعة التي
تحمل الاتان يدها عليها تخضر من حينها وما هو من ذلك كله معلوم • وكان مشيه عليه السلم
حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله وحيث وضع عليه السلم يده المباركة ظهر في ذلك
كله من الخيرات والبركات حسا ومعنى كما هو منقول معروف • ولما شاءت القدرة انه عليه السلم
لا بد له من بيت ولا بد له من منبر وانه بالضرورة يكثر تردده عليه السلام بين المنبر والبيت
فالجرية التي اعطى اذا كان من مشيه بمباشرة او بواسطة حيوان او غيره تظهر البركة والخير
فكيف مع كثرة تردده عليه السلام في البقعة المباركة الواحدة مرارا في اليوم الواحد طول
عمره من وقت هجرته الى حين وفاته فلم يبق لها من الترفيع بالنسبة الى عالمها اعلا مما وصفنا وهو
انها كانت من الجنة وتعود اليها وهي الان منها وللعامل فيها مثلها فلو كانت مرتبة يمكن ان
تكون ارفع من هذه في هذه الدار لكان لهذا اعلا مرتبة مما ذكرنا في حقها • فان احتج محتج لانهم
له بان يقول ينبغي ان يكون للمدينة بكمالها لانه عليه السلام كان يطؤها بقدمه مرارا
فالجواب انه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها من ذلك انه تراب شفاء كما اخبر عليه السلم
مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها من الدجال وتلك الفتن العظام • وانه صلى الله
عليه وسلم اول ما ينشق عنها يوم القيمة • وان ما كان بها من الوباء والحمى رفع عنها وانه بورك
في طعامها وشرابها واشياء كثيرة فكان التفضيل لها بجنسه مما اشرنا اليه اولا باذ تردده عليه السلم
في المسجد نفسه اكثر مما في المدينة نفسها وتردده عليه السلام فيما بين المنبر والبيت اكثر مما سواه من
ساير المسجد • فالبحث تاكد بالاعتراض لانه جاءت البركة مناسبة لتكرار تلك الخطوات المباركة و
القرب من تلك التربة المرفعة لا اخفاء فيه الا على ملحد عمي البصيرة فالمدينة ارفع المدن والمسجد
ارفع المساجد والبقعة ارفع البقع قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة انتهى • وقال الخطابي
المراد من هذا الحديث الترغيب في سكنى المدينة وان من لازم ذكر الله في مسجدها آل به الى روضة الجنة و
سقي يوم القيمة من الحوض • انتهى • وتقدم في الخصايص من مقصد المعجزات مزيد لذلك وعند مسلم
من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوة في مسجدي هذا افضل من
الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام • وقد اختلف العلماء في المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم
في مكة والمدينة ايهما افضل فذهب سفيان بن عيينة والشافعي واحمد في اصح الروايتين عنه وابن وهب

ومطرف وابن حبيب الثلاثة من المالكية • وحكاه الباجي عن عطاء بن ابي رباح والمكيين والكوفيين
وحكاه ابن عبد البر عن عمر وعلي وابن مسعود وابي الدرداء وجابر وابن الزبير وقتادة و
جماهير العلماء انه مكة افضل من المدينة وان مسجد مكة افضل من مسجد المدينة لان الامكنة تشرف
بفضل العبادة فيها على غيرها بما يكون العبادة فيها مرجوحة • وقد حكى ابن عبد البر
انه روي عن مالك ما يدل على ان مكة افضل الارض كلها قال ولكن المشهور عن اصحابه
في تفضيل المدينة انتهى • وقال مالك المدينة ومسجدها افضل • ومما احتج به اصحابنا
تفضيل مكة حديث عبد الله بن الحمراء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته
يقول والله انك لخير ارض الله واحبها الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت قال الترمذي حسن
صحيح • وقال ابن عبد البر هذا اصح الآثار عنه صلى الله عليه وسلم وهذا قاطع محل الخلاف • انتهى
معناه عند الشافعي والجمهور معناه اي الحديث الا المسجد الحرام فان الصلوة فيه افضل من الصلوة
في مسجدي • وعند مالك وموافقيه الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجدي تفضله بدون
الالف وعن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي افضل من
الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلوة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة
في هذا رواه احمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه وزاد يعني في مسجد المدينة • والبزار ولفظه
صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه مائة
قال المنذري واسناده صحيح • ومما يستدل به المالكية ما ذكره ابن حبيب في الواضحة انه صلى الله
عليه وسلم قال الصلوة في مسجدي كالف صلوة فيما سواه وجمعة في مسجدي كالف جمعة فيما سواه
ورمضان في مسجدي كالف رمضان فيما سواه • ومذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة واكثر
المدنيين كما قاله القاضي عياض ان المدينة افضل وهو احد الروايتين عن احمد • واجمعوا
على ان الموضع الذي ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة
كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي
في فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلي انها افضل من العرش • وصرح الفاكهاني في تفضيلها
على السموات • ولفظه واقول انا وافضل من بقاع السموات ايضا • قال ولم ار من تعرض له لكن
والذي اعتقده لو ان ذلك لو عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه • وقد جاء ان السموات شرفت بمواطئ
قدميه بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض افضل من جميع بقاع السماء لشرفها لكونه صلى الله عليه
وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندي الظاهر المتعين • انتهى • وحكاه بعضهم عن الاكثرين
لخلق الانبياء منها ودفنهم فيها • لكن قال النووي الجمهور على تفضيل السماء على الارض اي ما
عدا ما ضم الاعضاء الشريفة على جميع بقاع الارض • ويؤيده ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام
في تفضيل بعض الاماكن على بعض من الاماكن والازمان كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما

لابصات

لابصنات قائمة فيها قال ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل الله العباد منهما من فضله وكرمه • و
التفضيل الذي فيهما ان الله تعالى يجود بتفضيل اجر العاملين • انتهى ملخصا • لكن تعقبه
الشيخ تقي الدين السبكي بما حاصله ان الذي قاله لا ينبغي ان يكون التفضيل لامر آخر فيهما وان لم
يكن عمل لان قبر رسول الله يتنزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة
ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه لمكان تبره فكيف لا يكون افضل وليس محل عملنا لانه ليس
مسجدا ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي صلى الله عليه وسلم • وايضا فقد تكون الاعمال
فيها متضاعفة باعتبار ان النبي صلى الله عليه وسلم حي كما تقرر وان اعماله مضاعفة اكثر من
كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن • قال ومن فهم هذا انشرح صدره لما قاله القاضي من
تفضيل ما ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن في
الموضع الذي خلق منه والثانية تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالى ولا نسلم ان التفضيل
للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم • انتهى • وقد روى ابو يعلى عن ابي بكر انه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها
اليه احبها الى ربه تعالى وان محبته تابع لمحبة ربه جل وعلا وما كان احب الى الله فكيف لا يكون
افضل • وقد قال عليه السلام اللهم ان ابراهيم دعاك لمكة وانا ادعوك للمدينة بمثل ما دعا
ابراهيم لمكة ومثله معه • ولا ريب ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم افضل من دعاء ابراهيم
لان فضل الدعاء على قدر فضل الداعي وصح انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم حبب لنا المدينة كحبنا
مكة او اشد • وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته اذا رآها من حبها
وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في احب البلاد
اليك اي في موضع تصيره لذلك فيجتمع فيه الحبان • قيل ضعفه ابن عبد البر ولو سلمت صحته
المراد احب البلاد اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله • وفي رواية احب ارض الله الى الله وللزيادة
الضعيف بمسجد مكة • وتعقبه العلامة السيد السمهودي بان ما ذكر لا يقتضي صرفه عن
ظاهره اذ القصد به الدعا لدار هجرته بان يصيرها الله كذلك • وحديث ان مكة خير بلاد الله محمول
على هذا الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح البلاد منها حتى مكة فقد اناله و
انال الله بها ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهر اجابة دعوته وصيرورتها احب مطلقا بعده •
ولهذا الحكم من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحثه هو صلى الله عليه وسلم على
الاقتداء به في سكناها والموت بها فكيف لا يكون افضل • قال واما مزيد المضاعفة فاسباب التفضيل
لا تنحصر في ذلك فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة افضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة
اذ في الاتباع ما يربو عليها • ومذهبنا شمول المضاعفة للنفل مع تفضيله بالمنزل • ولهذا قال عمر
رضي الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة انه غاية ان للمفضول مزية ليست للفاضل مع ان دعاءه

صلى الله عليه وسلم بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل للامور الدينية ايضا
وقد يبارك الله في العدد القليل فيربو نفعه على الكثير ولهذا استدل به على تفضيل المدينة و
ان اريد من حيث المضاعفة الكعبة فقط • فالجواب ان الكلام فيما عداها فلا يرد
شيء مما جاء في فضلها ولاما بمكة من مواضع النسك لتعلقه بها ولذا قال عمر رضي الله عنه
لعبد الله المخزومي انت القائل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وامنه وفيها بيته
فقال عمر لا اقول في حرم الله وبيته شيئا ثم كرر عمر قوله الاول فاعاد جوابه فاعاد له لا اقول
في حرم الله وبيته شيئا فاشير الى عبد الله فانصرف • وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في
اتيان مسجد قبا وعن الحج ما جاء في فضل الزيارة والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة
وان كانت اقل على القول به فقد كانت سببا لاعزاز الدين والجهاد ونزول اكثر الفرائض وكمال
الدين حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها ثم استقر صلى الله عليه وسلم بها الى قيام الساعة
ولهذا قيل لمالك ايما احب اليك المقام هنا يعني المدينة او بمكة فقال ههنا • وكيف لا
اختار المدينة وما بها طريق الا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه
من رب العالمين في اقل من ساعة • وروى الطبراني حديث المدينة خير من مكة • وفي رواية
للجندي افضل من مكة • وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان
يخطى • وقال ابو زرعة لين • وقال ابن عدي روايته ليست محفوظة • وقال ابو حاتم ليس بقوي
وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى
يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني الله بالهجرة اليها
ان كان قاله عليه السلام بمكة او بسكناها ان كان قاله بالمدينة • وقال القاضي عبد الوهاب
لا معنى لقوله تاكل القرى الا رجوع فضلها عليها اي على القرى وزيادتها على غيرها • وقال
ابن المنير يحتمل ان يكون المراد بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها اي ان الفضائل تضمحل في جنب
عظيم فضلها حتى تكون عدما • وهذا ابلغ من تسمية مكة ام القرى لان الامومة لا تمحى معها ما هي
لها ام لكن يكون لها حق الامومة • انتهى • ويحتمل ان يكون المراد غلبة اهلها على القرى والاقرب
حمله عليهما اذ هو ابلغ في الغرض المشروك له • انتهى ما قاله السيد السمهودي • وقد اطلت في
الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة وان كان مذهب امامنا الشافعي رحمه الله تفضيل مكة لان
هوى كل نفس اين حل حبيبها • على ربع العامرية وقفة • ليملي علي الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار لاهلها • وللناس فيما يعشقون مذاهب • على ان للعلماء في ادلة
تفضيل المدينة مجالا واسعا ومقالا جامعا لكن الرغبة في الاختصار تطوي اطراف بساط
الرهبة في الاكثار تصدف عن تطويله وافراطه • وقد استنبط العارف ابن ابي جمرة من قوله
عليه السلام المروي في البخاري ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة التساوي بين مكة

والمدينة

والمدينة قال وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل لان جميع الارض يطؤها
الدجال الا هذين البلدين فدل على تسويتهما في الفضل • قال ويؤكد ذلك ايضا من وجوه النظر
لانه ان كان خصت المدينة بدفنه عليه السلام واقامته بها ومسجده فقد خصت مكة ب
مسقطه عليه السلام بها ومبعثه منها وهي قبلته فطلع شمس ذاته المكرمة مكة ومغربها المدينة
واقامته بعد النبوة على المشهور من الاقاويل بمكة مثل اقامته عليه السلام بالمدينة عشر سنين
في كل منهما كذا قاله • وانت اذا تاملت قوله عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث سعد ياتي على
الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي
نفسي بيده لا يخرج احد رغبة عنها الا اخلف الله فيها خيرا منه ظهر لك ان فيه اشعارا بذم الخروج
من المدينة • بل نقل الشيخ محب الدين الطبري عن قوم انه عام ابدا مطلقا • وقال انه ظاهر اللفظ
وفي صحيح مسلم حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لاواء المدينة وشدتها
احد من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيمة او شهيدا • وفيه عن سعيد مولى المهري انه جاء الى ابي سعيد
الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكى اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه
لا صبر له على جهد المدينة ولاوائها فقال ويحك لا امرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يصبر على لاوائها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة • واللاواء بالمد الشدة والجوع
واو في قوله الا كنت له شفيعا او شهيدا الاظهر انها ليست للشك لان هذا الحديث رواه جابر
ابن عبد الله وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسماء بنت عميس وصفية بنت
ابي عبيد عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم ورواتهم على الشك وتطابقهم
فيه على صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله عليه السلام ويكون او للتقسيم ويكون شهيدا لبعض اهل
المدينة وشفيعا لباقيهم اما شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين واما شهيدا لمن مات في حياته و
شفيعا لمن مات بعده وغير ذلك • وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين او للعالمين في
القيامة وعلى شهادته على جميع الامم فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبة او زيادة منزلة وحظوة
وان قلنا او للشك فان كانت اللفظة الصحيحة شفيعا فاختصاص اهل المدينة بهذا مع ما جاء
من عمومها وادخارها لجميع الامة ان هذه شفاعة اخرى لغير العامة وتكون هذه الشفاعة
لاهل المدينة بزيادة الدرجات وتخفيف الحساب او بما شاء الله من ذلك او باكرامهم يوم القيمة
بانواع الكرامات لكونهم على منابر او في ظل العرش او الاسراع بهم الى الجنة او غير ذلك من خصوص
الكرامات كيف لا يتحمل المشقات من يحب ان يتمتع بسيد اهل الارض والسموات وينال ما وعد
به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات والانجاز ووعد الصادق وبشفاعته وشهادته وبلوغ القصد
في المحيا والممات • ولم عسى يكون شدة المدينة ولاواؤها والى متى تستمر مشقتها وبلواها لو تاملت
يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وتنغيص العيش مثلها او اشق منها واهلها مقيمون فيها

وربما يوجد فيهم من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل وقوي على الراحلة فلا يرتحل ويؤثر وطنه مع إمكان الارتحال والقدرة على الانتقال على أن المدينة مع تنظف العيش بها وغالب الأحيان قد وسع الله فيها على بعض السكان حتى من أصحابنا من غير أهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله وتنعم بها بالأدون سائر البلدان فإن من الله على المرء مثل ذلك هناك وإلا فالصبر للمؤمن أولى • من وفقه الله تعالى لصبره في إقامته بها ولو على جمر من الجمر فيتجرع مرارة غصتها بالتحلي عروس منصتها ويكفي نزر من لأوائها اليوقي من مصايب الدنيا وبلائها • وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها أي ينقبض وينضم ويلتجي مع أنه أصل في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سايق إليها في جميع الأزمان لحبه في ساكنها صلى الله عليه وسلم فأكرم بسكانها • ولو قيل في بعضهم ما قيل فقد حظوا بشرف المجاورة لهذا الحبيب الجليل فقد ثبت لهم حق الجوار وإن عظمت إساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار وقد عمم عليه الصلوة والسلام في قوله ما زال جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جارا دون جار • وكل ما احتج به من رمى بعض عوامهم السنية بالابتداع وترك الاتباع فإنه إذا ثبت ذلك في شخص منهم فلا يترك الكرامة ولا تنقص احترامه فإنه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيفما دار بل يرجى أن يختم له بالحسنى ويمنح بهذا القرب الصوري قرب المعنى • فيا ساكني أكناف طيبة كلكم • إلى القلب من أجل الحبيب حبيب • وقد درجنا بحيث قال

فلا يحركن ساكنكم إلى • سواها وإن جار الزمان ولو شقا • فكم ملك رام الوصول لمثلها • وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلفا • فبشراكم نلتم عناية ربكم • فها أنتم في بحر نعمته غرقا • ترون رسول الله في كل ساعة • ومن يره فهو السعيد به حقا • متى جئتم لا يغلق الباب دونكم • وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا • فيسمع شكواكم ويكشف ضركم • ولا يمنع الإحسان حرا ولا رقا • بطيبة مثواكم وأكرم مرسل • يلاحظكم فالدهر بحر بكم رفقا • فكم نعمة لله فيها عليكم • فشكرا ونعم الله بالشكر يستبقى • أمنتم من الدجال فيها فحولها • ملائكة يحمون من دونها الطرقا • كذاك من الطاعون أنتم بمأمن • فوجه الليالي لا تزال لكم طلقا • فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم • وإن جارت الدنيا ومرت فلا فرقا • حياة وموتا تحت رحماه أنتم • وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى • فيا راحلا عنها لدنيا يريدها أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى • أتخرج عن جوار النبي وحوزه • إلى غيره تستبدل مثلك قد حقا • لئن سرت تبغي من كريم إعانة • فأكرم من خير البرية ما تلقى • هو الرزاق يقسم فليس بزايد • ولو سرت حتى كدت تخترق الأفقا • فكم قاعد قد وسع الله رزقه • وممن تحل قد ضاق بين الورى رزقا • فعش في حما خير الأنام ومت به • إذا كنت في الدار تطلب أن ترقى إذا قمت فيما بين قبر ومنبر • بطيبة فاعرف أن منزلك الأرقى • لقد أسعد الرحمن جار محمد •

ومن جار

ومن جار في ترحاله فهو لا يشقى • وقد روى الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الأسلمية • وفي البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون وفيه عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها سبعة أبواب على كل باب ملكان • قال في فتح الباري وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كون الطاعون شهادة وكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخولهما وأجيب بأن كون الطاعون شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وإنما المراد أن ذلك يترتب عليه وينشأ عنه لكونه سببه فإذا استحضر ما تقدم من المقصود أنه من طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله فيها فإن فيه إشارة إلى أن كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن أحد منهم • وقد أجاب القرطبي في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عمواس والجارف وهذا الذي يقتضي أنه دخلها في الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة في المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ النووي في الأذكار بأن الطاعون لم يدخل المدينة أصلا ولا مكة أيضا لكن نقل جماعة أنه دخل مكة في الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعماية بخلاف المدينة فلم يذكر أحد أنه وقع الطاعون بها أصلا • وأجاب بعضهم بأنه عليه السلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لأن الطاعون يأتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان في الأجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون • قال الحافظ ابن حجر ويظهر لي جواب آخر بعد استحضار الذي أخرجه أحمد من رواية أبي عسيب بمهملتين آخره موحدة بوزن عظيم رفعه أتاني جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام وهو أن الحكمة في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من أصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبئة كما في حديث عائشة ثم خير صلى الله عليه وسلم في أمرين يحصل بكل منهما الأجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج إلى جهاد الكفار وأذن له بالقتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة يضعف أجساد الذين يحتاجون إلى التقوية لأجل الجهاد فدعا بنقل الحمى من المدينة إلى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله بعد أن كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصل له القتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق إجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة وكان منع دخول الطاعون من خصايصها ولوازم دعائه صلى الله عليه وسلم بالصحة • وقال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية

وقد منع الطاعون من المدينة هذه الدهور الطويلة. انتهى ملخصا. والله اعلم. ومن خصائص
المدينة ان غبارها شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء. رواه رزين العبدري في جامعه
من حديث سعد. وزاد في حديث ابن عمر وعجوتها شفاء من السم. ونقل البغوي عن ابن عباس في
قوله تعالى لنبوئنهم في الدنيا حسنة انها المدينة. وذكر ابن النجار تعليقا عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن. وروى الطبراني باسناد لا بأس به
عن ابي هريرة يرفعه المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وارض الهجرة ومثوى الحلال والحرام وبالجملة
فكل المدينة ترابها وطرقها وفجاجها ودورها وما حولها قد شملته بركته صلى الله عليه وسلم فانهم
كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه والى الصلوة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك رحمه الله من
ركوب دابة في المدينة قال لا اطأ بحافر دابة في عرص كان صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه
صلى الله عليه وسلم. وينبغي ان يأتي مسجد قباء للصلوة فيه والزيارة فقد كان
صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا. رواه مسلم. وفي رواية له يأتي قباء يزوره فيصلي فيه ركعتين
وعنده ايضا ان ابن عمر كان يأتيه كل سبت ويقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت
وعند الترمذي وابن ماجة والبيهقي من حديث اسيد بن ظهير الانصاري يرفعه صلوة في
مسجد قباء كعمرة. وقال الترمذي حسن غريب. وقال المنذري لا نعرف لاسيد حديثا صحيحا
غير هذا. ورواه احمد وابن ماجة من حديث سهل بن حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم اتى مسجد
قباء فصلى فيه صلوة كان له كاجر عمرة. وصححه الحاكم. وينبغي ايضا بعد زيارته عليه السلام
ان يقصد المزارات التي في المدينة الشريفة والآثار المباركة والمساجد التي صلى فيها عليه السلام التماسا
لبركته. ويخرج الى البقيع لزيارة من فيه فان اكثر الصحابة ممن توفي في المدينة في حياته صلى الله عليه وسلم
وبعد وفاته مدفونون بالبقيع وكذلك سادات اهل البيت والتابعين. وروي عن مالك انه قال
مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف وكذلك امهات المؤمنين سوى خديجة فانها بمكة وميمونة
فانها بسرف. وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج آخر الليل لزيارة من فيه فيقول السلام عليكم
دار قوم مؤمنين. رواه مسلم. قال ابن الحاج في المدخل وقد فرق علماؤنا بين الآفاقي والمقيم في
التنفل بالطواف والصلوة فقالوا الطواف في حق الآفاقي افضل والتنفل في حق المقيم افضل قال
وما نحن بسبيله من باب اولى فمن كان مقيما خرج لزيارة اهل البقيع ومن كان مسافرا فليغتنم
مشاهدته عليه السلام. وحكي عن العارف ابن ابي جمرة انه لما دخل المسجد النبوي لم يجلس الا الجلوس
في الصلوة وانه لم يزل واقفا بين يديه صلى الله عليه وسلم وكان قد خطر له ان يذهب الى البقيع فقال
الى اين اذهب هذا باب الله المفتوح للسائلين والطالبين والمنكسرين. انتهى. وروى ابن النجار
مرفوعا مقبرتان مضيئتان لاهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لاهل الدنيا بقيع الغرقد ومقبرة
بعسقلان. وعن كعب الاحبار قال نجدها في التوراة يعني مقبرة المدينة كفتة محفوفة بالنخيل موكل

بها ملك كلما امتلأت اخذوا فكفؤوها في الجنة. واخرج ابو حاتم من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر وعمر ثم اتي البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتى
يحشر بين الحرمين. الفصل الثالث في تفضيله صلى الله عليه وسلم في الآخرة
بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم واعلى الدرجات وتحميده في الشفاعة والمقام المحمود
المغبوط عليه من الاولين والآخرين وانفراده بالسؤدد في مجمع جامع الانبياء والمرسلين وترقيه
في جنة عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه يوم المزيد في ائتمام معالي الحسنى وزيادة
اعلم ان الله تعالى كما فضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم في البدء بان جعله اول
الانبياء في الخلق واولهم في الاجابة في عالم الذر يوم الست بربكم فقضى له بختم كمال الفضائل في
العود فجعله اول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع واول من يؤذن له بالسجود واول
من ينظر الى رب العالمين والخلق محجوبون عن رؤيته اذ ذاك واول الانبياء يقضي بين امته
واولهم اجازة على الصراط بامته واول داخل الجنة وامته اول الامم دخولا اليها. وزاده
من لطائف التحف ونفائس الترف ما لا يعد ولا يحد. فمن ذلك انه يبعث راكبا وتخصيصه
بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه. واختصاصه ايضا بالسجود لله تعالى امام العرش
وما يفتحه الله تعالى عليه في سجوده من التحميد والثناء عليه ما لم يفتحه على احد قبله ولا يفتحه
على احد بعده زيادة في كرامته وقربه. وكلام الله تعالى له يا محمد ارفع رأسك قل يسمع وسل تعط
واشفع تشفع ولا كرامة فوق هذا الا النظر اليه تعالى. ومن ذلك تكراره في الشفاعة سجودا
ثانية وثالثة وتجديد الثناء عليه والتحميد بما يفتح الله عليه من ذلك وكلام الله تعالى في كل سجدة
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع فعل المدل على ربه الكريم عليه الرفيع عنده المحب له المقرب
منه تشريفا له وتكريما وتبجيلا وتعظيما. ومن ذلك قيامه عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيره ويغبطه الاولون والآخرون وشهادته بين الانبياء واممهم واتيانهم
اليه يسألون الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم وشفاعته في اقوام قد امر
بهم الى النار. ومنها الحوض الذي في الموقف اكثر اواني منه وان المؤمنين كلهم لا يدخلون
الجنة الا بشفاعته. ومنها انه يشفع في رفع درجات اقوام لا تبلغها اعمالهم. وهو صاحب
الوسيلة التي هي اعلى منزلة في الجنة الى غير ذلك مما يزيده به جلالا وتعظيما وتبجيلا وتكريما
على رؤوس الاشهاد من الاولين والآخرين والملائكة اجمعين ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم. فاما تفضيله صلى الله عليه وسلم باولية انشقاق القبر المقدس عنه
فروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة
وانا اول من تنشق عنه القبر واول شافع واول مشفع. وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم

ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي • وعن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل
البقيع فيحشرون ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين • قال الترمذي حسن صحيح • ورواه
ابن حاتم وقال حتى نحشر وتقدم • وعن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يصعق
الناس حين يصعقون فاكون اول من قام فاذا موسى اخذ بالعرش فما ادري اكان فيمن صعق
وفي رواية فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان موسى فيمن
صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله • رواه البخاري • والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع
صوتا او رأى شيئا ففزع منه • ولم يبين في هذه الرواية من الطريقين محل الافاقة من اي
الصعقتين • ووقع في رواية الشعبي عن ابي هريرة في تفسير سورة الزمر اني اول من يرفع رأسه
بعد النفخة الاخيرة والمراد بقوله ممن استثنى الله قوله ففزع من في السموات ومن في الارض الا من
شاء الله • وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع ان الموتى لا احساس لهم فقيل المراد الذين
هم الاحياء واما الموتى فهم في الاستثناء في قوله تعالى الا من شاء الله اي الا من سبق له الموت
قبل ذلك فانه لا يصعق والى هذا اتجه القرطبي ولا يعارضه ما ورد في الحديث ان موسى ممن
استثنى الله لان الانبياء احياء عند الله • وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة
فزع بعد البعث حين تنشق السماء والارض • وتعقبه القرطبي بانه صرح صلى الله عليه وسلم
بانه يخرج من قبره فيلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا انما هو عند نفخة البعث • انتهى •
ووقع في رواية ابي سلمة عند ابن مردويه انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة فانفض التراب
عن راسي فآتي قائمة العرش فاجد موسى قائما عندها فلا ادري انفض التراب عن راسه قبلي او
كان ممن استثنى • واختلف في المستثنى من هو على عشرة اقوال • فقيل الملائكة
وقيل الانبياء • وبه قال البيهقي في تأويل الحديث في تجويزه بان يكون موسى ممن استثنى الله تعالى
قال ووجهه عندي انهم احياء كالشهداء فاذا نفخ في الصور الاولى صعقوا ثم لا يكون ذلك
موتا في جميع معانيه الا في ذهاب الاستشعار • وقيل الشهداء واختاره الحليمي قال وهو مروي
عن ابن عباس فان الله تعالى يقول بل احياء عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الاقوال • و
قال ابو العباس القرطبي صاحب المفهم الصحيح انه لم يأت في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل • وتعقبه
تلميذه في التذكرة فقال قد ورد حديث ابي هريرة بانهم الشهداء وهو الصحيح • وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام عن هذه الاية من الذين لم يشأ الله ان يصعقوا
قال هم شهداء الله وصححه الحاكم • وقيل هم حملة العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت ثم يموتون
واخرهم ملك الموت • وقيل هم الحور العين والولدان في الجنة • وتعقب بان حملة العرش ليسوا من سكان
السموات والارض لان العرش فوق السموات كلها وبان جبريل وميكائيل وملك الموت من الصافين المسبحين

ولان الحور العين والولدان في الجنة وهي فوق السموات ودون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق
للبقاء فلا شك بمعزل عما خلقت من للفناء ثم انه وردت الاخبار بان الله تعالى يميت حملة العرش
وملك الموت وميكائيل ثم يحييهم • واما اهل الجنة فلم يأت عنهم خبر والاظهر انها دار خلود
فالذي يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه قابلا للموت فالذي خلق فيها اولى ان لا يموت فيها ابدا
فان قلت ان قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه يدل على ان الجنة تفنى ثم تعاد ليوم الجزاء
وتموت الحور ثم يحيون اجيب بانه يحتمل ان يكون معنى قوله كل شيء هالك اي انه قابل للهلاك فيهلك
ان اراد الله به ذلك الا هو سبحانه فانه قديم والقديم لا يمكن ان يفنى • انتهى ملخصا من تذكرة القرطبي
ويؤيد القول بعدم موت الحور العين قولهن نحن الخالدات فلا نموت كما في الحديث المراد من قولهن الخلود
الكائن بعد القيمة • ولا يقال انه لا خصوصية فيه والاوصاف المشتركة لا امتنان بها • والله اعلم •
وفي كتاب العظمة لابي الشيخ ابن حيان من طريق وهب بن منبه من قوله خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء
في صفاء الزجاجة ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان اسرافيل فامره ان يأخذ الصور
وبه ثقب بعدد كل روح مخلوق ونفس منفوسة فذكر الحديث وفيه ثم تجمع الارواح كلها في الصور ثم
يامر الله تعالى اسرافيل فينفخ فيه فيدخل كل روح في جسدها فعلى هذا فالنفخ يقع في الصور اولا ليصل
النفخ بالروح الى الصور وهي الاجساد فاضافة النفخ الى الصور الذي هو القرن حقيقة والى الصور
التي هي الاجساد مجاز • وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه
احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا ثم يرسل الله تعالى المطر كانه الطل فتنبت منه اجساد الناس ثم
ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون • والليت بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية صفحة العنق
وهو ليتان واصغى امال • واخرج البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود موقوفا ثم يقوم ملك الصور
بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى خلق في السموات والارض الا مات الا من شاء
ربك ثم يكون بين النفختين ما شاء الله تعالى ان يكون • واخرج ابن المبارك في الرقائق من مرسل الحسن
بين النفختين اربعين سنة الاولى يميت الله بها كل حي والاخرى يحيي الله بها كل ميت ونحوه عند
ابن مردويه من حديث ابن عباس وهو ضعيف • وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا
حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم
ولد ادم على ربي يطوف علي الف خادم كانهم بيض مكنون او لؤلؤ منثور • رواه الدارمي وقال
الترمذي حديث غريب ولم يقل وانا امامهم لان دار الاخرة ليست دار تكليف • وفي حديث رواه
صاحب كتاب حادي الارواح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيمة وبلال بين يديه ينادي
بالاذان • وفي كتاب ذخائر العقبى للطبري مما عزاه لتخريج الحافظ السلفي من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبعث الانبياء على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة

على ناقتي العضباء والقصوى واحشر انا على البراق خطوها عند اقصى طرفها ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة واخرجه الطبراني والحاكم بلفظ تحشر الانبياء على الدواب وابعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي بالاذان محضا وبالشهادة حقا حتى اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله شهد له المؤمنون من الاولين والآخرين • وعند ابن زنجويه في فضائل الاعمال عن كثير بن مرة الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى توافي به المحشر وانا على البراق اختصصت به دون الانبياء يومئذ ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي على ظهرها بالاذان حقا فاذا سمعت الانبياء وامهما اشهد ان محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك • وذكر الشيخ زين الدين المراغي مما عزاه لابن النجار في تاريخ المدينة عن كعب الاحبار والقرطبي وابن ابي الدنيا عن كعب انه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر ويضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك يحفون بالقبر ويضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم • وفي نوادر الاصول للحكيم الترمذي من حديث ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمينه على ابي بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة • وفي البخاري من حديث ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم يحشرون حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق وان اول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم • وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري رواه الترمذي • وفي رواية جامع الاصول عنه انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى • وفي رواية كعب حلة خضراء • واخرجه البيهقي وزاد واول من يكسى من الجنة ابراهيم يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يؤتى بي فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه انه يجلس على الكرسي عن يمين العرش • ولا يلزم من تخصيص ابراهيم عليه السلام بانه اول من يكسى ان يكون افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه السلام خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها والحلة التي يكساها يومئذ حلة الكرامة بقرينة اجلاسه عند ساق العرش فتكون اوليته ابراهيم عليه السلام في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق • واجاب الحليمي بانه يكسى ابراهيم ثم يكسى نبينا صلى الله عليهما وسلم على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا اعلى واكمل فتجبر بنفاستها ما فات من الاولية • وفي حديث ابي سعيد عند ابي داود وصححه ابن حبان انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي مات فيها • وعند الحارث بن اسامة واحمد بن منيع فانهم يبعثون في اكفانهم ويتزاورون في اكفانهم

ويجمع

ينادي

لا يخفى ان حديث ابي هريرة ونحو في الاصل متعقب على حديث ابن عباس في البخاري

قوله واخرجه البيهقي الخ متصل بحديث ابراهيم

الى محمد كاتبه

ويجمع بينه وبين ما في البخاري بان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا • او يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الانبياء واول من يكسى ابراهيم عليه السلام او يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون اول من يكسى ابراهيم • وحمل بعضهم حديث ابي سعيد على الشهداء فيكون ابو سعيد سمعه من الشهداء فحمله على العموم • واما ما رواه الطبري في الرياض النضرة وعزاه للامام احمد في المناقب عن مخدوج بن زيد الذهلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اما علمت يا علي انه اول من يدعى به يوم القيامة بي فاقوم عن يمين العرش في ظله فاكسى حلة خضراء من حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم على اثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون حللا خضراء من حلل الجنة الا وان امتي اول الامم يحاسبون يوم القيامة ثم ابشر اول من يدعى بك فيدفع اليك لوائي وهو لواء الحمد تسير به بين السماطين آدم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لوائي يوم القيامة وطوله مسيرة الف سنة وستمائة سنة وسنانه ياقوتة خضراء قبضته فضة بيضاء زجه درة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة في المشرق وذؤابة في المغرب والثالثة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر الف سنة وعرضه مسيرة الف سنة فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن شمالك حتى تقف بيني وبين ابراهيم في ظل العرش ثم تكسى حلة من الجنة والسماطان من الناس والنخل الجانبان • ورواه ابن سبع في الخصائص بلفظ قال سأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لواء الحمد صفته قال طوله مسيرة الحديث • فقال الحافظ قطب الدين الحلبي كما نقله عنه المحب ابن الهايم انه موضوع بين الوضع قال والله اعلم بحقيقة لواء الحمد • وفي حديث ابي سعيد عند الترمذي بسند حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي الحديث • واللواء الراية • وفي عرفهم لا يمسكها الا صاحب الجيش ورئيسه • ويحتمل ان يكون بيد غيره باذنه ويكون تابعة له متحركة بحركته تميل معه حيث ما مال لانه يمسكها بيده اذ هذه الحالة اشرف • وفي استعمال العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل بها ممسكا لها اشد القتال ولذا لا يليق بامساكها كل احد بل قال صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله • وانما اضاف اللواء الى الحمد وهو الثناء على الله بما هو اهله لان ذلك هو منصبه في ذلك الموقف دون من الانبياء • وقد اختلف في هيئة حشر الناس ففي البخاري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا و

وان في العمود الممدود اللواء ياقوتة

يصبح معهم حيث اصبحوا ويمسي معهم حيث امسوا • رواه الشيخان • وقد قال الحليمي
ان هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور وجزم به الغزالي • وقيل انهم يخرجون من القبور
بالوصف المذكور في حديث ابن عباس عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم
تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرء كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ثم
يفترق حالهم من ثم الى الموقف كما في حديث ابي هريرة • ويحشر الكافر على وجهه قال رجل
يا رسول الله كيف يحشر على وجهه قال اليس الذي امشاه على رجلين في الدنيا قادر على ان يمشيه
على وجهه يوم القيمة • اخرجه الشيخان • وفي حديث ابي ذر عند النسائي مرفوعا ان الناس
يحشرون ثلثة افواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم وفوجا
يمشون ويسعون • وفي حديث سهل بن سعد مرفوعا يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء
كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد • رواه البخاري • وفي حديث عقبة ابن عامر عند الحاكم رفعه تدنو
الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف ساقه • ومنهم من يبلغ ركبتيه • ومنهم
من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته • ومنهم من يبلغ منكبيه • ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها
فاه • ومنهم من يغطيه عرقه واشار بيده على رأسه • وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد
ابن الاسود وليس بتمامه • وفيه تدنو الشمس يوم القيمة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون
الناس على قدر اعمالهم في العرق وهذا ظاهر في انهم يتفاوتون في حصول العرق لهم ويتفاوتون
في حصوله فيهم فان قلت الشمس محلها السماء وقد قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي
السجل للكتب والالف واللام في السماء للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق
الجمع فالجواب يجوز ان يقام نفسها دانية من الناس في الحشر ليقوي هوله وكربه •
عافانا الله من كل مكروه • وقال ابن ابي جمرة ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك
ولكن دلت الاحاديث الاخرى على انه مخصوص بالبعض وهم الاكثرون ويستثنى الانبياء و
والشهداء ومن شاء الله تعالى فاشدهم الكفار ثم اصحاب الكبائر ثم من بعدهم •
واخرج ابو يعلى وصححه ابن حبان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس
لرب العالمين • قال مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة فيهون على المومن كتدلي الشمس الى
ان تغرب • واخرج احمد وابن حبان نحوه من حديث ابي سعيد والبيهقي في البعث عن ابي هريرة
يحشر الناس قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء فيلجمهم العرق من شدة
الكرب • وفي البخاري من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب
عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق حتى يبلغ اذانهم • وعند البيهقي من حديث
ابن مسعود اذا حشر الناس قاموا اربعين عاما شاخصة ابصارهم الى السماء لا يكلمهم والشمس
على رؤسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر • وفي حديث ابي سعيد عند احمد انه يخفف الوقوف

على المومن

على المؤمن حتى يكون كصلوة مكتوبة • وسنده حسن • وللطبراني من حديث ابن عمرو ويكون ذلك
اقصر على المؤمن من ساعة من نهار • وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان الذي يلجمه العرق
الكافر • اخرجه البيهقي في البعث بسند حسن • وعنده قال يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى
يلجم الكافر العرق • قيل له فاين المومنون قال على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام • وبسند قوي
عن ابي موسى قال الشمس فوق رؤس الناس يوم القيمة واعمالهم تظلهم • واخرج ابن المبارك في الزهد
وابن ابي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال تعطى الشمس يومئذ حر عشر سنين
ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق قامة ثم يرتفع حتى يغرغر
الرجل • زاد ابن المبارك في روايته ولا يضر حرها يومئذ مومنا ولا مومنة • قال القرطبي
المراد ان يكون كامل الايمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره انهم يتفاوتون في ذلك بحسب اعمالهم
وفي رواية عند ابي يعلى وصححها ابن حبان ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيمة حتى يقول يا رب ارحني
ولو الى النار • وهو كالصريح في ان ذلك كله في الموقف • ومن تامل الحالة المذكورة عرف عظم الهول
فيها • وذلك ان النار تحف بارض الموقف وتدنو الشمس من الرؤس قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك
الارض وماذا يرونه من العرق مع ان كل احد لا يجد الا قدر موضع قدميه فكيف تكون حال هؤلاء في
عرقهم مع تنوعهم فيه ان هذا لمما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الايمان بامور الاخرة
وان ليس للعقل فيه مجال ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وانما يوخذ بالقبول • فتامل
رحمك الله شدة هذه الازدحام والانضمام والانسياق والالتصاق والاجتماع من الانس والجان ومن
يجمع معهم من سائر اصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في
حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قدمته مع ما انضاف الى ذلك من حر الباس
لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكرب ولا ريب ان هذا موجب لحصول العطش في ذلك
اليوم وكثرة الالتهاب والماتم الذي اعز موجود واعظم مفقود فلا منهل مورود الا حوض صاحب المقام
المحمود صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه ولا مشرب لامته سواه ولا يبرد اكبادهم الا بشربة
منه كما ورد يروي الظماه ويشفي من الصدا ويذهب بكل داء فلا يظمأ شاربها ولا يسقم بعدها ابدا
وفي حديث ابن عمر عند البزار من شرب منه اي من الحوض شربة لم يظمأ ابدا ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا • وراه
في حديث ابي امامة عند احمد وابن حبان ولم يسود وجهه ابدا • وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه
الحاكم اكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين • وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عند الشيخين
حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ
ابدا • قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض يكون بعد الصراط وذهب
الاخرون الى العكس والصحيح ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والاخر داخل
الجنة وكل منهما يسمى كوثرا • وتعقبه الشيخ ابن حجر بان الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض

ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه نغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي ان الحوض يكون قبل الصراط لان الناس يردون في الموقف عطاشا فيرد المؤمنون الحوض وتتساقط الكفار في النار بعد ان يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب فيقال الا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها • وفي حديث ابي ذر مما رواه مسلم ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة • وهو حجة على القرطبي لا له لان الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمؤمنون يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي بداخلها • وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظمأ بعده ابدا يدل على ان الشرب منه بعد الحساب والنجاة من النار لان ظاهر حال من لا يظمأ ان لا يعذب بالنار • ولكن يحتمل ان من قدر عليه التعذيب منهم ان لا يعذب فيها بالظمأ بل بغيره • وعن انس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيمة فقال انا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فاين اطلبك قال اولا تطلبني على الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم القك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطئ هذه الثلاث مواطن • رواه الترمذي • وقال حسن غريب • وفي حديث ابن مسعود عند احمد ثم اوتي بكسوتي فالبسها فاقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه احد فيغبطني به الاولون والاخرون قال ويفتح لهم من الكوثر الى الحوض • الحديث • وقد بين في حديث عبد الله بن عمرو العاص عند البخاري ان الحوض مسيرة شهر • وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه سواء وهذه الزيادة كما قال في فتح الباري تدفع تأويل من جمع بين مختلف الاحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول • وفي حديث ابي سعيد عند ابن ماجة رفعه ان لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس • وفي حديث ابي بردة عند الطبراني وابن حبان في صحيحه ما بين ناحيتي حوضي كما بين ايلة وصنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله • وفي حديث انس عند الشيخين كما بين صنعاء والمدينة • وفي حديث عتبة بن عبد السلمي عند ابن حبان في صحيحه ما بين صنعاء الى بصرى وفي حديث ابي امامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان بضم المهملة وتخفيف الميم • وقال ابن الاثير في النهاية في حديث الحوض من مقامي الى عمان بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين • انتهى • وهذه المسافات كلها متقاربة وظن بعضهم انه وقع في ذلك اضطراب وليس كذلك • واجاب النووي عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت في الحديث فلا معارضة وحاصله يشير الى انه اخبر اولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله تفضل عليه باتساعه شيئا بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة • فان قلت هل كان لكل نبي من الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هنالك يقوم عليه كنبينا • فالجواب

انه اشتهر اختصاص نبينا عليه السلام بالحوض • قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق به ان الله تعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما نيف على العشرين • وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف اضعافهم وهلم جرا واجمع على اثباته السلف واهل السنة من الخلف • انتهى • لكن اخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا واشار الى انه اختلف في وصله وارساله • وان المرسل اصح والمرسل اخرجه ابن ابي الدنيا بسند صحيح من الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من امته الا انهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعا • واخرجه الطبراني من حديث ابي سعيد رفعه وكل نبي يدعو امته ولكل نبي حوض فمنهم من يأتيه الفئام ومنهم من يأتيه العصبة ومنهم من يأتيه الواحد ومنهم من يأتيه الاثنان ومنهم من لا يأتيه احد واني لاكثر الانبياء تبعا يوم القيمة • وفي اسناده لين • فان قلت فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به في سورة انا اعطيناك الكوثر • انتهى ملخصا من فتح الباري • والفئام الجماعة كما في الصحاح لا واحد له من لفظه والعامة تقول فيام بلا همز • وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة رفعه قال ترد على امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل عن ابله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء قالوا والحكمة في الذود المذكور انه صلى الله عليه وسلم يريد ان يرشد كل احد الى حوض نبيه كما تقدم ان لكل نبي حوضا فيكون هذا من جملة انصافه عليه السلام ورعاية اخوانه من النبيين لا انه يطردهم بخلا عليهم بالماء • ويحتمل ان يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والله اعلم • وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال للحوض اربعة اركان الاول بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذي النورين والرابع بيد علي ابن ابي طالب فمن كان محبا لابي بكر مبغضا لعمر لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه علي • رواه ابو سعد في شرف النبوة والغيلاني • واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود • فقد قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا • اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب • قال اهل المعاني لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا • والله سبحانه اكرم من ان يطمع احدا في شيء ثم لا يعطيه ذلك • وقد اختلف العلماء في تفسير المقام المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة قال الواحدي اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي • وقال الامام ابن الخطيب

اللفظ مشعر بذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا حمده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب ان يكون مقاما انعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم فحمده على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز ان يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان حمد الانسان على سعيه في التخلص من العقاب اعظم من سعيه في زيادة من الثواب ولا حاجة به اليها لان احتياج الانسان في دفع الالام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة الى تحصيلها • واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من قوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العذاب على ما هو مذهب اهل السنة • ولما ثبت ان لفظ الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخاري من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة • وفيه ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى فذلك المقام المحمود فاذا ثبت هذا فيجب حمل اللفظ عليه • قال ومما يؤيد هذا الدعاء المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون ونصب قوله مقاما على الظرفية اي وابعثه يوم القيمة فاقمه مقاما محمودا او على انه مفعول به وضمن ابعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا بعد حال اي ابعثه ذا مقام • قال الطيبي انما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما محمودا بكل لسان • وقول النووي ان الرواية ثبتت بالتنكير وانه كان حكاية للفظ القرآن فتعقب بانه جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي • قال ابن الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة • وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه

القول الثاني قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من قوله سبحانه عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا • رواه الطبراني قال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة يفيد اقوام الناس على حمده فيصير محمودا • واما ما ذكر من الدعاء فلا يفيد الا الثواب اما الحمد فلا • فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى يحمده على هذا القول • فالجواب لان الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز • القول الثالث مقام محمد عاقبته • قال الامام فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه الذي ذكرناه • القول الرابع قيل هو اجلاسه عليه السلام على العرش وقيل على

الكرسي

ثبت بالتنكير

الكرسي • روي عن ابن مسعود انه قال يقعد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش • قال الواحدي وهو قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير • ويدل عليه وجوه • الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت النازل والقاعد فانبعث ويقال بعث الله الميت اي اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد • والثاني انه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم لكان محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • والثالث انه تعالى قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع القعود • والرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه • فثبت ان هذا القول ساقط لا يميل اليه الا قليل العقل عديم الدين • انتهى • وتعقب القول الثاني بانه تعالى يجلس على الكرسي كما اخبر جل وعلا عن نفسه المقدسة بلا كيف • وليس اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريفا له على خلقه • واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين عند ربك • ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونحو ذلك هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان • وقال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة النقل ولا من جهة النظر • وقال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال وبالغ الواحدي في رد هذا القول • ونقل النقاش عن ابي داود صاحب السنن انه قال من انكر هذا فهو متهم • وقد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبي • وعن ابن عباس عند ابي الشيخ قال ان محمدا يوم القيمة يجلس على كرسي الرب بين يدي الرب فيحتمل ان يكون الاضافة اضافة تشريف وعلى ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره • ويحتمل ان يكون المقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور • وان يكون الاجلاس هي المنزلة المعبر عنها بالوسيلة كما قال بعضهم ويحتمل ان يكون الاجلاس علامة الاذن في الشفاعة • واختلف في فاعل الحمد من قوله تعالى محمودا فالاكثر على ان المراد اهل الموقف • وقيل النبي صلى الله عليه وسلم اي انه يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده في الليل • والاول ارجح لما ثبت من حديث ابن عمر بلفظ مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم • ويجوز ان يحمل على اعم من ذلك اي مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات • واستحسن هذا ابو حيان وايده بانه نكرة فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصا انتهى فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة فاي شفاعة هي فالجواب ان الشفاعة التي وردت في الاحاديث في المقام المحمود نوعان النوع الاول العامة في فصل القضاء • والثاني في الشفاعة في اخراج المذنبين من النار لكن يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العظمى العامة فان اعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه

على كرامته كل هذه الخصوصيات للمقام المحمود الذي يشفع فيه لبعض من الخلق • واما شفاعته
في اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك • وقد انكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج
من أدخل من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين • وقوله تعالى وما
للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع • واجاب اهل السنة ان هذه الايات في الكفار • قال
القاضي عياض مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا • وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا المفسر بها عند الاكثر كما قدمته • وقد جاءت الاثار التي
بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة لمذنبي المؤمنين • وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق في الامم
قبلهم فسألت الله ان يوليني الشفاعة يوم القيمة ففعل • ففي حديث ابي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة
يدعو بها واريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة • وفي رواية انس فجعلت دعوتي
فهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة في اهم اوقات حاجاتنا فجزاه الله عنا
افضل الجزاء • وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن
شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه • وعن ابي زرعة عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة هل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين و
الاخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم و
الكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون ما انتم فيه الى ما بلغكم الا تنظرون من
يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ابوكم ادم فيأتونه فيقولون يا ادم انت ابو البشر خلقك
الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا الى ربك
الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه نهاني عن
الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح انت
اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا الا ترى الى ما نحن فيه الا الى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوت بها
على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت
نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه
على الناس الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم اؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى

فيأتون

فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
وكلمت الناس في المهد الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء وقد غفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تأخر الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فانطلق فآتي تحت العرش
فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد
قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول امتي يا رب امتي يا رب
فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب • الحديث • رواه البخاري ومسلم • قال في فتح الباري وقد استشكل
قولهم لنوح انت اول الرسل من اهل الارض فان ادم نبي مرسل وكذا شيث وادريس وهم قبل
نوح ومحصل الاجوبة عن ذلك ان الاولية مقيدة بقوله اهل الارض لان ادم ومن ذكر معه
لم يرسلوا الى اهل الارض او ان الثلاثة كانوا انبياء ولم يكونوا رسلا • ولهذا احتج ابن بطال في حق
ادم • وتعقبه القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث ابي ذر فانه كالصريح في انه كان مرسلا
وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث وهو من علامات الارسال • ومن الاجوبة ان رسالة ادم
الى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته • ونوح رسالته كانت الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد
وذكر الغزالي في كشف علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف ادم ونوحا الف سنة وكذا بين كل نبي ونبي
الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • قال الحافظ ابن حجر ولم اقف لذلك على اصل ولقد اكثر في
هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول لها فلا يغتر بشيء منها • ووقع في رواية حذيفة ان
الخليل عليه السلام قال لست بصاحب ذاك انما كنت خليلا من وراء وراء بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز
البناء على الضم للقطع عن الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره ابو البقاء يقال لقيته من وراء
وقال • اذا انا لم اومن عليك ولم يكن • لقاؤك الا من وراء وراء • ويجوز فيه النصب والتنوين
جوازا جيدا قال ابو عبد الله الابي ومعناه لم اكن في التقرب والادلال بمنزلة الحبيب • وقيل
مراده ان الفضل الذي اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة
وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكأنه
قال انا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد • وسبق مزيد لذلك في الخصائص • واما ما ذكره من الكلمات
الثلاث فقال البيضاوي الحق انها انما كانت في معاريض الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب
اشفق منها استقصارا لنفسه عن الشفاعة لانه كان اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان
اعظم خوفا • واما قوله عن عيسى لم يذكر ذنبا فوقع في حديث ابن عباس عند احمد والنسائي اني
اتخذت من دون الله الها • وفي حديث النضر بن انس عن ابيه حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقائم

انظر امتي عند الصراط اذ جاء عيسى فقال يا محمد هذه الانبياء قد جاءتك يسألون لتدعو الله
ان يفرق جمع الامم الى حيث شاء لعظم ما هم فيه فافادت هذه الرواية تعيين موقف النبي صلى الله
عليه وسلم وان هذا الذي وصف من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط
الكفار في النار وان عيسى هو الذي يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبياء يسألونه
في ذلك وفي حديث سلمان عند ابن ابي شيبة يأتون محمدا فيقولون يا نبي الله انت فتح الله بك
وختم وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وجئت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا
الى ربنا فيقول انا صاحبكم فيحوش الناس حتى ينتهي الى باب الجنة فان قلت ما الحكمة في انتقاله
صلى الله عليه وسلم من مكانه الى الجنة فالجواب بان ارض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب
كانت مكان مخافة واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون في مقام اكرام • وفي حديث ابي بن
كعب عند ابي يعلى رفعه فاسجد له سجدة يرضى بها عني ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني • وفي حديث
ابي بكر الصديق رضي الله عنه فينطلق اليه جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة فيقال يا محمد ارفع راسك
وفي رواية النضر بن انس فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع راسك • وعلى هذا
فالمعنى يقول لي على لسان جبريل • والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل سجوده وبعده
وفيه ويكون في كل مكان ما يليق به فانه ورد في رواية فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر
عليها ثم اخر ساجدا • وفي رواية البخاري فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني • وفي رواية ابي هريرة
عند الشيخين فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا
لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك • الحديث • ووقع في رواية البخاري من حديث
قتادة عند انس ثم اشفع فيحد لي حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة • قال الطيبي اي
تبين لي كل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده فلا اتعداه مثل ان يقول شفعتك فيمن اخل
بالجماعة ثم فيمن اخل بالصلوة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنا وهكذا على هذا الاسلوب والذي يدل عليه
سياق الاخبار ان المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الاعمال الصالحة كما وقع عند احمد عن يحيى
القطان عن سعيد بن ابي عروبة • وفي رواية ثابت عند احمد فاقول اي رب امتي امتي فيقول اخرج
من كان في قلبه مثقال شعيرة • وفي حديث سلمان فيشفع فيمن كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة
ثم حبة من خردل فذلك المقام المحمود • وفي رواية ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال دينار من خير • قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين • واما قوله في رواية انس عند البخاري
فاخرجهم من النار قال الداودي كان راوي هذا الحديث ركب شيئا على غير اصله • وذلك
ان اول الحديث ذكر الشفاعة في الاراحة من كرب الموقف وفي اخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار
يعني وذلك انما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة
في النار ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الاخراج وهو اشكال قوي • وقد اجاب عنه النووي ومن

قبله

ومن قبله القاضي عياض بانه قد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة فياتون محمدا فيقوم ويؤذن
له بالشفاعة وترسل معه الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا اي يقفان
في ناحية الصراط • قال القاضي عياض فبهذا يتصل الكلام لان الشفاعة التي لجأ فيها الثاني
لاراحة الناس من كرب الموقف ثم تجيء الشفاعة في الاخراج انتهى • والمعنى في قيام الامانة
والرحم انهما لعظم شانهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للامين والخائن
وللواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل • وقد وقع في حديث ابي هريرة بعد
ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد ثم تميز المنافقون من المؤمنين ثم حلول
الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد هو اول فصل
القضاء والاراحة من كرب الموقف وبهذا تجتمع متون الاحاديث وتترتب معانيها • انتهى
وظاهره انه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع ليقضى بين الخلق وان الشفاعة فيمن يخرج من النار
ممن سقط يقع بعد ذلك وان العرض والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن ثم ينادي
لتتبع كل امة ما كانت تعبد فيسقط الكفار في النار ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين
بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور
المنافقين فيسقطون في النار ايضا ويمر المؤمنون عليه الى الجنة • فمن العصاة من يسقط و
يوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة • وقد قال النووي ومن
قبله القاضي عياض الشفاعات خمس • الاولى في الاراحة من هول الموقف • الثانية في ادخال
قوم الجنة بغير حساب • الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا
الرابعة في اخراج من ادخل النار من العصاة • الخامسة في رفع الدرجات • انتهى • فاما الاولى
وهي التي لاراحة الناس من هول الموقف فيدل لها حديث ابي هريرة وغيره المتقدم وحديث
انس عند البخاري • ولفظه يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا
مكاننا فياتون ادم فيقولون انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا
لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا نوحا ويذكر الانبياء ثم الى
محمد الى ان قال فياتوني فاستاذن على ربي واذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله
ثم يقال لي ارفع راسك سل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد
يعلمني • الحديث • واما الثانية وهي ادخال قوم الجنة بغير حساب فيدل لها ما في اخر
حديث ابي هريرة عند البخاري ومسلم الذي قدمته فارفع راسي فاقول يا رب امتي فيقال
يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة • قال ابو حامد والسبعون
الالف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا ترفع لهم ميزان ولا ياخذون صحفا وانما هي براءة مكتوبة
لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقاء بعدها ابدا

فما قدر عليه شيء اشرف من ذلك المقام • واما الثالثة وهي لقوم قد حوسبوا ان لا يعذبوا
ويدل على ذلك قوله في حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط يقول رب سلم • الرابعة
وهي اخراج من ادخل النار من العصاة فلا يلبثها كثيرة • وقد روى البخاري عن عمران بن
حصين مرفوعا يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمونه الجهنميين
واما الخامسة وهي رفع الدرجات فقال النووي في الروضة انها من خصائصه صلى الله عليه وسلم
ولم يذكر لذلك مستندا • والله اعلم • وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته
صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب في تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيح ان العباس قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحفظك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته
في غمرات النار فاخرجته الى ضحضاح • وفي الصحيح ايضا من طريق ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم غمرات النار
قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه
دماغه • وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة لحديث سعد رفعه لا يثبت
احد على لأوائها الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة • وتعقبه الحافظ ابن حجر بان متعلقها
لا يخرج عن واحد من الخمس الاول وبانه لو عد ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول اول من اشفع له اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل الطائف • رواه
البزار • واخرى لمن زار قبره الشريف • واخرى لمن اجاب المؤذن ثم صلى الله عليه وسلم والتجاوز عن
تقصير الصلحاء لكونه ... الحافظ انها مندرجة في الخامسة • وزاد القرطبي انه اول شافع في الجنة
قبل الناس ويدل عليه ... وزاد في فتح الباري اخرى فيمن استوت حسناته كذا في الاصل
وسيئاته ان يدخل الجنة كما اخرجه الطبراني عن ابن عباس قال السابق يدخل الجنة بغير حساب
والمقتصد برحمة الله والظالم لنفسه واصحاب الاعراف يدخلون بشفاعته صلى الله عليه وسلم
وارجح الاقوال في اصحاب الاعراف انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم • وشفاعة اخرى
وهي شفاعته فيمن قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط لرواية الحسن عن انس فاقول يا رب
ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من
قال لا اله الا الله • فالوارد على الخمسة اربعة وما عداها لا يرد كما لا ترد الشفاعة في التخفيف
عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة احوال الدنيا • فان قلت فاي شفاعة ادخرها صلى
الله عليه وسلم لامته اما الاولى فلا تختص بهم بل هي لاراحة الجمع كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم وكذلك
باقي الشفاعات الظاهر اشتراكهم فيها بقية الامم • فالجواب انه يحتمل ان المراد الشفاعة العظمى
التي للاراحة من هول الموقف وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامة لكن هم الاصل فيها وغيرهم تبع لهم ولهذا
كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم فيها انه يقول يا رب امتي امتي فدعا فيهم فاجيب وكان غيرهم

تبعا لهم في ذلك • ويحتمل ان يكون الشفاعة الثانية وهي التي في ادخال قوم الجنة بغير حساب
وهي المختصة بهذه الامة فان الحديث الوارد فيها يدخل من امتي الجنة سبعون الفا بغير حساب
الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الامم • ويحتمل ان يكون المراد مطلق الشفاعة المشترك
بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الامة يشاركونهم او في بعضها لا ينافي ان يكون عليه السلام
آخر دعوته شفاعة لامته فلعله لا يشفع لغيرهم من الامم بل يشفع لهم انبياؤهم • ويحتمل ان
تكون الشفاعة لغيرهم تبعا كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى والله اعلم • وعن بريدة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو ان اشفع يوم القيامة عدد ما على الارض من شجرة
ومدرة • رواه احمد • وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن اخر الامم واول من يحاسب
يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الاخرون الاولون • رواه ابن ماجه • وفي حديث ابن
عباس عند ابي داود الطيالسي مرفوعا فاذا اراد الله ان يقضي بين خلقه نادى مناد اين محمد وامته
فاقوم وتتبعني امتي غرا محجلين من اثر الطهور قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الاخرون
الاولون واول من يحاسب وتفرج لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم كادت هذه الامة
ان تكون انبياء كلهم • وقد صح ان اول ما يقضى بين الناس في الدماء • رواه البخاري • وللنسائي
مرفوعا ان اول ما يحاسب عليه العبد الصلاة واول ما يقضى بين الناس الدماء • وفي البخاري
عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال انا اول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة يريد قصته
في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من قريش قال ابو ذر هذان خصمان اختصموا في ربهم الآية
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن
اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما
ابلاه • رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح • وفي البخاري من حديث عائشة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب • وروى البزار عن انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه
وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله لاصغر نعمة احسبه قال في ديوان النعم خذي ثمنك
من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم
وقد ذهب العمل الصالح فاذا اراد الله ان يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت حسناتك و
تجاوزت عن سيئاتك قال ووهبت لك نعمي • وروى الامام بسند حسن عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا • وعن
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما اضحكك
يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب
خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله كيف تصنع باخيك ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب فليحمل

يَن اُوذَاري وفاضت عَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكا ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس
ان يحمل عنهم من اوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر فقال يارب ارى مداين من ذهب
وفضة مكللة باللولؤ لاى نبى هذا ولاى صديق هذا اولاى شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن
قال يارب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يارب فانى قد
عفوت عنه قال الله تعالى فخذ بيد اخيك وادخله الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المسلمين • رواه الحاكم والبيهقى فى البعث
كلاهما عن عباد بن شيبة الحبطى عن سعيد بن انس عنه فقال الحاكم صحيح الاسناد • كذا قال
وقد نقل لو ان رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه
وقيل يوخذ دانق سبع مائة صلوة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيرى فى التحبير •
ثم بعد انقضاء الحساب يكون وزن الاعمال للجزاء فينبغى ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير
الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها • وقد ذكر الله تعالى الميزان فى كتابه
العزيز بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الافراد والجمع فقيل ان صورة الافراد محمولة على ان المراد
الجنس جمعا بين الكلامين • وقال بعضهم يحتمل ان يكون تعددها بتعدد الاعمال فيكون هنا موازين
للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله • وذهبت طائفة الى انها ميزان واحد يوزن
بها الجميع • وانما ورد فى الاية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد • وهو نظير قوله كذبت
قوم نوح المرسلين • والمراد رسول واحد • وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون • واختلف
فى كيفية وضع الميزان والذى جاء فى اكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار
العرش ثم يؤتى بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات
مقابل النار • ذكره الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول • واختلف ايضا فى الموزون نفسه
فقال بعضهم توزن الاعمال نفسها وهى وان كانت اعراضا الا انها تجسم يوم القيمة • وقيل الموزون
صحايف الاعمال ويدل له حديث البطاقة المشهور • وقد رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص يرفعه بلفظ ان الله يستخلص رجلا من امتى على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين
سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب
افلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة انه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة
مع هذه السجلات فقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله تعالى شىء • فان قلت ان شان الميزان ان توضع فى كفته شىء وفى
الاخرى ضده فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة والذى يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل
ان ياتى عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى يوضع الايمان فى كفة والكفر فى اخرى اجاب الترمذى

بلفظ الافراد والجمع

مطلب حديث البطاقة

الحكيم بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد فى كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة المترتبة
على النطق بهذه الكلمة مع ساير الحسنات • ويدل له ما قاله قوله عليه السلام بلى ان لك عندنا
ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سئل عليه الصلاة عن لا اله الا الله امن الحسنات هى
فقال من اعظم الحسنات • اخرجه البيهقى وغيره • ويجوز كما قاله الطيبى فى التذكرة ان يكون
هذه الكلمة اخر كلامه فى الدنيا كما فى حديث معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه
لا اله الا الله دخل الجنة • وفى التحبير للقشيرى قيل لبعضهم فى المنام ما فعل الله بك قال
وزنت حسناتى فرجحت السيئات على الحسنات فسقطت صرة فى كفة الحسنات فرجحت
فحلت الصرة فاذا فيها كف تراب القيته فى قبر مسلم • وفى الخبر اذا خفت حسنات المؤمن
اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها فى كفة الميزان التى فيها حسناته
فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم بابى انت وامى ما احسن وجهك
وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلواتك على وقد وفيتك احوج
ما يكون اليها ذكره القشيرى • وذكر الغزالى انه يؤتى برجل يوم القيمة فما يجد حسنة يرجح
بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله تعالى له رحمة منه اذهب فى الناس فالتمس من
يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما يجد احدا يكلمه فى ذلك الامر الا قال له انا احوج لذلك
منك فييأس فيقول له رجل لقد لقيت الله فما وجدت فى صحيفتى الا حسنة واحدة وما اظنها
تغنى عنى شيئا خذها هبة فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله له ما بالك وهو اعلم فيقول يارب
اتفق من امرى كيت وكيت قال فينادى الله تعالى بصاحبه الذى وهب الحسنة فيقول الله تعالى
كرمى اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة • وكذا تستوى كفة الميزان لرجل فيقول الله
تعالى لست من اهل الجنة ولا من اهل النار فياتى الملك بصحيفة فيضعها فى كفة الميزان فيها
مكتوب اف فيترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق فيؤمر به الى النار قال فيطلب الرجل ان يرد الى الله
فيقول الله تعالى ردوه فيقول له ايها العبد العاق لاى شىء تطلب الرد الى فيقول الهى انى سائر
الى النار واذا كان لا بد منها فاجعلنى فداء لابى واضعف على عذابى وانقذه منها قال فيضحك الله سبحانه ويقول عققته فى الدنيا
وبررته فى الاخرة خذ بيد ابيك وانطلقا الى الجنة • وقد روى حذيفة ان صاحب الميزان يوم
القيمة جبريل وهو الذى يزن الاعمال يوم القيمة • واختلف ايضا فى كيفية الرجحان والنقص
فقال بعضهم ان الراجح الموزون فى الاخرة يصعد عكس ما فى الدنيا واستشهد فى ذلك فى قوله تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه • الاية قال الزركشى وهو غريب مصادم لقوله فاما من
ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية • وهل يوزن الاعمال كلها ام خواتمها حكى عن وهب بن منبه انه قال
انما يوزن الاعمال خواتيمها • واستدل بقوله عليه السلام انما الاعمال بخواتيمها • وذكر الحافظ ابو نعيم
عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه المؤمن حاجة كنت واقفا عند ميزانه

فان رجحت والا شفعت له • وقال بعض اهل العلم فيما حكاه القرطبي في التذكرة ولن يجوز احد الصراط حتى يسأل عن سبع قناطر • فاما القنطرة الاولى فيسأل عن الايمان بالله وشهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز • ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلوة فان جاء بها تامة جاز ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز • ثم يسأل في القنطرة الرابعة عن الزكاة جاء بها تامة جاز • ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسأل عن الوضوء والغسل فان جاء بهما تامين جاز • ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر اصعب منها فيسأل عن ظلامات الناس • وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب بين ظهري جهنم فاكون انا وامتي اول من يجوز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم • وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله • ومنهم من يخردل ثم ينجو الحديث • رواه البخاري • وفي حديث حذيفة وابي هريرة عند مسلم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد حتى ياتي الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تاخذ من امرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار • وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار اليها في الحديث حفت النار بالشهوات فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار • قال ابن العربي ويؤخذ من قوله فمخدوش الى اخره ان المارين على الصراط ثلاثة اصناف ناج بلا خدش وهالك من اول وهلة ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو • وفي حديث المغيرة عند الترمذي شعار المؤمنين على الصراط رب سلم رب سلم ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين ان ينطقوا به بل ينطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة فسمي ذلك شعارا لهم • وفي حديث ابن مسعود فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطي نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم • الحديث • وفيه فيمرون على قدر نورهم • منهم من يمر كطرفة العين • ومنهم من يمر كالبرق • ومنهم من يمر كالسحاب • ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب • ومنهم من يمر كالريح • ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا وتعلق يد ويجر رجلا وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها وقال الحمد لله الذي ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها • الحديث • رواه ابن ابي الدنيا والطبراني • وروى مسلم قال ابو سعيد بلغني ان الصراط احد من السيف وادق من الشعر ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير ان الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب انه ليؤخذ بالكلوب الواحد اكثر من ربيعة ومضر واخرجه ابن ابي الدنيا من هذا الوجه وفيه والملائكة على جنبتيه يقولون رب سلم وعن الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة خمسة عشر الف سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوى ادق من الشعر واحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله ذكره ابن عساكر في ترجمته قال في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت • قال وعن سعيد

او ينقطع قدر كرخ دول

ابن ابي هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع اخرجه ابن المبارك وهو مرسل او معضل • وقد ذهب بعضهم الى ان المراد من قوله تعالى وان منكم الا واردها الجواز على الصراط لانه ممدود على النار • وروى ابن عساكر وابن مسعود وكعب الاحبار انهم قالوا الورود المرور على الصراط وقيل الورود الدخول • وعن ابي سمية قال اختلفنا في الورود قال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلنا انا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا فقلت انا اختلفنا في ذلك فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا فاهوى باصبعيه الى اذنيه فقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الذين اتقوا ويذر الظالمين • رواه احمد والبيهقي باسناد حسن • واخرج ابن الجوزي كما ذكره القرطبي في التذكرة رفعه الزالون على الصراط كثير واكثر من يزل عنه النساء قال فاذا صار الناس على طرفي الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيا لها من ساعة ما اعظم خوفها واشد حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفا مهينا ويتاخر عنها من كان فيها عظيما مكينا ثم ياذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد صلى الله عليه وسلم نادوا يا محمداه فيبادر عليه السلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل آخذ بحجزته فينادي صلى الله عليه وسلم رافعا صوته امتي امتي لا اسالك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والاغلال وينادونهم اما نهيتم عن كسب الاوزار اما انذرتم كل الانذار اما جاءكم النبي المختار ذكره ابن الجوزي في كتابه روضة المشتاق • وقد جاء في حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم وقال من احسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط • رواه ابو نعيم • وفي الحديث من كفل يتيما بعثه مع الرحمة والجواز على الصراط الى الجنة • وروى القرطبي عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيامة جمع الله الانبياء وامتهم اممهم ويضرب الجسر على جهنم وينادي اين احمد وامته فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله اعداءه فتهافتون في النار يمينا وشمالا ويمضي النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهي الى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش ويتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله ويتبعه برها وفاجرها حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله اعداءه فتهافتون يمينا وشمالا الحديث • واعلم انه في الاخرة صراطين مجازا لاهل المحشر كلهم الا من دخل الجنة بغير حساب او

ليلتقط عتق النار فإذا خلص من خلص منها من الصراط الأكبر حبسوا على الصراط الآخر لهم ولا يرجع
إلى النار أحد من هؤلاء إن شاء الله تعالى لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم
وقد روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون
من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم
في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم
في الجنة بمنزله منه بمنزله في الدنيا
وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم بأنه أول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها • ففي صحيح مسلم
من حديث المختار بن فلفل عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أكثر الناس
تبعا يوم القيمة وأنا أول من يقرع باب الجنة • وفيه أيضا من حديث أنس قال صلى الله عليه وسلم
آتي باب الجنة يوم القيمة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح
لأحد قبلك • ورواه الطبراني وزاد فيه قال فيقوم الخازن ويقول لا أفتح لأحد قبلك ولا
أقوم لأحد بعدك فقيامه له صلى الله عليه وسلم خاصة فيه إظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم
في خدمته لأحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم وقد أقامه الله
في خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم • وفي مسند الفردوس لكن من حديث ابن عباس
وروى سهل بن أبي صالح عن زياد النميري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا أول من يأخذ بحلقة الجنة ولا فخر • وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه إلا
تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون
آدم فذكر الحديث إلى أن قال فيأتوني فأنطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس كأني أنظر
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال
محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال
ارفع رأسك • الحديث • رواه الترمذي وقال حسن • وفي حديث سلمان فيأخذ بحلقة الباب
وهي من ذهب فيقرع الباب فيقال من هذا فيقول محمد فيفتح • وفي حديث الصور أن المؤمنين
إذا انتهوا إلى باب الجنة تنابوا وتراجعوا من يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم
ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وعليهم وسلم كما فعلوا عند العرصات عند استشفاعهم
إلى الله عز وجل في فصل القضاء ليظهر شرف نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر البشر كلهم في
المواطن كلها • وروى أبو هريرة مرفوعا أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أن امرأة تبادرني
فأقول لها ما لك أو ما أنت فتقول أنا امرأة قعدت على أيتام لي • رواه أبو يعلى
فرد وأثر لا يتيم وقال المنذري إسناده حسن إن شاء الله تعالى • وقوله تبادرني أي

لتدخل

لتدخل أو تدخل في أثري • ويشهد له حديث أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بأصبعيه السبابة
والوسطى • رواه البخاري من حديث سهل بن سعد • قال ابن بطال حق على من سمع هذا أن يعمل
به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة في الجنة أفضل من ذلك • انتهى • ويحتمل
أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة كما في الحديث قبله • ووجه التشبيه أن النبي صلى الله
عليه وسلم من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلهم ومرشدهم • وكذلك كافل
اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه ويعلمه ويحسن أدبه • وعن ابن عباس قال جلس
ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا • وقال آخر ماذا
بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما • وقال آخر فعيسى روح الله • وقال آخر وآدم اصطفاه الله فخرج عليهم
فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلا وهو كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك
وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله
فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر • رواه الترمذي • وعن أنس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا
وقائدهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ
بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون • رواه الترمذي
والبيهقي واللفظ له • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيمة
نحن أول الناس دخولا الجنة هذه الأمة أسبق الأمم خروجا من الأرض وأسبقهم إلى علو مكان في الموقف
وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى فصل القضاء وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول
الجنة وهي أكثر أهل الجنة • روى عبد الله بن الإمام أحمد من حديث أبي هريرة لما نزلت هذه الآية ثلة
من الأولين وثلة من الآخرين قال صلى الله عليه وسلم أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل
الجنة • قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري • وفي حديث بهز بن حكيم رفعه أهل الجنة عشرون
ومائة صف أنتم منها ثمانون • وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة حرمت
على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي • قال الدارقطني غريب عن الزهري
فإن قلت فما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب قال أصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت
خشخشتك أمامي • الحديث • أجاب عنه ابن القيم بأن تقدم بلال بين يديه صلى الله عليه وسلم
إنما هو لأنه كان يدعو إلى الله أولا بالأذان ويتقدم أذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيتقدم دخوله
بين يديه كالحاجب والخادم قال وقد روي في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيمة وبلال بين

يذنب بالأذان فيقدمه بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم وإظهاراً لشرفه وتفضيله لاشتقاقه منه
وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني
باب الجنة الذي تدخل منه أمتي فقال أبو بكر يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه فقال
أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل من أمتي. فقد دل هذا الحديث على أن لهذه الأمة باباً مختصاً يدخلون
منه الجنة دون سائر الأمم. فإن قلت من أي أبواب الجنة يدخل النبي صلى الله عليه وسلم. الجواب
أنه قد ذكر الترمذي الحكيم أبواب الجنة كما نقله القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم
قال وهو باب الرحمة وهو باب التوبة. فإن قلت كم عدة أبواب الجنة. فاعلم أن في حديث أبي
هريرة عند الشيخين مرفوعاً من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله
هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد
ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان.
وروى الترمذي من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء
ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل
من أيها شاء قال القرطبي وهو يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية قال الشيخ عددها إلى ثلاثة عشر باباً
كذا قال. فإن قلت أي الجنان يسكنها النبي صلى الله عليه وسلم. فاعلم منحني الله وإياك
التمتع بذات القدسية إلى الحضرة الفردوسية أن الله قد اتخذ من الجنان داراً اصطفاها لنفسه
وخصها بالقرب من عرشه وغرسها سبحانه بيده فهي سيدة الجنان والله سبحانه يختار من كل نوع أعلاه
وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمداً صلى الله عليه وسلم وربك يخلق ما يشاء ويختار.
وفي الطبراني من حديث أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات
يبقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر إليه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم
ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه أحد إلا الأنبياء والشهداء
والصديقون وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر
يستغفرني فأغفر له ألا سائل يسألني فأعطيه ألا داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر. وفي
حديث ذلك أي جنة عدن ومنازل المرسلين منها وأري منازله فوق منازلهم. وروى أبو الشيخ عن
شمر بن عطية قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيباً لأوليائي
ازدادي حسناً لأوليائي. فتأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده
ولأفضل ذريته اعتباراً وتشريفاً وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتمييزه بذلك عن غيره. وروى
الدارمي عن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق
آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر
ولا ديوث. وفيه أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن تكلم فيه. وروى الدارمي أيضاً عن عبد الله بن عمرو

خلق

٤٣٥

خلق الله أربعة أشياء بيده العرش والقلم وعدناً وآدم عليه السلام ثم قال لسائر الخلق كن فكان
وعنده أيضاً عن ميسرة قال إن الله لم يمس شيئاً بيده من خلقه غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة
بيده وغرس جنة عدن بيده. فجنة عدن أعلى الجنان وسيدتها وهي قصبة الجنة وفيه
الكثيب الذي تقع فيه الرؤية وعليها يدور ثمانية أسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن من الجنة
جنة فردوس. وأصله البستان وهي أوسط الجنان التي دون جنة عدن وأفضلها. ثم جنة الخلد
ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى وهي التي يأوي إليها جبريل والملائكة. وعن مقاتل يأوي إليها أرواح
الشهداء ثم دار السلام لأنها دار السلامة من كل مكروه. ثم دار المقامة. واعلم أن للجنة أسماء
عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذاتها فهي مترادفة من هذا الوجه ومختلفة
باعتبار صفاتها. والاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الدور وما اشتملت عليه من
أنواع النعيم والسرور وقرة العين. وهذه اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي البستان جنة لأنه
تستر داخله الأشجار والجنان كثيرة جداً كما قال صلى الله عليه وسلم لأم حارثة لما قتل حارثة
ببدر وقد قالت يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك
اجتهدت في البكاء عليه يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى.
وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما
وما فيهما. رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري. وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة إلى
الداخلين فيها ثلاثة. جنة اختصاص إلهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ومن
أهلها أهل الفترات ومن لم تصل إليه دعوة رسول. الجنة الثانية جنة ميراث ينالها
كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها. الجنة
الثالثة جنة الأعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل
كان له من الجنة أكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أن فضله في هذا المقام بهذه
الحالة فما من عمل من الأعمال إلا وله جنة. ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما يقتضي أحوالهم
قال صلى الله عليه وسلم يا بلال بم سبقتني الحديث. فعلم أنها كانت جنة مخصوصة ونعيم خاص ناله
من دخلها. وقد يجمع الواحد من الناس في الزمان الواحد أعمالاً من العبادات فيوجد في الزمان الواحد
من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك فتبين أن تنزل المنازل والدرجات في الجنان بالأعمال
وأما الدخول فلا يكون إلا برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله
برحمته فيلبسنيها ويترديها مأخوذ من غمد السيف وهو غلافه. وعند الإمام أحمد بإسناد
حسن صحيح من حديث أبي سعيد الخدري لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله قالوا ولا أنت يا رسول الله
قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وقال بيده فوق رأسه يعني أن الجنة تدخل برحمة الله ولكن

لن يدخل أحد الجنة عمله

عمل العبد مستقلاً بدخولها وان كان سبباً ولهذا اثبت الله تعالى دخولها بالاعمال في قوله سبحانه
وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها بالاعمال في قوله لن يدخل
احد منكم الجنة بعمله ولا تنافي بين الامرين لما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون
النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمة الله واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال
ويدل له حديث ابي هريرة فان الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم رواه الترمذي
قال ابن بطال محمل الاية على ان الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال فان درجات الجنة متفاوتة
بحسب تفاوت الاعمال ومحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ثم اورد على هذا الجواب قوله تعالى
سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فصرح ان دخول الجنة ايضاً بالاعمال واجاب
بانه لفظ مجمل بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون وليس المراد
بذلك اصل الدخول ثم قال ويجوز ان يكون الحديث مفسراً للاية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون
مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم لان اقتسام منازل الجنة برحمة الله تعالى وكذا اصل دخول
الجنة برحمته حيث الهم العاملين ما نالوا به ذلك ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله
وقد تفضل الله عليهم ابتداء بايجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم واشار الى نحوه القاضي عياض فقال ان
من رحمة الله تعالى توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وانما هو بفضل الله
وبرحمته وقال غيره لا تنافي بينهما فالاية والحديث لان الباء التي اثبتت الدخول هي باء السببية التي
تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وان لم يكن مستقلاً بحصوله والباء التي نفت الدخول هي
المعاوضة التي يكون فيها احد العوضين مقابلاً للاخر نحو اشتريت منه بكذا فاخبر ان دخول
الجنة ليس بمقابلة عمل احد وانه لولا رحمة الله بعبده لما ادخله الجنة لان العمل بمجرده ولو تناهى لا
يوجب بمجرده دخول الجنة ولا يكون عوضاً لها لانه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله
بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر على تلك النعمة بقية
لم يتم بها فلذلك لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته
خيراً لهم من اعمالهم كما في حديث ابي بن كعب عند ابي داود وابن ماجه وهذا فصل الخطاب مع الجبرية
النفاة للحكمة والتعليل القائلين بان القيام بالعبادة ليس الا لمجرد الامر من غير ان يكون سبباً
للسعادة في معاش ولا معاد ولا لنجاة المعتقدين ان النار ليست سبباً للاحراق ولا الماء سبباً
للارواء والتبريد والقدرية الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل القائلين بان العبادات
شرعت اثماناً لما يناله العبد من الثواب والنعيم وانها عين لذا استيفاء الاجر اجرة مختجين
بان الله تعالى يجعلها عوضاً كما في قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ويقوله عليه السلام حاكياً
عن ربه يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها وهؤلاء الطائفتان متقابلتان
اشد التقابل وبينهما اعظم التباين فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطاً بالجزاء البتة والقدرية

جعلت

جعلت ذلك كله بمحض الاعمال وثمناً لها والطائفتان جائرتان منحرفتان عن الصراط المستقيم
الذي فطر الله عليه عباده وجاءت به رسله فنزلت به كتبه وهو ان الاعمال اسباب موصلة الى
الثواب والعقاب مقتضيات لهما كاقتضاء سائر الاسباب لمسبباتها وان الاعمال الصالحة
من توفيق الله تعالى ومنته وصدقته على عبده ان اعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه ارادتها
والقدرة عليها وحببها اليه وزينها في قلبه وكره اليه اضدادها ومع هذا فليست ثمناً لجزائه و
ثوابه بل غايتها انها شكر له تعالى ان قبلها سبحانه وبهذا نفى عليه السلام دخول الجنة بالعمل رداً على
القدرية القائلين بان الجزاء بمحض الاعمال وثمنها لها واثبت سبحانه وتعالى دخول الجنة بالعمل
رداً على الجبرية الذين لم يجعلوا للاعمال ارتباطاً بالجزاء فتبين انه لا تنافي فيهما اذ تواردا النفي و
الاثبات ليس على معنى واحد فالمنفي استحقاقها بمجرد الاعمال وكون الاعمال ثمناً وعوضاً لها رداً
على القدرية والمثبت الدخول بسبب العمل رداً على الجبرية والله من يشاء الى صراط مستقيم وقال
الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر محمل الحديث على ان العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول
ما لم يكن مقبولاً واذا كان كذلك فامر القبول الى الله تعالى وانما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه وعلى
هذا في قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اي تعملون من العمل المقبول ولا يضر هذا ان يكون الباء
للمصاحبة او للالصاق او المقابلة ولا يلزم من ذلك ان يكون للسببية قال ثم رايت النووي جزم
بان ظاهر الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والجمع بينها وبين الحديث ان التوفيق للاعمال والهداية
للاخلاص فيها وقبولها انما هو برحمة الله وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح
انه دخل بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى انتهى وروى الدارقطني عن ابي امامة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نعم الرجل انا لشرار امتي فقالوا كيف انت لخيارها قال اما خيارها فيدخلون
الجنة باعمالهم واما شرار امتي فيدخلون بشفاعتي ذكره عبد الحق في العاقبة
واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالكوثر وهو على وزن فوعل من الكثرة سمي به هذا النهر
العظيم لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره فقد نقل المفسرون في تفسير الكوثر اقوالاً تزيد على
عشرة ذكرت كثيراً منها في المقصد السادس من هذا الكتاب واولاها قول ابن عباس انه الخير الكثير لعمومه
لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه فقد روى مسلم وابو داود
والنسائي من طريق محمد بن فضيل وعلي بن مسهر كلاهما عن المختار بن فلفل عن انس واللفظ لمسلم قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسماً فقلنا ما اضحكك
يا رسول الله قال انزلت علي آنفاً سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل
لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه
ربي عز وجل الحديث لكن فيه اطلاق الكوثر على الحوض وقد جاء صريحاً في حديث عند البخاري ان
الكوثر هو النهر الذي يصب وعند احمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض وعند مسلم يغت فيه يعني الحوض

انه لا يكون للسببية

ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من ورق • وقوله يغت بالغين المعجمة اي يصب
وفي البخاري من حديث قتادة عن انس قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء قال اتيت
على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر • رواه ابن جرير عن شريك
ابن ابي نمر قال سمعت انس بن مالك يحدثنا قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل فاذا
هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا النهر قال
هو الكوثر الذي خبأ لك ربك • ورواه احمد عن انس ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال نهر في الجنة
اعطانيه ربي لهو اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل • وعن ابي عبيدة عن عائشة قال سألها عن
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه نبيكم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم
رواه البخاري • وقوله شاطئاه اي جانباه • وقوله در مجوف اي القباب التي على جوانبه • ورواه النسائي
بلفظ قالت نهر في بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك
وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت • وبطنانها بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون • ووسط بفتح المهملة
والمراد به اعدلها اي ارفعها قدرا او المراد اعدلها • وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه اشد بياضا من اللبن و
احلى من العسل • رواه احمد وابن ماجه • وقال الترمذي حسن صحيح • وعن ابن عباس في قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون الف فرسخ ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الانبياء • رواه ابن ابي الدنيا
موقوفا • وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال نهر في الجنة اعطانيه الله يعني
في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق البخت او اعناق الجزر قال
عمر انها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلها انعم منها • رواه الترمذي • وقال حسن • و
الجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور وهو البعير • قال الحافظ ابن كثير قد تواتر يعني حديث الكوثر من
طرق تفيد القطع عند كثير من ائمة الحديث • وكذلك احاديث الحوض • قال وهكذا روي عن انس و
ابي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف ان الكوثر في الجنة   واما تفضيله صلى الله عليه
في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة • فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي
صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله
وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة • قال الحافظ عماد الدين ابن كثير الوسيلة
علم على اعلى منزلة في الجنة • وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة • وهي اقرب امكنة الجنة
الى العرش • وقال غيره الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب • يقال توسلت اي تقربت • ويطلق على
المنزلة العلية كما قال في هذا الحديث فانها منزلة في الجنة على انه يمكن ردها الى الاول فان الواصل

الى تلك المنزلة قريب من الله سبحانه فتكون كالقربة التي يتوسل بها ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعظم الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم له خشية واعظمهم له محبة كانت منزلته اقرب
المنازل الى الله تعالى وهي اعلى درجة في الجنة وامر صلى الله عليه وسلم امته ان يسألوها له لينالوا
بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان وايضا فان الله تعالى قدرها له باسباب منها دعاء امته له بما
نالوه على يده من الهدى والايمان • واما الفضيلة فهي الرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل
ان تكون منزلة اخرى وتفسيرا للوسيلة • وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة • رواه في المسند
وذكر ابن ابي الدنيا وقال درجة في الجنة ليس في الجنة اعلى منها فسلوا الله ان يؤتينيها على رؤوس
الخلائق • وروى ابن مردويه عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله
فسلوا لي الوسيلة قالوا يا رسول الله من يسكن معك قال علي وفاطمة والحسن والحسين لكن
قال الحافظ عماد الدين بن كثير انه حديث غريب منكر من هذا الوجه • وعند ابن حاتم من حديث
علي ايضا انه قال على منبر الكوفة ايها الناس ان في الجنة لؤلؤتين احداهما بيضاء والاخرى
صفراء • فاما الصفراء فانها الى بطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون الف
غرفة كل بيت منها ثلاثة اميال وغرفها وابوابها واسرتها وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة
هي لمحمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته والصفراء مثل ذلك هي لابراهيم عليه السلام واهل بيته و
هو اثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير ايضا • وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى قال اعطاه الله تعالى في الجنة الف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من طريقه • ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم المرفوع •

خاتمة الكتاب

عن عائشة قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي
من نفسي وانك احب الي من اهلي واحب الي من ولدي واني لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى آتي
فانظر اليك فاذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني اذا دخلت
الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وحسن اولئك رفيقا • رواه ابو نعيم • وقال الحافظ ابو عبد الله المقدسي لا اعلم
باسناد هذا الحديث بأسا كذا نقله في حادي الارواح وذكره البغوي في معالم التنزيل بلفظ نزلت
يعني الآية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي وجع ولا مرض غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة
حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزل

أدنى من منزلتك وإني لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية • وكذا ذكر ابن ظفر في ينبوع
الحياة لكن قال إن الرجل هو عبد الله بن زيد الأنصاري الذي رأى الأذان • وليس المراد أن كون من
أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لأن هذا يقتضي
التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول • وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن
كل واحد منهم من رؤية الآخر وإن بعد المكان لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضا وإذا
أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك هذا هو المراد من المعية • وقد ثبت في الصحيحين من حديث
أنس أن رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شيء إلا أني أحب الله و
رسوله قال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم
أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم
بحبي إياهم • وفي الحديث الإلهي الذي رواه حذيفة كما عند الطبراني بسند غريب أن الله تعالى قال
ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه • الحديث
وفيه من الزيادة على حديث البخاري ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين
والشهداء في الجنة • فلله درها من كرامة بالغة ونعمة على المحبين سابغة فالمحب يرقى في درجات
الجنات على أهل العبادة بحيث ينظر إليه كما ينظر إلى الكوكب الغابر في السموات لعلو درجته وقرب
منزلته من حبيبه ومعيته فإن المرء مع من أحب ولكل عمل جزاء وجزاء المحبة المحبة والوصول و
القرب من المحبوب • ورؤيت امرأة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي
قيل لها بماذا قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر إليه نوديت من اشتهى النظر إلى
حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه • وانظر قوله تعالى طوبى لهم وحسن مآب
وأن طوبى اسم شجرة في الجنة غرسها الله سبحانه بيده تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترى من
سور الجنة وأن أهلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن فما جنة من الجنات وأن أصلها
إلا وفيها من شجرة طوبى ليكون سر كل نعيم وتفضيل كل ولي من سره عليه الصلاة والسلام • وأنه
صلى الله عليه وسلم مدد الجنة فالولي يتنعم في جنته إلا والرسول متنعم بنعمته لأن الولي ما وصل
إلى ما وصل إليه من النعيم إلا باتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان لمقام النبوة قائما به في نعمة
وكذا إبليس ملأ النار فلا عذاب لأحد من أهلها إلا وإبليس لعنه الله سر تعذيبه ويشارك لمرفيه
وفي البحر لابن حيان عند تفسير قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هي عين في دار
رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين • وإذا علمت هذا كله علمت أن أعظم نعيم الجنة
وأكمله التمتع بالنظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقرة العين بالقرب من الله
ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التي هي أكبر من الجنان وما فيها كما قال تعالى ورضوان من الله أكبر
ولا ريب أن الأمر أجل مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال • ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الأنس

وحضرة

وحظيرة القدس بمعية محبوبهم الذي هو مطلوبهم فأي نعيم وأي لذة وأي قرة عين وأي فوز
يداني تلك المعية ولذتها وقرة العين بها وهل فوق نعيم قرة العين بمعية الله ورسوله نعيم فلا
شيء والله أجل ولا أجمل ولا أحلى ولا أعلى ولا ألذ من حضرة يجمع فيها المحب
مع أحبابه في مشهد مشاهد الإكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم ومحبوبهم ومعبودهم الإله الخالق والأمر
جل جلاله لا خلف حجاب واحد في اسمه الجميل اللطيف فيتدفق عليهم نور يسري في ذواتهم فيتهنون من
جمال الله وتشرق ذواتهم بنور ذلك الجمال الأقدس بحضرة الرسول الأرأس ويقول لهم الحق جل جلاله
سلام عليكم عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون مرحبا بكم أهلا وسهلا أنتم المؤمنون الآمنون
أنتم أوليائي وجيراني وأحبابي أنا الله الجواد الغني وهذه داري قد أسكنتكموها وجنتي قد أبحتكموها
وهذه يدي مبسوطة ممتدة لكم وأنا ربكم أنظر إليكم لا أصرف نظري عنكم أنا لكم جليس وأنيس فارفعوا
إلي حوائجكم فيقولون ربنا حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم والرضا عنا فيقول لهم جل جلاله
هذا وجهي فانظروا إليه وأبشروا فإني عليكم راض ثم يرفع الحجاب ويتجلى لهم فيخرون سجدا فيقول لهم
ارفعوا رؤوسكم فليس هذا موضع سجود يا عبادي ما دعوتكم لتتمتعوا بمشاهدتي يا عبادي قد رضيت عنكم
فلا أسخط عليكم أبدا فما أحلاها من كلمة وما ألذها من بشرى فعندها يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا
الحزن وأحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب إن ربنا لغفور شكور
وهذا يدل على أن جميع العبادات تزول في الجنة إلا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل • والذي يدل
عليه الحديث الصحيح أنهم يلهمون ذلك كإلهام النفس كما في مسلم من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك
يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس يعني تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس فليس عن تكلف و
إلزام وإنما هو عن تيسير وإلهام ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا بد له منه ولا كلفة ولا مشقة
عليه فكذلك يكون ذكر الله تعالى على ألسنة أهل الجنة • وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته و
أبصارهم قد تمتعت برؤيته • وقد غمرتهم سوابغ نعمه • وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخاللته فألسنتهم
ملازمة لذكره • وقد أخبر الله تعالى عن شأنهم في ذلك بقوله تعالى في كتابه العزيز وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وقوله
تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين
قال جامعه ومؤلفه أحمد بن الخطيب القسطلاني عامله
الله تعالى بما يليق بكرمه • فهذا آخر ما جرى به قلم المدد من هذه المواهب اللدنية • وسطرته
يد الفيض من المنح المحمدية • وذلك وإن كثر قليل في جنب شرفه التام • ويسير مما كرمه الله تعالى
من فضله الراجح • ولو تتبعنا ما منحه الله تعالى من مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعت
بعض بعضه الدفاتر • وكلت دون مرامه الأقلام وجفت المحابر وضاقت عن جمعه الكتب

وتجرت من حمله النجب • وعلى نفقتي واصفيه لبغيته • يعني الزمان وفيه مالم نور صرعه •
والى الله تعالى اضرع ان يجعله خالصا لوجهه الكريم • مخلصا من شوايب الريا وكونه
المعظم • وان ينفعني به والمسلمين والمسلمات في الحيا وبعد الممات سايلا من وقف عليه من فاضل
انار الله بصيرته • وجبل على الانصاف سريرته • ان يصلح بحلمه عثاري وزللي ويسد بسداد فضله
خطائي وخللي فالكريم يقيل العثار • ويقبل الاعتذار خصوصا من مثلي مع قصر باعه في
الصناعة • وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة • وما ابتلى به من شواغل الدنيا الدنية •
والعوارض البدنية • وتحمله من الاثقال التي لو حملها رضوى لتضعضع • او انزلت على ثبير
لخشع وتصدع • لكنني اخذت غفلة الظلام الغاسق • والليل الواسق • فسرقته من ايدي العوائق
والليل يعين السارق • واستفتحت مغالق المعاني بمفاتح فتح الباري • واستخرجت من مطالب
كنوز العلوم نفايس الدراري • حامدا لله تعالى على ما انعم والهم • وعلم ما لم اكن اعلم مصليا مسلما •
على رسوله محمد اشرف انبيائه • وافضل مبلغ لانبائه • وعلى آله واصحابه واحبائه وخلفائه •
صلاة لا ينقطع مددها ولا ينتهي امدها • قال مؤلفه حفظه الله تعالى وختم
بالصالحات عمله • وقد انهيت كتابة هذه النسخة المنقولة منها هذه النسخة المباركة النافعة
ان شاء الله تعالى في خامس شعبان سنة ثمان وتسعين وثمانمائة • والله اسئل ان ينفع به بعد
جيل • وحسبنا الله ونعم الوكيل • واستودع الله تعالى نفسي وديني وخواتيم عملي وما انعم به علي
ربي وهذا الكتاب • وان ينفعني به والمسلمين • وان يردني واحبابي الى الحرمين الشريفين على احسن وجه
وابه • ويرزقني الاقامة بهما في عافية بلا محنة • وان يطيل عمري في طاعته • ويلبسني اثواب عافيته
ويجمع لي وللمسلمين بين خيري الدنيا والاخرة ويصرف عنا سوءهما • ويجعل وفاتي ببلد رسوله و
يمنحنا من المدد المحمدي بما منحه عباده الصالحين مع رضوانه ويمتعنا بلذة النظر الى وجهه
الكريم من غير عذاب يسبق • فانه سبحانه اذا استودع شيئا حفظه • والحمد لله وحده ولا
حول ولا قوة الا بالله العظيم • وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي • وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا دايما الى يوم القيمة • والحمد لله تعالى وحده •

وانا اسئل الله سبحانه بكل صلوة فيها قصدها جناني • تلقفتها لساني • ثم استملاها بناني •
ان يتقبل بها كفة ميزاني • ويجعلها نورا يسعى بين يدي وبايماني • بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار • انه خير المسئولين وخير
المعطين • حاشا لمجدك ان تقنط عاصيا • الفضل اجزل والمواهب اوسع • ثم اني اجعل قول سواد
ابن قارب لنفسي المتممة • مستغيثا مستجيرا مستشفعا به صلى الله عليه وسلم • وكن لي شفيعا
يوم لا ذو شفاعة • بمغن فتيلا عن سواد بن قارب • قاله مؤلفه وخطه بقلمه العبد الرباني
حسين بن محمد النطنجي • غفر الله له ولوالديه

٣

ياذا الجلال والاكرام اجرني من النار ياعزيز ياكريم نجني من عذاب اليم